

الحافظ ابن كثير

البيدلية والنسابة

مكتبة المصنف
بيروت

الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى ٧٧٤هـ

الْبَيْدَانِيُّ وَالنَّهْشَابِيُّ

الجمل الأول

الطبعة الثالثة ١٩٧٩

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذيلت بشروح
قامت بها هيئة باشراف الناشر

مكتبة المحاريف
بيروت

٢

طبع هذا المجلد نقلاً عن المخطوطة الموجودة في المدرسة الأحمدية
بمدينة « حلب » من الجمهورية العربية السورية ، بعد ان قارنها جمهورٌ من
المحققين وراجعوها على امهات الكتب التاريخية وكتب السير الأقدم
منها زمناً ، والتي تم تحقيقها الى ان غدت معتمدة لدى الدارسين . وبعد
ان حققوا الفاظها على معاجم اللغة .

جميع الحقوق محفوظة

لناشر

سيرة النبي الخاتم

الامام عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير قرشي النسب دمشقي الدار توفي سنة ٥٧٧٤ هـ ، كان مقرئاً متقناً وراوية للحديث موثقاً ، كما كان مفسراً ومؤرخاً معروفاً . وهذا النفس الموسوعي هو الذي نجده في كتابه الموسوم « البداية والنهاية » . وفيه يؤرخ الامام ابن كثير للدول الاسلامية حتى زمانه . وهو يقسم مصنفه الكبير الى ثلاثة اقسام :

الاول : يورد فيه بدء الخليقة ولمعاً من تواريخ الامم الغابرة حتى يبلغه العرب في الجاهلية ، ونشأة الرسول (ص) ، ثم الوحي وظهور هداية الاسلام حتى الهجرة الى مدينة الرسول .

وهو في هذا القسم يعتمد على القرآن الكريم والسنة الشريفة ، ومن تقدمه من كبار المؤرخين كالطبري وابن عمر والواقدي ، وعلى اصحاب السير .

والثاني : يؤرخ فيه للعهد الراشدي فالدولة الاموية ، فالعباسية ، وما تفرع عنها من ممالك ودولات أيام انحطاطها وتدهورها ، والى ما بعد ان قضى عليها المغول حتى وفاته سنة ٥٧٧٤ هـ .

اما الثالث : فهو ذكر للآخرة ومظاهر قروب الساعة وعلاماتها ووعظ ديني بمخافة الله ، وجعل ذلك في المجلد الاخير فقط .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الأول الآخر ، الباطن الظاهر ، الذي هو بكل شيء عليم ، الأول فليس قبله شيء ،
الآخر فليس بعده شيء ، الظاهر فليس فوقه شيء الباطن ، فليس دونه شيء ، الأزل القديم الذي لم
يزل موجودا بصفات الكمال ، ولا يزال دائما مستمرا باقيا مرديا بلا انقضاء ولا انفصال ولا زوال .
يعلم ديب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، وعدد الرمال . وهو العلي الكبير
المتعالي ، العلي العظيم الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا .

ورفع السموات بغير عمد ، وزينها بالكواكب الزاهرات ، وجعل فيها سراجا وقرآنا منيرا
وسوى فوقهن سريرا ، شرجهما^(١) عالبا منيفا متسعا مقبيا مستديرا . وهو العرش العظيم - له قوائم
عظام ، تحمله الملائكة الكرام ، ونحنه الكروبيون عليهم الصلاة والسلام ، ولهم زجل بالتقديس
والتعظيم . وكذا أرجاء السموات مشحونة بالملائكة ، ويفد منهم في كل يوم سبعون ألفا إلى البيت
المعمور بالسماوات الرابعة لا يعودون إليه ، آخر ما عليهم في تهليل وتحميد وتكبير وصلاة وتسلم .
ووضع الأرض للأنام على قيار الماء . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها

(١) - الشرجع : هو العالي المنيف

في أربعة أيام قبل خلق السماء ، وأثبت فيها من كل زوجين اثنين ، دلالة للالباء من جميع ما يحتاج العباد اليه في شأهم وصيغهم ، ولكل ما يحتاجون اليه ويمتلكونه من حيوان بهيم *
وبدأ خلق الانسان من طين ، وجعل نسله من سلالة من ماء مهين ، في قرار مكين . فجعله سميعاً بصيراً ، بعد ان لم يكن شيئاً مذكوراً . وشرفه بالعلم والتعليم . خلق يده الكريمة آدم أبا البشر ، وصور جنته ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته ، وخلق منه زوجة حواء أم البشر فأنس بها وحدته ، وأسكنها جنته ، واسبغ عليهما نعمته . ثم أهبطهما الى الارض لا سبق في ذلك من حكمة الحكيم . وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ، وقسمهم بقدره العظيم ملوكاً وورعاً ، وفقراء وأغنياء ، وأحراراً وعبيداً ، وحراراً وإماء . وأسكنهم أرجاء الارض ، طولها والعرض ، وجعلهم خلائف فيها يخلف البعض منهم البعض ، الى يوم الحساب والعرض على العليم الحكيم . وسخر لهم الأنهار من سائر الاقطار ، تشق الأقاليم الى الأمصار ، ما بين صغار وكبار ، على مقدار الحاجات والأوطار ، وأنبع لهم العيون والآبار . وأرسل عليهم السحاب بالمطار ، فأثبت لهم سائر صنوف الزرع والثمار . وآتاهم من كل ما سألوه بلسان حالهم وقالهم : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظالم كفار » :
فبجحان الكريم العظيم الخليم * وكان من أعظم نعمه عليهم . واحسانه اليهم ، بعد أن خلقهم ورزقهم ويسر لهم السبيل وأنطقهم ، أن أرسل رسله اليهم ، وأنزل كتبه عليهم : مبينة حلاله وحرامه ، وأخباره وأحكامه ، وتفصيل كل شيء في المبدأ والمعاد الى يوم القيامة *

فالسعيد من قابل الاخبار بالتصديق والسليم ، والواامر بالانقياد والنواهي بالتعظيم . ففاز بالنعيم المقيم ، وزحزح عن مقام المكذبين في الجحيم ذات الزقوم والحميم ، والعذاب الاليم *
أحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه يملأ أرجاء السموات والارضين ، دائماً أبداً ابدياً ، ودهر الدهرين ، الى يوم الدين ، في كل ساعة وأن ووقت وحين ، كما ينبغى لجلاله العظيم ، وسلطانه القديم ووجهه الكريم * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ولا ولد له ولا والد له ، ولا صاحبة له ، ولا نظير ولا وزير له ولا مشير له ، ولا عديد ولا نديد ولا قسيم *

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وحييه وخليته ، المصطفى من خلاصة العرب العرباء من الصميم ، خاتم الانبياء ، وصاحب الحوض الاكبر الرواء ، صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة ، وحامل اللواء الذي يبعثه الله المقام المحمود الذي يرغب اليه فيه الخلق كلهم حتى الخليل ابراهيم صلى الله عليه وعلى سائر اخوانه من النبيين والمرسلين ، وسلم وشرف وكرم أزكى صلاة وتسليم ، وأعلى تشریف وتكريم . ورضى الله عن جميع أصحابه الغر الكرام ، السادة النجباء الأعلام ، خلاصة العالم بعد الانبياء . ما اختلط الظلام بالضياء ، وأعلن الداعي بالنداء وما نسخ النهار ظلام الليل البهيم *

﴿ أما بعد ﴾ فهذا كتاب أذكر فيه بعون الله وحسن توفيقه ما يسره الله تعالى بحوله وقوته من ذكر مبداء المخلوقات : من خلق العرش والكرسي والسموات ، والأرضين وما فيهن وما بينهن من الملائكة والجان والشياطين ، وكيف خلق آدم عليه السلام ، وقصص النبيين ، وما جرى مجرى ذلك الى أيام بني إسرائيل وأيام الجاهلية حتى تنتهي النبوة الى أيام نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه . فذكر سيرته كما ينبغى فتشفي الصدور والغليل ، وتزيج الداء عن العليل *

ثم نذكر ما بعد ذلك الى زماننا ، ونذكر الفتن والملاحم واشراط الساعة . ثم البعث والنشور وأهوال القيامة ، ثم صفة ذلك وما في ذلك اليوم ، وما يقع فيه من الامور الهائلة . ثم صفة النار ، ثم صفة الجنان وما فيها من الخيرات الحسان ، وغير ذلك وما يتعلق به ، وما ورد في ذلك من الكتاب والسنة والآثار والأخبار المنقولة المتقبولة عند العلماء وورثة الانبياء ، الآخذين من مشكاة النبوة المصطفوية المحمدية على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام .

ولسنا نذكر من الاسرائيليات الا ما أذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب الله ، وسنة رسوله (ص) . وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب ، مما فيه بسط لمختصر عندنا ، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لا فائدة في تعيينه لنا فنذكره على سبيل التحلي به لا على سبيل الاحتياج اليه والاعتماد عليه . وانما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسول الله (ص) ، ما صح نقله أو حسن وما كان فيه ضعف نبينه . وبالله المستعان وعليه التكلان . ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم العلي العظيم * فقد قال الله تعالى في كتابه (كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا) وقد قص الله على نبيه (ص) ، خبر ما مضى من خلق المخلوقات ، وذكر الامم الماضية ، وكيف فعل بأوليائه ، وماذا أحل بأعدائه . وبين ذلك رسول الله (ص) ، لأئمة بيانا شافيا ، سنورد عند كل فصل ما وصل الينا عنه ، صلوات الله وسلامه عليه . من ذلك تلو الآيات الواردة (١) في ذلك فأخبرنا بما نحتاج اليه من ذلك ، وترك ما لا فائدة فيه مما قد يتزاحم على علمه ، ويتراجم في فهمه . طوائف من علماء أهل الكتاب مما لا فائدة فيه لكثير من الناس اليه . وقد يستوعب نقله طائفة من علمائنا ولسنا نحذو حذوهم ولا ننحو نحوهم ولا نذكر منها الا القليل على سبيل الاختصار . ونبين ما فيه حق مما وافق ما عندنا . وما خالفه فوقع فيه الانكار *

فاما الحديث الذي رواه البخاري رحمه الله في صحيحه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله (ص) قال « بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، وحدثوا عني ولا تكذبوا عليّ ومن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » فهو محمول على الاسرائيليات المسكوت عنها

(١) أي بذكر الاحاديث عقب الآيات

عندنا. فليس عندنا ما يصدقها ولا ما يكذبها ، فيجوز روايتها للاعتبار . وهذا هو الذي نستعمله في كتابنا هذا * فأما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا اليه استغناء بما عندنا . وما شهد له شرعنا منها بالبطلان . فذاك مردود لا يجوز حكايته ، الا على سبيل الانكار والابطال *

فاذا كان الله ، سبحانه وله الحمد ، قد أغنانا برسولنا محمد ، (ص) عن سائر الشرائع ، وبكتابه عن سائر الكتب ، فلسنا نترامى على ما بأيديهم مما وقع فيه خبط وخط ، وكذب ووضع ، وتحريف وتبديل ، وبعد ذلك كله نسخ وتغيير *

فالمحتاج اليه قد بينه لنا رسولنا ، وشرحه وأوضحه . عرفه من عرفه ، وجهله من جهله . كما قال علي بن أبي طالب « كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبا ما بعدكم ، وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله » وقال أبو ذر ، رضي الله عنه : « لقد توفى رسول الله (ص) وما طائر يطير بجناحيه الا أذكرنا منه عادا » وقال البخاري في كتاب بدء الخلق ، وروى عن عيسى بن دويغ غنجان عن رقية عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال « سمعت عمر بن الخطاب يقول قام فينا رسول الله (ص) ، مقاما فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم . وأهل النار منازلهم » حفظ ذلك من حفظه ونسبه من نسبه » قال أبو مسعود الدمشقي في اطرافه هكذا قال البخاري ، وإنما رواه عيسى غنجان عن أبي حمزة عن رقية ، وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله في مسنده : حدثنا أبو عاصم^(١) حدثنا عزرة بن ثابت ، حدثنا علباء بن أحمير الشكري : حدثنا أبو زيد الانصاري ، قال قال : صلى بنا رسول الله (ص) ، « صلاة الصبح ، ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت الظهر ، ثم نزل فصلى الظهر . ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى العصر . ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس فحدثنا بما كان ، وما هو كائن فأعلمنا أحفظنا »

انفرد باخراجه مسلم فروك في كتاب الفتن من صحيحه عن يعقوب بن ابراهيم

الدورقي وحجاج بن الشاعر ، جميعا عن أبي عاصم الضحاك بن محمد

النبيل عن عزرة عن علباء عن أبي زيد عمرو بن أخطب بن

رفاعة الانصاري رضي الله عنه عن النبي (ص) بنحوه



(١) - ابو عاصم راوية له

فَضْلُ النَّبِيِّ

قال الله تعالى في كتابه العزيز « الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل » فكل ما سواه تعالى فهو مخلوق له ، مربوب مدبر ، مكوّن بعد أن لم يكن محدث بعد عدمه . فالعرش الذي هو سقف المخلوقات الى ماتحت الثرى ، وما بين ذلك من جامد وناطق الجميع خلقه ، وملكه وعبيده وتحت قهره وقدرته ، وتحت تصرفه ومشيئته « خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام . ثم استوى على العرش . يعلم ما يلج في الارض ، وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بنا تعملون بصير »

وقد أجمع العلماء قطبة لايشك في ذلك مسلم أن الله خلق السموات والارض ، وما بينهما في ستة ايام كما دل عليه القرآن الكريم . فاختلّفوا في هذه الايام اهي كايامنا هذذ او كل يوم كالف سنة مما تعدون ؟ على قولين كما بينا ذلك في التفسير ، وسنعرض لايراده في موضعه . واختلفوا هل كان قبل خلق السموات والارض شيء مخلوق قبلهما . فذهب طوائف من المتكلمين الى انه لم يكن قبلهما شيء وأنهما خلقتا من العدم المحض . وقال آخرون بل كان قبل السموات والارض مخلوقات أخر لقوله « وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء » الآية . وفي حديث عمران ابن حصين كما سيأتي « كان الله ولم يكن قبله شيء وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والارض » وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة حدثنا أبو يعلى ابن عطاء عن وكيع بن حُدس عن عمه أبي رزين تميم بن عامر العقيلي أنه قال « يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض ؟ قال كان في عماء مافوقه هواء وما تحتها هواء ثم خلق عرشه على الماء » ورواه عن يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة به . وانظروا أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ وباقية سواء ، وأخرجه الترمذى عن أحمد بن منيع وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ومحمد بن الصباح ثلاثتهم عن يزيد بن هرون ، وقال الترمذى حسن . واختلف هؤلاء في أيها خلق أولا ؟ فقال قائلون خلق القلم قبل هذه الاشياء كلها ، وهذا هو اختيار ابن جرير ، وابن الجوزى ، وغيرها قال ابن جرير ، وبعد القلم السحاب الرقيق . واحتجوا بالحديث الذي رواه الامام أحمد ، وأبو داود والترمذى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه : قال قال رسول الله (ص) « إن أول ما خلق الله القلم . ثم قال له اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » لفظ أحمد . وقال الترمذى حسن صحيح غريب . والذي عليه الجمهور فيما نقله الحافظ أبو العلاء الهمداني وغيره (أن العرش مخلوق قبل ذلك) وهذا هو الذي رواه ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس كما دل على ذلك الحديث الذي رواه

مسلم في صحيحه . حيث قال : حدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب أخبرني
أبو هانيء الخولاني عن أبي عبد الرحمن الجبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله
(ص) يقول « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال
وعرشه على الماء » قالوا فهذا التقدير هو كتابته بالقلم المقادير . وقد دل هذا الحديث أن ذلك بعد خلق
العرش فثبت تقديم العرش على القلم الذي كتب به المقادير كما ذهب إلى ذلك الجماهير . ويحمل حديث
القلم على أنه أول المخلوقات من هذا العالم . ويؤيد هذا ما رواه البخاري عن عمران بن حصين : قال
قال أهل اليمن لرسول الله (ص) « جئناك لتفتقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر فقال كان الله
ولم يكن شيء قبله * وفي رواية معه ، وفي رواية غيره « وكان عرشه على الماء . وكتب في الذكر كل شيء
وخلق السموات والأرض » وفي لفظ : ثم خلق السموات والأرض . فسألوه عن ابتداء خلق السموات
والأرض . ولهذا قالوا جئناك نسألك عن أول هذا الأمر فأجابهم عما سألوا فقط . ولهذا لم يخبرهم
بخلق العرش كما أخبر به في حديث أبي رزين المتقدم . قال ابن جرير وقال آخرون « بل خلق الله
عز وجل الماء قبل العرش » رواه السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن
مرة عن ابن مسعود وعن نلس من أصحاب رسول الله (ص) : قالوا « ان الله كان
عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء » وحكى ابن جرير عن
محمد بن اسحاق أنه قال « أول ما خلق الله عز وجل النور والظلمة
ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلاً أسود مظلماً ، وجعل النور نهاراً مضيئاً
مبصراً » قال ابن جرير وقد قيل « ان الذي خلق ربنا بعد القلم
الكرسي . ثم خلق بعد الكرسي العرش . ثم خلق بعد
ذلك الهواء والظلمة . ثم خلق الماء فوضع عرشه
على الماء » والله سبحانه وتعالى أعلم .

فضيلة الكرسي

فيما ورد في صفة خلق العرش والكرسي . قال الله تعالى « رفيع الدرجات ذو العرش » وقال تعالى
« فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم » وقال الله « لا إله إلا هو رب العرش
العظيم » وقال « وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد » . وقال تعالى « الرحمن على العرش استوى »
وقال « ثم استوى على العرش » في غير ما آية من القرآن ، وقال تعالى « الذين يحملون العرش ومن
حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً »

وقال تعالى « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » وقال تعالى « وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بلحق وقيل الحمد لله رب العالمين » وفي الدعاء المروي في الصحيح في دعاء الكرب « لا إله إلا الله العظيم الحليم . لا إله إلا الله رب العرش الكريم . لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم » . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا يحيى بن العلاء عن عمه شعيب بن خالد حدثني سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف ابن قيس عن عباس بن عبد المطلب قال كنا جلوساً مع رسول الله (ص) بالبطحاء فمرت سحابة فقال رسول الله (ص) « أتدرون ما هذا قال قلنا السحاب قال والمزن قال قلنا والمزن قال والعنان قال فسكتنا فقال هل تدرون كم بين السماء والأرض قال قلنا الله ورسوله أعلم . قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وكشف كل سماء^(١) مسيرة خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلى كما بين السماء والأرض . ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبتين واظلافهن كما بين السماء والأرض ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلى كما بين السماء والأرض والله فوق ذلك وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء » . هذا لفظ الامام أحمد . ورواه أبو داود وابن ماجه والترمذي من حديث سماك باسناده نحوه . وقال الترمذي هذا حديث حسن ، وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك ووقفه ولفظ أبي داود « وهل تدرون بعد ما بين السماء والأرض ؟ قالوا لا ندرى » قال « بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتين أو ثلاثة وسبعون سنة » والباقي نحوه . وقال أبو داود حدثنا عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن المثني ومحمد بن بشار ، وأحمد بن سعيد الرباطي قالوا حدثنا وهب بن جرير . قال أحمد كتبناه من نسخته وهذا لفظه . قال حدثنا أبي قال سمعت محمد بن اسحاق يحدث عن يعقوب بن عقبة عن جبير بن محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه عن جده قال أتى رسول الله (ص) اعرابي فقال يا رسول الله جهدت الأنفس وجمعت العيال^(٢) ونهكت الأموال وهلكت الأنعام . فاستسق الله لنا فانا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك » قال رسول الله (ص) « ويحك أتدرى ما تقول » وسبح رسول الله (ص) فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه . ثم قال « ويحك إيه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك ويحك أتدرى ما الله إن عرشه على سمواته هكذا » وقال بأصابعه مثل القبة عليه وإيه ليثبط به أطيط الزحل بالراكب . قال ابن بشار في

(١) قوله: وكشف كل سماء) بالشين المعجمة . والذي في مسند الامام أحمد المطبوع بمصر كيف

بالياء التحتية . وفي العيني على البخاري منسوبا الى كتاب العرش لابن أبي شيبة . وكشف كل سماء بالثاء المثناة . وهذا هو الصواب (٢) قوله: وجمعت العيال هكذا في النسخ التي بأيدينا وفي نسخة أبي

داود التي بأيدينا وضاعت العيال (محمود الامام)

حديثه « ان الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته » وساق الحديث . وقال عبد الأعلى وابن المنني وابن بشار عن يعقوب بن عقبة وجبير بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده . قال أبو داود والحديث بإسناد أحمد بن سعيد وهو الصحيح . وافقه عليه جماعة منهم يحيى بن معين وعلي بن المديني ورواه جماعة منهم عن ابن اسحاق كما قال أحمد أيضاً ، وكان شماع عبد الأعلى وابن المنني وابن بشار في نسخة واحدة فيما بلغني . تفرد بإخراجها أبو داود ، وقد صنف الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقي جزءاً في الرد على هذا الحديث . سماه (بيان الوهم والتخليط الواقع في حديث الأبيط) واستفرغ وسعه في الطعن على محمد بن اسحاق بن بشار راويه . وذكر كلام الناس فيه ، ولكن قد روى هذا اللفظ من طريق أخرى عن غير محمد بن اسحاق ، فرواه عبد بن حميد وابن جرير في تفسيريهما ، وابن أبي عاصم والطبراني في كتابي السنة لهما ، والبزار في مسنده والحافظ الضياء المقدسي في مختارته من طريق أبي اسحاق السبيعي عن عبد الله بن خليفة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال « أتت امرأة إلى رسول الله (ص) فقالت ادع الله أن يدخلني الجنة قال فعظم الرب تبارك وتعالى وقال « ان كرسيه وسع السموات والارض وإن له أطيلاً كأطيال الزحل الجديد من ثقاه . عبد الله بن خليفة هذا ليس بذلك المشهور . وفي سماعه من عمر بن الخطاب . ثم منهم من يرويه موقوفاً مرسلًا ، ومنهم من يزيد فيه زيادة غريبة والله أعلم *

وفيت في صحيح البخاري عن رسول الله (ص) أنه قال « اذا سألت الله الجنة فسلوه الفردوس فانه أعلى الجنة وأوسط الجنة وفوقه عرش الرحمن » . يروى وفوقه بالفتح على الظرفية ، وبالضم . قال شيخنا الحافظ المزني وهو أحسن ، أي وأعلاها عرش الرحمن . وقد جاء في بعض الآثار (أن أهل الفردوس يسمعون أطيال العرش وهو تسديحه وتعظيمه) وما ذاك الا لتقربهم منه . وفي الصحيح أن رسول الله (ص) قال « لقد اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ . وذكر الحافظ بن الحافظ محمد ابن عثمان بن أبي شيبة في كتاب صفة العرش عن بعض السلف « أن العرش مخلوق من باقوتة حمراء بعد ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة » وذكرنا عند قوله تعالى « تخرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة » أنه بعد ما بين العرش الى الأرض السابعة مسيرة خمسين الف سنة واتساعه خمسون الف سنة . وقد ذهب طائفة من أهل الكلام الى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة ولذا سموه الفلك التاسع والفلك الأطلس والأثير . وهذا ليس بجيد لانه قد ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة ، والفلك لا يكون له قوائم ولا يحمل . وأيضاً فانه فوق الجنة والجنة فوق السموات وفيها مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فالبعد الذي بينه وبين الكرسي ليس هو نسبة فلك الى فلك . وأيضاً فلن العرش في اللغة عبارة عن السرير

الذى للملك كما قال تعالى (ولها عرش عظيم) . وليس هو فلما ولا تفهم منه العرب ذلك . وانقرآن
 انما نزل بلغة العرب فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة ، وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات .
 قال الله تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين
 آمنوا) وقد تقدم في حديث الأوعال أنهم ثمانية ، وفوق ظهورهن العرش ، وقال تعالى (ويحمل
 عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) وقال شهر بن حوشب « حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون
 سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حملك بعد علمك » وأربعة يقولون « سبحانك اللهم وبحمدك لك
 الحمد على عفوك بعد قدرتك » فأما الحديث الذى رواه الامام احمد حدثنا عبد الله بن محمد هو أبو بكر
 ابن أبي شيبة ، حدثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن اسحاق عن يعقوب بن عقبة عن عكرمة عن ابن
 عباس أن رسول الله (ص) ، صدق أمية يعنى ابن أبي الصلت فى بيتين من شعره فقال

رَجُلٌ وَثُورٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ وَالنَّسْرُ لِلْآخِرَى وَلَيْثٌ مَرَصِدُ

فقال رسول الله (ص) ، صدق . فقال

وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ حَمْرَاءُ مَطْمَعٌ لَوْنُهَا مَتَوْرِدٌ

تَأْتِي فَلَا تَبْدُو لَنَا فِي رَسْمِهَا إِلَّا مَعْدَبَةٌ وَالْأَلَا تَجِدُ

فقال رسول الله (ص) ، « صدق » فانه حديث صحيح الاسناد رجاله ثقات . وهو يقتضى أن
 حملة العرش اليوم أربعة ، فيعارضه حديث الأوعال . اللهم الا أن يقال إن اثبات هؤلاء الأربعة على
 هذه الصفات لا ينفي ما عداهم . والله أعلم . ومن شعر أمية بن أبي الصلت فى العرش قوله

مَجْدُوا اللَّهَ فَهُوَ الْمَجْدِرُ أَهْلًا رَبَّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرًا

بِالْبِنَاءِ الْعَالِي الَّذِي بِيَهْرِ النَّاسِ وَسَوَّى فَوْقَ السَّمَاءِ سَعِيرًا

شَرَجًا لَا يَنْصَالُهُ بَصْرُ الْعَيْنِ ن تَرَى حَوْلَهُ الْمَلَائِكُ صُورًا

صور جمع أصور وهو المائل العنق ننظره الى العلو^(١) والشرجع هو العالى المنيف . والسرير هو العرش فى
 اللغة . ومن شعر عبد الله بن رواحة رضى الله عنه الذى عرض به عن القراءة لامرأته حين أتته بجاريته

شَهِدْتُ بِأَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنْ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَ

وَأَنْ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ

وَتَحْمَلُهُ مَلَائِكَةُ كَرَامٍ مَلَائِكَةُ الْآلَمِ مَسْؤِمِينَ

ذكره ابن عبد البر وغير واحد من الأئمة * وقال أبو داود حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله
 حدثني أبي حدثنا ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله

(١) قوله لنظره الى العلو كذا بالاصول . والذى فى كتب اللغة لتقل حملة (محمود الامام)

أن النبي (ص)، قال «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام. ورواه ابن أبي عاصم^(١) وألفظه محقق الطير^(٢) مسيرة سبعمائة عام

وَأَسْمَاءُ الْكُرْسِيِّ

فروى ابن جرير من طريق جويبر وهو ضعيف عن الحسن البصرى أنه كان يقول الكرسي هو العرش وهذا لا يصح عن الحسن بل الصحيح عنه وعن غيره من الصحابة والتابعين أنه غيره وعن ابن عباس وسعيد بن جبیر أنهما قالوا في قوله تعالى (وسع كرسيه السموات والأرض) أي علمه والم محفوظ عن ابن عباس كما رواه الحاكم في مستدرکه . وقال إنه على شرط الشيخين ولم يخرجاه من طريق سفيان الثوري عن عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس أنه قال الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل . وقد رواه شجاع بن مخلد الفلاس في تفسيره عن أبي عاصم النبيل عن الثوري فجعله مرفوعا والصواب أنه موقوف على ابن عباس وحكاية ابن جرير عن أبي موسى الأشعري والضحاك بن مزاحم وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير ومسلم البطين وقال السدي عن أبي مالك «الكرسي تحت العرش . وقال السدي السموات والأرض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش» وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه قال «لو أن السموات السبع والأرضين السبع بسطن ثم وصلن بعضهم إلى بعض ما كن في سعة الكرسي إلا بمنزلة الحلقة في المفازة» وقال ابن جرير حدثني يونس حدثنا ابن وهب قال قال ابن زيد حدثني أبي قال قال رسول الله (ص) «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدارهم سبعة أقيت في ترس» قال وقال أبو ذر سمعت رسول الله (ص) يقول «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد أقيت بين ظهري فلاة من الأرض» أول الحديث مرسل . وعن أبي ذر مقطوع . وقد روى عنه من طريق أخرى موصولا فقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني أنبأنا عبد الله بن وهيب المغربي أنبأنا محمد بن أبي سري السقلاني أنبأنا محمد بن عبد الله التميمي عن القاسم بن محمد الثقفي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر الغفاري أنه سأل رسول الله (ص) عن الكرسي فقال رسول الله (ص) «والذي نفسي بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة» وقال ابن جرير في تاريخه حدثنا ابن وكيع قال حدثنا أبي عن سفيان عن الأعمش عن المتهال بن عمرو عن سعيد بن جبیر قال

(١) وفي نسخة ابن أبي حاتم (٢) (قوله محقق الطير) كذا بالأصول ولاندرى له معنى . ولعل

الرواية محقق الطير أو مخلوق الطير (محمود الامام) نقلناه عنه

سئل ابن عباس عن قوله عز وحر وكان عرشه على الماء على أى شىء كان الماء قال على متن الريح قال
والسموات والارضون وكل ما فيهن من شىء تحيط بها البحار ويحيط بذلك كله الهيكل ويحيط بالهيكل
فيما قيل الكرسي، وروى^(١) عن وهب ابن منبه نحوه . وفسر وهب الهيكل فقال شىء من أطراف
السموات يمدق بالأرضين والبحار كأطواب الفسطاط * وقد زعم بعض من ينتسب الى علم الهيئة أن
الكرسي عبارة عن الفلك الثامن الذى يسمونه فلك الكواكب الثوابت . وفيما زعموه نظر لأنه قد
ثبت أنه أعظم من السموات السبع بشىء كثير ورد الحديث المتقدم^(٢) بان
نسبها اليه كنسبة حلقة ملقاة بارض فلاة وهذا ليس نسبة فلك الى فلك . فان
قال قائلهم فذبح نعترف بذلك ونسميه مع ذلك فلكا فنقول الكرسي
ليس فى اللغة عبارة عن الفلك وإنما هو كما قال غير واحد من السلف
بين يدي العرش كالمراعاة اليه . ومثل هذا لا يكون فلكا . وزعم
أن الكواكب الثوابت مرصعة فيه لا دليل لهم عليه .
هذا مع اختلافهم فى ذلك أيضا كما هو
مقرر فى كتبهم والله أعلم

ذكر اللوح المحفوظ

قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا
ابراهيم بن يوسف حدثنا زياد بن عبد الله عن ايث عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن
عباس أن نبى الله (ص) قال « ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء ،
قلبه نور وكتابه نور لله فيه فى كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة يخاق ويرزق ويميت ويحيى ويعز ويذل
ويفعل ما يشاء » وقال اسحاق بن بشر أخبرنى مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال « إن
فى صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله . فمن آمن بالله وصدق بوعدده
واتبع رساله أدخله الجنة » قال « واللوح المحفوظ لوح من درة بيضاء . طوله ما بين السماء والأرض ،
وعرضه ما بين المشرق والمغرب . وحافته الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء ، وقلبه نور ، وكلامه
معهود بالعرش ، وأصله فى حجر ملك » وقال أنس بن مالك ، وغيره من السلف « اللوح المحفوظ فى
جبهة اسرافيل » وقال مقاتل هو عن يمين العرش *

(١) قوله وروى اى ابن جرير (٢) (قوله ورد الحديث المتقدم) هكذا بالاصول وهو تعليل لما

قوله فالصواب فقد ورد الخ

ما روي في خلق السموات والارض وما بينهما

قال الله تعالى (الحمد لله الذي خلق السموات والارض ، وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) وقال تعالى (خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام) في غير ما آية من القرآن وقد اختلف المفسرون في مقدار هذه الستة الايام على قولين . فالجمهور على انها كايامنا هذه . وعن ابن عباس ، ومجاهد والضحاك ، وكعب الاحبار : ان كل يوم منها كالف سنة مما تعدون . رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم . واختار هذا القول الامام أحمد ابن حنبل في كتابه الذي رد فيه على الجهمية ، وابن جرير وطائفة من المتأخرين والله أعلم . وسيأتي ما يدل على هذا القول . وروى ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم ، وغيره ان أسماء الأيام الستة « أبجد هوز حطي كلن سعفص قرشت » وحكى ابن جرير في أول الايام ثلاثة أقوال ، فروى عن محمد بن اسحاق أنه قال « يقول أهل التوراة ابتداء الله الخلق يوم الأحد ، ويقول أهل الانجيل : ابتداء الله الخلق يوم الاثنين ، ويقول نحن المنسلون فيما انتهى الينا عن رسول الله (ص) ، ابتداء الله الخلق يوم السبت » وهذا القول الذي حكاه ابن اسحاق عن المسلمين مال اليه طائفة من الفقهاء من الشافعية ، وغيرهم . وسيأتي فيه حديث أبي هريرة (خلق الله التربة يوم السبت) والقول بانه الأحد رواه ابن جرير عن السدي عن أبي مالك ، وأبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن جماعة من الصحابة ورواه أيضا عن عبد الله ابن سلام ، واختاره ابن جرير . وهو نص التوراة ، ومال اليه طائفة آخرون من الفقهاء . وهو أشبه بلفظ الأحد ولهذا كل الخلق في ستة أيام فكان آخرهن الجمعة فاتخذه المسلمون عيدهم في الأسبوع وهو اليوم الذي أضل الله عنه أهل الكتاب قبلنا كما سيأتي بيانه ان شاء الله . وقال تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم) وقال تعالى (قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائمين . فقضاهن سبع سموات في يومين ، وأوحى في كل سماء أمورها وزينا السماء الدنيا بمصابيح ، وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) فهذا يدل على أن الأرض خلقت قبل السماء لأنها كالأساس للبناء كما قال تعالى (الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فبارك الله رب العالمين) قال تعالى (ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا الى ان قال وبنينا فوقكم سباعا شادا وجعلنا سراجا وهاجا) وقال (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا

من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) أى فصلنا ما بين السماء والأرض حتى هبت الرياح ونزلت الأمطار وجرت العيون ، والأنهار وابتعث الحيوان . ثم قال (وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون) أى عما خلق فيها من الكواكب الثوابت ، والسيارات والنجوم الزاهرات والاجرام النيرات ، وما فى ذلك من الدلالات على حكمة خالق الأرض والسموات كما قال تعالى « وكأين من آية فى السموات والأرض يرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) فأما قوله تعالى (أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحائها أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم) فقد تمسك بعض الناس بهذه الآية على تقدم خلق السماء على خلق الأرض . فخالفوا صريح الآيتين المتقدمتين ولم يفهموا هذه الآية الكريمة فان مقتضى هذه الآية أن دحى الأرض وأخرج الماء والمرعى منها بالفعل بعد خلق السماء . وقد كان ذلك مقدرًا فيها بالقوة كما قال تعالى (وبارك فيها وقدر فيها أقواتها) أى هيا أماكن الزرع ومواضع العيون والأنهار ثم لما اكمل خلق صورة العالم السفلى والعلوى دحى الأرض فأخرج منها ما كان مودعا فيها فخرجت العيون وجرت الأنهار ، ونبت الزرع والثمار ولهذا فسر الدحى بأخراج الماء والمرعى منها وإرساء الجبال فقال (والأرض بعد ذلك دحائها أخرج منها ماءها ومرعاها) وقوله (والجبال أرساها) أى قررها فى أماكنها التى وضعها فيها وثبتها وأكدها وأطدها وقوله (والسماء بيناها بايد وانا لموسعون ، والأرض فرشناها فنعم الماهدون ، ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) بايد أى بقوة . وانا لموسعون ، وذلك أن كل ما علا اتسع فكل سماء أعلى من التى تحتها فهى أوسع منها . ولهذا كان الكرسي أعلى من السموات . وهو أوسع منهن كلهن . والعرش أعظم من ذلك كله بكثير . وقوله بعد هذا (والأرض فرشناها) أى بسطناها وجعلناها مهدا أى قارة ساكنة غير مضطربة ولا مائدة بكم . ولهذا قال (فنعم الماهدون) والواو لا تفتضى الترتيب فى الوقوع . وإنما يقتضى الاخبار المطلق فى اللغة والله أعلم *

وقال البخارى حدثنا عمر بن جعفر بن غياث حدثنا أبو حدثنا الأعمش حدثنا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز أنه حدثه عن عمران بن حصين قال « دخلت على النبي (ص) وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقالوا اقبلوا البشرى يا بني تميم » قالوا قد بشرتنا فاعطنا مرتين ثم دخل عليه ناس من اليمن فقال « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن ان لم يقبلها بنو تميم » قالوا قد قبلنا يا رسول الله قالوا جئناك نألك عن هذا الأمر . قال « كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض » فنادى مناد ذهب ناقتك يا ابن الحصين فانطلقت فاذا هى تقطع دونها السراب فوالله لو ددت انى كنت تركتها » هكذا رواه ها هنا وقد روى فى كتاب المغازى

وكتاب التوحيد وفي بعض الفاظه « ثم خلق السموات والارض » وهو لفظ النسائي أيضا .
وقال الامام احمد بن حنبل حدثنا حجاج حدثني ابن جريج اخبرني اسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد
عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن ابى هريرة قال « أخذ رسول الله (ص) بيدي فقال خلق الله
التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء
وخلق النور يوم الأربعاء وبت الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر خلق خلق
في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل » وهكذا رواه مسلم عن سريج بن يونس
وهرون بن عبد الله والنسائي عن هرون ويوسف بن سعيد ثلاثهم عن حجاج بن محمد المصيصي الاورد
عن ابن جريج به مثله سواء . وقد رواه النسائي في التفسير عن ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني عن محمد
ابن الصباح عن ابى عبيدة الجداد عن الأخرى بن مجلان عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابى
هريرة « ان رسول الله (ص) أخذ بيدي فقال يا أبا هريرة « ان الله خلق السموات والارض وما بينهما
في ستة أيام ثم استوى على العرش يوم السابع ، وخلق التربة يوم السبت » وذكر تمامه بنحوه فقد اختلف
فيه على ابن جريج وقد تكلم في هذا الحديث على ابن المديني والبخاري والبيهقي وغيرهم من الحفاظ
قال البخاري في التاريخ ، وقال بعضهم عن كعب وهو أصح يعني أن هذا الحديث مما سمعه أبو هريرة
وتلقاه من كعب الاحبار فانهما كانا يصطحبان ويتجالسان للحديث ، فهذا يحدثه عن صحفه ، وهذا
يحدثه بما يصدقه عن النبي (ص) ، فكان هذا الحديث مما تلقاه أبو هريرة عن كعب عن صحفه ، فوهم
بعض الرواة فجعله مرفوعا الى النبي (ص) ، وأكد رفعه بقوله « أخذ رسول الله (ص) بيدي »
ثم في متنه غرابة شديدة . فمن ذلك أنه ليس فيه ذكر خلق السموات ، وفيه ذكر خلق الارض وما
فيها في سبعة أيام . وهذا خلاف القرآن لأن الارض خلقت في أربعة أيام ثم خلقت السموات في يومين
من دخان . وهو بخار الماء الذي ارتفع حين اضطرب الماء العظيم الذي خلق من ربذة الارض بالقدره
العظيمة البالغة كما قال اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي
صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله (ص) ،
هو الذي خلق لكم ماني الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات » قال ان الله
كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا
فارتفع فوق الماء فسماه عليه فسماه سماء * ثم أيس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فلقها فجعل سبع أرضين
في يومين (الاحد والاثنين) وخلق الارض على حوت وهو النون الذي قال الله تعالى « نون والقلم
وما يسطرون » والحوت في الماء والماء على صفات والصفات على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة
في الريح . وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الارض فتحرك الحوت فاضطرب

فتزلزلت الأرض فأرسي عليها الجبال فقرت . وخلق الله يوم الثلاثاء الجبال وما فيهن من المنافع ، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب وفتق السماء وكانت رتقا فجعلها سبع سموات في يومين الخميس والجمعة . وأما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض فأوحى في كل سماء أمرها . ثم قال خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد وما لا يعلمه غيره . ثم زين السماء بالكواكب فجعلها زينة وحفظا يحفظ من الشياطين ، فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش . هذا الإسناد يذكر به السدي أشياء كثيرة فيها غرابة وكان كثير منها متلقى من الأسرئيليات . فان كعب الأخبار لما أسلم في زمن عمر كان يتحدث بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأشياء من علوم أهل الكتاب فيستمع له عمر تأليفاً له ، وتعجباً مما عنده مما يوافق كثير منه الحق الذي ورد به الشرع المطهر فاستباز كثير من الناس نقل ما يورده كعب الأخبار لهذا ، ولما جاء من الأذن في التحديث عن بني إسرائيل لكن كثيراً ما يقع مما يرويه غلط كبير وخطأ كثير * وقد روى البخاري في صحيحه (١) عن معاوية أنه كان يقول في كعب الأخبار (وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب) أي فيما ينقله لأنه يتعمد ذلك والله أعلم *

ونحن نورد ما نورده من الذي يسوقه كثير من كبار الأئمة المتقدمين عنهم . ثم تتبع ذلك من الأحاديث بما يشهد له بالصحة أو يكذبه ويبقى الباقي مما لا يصدق ولا يكذب وبه المستعان وعليه التكلان قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن القرشي عن أبي زناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : « لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي » وكذا رواه مسلم والنسائي عن قتيبة به . ثم قال البخاري

عابجاء في سبع أرضين

وقوله تعالى (والله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير) وان الله قد أحاط بكل شيء علماً ثم قال حدثنا علي بن عبد الله أخبرنا ابن عليه عن علي بن المبارك حدثنا يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وكانت بينه وبين ناس خصومة في أرض فدخل على عائشة فذكر لها ذلك . فقالت يا أبا سلمة

(١) من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطاً من قريش بالمدينة . وذكروا كعب الأخبار فقال أنه كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب.

اجتنب الارض فان رسول الله (ص)، قال « من ظلم ويد شبر طوقه من سبع ارضين » ورواه أيضا في كتب المظالم ومسلم من طرق عن يحيى بن كثير به * ورواه احمد من حديث محمد بن ابراهيم عن أبي سادة به ، ورواه أيضا عن يونس عن ابان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سادة عن عائشة بمثله . ثم قال البخارى حدثنا بشر بن محمد قال أخبرنا عبد الله عن موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه قال قال النبي (ص) « من أخذ شيئا من الارض بغير حقه خسف به يوم القيامة الى سبع ارضين » ورواه في المظالم أيضا عن مسلم بن ابراهيم عن عبد الله هو ابن المبارك عن موسى بن عقبة به وهو من افراده . وذكر البخارى ها هنا حديث محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه : قال قال رسول الله (ص) « الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثني عشر شهرا » الحديث ومراده والله أعلم تقرير قوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلين) أى فى العدد كما أن عدة الشهور الآن اثني عشر مطابقة لعدة الشهور عند الله فى كتابه الأول فهذه مطابقة فى الزمن كما أن تلك مطابقة فى المكان . ثم قال البخارى حدثنا عبيد بن اسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أنه خاصته أروى (١) فى حق زعمت أنه انتقصه لها الى مروان فقال سعيد رضى الله عنه انا انتقص من حتمها شيئا ؟ أشهد لسمعت رسول الله (ص) يقول « من أخذ شبرا من الأرض ظاهرا فانه يطوقه يوم القيامة من سبع ارضين » ورواه (٢) .

وقال الامام احمد حدثنا حسن وأبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا عبد الله ابن لهيعة حدثنا عبد الله ابن أبي جعفر عن أبي عبد الرحمن عن ابن مسعود قال « قلت يا رسول الله أى الظلم أعظم قال ذراع من الأرض ينتقصه المرء المسلم من حق أخيه نليس حصة من الأرض يأخذها أحد الا طوقها يوم القيامة الى قعر الأرض ، ولا يعلم قعرها الا الذى خلقها » تفرد به أحمد . وهذا اسناد لا بأس به . وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال « من أخذ شبرا من الارض بغير حقه طوقه من سبع ارضين » تفرد به من هذا الوجه وهو على شرط مسلم . وقال أحمد حدثنا يحيى عن ابن عجلان حدثني أبي عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) .

(١) أروى بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الواو مقصورا وهى بنت أبي أوس .

(٢) (قوله ورواه) يياض بالاصول . وفى البخارى عقب ماتقدم . قال ابن ابى الزناد عن هشام عن أبيه قال قال لي سعيد بن زيد (دخلت على النبي (ص) انتهى) وهذا تعليق من البخارى يبين لقاء عروة لسعيد والتصريح بسامعه منه الحديث المذكور فلعل المصنف يريد . ورواه البخارى أيضا معلقا أو نحوه . نقلنا عن (محمود لامام) .

قال « من اقتطع شبرا من الأرض بغير حقه طوقه الى سبع أرضين » تفرد به أيضا وهو على شرط مسلم . وقال أحمد أيضا حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال « من أخذ من الأرض شبرا بغير حقه طوقه من سبع أرضين » تفرد به أيضا وقد رواه الطبراني من حديث معاوية بن قرة عن ابن عباس مرفوعا مثله * فهذه الأحاديث كالتواترة في اثبات سبع أرضين والمراد بذلك أن كل واحدة فوق الأخرى والتي تحتها في وسطها عند أهل الهيئة حتى ينتهي الأمر الى السابعة وهي صماء لا جوف لها، وفي وسطها المركز وهي قطة مقدره متوهمة . وهو محط الأثقال ، اليه ينتهي ما يبسط من كل جانب اذا لم يعاوقه مانع . واختلفوا هل هن مترابكت بلا فاصل أو بين كل واحدة والتي تليها خلاء على قولين وهذا الخلاف جار في الافلاك أيضا . والظاهر ان بين كل واحدة والتي تليها خلاء على قولين . وهذا الخلاف جار في الافلاك أيضا . والظاهر أن بين كل واحدة منهن وبين الأخرى مسافة لظاهر قوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن) الآية وقال الامام أحمد حدثنا شريم حدثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة قال « بينا نحن عند رسول الله (ص) اذ مرت سحابة فقال « أتدرون ما هذه قلنا الله ورسوله أعلم قال العنان وزوايا الأرض تسوقه الى من لا يشكرونه من عباده ولا يدعونه أتدرون ما هذه فوقكم : قلنا الله ورسوله أعلم قال الرفيع موج مكفوف وسقف محفوظ أتدرون كم بينكم وبينها قلنا الله ورسوله أعلم . قال مسيرة خمسمائة سنة . ثم قال أتدرون ما الذي فوقها قلنا الله ورسوله أعلم قال مسيرة خمسمائة عام حتى عد سبع سموات * ثم قال أتدرون ما فوق ذلك قلنا الله ورسوله أعلم قال العرش أتدرون كم بينه وبين السماء السابعة قلنا الله ورسوله أعلم قال مسيرة خمسمائة عام . ثم قال أتدرون ما هذه تحتكم قلنا الله ورسوله أعلم قال أرض أتدرون ما تحتها قلنا الله ورسوله أعلم قال أرض أخرى أتدرون كم بينها قلنا الله ورسوله أعلم . قال مسيرة سبعمائة عام حتى عد سبع أرضين ثم قال وأيم الله لو دليتم أحدكم الى الأرض السفلى السابعة لهبط . ثم قرأ هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ورواه الترمذي عن عبد بن حميد ، وغير واحد عن يونس بن محمد المؤدب عن شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة ، قال حدث الحسن عن أبي هريرة وذكره الا انه ذكر أن بعد ما بين كل أرضين خمسمائة عام وذكر في آخره كلمة (١) ذكرناها عند تفسير هذه الآية من سورة الحديد ثم قال الترمذي هذا حديث غريب من هذا الوجه قال ويروى عن ايوب ويونس بن عبيد وعلى بن زيد

(١) (قوله كلمة) أى جملة . ونصها (والذى نفس محمد بيده لو انكم دليتم رجلا محبل الى الارض

السفلى لهبط على الله .

أنهم قالوا لم يسمع الحسن من أبي هريرة * ورواه ابو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره من حديث أبي جعفر الرازي عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة فذكر مثل لفظ الترمذي سواء بدون زيادة في آخره ورواه ابن جرير في تفسيره عن بشر عن يزيد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلًا. وقد يكون هذا أشبه والله أعلم. ورواه الحافظ أبو بكر البزار والبيهقي من حديث أبي ذر الغفاري عن النبي (ص) ولكن لا يصح اسناده والله أعلم *

وقد تقدم عند صفة العرش من حديث الأوعال ما يخالف هذا في ارتفاع العرش عن السماء السابعة وما يشهد له. وفيه وبعد ما بين كل سماء من خمسمائة عام، وكثفتها أي سمكتها خمسمائة عام * وأما ما ذهب إليه بعض المتكلمين على حديث (طوقه من سبع أرضين) أنها سبعة أقاليم. فهو قول يخالف ظاهر الآية والحديث الصحيح وصرح كثير من أفاضله مما يعتمد من الحديث الذي أوردناه من طريق الحسن عن أبي هريرة. ثم انه حمل الحديث والآية على خلاف ظاهرها بلا مستند ولا دليل والله أعلم. وهكذا ما يذكره كثير من أهل الكتاب وتلقاه عنهم طائفة من علماءنا من أن هذه الأرض من تراب والتي تحتها من حديد والأخرى من حجارة من كبريت والأخرى من كذا فكل هذا اذا لم يخبر به ويصح سنده الى معصوم فهو مردود على قائله. وهكذا الاثر المروي عن ابن عباس انه قال في كل أرض من الخلق مثل ما في هذه حتى آدم كآدمكم وابراهيم كإبراهيمكم فهذا ذكره ابن جرير مختصراً واستقصاه البيهقي في الأسماء والصفات وهو محمول ان صح نقله عنه على أنه أخذه ابن عباس رضي الله عنه عن الاسرائيليات والله أعلم *

وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك عن النبي (ص) قال لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فلقاها عليها فاستقرت فمجت الملائكة من خلق الجبال فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد. قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد قال نعم النار. قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من النار قال نعم الريح. قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الريح قال نعم ابن آدم يتصدق بيمينه بخفيها من شماله تفرد به احمد *

وقد ذكر أصحاب الهيمة اعداد جبال الارض في سائر بقاعها شرقاً وغرباً، وذكروا طولها وبعد امتدادها وارتفاعها وأوسعوا القول في ذلك بما يطول شرحه هنا. وقد قال الله تعالى « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرايب سود » قال ابن عباس وغير واحد الجدد الطرائق وقال عكرمة وغيره الغرايب الجبال الطوال السود. وهذا هو الشاهد من الجبال في سائر الارض تختلف باختلاف بقاعها وأوانها. وقد ذكر الله تعالى في كتابه الجودي على التعمين وهو جبل عظيم شرق

جزيرة ابن عمر الى جانب دجلة . عند الموصل امتداده من الجنوب الى الشمال مسيرة ثلاثة ايام
وارتفاعه مسيرة نصف يوم وهو اخضر لأن فيه شجرا من البلوط والى جانبه قرية
يقال لها قرية الثمانين لسكنى الذين نجوا في السفينة مع نوح عليه السلام
في موضعها فما ذكره غير واحد من المفسرين والله اعلم

فصل في البحار والآنهار

قل الله تعالى « وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها
وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم
وأأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون . أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلاتذكرون
وإن تعدوا نعمت الله لأحصوها إن الله لغفور رحيم » وقال تعالى « وما يستوى البحران هذا عذب فرات
سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه
مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » وقال تعالى « وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات
وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا » وقال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ
لا يبغيان » فالمراد بالبحرين البحر الملح المر وهو الاجاج والبحر العذب هو هذه الأنهار السارحة بين
أقطار الأمصار لمصالح العباد قله ابن جريج وغير واحد من الأئمة . وقال تعالى « ومن آياته الجوار
في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظان رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور
أو يوقنن بما كسبوا ويعنن عن كثير » وقال تعالى « ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليربكم
من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور وإذا غشيهم موج كظلال دعوا الله مخلصين له الدين
فأما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختال كفور » وقال تعالى « ان في خلق
السوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله
من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب
المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » فامتت تعالى على عباده بما خلق لهم من البحار
والأنهار فالبحر المحيط بسائر أرجاء الأرض وما ينبت منه في جوانبها الجميع مالخ الطعم مر وفي هذا
حكمة عظيمة لصحة الهواء اذ لو كان حلوا لأنن الجو وفسد الهواء بسبب ما يموت فيه من الحيوانات
فكان يؤدي الى تفاني بني آدم ولكن اقتضت الحكمة البالغة أن يكون على هذه الصفة لهذه المصلحة .
ولهذا لما سئل رسول الله (ص) عن البحر قال هو الطهور ماؤه الحل ميتته *

واما الأنهار فماؤها خلق عذب فرات سائغ شرابها ان أراد ذلك . وجعلها جارية سارحة ينبعها

تعالى في أرض ويسوقها الى أخرى رزقا للعباد . ومنها كبار ومنها صغار بحسب الحاجة والمصلحة . وقد تكلم اصحاب علم الهيئة والتفسير على تعداد البحار والأنهار اليكبار وأصول منابها والى ابن ينتهى سيرها بكلام فيه حكم ودلالات على قدرة الخالق تعالى ، وأنه فاعل بالاختيار والحكمة - وقوله تعالى « والبحر المسجور » فيه قولان أحدهما ان المراد به البحر الذى تحت العرش المذكور فى حديث الاوعال . وانه فوق السموات السبع بين أسفله وأعلاه كما بين سماء الى سماء ، وهو الذى ينزل منه المطر قبل البعث فتحيا منه الاجساد من قبورها . وهذا القول هو اختيار الربيع بن أنس . والثانى أن البحر اسم جنس يعم سائر البحار التى فى الأرض وهو قول الجمهور *

واختلفوا فى معنى البحر المسجور فقيل المملوء وقيل يصير يوم القيامة نارا تؤجج فيحيط باهل الموقف كما ذكرناه فى التفسير عن على وابن عباس وسعيد بن جبير وابن مجاهد وغيرهم . وقيل المراد به الممنوع المكفوف المحروس عن أن يطغى فيغمر الارض ومن عليها فيغرقوا . رواد الوالى عن ابن عباس وهو قول السدى وغيره ويؤيده الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا العوام حدثنى شيخ كان مرابطا بالساحل قال « لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب فقال حدثنا عمر بن الخطاب عن رسول الله (ص) قال « ليس من ليلة الا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله عز وجل أن يتفصح عليهم فيكنه الله عز وجل » ورواه اسحاق بن راهويه عن يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب حدثنى شيخ مرابط قال « خرجت ليلة لمحرس لم يخرج أحد من المحرس غيرى فأتيت الميناء فصعدت فجعل يخيل إلى ان البحر يشرف بمخاضى برءوس الجبال فعل ذلك مرارا وانا مستيقظ فلقيت أبا صالح فقال حدثنا عمر بن الخطاب ان رسول الله (ص) قال « ما من ليلة الا والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن الله أن يتفصح عليهم فيكنه الله عز وجل فى اسناده رجل مبهم (١) والله أعلم وهذا من نعمه تعالى على عباده ان كشف البحر عن أن يطغى عليهم وسخره لهم يحمل مراكزهم ليلفوا عليها الى الأقاليم النائية بالتجارات وغيرها وهداهم فيه بما خلقه فى السماء والارض من النجوم والجبال التى جعلها لهم علامات يهتدون بها فى سيرهم وبما خلق لهم فيه من الآلى والجواهر النفيسة العزيزة الحسنه الثمينة التى لا توجد الا فيه وبما خلق فيه من الدواب الغريبة وأحلها لهم حتى ميتها كما قال تعالى « أحل لكم صيد البحر وطعامه » وقال النبي (ص) « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » وفى الحديث الآخر « أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال » رواه أحمد وابن ماجه وفى اسناده نظر *

(١) - قوله مبهم وفى نسخة منهم ونحن اميل الى « مبهم »

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده «وجدت في كتاب عن محمد بن معاوية البغدادي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رفعه قال «كلم الله هذا البحر الغربي وكلم البحر الشرقي فقال للغربي اني حامل فيك عبادا من عبادي فكيف انت صانع بهم قال أغرقهم . قال بأسك في نواحيك وحرمة الحلية والصيد ، وكلم هذا البحر الشرقي فقال اني حامل فيك عبادا من عبادي فما أنت صانع بهم قال أحملهم على يدي ، واكون لهم كالوالدة لولدها فأنابه الحلية والصيد * ثم قال لا تعلم أحدا . مرواه عن سهيل الا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر وهو منكر الحديث . قال وقدرناه سهيل عن عبد الرحمن بن ابي عياش عن عبد الله بن عمرو وموقوفا . قلت الموقوف على عبد الله بن عمرو بن العاص أشبه فانه قد كان وجد يوم اليرموك ذاملتين مملوءتين كتبنا من علوم أهل الكتاب فكان يحدث منهما بأشياء كثيرة من الاسرائيليات منها المعروف والمشهور والمنكور والمردود . فأما المعروف فتفرد به عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب أبو القاسم المدني قاضيا . قال فيه الامام أحمد ليس بشيء وقد سمعته منه * ثم مزقت حديثه كان كذابا وأحاديثه مناكير * وكذا ضعفه بن معين وأبو زرعة وأبو حاتم والجوزجاني والبخاري وأبو داود والنسائي وقال ابن عدي عامة أحاديثه مناكير وأفظعها حديث البحر *

قال علماء التفسير المتكلمون على العروض والاطوال والبحار والانهار والجبال والمساحات وما في الارض من المدن والخراب والعمارات والاقاليم السبعة الحقيقية في اصطلاحهم والاقاليم المتعددة العرفية وما في البلدان والاقاليم من الخواص والنباتات وما يوجد في كل قطر من صنوف المعادن والتجارات قالوا الارض مغمورة بالماء العظيم الامتداد الربع منها وهو تسعون درجة والعناية الالهية اقتضت انحسار الماء عن هذا القدر منها لتعيش الحيوانات عليها وتنبت الزرع والثمار منها كما قال تعالى «والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان فبأى آلاء ربكما تكذبان» قالوا المعمور من هذا البادية منها قريب الثلثين منه أو أكثر قليلا . وهو خمس وتسعون درجة . قالوا فالبحر المحيط الغربي ويقال له أوقيانوس وهو الذي يتاخم بلاد المغرب وفيه الجزائر الخالدات وبينها وبين ساحله عشر درج مسافة شهر تقريبا وهو بحر لا يمكن سلوكه ولا ركوبه لكثرة وجهه واختلاف ما فيه من الرياح والامواج وليس فيه صيد ولا يستخرج منه شيء ولا يسافر فيه لمتجره ولا غيره وهو آخذ في ناحية الجنوب حتى يسامت الجبال القمر^(١) ويقال جبال القمر التي منها أصل نيل مصر ويتجاوز خط الاستواء *

(١) ضبطه بعض أهل الجغرافية بفتح القاف والميم . والثقات منهم على انه بضم القاف وسكون الميم .

افاده العلامة المحقق الاستاذ احمد زكي باشا في طبعته لكتاب مسالك الابصار *

ثم يمتد شرقا ويصير جنوبي الارض . وفيه هناك جزائر الزايج وعلى سواحه خراب كثير * ثم يمتد شرقا وشمالا حتى يتصل ببحر الصين والهند * ثم يمتد شرقا حتى يسامت نهاية الأرض الشرقية المكشوفة . وهناك بلاد الصين . ثم ينعطف في شرق الصين الى جهة الشمال حتى يجاوز بلاد الصين ويسامت سد يأجوج ومأجوج . ثم ينعطف ويستدير على أراضي غير معلومة الأحوال * ثم يمتد مغربا في شمال الأرض ويسامت بلاد الروس ويتجاوزها ويعطف مغربا وجنوبا ويستدير على الأرض ويعود الى جهة الغرب وينشق من الغربي الى متن الأرض الزقاق الذي ينتهي أقصاه الى اطراف الشام من الغرب * ثم يأخذ في بلاد الروم حتى يتصل بالقسطنطينية وغيرها من بلادهم

وينبعث من المحيط الشرقي بحار أخر فيها جزائر كثيرة ، حتى إنه يقال ان في بحر الهند الف جزيرة وسبعمائة جزيرة فيها مدن وعمارات سوى الجزائر العاطلة ويقال لها البحر الاخضر فشرقيه بحر الصين وغريه بحر اليمن وشماله بحر الهند وجنوبه غير معلوم *

وذكروا أن بين بحر الهند وبحر الصين جبالا فاصلة بينهما وفيها فجاج يسلك المراكب بينها يسيرها لهم الذي خلقها كما جعل مثلها في البر أيضا قال الله تعالى (وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بكم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلكم تهتدون) * وقد ذكر بطليموس أحد ملوك الهند في كتابه المسمى بالمجسطي الذي عرب في زمان المأمون ، وهو أصل هذه العلوم أن البحار المتفجرة من المحيط الغربي والشرقي والجنوبي والشمالى كثيرة جدا . فمنها ماهو واحد ، ولكن يسمى بحسب البلاد المتاخمة له . فمن ذلك بحر القلزم والقلزم قرية على ساحله قريب من أيلة . وبحر فارس وبحر الخزر وبحر ورنك وبحر الروم وبحر بنطش وبحر الأزرق ، مدينة على ساحله وهو بحر القرم أيضا ويتضايق حتى يصب في بحر الروم عند جنوبي القسطنطينية وهو خليج القسطنطينية ، ولهذا تسرع المراكب في سيرها من القرم الى بحر الروم وتبطن إذا جاءت من الاسكندرية الى القرم لاستقبالها جريان الماء . وهذا من العجائب في الدنيا فان كل ماء جار فهو حلو الا هذا وكل بحر راكد فهو ملح أجاج الا مايدكر عن بحر الخزر وهو بحر جرجان وبحر طبرستان أن فيه قطعة كبيرة ماء حلوا فراتا على ما أخبر به المسافرون عنه .

قال أهل الهيئة وهو بحر مستدير الشكل الى الطول ماهو * وقيل إنه مثلث كالقلع وليس هو متصلا بشئ من البحر المحيط بل منفرد وحده ، وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستائة وقيل أكثر من ذلك والله أعلم .

ومن ذلك البحر الذي يخرج منه المد والجزر عند البصرة وفي بلاد المغرب نظيره أيضا يتزايد الماء من أول الشهر ولا يزال في زيادة الى تمام الليلة الرابعة عشر منه وهو المد * ثم يشرع في النقص وهو الجزر الى آخر الشهر * وقد ذكرنا تحديد هذه البحار ومبتدأها ومنتهاها وذكروا ما في الأرض

من البحيرات المجتمعة من الأنهار وغيرها من السيول وهي البطائح *
 وذكروا ما في الأرض من الأنهار المشهورة الكبار، وذكروا ابتداءها وانتهاءها ولسنا بصد
 بسط ذلك والتطويل فيه وإنما تتكلم على ما يتعلق بالأنهار الوارد ذكرها في الحديث. وقد قال الله تعالى
 « الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم
 الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل
 والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار » ففي
 الصحيحين من طريق قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن رسول الله (ص)، لما ذكر سدرة
 المنتهى قال فإذا يخرج من أصلها نهران باطنان ونهران ظاهران. فالباطنان في الجنة وأما للظاهران
 فالنيل والفرات * وفي لفظ في البخاري وعنصرها أي مادتهما أو شكاهما وعلى صفتها ونقمتها وليس في
 الدنيا مما في الجنة السماوية (١) وفي صحيح مسلم من حديث عبيد الله بن عمر عن خبيب بن عبد الرحمن
 عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة أن رسول الله (ص)، قال « سيحان وجيحان والفرات والنيل كل
 من أنهار الجنة »

وقال الامام احمد حدثنا ابن نمير ويزيد أنبأنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال رسول
 (ص)، « فجرت أربعة أنهار من الجنة الفرات والنيل وسيحان وجيحان » وهذا اسناد صحيح على
 شرط مسلم. وكأن المراد والله أعلم من هذا ان هذه الأنهار تشبه انهار الجنة في صفاتها وعذوبتها
 وجريانها ومن جنس تلك في هذه الصفات ونحوها كما قال في الحديث الآخر الذي رواه الترمذي
 وصححه من طريق سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله (ص)،
 قال « العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم » أي تشبه ثمر الجنة لأنها مجتناة من الجنة، فان الحس يشهد
 بخلاف ذلك فتعين أن المراد غيره وكذا قوله (ص)، « الحمى من فيح جهنم فأبرودها بللاء » وكذا
 قوله « اذا اشتد الحمى فأبرودها بللاء فان شدة الحر من فيح جهنم » * وهكذا هذه الأنهار أصل منبعها
 مشاهد من الأرض *

أما النيل. وهو النهر الذي ليس في أنهار الدنيا له نظير في خفته ولطافته وبعد مسراه فيما بين
 مبتداه الى منتهاه فبتداه من الجبال القمر (٢) أي البيض ومنهم من يقول جبال القمر بالاضافة الى
 الكوكب وهي في غربي الأرض وراء خط الاستواء الى الجانب الجنوبي. ويقال انها حمر ينبع من
 بينها عيون * ثم يجتمع من عشر مسيلات متباعدة. ثم يجتمع كل خمسة منها في بحر. ثم يخرج منها
 أنهار ستة. ثم يجتمع كلها في بحيرة أخرى. ثم يخرج منها نهر واحد هو النيل فيمر على بلاد السودان

(١) كذا بالاصول (٢) هذا يؤيد قول الثقات الذي نقلناه عن الاستاذ زكي باشا فيما تقدم

الخبث ثم على النوبة ومديتها العظمى دمقلة (١) ثم على اسوان ثم ينفذ على ديار مصر . وقد تحمل اليها من بلاد الحبشة زيادات أمطارها واجترف من ترابها وهي محتاجة اليهما معا لان مطرها قليل لا يكفي زروعها وأشجارها . وترتبه رمال لا تنبت شيئا حتى يجئ النيل بزيادته وطينه فينبت فيه ما يحتاجون اليه وهي من أحق الأراضي بدخولها في قوله تعالى « أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زراعا تأكل منه أنعامهم وانفسهم أفلا يبصرون » ثم يجاوز النيل مصر قليلا فيفترق شطرين عند قرية على شاطئه يقال لها شطون فيمر الغربي على رشيد ويصب في البحر المالح * واما الشرقى فتفترق ايضا عند جوجر فرقتين تمر الغربية منهما على دمياط من غربها ويصب في البحر والشرقية منها تمر على أشمون (٢) طنح فيصب هناك في بحيرة شرقى دمياط . يقال لما بحيرة تنيس وبحيرة دمياط . وهذا بعد عظيم فيما بين مبتداه الى منتهاه . ولهذا كان الطف المياه * قال ابن سينا له خصوصيات دون مياه سائر الأرض * فمنها انه أبعد مسافة من مجراه الى أقصاه . ومنها انه يجري على صخور ورمال ليس فيه خز ولا طحلب ولا أوحال ومنها انه لا ينحصر فيه حجر ولا حصاة وما ذاك الا لصحة مزاجه وحلاوته ولطافته . ومنها ان زيادته في أيام نقصان سائر الأنهار . ونقصانه في أيام زيادتها وكثرتها وأما ما يذكره بعضهم من أن أصل منبع النيل من مكان مرتفع اطلع عليه بعض الناس فرأى هناك هولا عظيما وجواري حسانا وأشياء غريبة وأن الذي اطلع على ذلك لا يمكنه الكلام بعد هذا فهو من خرافات المؤرخين وهدايات الأفاكين *

وقد قال عبد الله بن لهيعة عن قيس بن الحجاج عن حدثه قال « ما فتح عمرو بن عاص مصر أتى أهلها اليه حين دخل شهر بؤنة من أشهر العجم (القبطية) فقالوا: (أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجرى الا بها فقال لهم وما ذاك قالوا اذا كان لثنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبايها فارضينا أبايها وجعلنا عليها من الجلى والثياب أفضل ما يكون ثم القيناها في هذا النيل ، فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون في الإسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فأقاموا بؤنة والنيل لا يجرى لا قليلا ولا كثيرا * وفي رواية فأقاموا بؤنة وأيدب ومسرى وهو لا يجرى حتى هموا بالجللاء . فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر إنك قد اصببت بالذي فعلت وأنى قد بعثت اليك بطاقة داخل كتابي هذا فألقها في النيل فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فاذا فيها « من عند الله عمر امير المؤمنين الى نيل مصر (أما بعد) فان كنت تجرى من قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله أن يجريك (٣) فالقى عمرو البطاقة في النيل فاصبح يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا

(١) المعروفة الان باسم دمقلة بطريق التحريف * (٢) كذا بالاصول وفي معجم البلدان (اشمون طنح)

(٣) قوله فالقى عمرو البطاقة في النيل الخ الذى فى حسن المحاضرة للسيوطى فالقى عمر البطاقة فى

في ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر الى اليوم *
 وأما الفرات فاصلها من شمالى أوردن الروم فتمر الى قرب ملطيه ثم تمر على شمشاط . ثم على البيرة
 قبلها ثم تشرق الى بالس (١) وقلعة جعبر ثم الرقة ثم الى الرجة شمالها ثم الى عانة ثم الى هيت ثم الى الكوفة
 ثم تخرج الى فضاء العراق ويصب في بطائح كبار اى بحيرات وترد اليها ويخرج منها أنهار كبار معروفة
 وأما سيحان ويقال له سيحون أيضا فأوله من بلاد الروم ويمجى من الشمال والغرب الى الجنوب
 والشرق وهو غربى مجرى جيحان ودونه في القدر وهو بلاد الارض التي تعرف اليوم ببلاد سيس
 وقد كانت في أول الدولة الاسلامية في أيدي المسلمين * فلما تغلب الفاطميون على الديار المصرية
 وملكوا الشام وأعمالها عجزوا عن صونها عن الاعداء فتغلب تغفور الأرمني على هذه البلاد أعنى بلاد
 سيس في حدود الثلاثمائة والى يومنا هذا . والله المسئول عودها اليها بحوله وقوته . ثم يجتمع سيحان
 وجيحان عند اذنه فيصيران نهرا واحدا . ثم يصبان في بحر الروم بين اياس وطرسوس *
 وأما جيحان ويقال له جيحون أيضا وتسميه العامة جاهان . وأصله في بلاد
 الروم ويسير في بلاد سيس من الشمال الى الجنوب وهو يقارب الفرات في

القدر * ثم يجتمع هو وسيحان عند اذنه فيصيران نهرا واحدا *

ثم يصبان في البحر عند اياس وطرسوس والله أعلم *

فَضِيلَتُهُ

قال الله تعالى « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس
 والقمر كل مجرى لاجل مسمى يدبر الأمر ينصل الايات لعلمكم بلقاء ربكم توقنون * وهو الذى مد
 الأرض وجعل فيها رواسى وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى
 ذلك لايات لقوم يتفكرون * وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان
 وغير صنوان يسقى بماء واحد وفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون »
 وقال تعالى « امن خلق السموات والأرض وانزل لكم من السماء ماء فابنتنا به حدائق ذات بهجة
 ما كان لكم ان تنبتوا شجرها إلا مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها
 انهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا إلا مع الله بل اكثرهم لا يعقلون * وقال تعالى

النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهبأ اهل مصر للجلاء والخروج منها لانه لا يقوم بمصلحتهم فيها
 الا النيل فاصبحوا يوم الصليب وقد اجراء الله ستة عشر ذراعا . وقد زال تلك السنة السوء عن أهل
 مصر انتهى (١) بلدة بين حلب والرقة لها وقائع تاريخية مذكورة فى معجم البلدان (محمود الامام)

« هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسميون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون »

فذكر تعالى ما خلق في الأرض من الجبال والأشجار والثمار والسهول والاعوار وما خلق من صنوف المخلوقات من الجمادات والحيوانات في البراري والقفار والبر والبحار ما يدل على عظمته وقدرته وحكمته ورحمته بخلقه وما سهل لكل دابة من الرزق الذي هي محتاجة اليه في ليالها ونهارها وصيفها وشتائها وصباحها ومساءها كما قال تعالى « وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين » وقد روى الحافظ أبو يعلى عن محمد بن المثنى عن عبيد بن واقد عن محمد بن عيسى بن كيسان عن محمد بن المنكدر عن جابر عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله (ص) يقول خلق الله ألف أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر . وأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فاذا هلك تنابت مثل النظام اذا قطع سلكه .

(عبيد بن واقد) أبو عباد البصري ضعفه أبو حاتم وقال بن عدى عامة ما يرويه لا يتابع عليه وشيخه اضعف منه . قال الفلاس والبخاري منكر الحديث ، وقال أبو زرعة لا ينبغي أن يحدث عنه . وضعفه ابن حبان والدارقطني وأنكر عليه ابن عدى هذا الحديث بعينه وغيره والله أعلم *
وقال تعالى « وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم مفرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون *

ذِكْرُ مَا يَتَعَلَّقُ بِخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَمَا فِيهَا مِنَ اللَّذَائِكِ

قد قدمنا ان خلق الأرض قبل خلق السماء كما قال تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم » وقال تعالى « قل انتم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم » وقال تعالى « انتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج نجاها والارض بعد ذلك دحاها » فان الدحي غير الخلق وهو بعد خلق السماء * وقال تعالى « تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور * الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق

الرحمن من تفاوت فارجم البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير * ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير « وقال تعالى « وبنينا فوقكم سبعا شدادا جعلنا سراجا وهاجا » وقال تعالى « ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا » وقال تعالى (الله الذي خلق سبع سموات والارض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) وقال تعالى « تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا . وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا » وقال تعالى (انا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان ملرد لا يسمعون الى الملائ الأعلی ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب . الامن خطى الخطئة فأتبعه شهاب ثاقب) وقال تعالى « ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم . الامن استرق السمع فأتبعه شهاب مبين » وقال تعالى « والسماء بديناها بايد وانا لموسعون » وقال تعالى « وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون » وقال تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجري لمستقرها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) وقال تعالى « فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعمهون » وقال تعالى (إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامرء ألاله انخلق والامر تبارك الله رب العالمين) والآيات في هذا كثيرة جدا وقد تكلمنا على كل منها في التفسير * والمقصود أنه تعالى يخبر عن خلق السموات وعظمة اتساعها وارتفاعها وأنها في غاية الحسن والبهاء والكمال والسناء كما قال تعالى « والسماء ذات الجبك » أي اخلق الحسن وقال تعالى « فارجم البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » أي خاسئا عن ان يرى فيها قصا أو خللا وهو حسير أي كليل ضعيف ولو نظر حتى يعى ويكبل ويضعف لما اطلع على قص فيها ولا عيب لانه تعالى قد أحكم خلقها وزين بالكواكب افعها كما قال « والسماء ذات البروج » أي النجوم * وقيل محال الحرس التي يرمى منها بالشهب لمسترق السمع ولا منافاة بين القولين وقال تعالى « ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم » قد ذكر انه زين منظرها بالكواكب الثوابت والسيارات (الشمس والقمر والنجوم الزاهرات) وأنه صان حوزتها عن حلول

الشياطين بها وهذا زينة معنى * فقال وحفظناها من كل شيطان رجيم كما قال (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظنا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملائكة الا على)

قال البخارى فى كتاب بدء الخلق وقول قتادة (ولقد زينا السماء الدنيا بمصاييح) خلق هذه النجوم الثلاث جماعها زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول بغير ذلك فقد اخطأ وأضاع نصيبه وتكاف ما لا علم له به * وهذا الذى قاله قتادة ممرح به فى قوله تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصاييح وجعلناها رجوما للشياطين) وقال تعالى « وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر » فمن تكلف غير هذه الثلاث اى من علم احكام ما تدل عليه حركاتها ومقارنتها فى سيرها وأن ذلك يدل على حوادث ارضيه فقد اخطأ . وذلك أن أكثر كلامهم فى هذا الباب ليس فيه الاحدس وظنون كاذبة ودعاوى باطلة . وذكر تعالى انه خلق سبع سموات طباقا اى واحدة فوق واحدة * واختلف أصحاب الهيئة هل هن مترابطات او متفصلات بينهما على قولين . والصحيح الثانى لما قدمنا من حديث عبد الله بن عميرة عن الاحنف عن العباس فى حديث الأوعال أن رسول الله (ص) قال اتدرون كم بين السماء والأرض قلنا الله ورسوله أعلم . قال بينهما مسيرة خمسمائة عام . ومن كل سماء الى سماء خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة * الحديث بتمامه رواه احمد وأبو داود وابن ماجه والترمذى وحسنه * وفى الصحيحين من حديث أنس فى حديث الاسراء قال فيه (ووجد فى السماء الدنيا آدم فقال له جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه فرد عليه السلام . وقال مرحبا وأهلا بابنى نعم الابن أنت الى أن قال ثم عرج الى السماء الثانية * وكذا ذكر فى الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) فدل على التفاصيل بينها لقوله ثم عرج بنا حتى أتينا السماء اثنا عشر فاستفتح فقبل من هذا (الحديث) * وهذا يدل على ما قلناه والله أعلم .

وقد حكى ابن حزم وابن المنير وأبو الفرج ابن الجوزى وغير واحد من العلماء الاجماع على أن السموات كرة مستديرة * واستدل على ذلك بقوله كل فى فلك يسبحون . قال الحسن يدورون ، وقال ابن عباس فى فلكة مثل فلكة المغزل . قالوا ويدل على ذلك أن الشمس تغرب كل ليلة من المغرب ثم تطلع فى آخرها من المشرق كما قال أمية ابن أبى الصلت .

والشمس تطلع كل آخر ليلة * حمراء مطلع لونها متورد * تأبى فلا تبدو لنا فى رسلها * الامعذبه والأتجد فلما الحديث الذى رواه البخارى حيث قال حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن ابي ذر قال قال رسول الله (ص) لاني ذر حين غربت الشمس تدرى أين تذهب قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها . يقال لها ارجى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك

قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) *

هذا لفظه في بدء الخلق ورواه في التفسير * وفي التوحيد من حديث الأعمش أيضا ورواه مسلم في الإيمان من طريق الأعمش ومن طريق يونس بن عبيد وأبو داود من طريق الحكم بن عتبة كلهم عن إبراهيم بن يزيد بن شريك عن أبيه عن أبي ذر به نحوه . وقال الترمذي حسن صحيح * إذا علم هذا فانه حديث لا يعارض ما ذكرناه من استدارة الأفلاك التي هي السموات على أشهر القولين ولا يدل على كرية العرش كما زعمه زاعمون . قد أبطنا قولهم فيما سلف ولا يدل على أنها تصعد الى فوق السموات من جهتنا حتى تسجد تحت العرش بل هي تغرب عن أعيننا وهي مستمرة في فللكها الذي هي فيه وهو الرابع فيما قاله غير واحد من علماء التفسير . وليس في الشرع ما ينفية بل في الحس وهو الكسوفات ما يدل عليه ويقتضيه فاذا ذهبت فيه حتى تتوسطه وهو وقت نصف الليل مثلا في اعتدال الزمان بحيث يكون بين القطبين الجنوبي والشمالي قائما تكون أبدا ما يكون من العرش لانه مقبب من جهة وجه العالم وهذا محل سجودها كما يناسبها كما أنها أقرب ما تكون من العرش وقت الزوال من جهتنا فاذا كانت في محل سجودها استأذنت الرب جل جلاله في طلوعها من الشرق فيؤذن لها فتبدو من جهة الشرق وهي مع ذلك كارهة لعصاة بني آدم أن تطلع عليهم ولهذا قال أمية

تأبي فلا تبدولنا في رسالها * الامعذبة والأتجد * فاذا كان الوقت الذي يريد الله طلوعها من جهة مغربها تسجد على عادتها وتستأذن في الطلوع من عادتها فلا يؤذن لها فجاء أنها تسجد أيضا ثم تستأذن فلا يؤذن لها ثم تسجد فلا يؤذن لها وتطول تلك الليلة كما ذكرنا في التفسير ، فتقول يا رب ان الفجر قد اقترب وان المدى بعيد فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فاذا رآها الناس آمنوا جميعا وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ، وفسروا بذلك قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) قيل لوقتها الذي تؤمر فيه تطلع من مغربها * وقيل مستقرها موضعها الذي تسجد فيه تحت العرش * وقيل منتهى سيرها وهو آخر الدنيا . وعن ابن عباس أنه قرأ والشمس تجري لامستقر لها أي ليست تستقر فعلى هذا تسجد وهي سائرة . ولهذا قال تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون أي لا تدرك الشمس القمر فتطلع في سلطانه ودولته ولا هو أيضا ولا الليل سابق النهار أي ليس سابقه بمسافة يتأخر ذاك عنه فيها بل اذا ذهب النهار جاء الليل في اثره متقباله كما قال في الآية الأخرى يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين *

وقال تعالى « وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا » أي يخلف هذا لهذا وهذا كما قال رسول الله (ص) « اذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت

الشمس فقد أنظر الصائم « فالزمان المحقق ينقسم الى ليل ونهار وليس بينهما غيرها * ولهذا قال تعالى « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى » فيوج من هذا في هذا ، أى يأخذ من طول هذا في قصر هذا فيعتدلان كما في أول فصل الربيع يكون الليل قبل ذلك طويلا والنهار قصيرا فلا يزال الليل ينقص والنهار يتزايد حتى يعتدلا وهو أول الربيع * ثم يشرع النهار يطول ويتزايد والليل يتناقص حتى يعتدلا أيضا في أول فصل الخريف * ثم يشرع الليل يطول ويقصر النهار الى آخر فصل الخريف * ثم يترجح النهار قليلا قليلا ويتناقص الليل شيئا فشيئا حتى يعتدلا في أول فصل الربيع كما قدمنا ، وهكذا في كل عام . ولهذا قال تعالى « وله اختلاف الليل والنهار » أى هو المتصرف في ذلك كله الحاكم الذى لا يخالف ولا يمانع ولهذا يقول في ثلاث آيات عند ذكر السموات والنجوم والليل والنهار « ذلك تقدير العزيز العليم » أى العزيز الذى قد قهر كل شئ ودان له كل شئ فلا يمانع ولا يغالب العليم بكل شئ تقدر كل شئ تقديرا على نظام لا يختلف ولا يضرب . وقد ثبت في الصحيحين من حديث سفیان بن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) ، « قال الله يؤذني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الأمر أقلب الليل والنهار » وفي رواية فانا الدهر أقلب ليله ونهاره *

قال العلماء كالشافعى وأبى عبيد القاسم بن سلام وغيرها يسب الدهر أى يقول فعل بنا الدهر كذا ياخية الدهر ، أيتم الأولاد ، أرمل النساء . قال الله تعالى (وأنا الدهر) أى انا الدهر الذى يعنيه فانه فاعل ذلك الذى اسنده الى الدهر والدهر مخلوق ، وإنما فعل هذا هو الله فهو يسب فاعل ذلك ويعتقده الدهر . والله هو الفاعل لذلك الخالق لكل شئ المتصرف في كل شئ كما قال وأنا الدهر بيدى الأمر أقلب ليله ونهاره وكما قال تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتمز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير * توجل الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب) وقال تعالى « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب . ما خلق الله ذلك الا بالحق . يفصل الآيات لقوم يعلمون ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون » أى فإوت بين الشمس والقمر في نورهما وفي شكاهما وفي وقتها وفي سيرها فجعل هذا ضياء وهو شعاع الشمس برهان ساطع وضوء باهر والقمر نورا أى أضعف من برهان الشمس وجعله مستفادا من ضوءها وقدره منازل أى يطلع أول ليلة من الشهر صغيرا ضميلا قليل النور لقربه من الشمس وقلة مقابلته لها فبقدره مقابلته لها يكون نوره ولهذا في الليلة الثانية يكون أبعد منها بضعف ما كان في الليلة الأولى فيكون نوره بضعف النور أول ليلة * ثم كلما بعد ازداد نوره حتى يتكامل إبداره ليلة

مقابلته إياها من المشرق وذلك ليلة أربع عشرة من الشهر * ثم يشرع في النقص لاقترابه إليها من الجهة الأخرى إلى آخر الشهر فيستتر حتى يعود كما بدأ في أول الشهر الثاني . فبه تعرف الشهور وبالشمس تعرف الليالي والأيام وبذلك تعرف السنين والأعوام ولهذا قال تعالى « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » وقال تعالى « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا » وقال تعالى (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) وقد بسطنا القول على هذا كله في التفسير . فالكواكب التي في السماء منها سيارات وهي المتخيرة في اصطلاح علماء التفسير وهو علم غالبه صحيح بخلاف علم الاحكام فان غالبه باطل ودعوى مالا دليل عليه وهي سبعة . القمر في سماء الدنيا وعطارد في الثانية والزهرة في الثالثة والشمس في الرابعة والمريخ في الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في السابعة . وبقية الكواكب يسمونها الثوابت وهي عندهم في الفلك الثامن وهو الكرسي في اصطلاح كثير من المتأخرين . وقال آخرون بل الكواكب كلها في السماء الدنيا ولا مانع من كون بعضها فوق بعض * وقد يستدل على هذا بقوله تعالى (ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين *) وبقوله (فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) فخص سماء الدنيا من بينهن بزينة الكواكب فان دل هذا على كونها مرصعة فيها فذاك والا فلا مانع مما قاله الآخرون والله أعلم . وعندهم أن الافلاك السبعة بل الثمانية تدور بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات تدور على خلاف فلكه من المغرب إلى المشرق . فالقمر يقطع فلكه في شهر والشمس تقطع فلكها وهو الرابع في سنة . فاذا كان السيران ليس بينهما تفاوت وحركتهما متقاربة كان قدر السماء الرابعة بقدر السماء الدنيا ثنتي عشرة مرة وزحل يقطع فلكه وهو السابع في ثلاثين سنة فعلى هذا يكون بقدر السماء الدنيا ثلثمائة وستين مرة *

وقد تكلموا على مقادير أجرام هذه الكواكب وسيرها وحركاتها وتوسعوا في هذه الاشياء حتى تعدوا إلى علم الأحكام وما يترتب على ذلك من الحوادث الأرضية ومما لا علم لكثير منهم به . وقد كان اليونانيون الذين كانوا يسكنون الشام قبل زمن المسيح عليه السلام بدهور لهم في هذا كلام كثير يطول بسطه ، وهم الذين بنوا مدينة دمشق وجعلوا لها أبوابا سبعة وجعلوا على رأس كل باب هيكلًا على صفة الكواكب السبعة . يعبدون كل واحد في هيكله ، ويدعون به بدعاء يآثره عنهم غير واحد من أهل التواريخ وغيرهم . وذكره صاحب السر المكتوم في مخاطبة الشمس والقمر والنجوم

وغيره من علماء الحرنانيين (١) (فلاسفة حران في قديم الزمان) . وقد كانوا مشركين يعبدون الكواكب السبعة وهم طائفة من الصابئين * ولهذا قال الله تعالى « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون » وقال تعالى إخبارا عن الهدهد أنه قال لسليمان عليه السلام مخبرا عن بلقيس وجنودها ملكة سبأ في اليمن وما والاها (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدمهم عن السبيل فهم لا يهتدون . أن لا يسجدوا لله الذي يخرج الخبث في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون . الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) وقال تعالى « ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن بين الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء » وقال تعالى (أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون * والله يسجد لمن في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) وقال تعالى « والله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال » وقال تعالى « تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حلما غفورا » والآيات في هذا كثيرة جدا .

ولما كان أشرف الأجرام المشاهدة في السموات والأرض هي الكواكب وأشرفهن منظرا وأشرفهن معتبرا الشمس والقمر استدلل الخليل على بطلان الهية شيء منهن . وذلك في قوله تعالى « فلما جن الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين » أي للغائبين (فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهتدي ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون . في وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) فبين بطريق البرهان القطعي أن هذه الاجرام المشاهدات من الكواكب والقمر والشمس لا يصلح شيء منها للالهية لانها كلها مخلوقة مبروبة مدبرة مسخرة في سيرها لا تحيد عما خلقت له ولا تزيف عنه الا بتقدير متقن محرد لا تضطرب ولا تختلف * .

(١) قال في معجم البلدان (حران) بتشديد الراء وآخره نون يجوز أن يكون (فعالا) من حرن الفرس اذا لم ينتد ويجوز أن يكون (فعلان) من الحر . يقال رجل حران أي عطشان وأصله من الحر وامرأة حري وهو حران يران . والنسبة اليها حرناني بعد الراء الساكنة نون على غير قياس كما قالوا مناني في النسبة الى ماني .

وذلك دليل على كونها مربوبة مصنوعة مسخرة مقهورة ولهذا قال تعالى. « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون » وثبت في الصحيحين في صلاة الكسوف من حديث ابن عمر وابن عباس وعائشة وغيرهم من الصحابة أن رسول الله (ص) قال في خطبته يومئذ إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته »

وقال البخاري في بدء الخلق حدثنا مسدد حدثنا عبد العزيز بن المختار حدثنا عبد الله الداناج حدثني أبو سامة عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (الشمس والقمر مكران يوم القيامة) انفرد به البخاري * وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار بأبسط من هذا السياق . فقال حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي حدثنا يونس بن محمد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج سمعت أبا سامة بن عبد الرحمن زمن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة وجاء الحسن فجلس إليه فحدث قال حدثنا أبو هريرة أن رسول الله (ص) قال « إن الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيامة فقال الحسن وما دينهما فقال أحدثك عن رسول الله (ص) . وتقول وما دينهما ثم قال البزار لا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه ، ولم يرو عبد الله الداناج عن أبي سامة سوى هذا الحديث * وروى الحافظ أبو يعلى الموصلي من طريق يزيد الرقاشي وهو ضعيف عن أنس قال قال رسول الله (ص) الشمس والقمر ثوران عتيران في النار . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وعمر بن عبد الله الأزدي حدثنا أبو أسامة عن مجالد عن شيخ من بجليمة عن ابن عباس (إذا الشمس كورت) . قال يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله ريحاً دبوراً فتضرمها ناراً . فذات هذه الآثار على أن الشمس والقمر من مخلوقات الله خلقها الله ما أراد* ثم يفعل فيها ما يشاء ، وله الحجة الدافعة والحكمة البالغة فلا يسأل عما يفعل لئله وحكمته وقدرته ومشيئته النافذة وحكمه الذي لا يرد ولا يمانع ولا ينال* وما أحسن ما أوردده الامم محمد بن اسحاق بن يسار في أول كتاب السيرة من الشعر لزيد بن عمرو بن نفيل في خالق السماء والأرض والشمس والقمر وغير ذلك * قال ابن هشام هي لامية ابن أبي الصلت

الى الله أهدي مدحتي وثنائيا وقولاً رَضِيَا (١) لا يني الدهر باقيا
الى الملك الأعلى الذي ليس فوقه إله ولا رب يكون مُدَانِيَا
الأيها الانسان إياك والردى فإنك لا تخفي من الله خافيا
وإياك لا تجعل مع الله غيره فإن سبيل الرشد أصبح باديا

(١) قوله رَضِيَا نعت لقولاً

حَنَانِكَ إِنَّ الْجِنَّ كَانَتْ رَجَاءَهُمْ وَأَنْتَ الْهَي رَبَّنَا وَرَجَائِنَا
 رَضِيتُ بِكَ اللَّهُمَّ رَبَّأَفْلَنْ أَرَى • أَدِينُ إِلَهًا غَيْرَكَ اللَّهُ ثَانِيَا
 وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلٍ مِنْ رَحْمَةٍ وَقُلْتَ لَهُ إِذْ هَبْ وَهَرُونَ فَادْعُوا
 وَقَوْلًا لَهُ أَنْتَ سَوَّيْتَ هَذِهِ وَقَوْلًا لَهُ أَنْتَ رَفَعْتَ هَذِهِ
 وَقَوْلًا لَهُ أَنْتَ سَوَّيْتَ وَسَطَهَا وَقَوْلًا لَهُ مِنْ يَرْسُلُ الشَّمْسُ غَدْوَةً
 وَقَوْلًا لَهُ مِنْ يَنْبِتُ الْحَبَّ فِي الثَّرَى وَيَخْرُجُ مِنْهُ حَبُّ فِي رُؤْسِهِ
 وَأَنْتَ بِفَضْلِكَ نَجَّيْتَ يُونُسًا وَإِنِّي لَوْ سَبَّحْتُ بِاسْمِكَ رَبَّنَا
 فَرَبَّ الْعِبَادِ الْقَسِيبًا وَرَحْمَةً عَلَيَّ وَبَارِكًا فِي بَنِي وَمَالِي

فَإِذَا عَلِمَ هَذَا قَالَ كَوَاكِبُ التِّي فِي السَّمَاءِ مِنَ الثَّوَابِ وَالسَّيَّارَاتِ الْجَمِيعِ مَخْلُوقَةٌ خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى
 كَمَا قَالَ (وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزِينَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحَفَظْنَا ذَلِكَ تَقْدِيرَ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)
 وَأَمَّا مَا يَذْكَرُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ فِي قِصَّةِ هَارُوتَ وَمَدْرُوتَ مِنْ أَنَّ الزَّهْرَةَ كَانَتْ امْرَأَةً
 فَرَاوَدَاهَا عَلَى نَفْسِهَا فَأَبَتْ إِلَّا أَنْ يَهَامَا بِالْأَسْمِ الْأَعْظَمِ فَعَلِمَاهَا فَمَاتَتْ فَرَفَعَتْ كَوَاكِبُ السَّمَاءِ فَهَذَا
 أَظْهَرَ مِنْ وَضْعِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ وَإِنْ كَانَ قَدْ أُخْرِجَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ وَتَأَقَّدَ عَنْهُ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ فَدُكِرَ
 عَلَى سَبِيلِ الْحِكَايَةِ وَالتَّحْدِيثِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ فِي ذَلِكَ
 حَدِيثًا رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ يَحْيَى بْنِ بَكِيرٍ عَنْ زَهْرَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُوسَى بْنِ جَبْرِ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ
 النَّبِيِّ (س) . وَذَكَرَ الْقِصَّةَ بِطَوْلِهَا فِيهِ فَمَثَلَتْ لَهَا الزَّهْرَةَ امْرَأَةً مِنْ أَحْسَنِ الْبَشَرِ فَجَاءَتْهَا فَسَأَلَهَا نَفْسُهَا
 وَذَكَرَ الْقِصَّةَ . وَقَدْ رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ عَنِ الثَّوْرِيِّ عَنْ مُوسَى بْنِ عَقْبَةَ عَنْ سَالِمٍ عَنْ كَعْبِ

(١) قَوْلُهُ وَأَنِّي لَوْ سَبَّحْتُ الْخَ مَعْنَى الْبَيْتِ أَنِّي لَا أَكْثُرُ مِنْ هَذَا الدُّعَاءِ الَّذِي هُوَ بِاسْمِكَ رَبَّنَا إِلَّا مَا
 غَفَرْتَ الْخَ . وَمَا بَدَأَ الْأَزَائِدَةَ . وَإِنْ سَبَّحْتَ اعْتَرَأْضَ بَيْنَ اسْمِ إِنْ وَخَبَرِهَا كَمَا تَقُولُ إِنِّي لَا أَكْثُرُ مِنْ هَذَا
 الدُّعَاءِ الَّذِي هُوَ بِاسْمِكَ رَبَّنَا إِلَّا وَاللَّهِ يَغْفِرُ لِي فَعَلْتُ كَذَا وَالتَّسْبِيحُ هُنَا بِمَعْنَى الصَّلَاةِ أَيْ لَا اعْتَمِدُ وَإِنْ صَلَّيْتُ
 الْأَعْلَى دَعَائِكَ وَاسْتَفْغَارِكَ

الاجبار به. وهذا أصح وأثبت. وقد روى الحاكم في مستدركه وابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس قد ذكره وقال فيه وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب وذكر تمامه * وهذا أحسن لفظ روى في هذه القصة والله أعلم *

وهكذا الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الملك الواسطي حدثنا يزيد ابن هرون حدثنا مبشر بن عبيد عن يزيد بن أسلم عن ابن عمر عن النبي (ص). وحدثنا عمرو بن عيسى حدثنا عبد الأعلى حدثنا ابراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله (ص) ذكر سهيلا فقال (كان عشارا ظلوما فمسخه الله شهابا) ثم قال لم يرود عن زيد بن أسلم الا مبشر بن عبيد وهو ضعيف الحديث ولا عن عمرو بن دينار الا ابراهيم بن يزيد وهو لين الحديث * وإنما ذكرناه على ما فيه من علة لأننا لم نحفظه الا من هذين الوجهين (قلت) أما مبشر بن عبيد القرشي فهو أبو حفص الحمصي وأصله من الكوفة. فقد ضعفه الجميع وقال فيه الامام أحمد والدارقطني كان يضع الحديث ويكذب وأما ابراهيم بن يزيد فهو الخوزي وهو ضعيف باتفاقهم * قال فيه احمد والنسائي متروك.

وقال ابن معين ليس بثقة وليس بشيء * وقال البخاري سكتوا عنه. وقال أبو حاتم وأبو زرعة منكر الحديث ضعيف الحديث. ومثل هذا الاسناد لا يثبت به شيء بالكفاية. واذا أحسنا الظن قلنا هذا من أخبار بني اسرائيل كما تقدم من رواية ابن عمر عن كعب الأجار. ويكون من خرافاتهم التي لا يعول عليها والله أعلم *

المجرة وقوس قزح

قال أبو القاسم الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا عارم ابو النعمان حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أن هرقل كتب الى معاوية وقال إن كان بقي فيهم شيء من النبوة فيسيخبرني عما أسألهم عنه. قال فكتب اليه يسأله عن المجرة وعن القوس وعن بقعة لم تصبها الشمس الا ساعة واحدة * قال فلما أتى معاوية الكتاب والرسول قال إن هذا الشيء ما كنت آبه له أن أسأل عنه الى يومى هذا من لهذا؟ قيل ابن عباس فطوى معاوية كتاب هرقل فبعث به الى ابن عباس فكتب اليه « أن القوس أمان لأهل الأرض من الفرق. والمجرة باب السماء الذي تنشق منه الأرض. وأما البقعة التي لم تصبها الشمس الا ساعة من النهار فالبخر الذي أفرج عن بني اسرائيل وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس رضي الله عنه * فاما الحديث الذي رواه الطبراني حدثنا ابو الزبنايع روح بن الفرج

حدثنا ابراهيم بن مخلد حدثنا الفضل بن المختار عن محمد بن مسلم الطائفي عن ابن أبي يحيى عن مجاهد عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص)، « يا معاذ إني مرسلك الى قوم أهل كتاب فاذا سئلت عن الحجر التي في السماء قتل هي لعاب حية تحت العرش » فنه حديث منكر جداً بل الأشبه أنه موضوع وراوي الفضل بن المختار هذا أبوسهل البصرى * ثم انتقل الى مصر قال فيه أبو حاتم الرازي هو مجهول حدث بالأبطل. وقال الحافظ أبو الفتح الأزدى منكر الحديث جداً. وقال ابن عدى لا يتابع على أحاديثه لا متناً ولا اسناداً * وقال الله تعالى (هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال) وقال تعالى (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون) وروى الأمام احمد عن يزيد بن هرون عن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن شيخ من بني غفار قال سمعت رسول الله (ص)، (يقول إن الله ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك) وروى موسى بن عبيدة بن سعد بن ابراهيم أنه قال إن نطقه الرعد وضحكه البرق . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام عن عبيد الله الرازي عن محمد بن مسلم قال بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه وجه انسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه أسد فاذا مصع بذنبه فذاك البرق * وقد روى الامام احمد والترمذي والنسائي والبخاري في كتاب الأدب والحاكم في مستدرکه من حديث الحجاج بن أرطاة حدثني ابن مطر عن سالم عن أبيه قال كان رسول الله اذا سمع الرعد والصواعق قال (اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك *) وروى ابن جرير من حديث ليث عن رجل عن أبي هريرة رفته كان اذا سمع الرعد قال (سبحان من يسبح الرعد بحمده) وعن علي أنه كان يقول (سبحان من سبحت له) وكذا عن ابن عباس والأسود بن يزيد وطاوس وغيرهم * وروى مالك عن عبد الله ابن عمر أنه كان اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويقول (إن هذا وعيد شديد لأهل الأرض *) وروى الامام احمد عن أبي هريرة أن رسول الله (ص)، قال قال ربكم لو أن عبيدي أطاعوني لأسقيهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولما أسمعتهم صوت الرعد فاذكروا الله فانه لا يصيب ذا كرا * وكل هذا مبسوط في التفسير والله الحمد والمنة *

باب ذكر خلق الملائكة وصفاتهم

قال الله تعالى « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشقون * ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين » وقال تعالى « تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم » وقال تعالى « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم » وقال تعالى « فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون * وقال (ومن عنده لا يستكبرون . عن عبادته ولا يستحسرون) يسبحون الليل والنهار لا يفترون » وقال تعالى « ومننا إلا له مقام معلوم . وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون » وقال تعالى وما تنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا » وقال تعالى « وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون » وقال تعالى « وما يعلم جنود ربك إلا هو » وقال تعالى « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » وقال تعالى « الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير » وقال تعالى « يوم تشقق السماء بغمام تنزل الملائكة تزيلا * الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا » وقال تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى بمئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا) وقال تعالى « من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين » وقال تعالى « يأيتها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » والآيات في ذكر الملائكة كثيرة جدا يصفهم تعالى بالقوة في العبادة وفي الخلق وحسن المنظر وعظمة الأشكال وقوة الشكل في الصور المتعددة كما قال تعالى (ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب * وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات) الآيات فذكرنا في التفسير ما ذكره غير واحد من العلماء من أن الملائكة تبدو لهم في صورة شباب حسان امتحانا واختبارا حتى قامت على قوم لوط الحجة وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر * وكذلك كان جبريل يأتي الى

النبي (ص) في صفات متعددة فتارة يأتي في صورة دحية بن خليفة الكلابي وتارة في صورة أعرابي وتارة في صورته التي خلق عليها . له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب كما رآه على هذه الصفة مرتين . مرة منهبطاً من السماء إلى الأرض . وتارة عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى . وهو قوله تعالى « عليه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى » أي جبريل كما ذكرناه عن غير واحد من الصحابة * منهم ابن مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة « فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى » أي إلى عبد الله محمد (ص) ثم قال (ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . مازاغ البصر وما طغى) وقد ذكرنا في أحاديث الاسراء في سورة سبحان أن سدرة المنتهى في السماء السابعة * وفي رواية في السادسة أي أصلها وفروعها في السابعة فلما غشيتها من أمر الله ما غشيتها * قيل غشيتها نور الرب جل جلاله * وقيل غشيتها فراش من ذهب * وقيل غشيتها ألوان متعددة كثيرة غير منحصرة * وقيل غشيتها الملائكة مثل الغربان * وقيل غشيتها من نور الله تعالى فلا يستطيع أحد أن ينعتها * أي من حسناتها وبهاياتها . ولا منافاة بين هذه الأقوال إذ الجميع ممكن حصوله في حال واحدة * وذكرنا أن رسول الله (ص) قال . ثم رفعت لي سدرة المنتهى فإذا ينقها كالثقال * وفي رواية كقلال هجر وإذا ورقها كأذان الفيلة وإذا يخرج من أصلها نهران باطنان ونهران ظاهران . فأما الباطنان ففي الجنة . وأما الظاهران فالنيل والفرات * وتقدم الكلام على هذا في ذكر خلق الأرض وما فيها من البحار والأنهار * وفيه ثم رفع لي البيت المعمور وإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم * وذكر أنه وجد إبراهيم الخليل عليه السلام مستنداً ظهره إلى البيت المعمور . وذكرنا وجه المناسبة في هذا أن البيت المعمور هو في السماء السابعة بمنزلة الكعبة في الأرض * وقد روى سفیان الثوري وشعبة وأبو الأحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعة أن ابن الكوا سأل علي بن أبي طالب عن البيت المعمور فقال هو مسجد في السماء يقال له الضراح ، وهو بحيال الكعبة من فوقها . حرمة في السماء كحرمة البيت في الأرض يصلح فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون إليه أبداً * وهكذا روى علي بن ربيعة وأبو الطفيل عن علي مثله * وقال الطبراني أنبانا الحسن بن علوية القطان حدثنا اسماعيل بن عيسى العطار حدثنا اسحاق بن بشر أبو حذيفة حدثنا ابن جريج عن صفوان بن سليم عن كريب عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) البيت المعمور في السماء يقال له الضراح وهو على مثل البيت الحرام بحياله لو سقط لسقط عليه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يرونه قط فان له في السماء حرمة على قدر حرمة مكة . يعني في الأرض وهكذا قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والربيع بن أنس والسدي وغير واحد * وقال قتادة ذكر لنا أن رسول الله (ص) قال

يوم لا يحابه هل تدرّون ما البيت المعمور قالوا الله ورسوله أعلم * قال قال مسجد في السماء بحيال الكعبة
لوخر نخر عليها يصلى فيه كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم * وزعم
الضحّاك أنه تعمده طائفة من الملائكة يقال لهم الجن من قبيلة ابليس لعنه الله كان يقول سدته وخدامه
منهم والله أعلم *

وقال آخرون . في كل سماء بيت يعمره ملائكته بالعبادة فيه ويفدون اليه بالذوبة والبدل كما يعمر
أهل الأرض البيت العتيق بالحج في كل عام والاعتمار في كل وقت والطواف والصلاة في كل آن * قل
سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في أوائل كتابه المغازي * حدثنا أبو عبيد في حديث مجاهد « أن الحرم
حرم مناه (يعني قدره) من السموات السبع والأرضين السبع وأنه رابع أربعة عشر بيتا في كل سماء
بيت وفي كل أرض بيت لو سقطت سقط بعضها على بعض » ثم روى مجاهد قال مناه أي مقابله وهو
حرف مقصور . ثم قال حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي سليمان مؤذن الحجاج سمعت
عبد الله بن عمرو يقول « إن الحرم محرم في السموات السبع مقدارده من الأرض - وإن بيت المقدس
متقدس في السموات السبع مقدارده من الأرض كما قال بعض الشعراء

إِنَّ الَّذِي سَمَّكَ السَّمَاءَ بَنَى لَهَا بَيْتًا دَعَا مَهُ أَشَدُّ وَأَطْوَلُ

واسم البيت الذي في السماء بيت العزة * واسم الملك الذي هو مقدم الملائكة فيها إسماعيل * فعلى
هذا يكون السبعون ألفاً من الملائكة الذين يدخلون في كل يوم الى البيت المعمور ثم لا يعودون اليه .
آخر ما عليهم (أي لا يحصل لهم نوبة فيه إلى آخر الدهر) يكونون من سكان السماء السابعة وحدها .
ولهذا قال تعالى « وما يعلم جنود ربك الا هو » وقال الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا إسرائيل
عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذر قال قال رسول الله «س » « إني أرى مالا ترون
وأسمع مالا تسمعون أظت السماء وحق لها أن تظ ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد لو علمتم
ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما تلذتم بالنساء على الفرشات وخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى
الله عز وجل » فقال أبو ذر (والله لوددت أني شجرة تعضد) ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث
إسرائيل فقال الترمذي حسن غريب و يروى عن أبي ذر موقوفا * وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني
حدثنا حسين بن عرفة المصري حدثنا عروة بن عمران الرقي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم
ابن مالك عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (س) (ما في السموات السبع
موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع فاذا كان يوم القيامة
قالوا جميعاً ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لا نشرك بك شيئاً) فدل هذان الحديثان على أنه مامن موضع
في السموات السبع إلا وهو مشغول بالملائكة وهم في صنوف من العبادة . منهم من هو قائم أبداً . ومنهم

من هو رآهم أبداً ومنهم من هو ساجد أبداً ومنهم من هو في صنوف آخر والله أعلم بها. وهم دائمون في عبادتهم وتسيبهم وأذكارهم وأعمالهم التي أمرهم الله بها، ولهم منازل عند ربهم كما قال تعالى (وما منا إلا له مقام معلوم * وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون) * وقال (ص) (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها * قالوا وكيف يصفون عند ربهم قال يكلمون الصف الأول ويتراصون في الصف) * وقال (فضلنا على الناس بثلاث * جعلت لنا الأرض مسجداً وتربتها لنا طهوراً وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة) وكذلك يأتون يوم القيامة بين يدي الرب جل جلاله صفوفًا كما قال تعالى (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) ويقفون صفوفًا بين يدي ربهم عز وجل يوم القيامة كما قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً) * والمراد بالروح ههنا بنو آدم قاله ابن عباس والحسن وقتادة * وقيل ضرب من الملائكة يشبهون بني آدم في الشكل * قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمش * وقيل جبريل * قاله الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك * وقيل ملك يقال له الروح بقدر جميع المخلوقات * قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله يوم يقوم الروح قال هو ملك من أعظم الملائكة خلقاً * وقال ابن جرير حدثني محمد بن خلف العسقلاني حدثنا داود ابن الجراح عن أبي حمزة عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود قال الروح في السماء الرابعة هو أعظم السموات والجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسيحة يخلق الله من كل تسيحة ملكاً من الملائكة يحجي يوم القيامة صفاً وحده * وهذا غريب جداً * وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكيم المصري حدثنا ابن وهب بن رزق أبو هبيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الأوزاعي حدثني عطاء عن عبد الله بن عباس قال سمعت رسول الله (ص) يقول «إن لله ملكاً لو قيل له التقم السموات والأرضين بلقمة واحدة لفعل . تسيحه سبحانه حيث كنت» وهذا أيضاً حديث غريب جداً * وقد يكون موقوفاً * وذكرنا في صفة حملة العرش عن جابر بن عبد الله قال رسول الله (ص) «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام» رواه أبو داود وابن أبي حاتم ولفظه مخفق الطير سبعمائة عام *

وقد ورد في صفة جبريل عليه السلام أمر عظيم قال الله تعالى «عامه شديد القوى» قالوا كان من سدة قوته أنه رفع مدائن قوم لوط وكن سبعمائة من الأمم وكانوا قريباً من أربعمائة ألف وما معهم من الدواب والحيوانات وما لتلك المدن من الأراضى والمعملات والعمارات وغير ذلك * رفع ذلك كله على طرف جناحه حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب وصياح ديكهم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها فهذا هو شديد القوى . وقوله ذو مرة أي خلق حسن وبهاء وسناء كما قال في الآية الأخرى «إنه لقول رسول كريم» أي جبريل رسول من الله كريم أي حسن المنظر

ذی قوۃ ائی له قوۃ وبأسن شتید عند ذی العرش مکین ائی له مکانه ومنزله عالیة رفیعة عند الله ذی العرش المجید مطاع ثم ائی مباع فی الملائ الأعلی امین ائی ذی أمانة عظیمة ولهذا کان هو السفیر بین الله و بین أنبیائه علیهم السلام الذی ینزل علیهم بالوحی . فیہ الأخبار الصادقة والشرائع العادلة * وقد کان یأتی الی رسول الله (ص) ، وینزل علیه فی صفات متعددة کما قدمنا . وقد رآه علی صفته الی خلقه الله علیها مرتین * له ستمائة جناح کما روى البخاری عن طلق بن غنم عن زائدة الشیبانی قال سألت زراً عن قوله فكان قاب قوسین أو أدنی فأوحی الی عبده ما أوحی * قال حدثنا عبد الله یعنی ابن مسعود أن محمداً (ص) رأى جبریل له ستمائة جناح *

وقال الامام أحمد حدثنا یحیی ابن آدم حدثنا شریک عن جامع بن راشد عن أبی وائل عن عبد الله قال رأى رسول الله (ص) ، جبریل فی صورته وله ستمائة جناح کل جناح منها قد سد الأفق یسقط من جناحه التهاویل (١) من الدر والیاقوت ما الله به علیم . وقال أحمد ایضاً حدثنا حسن بن موسی حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبیش عن ابن مسعود فی هذه الآیة « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرۃ المنتهی » قال قال رسول الله (ص) ، (رأیت جبریل وله ستمائة جناح ینتشر من ریشة التهاویل الدر والیاقوت * وقال أحمد حدثنا زید بن الحباب حدثنا الحسین (٢) حدثنی عاصم ابن بهدلة سمعت شقیق بن سلمة یقول سمعت ابن مسعود یقول قال رسول الله (ص) ، وسلم رأیت جبریل علی السدرۃ المنتهی وله ستمائة جناح فسألت عاصماً عن الأجنحة فأبی أن ینخبرنی قال فأخبرنی بمض أصحابه أن الجناح مابین المشرق والمغرب * وهذه أسانید جیدة قویة انفرد بها أحمد *

وقال أحمد حدثنا زید بن الحباب حدثنی حسین حدثنی حصین حدثنی شقیق سمعت ابن مسعود قال قال رسول الله (ص) ، اننی جبریل فی خضر تعلق به الدر * إسناده صحیح * وقال ابن جریر حدثنا ابن بزیع البغدادی قال حدثنا اسحاق بن منصور قال حدثنا اسرائیل عن أبی إسحاق عن عبد الرحمن ابن زید عن عبد الله (ما کذب الفؤاد ما رأى) قال رأى رسول الله (ص) ، جبریل علیه حللتا رفرف قد ملأ مابین السماء والارض * إسناده جید قوی * وفى الصیحین من حدیث عامر الشعبي عن مسروق قال كنت عند عائشة فقلت ألیس الله یقول « ولقد رآه بالأفق المبین ولقد رآه نزلة أخرى » فقالت أنا أول هذه الامة سأل رسول الله (ص) ، عنها فقال إنما ذاك جبریل لم یره فی صورته الی خلق علیها إلا مرتین

(١) قوله التهاویل ائی الاشیاء المختلفة الالوان والزواية علی مافی النهایة رأى جبریل ینتشر من جناحه الدر والتهاویل ، (٢) قوله الحسین هو ابن واقد مولى عبد الله بن عامر بن کریر أبو عبد الله المروزى قاضیها .

رآه منهبطا من السماء إلى الارض سادا عظم خلقه ما بين السماء والارض *

وقال البخارى حدثنا أبو نعيم حدثنا عمر بن ذر (ح) وحدثني يحيى بن جعفر حدثنا وكيع عن ابن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) جبريل ألا تزورنا أكثر مما تزورنا قال فنزلت « وما تنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا » الآية * وروى البخارى من حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال كان رسول الله (ص) أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله (ص) أجود بالخير من الريح المرساة * وقال البخارى (١) حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز آخر العصر شيئا فقال له عروة أما إن جبريل قد نزل فصلى أمام رسول الله (ص) فقال عمر أعلم ما تقول يا عروة قال سمعت بشير بن أبي مسعود يقول سمعت أبا مسعود يقول سمعت رسول الله (ص) يقول نزل جبريل فأمنى فصليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه بحسب باصابعه خمس صلوات *

ومن صفة إسرافيل عليه السلام وهو أحد حملة العرش وهو الذى ينفخ فى الصور بأمر ربه نفخات ثلاثة * أولاها نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث كما سيأتى بيانه فى موضعه من كتابنا هذا بحول الله وقوته وحسن توفيقه * والصور قرن ينفخ فيه . كل دائرة منه كما بين السماء والارض . وفيه موضع أرواح العباد حين يأمره الله بالنفخ للبعث فإذا نفخ تخرج الأرواح تتوهج فيقول الرب جل جلاله وعزتى وجلالى لترجعن كل روح إلى البدن الذى كانت تعمره فى الدنيا فتدخل على الاجساد فى قبورها فتدب فيها كما يدب السم فى اللديغ فتحي الاجساد وتنشق عنهم الاجداث فيخرجون منها سراعا إلى مقام المحشر كما سيأتى تفصيله فى موضعه

ولهذا قال رسول الله (ص) « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له * قالوا كيف تقول يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل . على الله توكلنا * رواه أحمد والترمذى من حديث عطية العوفى عن أبي سعيد الخدرى * وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن سعد الطائى عن عطية العوفى عن أبي سعيد قال ذكر رسول الله (ص) صاحب الصور فقال عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل عليهم السلام . وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا محمد بن عمر أن ابن أبي ليلى حدثني عن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس * قال بينا رسول الله (ص) ومعه جبريل بناحية إذ انشق أفق السماء فأقبل

(١) فى كتاب بدء الخلق نقلا عن (محمود الامام)

إسرافيل يدنو من الارض ويتمايل فاذا ملك قد مثل بين يدي النبي (ص) فقال يا محمد إن الله يأمرك أن تختار بين نبي عبد أو ملك نبي قال فأشار جبريل إلى يده (أن تواضع) فعرفت أنه لي ناصح فقلت عبد نبي فخرج ذلك الملك إلى السماء فقلت يا جبريل قد كنت أردت أن أسألك عن هذا فرأيت من حالك ما شغلني عن المسألة فمن هذا يا جبريل؟ فقال هذا إسرافيل عليه السلام خلقه الله يوم خلقه بين يديه صافاً قدميه لا يرفع طرفه يديه وبين الرب سبعون نوراً مامنياً من تور يكاد يدنو منه إلا احترق بين يديه لوح فاذا أذن الله في شيء من السماء أو في الارض ارتفع ذلك اللوح فضرب جبهته فينظر فإن كان من عملي أمرني به وإن كان من عمل ميكائيل أمره به وإن كان من عمل ملك الموت أمره به * قلت يا جبريل وعلى أي شيء أنت قال على الريح والجنود * قلت وعلى أي شيء ميكائيل قال على النبات والقطر قلت وعلى أي شيء ملك الموت قال على قبض الأنفس وما ظننت أنه نزل إلا لقيام الساعة وما الذي رأيت مني إلا خوفاً من قيام الساعة * هذا حديث غريب من هذا الوجه * وفي صحيح مسلم عن عائشة أن رسول الله (ص) كان إذا قام من الليل يصلي يقول اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم * وفي حديث الصور أن إسرافيل أول من يبعثه الله بعد الصعق لينفخ في الصور * وذكر محمد بن الحسن النقاش أن إسرافيل أول من سجد من الملائكة فجوزى بولاية اللوح المحفوظ * حكاه أبو القاسم السهيلي في كتابه (التعريف والاعلام) بما أبهم في القرآن من الأعلام) * وقال تعالى « من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل عطفهما على الملائكة لتسرفهما فجبريل ملك عظيم قد تقدم ذكره * وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات وهو ذو مكانة من ربه عز وجل ومن أشرف الملائكة المقربين * وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو اليمان حدثنا ابن عباس عن عمارة بن غزوة الانصاري أنه سمع حميد بن عبيد مولى بني المعلى يقول سمعت نابتا البناني يحدث عن أنس بن مالك عن رسول الله (ص) أنه قال لجبريل مالي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط فقال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار * فهؤلاء الملائكة المصرح بذكرهم في القرآن وفي الصحاح هم المذكورون في الدعاء النبوي « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل * فجبريل ينزل بالهدى على الرسل لتبليغ الأمم . وميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الارزاق في هذه الدار * وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه . يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جل جلاله . وقد روينا أنه مامن قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقررها في موضعها من الارض » واسرافيل موكل بالنفخ في الصور للقيام من القبور . والحضور يوم البعث والنشور ليفوز الشكور . ويجازى الكفور . فذاك ذنبه مغفور . وسعيه مشكور * وهذا قد صار عمله كالهباء المنثور . وهو يدعو بالويل والثبور « فجبريل عليه السلام

يحصل بما ينزل به الهدي * وميكائيل يحصل بما هو موكل به الرزق . وإسرافيل يحصل بما هو موكل به النصر والجزاء * وأما ملك الموت فليس بصرح باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح . وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل والله أعلم *

وقد قال الله تعالى « قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون » وله أعوان يستخرجون روح العبد من جسده حتى تبلغ الحلقوم فيتناولها ملك الموت بيده فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها منه فيلقوها في أكفان تليق بها كما قد بسط عند قوله « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة »

ثم يصعدون بها فان كانت صالحة فتحت لها أبواب السماء وإلا غلقت دونها وألقي بها إلى الأرض قال الله تعالى « وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين » .

وعن ابن عباس ومجاهد وغير واحد أنهم قالوا إن الأرض بين يدي ملك الموت مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقد ذكرنا أن ملائكة الموت يأتون الإنسان على حسب عمله إن كان مؤمناً أتاه ملائكة بيض الوجوه بيض الثياب طيبة الأرواح . وإن كان كافراً فبالضد من ذلك * عياذاً بالله العظيم من ذلك * وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن أبي يحيى المقرئ حدثنا عمر بن شمر قال سمعت جعفر بن محمد قال سمعت أبي يقول نظر رسول الله (ص) إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبي (ص) يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنه مؤمن فقال ملك الموت يا محمد طب نفساً وقر عيناً فاني بكل مؤمن رقيق * واعلم أن مافي الأرض بيت مدر ولا شمر في بر ولا بحر إلا وأنا أتفحصهم في كل يوم خمس مرات حتى إنني أعرف بصغيرهم وكبيرهم بأنفسهم والله يا محمد لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الأمر بقبضها . قال جعفر بن محمد بن أبي هو الصادق بلغني بتفحصهم عند مواقيت الصلاة فإذا حضر عند الموت فإذا كان من يحافظ على الصلاة دنا منه الملك ودفع عنه الشيطان ولقنه الملك (لا إله إلا الله محمد رسول الله) في تلك الحال العظيمة . هذا حديث مرسل وفيه نظر وذكرنا في حديث الصور من طريق إسماعيل بن رافع المدني القاص عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) . (الحديث) بطوله . وفيه ويأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله فإذا هم قد خدوا جاء ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول يارب قدمات أهل السموات والأرض إلا من شئت * فيقول الله وهو أعلم بمن بقي (فمن بقي) فيقول بقيت أنت الحي الذي لا يموت وبقيت حملة عرشك وبقي جبريل وميكائيل * فيقول ليمت جبريل وميكائيل فينطق الله العرش فيقول يارب يموت جبريل

وميكائيل فيقول اسكت فاني كتبت الموت على كل من كان تحت عرشي فيوتلان «ثم يأتي ملك الموت الى الجبار عزوجل فيقول يارب قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله وهو أعلم بمن تقي فمن تقي؟ فيقول بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقيت حمله عرشك وبقيت أنا فيقول الله لمت حمله عرشي . فتعوت . ويأمر الله العرش فيقبض الصور من اسرافيل ثم يأتي ملك الموت فيقول يارب قد مات حمله عرشك فيقول الله وهو أعلم بمن تقي (فمن تقي) فيقول بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقيت أنا فيقول الله أنت خلق من خلقى خلقتك لما أردت فمت فيموت فاذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد * كان آخرًا كما كان أولًا * وذكر تمام الحديث بطوله رواه الطبراني وابن جرير والبيهقي ورواه الحافظ أبو موسى المدينى فى كتاب (الطوالات) (١) وعنده زيادة غريبة وهى قوله فيقول الله له أنت خلق من خلقى خلقتك لما أردت فمت موتا لا تحيى بعده أبداه

ومن الملائكة المنصوص على أسماهم فى القرآن هاروت وماروت فى قول جماعة كثيرة من السلف * وقد ورد فى قصتهما وما كان من أمرهما آثار كثيرة غالبها إسرائيليات * وروى الامام أحمد حديثا مرفوعا عن ابن عمر وصححه ابن حبان فى تقاسيمه . وفى صحته عندى نظر والأشبه أنه موقوف على عبد الله بن عمر ويكون مما تلقاه عن كعب الأجار كما سيأتى بيانه والله أعلم * وفيه أنه تمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر * وعن على وابن عباس وابن عمر أيضا ان الزهرة كانت امرأة وأنهما لما طلبا منها ما ذكر أبت إلا أن يعدها الاسم الأعظم فعدها فقالت فارتفعت إلى السماء فصارت كوكبا * وروى الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس قال وفى ذلك الزمان امرأة حسنها فى النساء كحسن الزهرة فى سائر الكواكب . وهذا اللفظ احسن ماورد فى شأن الزهرة * ثم قيل كان أمرهما وقصتهما فى زمان إدريس * وقيل فى زمان سليمان بن داود كما حررنا ذلك فى التفسير *

وبالجملة فهو خبر إسرائيلى مرجعه الى كعب الأجار كما رواه عبد الرزاق فى تفسيره . عن الثورى عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأجار بالقصة * وهذا أصح إسنادا وأثبت رجالا والله أعلم *

ثم قد قيل إن المراد بقوله « وما أنزل على الملكين يابل هاروت وماروت » قيلان من الجان قاله ابن حزم وهذا غريب وبعيد من اللفظ * ومن الناس من قرأ وما أنزل على الملكين بالكسر ويجعلها علجين من أهل فارس . قاله الضحاك . ومن الناس من يقول هما ملكان من السماء ولكن

(١) قال فى كشف الظنون الطوالات للحافظ الكبير أبى موسى محمد بن أبى بكر عمر المدينى المتوفى

سنة ٥٨١ هـ فى مجلدين .

سبق في قدر الله لهما ما ذكره من أمرهما إن صح به الخبر ويكون حكمهما كحكم إبليس إن قيل إنه من الملائكة لكن الصحيح أنه من الجن كما سيأتي تقريره *

ومن الملائكة المسمين في الحديث منكر ونكير عليهما السلام . وقد استفاض في الأحاديث ذكرهما في سؤال القبر . وقد أوردناها عند قوله تعالى «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء» وهما فتانا القبر موكلان بسؤال الميت في قبره عن ربه ودينه ونيبه ويمتحنان البر والفاجر وهما أزرقان أفرقان لهما أنياب وأشكال مزعجة وأصوات مزعجة أجازنا الله من عذاب القبر وثبتنا بالقول الثابت آمين * وقال البخاري حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا ابن وهب حدثني يونس عن ابن شهاب حدثني عروة أن عائشة زوج النبي (ص) حدثته أنها قالت للنبي (ص) (هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد . قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فنادني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فلم على ثم قال يا محمد فقال ذلك فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبي (ص) بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا * ورواه مسلم من حديث ابن وهب به *

فَضِيلَةُ الْمَلَائِكَةِ

ثم الملائكة عليهم السلام بالنسبة إلى ما هيأهم الله له أقسام * فمنهم حملة العرش كما تقدم ذكرهم ومنهم الكر وبيون الذين هم حول العرش وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش . وهم الملائكة المقربون كما قال تعالى « لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون * ومنهم جبريل وميكائيل عليهما السلام . وقد ذكر الله عنهم أنهم يستغفرون للمؤمنين بظهر الغيب كما قال تعالى (ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم . إنك أنت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته . وذلك هو الفوز العظيم) ولما كانت سجايهم هذه السهية الطاهرة كانوا يحبون من اتصف بهذه الصفة فثبت في الحديث عن الصادق المصدوق أنه قال « إذا دعا العبد لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثل *

ومنهم سكان السموات السبع يعبرونها عبادة دائمة ليلا ونهارا صباحا ومساء كما قال « يسبحون

الليل والنهار لا يفترون * فمنهم الراكع دائماً والقائم دائماً والساجد دائماً * ومنهم الذين يتعاقبون زمرة بعد زمرة الى البيت المعمور كل يوم سبعون الفا لا يعودون اليه آخر ما عليهم * ومنهم الموكلون بالجنان وإعداد الكرامة لاهلها وتهيئة الضيافة لساكنيها من ملابس ومصاغ ومساكن وما كل ومشارب وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر *

وخازن الجنة ملك يقال له رضوان جاء مصرحاً به في بعض الأحاديث * ومنهم الموكلون بالنار وهم الزبانية * ومقدموهم تسعة عشر وخازنها مالك وهو مقدم على جميع الخزنة . وهم المذكورون في قوله تعالى (وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب) الآية . وقال تعالى « نادوا بأمالك ليقتض علينا ربك . قال انكم ما كثون لقد جنناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون » وقال تعالى (عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) وقال تعالى (عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً * كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء * وما يعلم جنود ربك الا هو)

وهم الموكلون بحفظ بني آدم كما قال تعالى « سواء منكم من أسر القول ومن جهر به . ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار * له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظون من أمر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا اراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال » قال الوالي عن ابن عباس (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) وهي الملائكة وقال عكرمة عن ابن عباس يحفظونه من أمر الله * قال ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فاذا جاء قدر الله خلوا عنه وقال مجاهد ما من عبد الا وملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام . وليس شئ يأتيه يريده الا قال وراءك الاشئ ياذن الله فيه فيصبيه . وقال أبو اسامة (١) (ما من آدمي الا ومعه ملك يذود عنه حتى يسلمه للذي قدر له . وقال أبو مجلز جاء رجل الى علي فقال ان نفرا من مراد يريدون قتلك فقال ان مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه ان الأجل جنة حصينة .

ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد كما قال تعالى « عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » وقال تعالى وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون * قال الحافظ أبو محمد

(١) وفي نسخة أبو امامة .

عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي في تفسيره حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع حدثنا
سفيان ومسر عن علقمة بن يزيد عن مجاهد قال قال رسول الله (ص)، أكرموا الكرام الكاتبين
الذين لا يفارقونكم الا عند احدى حالتين الجنابة والغائط فاذا اغتسل أحدكم فليستر بجذم حائط أو
بعيره أو يستره أخوه * هذا مرسل من هذا الوجه وقد وصله البزار في مسنده من طريق جعفر بن
سليمان * وفيه كلام عن علقمة عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص)، ان الله ينهاكم
عن التعري فاستحيوا من الله والذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم الا عند احدى
ثلاث حالات الغائط والجنابة والغسل . فاذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستر بثوبه أو بجذم حائط أو بعيره .
ومعنى اكرامهم أن يستحي منهم فلا يملى عليهم الاعمال القبيحة التي يكتبونها فان الله خلقهم كراما في
خلقهم وأخلاقهم * ومن كرمهم أنه قد ثبت في الحديث المروي في الصحاح والسنن والمسانيد من
حديث جماعة من الصحابة عن رسول الله (ص) أنه قال لا يدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا
جنب . وفي رواية عن عاصم بن ضمرة عن علي (ولا بول) وفي رواية رافع عن أبي سعيد مرفوعا
لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا تمثال . وفي رواية مجاهد عن أبي هريرة مرفوعا لا تدخل الملائكة بيتا
فيه كلب أو تمثال . وفي رواية ذكر ان أبي صالح السمان عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) لا تصحب
الملائكة رقعة معهم كلب أو جرس . ورواه زرارة بن أوفى عنه لا تصحب الملائكة رقعة معهم جرس *
وقال البزار حدثنا اسحاق بن سليمان البغدادي المعروف بالقولوس . حدثنا بيان بن حمران حدثنا
سلام عن منصور بن زاذان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) ان ملائكة
الله يعرفون بني آدم (وأحسبه قال) ويعرفون أعمالهم فاذا نظروا الى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه
بينهم وسموه وقالوا أفلح الليلة فلان نجما الليلة فلان . واذا نظروا الى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه
بينهم وسموه . وقالوا هلك فلان الليلة * ثم قال سلام أحسبه سلام المدائني وهو لين الحديث . وقد قال
البخاري حدثنا ابو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله
(ص) الملائكة يتعاقبون ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويحتمون في صلاة الفجر وصلاة العصر . ثم يخرج
اليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم فيقول كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون . وأتيناهم وهم
يصلون * هذا اللفظ في كتاب بدء الخلق بهذا السياق وهذا اللفظ تفرد به دون مسلم من هذا
الوجه * وقد أخرجاه في الصحيحين في البدء من حديث مالك عن أبي الزناد به * وقال البزار حدثنا
زياد بن أيوب حدثنا بشر بن إسماعيل الحلبي حدثنا تمام بن نجيح عن الحسن يعني البصري عن أنس
قال قال رسول الله (ص) ما من حافظين يرفعان الى الله عز وجل ما حفظا في يوم فيرى في أول الصحيفة
وفي آخرها استغفارا الا قال الله غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة * ثم قال تفرد به تمام بن نجيح

وهو صالح الحديث * قلت وقد وثقه ابن معين وضمفه البخارى وأبو خاتم وأبو زرعة والنسائى وابن عدى ورواه ابن حبان بالوضع وقال الامام أحمد لأعرف حقيقة أمره والمقصود أن كل انسان له حافظان ملكان اثنان واحد من بين يديه وآخر من خلفه يحفظانه من أمر الله بأمر الله عز وجل * وملكان كاتبان عن يمينه وعن شماله وكاتب اليمين أمير على كاتب الشمال . كما ذكرنا ذلك عند قوله تعالى « عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد »

فأما الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا أسود ابن عامر * حدثنا سفيان . حدثنا منصور عن سالم بن أبى الجعد عن أبيه عن عبد الله هو ابن مسعود قال قال رسول الله (ص) . ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياى ولكن الله أعاننى عليه فلا يأمرنى الا بخير . انفرد باخراجه مسلم من حديث منصور به فيحتمل أن هذا القرين من الملائكة غير القرين بحفظ الانسان وانما هو موكل به ليهديه ويرشده باذن ربه الى سبيل الخير وطريق الرشاد كما أنه قد وكل به القرين من الشياطين لايألوذ جهداً فى الخبال والاضلال . والمعصوم من عصمه الله عز وجل وبالله المستعان *

وقال البخارى حدثنا أحمد بن يونس حدثنا ابراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن أبى سلمة بن عبد الرحمن والاعرج عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) ، اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاءوا يسمعون الذكر وهكذا رواه منفردا به من هذا الوجه وهو فى الصحيحين من وجه آخر * وقد قال الله تعالى « وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » * وقال الامام أحمد حدثنا أسباط حدثنا الأعمش عن ابراهيم عن ابن مسعود عن النبي (ص) * وحدثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبي (ص) ، فى قوله « وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » قال تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار * ورواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث أسباط * وقال الترمذى حسن صحيح * قلت وهو منقطع *

وقال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن أبى سلمة وسعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبي (ص) * قال فضل صلاة الجمع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة . ويجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر . يقول أبو هريرة لأقرؤا ان شقم « وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » وقال البخارى حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) ، اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فأبت فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح * تابعه شعبة وأبو حمزة وأبو داود وأبو معاوية عن

الأعمش . وثبت في الصحيحين أن رسول الله (ص) قال إذا أمن الامام فأمنوا فان من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه * وفي صحيح البخارى حدثنا اسماعيل بلفظ اذا قال الامام آمين فان الملائكة تقول في السماء آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه * وفي صحيح البخارى حدثنا اسماعيل حدثني مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال اذا قال الامام سمع الله لمن حمده فقولوا (اللهم ربنا ولك الحمد) فان من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه . ورواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من حديث مالك * وقال الامام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد هوشك (يعنى الاعمش) قال قال رسول الله (ص) بن الله ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا اقواما يذكرون الله فنادوا هادوا الى بغيتم فيجيئونهم الى السماء الدنيا فيقول الله أى شئ تركتم عبادى يصنعون فيقولون تركناهم بحمدونك وبمجدونك ويزكرونك فيقول وهل رأوني فيقولون لا فيقول كيف لورأوني فيقولون لورأوك لكانوا أشد تحميذا وتمجيذا وذكرا * قال فيقول فأى شئ يطلبون فيقولون يطلبون الجنة فيقول وهل رأوها فيقولون لا فيقول وكيف لورأوها فيقولون لورأوها لكانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا قال فيقول من أى يتعوذون فيقولون من النار فيقول وهل رأوها فيقولون لا فيقول فكيف لورأوها فيقولون لورأوها كانوا أشد منها هربا وأشد منها خوفا . قال فيقول اشهدكم أنى قد غفرت لهم . قال فيقول ان فيهم فلانا الخطاء لم يردم وإنما جاء حاجة فيقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم * وهكذا رواه البخارى عن قتبية عن جرير بن عبد الحميد عن الأعمش به . وقال رواه شعبة عن الأعمش ولم يرفعه . ورفعه سهيل عن أبيه . وقد رواه أحمد عن عفان عن وهيب عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه كما ذكره البخارى معلقا عن سهيل . ورواه مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز بن أسد عن وهب به . وقد رواه الامام أحمد أيضا عن غندر عن شعبة عن سليمان (هو الاعمش) عن أبي صالح عن أبي هريرة كما أشار اليه البخارى رحمه الله * وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية . حدثنا الاعمش وابن نمير * أخبرنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة * ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة . والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . ومن سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له به طريقا الى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحققهم الملائكة وذكروا الله فيمن عنده * ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه * * وكذا رواه مسلم من حديث أبي معاوية * وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أبي اسحاق عن الأغر (أبي مسلم) عن

أبي هريرة وأبي سعيد عن رسول الله (ص). قال ما اجتمع قوم يذكرون الله الا حتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده * وكذا رواه أيضا من حديث إسرائيل وسفيان الثوري وشعبة عن أبي اسحاق به نحوه * ورواه مسلم من حديث شعبة والترمذي من حديث الثوري وقال حسن صحيح * ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن ابي شيبة عن يحيى بن آدم عن عمار بن زريق عن أبي اسحاق باسناد نحوه * وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة * وفي مسند الامام أحمد والسنن عن أبي الدرداء مرفوعا (وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع) أي تواضع له كما قال تعالى « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » وقال تعالى « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله ابن مسعود أن رسول الله (ص) قال إن لله ملائكة سياحين في الارض ليبلغوني عن امتي السلام * وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري وسليمان الاعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب به * وقال الامام أحمد . حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وصف لكم * وهكذا رواه مسلم عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به . والأحاديث في ذكر الملائكة كثيرة جدا * وقد ذكرنا ما يسره الله تعالى وله الحمد *

فَضْلُ الْمَلَائِكَةِ

وقد اختلف الناس في تفضيل الملائكة على البشر على أقوال . فاكثر ما توجد هذه المسئلة في كتب المتكلمين واختلف فيها مع المعتزلة ومن وافقهم وأقدم كلام رأيت في هذه المسئلة ما ذكره الحافظ بن عساكر في تاريخه في ترجمة أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص انه حضر مجلسا لعمر بن عبد العزيز وعنده جماعة فقال عمر ما أحد أكرم على الله من كريم بنى آدم . واستدل بقوله تعالى « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » ووافق على ذلك أمية بن عمرو بن سعيد فقال عراك ابن مالك ما أحد أكرم على الله من ملائكته هم خدمة داريه ورسله الى أنبيائه . واستدل بقوله تعالى « ما لها كما ربكنا عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين » فقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي ما تقول أنت يا أبا حمزة * فقال قد أكرم الله آدم فخلق يده وفتح فيه من روحه وأسجد له الملائكة وجعل من ذريته الأنبياء والرسول ومن يزوره الملائكة * فوافق عمر بن عبد العزيز في الحكم واستدل بغير دليله * وأضعف دلالة ما صرح به من الآية وهو قوله « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات » مضمونه أنها ليست بمخاصة بالبشر * فان الله قد وصف الملائكة بالايمان في

قوله « ويؤمنون به » وكذلك الجن « وانلما سمعنا الهدى آمنابه » « وانلما المسلمون » قلت وأحسن ما يستدل به في هذه المسئلة ما رواه عثمان بن سعيد الدارمي عن عبد الله بن عمرو مرفوعا وهو أصح قال لما خلق الله الجنة قالت الملائكة يا ربنا اجعل لنا هذنا نأكل منها ونشرب فانك خلقت الدنيا لبني آدم فقال الله لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كن قلت له كن فكان*

باب غلوة الجن وقصة الشيطان

قال الله تعالى « خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجن من نار قباى الآلاء بكلمات كذبان » وقال تعالى « ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون . والجن خلقناه من قبل من نار السموم » وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وغير واحد (من نار) قالوا من طرف الاله وفي رواية من خالصه وأحسنه* وقد ذكرنا آفا من طريق الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وصف لكم رواد مسلم* قال كثير من علماء التفسير خلقت الجن قبل آدم عليه السلام وكان قبلهم في الأرض الجن والبن فسلط الله الجن عليهم قتلهم وأجلهم عنها وأبادهم منها وسكنوها بعدهم . وذكر السدي في تفسيره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله (ص) لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل ابليس على ملك الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم خزان الجنة . وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقع في صدره انما أعطاني الله هذا لمزية لي على الملائكة . وذكر الضحاك عن ابن عباس أن الجن لما أفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء بمش الله اليهم ابليس ومعه جند من الملائكة قتلهم وأجلهم عن الأرض الى جزائر البحور* وقال محمد بن إسحاق عن خلاد عن عطاء عن طاوس عن ابن عباس كان اسم ابليس قبل أن يرتكب المعصية عزازيل . وكان من سكان الأرض ومن أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما وكان من حى يقال لهم الجن* وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير عنه كان اسمه عزازيل وكان من أشرف الملائكة من أولى الاجنحة الاربعة* وقد أسند عن حجاج عن ابن جريح قال ابن عباس كان ابليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة* وكان خازنا على الجنان وكان له سلطان سماء الدنيا . وكان له سلطان الأرض* وقال صالح مولى التوأمة عن ابن عباس كان يسوس ما بين السماء والأرض رواه ابن جرير وقال قتادة عن سعيد بن المسيب كان ابليس رئيس ملائكة سماء الدنيا* وقال الحسن البصرى لم يكن من الملائكة طرفة عين وانه لأصل الجن كما أن آدم أصل البشر* وقال شهر ابن حوشب وغيره كان ابليس من الجن الذين طردوهم الملائكة فأسره بعضهم وذهب به الى السماء . رواه ابن جرير* قالوا فلما

أراد الله خلق آدم ليكون في الارض هو وذريته من بعده وصور جسده منها جعل ابليس وهو رئيس الجن وأكثرهم عبادة اذ ذاك وكان اسمه عزازيل يطيف به فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك * وقال أمالئن سلطت عليك لاهلكنك ولئن سلطت علي لأعصينك فلما أن نفخ الله في آدم من روحه كما سيأتي وأمر الملائكة بالسجود له دخل ابليس منه حسد عظيم وامتنع من السجود له وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين مخالف الأمر واعترض على الرب عز وجل وأخطأ في قوله وابتعد من رحمة ربه وأنزل من مرتبته التي كان قد نالها بعبادته وكان قد تشبه بالملائكة ولم يكن من جنسهم لانه مخلوق من نار وهم من نور فخانه طبعه في أحوج ما كان اليه ورجع الى أصله الناري (فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين » وقال تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفنتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا)

فأهبط ابليس من الملائكة الأعلى وحرّم عليه قدر أن يسكنه فقل الى الارض حقيرا ذليلا مذموما مدحورا متوعدا بالنار هو ومن اتبعه من الجن والانس الا انه مع ذلك جاهد كل الجهد على اضلال بني آدم بكل طريق وبكل مرصد كما قال (أرأيتك هذا الذي كرمت على نثن آخرتن الى يوم القيامة لا تحنكن ذريته الا قليلا. قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والأولاد وعدم وما يعدم الشيطان إلا غرورا. إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكلا)

وسند كذا القصة مستفاضة عند ذكر خلق آدم عليه السلام * والمقصود أن الجن خلقوا من النار وهم كبنى آدم يأكلون ويشربون ويتناسلون * ومنهم المؤمنون ومنهم الكافرون كما أخبر تعالى عنهم في صورة الجن في قوله تعالى (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم * يا قومنا أجيئوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب اليم * ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين) وقال تعالى (قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشدا فامنا به ولن نشرك بربنا أحدا . وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا . وانه كان يقول سفيها على الله شططا . وأن ظننا أن لن نقول الانس والجن على الله كذبا . وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا . وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا * وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا . وأنا كنا نعد منها مقاعد للسمع فن يستمع الآن يجد له شهابا

رصدنا . وانا لاندرى اشر اريد بمن فى الارض أم اراد بهم ربهم رشدا * وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا * وانا ظننا ان لن نعجز الله فى الارض ولن نعجزه هربا . وانا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا . وانا منا المسلمون ومنا القاسطون . فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا * وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً . وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنتنهم فيه . ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعبا وقد ذكرنا تفسير هذه السورة وتامم القصة فى آخر سورة الاحقاف * وذكرنا الاحاديث المتعلقة بذلك هنالك * وأن هؤلاء النفر كانوا من جن (نصيبين) وفى بعض الآثار من جن (بصرى) وأنهم مروا برسول الله (ص) . وهو قائم يصلى بصحابه بيطن نخلة من أرض مكة فوقفوا فاستمعوا لقراءته . ثم اجتمع بهم النبي (ص) ليلة كاملة فسألوه عن أشياء أمرهم بها ونهاهم عنها وسألوه الزاد فقال لهم (كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أو فرما يكون لما وكل روثه علف لدوابكم) ونهى النبي (ص) أن يستنجى بهما وقال (إنهما زاد إخوانكم) الجن . ونهى عن البول فى السرب لأنها مساكن الجن . وقرأ عليهم رسول الله (ص) سورة الرحمن فما جعل يمر فيها بآية (فبأى آلاء ربكما تكذبان) الا قالوا ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد . وقد أثنى عليهم النبي (ص) فى ذلك لما قرأ هذه السورة على الناس فسكتوا . فقال (الجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت عليهم فبأى آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد) . رواه الترمذى عن جبير وابن جرير والبخارى عن ابن عمر *

وقد اختلف فى مؤمنى الجن هل يدخلون الجنة أو يكون جزاء طائفتهم ان لا يندب بالنار فقط . على قولين الصحيح أنهم يدخلون الجنة لعموم القرآن * ولعموم قوله تعالى « ولئن خاف مقام ربه جنتان . فبأى آلاء ربكما تكذبان » فامتن تعالى عليهم بذلك فلولا أنهم ينالونه لما ذكره وعده عليهم من النعم * وهذا وحده دليل مستقل كاف فى المسئلة وحده والله أعلم *

وقال البخارى حدثنا قتيبة عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة عن أبيه أن أبى سعيد الخدرى قال له (إنى أراك تحب الغنم والبادية فاذا كنت فى غنمك وباديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فانه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة) * قال أبو سعيد سمعته من رسول الله (ص) * انفرد به البخارى دون مسلم *

وأما كافرو الجن فمنهم الشياطين ومقدمهم الأكبر إبليس عدو آدم أبى البشر وقد سلطه هو وذريته على آدم وذريته . وتكفل الله عز وجل بعصمة من آمن به وصدق رسله واتبع شرعه منهم . كما قال « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً » وقال تعالى « ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين . وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها

في شك وربك على كل شيء حفيظ» وقال تعالى (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون)

وقال (واذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين قال يا إبليس مالك أن لا تكون من الساجدين قال لم أكن لاسجد لبشر خلقتة من صلصال من حمأ مسنون قال فأخرج منها فاذك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين . قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون . قال فانك من المنظرين . الى يوم الوقت المعلوم . قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين . الا عبادك المخلصين قال هذا صراط على مستقيم . ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين . وان جهنم لم وعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم)

وقد ذكر تعالى هذه القصة في سورة البقرة وفي الاعراف وهمنا وفي سورة سبحان وفي سورة طه وفي سورة ص * وقد تكلمنا على ذلك كاه في مواضعه في كتابنا التفسير والله الحمد * وسنوردها في قصة آدم إن شاء الله * والمقصود أن إبليس أنظره الله الى يوم القيامة محنة لمبادده واختبارا منه لهم كما قال تعالى (وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك . وربك على كل شيء حفيظ) * وقال تعالى (وقال الشيطان لما قضى الامر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم * وأدخل الذين آمنوا و عملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام) *

فإبليس لعنه الله حتى الآن منظر الى يوم القيامة بنص القرآن * وله عرش على وجه البحر وهو جالس عليه ويبعث سراياه يلقون بين الناس الشر والفتن * وقد قال الله تعالى (إن كيد الشيطان كان ضعيفا وكان اسمه قبل مصيته العظيمة عزازيل * قال النقاش وكنيته (أبو كردوس) ولهذا لما قال النبي (ص) لابن صياد ما ترى قال أرى عرشا على الماء . فقال له النبي (ص) (أخسا فلن تعدو قدرك) فعرف أن مادة كاشفته التي كاشفه بها شيطانية مستمدة من إبليس الذي هو يشاهد عرشه على البحر * ولهذا قال له أخسا فلن تعدو قدرك أى لن تجاوز قيمتك الدنية الخسيسة الحقيرة *

والدليل على أن عرش إبليس على البحر الذي رواه الامام احمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثني معاذ التميمي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص) (عرش إبليس في البحر يبعث

سراياه في كل يوم يفتنون الناس فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة للناس « ورواه (١) وقال أحمد حدثنا روح حدثنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله (ص) يقول (عرش إبليس على البحر يبعث سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة) تفرد به من هذا الوجه *

وقال أحمد حدثنا مؤمل حدثنا حماد حدثنا علي بن زيد عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص) لابن صائد (ما ترى . قال أرى عرشا على الماء أو قال على البحر حوله حيات) قال (ص) ذلك عرش إبليس * هكذا رواه في مسند جابر *

وقال في مسند أبي سعيد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أنبأنا علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله (ص) قال لابن صائد (ما ترى قال أرى عرشا على البحر حوله الحيات) فقال رسول الله (ص) صدق ذلك عرش إبليس *

وروى الامام أحمد من طريق معاذ التميمي وأبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص) إن الشيطان قد يئس أن يعبد المصلون ولكن في التحريش (٢) بينهم * وروى الامام مسلم من حديث الأعمش عن أبي سفيان طلحة بن نافع عن جابر عن النبي (ص) قال «إن الشيطان يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه في الناس فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة . يجي أحدهم فيقول ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا . فيقول إبليس لا والله ما صنعت شيئا . ويجي أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله . قال فيقر به ويدنيه ويقول نعم أنت . يروى بفتح النون بمعنى نعم أنت ذلك الذي تستحق الاكرام . وبكسر ها أي نعم منك * وقد استدل به بعض النحاة على جواز كون فاعل نعم مضمرا وهو قليل * واختار شيخنا الحافظ أبو الحجاج الاول ورجحه ووجهه بما ذكرناه والله اعلم وقد أوردنا هذا الحديث عند قوله تعالى « ما يفرقون به بين المرء وزوجه » يعني أن السحر المتلقى عن الشياطين من الانس والجن يتوصل به الى التفرقة بين المتآلفين غاية التآلف المتوادين المتحابين ولهذا يشكر إبليس سعي من كان السبب في ذلك . فالذي ذمه الله يمدحه والذي يغضب الله يرضيه عليه لعنة الله * وقد أنزل الله عز وجل سورتي المعوذتين مطردة لأنواع الشر وأسبابه وغاياته . ولا سيما سورة « قل أعوذ برب الناس ملك الناس له الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس » . وثبت في الصحيحين عن أنس . وفي صحيح البخاري عن صفية بنت حسين أن رسول الله (ص) قال « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » *

(١) بياض بالاصلين مقداره ما ترى (٢) قوله في التحرش متعلق بمقدر أي سعي بينهم في التحريش

بالخصومات والشحناء والحروب

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا محمد بن جبير حدثنا عدى بن أبي عمارة حدثنا زياد النخعي عن أنس قال قال رسول الله (ص)، « إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وإن نسي التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس * ولما كان ذكر الله مطردة للشيطان عن القلب كان فيه تذكير للناس كما قال تعالى « واذكر ربك إذا نسيت » وقال صاحب موسى « وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره » وقال تعالى « فأنساه الشيطان ذكر ربه » يعني الساقى لما قال له يوسف اذكرني عند ربك نسي الساقى أن يذكره لربه يعني مولاه الملك. وكان هذا النسيان من الشيطان فلبث يوسف في السجن بضع سنين * ولهذا قال بعده « وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة » أى مدة * وقرئ بعد أمة أى نسيان. وهذا الذى قلنا من أن الناسى هو الساقى هو الصواب من القولين كما قررناه فى التفسير والله أعلم

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف رسول الله (ص)، قال عثر بالنبي (ص)، حمارة فقلت نفس الشيطان فقال النبي (ص)، (لا تقل نفس الشيطان فانك إذا قلت نفس الشيطان تعاضم وقال بهوتى صرعته وإذا قلت بسم الله تصغر حتى يصير مثل الذباب) * تفرد به أحمد وهو إسناد جيد * وقال أحمد حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا الضحاك بن عثمان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، (إن أحدم إذا كان فى المسجد جاء الشيطان فأيس به كما يئس الرجل بدابته فإذا سكن له زقه أو ألجه * قال أبو هريرة وأتم ترون ذلك. أما المزنوق فتراه مائلا كذا لا يذكر إلا الله * وأما الملجم ففأضح فاه لا يذكر الله عز وجل تفرد به أحمد * وقال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا ثور يعني ابن يزيد عن مكحول عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، « العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم » * وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن ذر بن عبد الله الهمداني عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال (جاء رجل الى النبي (ص)، فقال يا رسول الله إني أحدث نفسي بالشئ لأن آخر من السماء أحب الى من أن أتكلم به) فقال النبي (ص)، « الله أكبر الحمد لله الذى رد كيده الى الوسوسة » * ورواه أبو داود والنسائي من حديث منصور زاد النسائي والأعمش كلاهما عن أبي ذر به *

وقال البخارى حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عروة قال قال أبو هريرة قال رسول الله (ص)، « يأتي الشيطان أحدم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله وليذته * وهكذا رواه مسلم من حديث الليث ومن حديث الزهري وهشام بن عروة كلاهما عن عروة به * وقد قال الله تعالى « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » وقال تعالى « وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون » وقال تعالى « وإما ينزغتك من الشيطان نزع فاستعذ بالله انه سميع عليم » وقال تعالى

(فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) . وروى الامام أحمد وأهل السنن من حديث أبي المتوكل عن أبي سعيد قال كان رسول الله (ص) يقول (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه) . وجاء مثله من رواية جبير بن مطعم وعبد الله بن مسعود وأبي أسامة الباهلي . وتفسيره في الحديث (فهمزه المومة وهو الخلق الذي هو الصرع . ونفخه الكبر . ونفثه الشعر) وثبت في الصحيحين عن أنس أن رسول الله (ص) كان إذا دخل الخلاء قال «أعوذ بالله من الخبث والخبائث» قال كثير من العلماء استعاذ من ذكر ان الشياطين وإنهم * وروى الامام أحمد عن شرح عن عيسى بن يونس عن ثور عن الحسين عن ابن سعد الخير وكان من اصحاب عمر عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) (ومن أتى الفأط فليستتر فان لم يجد الا أن يجمع كتيبا فليستدبره فان الشيطان يلعب بمقاعد بني آدم من فعل فقد أحسن ومن لافلا حرج) . * ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث ثور بن يزيد به . وقال البخاري حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن عدي بن ثابت قال قال سليمان بن سرد استب رجلان عند النبي (ص) ونحن عنده جلوس فأحدهما يسب صاحبه مفضبا قد احمر وجهه فقال النبي (ص) (إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد . لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فقالوا للرجل ألا تسمع ما يقول النبي (ص) . فقال إني لست بمجنون . ورواه أيضا مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن الاعمش *

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال (لا يأكل أحدكم بشماله ولا يشرب بشماله فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله) * وهذا على شرط الصحيحين بهذا الاسناد وهو في الصحيح من غير هذا الوجه *

وروى الامام أحمد من حديث إسماعيل بن أبي حكيم عن عروة عن عائشة عن رسول الله (ص) أنه قال (من أكل بشماله أكل معه الشيطان ومن شرب بشماله شرب معه الشيطان) * وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر أنبأنا شعبة عن أبي زياد الطحان سمعت أبا هريرة يقول عن النبي (ص) أنه رأى رجلا يشرب قائما فقال له (قه) قال لم . قال (أيسرك أن يشرب معك الهر . قال لا قال) فانه قد شرب معك من هو شر منه الشيطان * تفرد به احمد من هذا الوجه . وقال أيضا حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن رجل عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) (لو يعلم الذي يشرب وهو قائم ما في بطنه لاستقاء) قال وحدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي (ص) . بمثل حديث الزهري * وقال الامام أحمد حدثنا موسى حدثنا ابن لهيعة عن ابن الزبير أنه سأل جابراً

سمعت النبي (١) (ص) قال (إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله حين يدخل وحين يطعم قال الشيطان لاميت لكم ولا عشاء ههنا. وان دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله قال أدركتم الميت. وان لم يذكر اسم الله عند طعامه قال أدركتم الميت والعشاء. قال نعم * وقال البخاري حدثنا محمد حدثنا عبدة حدثنا محمد عن هشام بن عروة عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص) « إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى يبرز وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى يغيب ولا تحينوا بصلواتكم طلوع الشمس ولا غروبها فانها تطلع بين قرني الشيطان » أو (الشياطين) لأدري أي ذلك قال هشام * ورواه مسلم والنسائي من حديث هشام به * وقال البخاري حدثنا عبد الله بن مسleme عن مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال رأيت رسول الله (ص) يشير إلى المشرق فقال « هاإن الفتنة ههنا إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان » * هكذا رواه البخاري منفردا به من هذا الوجه * وفي السنن أن رسول الله (ص) نهى أن يجلس بين الشمس والظل. وقال إنه مجلس الشيطان؛ وقد ذكرنا في هذا معاني. من أحسنها أنه لما كان الجلوس في مثل هذا الموضع فيه تشويه بانطاقة فيما يرى كان يحبه الشيطان لان خلقته في نفسه مشوه وهذا مستقر في الاذهان. ولهذا قال تعالى (طاعها كأنه رؤس الشياطين) الصحيح أنهم الشياطين لا ضرب من الحيات كما زعمه من المفسرين والله أعلم * فان النفوس مغرور فيها قبح الشياطين وحسن خلق الملائكة وان لم يشاؤا. ولهذا قال تعالى « طاعها كأنه رؤس الشياطين » وقال النسوة لما شاهدن جمال يوسف (حاش لله ما هذا بشرا إن هذا الا ملك كريم). وقال البخاري حدثنا يحيى بن جعفر حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري حدثنا ابن جريج اخبرني عطاء عن جابر عن النبي (ص) قال (إذا استجنح) أو (كان جنح الليل) فكفوا صديانكم فان الشياطين تنتشر حينئذ فاذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم (٢) وأغلق بابك واذكر اسم الله وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله وأوك سقاءك واذكر اسم الله وخر إناك واذكر اسم الله ولو تعرض عليه شيئا » ورواه أحمد عن يحيى عن ابن جريج وعنده فان الشيطان لا يفتح مغلقتا. وقال الامام احمد حدثنا وكيع عن قط (٣) عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله (ص) « أغلقوا أبوابكم وخرؤا آنتكم وأوكوا أسقيتكم وأطفؤا سرجكم فان الشيطان لا يفتح بابا مغلقا ولا يكشف غطاء ولا يحمل وكاء وان الفويسقة تضرم البيت على أهله يعني الفأرة. وقال البخاري حدثنا آدم حدثنا شعبة عن منصور عن سالم بن ابى الجعد عن كريب عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) « لو أن احدكم اذا أراد أن يأتي

(١) قوله سمعت النبي الخ بفتح التاء وهو استفهام من جابر عن الحديث الآتي فهو بيان لسؤال ابن الزبير جابراً. وجوابه قوله الآتي نعم (٢) المراد من الحل بالخاء المهملة المفتوحة اخلاء سبيلهم (٣) قوله عن قط كذا بالاصول وليس من الروات من تسمى هذا

أهله قال اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتني فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان ولم يسلط عليه . « وحدثنا الأعمش عن سالم عن كريب عن ابن عباس مثله *

ورواه أيضا عن موسى بن إسماعيل عن همام عن منصور عن سالم عن كريب عن ابن عباس عن النبي (ص) قال (أما لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فرزقا ولدا لم يضره الشيطان) * وقال البخاري حدثنا إسماعيل حدثنا أخي عن سليمان عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد . يضرب على كل عقدة مكأها» عليك ليل طويل فارقد «فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة . فان توضأ انحلت عقدة . فان صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » هكذا رواه منفردا به من هذا الوجه . وقال البخاري حدثنا إبراهيم عن حمزة حدثني ابن أبي حازم عن يزيد يعني ابن الهادي عن محمد بن إبراهيم عن عيسى بن طلحة عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثا فان الشيطان يبيت على خيشومه) ورواه مسلم عن بشر بن الحكم عن الدراوردي . والنسائي عن محمد بن زبور عن عبد العزيز بن أبي حازم كلاهما عن يزيد بن الهادي به * وقال البخاري حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال «ذكر عند النبي (ص) رجل نام ليده ثم أصبح قال ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه » أو قال (في أذنه) *

ورواه مسلم عن عثمان واسحاق كلاهما عن جرير به . واخرجه البخاري أيضا والنسائي وابن ماجه من حديث منصور بن المعتمر به . وقال البخاري حدثنا محمد بن يوسف أنبأنا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) «إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط فاذا قضى اقبل فاذا ثوب بها ادبر فاذا قضى اقبل حتى يخطر بين الانسان وقلبه . فيقول اذكر كذا وكذا حتى لا يدري أثلاثا صلى أم أربعا فاذا لم يدرك أثلاثا صلى أم أربعا سجد سجدتي السهو» هكذا رواه منفردا به من هذا الوجه . وقال احمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا جعفر يعني الأحمر عن عطاء بن السائب عن أنس قال قال رسول الله (ص) «راصوا الصفوف فان الشيطان يقوم في الخلل » وقال احمد حدثنا ابان حدثنا قتادة عن أنس بن مالك أن النبي (ص) كان يقول راصوا الصفوف وقاربوا بينها وحاذوا بين الأعناق فوالذي نفس محمد بيده إني لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنه الخذف * وقال البخاري حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا يونس عن حميد بن هلال عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله (ص) «إذا مر بين يدي أحدكم شيء فليمنه فان أبي فليمنه فان أبي فليقاتله فانما هو شيطان» ورواه أيضا مسلم وأبو داود من حديث سليمان بن المغيرة عن

حميد بن هلال به * وقال الامام أحمد حدثنا أبو أحمد حدثنا بشير بن معبد حدثنا أبو عبيد حاجب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائماً يصلي فذهبت أمرت بين يديه فردني * ثم قال حدثني أبو سعيد الخدري أن رسول الله (ص) قام يصلي صلاة الصبح وهو خائفه يقرأ فالتبست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال « لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين الإبهام والتي تليها ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل * وروى أبو داود منه فمن استطاع الى آخره عن أحمد بن أبي سريج عن أبي أحمد محمد بن عبد الله بن محمد بن الزبير به .

وقال البخاري حدثنا محمود حدثنا شبابة حدثنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي (ص) « أنه صلى صلاة فقال ان الشيطان عرض لي فسد علي لقطع الصلاة علي فامكنني الله منه » فذكر الحديث * وقد رواد مسلم والنسائي من حديث شعبة به مطولاً *

ولفظ البخاري عند تفسير قوله تعالى اخباراً عن سليمان عليه السلام أنه قال « رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي انك أنت الوهاب » من حديث روح وغندر عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (إن عفريتاً من الجن تفلت على البارحة) أو كلمة نحوها ليقطع علي الصلاة فامكنني الله منه فاردت أن أربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا اليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان (رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي انك أنت الوهاب) قال روح فردده خاسئاً * وروى مسلم من حديث أبي إدريس عن أبي الدرداء قال قام رسول الله (ص) يصلي فسمعناه يقول (اعوذ بالله منك) ثم قال (العنك بلعنة الله ثلاثاً وبسط يده كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك فقال إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجمهه في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات . ثم قلت العنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثم أردت أخذه والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موقفاً بلعب به ولدان أهل المدينة . وقال تعالى (فلا تترنم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) يعني الشيطان وقال تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير) فالشيطان لا يألو الانسان خبالاً جهده وطاقته في جميع أحواله وحركاته وسكنانه كما صنف الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا كتاباً في ذلك سماه (مصائد الشيطان) وفيه فوائد جمة وفي سنن أبي داود إن رسول الله (ص) كان يقول في دعائه . وأعوذ بك ان يتخبطني الشيطان عند الموت . وروينا في بعض الاخبار أنه قال (يارب وعزك وجلالك لا أزال أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الله تعالى وعزتي وجلالي ولا أزال أغفر لهم ما استغفروني) وقال الله تعالى (الشيطان

يعدكم القمير ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم (فوعده الله هو الحق المصدق ووعد الشيطان هو الباطل . وقد روى الترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه وابن أبى حاتم فى تفسيره من حديث عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود قال قال رسول الله (ص) ان لا شيطان للآدم وللملك لمة . فأما لمة الشيطان فأيعاد بالشر وتكذيب بالحق . وأما لمة الملك فأيعاد بالخير وتصديق بالحق . فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله . ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ « الشيطان يعدكم القمير ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم » * وقد ذكرنا فى فضل سورة البقرة أن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه . وذكرنا فى فضل آية الكرسي أن من قرأها فى ليلة لا يتربه الشيطان حتى يصبح . وقال البخارى حدثنا عبد الله بن يوسف أنانا مالك عن سمي عن أبى صالح عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال (من قال لا إله الا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا رجل عمل أكثر من ذلك . وأخرجه مسلم والترمذى وابن ماجه من حديث مالك . وقال الترمذى حسن صحيح .

وقال البخارى أنبأنا أبو اليان أنبأنا شبيب عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال قال (ص) كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبيه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن فى الحجاب . ثم رد به من هذا الوجه . وقال البخارى حدثنا عاصم بن على حدثنا بن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة عن النبي (ص) قال « الثناؤب من الشيطان فاذا ثنأب أحدكم فليردد ما استطاع فان أحدكم اذا قال (ها) ضحك الشيطان » . ورواه أحمد وأبو داود والترمذى وصححه النسائى من حديث ابن أبى ذئب به * وفى لفظ (اذا ثنأب أحدكم فليكنظم ما استطاع فان الشيطان يدخل) وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) « إن الله يحب العطاس ويغض أو يكره الثناؤب فاذا قال أحدكم هاها فانما ذلك الشيطان يضحك من جوفه . ورواه الترمذى والنسائى من حديث محمد بن عجلان به . وقال البخارى حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاحوص عن أشعث عن أبيه عن مسروق قال قالت عائشة سألت النبي (ص) عن التفات الرجل فى الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة أحدكم . وكذا رواه أبو داود والنسائى من رواية أشعث بن أبى الشعثاء سليم بن أسود المحاربي عن أبيه عن مسروق به *

وروى البخارى من حديث الاوزاعى عن يحيى بن أبى كثير حدثنى عبد الله بن أبى قتادة عن

أبيه قال قال رسول الله (ص)، « الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فاذا حلم أحدكم حلما بخافه فليصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فاتها لا تضره ». وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، « لا يشيرن أحدكم الى أخيه بالسلاح فانه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان أن ينزع في يده فيقع في حفرة من النار ». أخرجاه من حديث عبد الرزاق .

وقال الله تعالى (ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير) وقال « انا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظنا من كل شيطان مارد . لا يسمعون الى الملا الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب . إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب » وقال تعالى « ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين . وحفظناها من كل شيطان رجيم . الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين » وقال تعالى « وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون » وقال تعالى اخبارا عن الجنان « وأنا اسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا . وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا »

وقال البخارى وقال الليث حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال ان أبا الاسود أخبره عن عروة عن عائشة عن النبي (ص)، قال الملائكة تحدث في العنان (والعنان الغمام) بالأمر يكون في الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في اذن الكاهن كما تقر القارورة فيزيدون معها مائة كلمة (١) . هكذا رواه في صفة ابليس معلنا عن الليث به . ورواه في صفة الملائكة عن سعيد بن أبي مرجم عن الليث عن عبيد الله بن أبي جعفر عن محمد بن عبد الرحمن ابى الاسود عن عروة عن عائشة بنحوه * تفرد بهذين الطريقتين دون مسلم * وروى البخارى في موضع آخر ومسلم من حديث الزهرى عن يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه قال « قالت عائشة سألت ناس النبي (ص) عن الكهان فقال « انهم ليسوا بشئ » * فقالوا يا رسول الله انهم يحدوننا أحيانا بشئ فيكون حقا فقال (ص) تلك الكلمة من الحق يخطفها من الجنى فيقرقرها في اذن وليه كقرقرة الدجاجة فيخلطون معها مائة كذبة * هذا لفظ البخارى *

وقال البخارى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال سمعت عكرمة يقول سمعت أبا هريرة يقول إن نبي الله (ص) قال « اذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان . فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا لئذى قال . الحق وهو العلى الكبير . فيسمعها مسترق السمع . ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض . ووصف سفيان بكفه فخرها وبدد بين أصابعه . فيسمع الكلمة فيلقها الى من تحته ثم يلقها الآخر الى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر او الكاهن . فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقها وربما القاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة

(١) في نسخة مائة كذبة .

كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا وكذا وكذا . فيصدق بتلك الكذبة التي سمعت من السماء
افرد به البخاري * وروى مسلم من حديث الزهري عن علي بن الحسين زين العابدين عن ابن عباس
عن رجال من الانصار عن النبي (ص) نحو هذا . وقال تعالى (ومن يمش عن ذكر الرحمن قبيض
له شيطاناً فهو له قرين . وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون . حتى اذا جاءنا قال يا ليت
بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) وقال تعالى (وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما
خلفهم) الآية وقال تعالى (وقال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد . قال لا تختصموا لى
وقد قدمت اليكم بالوعيد . ما يبدل القول لى وما أنا بظلام للعبيد) وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل
نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا . ولو شاء ربك ما فعلوه
فذرهم وما يفترون . ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون)
وقد قدمنا فى صفة الملائكة ما رواه أحمد ومسلم من طريق منصور عن سالم بن أبى الجعد عن
أبيه واسمه رافع عن ابن مسعود قل قال رسول الله (ص) ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه
من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياى ولكن الله أعاننى عليه فلا
يأمرنى الا بخير *

وقال الامام أحمد حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن قابوس عن أبيه واسمه حصين بن جندب
وهو أبو ظبيان الجنبى عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) ليس منكم من أحد الا وقد وكل به
قرينه من الشياطين قالوا وأنت يا رسول الله قال نعم ولكن الله أعاننى عليه فأسلم * تفرد به أحمد وهو
على شرط الصحيح . وقال الامام أحمد حدثنا هارون حدثنا عبد الله بن وهب أخبرنى ابو صخر عن
يزيد بن قسيط حدثه أن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة زوج النبي (ص) حدثته أن رسول الله (ص) :
« خرج من عندها ابلا قالت ففرت عليه قالت فجاء فرأى ما أصنع فقال مالك يا عائشة أغرت قلت فقلت
ومالى أن لا يغار مثلى على مثلك فقال رسول الله (ص) « أفأخذك شيطانك قالت يا رسول الله أو معى
شيطان . قال نعم . قلت ومع كل انسان . قال نعم . قلت ومعك يا رسول الله قال نعم ولكن ربي أعاننى
عليه حتى أسلم * وهكذا رواه مسلم عن هارون وهو ابن سعيد الأيل بإسناده نحوه .

وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن طبيعة عن موسى بن وردان عن ابى هريرة أن
النبي (ص) قال « ان المؤمن لينصى شيطانه كما ينصى أحدكم بغيره فى السفر » تفرد به أحمد من هذا الوجه
ومعنى لينصى شيطانه لياخذ بناصيته فيغلبه ويقهره كما يفعل بالبعير اذا شرد ثم غلبه . وقوله تعالى
إخباراً عن ابليس « قال فبا أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لا تبينهم من بين أيديهم ومن
خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين » *

قال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا أبو عقيل هو عبد الله بن عقيل الثقفي حدثنا موسى بن المسيب عن سالم بن أبي الجعد عن سبرة بن أبي فاكه قال سمعت رسول الله (ص)، قال «إن الشيطان قد لابن آدم بأطرفة قدمه له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتذر دينك ودين آبائك . قال فعصاه وأسلم قال وقعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر وتذر ارضك وسماك وانما مثل المهاجر كالفرس في الطول فعصاه وهاجر . ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهد النفس والمال فقال أتقاتل فتقتل فتتكح المرأة ويتسم المال قال فعصاه وجاهد » قال رسول الله (ص)، « فمن فعل ذلك منهم كان حقا على الله أن يدخله الجنة . وان قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة وان كان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة وان وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة . وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا عبادة بن مسلم الفزارى حدثني جبير بن ابى سليمان ابن جبير بن مطعم سمعت عبد الله بن عمر يقول لم يكن رسول الله (ص)، يدع هذه الدعوات حين يصبح وحين يمسي « اللهم انى أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم انى أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي اللهم اغنني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي » قال وكيع يعنى الخسف ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث عبادة بن مسلم به . وقال الحاكم صحيح الاسناد *

باب خلق آدم عليه السلام

قال الله تعالى (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة . قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال إني أنزل ما لا تعلمون . وعلم آدم الاسماء كلها . ثم عرضهم على الملائكة . فقال أنبؤني باسماء هؤلاء . إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم باسمائهم فلهما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبون وما كنتم تكتمون . واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس . أبى واستكبر وكان من الكافرين . وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة . وكلا منها رغدا حيث شئتما . ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه . وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو . ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين . فلقى آدم من ربه كلمات . فتاب عليه انه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى . فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا باياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » وقال تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وقال تعالى (يا أيها

الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام . إن الله كان عليكم رقيبا) كما قال «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير» . وقال تعالى « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها » الآية وقال تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين . قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نر وخلقته من طين . قال فاهبط منها . فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين . قال انظرنى الى يوم يعثون . قال إنك من المنظرين . قال فما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين . قال اخرج منها مذموما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين . ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فوسوس لها الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سواتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما أنى لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور . فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما وطفقا يخسفا من ورق الجنة . وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين . قالا ربنا ظننا أنفسنا . وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . قال اهبطوا بمضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين . قال فيها تميون وفيها تموتون ومنها تخرجون) . كما قال فى الآية الاخرى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) . وقال تعالى (ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نر السموم . واذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فاذا سويته وفنخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين . قال يا ابليس مالك أن لا تكون مع الساجدين . قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون . قال فاخرج منها فانك رجيم . وإن عليك اللعنة الى يوم الدين . قال رب فأنظرنى الى يوم يعثون . قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم . قال رب بما أغويتنى لأزینن لهم فى الأرض ولاغوينهم أجمعين . الا عبادك منهم المخلصين * قال هذا صراط على مستقيم . ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين . وإن جهنم لموعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم . وقال تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس . قال أسجد لمن خلقت طينا . قال أرايتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتسكن ذريته الا قليلا . قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم

جزاؤكم جزاء موفورا . واستغزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك
وشاركهم في الاموال والاولاد وخدمهم وما يمدم الشيطان الاغرورا . ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
وكفى بربك وكيلًا) وقال تعالى « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . فسجدوا الا ابليس كان من
الجن ففسق عن امر ربه . افتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا» وقال
تعالى (ولقد عهدنا الى آدم من قبل قنسى ولم نجد له عزما . واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس ابي . قلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . ان لك ان لا
تجوع فيها ولا تعرى . وانك لا تطأ فيها ولا تضحى . فوسوس اليه الشيطان . قال يا آدم هل ادلك
على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة .
وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى . قال اهبطا منها جميعا بعضهم لبعض عدو .
فاما يا تبينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة
ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى . قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا
فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) . وقال تعالى (قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون . ما كان لى من علم بالملا
الأعلى اذ يختصمون إن يوحى الى الا انما انا نذير مبين . اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من
طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فتهوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون . الا
ابليس استكبر وكان من الكافرين . قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لى لما خلقت بيدي استكبرت أم
كنت من العالين . قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين . قال فاخرج منها فانك رجيم . وان
عليك لعنتى الى يوم الدين . قال رب فأظرنى الى يوم يبعثون . قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت
المعلوم . قال فبعرتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين . قال فالحق والحق أقول لا ملأن
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين . قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكفنين . ان هو
الا ذكر للعالين . ولتعلمن نبأه بعد حين) *

فهذا ذكر هذه القصة من مواضع متفرقة من القرآن * وقد تكلمنا على ذلك كله فى التفسير *
ولندكر ههنا مضمون ما دلت عليه هذه الآيات الكريمات وما يتعلق بها من الاحاديث الواردة
فى ذلك عن رسول الله (ص) . * والله المستعان *

فاخبر تعالى أنه خاطب الملائكة قائلا لهم « انى جاعل فى الارض خليفة» أعلم بما يريد أن يخلق من آدم
وذريته الذين يخلف بعضهم بعضا كما قال (وهو الذى جعلكم خلائف) الارض فاخبرهم بذلك على سبيل
التنويه بخلق آدم وذريته كما يخبر بالامر العظيم قبل كونه فقالت الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف
والاستعلام عن وجه الحكمة لاعلى وجه الاعتراض والتنقص لبني آدم والحسد لهم كما قد يتوهمه بعض

جهة المفسرين * قالوا (اتجمل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) قيل علموا ان ذلك كائن بمارأو من كان قبل آدم من الجن والبن قاله قتادة *

وقال عبد الله بن عمر كانت الجن قبل آدم بألفي عام فسفكوا الدماء فبعث الله اليهم جنودا من الملائكة فطردوهم الى جزائر البحور * وعن ابن عباس نحوه . وعن الحسن ألهوا ذلك * وقيل لما اطلعوا عليه من اللوح المحفوظ فقيل أطلعهم عليه هاروت وماروت عن ملك فوقها يقال له الشجل . رواء بن أبي حاتم عن أبي جعفر الباقر * وقيل لانهم علموا ان الارض لا يخلق منها الا من يكون بهذه المثابة غالبا (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) اي نبدك دائما لا يعصيك منا أحد * فان كان المراد بخلق هؤلاء ان يعبدوك فيها نحن لا نفتقر ليلا ولا نهارا (قال إني اعلم ما لا تعلمون) أي أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هؤلاء ما لا تعلمون أي سيوجد منهم الانبياء والمرسلون والصديقون والشهداء ثم بين لهم شرف آدم عليهم في العلم فقال (وعلم آدم الاسماء كلها) * قال ابن عباس هي هذه الاسماء التي يتعارف بها الناس إنسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وجرى وحمار وأشباه ذلك من الامم وغيرها * وفي رواية علمه اسم الصحيفة والقدر حتى الفسوة والفسية * وقال مجاهد علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شئ * وكذا قال سعيد بن جبير وقاتدة وغير واحد * وقال الربيع علمه أسماء الملائكة » وقال عبد الرحمن ابن زيد علمه أسماء ذريته والصحيح أنه علمه أسماء الذوات وافعالها مكبرها ومصغرها كما أشار اليه ابن عباس رضي الله عنهما * وذكر البخاري هنا ما رواه هو ومنسلم من طريق سعيد وهشام عن قتادة عن أنس بن مالك عن رسول الله (ص) قال (يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شئ) وذكر تمام الحديث * (ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) قال الحسن البصري (لما اراد الله خلق آدم قالت الملائكة لا يخلق ربنا خلقا الا كنا أعلم منه فابتلوا بهذا) وذلك قوله (ان كنتم صادقين) وقيل غير ذلك كما بسطناه في التفسير قالوا (سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم) أي سبحانك أن يحيط أحد بشئ من علمك من غير تعليمك كما قال (ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء) (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) أي أعلم السر كما اعلم الملاية * وقيل إن المراد بقوله واعلم ما تبدون ما قالوا اتجمل فيها من يفسد فيها وبقوله وما كنتم تكتمون المراد بهذا الكلام ابليس حين أسر الكبر والتخيرة على آدم عليه السلام قاله سعيد بن جبير ومجاهد والسدي والضحاك والثوري واختاره ابن جرير * وقال ابو العالية والربيع والحسن وقاتدة (وما كنتم تكتمون) قولهم لن يخلق ربنا خلقا الا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه * قوله (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا

الا ابليس ابي واستكبر) هذا اكرام عظيم من الله تعالى لا دم حين خلقه بيده وفتح فيه من روحه كما
 قل (فاذا سويته وفتح فيه من روعي قعوا له ساجدين) فهذه اربع تشریفات خلقه له بيده
 الكريمة وفتح فيه من روحه . و امره الملائكة بالسجود له وتعليمه اسماء الاشياء ولهذا قال له موسى
 الكليم حين اجتمع هو و اياه في الملا الأعلى و تناظرا كما سيأتي (أنت آدم أبو البشر الذي خلقك
 الله بيده وفتح فيك من روحه وأسجد لك ملائكته و علمك أسماء كل شيء . وهكذا يقول أهل
 المحشر يوم القيامة كما تقدم و كما سيأتي ان شاء الله تعالى وقال في الآية الاخرى (ولقد خلقناكم ثم
 صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين * قال ما منك
 ان لا تسجد اذ امرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار و خلقتهم من طين) * قال الحسن البصري
 قاس ابليس وهو أول من قاس * وقال محمد بن سيرين أول من قاس ابليس وما عبدت الشمس
 ولا القمر الا بالمقاييس * رواهما ابن جرير و معنى هذا انه نظر نفسه بطريق المقايسة بينه وبين آدم
 فرأى نفسه أشرف من آدم فامتنع من السجود له مع وجود الامر له ولسائر الملائكة بالسجود .
 والقياس اذا كان مقابلا بالنص كان فاسدا الاعتبار * ثم هو فاسد في نفسه فان الطين أنفع وخير من النار
 فان الطين فيه الرزاق والحلم والأداة والنمو والنار فيها الطيش والخفة والسرعة والاحراق * ثم آدم
 شرفه الله بخلق له بيده وفتح فيه من روحه * ولهذا أمر الملائكة بالسجود له * كما قال (اذ قال ربك
 للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون * فاذا سويته وفتح فيه من روعي قعوا له
 ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون . الا ابليس ابي أن يكون مع الساجدين * قال يا ابليس مالك
 أن لا تكون مع الساجدين * قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون * قال
 فاخرج منها فانك رجيم * وان عليك اللعنة الى يوم الدين) استحق هذا من الله تعالى لانه استلزم تنقصه
 لا دم وازدراؤه به وترفعه عليه مخالفة الأمر الآهي ومعاودة الحق في النص على آدم على التبيين
 وشرع في الاعتذار بما لا يجدي عنه شيئا - وكان اعتذاره أشد من ذنبه كما قال تعالى في سورة سبحان
 (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال اسجد لمن خلقت طينا * قال أرايتك هذا
 الذي كرمت على نثن اخرتن الى يوم القيامة لأحتنك ذريته الا قليلا * قل اذهب فمن تبعك منهم
 فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا * واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك
 وشاركهم في الاموال والاولاد واعد لهم وما يعدم الشيطان الا غرورا * ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
 وكنتي بربك وكيل) وقال في سورة الكهف (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس
 كان من الجن ففسق عن أمر ربه) أي خرج عن طاعة الله عمدا وعنادا واستكبارا عن امتثال أمره
 وما ذاك الا لانه خانه طبعه ومادته الخبيثة أحوج ما كان اليها فانه مخلوق من نار كما قل و كما قدرنا في

صحيح مسلم عن عائشة عن رسول الله (ص) قال (خلق الملائكة من نور وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وصف لكم) *

قال الحسن البصرى . لم يكن ابليس من الملائكة طرفة عين قط . وقال شهر بن حوشب . كان من الجن فلما أفسدوا فى الارض بعث الله اليهم جنداً من الملائكة فقتلهم وأجلوهم الى جزائر البحار وكان ابليس ممن أسر فأخذوه معهم الى السماء فكان هناك . فلما أمرت الملائكة بالسجود امتنع ابليس منه . وقال ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة وسعيد بن المسيب وآخرون . كان ابليس رئيس الملائكة بالسماء الدنيا . قال ابن عباس وكان اسمه عزازيل : وفى رواية عن الحارث قال النقاش وكنيته (أبو كردوس) قال بن عباس . وكان من حى من الملائكة يقال لهم الجن وكانوا خزان الجنان وكان من أشرفهم وأكثرهم علماً وعبادة وكان من أولى الاجنحة الاربعة فسخه الله شيطاناً رجياً . وقال فى سورة ص « اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . الا ابليس استكبر وكان من الكافرين . قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين . قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم . وان عليك لعنتى الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون . قال فانك من المنظرين . الى يوم الوقت المعلوم . قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين . الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لأملئن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين » وقال فى سورة الاعراف (قال فيما أغويتنى لا تعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لا تينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) أى بسبب اغوائك اياى لا تعدن لهم كل مرصد ولا تينهم من كل جهة منهم فالسعيد من خالفه والشقى من اتبعه *

وقال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا أبو عقيل (هو عبد الله بن عقيل الثقفى) حدثنا موسى بن المسيب عن سالم بن أبى الجعد عن سيرة بن أبى الفاكه قال سمعت رسول الله (ص) قال (ان الشيطان يقعد لابن آدم بأطرقه) وذكر الحديث كما قدمناه فى صفة ابليس *

وقد اختلف المفسرون فى الملائكة المأمورين بالسجود لآدم . أهم جميع الملائكة كما دل عليه عموم الآيات وهو قول الجمهور . أو المراد بهم ملائكة الارض . كما رواه ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس . وفيه اقطاع . وفى السياق نكارة وان كان بعض المتأخرين قد رجحه ولكن الاظهر من السياقات الاول ويدل عليه الحديث وأسجد له ملائكته وهذا عموم أيضاً والله أعلم . وقوله تعالى لا بليس (اهبط منها) و(اخرج منها) دليل على أنه كان فى السماء فأمر بالهبوط منها والخروج من المنزل والمكانة التى كان قد نالها بعبادته وتشبهه بالملائكة فى الطاعة والعبادة ثم سلب ذلك بكبره وحسده

ومخالفته لربه فأهبط الى الارض مذؤما مدحورا . وأمر الله آدم عليه السلام أن يسكن هو وزوجته الجنة فقال (وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) وقال في الأعراف (قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لاملئن جهنم منكم أجمعين . ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) وقال تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى قلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظما فيها ولا تضجى) وسياق هذه الآيات يقتضى أن خلق حواء كان قبل دخول آدم الجنة لقوله (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) وهذا قد صرح به اسحاق ابن بشار وهو ظاهر هذه الآيات ولكن حكى السدى عن ابى صالح وأبى مالك عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أنهم قالوا اخرج ابليس من الجنة واسكن آدم الجنة فكان يمشى فيها وحشى ليس له فيها زوج يسكن اليها فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة . خلقها الله من ضلعه . فسألها من أنت قالت امرأة قال ولما خلقت قالت لتسكن الى فقالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه (ما اسمها يا آدم) قال حواء قالوا ولم كانت حواء قال لانها خلقت من شئ حى . وذكر محمد ابن اسحاق عن ابن عباس أنها خلقت من ضلعه الا قصر الايسر وهو نائم ولا ثم مكانه لحما ومصداق هذا فى قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) الآية وفى قوله تعالى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها قلما تفشاها حملت حملا خفيفا ثمرت به) الآية وسنتكلم عليها فيما بعد ان شاء الله تعالى *

وفى الصحيحين من حديث زائدة عن ميسرة الاشجعى عن أبى حازم عن أبى هريرة عن النبى (ص) أنه قال (استوصوا بالنساء خيرا - فان المرأة خلقت من ضلع وان أعوج شئ فى الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا) لفظ البخارى

وقد اختلف المفسرون فى قوله تعالى « ولا تقربا هذه الشجرة » فقيل هى الكرم وروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبى وجمدة بن هبيرة ومحمد بن قيس والسدى فى رواية عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة قال وتزعم يهود أنها الخنطة . وهذا مروى عن ابن عباس والحسن البصرى ووهب بن منبه وعطية العوفى وأبى مالك ومحارب بن دثار وعبد الرحمن بن أبى ليلى * قال وهب والحبة منه ألين من الزبد وأحلى من العسل * وقال الثورى عن ابى حصين عن أبى مالك ولا تقربا هذه الشجرة هى النخلة * وقال ابن جريج عن مجاهد هى التينة وبه قال قتادة وابن جريج وقال أبو العالية كانت شجرة من أكل منها أحدث ولا يبنى فى الجنة حدث *

وهذا الخلاف قريب * وقد أبهم الله ذكرها وتعيينها * ولو كان في ذكرها مصلحة تعود إلينا لعينها لنا كما في غيرها من المحال التي تبهم في القرآن *

وانما الخلاف الذي ذكره في ان هذه الجنة التي دخلها آدم هل هي في السماء أو في الارض هو الخلاف الذي ينبى فصله والخروج منه والجمهور على انها هي التي في السماء وهي جنة المأوى اظاهر الآيات والاحاديث كقوله تعالى (وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة) والالف واللام ليست للعموم ولا لمعهود لفظي وانما تعود على معهود ذهني وهو المستقر شرعا من جنة المأوى وكقول موسى عليه السلام لا دم عليه السلام (علام أخرجتنا ونفسك من الجنة) الحديث كما سيأتي الكلام عليه * وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الاشجعي واسمه سعد بن طارق عن أبي حازم سامة بن دينار عن أبي هريرة * وأبو مالك عن ربي عن حذيفة قال قال رسول الله (ص) (يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حين تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل اخرجكم من الجنة الا خطيئة أيكم) وذكر الحديث بطوله * وهذا فيه قوة جيدة ظاهرة في الدلالة على انها جنة المأوى وليست تخلو عن نظر *

وقال آخرون بل الجنة التي أسكنها آدم لم تكن جنة الخلد لانه كلف فيها ان لا يأكل من تلك الشجرة ولانه نام فيها وأخرج منها ودخل عليه ابليس فيها وهذا مما ينافي أن تكون جنة المأوى . وهذا يقول محكي عن أبي بن كعب وعبد الله بن عباس ووهب بن منبه وسفيان بن عيينة واختاره ابن قتيبة في المعارف والقاضي منذر بن سعيد البلوطي في تفسيره وأفرد له مصنفنا على حدة . وحكاه عن أبي حنيفة الامام واصحابه رحمهم الله . ونقله أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي بن خطيب الري في تفسيره عن أبي القاسم البلخي وأبي مسلم الاصبهاني . ونقله القرطبي في تفسيره عن المعتزلة والتدريسة * وهذا القول هو نص التوراة التي بأيدي أهل الكتاب * ومن حكى الخلاف في هذه المسألة أبو محمد بن حزم في الملل والنحل وأبو محمد بن عطية في تفسيره وابوعيسى الرمانى في تفسيره *

وحكى عن الجمهور الاول . وابو القاسم الراغب والقاضي الماوردي في تفسيره فقال واختلف في الجنة التي أسكنها يعني آدم وحواء على قولين * أحدهما انها جنة الخلد * الثاني جنة أعدها الله لهما وجعلها دار ابتلاء وليست جنة الخلد التي جعلها دار جزاء . ومن قال بهذا اختلفوا على قولين * أحدهما انها في السماء لانه اهبطها منها وهذا قول الحسن * والثاني أنها في الارض لانه امتحنها فيها بالنهي عن الشجرة التي نهيها عنها دون غيرها من الثمار . وهكذا قول ابن يحيى وكان ذلك بعد أن أمر ابليس بالسجود لآدم والله أعلم بالصواب من ذلك *

هذا كلامه . فقد تضمن كلامه حكاية أقوال ثلاثة واشعر كلامه أنه متوقف في المسألة . ولقد حكى

أبو عبد الله الرازي في تفسيره في هذه المسألة أربعة أقوال هذه الثلاثة التي أوردها الماوردي . ورابعها الوقف * وحكي القول بانها في السماء وليست جنة المأوى عن أبي علي الجبائي . وقد أورد أصحاب القول الثاني سؤالاً يحتاج مثله الى جواب فقالوا لاشك أن الله سبحانه وتعالى طرد إبليس حين امتنع من السجود عن الحضرة الالهية وأمره بالخروج عنها والهبوط منها وهذا الامر ليس من الاوامر الشرعية بحيث يمكن مخالفته وانما هو امر قدرى لا يخالف ولا يمانع ولهذا قال (اخرج منها مذءوما مدحورا) وقال (اهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها) وقال (اخرج منها فانك رجيم) والضمير عائد الى الجنة أو السماء أو المنزلة وأياما كان معلوم أنه ليس له الكون قدرا في المكان الذي طرد عنه وابعدمنه لاعلى سبيل الاستقرار ولا على سبيل المرور والاجتياز * قالوا ومعلوم من ظاهر سياقات القرآن أنه وسوس لآدم وخاطبه بقوله له (هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) وبقوله (مانها كما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين . أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما اني لكمان الناصحين . فدلاهما بغرور) الآية وهذا ظاهر في اجتماعه معهما في جنتهما . وقد اجيبوا عن هذا بانه لا يمتنع أن يجتمع بهما في الجنة على سبيل المرور فيها لاعلى سبيل الاستقرار بها أو أنه وسوس لهما وهو على باب الجنة أو من تحت السماء . وفي الثلاثة نظر . والله أعلم . ومما احتج به أصحاب هذه المقالة مارواه عبد الله بن الامام احمد في الزيادات عن هديبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن البصري عن يحيى بن زمره السعدي عن أبي بن كعب قال (ان آدم لما احتضر انتهى قطفا من عنب الجنة . فانطلق بنوه ليطلبوه له . فلقيتهم الملائكة فقالوا اين تريدون يا بني آدم فقالوا ان ابانا انتهى قطفا من عنب الجنة . فقالوا لهم (ارجعوا فقد كفيتموه) فانتهوا اليه فقبضوا روحه وغسلوه وحنطوه وكفنوه وصلى عليه جبريل ومن خلفه من الملائكة ودفنوه . وقالوا . (هذه سنتكم في موتاكم) وسيأتي الحديث بسنده . وتام لفظه عند ذكر وفاة آدم عليه السلام . قالوا فلولا انه كان الوصول الى الجنة التي كان فيها آدم التي اشتهى منها القطف ممكنا لما ذهبوا يطلبون ذلك فدل على انها في الأرض لا في السماء والله تعالى أعلم *

قالوا والاحتجاج بان الألف واللام في قوله ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة لم يتقدم عهد يعود عليه فهو المعهود الذهني مسلم ولكن هو ما دل عليه سياق الكلام فان آدم خلق من الأرض ولم ينقل أنه رفع الى السماء وخلق ليكون في الأرض وبهذا اعلم الرب الملائكة حيث قال (اني جاعل في الارض خليفة) قالوا وهذا كقوله تعالى (انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة) فالالف واللام ليس للعموم ولم يتقدم معهود لفظي وانما هي للمعهود الذهني الذي دل عليه السياق وهو البستان .

قالوا وذكر الهبوط لا يدل على النزول من السماء قال الله تعالى (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك) الآية وانما كان في السفينة حين استقر على الجودي ونضب الماء

عن وجه الارض أمر أن يهبط اليها هو ومن معه مباركا عليه وعليهم . وقال الله تعالى (اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم) الآية وقال تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله) الآية . وفي الاحاديث واللغة من هذا كثير *

قالوا ولا مانع بل هو الواقع أن الجنة التي أسكنها آدم كانت مرتفعة عن سائر بقاع الارض ذات اشجار وثمار وظلال ونعيم ونضرة وسرور كما قال تعالى (إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى) أى لا يزل باطنك بالجوع ولا ظاهرك بالعرى . وانك لا تنظأ فيها ولا تضحي) أى لا يمس باطنك حر الظأ ولا ظاهرك حر الشمس . ولهذا قرن بين هذا وهذا وبين هذا وهذا لما بينهما من الملايمة . فلما كان منه ما كان من اكله من الشجرة التي نهى عنها اهبط الى ارض الشقاء والتعب والنصب والكدر والسعي والنكد والابتلاء والاختبار والامتحان واختلاف السكان دينا واخلاقا واعمالا وقصودا وإرادات واقوالا وافعالا كما قال تعالى (ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين) ولا يلزم من هذا أنهم كانوا في السماء كما قال تعالى (وقلنا من بعد لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لغيفا) ومعلوم أنهم كانوا فيها لم يكونوا في السماء

قالوا وايس هذا القول مفرعا على قول من ينكر وجود الجنة والنار اليوم ولا تلازم بينهما فكل من حكى عنه هذا القول من السلف واكثر الخلف ممن يثبت وجود الجنة والنار اليوم كما دلت عليه الآيات والاحاديث الصحاح كما سيأتي ابرادها في موضعها والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب *

وقوله تعالى (فأزلها الشيطان غمها) أى عن الجنة (فأخرجهما مما كانا فيه) أى من النعيم والنضرة والسرور الى دار التعب والنكد والنكد وذلك بما وسوس لها وزينه في صدورهما كما قال تعالى (فوسوس لها الشيطان ليبدى لها ما وورى عنها من سواتهما . وقال ما نها كما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) يقول ما نها كما عن أكل هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين أى ولو اكلتا منها لصرتما كذلك (وقاسمهما) أى حلف لها على ذلك (انى لكما لمن الناصحين) كما قال فى الآية الأخرى (فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) أى هل أدلك على الشجرة التي اذا أكلت منها حصل لك الخلد فيما أنت فيه من النعيم واستمرت فى ملك لا يبيد ولا ينقضى وهذا من التفرير والتزوير والاختبار بخلاف الواقع * والمقصود أن قوله شجرة الخلد التي اذا اكلت منها خلدت وقد تكون هي الشجرة التي قل الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن أبي الضحاك سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله (ص) (ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها شجرة الخلد) * وكذا رواد أيضا عن غندر (وحجاج عن شعبة ورواه أبو داود الطيالسي فى مسنده عن شعبة أيضا به *

قال غندر قلت لشعبة هي شجرة الخلد قال ليس فيها هي *

تفرد به الامام أحمد * وقوله (فدلاهما بفرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما وطبقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) كما قال في « طه » اكلتا منها فبدت لهما سواتهما وطبقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وكانت حواء اكلت من الشجرة قبل آدم وهي التي حدثته على اكلها والله اعلم *

وعليه يحمل الحديث الذي رواه البخاري حدثنا بشر بن محمد حدثنا عبد الله انبأنا معمر عن همام ابن منبه عن ابي هريرة عن النبي (ص) نحوه لولا بنوا اسرائيل لم يخنز (١) اللحم ولولا حواء لم تخن اثني زوجها . تفرد به من هذا الوجه وأخرجاه في الصحيحين من حديث عبدالرزاق عن معمر عن همام عن ابي هريرة به ورواه أحمد ومسلم عن هارون بن معروف عن ابي وهب عن عمرو بن حارث عن ابي يونس عن ابي هريرة به * وفي كتاب التوراة التي بين أيدي أهل الكتاب أن الذي دل حواء على الاكل من الشجرة هي الحية وكانت من احسن الاشكال وأعظمها فاكلت حواء عن قولها وأطعمت آدم عليه السلام وليس فيها ذكر لا بليس فعند ذلك انفتحت أعينهما وعلما انهما عريانان فوصلا من ورق التين وعملا ميازر وفيها انهما كانا عريانين * وكذا قال وهب بن منبه كان لباسهما نورا على فرجه وفرجها وهذا الذي في هذه التوراة التي بأيديهم غلط منهم وتحريف وخطأ في التعريب فان نقل الكلام من لغة الى لغة لا يكاد يتيسر لكل أحد ولا سيما من لا يعرف كلام العرب جيدا ولا يحيط علما بفهم كتابه أيضا فلماذا وقع في تعريبهم ذا خطأ كثير لفظا ومعنى * وقد دل القرآن العظيم على انه كان عليهما لباس في قوله (ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما) فهذا لا يرد لغيره من الكلام والله تعالى اعلم

وقال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسن بن اسكاب حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن الحسن عن ابي بن كعب قال قال رسول الله (ص) (ان الله خلق آدم رجلا طوالا كثير شعر الرأس كانه نخلة سحوق فاما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فاما نظر الى عورته جعل يشتد في الجنة فاخذت شمره شجرة فنازعها فناداه الرحمن عز وجل يا آدم منى تفر فاما سمع كلام الرحمن قال يارب لا ولكن استحياء * وقال الثوري عن ابن ابي ليلي عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (وطبقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) ورق التين * وهذا اسناد صحيح اليه وكانه مأخوذ من أهل الكتاب وظاهر الآية يقتضى أعم من ذلك وبتقدير تسليمه فلا يضر والله تعالى اعلم *

وروى الحافظ بن عساكر من طريق محمد بن اسحاق عن الحسن بن ذكوان عن الحسن البصرى عن ابي بن كعب قال قال رسول الله (ص) ان اباكم آدم كان كل نخلة السحوق ستين ذراعا كثير الشعر موارد العورة فلما اصاب الخطيئة في الجنة بدت له سواته فخرج من الجنة فلقيته شجرة فاخذت ناصيته

(١) قوله لم يخنز أى لم ينتن

فناداه ربه أفراراً متى يا آدم قال بل حياء منك والله يارب مما جئت به * ثم رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن يحيى بن ضمرة عن أبي بن كعب عن النبي (ص) بنحوه . وهذا أصح فإن الحسن لم يدرك أياً * ثم أورده أيضاً من طريق خيثمة بن سليمان الاطرابلسي عن محمد بن عبد الوهاب أبي قرصافة البسقلاني عن آدم بن أبي اياس عن شيبان عن قتادة عن أنس مرفوعاً بنحوه * (وناداهما ربهما ألم أنهما عن تلكا الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين * قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وهذا اعتراف ورجوع الى الانابة وتذلل وحضوع واستكانة وافتقار اليه تعالى في الساعة الراهنة وهذا السر ما سرى في أحد من ذريته الا كانت عاقبته الى خير في دنياه وأخراه (قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين) وهذا خطاب لآدم وحواء وابليس قيل والحية معهم أمروا أن يهبطوا من الجنة في حال كونهم متعادين متحاربين * وقد يستشهد لذكر الحية معها بما ثبت في الحديث عن رسول الله (ص) أنه أمر بقتل الحيات وقال ما سلناهن منذ حاربناهن وقوله في سورة طه (قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو) هو أمر لآدم وابليس واستتبع آدم حواء وابليس الحية * وقيل هو أمر لهم بصيغة التثنية كما في قوله تعالى (وداود وسليمان اذ يحكما في الحرت اذ نفشت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين) والصحيح ان هذا لما كان الحاكم لا يحكم الا بين اثنين مدع ومدعى عليه قال وكنا لحكمهم شاهدين وأما تكريره الالهباط في سورة البقرة في قوله وقلنا اهبطوا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فلتقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعاً فلما أتيتكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فقال بعض المفسرين المراد بالالهباط الاول الهبوط من الجنة الى السماء الدنيا وبالتالي من السماء الدنيا الى الارض . وهذا ضعيف لقوله في الاول (قلنا اهبطوا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين) فدل على انهم اهبطوا الى الارض بالالهباط الاول والله أعلم *

والصحيح أنه كرهه لفظاً وان كان واحداً وناط مع كل مرة حكماً فناط بالاول عداوتهم فيما بينهم وبالتالي الاشتراط عليهم أن من تبع هداي الذي ينزله عليهم بعد ذلك فهو السعيد ومن خالفه فهو الشقي وهذا الاسلوب في الكلام له نظائر في القرآن الحكيم .

وروى الحافظ بن عساكر عن مجاهد قال أمر الله ملكين أن يخرجوا آدم وحواء من جواره فترع جبريل التاج عن رأسه وحل ميكائيل الاكليل عن جبينه وتعلق به غصن فظن آدم أنه قد عوجل بالعقوبة فنكس رأسه يقول العفو العفو فقال الله فراراً متى قال بل حياء منك ياسيدي وقال الاوزاعي

عن حسان هو بن عطية مكث آدم في الجنة مائة عام وفي رواية ستين عاما وبكى على الجنة سبعين عاما وعلى خطيئته سبعين عاما وعلى ولده حين قتل أربعين عاما * رواه ابن عساكر *

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن سعيد عن ابن عباس قال أهبط آدم عليه السلام الى ارض يقال له دحنا بين مكة والطائف * وعن الحسن قال أهبط آدم بالهند وحواء بجدة وابليس بدستيميسان من البصرة على أميال وأهبطت الحية باصهبان رواه ابن أبي حاتم أيضا * وقال السدي نزل آدم بالهند ونزل معه بالحجر الأسود وبقبضة من ورق الجنة فبثه في الهند فنبتت شجرة الطيب هناك * وعن ابن عمر قال أهبط آدم بالصفا وحواء بالمروة. رواه ابن أبي حاتم أيضا وقال عبد الرزاق قال معمر أخبرني عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى الأشعري قال ان الله حين أهبط آدم من الجنة الى الارض علمه صنعة كل شئ وزوده من ثمار الجنة فشارك هذه من ثمار الجنة غير ان هذه تتغير وتلك لا تتغير * وقال الحاكم في مستدرکه أنبأنا أبو بكر بن بالوية عن محمد بن أحمد بن النضر عن معاوية بن عمر عن زائدة عن عمار بن أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما سكن آدم الجنة الا ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس . ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه * وفي صحيح مسلم من حديث الزهري عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه اخرج منها) وفي الصحيح من وجه آخر وفيه تقوم الساعة) وقال احمد حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الاوزاعي عن أبي عمار عن عبد الله بن فروخ عن أبي هريرة عن النبي (ص) : قال (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه اخرج منها وفيه تقوم الساعة على شرط مسلم *

فاما الحديث الذي رواه ابن عساكر من طريق أبي القاسم البغوي حدثنا محمد بن جعفر الوركاني حدثنا سعيد بن ميسرة عن أنس قال قال رسول الله (ص) : (هبط آدم وحواء عربانيين جميعا عليهما ورق الجنة فأصابه الحر حتى قعد يبكي ويقول لها يا حواء قد أذاني الحر قال فجاءه جبريل بقطن وأمرها أن تغسل وعلمها وأمر آدم بالحياكة وعلمه أن ينسج وقال كان آدم لم يجامع امرأته في الجنة حتى هبط منها للخطيئة التي أصابتهما باكلهما من الشجرة قال وكان كل واحد منهما ينام على حدة ينام احدهما في البطحاء والاخر من ناحية أخرى حتى أتاه جبريل فأمره أن يأتي أهله قال وعلمه كيف يأتيها فلما أتاه جاءه جبريل فقال كيف وجدت امرأتك قال صالحة) فانه حديث غريب ورفعه منكر جدا * وقد يكون من كلام بعض السلف وسعيد بن ميسرة هذا هو أبو عمران البكري البصري . قال فيه البخاري منكر الحديث . وقال بن حبان يروي الموضوعات وقال بن عدي مظلم الامر وقوله (فلتلقوا آدم من ربه كالت فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) قيل هي قوله (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) * روى

هذا عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبي العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة ومحمد بن كعب وخالد بن معدان وعطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم *

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن إشكاب حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال قال رسول الله (ص)، (قال آدم عليه السلام أرأيت يارب ان تبت ورجعت أعائدي الى الجنة قال نعم) فذلك قوله. (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وهذا غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع *

وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد قال الكلمات (اللهم لا إله الا أنت سبحانك وبمحمدك رب انى ظلمت نفسى فاغفرلى انك خير الغافرين . اللهم لا إله الا أنت سبحانك وبمحمدك رب انى ظلمت نفسى فاغفرلى انك خير الراحمين اللهم لا إله الا أنت سبحانك وبمحمدك رب انى ظلمت نفسى فتب على اذك انت التواب الرحيم) * وروى الحاكم فى مستدرکه من طريق سعيد بن جبیر عن ابن عباس (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) قال قال آدم يارب ألم تخلقني بيدك . قيل له بلى . ونفخت في من روحك قيل له بلى وعطست فقلت يرحمك الله وسبقت رحمتك غضبك قيل له بلى وكتبت على أن أعمل هذا قيل له بلى . قال أفرايت ان تبت هل أنت راجع الى الجنة . قال نعم * ثم قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه * وروى الحاكم أيضا والبيهقي وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله (ص). (لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد أن غفرت لي فقال الله فكيف عرفت محمدا ولم أخلقه بعد فقال يارب لانك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله الا الله محمد رسول الله فعلت انك لم تضيف الى اسمك الا أحب الخلق اليك فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق الى واذا سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك * قال البيهقي تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه وهو ضعيف والله أعلم وهذه الآية كقوله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباها ربه فتاب عليه وهدى)

رَبِّهِمَا آدَمُ وَمُوسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

قال البخارى حدثنا قتيبة حدثنا ابوب بن النجار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي (ص)، قال حاج موسى آدم عليهما السلام فقال له أنت الذى أخرجت الناس بذنبك من الجنة وأشقيتهم . قال آدم يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه أتلو منى على أمر قد

كتبه الله على قبل أن يخلقني أو قدره على قبل أن يخلقني قال رسول الله (ص)، فخرج آدم موسى *
وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد والنسائي عن محمد بن عبد الله بن يزيد عن أيوب بن النجار به * قال
أبو مسعود الدمشقي ولم يخرجاه عنه في الصحيحين سواه * وقد رواه أحمد عن عبد الرزاق عن معمر
عن همام عن أبي هريرة * ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به *
وقال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا ابراهيم حدثنا أبو شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن
أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، (احتج آدم وموسى فقال له موسى أنت الذي اخرجتك
خطيئتك من الجنة فقال له آدم وأنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه تلومني على أمر قدر
علي قبل ان أخلق * قال رسول (ص)، (فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى) مرتين * قلت وقدروى هذا
الحديث البخارى ومسلم من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن ابي هريرة عن النبي (ص)، نحوه
وقال الامام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة
عن النبي (ص)، (قال احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم انت انذى خلقتك الله بيده وفتح فيك
من روحه أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة قل فقال آدم وأنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه
تلومني على عمل أعله كتب الله على قبل أن يخلق السموات والارض قال فخرج آدم موسى * وقد رواه
الترمذي والنسائي جميعا عن يحيى بن حبيب بن عدي عن معمر بن سليمان عن أبيه عن الاعمش به * قال
الترمذي وهو غريب من حديث سليمان التيمي عن الاعمش قال وقد رواه بعضهم عن الاعمش
عن أبي صالح عن أبي سعيد قلت هكذا رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده عن محمد بن مثنى عن
معاذ بن أسد عن الفضل بن موسى عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد . ورواه البزار أيضا حدثنا
عمرو بن علي الفلاس حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو أبي سعيد عن
النبي (ص)، فذكر نحوه ، وقال أحمد حدثنا سفيان عن عمرو سمع طاووسا سمع أبا هريرة يقول قال
رسول الله (ص)، (احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت ابونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له
آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك الله بكلامه وقال مرة برسالاته وخط لك يده أتومني على أمر قدره
الله على قبل أن يخلقني باربعين سنة قال حج آدم موسى حج آدم موسى (وهكذا رواه
البخارى عن علي بن المديني حدثنا عن سفيان قال حفظناه من عمرو عن طاووس قال سمعت أبا هريرة
عن النبي (ص)، قال (احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت ابونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال
له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك يده أتومني على أمر قدره الله على قبل أن يخلقني باربعين
سنة فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى هكذا ثلاثا .
قال سفيان حدثنا أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي (ص)، مثله * وقد رواه الجماعة

إلا ابن ماجه من عشر طرق عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه * وقال أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد عن عمار عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال لقي آدم موسى فقال أنت الذي خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وأسكنك الجنة ثم فعلت . فقال أنت موسى الذي كلمك الله واصطفاك برسالاته وأنزل عليك التوراة أنا أقدم أم الذكر قال لا بل الذكر فخرج آدم موسى *

قال أحمد وحدثنا عمار حدثنا حماد عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة عن النبي (ص) وحيد عن الحسن عن رجل قال حماد أظنه جندب بن عبد الله البجلي عن النبي (ص) قال لقي آدم موسى فذكر معناه . تفرد به أحمد من هذا الوجه . وقال أحمد حدثنا الحسن حدثنا جرير هو ابن حازم عن محمد هو ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) (لقي آدم موسى فقال أنت الذي خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته ثم صنعت ما صنعت * قال آدم يا موسى أنت الذي كلمه الله وأنزل عليه التوراة * قال نعم * قال فهل تجده مكتوبا على قبل ان أخلق * قال نعم * قال (فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى) وكذا رواه حماد بن زيد عن أيوب وهشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رفعه وكذا رواه علي بن عاصم عن خالد وهشام عن محمد بن سيرين * وهذا على شرطها من هذه الوجوه * وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب أخبرني أنس بن عياض عن الحارث بن أبي ذباب عن يزيد بن هرمز سمعت أبا هريرة يقول . قال رسول الله (ص) (احتج آدم وموسى عند ربهما فخرج آدم موسى . قال موسى أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبطت الناس الى الأرض بخطيئتك * قال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة * قال موسى باربعين عاما * قال آدم فهل وجدت فيها « وعصى آدم ربه فغوى » قال نعم * قال أفتلومني على أن عملت عملا كتب الله على أن أعمله قبل أن يخلقني باربعين سنة . قال . قال رسول الله (ص) « فخرج آدم موسى »

قال الحارث وحدثني عبد الرحمن بن هرمز بذلك عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) . وقد رواه مسلم عن اسحق بن موسى الانصارى عن أنس بن عياض عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب عن يزيد بن هرمز والاعرج كلاهما عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه ، وقال أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) « احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت الذي أدخلت ذريتك النار . فقال آدم يا موسى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه وأنزل عليك التوراة فهل وجدت أن أهبط . قال نعم . قال فخرج آدم » وهذا على شرطها ولم يخرجاه

من هذا الوجه * وفي قوله أدخلت ذريتك النار نكارة *

فهذه طرق هذا الحديث عن أبي هريرة رواد عنه حميد بن عبد الرحمن وذكوان أبو صالح السمان وطاووس ابن كيسان وعبد الرحمن بن هرمس الأعرج وعمار بن أبي عمار ومحمد بن سيرين وهمام بن منبه وبزید بن هرمز وأبو سامة بن عبد الرحمن *

وقد رواد الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال حدثنا الحارث بن مسكين المصري حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد ابن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب عن النبي (ص) قال (قال موسى عليه السلام يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة فاراد آدم عليه السلام * فقال أنت آدم * فقال له آدم نعم قال أنت الذي نفخ الله فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وعلقتك الاسماء كلها * قال نعم * قال فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال له آدم من أنت قال أنا موسى * قال أنت موسى نبي بني اسرائيل أنت الذي كلمك الله من وراء الحجاب فإني يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه * قال نعم * قال تلومني على أمر قد سبق من الله عز وجل القضاء به قبل قال رسول الله (ص) (فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى) ورواه أبو داود عن أحمد بن صالح المصري عن ابن وهب به . قال أبو يعلى ، وحدثنا محمد بن المثني حدثنا عبد الملك بن الصباح المسدي حدثنا عمران بن الرديني عن أبي مجلز عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن عمر قال أبو محمد أكبر ظني أنه رفعه * قال (التقى آدم وموسى فقبال موسى لآدم أنت أبو البشر أسكنك الله جنته وأسجد لك ملائكته . قال آدم . يا موسى أما تجده على مكتوبا * قال فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى) وهذا الاسناد أيضا لا بأس به والله أعلم *

وقد تقدم رواية النضر بن موسى لهذا الحديث عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد * ورواية الامام أحمد له عن عفان عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن رجل * قال حماد أظنه جندب بن عبد الله البجلي عن النبي (ص) (لقي آدم موسى) فذكر معناه *

وقد اخذت مسالك الناس في هذا الحديث فرده قوم من القدرية لما تضمن من اثبات القدر السابق * واحتج به قوم من الجبرية وهو ظاهر لهم بادي الرأي حيث قال فخرج آدم موسى لما احتج عليه بتقديم كتابه وسيأتي الجواب عن هذا ، وقال آخرون إنما حجه لأنه لومه على ذنب قد تلب منه والتائب من الذنب كمن لا ذنب له * وقيل إنما حجه لأنه أكبر منه واقدم * وقيل لأنه أبوه * وقيل لانهما في شريعتين متغايرتين * وقيل لانهما في دار البرزخ وقد اقطع التكليف فيما يزعمونه * والتحقيق ان هذا الحديث روى بالفاظ كثيرة بعضها مروى بالمعنى . وفيه نظر . ومدار معظمها في الصحيحين وغيرهما على أنه لومه على إخراج نفسه وذريته من الجنة فقال له آدم انا لم أخرجكم وانما

أخرجكم الذي رتب الاخراج على أكلى من الشجرة والذي رتب ذلك وقدره وكتبه قبل أن أخلق هو الله عز وجل فأتت تلومنى على أمر ليس له نسبة الى أكثر ما أتى نهيته عن الأكل من الشجرة فأكلت منها وكون الاخراج مترتبا على ذلك ليس من فعلى فأنالم أخرجكم ولا نفسى من الجنة وإنما كان هذا من قدرة الله وصنعه وله الحكمة فى ذلك فلماذا حج آدم موسى *

ومن كذب بهذا الحديث فعاند لانه متواتر عن أبى هريرة رضى الله عنه وناهيك به عدالة وحفظا واتقاناً * ثم هو مروى عن غيره من الصحابة كما ذكرنا . ومن تأوله بتلك التأويلات المذكورة آنفا فهو بعيد من اللفظ والمعنى . وما فيهم من هو اقوى مسلكا من الجبرية . وفيما قالوه نظر من وجود * (أحدها) أن موسى عليه السلام لا يلوم على أمر قد تاب منه فاعله (الثانى) انه قد قتل نفسا لم يؤمر بقتلها وقد سأل الله فى ذلك بقوله « رب انى ظلمت نفسى فاغفرلى فغفر له » الآية (الثالث) انه لو كان الجواب عن اللوم على الذنب بالقدر المتقدم كتابته على العبد لا يفتح هذا لكل من ليم على أمر قد فعله فيحتاج بالقدر السابق فينسب باب القصاص والحدود ولو كان القدر حجة لاحتج به كل أحد على الأمر الذى ارتكبه فى الأمور الكبار والصغار وهذا يفضى الى لوازم فظيعة . فلماذا قال من قال من العلماء بان جواب آدم إنما كان احتجاجا بالقدر على المصيبة لا المعصية والله تعالى أعلم .

للعمامة الدرورة فى خلق آدم

قال الامام أحمد حدثنا يحيى ومحمد بن جعفر حدثنا عوف حدثنى قسامة بن زهير عن أبى موسى عن النبى (ص) قال (ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض فجاء منهم الابيض والاحمر والاسود وبين ذلك . والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك ورواه أيضا عن هوزة عن عوف عن قسامة بن زهير سمعت الأشعري قال قال رسول الله (ص) (ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض فجاء منهم الابيض والاحمر والاسود وبين ذلك . والسهل والحزن وبين ذلك . والخبيث والطيب وبين ذلك) . وكذا رواه أبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه من حديث عوف بن أبى جميلة الاعرابى عن قسامة بن زهير المازنى البصرى عن أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعري عن النبى (ص) بنحوه . وقال الترمذى حسن صحيح *

وقد ذكر السدى عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله (ص) قالوا (فبعث الله عز وجل جبريل فى الارض ليأتيه بطين منها فقالت الأرض أعوذ بالله منك ان تنقص منى أو تشيننى فرجع ولم يأخذ وقال رب انما عادت بك فأعذبها

فبعث ميكائيل فعادت منه فاعادها فرجع فقال كما قال جبريل فبعث ملك الموت فعادت منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أفذ أمره فأخذ من وجه الارض وخلطه ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة بيضاء وحمراء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به قَبَلُ التراب حتى عاد طينا لازبا (واللازب هو الذي يلزق بمضه ببعض * ثم قال للملائكة (إني خالق بشرا من طين . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) فخلق الله بيده لثلا يتكبر ابليس عنه فخلقته بشرا فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة فمرت به الملائكة ففرزوا منه لما رأوه وكان أشدهم منه فرزا إبليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة فذلك حين يقول (من صلصال كالفخار) ويقول لأمر ما خلقت ودخل من فيه وخرج من دبره وقال للملائكة لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لأهلكته فلما بلغ الحين الذي يريد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله فقال له الله رحمتك ربك فلما دخلت الروح في عيذه نظر الى ثمار الجنة فلما دخلت الروح في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح الى رجله فجلان الى ثمار الجنة وذلك حين يقول الله تعالى « خلق الانسان من عجل » (فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين) وذكر تمام القصة ولبعض هذا السياق شاهد من الاحاديث وان كان كثير منه متلقى من الاسرائيليات فقال الامام احمد حدثنا عبدالصمد حدثنا حماد عن ثابت عن أنس أن النبي (ص) قال (لما خلق الله آدم تركه ماشاء أن يدعه فجعل إبليس يطيف به فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يملك) وقال ابن حبان في صحيحه حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا هديبة ابن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله (ص) قال (لما نفخ في آدم فبلغ الروح رأسه عطس فقال الحمد لله رب العالمين فقال له تبارك وتعالى يرحمك الله) *

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يحيى بن محمد بن السكن حدثنا حبان بن حلال حدثنا مبارك بن فضالة عن عبيد الله عن حبيب عن حنص هو ابن عاصم بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب عن أبي هريرة رفعه قال (لما خلق الله آدم عطس فقال الحمد لله فقال له ربه رحمتك ربك يا آدم) وهذا الاسناد لا بأس به ولم يخرجوه . وقال عمر بن عبدالعزيز « لما أمرت الملائكة بالسجود كان أول من سجد منهم اسرافيل فاتاه الله أن كتب القرآن في جيبه » رواه ابن عساكر وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا عقبه بن مكرم حدثنا عمرو بن محمد عن اسمعيل بن رافع عن المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال « ان الله خلق آدم من تراب ثم جعله طينا ثم تركه حتى اذا كان حما مسنونا خلقه وصوره ثم تركه حتى اذا كان صلصالا كالفخار قال فكان إبليس يمر به فيقول لقد خلقت لأمر عظيم . ثم نفخ الله فيه من روحه

فكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه فعطس فلقاه الله رحمة به فقال الله . يرحمك ربك . ثم قال الله يا آدم اذهب الى هؤلاء النفر فقل لهم (١) فانظر ماذا يقولون فجاء فسلم عليهم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . فقال يا آدم هذا تحيتك وتحية ذريتك . قال يارب وما ذريتي قال اختر يدي يا آدم قال اختر يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين وبسط كفه فاذا من هو كأن من ذريته في كف الرحمن فاذا رجال منهم أفواههم النور فاذا رجل يعجب آدم نوره قال يارب من هذا قال ابنك داود قال يارب فكم جعلت له من العمر قال جعلت له ستين قال يارب فآثم له من عمري حتى يكون له من العمر مائة سنة ففعل الله ذلك وأشهد على ذلك فلما نفذ عمر آدم بعث الله ملك الموت فقال آدم أو لم يبق من عمري أربعون سنة قال له الملك أولم تعطها ابنك داود فجحد ذلك فجحدت ذريته ونسى فنسيت ذريته * وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار والترمذي والنسائي في اليوم والليلة من حديث صفوان بن عيسى عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي (ص) . وقال الترمذي حديث حسن غريب من هذا الوجه . وقال النسائي هذا حديث منكر وقد رواه محمد بن عجلان (٢) عن سعيد المقبري عن ابيه عن عبد الله بن سلام * وقال الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا أبو نعيم حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) (لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقتها من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه فقال أي رب من هذا قال هذا رجل من آخر الامم من ذريتك يقال له داود قال رب وكم جعلت عمره قال ستين سنة قال أي رب زده من عمري أربعين سنة فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال أو لم يبق من عمري أربعون سنة قال أو لم تعطها ابنك داود . قال فجحد فجحدت ذريته ونسى آدم فخطت ذريته) ثم قال الترمذي حسن صحيح وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي (ص) ورواه الحاكم في مستدرکه من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وروى ابن أبي حاتم من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن ابيه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة مرفوعا فذكره وفيه (ثم عرضهم على آدم فقال يا آدم هؤلاء ذريتك واذا فيهم الأجدم والابرس والأعمى وأنواع الاسقام فقال آدم يارب لم فعلت هذا بذريتي قال كي تشكر نعمتي) . ثم ذكر قصة داود . وستأتي من رواية ابن عباس أيضا * وقال الامام أحمد في مسنده حدثنا الهيثم ابن خارجة حدثنا أبو الربيع عن يونس

(١) قوله قل لهم كذبا لا أصول ساقطا منه المقول وهو السلام عليكم أو نحوه (٢) قوله عن سعيد المقبري الخ صوابه عن ابيه عن أبي سعيد المقبري عن عبد الله بن سلام (عن محمود الامام)

ابن ميسرة عن أبي إدريس عن أبي الدرداء عن النبي (ص) قال (خلق الله آدم حين خلقه ف ضرب كتفه اليميني فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الدر وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم . فقال للذي في يمينه . الى الجنة ولا أبالي . وقال للذي في كتفه اليسرى الى النار ولا أبالي *

وقال ابن ابى الدنيا حدثنا خلف بن هشام حدثنا الحكم بن سنان عن حوشب عن الحسن قال « خلق الله آدم حين خلقه فأخرج أهل الجنة من صفحته اليميني وأخرج أهل النار من صفحته اليسرى فالتوا على وجه الأرض منهم الأعمى والأصم والمبتلى * فقال آدم يارب الاسويت بين ولدي * قال يا آدم انى أردت ان أشكر » وهكذا روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن بنحوه * وقد رواه ابو حاتم وابن حبان فى صحيحه فقال حدثنا محمد بن اسحاق بن خزيمة حدثنا محمد بن بشار حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا الحارث بن عبد الرحمن بن أبى ذباب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) ، « لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فحمد الله باذن الله فقال له ربه يرحمك ربك يا آدم اذهب الى أولئك الملائكة الى ملائمتهم جلوس فسلم عليهم فقال السلام عليكم فقالوا وعليكم السلام ورحمة الله . ثم رجع الى ربه فقال هذه تحميتك وتحمية بنيك بينهم وقال الله ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت فقال اخترت يمين ربي وكاتنا يدي ربي يمين مباركة ثم بسطهما فاذا فيهما آدم وذريته فقال اى رب ما هؤلاء قال هؤلاء ذريتك واذا كل انسان منهم مكتوب عمره بين عينيه واذا فيهم رجل أضوؤهم » أو « من أضوؤهم لم يكتب له الا أربعون سنة قال يارب ما هذا . قال هذا ابنك داود وقد كتب الله عمره أربعين سنة * قال أى رب زدنى عمره فقال ذاك الذى كتب له قال فانى قد جعلت له من عمرى ستين سنة قال انت وذاك * اسكن الجنة . فسكن الجنة ماشاء الله ثم هبط منها وكان آدم يعد لنفسه فأتاه ملك الموت فقال له آدم قد عجلت قد كتب لى ألف سنة قال بلى ولكنك جعلت لابنك داود منها ستين سنة فجحد آدم فجحدت ذريته ونسى قنسيت ذريته فيومئذ أمر بالكتاب والشهود » هذا لفظه .

وقد قال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة عن النبي (ص) قال « خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا . ثم قال اذهب وسلم على أولئك من الملائكة واستمع ما يجيبونك فانها تحميك وتحمية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن . » وهكذا رواه البخارى فى كتاب الاستئذان عن يحيى بن جعفر ومسلم عن محمد بن رافع كلاهما عن عبد الرزاق به ، وقال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال كان طول آدم ستين ذراعا فى سبع أذرع عرضا . انفرده احمد .

وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال لما نزلت آية الدين قال رسول الله (ص) « إن أول من جحد آدم إن أول من جحد آدم إن أول من جحد آدم ان الله لما خلق آدم ومسح ظهره فأخرج منه ما هو ذارى الى يوم القيامة فجعل يعرض ذريته عليه فرأى فيهم رجلا يزهر قال أي رب من هذا قال هذا ابنك داود قال أي رب كم عمره قال ستون عاما قال أي رب زد في عمره قال لا الا ان ازيد من عمرك وكان عمر آدم الف عام فزاده أربعين عاما . فكتب الله عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة فلما احتضر آدم اتته الملائكة لقبضه قال إنه قد بقي من عمري أربعون عاما . فقيل له إنك قد وهبتها لابنك داود . قال ما فعلت وأبرز الله عليه الكتاب وشهدت عليه الملائكة » وقال احمد حدثنا اسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) « (إن أول من جحد آدم قالها ثلاث مرات ان الله عز وجل لما خلقه مسح ظهره فأخرج ذريته فعرضهم عليه فرأى فيهم رجلا يزهر فقال أي رب زد في عمره قال لا الا ان تزيد أنت من عمرك فزاده أربعين سنة من عمره . فكتب الله تعالى عليه كتابا وأشهد عليه الملائكة فلما أراد أن يقبض روحه قال إنه بقي من أجلي أربعون سنة فقيل له إنك قد جعلها لابنك داود قال فجحد قال فأخرج الله الكتاب وأقام عليه البيعة فآتمها لداود مائة سنة وأتم لآدم عمره الف سنة * تفرد به أحمد وعلي بن زيد في حديثه نكارة * ورواه الطبراني عن علي بن عبد العزيز عن حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس وغير واحد عن الحسن قال (لما نزلت آية الدين قال رسول الله (ص) « إن أول من جحد آدم ثلاثا) وذكره * وقال الامام مالك بن أنس في موطئه عن زيد بن أبي أنيسة ان عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب اخبره عن مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية (واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى) الآية فقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله (ص) ، يسأل عنها فقال (ان الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره يمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل قال رسول الله (ص) ، اذا خلق الله العبد الجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة واذا خلق الله العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار)

وهكذا رواه الامام احمد وابو داود والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو حاتم بن حبان في صحيحه من طرق عن الامام مالك به * وقال الترمذي هذا حديث حسن * ومسلم بن يسار

لم يسمع عمر * وكذا قال أبو حاتم وأبو زرعة زاد أبو حاتم وبينهما نعيم بن ربيعة * وقد رواه أبو داود عن محمد بن مصفى عن بقية عن عمر بن جثعم عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة قال كنت عند عمر بن الخطاب وقد سئل عن هذه الآية فذكر الحديث * قال الحافظ الدار قطنى وقد تابع عمر بن جثعم أبو فروة بن يزيد بن سنان الزهاوى عن زيد بن أبي أنيسة قال وقولهما أولى بالصواب من قول مالك رحمه الله *

وهذه الاحاديث كلها دالة على استخراجها تعالى ذرية آدم من ظهره كالذر وقسمتهم قسمين أهل اليمين وأهل الشمال وقال هؤلاء للجنة ولا أبلى وهؤلاء للنار ولا أبلى . فأما الاشهاد عليهم واستنطاقهم بالأقرار بالوحدانية فلم يجيء في الأحاديث الثابتة . وتفسير الآية التى فى سورة الأعراف وحملها على هذا فيه نظر كما بيناه هناك . وذكرنا الأحاديث والآثار مستقصاة بأسانيدها وألفاظ متونها . فمن أراد تحريرها فليراجعها ثم والله أعلم *

فأما الحديث الذى رواه أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير يعنى ابن حازم عن كاثوم بن جبر عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن النبي (ص) قال (إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرها بين يديه . ثم كلمهم قبلا قال (ألسنت بربكم قلوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غفلين أو تقولوا) الى قوله (المبطلون) فهو باسناد جيد قوى على شرط مسلم * رواه النسائى وابن جرير والحاكم فى مستدركه من حديث حسين ابن محمد المروزى به . وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه الا أنه اختلف فيه على كاثوم بن جبر فروى عنه مرفوعا وموقوفا . وكذا روى عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس موقوفا . وهكذا رواه العوفى والوالبى والضحاك وأبو جرة عن ابن عباس قوله * وهذا أكثر وأثبت والله أعلم *

وهكذا روى عن عبد الله بن عمر موقوفا ومرفوعا والموقوف أصح * واستأنس القائلون بهذا القول وهو أخذ الميثاق على الذرية وهم الجمهور بما قال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنى مبة عن ابى عمران الجونى عن أنس بن مالك عن النبي (ص) قال (يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة لو كان لك ما على الأرض من شئ أكنت هفتديا به قال فيقول نعم . فيقول قد أردت منك ما هو أهون من ذلك قد أخذت عليك فى ظهر آدم أن لا تشرك بى شيئا فأبيت الا أن تشرك بى) أخرجاه من حديث شعبة به وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب فى قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) الآية والتى بعدها قال فجمعهم له يومئذ جميعا ما هو كائن منه الى يوم القيامة فحاقهم ثم صورهم ثم استنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهد عليهم أنفسهم (ألسنت بربكم قالوا بلى) الآية قال فأتى أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد

عليكم أباكم آدم أن لا تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا. اعلموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري ولا تشركوا بي شيئاً وإني سأرسل اليكم رسلاً يندرونكم عهدي وميثاقى وأنزل عليكم كتابى - قالوا نشهد أنك ربنا والهنأ لارب لنا غيرك ولا اله لنا غيرك فاقروا له يومئذ بالطاعة ورفع أباهم آدم فنظر اليهم فرأى فيهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك * فقال يارب لو سويت بين عبادك فقال إني أحببت أن أشكر. ورأى فيهم الانبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة فهو الذى يقول الله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) وهو الذى يقول (فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وفى ذلك قال (هذا نذير من النذر الاولى) وفى ذلك قال (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاستين) رواه الأئمة عبد الله بن أحمد وابن أبى حاتم وابن جرير وابن مردويه فى تفاسيرهم من طريق أبى جعفر * وروى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة والحسن البصرى وقتادة والسدى وغير واحد من علماء السلف بسياقات توافق هذه الأحاديث وتقدم أنه تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم امتثلوا كلهم الأمر الالهى وامتنع ابليس من السجود له حسداً وعداوة له فطرده الله وأبعده وأخرجه من الحضرة الالهية ونفاه عنها وأهبطه الى الأرض طريداً ملعوناً شيطاناً رجيماً *

وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع . ويعلى ومحمد ابنا عبيد قالوا حدثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) (إذا) قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول ياويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلى النار . ورواه مسلم من حديث وكيع وأبى معاوية عن الأعمش به . ثم لما أسكن آدم الجنة التى أسكنها سواء كانت فى السماء أو فى الأرض على ما تقدم من الخلاف فيه أقام بها هو وزوجته حواء عليهما السلام يأكلان منها رغداً حيث شآءا فلا أكلا من الشجرة التى نهاى عنها سلباً ما كانا فيه من اللباس وأهبطا الى الأرض * وقد ذكرنا الاختلاف فى مواضع هبوطه منها * واختلفوا فى مقدار مقامه فى الجنة فقيل بعض يوم من أيام الدنيا وقد قدمنا مارواه مسلم عن أبى هريرة مرفوعاً وخلق آدم فى آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وتقدم أيضاً حديثه عنه وفيه (يعنى) يوم الجمعة خلق آدم وفيه أخرج منها فان كان اليوم الذى خلق فيه فيه أخرج وقتاً إن الأيام الستة كهذه الأيام فتدلبت بعض يوم من هذه. وفى هذا نظر وإن كان إخراجها فى غير اليوم الذى خلق فيه أو قلنا بأن تلك الأيام مقدارها ستة آلاف سنة كما تقدم عن ابن عباس ومجاهد والضحاك واختاره ابن جرير فتدلبت هناك مدة طويلة . قال ابن جرير ومعلوم أنه خلق فى آخر ساعة من يوم الجمعة والساعة منه ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر فكث مصوراً طيناً قبل أن ينفخ فيه .

الروح أربعين سنة وأقام في الجنة قبل أن يهبط ثلاثاً وأربعين سنة. وأربعة أشهر والله تعالى أعلم * وقد روى عبد الرزاق عن هشام بن حسان عن سوار خبر عطاء بن أبي رباح أنه كان لما أهبط رجلاه في الأرض ورأسه في السماء فخطه الله إلى ستين ذراعاً * وقد روى عن ابن عباس نحوه . وفي هذا نظر لما تقدم من الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال: (إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن * وهذا يقتضي أنه خلق كذلك لا أطول من ستين ذراعاً وأن ذريته لم يزالوا يتناقص خلقهم حتى الآن *)

وذكر ابن جرير عن ابن عباس إن الله قال يا آدم إن لي حرماً بجبال عرشي فانطلق فابن لي فيه بيتاً فطف به كما تطوف ملائكتي بعرشي وأرسل الله له ملكاً فعرفه مكانه وعلمه المناسك . وذكر أن موضع كل خطوة خطاها آدم صارت قرية بعد ذلك *

وعنه أن أول طعام أكله آدم في الأرض أن جاءه جبريل بسبع حبات من حنطة فقال ما هذا قال هذا من الشجرة التي نهيت عنها فأكلت منها فقال وما أصنع بهذا قال ابذره في الأرض فبذره وكان كل حبة منها زنتها أزيد من مائة ألف فنبتت فحصدته ثم درسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه فأكله بعد جهد عظيم وتعب ونكد وذلك قوله تعالى (فلا يخز جنكنا من الجنة فتشقى) *

وكان أول كسوتيهما من شعر الضأن جزاه ثم غزلاه فتسج آدم له جبة ولحواء درعا وخماراً * واختلفوا هل ولد لها بالجنة شيء من الأولاد فقيل لم يولد لهما إلا في الأرض * وقيل بل ولد لها فيها فكان قابيل وأخته ممن ولد بها والله أعلم *

وذكروا أنه كان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى وأمر أن يزوج كل ابن أخت أخيه التي ولدت معه والآخر بالأخرى وهلم جرا ولم يكن تحمل أخت لأخيها الذي ولدت معه

قصة قابيل وقابيل

قال الله تعالى (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين * لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بياسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين * إني أريد أن تبوء بأثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين * فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين * فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين) * قد تكلمنا على هذه القصة في سورة المائدة في التفسير بما فيه كفاية والله الحمد * ولندكر هنا ملخص ما ذكره أئمة السلف في ذلك * فذكر السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن

ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن نلس من الصحابة أن آدم كان يزوج ذكراً كل بطن بائناً الأخرى وأن هايل أراد أن يتزوج باخت قابيل وكان أكبر من هايل وأخت هايل أحسن فاراد هايل أن يستأثر بها على أخيه وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى فأمرها أن يقربا قربانا وذهب آدم ليحج الى مكة واستحفظ السموات على بنيه فأين والأرضين والجبال فأين فتقبل قابيل بحفظ ذلك . فلما ذهب قربا قربانها فقرب هايل جذعة سمينة وكان صاحب غنم وقرب قابيل حزمة من زرع من ردى زرعته فنزلت نار فأكلت قربان هايل وتركت قربان قابيل فغضب وقال لا قتلتك حتى لا تنكح أختي فقال إنما يتقبل الله من المتقين * وروى عن ابن عباس من وجوه أخرى عن عبد الله بن عمرو وقال عبد الله بن عمرو وأيم الله إن كان المقتول لأشد الرجلين ولكن منعه التخرج أن يبسط اليه يده * وذكر أبو جعفر الباقر أن آدم كان مباشراً لتقربهما القربان والتقبل من هايل دون قابيل فقال قابيل لآدم إنما تقبل منه لأنك دعوت له ولم تدع لي وتوعد أخاه فيما بينه وبينه . فلما كان ذات ليلة أبطأ هايل في الرعى فبعث آدم أخاه قابيل لينظر . أبطأ به فلما ذهب إذا هو به فقال له تقبل منك ولم يتقبل مني فقال إنما يتقبل الله من المتقين . فغضب قابيل عندها وضربه بحديدة كانت معه فقتله * وقيل إنه إنما قتله بصخرة رماها على رأسه وهو نائم فشدخته * وقيل بل خنقه خنقا شديداً وعضا كما تفعل السباع فمات والله أعلم *

وقوله له لما توعدده بالقتل (لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لا تقتلك إني أخاف الله رب العالمين) دل على خلق حسن وخوف من الله تعالى وخشية منه وتودع أن يقابل أخاه بالسوء الذي أراد منه أخوه مثله ولهذا ثبت في الصحيحين عن رسول الله (ص) أنه قال (إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار . قالوا يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال إنه كان حريصاً على قتل صاحبه) وقوله (إني أريد أن تبوء بأثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) أي إني أريد ترك مقاتلتك وإن كنت أشد منك وأقوى إذ قد عازمت عليه أن تبوء بأثمي وإثمك أي تتحمل إثم قتلي مع مالك من الآثام المتقدمة قبل ذلك قاله مجاهد والسدي وابن جرير وغير واحد وليس المراد أن آثام المقتول تتحول بمجرد قتله الى القاتل كما قد توهمه بعض قال فان ابن جرير حكى الاجماع على خلاف ذلك *

وأما الحديث الذي يورده بعض من لا يعلم عن النبي (ص) أنه قال ماترك القاتل على المقتول من ذنب فلا أصل له ولا يعرف في شيء من كتب الحديث بسند صحيح ولا حسن ولا ضعيف أيضاً ولكن قد يتفق في بعض الأشخاص يوم القيامة يطالب المقتول القاتل فتكون حسنات القاتل لا تنفي بهذه المظالم فتتحول من سيئات المقتول الى القاتل كما ثبت به الحديث الصحيح في سائر المظالم والقتل

من أعظمها والله أعلم . وقد حررنا هذا كاه في التفسير والله الحمد *

وقد روى الامام احمد وأبو داود والترمذى عن سعد بن أبي وقاص أنه قال عند فتنه عثمان ابن عفان أشهد أن رسول الله (ص) قال (انهما ستكون فتنه القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشى والماشى خير من الساعى) قال أفرأيت ان دخل على يتي فبسط يده الى ليقتلنى قال كن كابن آدم . ورواه بن مردويه عن حذيفة بن اليمان مرفوعا وقال كن كخير ابني آدم . وروى مسلم وأهل السنن الا النسائى عن أبي ذر نحو هذا

وأما الآخر فقد قال الامام احمد حدثنا ابو معاوية ووكيع قالا حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن ابن مسعود قال قال رسول الله (ص) (لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل) * ورواه الجماعة سوى أبي داود من حديث الأعمش به وهكذا روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابراهيم النخعي انهما قالا مثل هذا سواء * وبجبل قاسيون شمالى دمشق مغارة يقال لها مغارة الدم مشهورة بانها المكان الذى قتل قابيل أخاه هابيل عندها وذلك مما تلقوه عن أهل الكتاب فلهذا أعلم بصحة ذلك * وقد ذكر الحافظ بن عساكر فى ترجمة احمد بن كثير وقال إنه كان من الصالحين أنه رأى النبى (ص) وأبا بكر وعمر وهابيل وأنه استخلف هابيل ان هذا دمه خلف له وذكر أنه سأل الله تعالى أن يجعل هذا المكان يستجاب عنده الدعاء فأجابته الى ذلك وصدقه فى ذلك رسول الله (ص) . وقال إنه وأبا بكر وعمر يزورون هذا المكان فى كل يوم خميس * وهذا منام لو صح عن احمد بن كثير هذا لم يترتب عليه حكم شرعى والله أعلم * وقوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوءة اخيه قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فاصبح من النادمين) ذكر بعضهم أنه لما قتله حملة على ظهره سنة وقال آخرون حملة مائة سنة ولم يزل كذلك حتى بعث الله غرابين * قال السدى باسناده عن الصحابة اخوين فتقاتلا فقتل أحدهما الآخر فاما قتله عمد الى الأرض يحفر له فيها ثم ألقاه ودفنه وواراه فاما رآه يصنع ذلك قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى ففعل مثل ما فعل الغراب فواراه ودفنه *

وذكر أهل التواريخ والسير أن آدم حزن على ابنة هابيل حزنا شديدا وأنه قال فى ذلك شعرا وهو قوله فيما ذكره ابن جرير عن ابن حميد

تغيرت البلادُ ومن عليها فوجه الأرض مغبرٌ قبيحُ
تغير كلُّ ذي لونٍ وطعمٍ وقلُّ بشاشة الوجه المليح
(فأجيب آدم)

أبا هابيل قد قُتلا جميعاً وصار الحي كاليت الذبيح
وجاء بشرة قد كان منها على خوف فجابها يصيح

وهذا الشعر فيه نظر وقد يكون آدم عليه السلام قال كلاما يتحزن به بلغته فالفه بمضمون انى هذا وفيه
أقوال والله أعلم * وقد ذكر مجاهد أن قابيل عوجل بالعقوبة يوم قتل أخاه فعلمت ساقه الى فخذه وجعل
وجهه الى الشمس كيفما دارت تنكيلاه وتعجلا لذنبه وبغية وحسده لأخيه لأبويه * وقد جاء في
الحديث عن رسول الله (ص) أنه قال (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر
لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم) *

والذى رأيت في الكتاب الذى بايدي أهل الكتاب الذين يزعمون أنه التوراة أن الله عز وجل
أجله وأنظره وأنه سكن في أرض نود في شرقى عدن وهم يسونه قنين وأنه ولد له خنوخ وخنوخ عند
ولعندر محوايل ومحوايل متوشيل وامتوشيل لامك وتزوج هذا امرأتين عدا وصلا فولدت عدا ولدا
اسمه ابل وهو أول من سكن القباب واقتنى المال وولدت أيضا نوبل وهو أول من أخذ في ضرب
الونج والصنج وولدت صلا ولدا اسمه توبلقين وهو أول من صنع النحاس والحديد وبنتا اسمها معى
وفيهما أيضا ان آدم طاف على امرأته فولدت غلاما ودعت اسمه شيث وقالت من أجل انه قد وهب لى
خلفا من هابيل الذى قتله قابيل وولد لثيث أنوش قالوا وكان عمر آدم يوم ولد له شيث مائة وثلاثين
سنة وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وكان عمر شيث يوم ولد له أنوش مائة وخمسا وستين وعاش بعد
ذلك ثمانمائة سنة وسبع سنين . وولد له بنون وبنات غير أنوش فولد لانوش قينان وله من العمر
تسعون سنة وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وخمس عشرة سنة وولد له بنون وبنات فلما كان عمر قينان
سبعين سنة ولد له مهلاييل وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وأربعين سنة وولد له بنون وبنات فلما كان
لمهلاييل من العمر خمس وستون سنة ولد له برد وعاش بعد ذلك ثمانمائة وثلاثين سنة وولد له
بنون وبنات فلما كان لبرد مائة سنة واثنان وستون سنة ولد له خنوخ وعاش بعد ذلك ثمانمائة
سنة وولد له بنون وبنات فلما كان لخنوخ خمس وستون سنة ولد له متوشلح وعاش بعد ذلك ثمانمائة
سنة وولد له بنون وبنات فلما كان لمتوشلح مائة وسبع وثمانون سنة ولد له لامك وعاش بعد ذلك سبعائة
واثنين وثمانين سنة وولد له بنون وبنات فلما كان للامك من العمر مائة واثنان وثمانون سنة ولد
له نوح وعاش بعد ذلك خمسمائة وخمسا وتسعين سنة . وولد له بنون وبنات فلما كان لنوح خمسمائة سنة
ولد له بنون سام وحام ويافت هذا مضمون ما فى كتابهم صريحا *

وفى كون هذه التواريخ محفوظة فيما نزل من السماء نظر كما ذكره غير واحد من العلماء طاعينين

عليهم في ذلك والظاهر انها مقحمة فيها . ذكرها بعضهم على سبيل الزيادة والتفسير . وفيها غلط كثير كما سند كره في مواضعه ان شاء الله تعالى * وقد ذكر الامام أبو جعفر بن جرير في تاريخه عن بعضهم ان حواء ولدت لا دم أربعين ولدا في عشرين بطنا قاله ابن اسحق وسامه والله تعالى أعلم . وقيل مائة وعشرين بطنا في كل واحد ذكر وأنثى . أولهم قاييل وأخته قليا . وآخرهم عبد المغيث وأخته أم المغيث * ثم انتشر الناس بعد ذلك وكثروا وامتدوا في الارض ونموا كما قال الله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) الآية وقد ذكر أهل التاريخ أن آدم عليه السلام لم يمت حتى رأى من ذريته من أولاده وأولاد أولاده أربع مائة ألف نسمة والله أعلم * وقال تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين إليها فلما آتاها صالحا جعلناه شركاء فيما آتاها فتعالى الله عما يشركون) الآيات فهذا تنبيه أولاد آدم ثم استطردها الى الجنس وايس المراد بهذا ذكر آدم وحواء بل لما جرى ذكر الشخص استطردها الى الجنس كما في قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) وقال تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) ومعلوم أن رجوم الشياطين ليست هي أعيان مصابيح السماء وانما استطردها من شخصها الى جنسها * فأما الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن ابراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي (ص) قال (لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فانه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره *

وهكذا رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم عند هذه الآية وأخرجه الحاكم في مستدركه كلهم من حديث عبد الصمد بن عبد الوارث به * وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه * وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه فهذه علة قاذحة في الحديث انه روى موقوفا على الصحابي وهذا أشبه والظاهر أنه تأماد من الاسرائيليات * وهكذا روى موقوفا على ابن عباس . والظاهر أن هذا متاقى عن كعب الاحبار ودوته والله أعلم * وقد فسر الحسن البصري هذه الآيات بخلاف هذا . فلو كان عنده عن سمرة مرفوعا لما عدل عنه الى غيره والله أعلم . وأيضا فلهذا تعالى انما خلق آدم وحواء ليكونا أصل البشر وليث منهما رجلا كثيرا ونساء فكيف كانت حواء لا يعيش لها ولد كما ذكر في هذا الحديث إن كان محفوظا . والمظنون بل المقطوع به ان رفعه الى النبي (ص) خطأ والصواب وقفه والله أعلم *

وقد حررنا هذا في كتابنا التفسير والله الحمد .

ثم قد كان آدم وحواء أتقى لله مما ذكر عنهما في هذا . فان آدم أبو البشر الذي خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأسكنه جنته * وقد روى ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر قال قالت يارسول الله كم الانبياء قال مائة الف وأربعة وعشرون الفا . قلت يارسول الله كم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفيرة . قلت يارسول الله من كان أولهم . قال آدم . قلت يارسول الله نبي مرسل قال نعم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه ثم سواه قبلا . وقال الطبراني حدثنا ابراهيم بن نائلة الاصبهاني حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا نافع بن هرم عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) : ألا اخبركم بأفضل الملائكة جبريل وأفضل النبيين آدم وأفضل الايام يوم الجمعة وأفضل الشهور شهر رمضان وأفضل الليالي ليلة القدر وأفضل النساء مريم بنت عمران * وهذا إسناد ضعيف فان نافعا أبا هريرة كذبه ابن معين وضعفه أحمد وأبو زرعة وأبو حاتم وابن حبان وغيرهم والله أعلم * وقال كعب الاحبار ليس أحد في الجنة له حية الا آدم . لحيته سوداء الى سرتة . وليس أحد يكنى في الجنة الا آدم كنيته في الدنيا أبو البشر وفي الجنة أبو محمد * وقد روى ابن عدى من طريق سبوح (١) ابن أبي خالد عن حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله مرفوعا أهل الجنة يدعون بأسمائهم الا آدم فانه يكنى أبا محمد * ورواه ابن عدى أيضا من حديث علي بن أبي طالب وهو ضعيف من كل وجه والله أعلم *

وفي حديث الاسراء الذي في الصحيحين أن رسول الله (ص) لما مر بآدم وهو في السماء الدنيا قال له مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قال واذا عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة . فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى . فقلت يا جبريل ما هذا قال هذا آدم وهؤلاء نسمة بنيه * فاذا نظر قبل أهل اليمين وهم أهل الجنة ضحك واذا نظر قبل أهل الشمال وهم أهل النار بكى هذا معنى الحديث * وقال أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المثني حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا هشام بن حسان عن الحسن قال كان عقل آدم مثل عقل جميع ولده *

وقال بعض العلماء في قوله (ص) : فمرت بيوسف واذا هو قد أعطى شطر الحسن * قالوا معناه أنه كان على النصف من حسن آدم عليه السلام * وهذا مناسب . فان الله خلق آدم وصوره بيده الكريمة ونفخ فيه من روحه فما كان ليخلق إلا أحسن الأشباه * وقد روينا عن عبد الله بن عمر وابن عمرو أيضا موقوفا ومرفوعا إن الله تعالى لما خلق الجنة قالت الملائكة ياربنا اجعل لنا هذه فانك خلقت لبني آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون . فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لأجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كن قلت له كن فكان . وقد ورد الحديث المروي في الصحيحين وغيرها من طرق أن رسول الله

(١) قوله سبوح بن أبي خالد كذا بالأصل ولا نفر من الرجال من سمي بهذا الاسم «محمود الامام»

(ص)، قال إن الله (خلق آدم على صورته) وقد تكلم العلماء على هذا الحديث فذكروا فيه مسالك كثيرة ليس هذا موضع بسطها والله أعلم *

وفاة آدم ووصية له لابنه شيث

ومعنى شيث هبة الله وسميها بذلك لأنها زرقاه بعد أن قتل هابيل * قال أبو ذر في حديثه عن رسول الله (ص)، إن الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف . على شيث خمسين صحيفة * قال محمد بن اسحاق ولما حضرت آدم الوفاة عهد الى ابنه شيث وعلمه ساعات الليل والنهار وعلمه عبادات تلك الساعات وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك . قال ويقال إن انتساب بني آدم اليوم كلها تنتهي الى شيث . وسائر أولاد آدم غيره انقرضوا وبادوا والله أعلم *

ولما توفي آدم عليه السلام وكان ذلك يوم الجمعة جاءت الملائكة بحنوط وكفن من عند الله عز وجل من الجنة . وعزوا فيه ابنه ووصيه شيثا عليه السلام * قال ابن اسحاق وكسفت الشمس والقمر سبعة أيام بلياليهن * وقد قال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا هبة بن خالد حدثنا حماد بن سادة عن حميد عن الحسن عن يحيى هو ابن ضمرة السعدي قال رأيت شيخا بالمدينة تكلم فسألت عنه فقالوا هذا أبي بن كعب . فقال إن آدم لما حضره الموت قال لبنيه أي بني إني أشتهي من ثمار الجنة قال فذهبوا يطلبون له فاستقبلتهم الملائكة وهمهم أكفانه وحنوطه ومعهم الفوس والمساحي والمكائل فقالوا لهم يا بني آدم ما تريدون وما تطلبون أو ما تريدون وأين تطلبون قالوا أبونا مريض واشتهدى من ثمار الجنة فقالوا لهم ارجعوا فقد قضى أبوكم فجاءوا فلما رأتهم حواء عرقتهم فلاذت بآدم فقال اليك عنى فاني انما أتيت من قبلك فغلى بيني وبين ملائكة ربي عز وجل فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه وحفروا له ولحدوه وصلوا عليه . ثم ادخلوه قبره فوضعوه في قبره . ثم حثوا عليه . ثم قالوا يا بني آدم هذه سنتكم * إسناد صحيح اليه * وروى ابن عساكر من طريق شيبان بن فروخ عن محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله (ص)، قال كبرت الملائكة على آدم أربعا وكبر أبو بكر على فاطمة أربعا وكبر عمر على أبي بكر أربعا وكبر صهيب على عمر أربعا * قال ابن عساكر ورواه غيره عن ميمون فقال عن ابن عمر *

واختلفوا في موضع دفنه فاشتهر أنه دفن عند الجبل الذي أهبط منه في الهند وقيل بجبل أبي قبيس بمكة * ويقال إن نوحا عليه السلام لما كان زمن الطوفان حمله هو وحواء في تابوت فدقهما بيت المقدس * حكى ذلك ابن جرير * وروى ابن عساكر عن بعضهم أنه قال رأسه عند مسجد ابراهيم ورجلاه عند صخرة بيت المقدس * وقد ماتت بعده حواء بسنة واحدة * واختلف في مقدار عمره عليه السلام قدمنا

في الحديث عن ابن عباس وأبي هريرة مرفوعاً أن عمره ا كُتِبَ في اللوح المحفوظ الف سنة . وهذا لا يعارضه ما في التوراة من أنه عاش تسعمائة وثلاثين سنة لان قولهم هذا مطعون فيه مَرْدُودٌ اذا خالف الحق الذي بأيدينا مما هو المحفوظ عن المعصوم * وايضا فان قولهم هذا يمكن الجمع بينه وبين ما في الحديث فان ما في التوراة إن كان محفوظاً محمول على مدة مقامه في الارض بعد الالهباط وذلك تسعمائة وثلاثون سنة شمسية وهي بالقمرية تسعمائة وسبع وخمسون سنة ويضاف الى ذلك ثلاث وأربعون سنة مدة مقامه في الجنة قبل الالهباط على ما ذكره ابن جرير وغيره فيكون الجميع الف سنة *

وقال عطاء الخراساني لما مات آدم بكت الخلائق عليه سبعة أيام * رواه ابن عساکر فلما مات آدم عليه السلام قام بأعباء الأمر بعده ولده شيث عليه السلام . وكان نبيا بنس الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر مرفوعاً أنه أنزل عليه خمسون صحيفة . فلما حانت وفاته أوصى الى ابنه أنوش فقام بالأمر بعده ثم بعده ولده قين . ثم من بعده ابنه مهلاييل وهو الذي يزعم الأعاجم من الفرس أنه ملك الأقاليم السبعة وأنه أول من قطع الأشجار وبني المدن والحصون الكبار . وأنه هو الذي بنى مدينة بابل ومدينة السوس الأقصى . وأنه قهر ابليس وجنوده وشردهم عن الارض الى أطرافها وشعب جبالها وأنه قتل خاتماً من مردة الجن والغيلان وكان له تاج عظيم وكان يخطب الناس ودامت دولته أربعين سنة . فلما مات قام بالأمر بعده ولده يرد فلما حضرته الوفاة أوصى الى ولده خنوخ وهو إدريس عليه السلام على المشهور *

إدريس عليه السلام

قال الله تعالى (واذكر في الكتاب إدريس انه كان صديقاً نبياً * ورفعناه مكاناً علياً) فإدريس عليه السلام قد أثنى الله عليه ووصفه بالنبوة والصديقية وهو خنوخ هذا وهو في عمود نسب رسول الله (ص) على ما ذكره غير واحد من علماء النسب . وكان أول بني آدم أعطى النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام * وذكر ابن اسحاق أنه أول من خط بالقلم وقد أدرك من حياة آدم ثلاثمائة سنة وثمانين سنين . وقد قال طائفة من الناس إنه المشار اليه في حديث معاوية بن الحكم السلمي لما سأل رسول الله (ص) عن الخط بالرمل فقال إنه كان نبي يخط به فمن وافق خطه فذاك * ويؤمن كثير من علماء التفسير والاحكام أنه أول من تكلم في ذلك ويسمونه هرمس الهرامسة ويكذبون عليه أشياء كثيرة كما كذبوا على غيره من الأنبياء والعلماء والحكماء والأولياء * وقوله تعالى (ورفعناه مكاناً علياً) هو كما ثبت في الصحيحين في حديث الاسراء أن رسول الله (ص) مر به وهو في السماء الرابعة * وقد روى ابن جرير عن يونس عن عبد الأعلى عن ابن وهب عن جرير بن حازم عن الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف

قال سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر فقال له ما قول الله تعالى لا تدريس (ورفعناه مكانا عليا) فقال كعب
 أما إدريس فان الله أوحى اليه انى أرفع لك كل يوم مثل جميع عمل بنى آدم (لعله من أهل زمانه) فأحب
 أن يزداد عملا فاتاه خليل له من الملائكة فقال إن الله أوحى الى كذا وكذا فكأن ملك الموت حتى
 ازداد عملا فعمله بين جناحيه ثم صعد به الى السماء فلما كان فى السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدرًا
 فكلم ملك الموت فى الذى كلمه فيه إدريس فقال وأين إدريس قال هو ذا تلى ظهري فقال ملك
 الموت فالعجب بعثت وقيل لى قبض روح إدريس فى السماء الرابعة فجعلت أقول كيف قبضت روحه فى
 السماء الرابعة وهو فى الارض فقبضت روحه هاك فذلك قول الله عز وجل (ورفعناه مكانا عليا) ورواه
 ابن أبي حاتم عند تفسيرها * وعنده فقال لذلك الملك سل لى ملك الموت كم بقى من عمرى فسأله وهو
 معه كم بقى من عمره فقال لا أدرى حتى أنظر فنظر فقال إنك لتسألنى عن رجل ما بقى من عمره الا طرفة
 عين فنظر الملك الى تحت جناحه الى إدريس فاذا هو قد قبض وهو لا يشعر * وهذا من الاسرائيليات
 وفى بعضه نكارة . وقول ابن أبي نجیح عن مجاهد فى قوله (ورفعناه مكانا عليا) قال إدريس رفع ولم
 يمت كما رفع عيسى إن أراد أنه لم يمت الى الآن فى هذا نظر وإن أراد أنه رفع حيا الى السماء ثم قبض
 هناك فلا ينافى ما تقدم عن كعب الأخبار والله أعلم * وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله (ورفعناه
 مكانا عليا) رفع الى السماء السادسة فأت بها . وهكذا قال الضحاك . والحديث المتفق عليه من أنه فى
 السماء الرابعة أصح وهو قول مجاهد وغير واحد * وقال الحسن البصرى (ورفعناه مكانا عليا) قال الى
 الجنة * وقال قائلون رفع فى حياة أبيه يرد بن مهلايل والله أعلم * وقد زعم بعضهم أن إدريس لم
 يكن قبل نوح بل فى زمان بنى اسرائيل *

قال البخارى ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن الياس هو إدريس واستأنسوا فى ذلك بما
 جاء فى حديث الزهرى عن أنس فى الاسراء انه لما مر به عليه السلام قال له مرحبا
 بالأخ الصالح والنبي الصالح ولم يقل كما قال آدم و ابراهيم مرحبا بالنبي الصالح والابن
 الصالح قالوا فلو كان فى عمود نسبه لقال له كما قال له * وهذا لا يدل ولا بد لانه
 قد لا يكون الراوى حفظه جيدا . أولعله قاله له على سبيل الهضم والتواضع ولم
 ينتصب له فى مقام الأبوة كما انتصب لآدم أبى البشر و ابراهيم الذى هو
 خليل الرحمن وأكبر أولى العزم بعد محمد صلوات الله عليهم أجمعين *

قصة نوح عليه السلام

هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ . وهو إدريس بن يرد بن مهلايل بن قيسن بن أنوش
 ابن شيث بن آدم أبى البشر عليه السلام * كان مولده بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة فيما

ذكره ابن جرير وغيره . وعلى تاريخ أهل الكتاب المتقدم يكون بين مولد نوح وموت آدم مائة وست وأربعون سنة وكان بينهما عشرة قرون كما قال الحافظ أبو حاتم بن حبان في صحيحه حدثنا محمد بن عمر بن يوسف حدثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام سمعت أبا سلام سمعت أبا أمامة أن رجلا قال يا رسول الله أنبي كان آدم قال نعم مكلم . قال فكيف كان بينه وبين نوح قال عشرة قرون . قلت وهذا على شرط مسلم ولم يخرج . وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام * فان كان المراد بالقرن مائة سنة كما هو المتبادر عند كثير من الناس فينبغي أن لا ينفي أن يكون أكثر باعتبار ما قيد به ابن عباس بالإسلام إذ قد يكون بينهما قرون أخر متأخرة لم يكونوا على الإسلام لكن حديث أبي أمامة يدل على الحصر في عشرة قرون وزادنا ابن عباس أنهم كلهم كانوا على الإسلام * وهذا يرد قول من زعم من أهل التواريخ وغيرهم من أهل الكتاب أن قابيل وبنيه عبدوا النار والله أعلم * وان كان المراد بالقرن الجليل من الناس كما في قوله تعالى (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح) وقوله (ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) وقال تعالى (وقرونا بين ذلك كثيرا) وقال (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) وكقوله عليه السلام (خير القرون قرني) الحديث فقد كان الجليل قبل نوح يعمر الدهر الطويلة * فعلى هذا يكون بين آدم ونوح ألف من السنين والله أعلم *

وبالجملة فنوح عليه السلام إنما بعثه الله تعالى لما عبدت الأصنام والطواغيت وشرع الناس في الضلالة والكفر فبعثه الله رحمة للعبيد فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض كما يتولى له أهل الموقف يوم القيامة * وكان قومه يقال لهم بنو راسب فيما ذكره ابن جرير وغيره *

واختلفوا في مقدار سنه يوم بعث فقيل كان ابن خمسين سنة . وقيل ابن ثلاثمائة وخمسين سنة وقيل ابن اربعمائة وثمانين سنة . حكاه ابن جرير وعزا الثالثة منها إلى ابن عباس *

وقد ذكر الله قصته وما كان من قومه وما أنزل بمن كفر به من العذاب بالطوفان وكيف أنجاه وأصحاب السفينة في غير ما موضع من كتابه العزيز * ففي الأعراف ويونس وهود والأنبياء والمؤمنون والشعراء والعنكبوت والصفوات واقتربت وأنزل فيه سورة كاملة * فقال في سورة الأعراف (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قال الملائكة من قومه اتوا لترك في ضلال مبين . قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون . أو عجبت أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون . فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عينا) وقال في سورة يونس (واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبير

عليكم مقامى وتد كبرى بايات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة
ثم اقصوا الى ولا تنظرون . فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجرى الا على الله وأمرت أن
أكون من المسلمين . فكذبوه فنجيناك ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا
بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) وقال تعالى فى سورة هود (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى
لكم نذير مبين * أن لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم * فقال الملأ الذين كفروا
من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأى وما نرى لكم علينا
من فضل بل نظنكم كاذبين * قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده
فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون . ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله وما أنا
بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون * ويا قوم من ينصرنى من الله ان
طردتهم أفلا تذكرون * ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك ولا
أقول للذين تزددى أعينكم لن يؤتيمهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين * قالوا يا نوح
قد جادلنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تمدنا ان كنت من الصادقين * قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما
أنتم بمعجزين * ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه
ترجعون * أم يقولون افتراء قل ان افتريته فعلى إجرامى وأنا برى مما تجرمون * وأوحى الى نوح
أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون * واصنع الفلك باعيننا ووحينا
ولا تخاطبني فى الذين ظلموا إنهم مغرقون * ويصنع الفلك وكلما مر عليه مالا من قومه سخروا منه قال
إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كاتسحرون * فسوف تعاملون * من يأتيه عذاب يخزيه ويحمل عليه
عذاب مقيم * حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق
عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل * وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور
رحيم * وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يابنى اركب معنا ولا تكن مع
الكافرين * قال ساوى الى جبل يعصمى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال
بينهما الموج فكانا من المفرقين * وقيل يا أرض اباهي ماءك ويا سماء ألقى وغيض الماء وقضى الأمر
واستوت على الجودى وقيل بمدا للقوم الظالمين * ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من أهلى وان
وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين * قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما
ليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين * قال رب انى اعوذ بك أن أسألك ما ليس لى
به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين * قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى
أسم من معك وأمم سئمتمهم ثم بمسهم منا عذاب أليم * تلك من أنباء الغيب نوحيها لك ما كنت

تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين) * وقال تعالى في سورة الانبياء (ونوحا
اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم * ونصرناه من القوم الذين كذبوا
بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين) وقال تعالى في سورة قد أفلح المؤمنون (ولقد أرسلنا نوحا الى
قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون . فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا
الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل بلكم ولو شاء الله لآنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آياتنا الأولى *
ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين * قال رب انصرني بما كذبون * فوحيانا اليه أن اصنع
الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق
عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون * فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك
فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين * وقل رب انزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين * ان
في ذلك لايات وان كنا لمبتائين) وقال تعالى في سورة الشعراء (كذبت قوم نوح المرساين * اذ قال
لهم أخوهم نوح ألا تتقون . انى لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر ان
اجرى الا على رب العالمين . فاتقوا الله وأطيعون . قلوا أنؤمن لك واتبعك الأذلون . قال وما على
بما كانوا يعملون * ان حسابهم الا على ربى لو تشعروا وما أنا بطارد المؤمنين . إن أنا الا نذير مبين .
قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين . قال رب إن قومى كذبون . فافتح بينى وبينهم فتحا
ونجى ومن معى من المؤمنين . فأنجيناك ومن معك فى الفلك المشحون . ثم أغرقنا بعد الباقين . إن فى ذلك
لاية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك لهو العزيز الرحيم) وقال تعالى فى سورة العنكبوت (ولقد
أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون . فأنجيناك
والسفينه وجعلناها آية للعالمين) وقال تعالى فى سورة الصافات (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون . ونجيناك
وأهله من الكرب العظيم . وجعلنا ذريته هم الباقين . وتركناك عليه فى الآخريين . سلام على نوح فى
العالمين . إنا كذلك نجزي المحسنين . إنه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الآخريين) وقال تعالى فى سورة
اقتربت (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقلوا مجنون وازدجر . فدعاه اى مغلوب فاتبصر .
ففتحننا أبواب السماء بما منهم . وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر . وحملناه على ذات
الواح ودر . نجري باعيننا جزاء لمن كان كفر . ولقد تركناها آية فهل من مدكر . فكيف كان عذابي
ونذر . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم انا أرسلنا
نوحا الى قومه أن انذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم . قال يا قوم إني لكم نذير مبين * ان اعبدوا
الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسعى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو
كنتم تعلمون * قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزددهم دعائى الا فرارا . واني كلما دعوتهم

لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً * ثم إني دعوتهم
 جهاراً . ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم أسراراً * فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء
 عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً * ما لكم لا ترجون لله
 وقاراً * وقد خلقكم أطواراً * ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نورا وجعل
 الشمس سراجاً * والله انبتكم من الأرض نباتاً * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً * والله جعل لكم
 الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً * قال نوح رب اهبهم عصوفى واتبعوا من لم يزدده ماله
 وولده الا خساراً ومكروا مكراً كباراً * وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعاً ولا يغوث
 ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين الا ضلالاً * مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً
 فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً * وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً *
 إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً * رب اغفرلى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمناً
 وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تباراً (وقد تكلمنا على كل موضع من هذه فى التفسير
 وسذكر مضمون القصة مجموعاً من هذه الأماكن المتفرقة ومما دلت عليه الاحاديث والآثار وقد
 جرى ذكره أيضاً فى مواضع متفرقة من القرآن فيها مدحه وذم من خالفه فقال تعالى فى سورة النساء
 (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب
 والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتيناهم داود زبوراً * ورسلاً قد قصصناهم عليك
 من قبل ورسلاً لم قصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً * رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس
 على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكماً) وقال فى سورة الانعام (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على
 قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحاً هدينا
 من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا
 ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين * واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلاً فضلنا على العالمين *
 ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم) الآيات * وتقدمت قصته
 فى الأعراف * وقال فى سورة براءة (ألم يأتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم
 وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)
 وتقدمت قصته فى يونس وهود) وقال فى سورة ابراهيم (ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد
 وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم وقالوا إنا
 كفرنا بما أرسلتم به وانا لنى شك مما تدعوننا اليه مريب) وقال فى سورة سبحان (ذرية من حملنا مع
 نوح انه كان عبداً شكوراً) وقال فيها أيضاً (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب

عباده خيرا بصيرا) وتقدمت قصته في الانبياء والمؤمنون والشعراء والعنكبوت . وقال في سورة الأحزاب (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غايظا) وقال في سورة (ص) (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب . ان كل الاكذب الرسل فحق عقاب) وقال في سورة غافر (كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب . وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) وقال في سورة الشورى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه * الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) وقال تعالى في سورة (ق) (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد) وقال في الذاريات (وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين) وقال في النجم (وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأظفى) وتقدمت قصته في سورة اقتربت الساعة * وقال تعالى في سورة الحديد (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) وقال تعالى في سورة التحريم (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) *

وأما مضمون ماجرى له مع قومه مأخوذا من الكتاب والسنة والآثار فقد قدمنا عن ابن عباس أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام رواد البخارى * وذكروا أن المراد بالقرن الجيل أو المدة على ماسلف * ثم بعد تلك القرون الصالحة حدثت أمور اقتضت ان آل الحال بأهل ذلك الزمان الى عبادة الاصنام وكان سبب ذلك مارواد البخارى من حديث ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عند تفسير قوله تعالى (وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تدرن ودا ولا سواعا . ولا يعوق ويعوق ونسرا) قال (هذه) أسماء رجال صالحين من قوم نوح . فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون (فيها) أنصبا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبت * قال ابن عباس وصارت هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد * وهكذا قال عكرمة والضحاك وقتادة ومحمد بن اسحاق *

وقال ابن جرير في تفسيره حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس قال كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا الى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون

دب انهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وبهم يستقون المطر فعبدهم * وروى ابن ابي حاتم عن عروة ابن الزبير انه قال ود ويعوث ويعوق وسواع ونسر اولاد آدم وكان ودا اكبرهم وابراهيم به * وقال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن منصور حدثنا الحسن بن موسى حدثنا يعقوب عن ابي المطهر قال ذكروا عند ابي جعفر هو الباقر وهو قائم يصلي يزيد بن المهلب قال فلما انقضى من صلته قال ذكروا يزيد بن المهلب اما انه قتل في اول ارض عبد نبيها غير الله . قال ذكروا رجلا صالحا وكان محبا في قومه فلما مات عكفوا حول قبره في ارض بابل وجزعوا عليه فلما رأى ابليس جزعهم عليه تشبه في صورة انسان ثم قال انى جزعكم على هذا الرجل فهل لكم ان اصور لكم مثله فيكون في ناديم فتذكرونه قالوا نعم . فصور لهم مثله . قال ووضعوه في ناديم وجعلوا يدكرونه . فلما رأى ما بهم من ذكره قال هل لكم ان اجعل في منزل كل واحد منكم تمثالا مثله ليكون له في بيته فتذكرونه . قالوا نعم قال فمثل لكل اهل بيت تمثالا مثله فاقبلوا فعملوا يدكرونه به . قال وأدرك اباؤهم فعملوا يرون ما يصنعون به قال وتناسلوا ودرس اثر ذكروهم اباد حتى اتخذوه لما يعبدونه من دون الله اولاد اولادهم فكان اول ما عبد غير الله ودا الصنم الذي سموه ودا *

ومقتضى هذا السياق ان كل صنم من هذه عبده طائفة من الناس * وقد ذكر انه لما تناولت اليهود والازمان جعلوا تلك الصور تماثيل مجسدة ليكون اثبت لهم ثم عبت بعد ذلك من دون الله عز وجل * ولهم في عبادتها مسالك كثيرة جدا قد ذكرناها في مواضعها من كتابنا التفسير والله الحمد والمنة * وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله (ص) انه لما ذكرت عنده أم سلمة وأم حبيبة تلك الكنيسة التي رايناها بأرض الحبشة يقال لها مارية فذكرتا من حسناتها وتصاوير فيها قال (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله عز وجل) والمقصود ان الفساد لما انتشر في الأرض وعم البلاء ببياد الأصنام فيها بعث الله عبده ورسوله نوحا عليه السلام يدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه فكان اول رسول بعثه الله الى اهل الأرض كما ثبت في الصحيحين من حديث ابي حيان عن ابي زرعة بن عمرو بن جرير عن ابي هريرة عن النبي (ص) في حديث الشفاعة قال فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيد وفتح فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا الى ربك . ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فيقول ربي قد غضب غضبا شديدا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت اول الرسل الى اهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا ألا ترى الى ما نحن فيه ألا ترى الى ما بلغنا ألا تشفع لنا الى ربك عز وجل فيقول ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده

مثله نفسى نفسى . وذكر تمام الحديث بطوله كما أورده البخارى فى قصة نوح •

فلما بعث الله نوحا عليه السلام دعاهم الى افراد العبادة لله وحده لا شريك له وأن لا يعبدوا معه صنما ولا تمثالا ولا طاغوتا وأن يعترفوا بوحدانيته وأنه لا إله غيره ولا رب سواه كما أمر الله تعالى من بعده من الرسل الذين هم كلهم من ذريته كما قال تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) وقال فيه وفى ابراهيم (وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب) أى كل نبي من بعد نوح فمن ذريته . وكذلك ابراهيم قال الله تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقل تعالى واسئلكم من ارسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آتة يعبدون) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا إله الا انا فعبدون) ولهذا قال نوح لقومه (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) وقال (ألا تعبدوا إلا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) وقال (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون) وقال (يا قوم انى لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون . يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر نوكتم تعلمون * قال رب انى دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدكم دعائى الا فرارا وانى كما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا . نقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا * ما لكم لا ترجون لله وقارا . وقد خلقكم اطوارا) الآيات الكريمة . فذكر انه دعاهم الى الله بانواع الدعوة فى الليل والنهار والسر والاجهار بالترغيب تارة والترهيب أخرى وكل هذا فلم ينجح فيهم بل استمر أكثرهم على الضلالة والطغيان وعبادة الاصنام والأوثان ونصبوا له العداوة فى كل وقت وأوان وتنقصوه وتنقصوا من آمن به وتوعدوهم بالرجم والاخراج ونالوا منهم وبالغوا فى أمرهم (قال الملائكة من قومك) أى السادة الكبراء منهم . انا لترك فى ضلال مبين . قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين) أى لست كما تزعمون من أنى ضال بل على الهدى المستقيم رسول من رب العالمين أى الذى يقول للشئ كن فيكون (أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون) . وهذا شأن الرسول أن يكون بليغا أى فصيحاً ناصحاً أعلم الناس بالله عز وجل . وقالوا له فيما قالوا (ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين) تعجبوا ان يكون بشرا رسولا وتنقصوا بمن اتبعه وراؤهم اراذلهم * وقد قيل انهم كانوا من أقياد الناس وهم ضعفاؤهم كما قال هرقل وهم أتباع الرسل وما ذاك الا لأنه لا مانع لهم من اتباع الحق وقولهم بادي الرأي أى بمجرد ما دعوتهم استجابوا لك من غير نظر ولا روية وهذا

الذي رموم به هو عين ما يمدحون بسببه رضى الله عنهم فان الحق الظاهر لا يحتاج الى روية ولا فكر ولا نظر بل يجب اتباعه والالتقاد له متى ظهر . ولهذا قال رسول الله (ص) مادحاً للصديق مادعوت احدا الى الاسلام الا كانت له كبوة غير ابي بكر فانه لم يتلعم ولهذا كانت بيته يوم التقيفة أيضا سريرة من غير نظر ولا روية لان افضليته على من عداه ظاهرة جليلة عند الصحابة رضى الله عنهم ولهذا قال رسول الله (ص) لما أراد أن يكتب الكتاب الذي أراد أن ينص فيه على خلافته فتركه وقال يا ابي الله والمؤمنون الا ابا بكر رضى الله عنه . وقول كفرة قوم نوح له ولمن آمن به . (وما نرى لكم علينا من فضل) اي لم يظهر لكم امر بعد اتصافكم بالايمان ولا مزية علينا (بل نظنكم كاذبين . قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انزلهموها وانتم لها كارهون) وهذا تطف في الخطاب معهم وترفق بهم في الدعوة الى الحق كما قال تعالى (تقولا له قولنا لنا لعله يتذكر او يخشى) وقال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) وهذا منه يقول لهم (ارايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده) اي النبوة والرسالة (فعميت عليكم) اي فلم تفهموها ولم تهتدوا اليها (انزلهموها) اي انقضبكم بها ونجبركم عليها (وانتم لها كارهون) اي ليس لي فيكم حيلة والحالة هذه (ويا قوم لا اسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله) اي است اريد منكم اجرة على ابلاغى اياكم ما ينفعكم في دنياكم واخراكم ان اطلب ذلك الا من الله الذي ثوابه خير لي وابقى مما تعطونني انتم . وقوله (وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني اراكم قوما تجهلون) كأنهم طلبوا منه ان يبعد هؤلاء عنه ووعدوه ان يجتمعوا به اذا هو فعل ذلك فاني عليهم ذلك وقال (انهم ملاقوا ربهم) اي فإخاف ان طردتهم ان يشكوني الى الله عز وجل ولهذا قال (ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم أفلا تذكرون) ولهذا لما سأل كفار قريش رسول الله (ص) ان يطرد عنه ضعفاء المؤمنين كعمار وصهيب وبلال وخباب واشباههم نهاه الله عن ذلك كما يناد في سورتي الأنعام والكهف (ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك) اي بل أنا عبد رسول لا أعلم من علم الله الا ما أعلمني به ولا أقدر الا على ما أقدرني عليه ولا أملك لتنسى نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله (ولا أقول للذين تزدرى أعينكم) . يعنى من اتباعه (لن يؤتيهم الله خيراً الله اعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين) اي لا أشهد عليهم بانهم لا خير لهم عند الله يوم القيامة الله اعلم بهم وسيجازيهم على ما فى نفوسهم ان خيراً شير وان شراً فشر كما قالوا فى المواضع الأخر (أنؤمن لك واتبعتك الارذلون. قال وما علمى بما كانوا يعملون. ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون . وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الا نذير مبين) *

وقد تطاول الزمان والمجادلة بينه وبينهم كما قال تعالى (فلتب فيه ألف سنة الا خمسين عاما

فأخذهم الطوفان وهم ظالمون) اى ومع هذه المدة الطويلة فما آمن به الا القليل منهم وكان كل ما تقرر
جيل وصوا من بعدهم بعدم الايمان به ومحاربه ومخالفته * وكان الوالد اذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه
وصاه فيما بينه وبينه ان لا يؤمن بنوح ابدا ما عاش ودائما ما بقى وكانت سجاياهم تأبى الايمان واتباع
الحق ولهذا قال (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) ولهذا قالوا (قلوا يا نوح قد جادلنا فاكثرت جدالنا فاتنا
بما تعدنا ان كنت من الصادقين * قال انما يأتىكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين) اى انما يقدر على
ذلك الله عز وجل فانه الذى لا يعجزه شئ ولا يكثره أمر بل هو الذى يتولى للشئ كن فيكون
(ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون)
اى من يزد الله فتنه فلن يملك احد هدايته هو الذى يهدى من يشاء ويضل من يشاء وهو الفعال لما يريد
وهو العزيز الحكيم العليم بمن يستحق الهداية ومن يستحق الغواية . وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة
(وأوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) تسلية له عما كان منهم اليه (فلا تبئس
بما كانوا يفعلون) وهذه تعزية لنوح عليه السلام فى قومه أنه لن يؤمن منهم الا من قد آمن اى لا
يسوا نك ماجرى فان النصر قريب والذبا عجب (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني فى الذين
ظلموا انهم مغرقون) وذلك ان نوحا عليه السلام لما يئس من صلاحهم وفلاحهم ورأى أنهم لاخير
فيهم وتوصلوا الى أذيته ومخالفته وتكذبه بكل طريق من فعال ومقال دعا عليهم دعوة غضب فلبى الله
دعوته وأجاب طلبته قال الله تعالى (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون . ونجينا نوح وقومه من الكرب
المظيم) . وقال تعالى (ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) . وقال
تعالى (قال رب ان قومى كاذبون فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين) وقال تعالى
(فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر) وقال تعالى (قال رب انصرنى بما كذبون) وقال تعالى (مما خطبأتهم
أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا . وقال نوح رب لا تذر على الأرض من
الكافرين ديارا . انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) فاجتمع عليهم خطاياهم
من كفرهم وفجورهم ودعوة نبيهم عليهم فعند ذلك أمره الله تعالى ان يصنع الفلك وهى السفينة العظيمة
التي لم يكن لها نظير قبلها ولا يكون بعدها مثلها . وقدم الله تعالى اليه أنه اذا جاء أمره وحل بهم بأسه
الذى لا يرد عن القوم المجرمين أنه لا يعاوده فيهم ولا يراجعه فانه لعله قد تدركه رقة على قومه عند
معاينة العذاب النازل بهم فانه ليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال (ولا تخاطبني فى الذين ظلموا انهم مغرقون
ويصنع الفلك وكما مر عليه ملامن قومه سخروا منه) اى يستهزئون به استعباد الوقوع ما توعدهم به
قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) اى نحن الذين نسخر منكم وتتعجب منكم فى
استمراركم على كفركم وعنادكم الذى يقتضى وقوع العذاب بكم وحلوله عليكم (فسوف تعلمون من يأتيه

عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) وقد كانت سجايهم الكفر الغليظ والعناد البالغ في الدنيا وهكذا في الآخرة فانهم يجحدون ايضا أن يكون جاءهم رسول كما قال البخارى حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله (ص) (يجي نوح عليه السلام وأمته فيقول الله عز وجل هل بلغت فقول نعم أي رب فيقول لأمته هل بلغكم فيقولون لا ما جاءنا من نبي فيقول لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمته فتشهد أنه قد بلغ) وهو قوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) . والوسط العدل . فهذه الأمة تشهد على شهادة نبيها الصادق المصدوق بأن الله قد بعث نوحا بالحق وأنزل عليه الحق وأمره به وأنه بلغه الى أمته على أكمل الوجوه وأتمها ولم يدع شيئا مما ينفعهم في دينهم الا وقد أمرهم به ولا شيئا مما قد يضرهم الا وقد نهاهم عنه وحذرهم منه * وهكذا شأن جميع الرسل حتى أنه حذر قومه المسيح الدجال وان كان لا يتوقع خروجه في زمانهم حذرا عليهم وشفقة ورحمة بهم كما قال البخارى حدثنا عبدان حدثنا عبد الله عن يونس عن الزهري قال سالم قال ابن عمر قام رسول الله (ص) في الناس فأثنى على الله بما هو أهله . ثم ذكر الدجال فقال (إني لا أذكر كونه وما من نبي الا وقد أئذره قومه . لقد أئذره نوح قومه ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور) وهذا الحديث في الصحيحين ايضا من حديث شيبان بن عبد الرحمن عن يحيى ابن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (الا أحدثكم عن الدجال حديثا ما حدث به نبي قومه انه أعور وانه يجي معه بمثال الجنة والدار والتي يقول عليها الجنة هي الدار واني ائذركم كما أئذره نوح قومه) لفظ البخارى .

وقد قال بعض علماء السلف لما استجاب الله له أمره ان يفرس شجرا يعمل منه السفينة ففرسه وانتظره مائة سنة ثم نجره في مائة أخرى وقيل في أربعين سنة فالله أعلم * قال محمد بن اسحق عن الثوري وكانت من خشب الساج * وقيل من الصنوبر . وهو نص التوراة . قال الثوري وأمره أن يجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وان يطلى ظاهرها وباطنها بالقار وان يجعل لها جؤجؤاً أزور يشق الماء * وقال قتادة كان طولها ثلثمائة ذراع في عرض خمسين ذراعا وهذا الذي في التوراة على ما رأيت * وقال الحسن البصرى ستمائة في عرض ثلثمائة وعن ابن عباس الف ومائتا ذراع في عرض ستمائة ذراع * وقيل كان طولها الف ذراع وعرضها مائة ذراع . قالوا كلهم وكان ارتفاعها ثلاثين ذراعا وكانت ثلاث طبقات . كل واحدة عشرة أذرع . فالسفلى للدواب والوحوش والوسطى للناس والعليا للطيور وكان بابها في عرضها ولها غطاء من فوقها . طبق عليها * قال الله تعالى (قال رب انصرني بما كذبون فأوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا) أي بأمرنا لك وبمرأى منا لصنعتك لما ومشاهدتنا لذلك

لترشدك الى الصواب في صنعتها (فاذا جاء امرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك
الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون) فتقدم اليه بأمره العظيم العالى
انه اذا جاء أمره وحل بأسه أن يحمل في هذه السفينة من كل زوجين اثنين من الحيوانات وسائر ما فيه
روح من المأكولات وغيرها لبقاء نسلها وان يحمل معه أهله أى أهل بيته الا من سبق عليه القول
منهم أى الا من كان كافراً فانه قد نفذت فيه الدعوة التى لا ترد ووجب عليه حلول البأس الذى لا يرد
وأمر أنه لا يراجعهم فيهم اذا حل بهم ما يعاينه من العذاب العظيم الذى قد حتمه عليهم الفعالم لما يريد
كما قدمنا بيانه قبل .

والمراد بالتنور عند الجمهور وجه الارض أى نبت الارض من سائر أرجائها حتى نبت التنابير
التى هى محال النار . وعن ابن عباس التنور عين في الهند وعن الشعبي بالكوفة وعن قتادة بالجزيرة *
وقال على بن أبى طالب المراد بالتنور نلق الصبح وتنوير الفجر أى إشراقه وضياؤه أى عند ذلك
فاحمل فيها من كل زوجين اثنين وهذا قول غريب * وقوله تعالى (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا
اخذل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل)
أمر بأن عند حلول النعمة بهم أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين وفى كتاب أهل الكتاب أنه أمر
أن يحمل من كل ما يؤكل سبعة أزواج وما لا يؤكل زوجين ذكر وأنثى وهذا منابر لمفهوم قوله
تعالى فى كتابنا الحق (اثنين) إذ جعلنا ذلك مفعولاً به . وأما إذ جعلناه توكيداً لزوجين والمفعول به محذوف
فلاينا فى والله أعلم *

وذكر بعضهم ويروى عن ابن عباس أن أول ما دخل من الطيور الدرة وآخر ما دخل من الحيوانات
الحمار * ودخل ابليس متعلقاً بذنب الحمار . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن صالح
حدثنى الليث حدثنى هشام بن سعد عن زيد بن اسلم عن أبيه أن رسول الله (ص) قال لما حمل نوح
فى السفينة من كل زوجين اثنين قال أصحابه وكيف نظمئن أو كيف تطمئن المراكب ومعنا الاسد فسلط
الله عليه الحمى فكانت أول حى نزلت فى الأرض * ثم شكوا الفارة فقالوا الفويسقة تفسد علينا
طعامنا ومتاعنا فأوحى الله الى الاسد ففطس فخرجت الهرة منه فتخبأت الفارة منها . هذا مرسل *
وقوله (واهلك الا من سبق عليه القول) أى من استجيبت فيهم الدعوة النافذة ممن كفر فكان منهم ابنة
يام الذى غرق كما سياتى بيانه (ومن آمن) أى واحمل فيها من آمن بك من أمته قال الله تعالى (وما
آمن معه الا قليل) هذا مع طول المدة والمقام بين اظهرهم ودعوتهم الأكيدة ليلا ونهاراً بضروب
المقال وفنون التلطفات والتهديد والوعيد نارة والترغيب والوعيد أخرى .

وقد اختلف العلماء فى عدة من كان معه فى السفينة فمن ابن عباس كانوا ثمانين نفساً معهم نساؤهم .

وعن كتب الاحبار كانوا اثنين وسبعين نفسا . وقيل كانوا عشرة وقيل انما كانوا نوحا وبنيه الثلاثة وكنائته الاربع بامرأة يام الذي انخزل وانزل وسلل عن طريق النجاة فما عدل إذ عدل . وهذا القول فيه مخالفة لظاهر الآية بل هي نص في انه قد ركب معه غير أهله طائفة ممن آمن به كما قال (ونجني ومن معي من المؤمنين) وقيل كانوا سبعة وأما امرأة نوح وهي أم أولاده كلهم وهم حام وسام ويافث ويام وتسميه أهل الكتاب كنعان وهو الذي قد غرق وعابر وقد ماتت قبل الطوفان . قيل إنها غرقت مع من غرق وكانت ممن سبق عليه القول لكفرها وعند أهل الكتاب أنها كانت في السفينة فيحتمل أنها كفرت بعد ذلك أو أنها أنظرت ليوم القيامة والظاهر الأول لقوله (لاتذر على الارض من الكافرين ديارا) قال الله تعالى (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين . وقل رب انزاني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين) أمره أن يحمده ربه على ما سخر له من هذه السفينة فنجاه بها وفتح بينه وبين قومه واقرب عينه ممن خالفه وكذبه كما قال تعالى (الذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام مآثر تكون . لتستروا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون) . وهكذا يؤمر بالدعاء في ابتداء الأمور أن يكون على الخبر والبركة وأن تكون عاقبتها محمودة كما قال تعالى لرسوله (ص) حين هاجر (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) وقد امثل نوح عليه السلام هذه الوصية (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم) أي على اسم الله ابتداء سيرها وانهاؤه (إن ربي لغفور رحيم) أي وذو عقاب اليم مع كونه غفورا رحيا لا يرد بأسه عن القوم المجرمين كما احل بأهل الأرض الذين كفروا به وعبدوا غيره قال الله تعالى (وهي تجري بهم في موج كالجبال) . وذلك أن الله تعالى أرسل من السماء مطرا لم تعده الأرض قبله ولا تمطره بعده كان كأفواه القرب وأمر الأرض فنبعت من جميع فجاجها وسائر ارجائها كما قال تعالى (فدعا ربه أني مغلوب فانتصر . ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر . وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر . وحملناه على ذات الواح ودسر) . والدسر السائر (تجري بأعيننا) أي بحفظنا وكلاطنا وحراستنا ومشاهدتنا لها جزاء لمن كان كفرا *

وقد ذكر ابن جرير وغيره أن الطوفان كان في ثالث عشر شهر آب في حساب انقبط . وقال تعالى (إنا لما طغى الماء حمائنا كم في الجارية) أي السفينة (لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية) قال جماعة من المفسرين ارتفع الماء على أعلى جبل بالأرض خمسة عشر ذراعا وهو الذي عند أهل الكتاب وقيل ثمانين ذراعا وعم جميع الأرض طولها والعرض سهلها وحزنها وجبالها وقفارها ورمالها . ولم يبق

على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء عين تطرف . ولا صغير ولا كبير * قال الامام مالك عن زيد ابن اسلم كان أهل ذلك الزمان قد ملأوا السهل والجبل * وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم (لم تكن بقعة في الأرض الا ولها مالك وحائز) رواها ابن أبي حاتم . (ونادى نوح ابنه وكان في منزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال ساوى الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) وهذا الابن هو يام أخو سام وحام وياث * وقيل اسمه كنعان . وكان كفرا عمل عملا غير صالح فخالف أباه في دينه ومذهبه فهلك مع من هلك هذا . وقد نجما مع ابيه الأجانب في النسب لما كانوا مواقيين في الدين والمذهب (وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين) أى لا فرغ من أهل الأرض ولم يبق منها أحد ممن عبد غير الله عز وجل أمر الله الأرض ان تبلع ماءها وأمر السماء أن تلع أى تمسك عن المطر (وغيض الماء) أى قص عما كان (وقضى الأمر) أى وقع بهم الذى كان قد سبق فى علمه وقدره من إحلاله بهم ما حل بهم . (وقيل بعدا للقوم الظالمين) أى نودى عليهم بلسان القدرة بعداً لهم من الرحمة والمغفرة كما قال تعالى (فكذبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوماً عمنين) وقال تعالى (فكذبوه فأنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) وقال تعالى (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين) وقال تعالى (فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون . ثم أغرقنا بعد الباقين . ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وان ربك لهو العزيز الرحيم) وقال تعالى (فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للمؤمنين) وقال تعالى (ثم أغرقنا الآخرين) وقال (ولقد تركناها آية فهل من مدكر . فكيف كان عذابى ونذرى . ولقد يسرنا القرآن للذکر فهل من مدكر) وقال تعالى (مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله انصاراً . وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً . انك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدو إلا فاجراً كفاراً) وقد استجاب الله تعالى وله الحمد والمنة دعوته فلم يبق منهم عين تطرف *

وقد روى الامامان أبو جعفر بن جرير وأبو محمد بن أبي حاتم فى تفسيريهما من طريق يعقوب ابن محمد الزهرى عن قائد مولى عبد الله بن أبى رافع أن ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبى ربيعة اخبره ان عائشة أم المؤمنين اخبرته ان رسول الله (ص) قال (فلو رحم الله من قوم نوح أحداً لرحم أم الصبى) قال رسول الله (ص) مكث نوح عليه السلام فى قومه ألف سنة (يعنى الا خمسين عاماً) وغرس مائة سنة الشجر فعظمت وزهبت كل مذهب ثم قطعها ثم جعلها سفينة ويمرون عليه ويسخرون منه ويقولون تعمل سفينة فى البر كيف تجرى قال سوف تعلمون * فلما فرغ ونبع الماء وصار فى السكك خشيت أم الصبى

عليه وكانت تحبه حبا شديدا خرجت به الى الجبل حتى بلغت ثائه فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل . فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها ففرقا فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي * وهذا حديث غريب * وقد روي عن كعب الاحبار ومجاهد وغير واحد شبيه هذه القصة * وأخرى بهذا الحديث أن يكون موقوفاً متلقى عن مثل كعب الاحبار والله أعلم *

والمقصود أن الله لم يبق من الكافرين دياراً فكيف يزعم بعض المفسرين أن عوج بن عنق ويقال بن عناق كان موجوداً من قبل نوح الى زمان موسى ويقولون كان كافراً متمرداً جباراً عنيداً ويقولون كان لغير رشدة بل ولدت أمه عنق بنت آدم من زنا وإنه كان يأخذ من طوله السمك من قرار البحار ويشويه في عين الشمس وإنه كان يقول لنوح وهو في السفينة ما هذه القصيدة التي لك ويستهمزى به * ويذكرون انه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاث مئة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلاثاً الى غير ذلك من الهذيان التي لولا انها مسطرة في كثير من كتب التفاسير وغيرها من التواريخ وأيام الناس لما تعرضنا لحكايتها لسناطها وركاكتها * ثم إنها مخالفة للمعقول والمنقول

أما المعقول فكيف يسوغ فيه أن يهلك الله ولد نوح لكفره وأبوه نبي الأمة وزعيم أهل الايمان ولا يهلك عوج بن عنق ويقال عناق وهو أظلم وأظفى على ما ذكرنا . وكيف لا يرحم الله منهم أحداً ولا أم الصبي ولا الصبي ويترك هذا الدعوى الجبار العنيد الفاجر الشديد الكافر الشيطان المرید على ما ذكرنا *

وأما المنقول فقد قال الله تعالى (ثم أغرقنا الآخرين وقال رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً) . ثم هذا الطول الذي ذكره مخالف لما في الصحيحين عن النبي (ص) أنه قال (إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن)

فهذا نص الصادق المصدوق المصوم الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى أنه لم يزل الخلق ينقص حتى الآن اى لم يزل الناس في نقصان في طولهم من آدم الى يوم اذ . بذلك وهلم جر الى يوم القيامة *

وهذا يقتضى أنه لم يوجد من ذرية آدم من كان أطول منه فكيف يترك هذا يا أهل عنه ويصار الى أقوال الكذبة الكفرة من أهل الكتاب الذين بدلوا كتب الله المنزلة وحرّفوها وأولوها ووضعوها على غير مواضعها فما ظنك بما هم يستقلون بنقله أو يؤتمنون عليه وما اظن ان هذا الخبر عن عوج بن عناق الا اختلاقاً من بعض زنادقهم وفجارهم الذين كانوا اعداء الأنبياء والله أعلم *

ثم ذكر الله تعالى مناشدة نوح ربه في ولده وسؤاله له عن غرقه على وجه الاستعلام والاستكشاف ووجه السؤال أنك وعدتني بنجاة أهلى معى وهو منهم وقد غرق فاجيب بانه ليس من أهلك اى الذين

وعدت بنجاتهم أى أما قلنا لك وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم فكان هذا ممن سبق عليه القول منهم بان سيفرق بكفره ولهذا ساقته الأقدار الى ان انحاز عن حوزة أهل الايمان ففرق مع حزبه أهل الكفر والطغيان * ثم قال تعالى (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم) هذا أمر لنوح عليه السلام لما نضب الماء عن وجه الأرض وأمكن السعى فيها والاستقرار عليهما أن يهبط من السفينة التي كانت قد استقرت بعد سيرها العظيم على ظهر جبل الجودى * وهو جبل بارض الجزيرة مشهور وقد قدمنا ذكره عند خلق الجبال (بسلام منا ٢٠ كات) أى اهبط سالما مباركا عليك وعلى أمم ممن سيولد بعد أى من أولادك فان الله لم يجعل لـ... من كان معه من المزمين نسلا ولا عقبا سوى نوح عليه السلام قال تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) نكل من علم وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بنى آدم ينسبون الى أولاد نوح الثلاثة وهم سام وحام ويافث *

قال الامام أحمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن سمرة أن النبي (ص) قال (سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم) ورواه الترمذى عن بشر بن معاذ العبسى عن يزيد بن زريع عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن عن سمرة مرفوعا نحوه وقال الشيخ ابو عمرو ابن عبد البر وقد روى عن عمران بن حصين عن الثبى (ص) مثله . قال والمراد بالروم هنا الروم الاول وهم اليونان المنتسبون الى رومى بن لبطى بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام * ثم روى من حديث اسمعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال (ولد نوح ثلاثة سام ويافث وحام وولد كل واحد من هذه الثلاثة ثلاثة فولد سام العرب وفارس والروم . وولد يافث الترك والسقالية وأجوج وماجوج وولد حام القبط والسودان والبربر) قلت وقد قل الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده حدثنا ابراهيم بن هانى وأحمد بن حسين بن عباد أبو العباس قالا حدثنا محمد بن يزيد بن سنان الرهاوى حدثنى أبى عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) : (ولد لنوح سام وحام ويافث فولد لسام العرب وفارس والروم والخير فيهم . وولد ليافث بأجوج وماجوج والترك والسقالية ولا خير فيهم * وولد لحام القبط والبربر والسودان) ثم قال لا نعلم يروى مرفوعا الا من هذا الوجه . تفرد به محمد بن يزيد بن سنان عن أبيه وقد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه . ورواه غيره عن يحيى بن سعيد مرسلا ولم يسنده وإنما جعله من قول سعيد . قلت وهذا الذى ذكره أبو عمرو هو المحفوظ عن سعيد قوله * وهكذا روى عن وهب بن منبه مثله والله أعلم * وي زيد بن سنان أبو فروة الرهاوى ضعيف بكرة لا يعتمد عليه * وقد قيل إن نوحا عليه السلام لم يولد له هؤلاء الثلاثة الا بعد الطوفان وإنما ولد له قبل السفينة كنعان الذى غرق وعابر مات قبل

الطوفان * والصحيح ان الاولاد الثلاثة كانوا معه في السفينة هم وسائرهم وامهم وهو بص التوراة *
وقد ذكر ان حاماً واقع امراته في السفينة فدعا عليه نوح ان تشوه خلقته نطفته فولد له ولد اسود وهو
كنعان بن حام جد السودان * وقيل بل رأى اياه نائماً وقد بدت عورته فلم يسترها وسترها اخواه فلماذا
دعا عليه ان تغير نطفته وان يكون اولاده عبيداً لآخوته *

وذكر الامام ابو جعفر بن جرير من طريق علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن
ابن عباس انه قال (قال الحواريون لعيسى بن مريم لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة فحدثنا عنها . قال
فانطلق بهم حتى اتى الى كتيب من تراب فاخذ كفاً من ذلك التراب بكفه قال اتدرون ما هذا . قلوا
الله ورسوله أعلم . قال هذا كعب حام بن نوح . قال وضرب الكتيب بعصاه وقال قم باذن الله فاذا
هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب * فقال له عيسى عليه السلام هكذا هلكت قال لا ولكني
مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت . قال حدثنا عن سفينة نوح . قال كان طولها
الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات فطبقة فيها الدواب والوحش وطبقة
فيها الانس وطبقة فيها الطير . فلما كثر ارواث الدواب أوحى الله عز وجل الى نوح عليه السلام ان
اغرز ذنب الفيل فغمره فوقع منه خنزير وخنزيرة فاقبل على الروث ولما وقع الفار يخرز السفينة بقرضه
أوحى الله عز وجل الى نوح عليه السلام ان اضرب بين عيني الاسد فخرج من منخره سنور وسنورة
فاقبلا على الفار . فقال له عيسى كيف علم نوح عليه السلام ان البلاد قد غرقت قال بعث الغراب يأتيه
بالخبر فوجد جيفة فوق عليها فدعا عليه بالخوف فذلك لا يأنف البيوت . قال ثم بعث الحمامة فجاءت بورق
زيتون بمنقارها وطين برجلها فعلم ان البلاد قد غرقت فطوقها الخضره التي في عنقها ودعا لها ان تكون
في انس وأمان فمن ثم تألف البيوت . قال فقالوا يا رسول الله ألا ننطلق به الى أهلينا فيجلس معنا
ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لارزق له . قال فقال له عد باذن الله فعاد تراباً) وهذا أثر غريب جداً
وروى غلباء بن أحر عن عكرمة عن ابن عباس قال كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلاً معهم
أهلهم وإبنهم كانوا في السفينة مائة وخمسين يوماً وإن الله وجه السفينة الى مكة فدارت بالبيت أربعين
يوماً ثم وجهها الى الجودي فاستقرت عليه فبعث نوح عليه السلام الغراب ليأتيه بخبر الأرض فذهب
فوقع على الجيف فابطأ عليه فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون ولطخت رجلها بالطين فعرف نوح ان الماء
قد انضب فربط الى أسفل الجودي فابتنى قرية وسماها ثمانين فاصبحوا ذات يوم وقد تبلبت الستهم على
ثمانين لغة احداها العربي وكان بعضهم لا يفقه كلام بعض فكان نوح عليه السلام يهبر عنهم .
وقال قتادة وغيره ركبوا في السفينة في اليوم العاشر من شهر رجب فساروا مائة وخمسين يوماً
واستقرت بهم على الجودي شهراً . كان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء من المحرم * وقد روى

ابن جرير خبراً مرفوعاً يوافق هذا وأنها صاموا يومهم ذلك * وقال الامام أحمد حدثنا أبو جعفر حدثنا عبد الصمد بن حبيب الأزدي عن أبيه حبيب بن عبد الله عن شبل عن أبي هريرة قال (سر النبي ص) ، باتس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء فقال ما هذا الصوم فقالوا هذا اليوم الذي نجا الله موسى وبني اسرائيل من الفرق وغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي فصام نوح بموسى عليهما السلام شكراً لله عز وجل فقال النبي (ص) ، انا احق بموسى واحق بصوم هذا اليوم * وقال لأصحابه من كان منكم اصبح صائماً فليتم صومه ومن كان منكم قد أصاب من غد أهله فليتم بقية يومه) . وهذا الحديث له شاهد في الصحيح من وجه آخر والمستغرب ذكر نوح أيضاً والله أعلم .
وأما ما يذكره كثير من الجهلة أنهم أكلوا من فضول أزوادهم ومن حبوب كانت معهم قد استصحبوها واطحنوا الحبوب يومئذ واكتحلوا بالأمم لتقوية أبصارهم لما انهارت عن الضياء بعد ما كانوا في ظلمة السفينة فكل هذا لا يصح فيه شيء وإنما يذكر فيه آثار منقطعة عن بني اسرائيل لا يعتمد عليها ولا يقتدى بها والله أعلم *

وقال محمد بن اسحاق لما أراد الله أن يكف ذلك الطوفان أرسل ربماً على وجه الأرض فسكن الماء وانسدت بناييع الأرض فجعل الماء ينقص ويغيض ويدبر وكان استواء الفلك فيما يزعم أهل التوراة في الشهر السابع لسبع عشر ليلة مضت منه وفي أول يوم من الشهر العاشر رثيت رؤس الجبال * فلما مضى بعد ذلك أربعون يوماً فتح نوح كوة الفلك التي صنع فيها ثم أرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء فلم يرجع اليه فأرسل الحمامة فرجعت إليه لم يجد لرجلها موضعاً فبسط يده للحمامة فأخذها فأدخلها ثم مضت سبعة أيام ثم أرسلها لتنظر له ما فعل الماء فلم ترجع فرجعت حين أمست وفي فيها ورق زيتونة فعلم نوح أن الماء قد قل عن وجه الأرض * ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها فلم ترجع اليه فعلم نوح أن الأرض قد برزت فلما كملت السنة فيما بين أن أرسل الله الطوفان إلى أن أرسل نوح الحمامة ودخل يوم واحد من الشهر الأول من سنة اثنين برز وجه الأرض وظهر البر وكشف نوح غطاء الفلك * وهذا الذي ذكره ابن اسحاق هو بعينه مضمون سياق التوراة التي بأيدي أهل الكتاب * قال ابن اسحاق وفي لشهر الثاني من سنة اثنتين في ست وعشرين ليلة منه (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سمعتهم ثم يمسه من سداب ألم) وفيما ذكر أهل الكتاب ان الله كلم نوحاً قائلاً له اخرج من الفلك أنت وامراتك وبنوك ونساء بنيتك معك وجميع الدواب التي معك ولينموا وليكبروا في الأرض فخرجوا وابتنى نوح مذبحاً لله عز وجل وأخذ من جميع الدواب الحلال والبطير الحلال فذبحها قرباناً الى الله عز وجل وعهد الله اليه ان لا يعيد الطوفان على أهل الأرض . وجعل نذكاراً لميثاقه اليه القوس الذي في الغمام وهو قوس قزح الذي قدمنا عن ابن عباس أنه إمان من

الفرق * قال بعضهم فيه اشارة الى انه قوس بلا وتر اى أن هذا الغمام لا يوجد منه طوفان كأول مرة وقد أنكرت طائفة من جهلة الفرس وأهل الهند وقوع الطوفان واعترف به آخرون منهم وقالوا انما كان بارض بابل ولم يصل اليها. قالوا ولم نزل تتوارث الملك كبرا عن كابر من لدن كيومرث يعنون آدم الى زماننا هذا . وهذا قاله من قاله من زنادقة المجوس عباد النيران وأتباع الشيطان وهذه سفسة منهم وكفر فظيع وجهل بليغ ومكابرة للمحسوسات وتكذيب لرب الأرض والسموات وقد أجمع أهل الأديان الناقلون عن رسل الرحمن مع ما تواتر عند الناس في سائر الأزمان على وقوع الطوفان وأنه عم جميع البلاد ولم يبق الله أحدا من كفرة العباد استجابة لدعوة نبيه المؤيد المعصوم وتنفيذا لما سبق في القدر المحتوم

ذكر سني من اخبار نوح عليه السلام

قال الله تعالى إنه كان عبدا شكورا . قيل إنه كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله وقال الامام أحمد حدثنا أبو أسامة حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن سعيد بن أبي بردة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) : (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث أبي أسامة . والظاهر أن الشكور هو الذي يعمل بجميع الطاعات القلبية والقولية والعملية فان الشكر يكون بهذا وبهذا كما قال الشاعر

افادتكم النعماء منى ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا

صومه عليه السلام

وقال ابن ماجه (باب صيام نوح عليه السلام) حدثنا سهل بن أبي سهل حدثنا سعيد بن أبي مرثمة عن ابن هبة عن جعفر بن ربيعة عن أبي فراس أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله (ص) يقول (صام نوح الدهر الا يوم عيد الفطر ويوم الأضحى) هكذا رواه ابن ماجه من طريق عبد الله بن هبة باسناده ولفظه * وقد قال الطبراني حدثنا أبو الزنباغ روح بن فرج حدثنا عمرو بن خالد الحراني حدثنا ابن هبة عن أبي قتادة عن يزيد بن رباح أبي فراس أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله (ص) يقول (صام نوح الدهر الا يوم الفطر والأضحى وصام داود نصف الدهر وصام ابراهيم ثلاثة أيام من كل شهر « صام الدهر وأفطر الدهر »

حَجْرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا أبي عن زمعة هو ابن أبي صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال حج رسول الله (ص) فلما أتى وادي عسفان قال يا أبا بكر أي واد هذا قال هذا وادي عسفان قال لقد مر بهذا الوادي نوح وهود وإبراهيم على بكرات لهم حمر خطمهم الليف أزرهم العباء وأرديتهم النمار يحجون البيت العتيق * فيه غرابة

وَصِيَّةُ لَوْلَاهُ

قال الامام أحمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن الصقعب بن زهير عن زيد بن اسلم قال حماد أظنه عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال (كنا عند رسول الله (ص) فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة سيحان مزرورة بالديباج فقال ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس بن فارس أو قال يريد أن يضع كل فارس بن فارس ورفع كل راع بن راع قال فاخذ رسول الله (ص) بمجامع جيبته وقال لا أرى عليك لباس من لا يعقل * ثم قال إن نبي الله نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه إني قاص عليك الوصية أمرك بأثنتين وأنهاك عن اثنتين أمرك بلا إله إلا الله فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضع في كفة ووضع في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله وطوان السموات السبع والأرضين السبع كمن حلقة مبهمة فضمتن لا إله إلا الله وسبحان الله وبحمده فإن بها صلوات كل شيء وبها يرزق الخلق وأنهاك عن الشرك والكبر) قال قلت (أو) قيل يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر أن يكون لاحدنا نعلان حسنان لها شرا كان حسنان قال لا . قال هو أن يكون لاحدنا حلة يلبسها قال لا . قال هو أن يكون لاحدنا دابة يركبها قال لا . قال هو أن يكون لاحدنا أصحاب يجلسون اليه قال لا * قلت (أو) قيل يا رسول الله فما الكبر قال سفة الحق وغضب الناس . وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه * ورواه أبو القاسم الطبراني من حديث عبد الرحيم بن سليمان عن محمد بن اسحق عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله (ص) قال (كأن في وصية نوح لابنه أوصيك بخصلتين وأنهاك عن خصلتين) فذكر نحوه * وقد رواه أبو بكر البزار عن إبراهيم بن سعيد عن أبي معاوية الضرير عن محمد بن اسحق عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن النبي (ص) بنحوه * والظاهر أنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه أحمد والطبراني والله أعلم * ويزعم أهل الكتاب أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة كان عمره ستمائة سنة * وقدمنا عن ابن عباس مثله وزاد وعاش بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة . وفي هذا القول نظر * ثم إن لم يمكن الجمع

بينه وبين دلالة القرآن فهو خطأ محض فان القرآن يقتضى أن نوحاً مكث في قومه بعد البعثة وقبل الطوفان الف سنة إلا خمسين عاماً فاخذهم الطوفان وهم ظالمون . ثم الله أعلم كم عاش بعد ذلك فان كان ما ذكر محفوظاً عن ابن عباس من أنه بعث وله أربع مائة وثمانون سنة وأنه عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة فيكون قد عاش على هذا ألف سنة وسبعمائة وثمانين سنة .

وأما قبره عليه السلام فروى ابن جرير والازرقى عن عبد الرحمن بن سابط أو غيره من التابعين مرسلان أن قبر نوح عليه السلام بالمسجد الحرام . وهذا أقوى وأثبت من الذى ذكره كثير من المتأخرين من أنه يبلدة بالبقيع تعرف اليوم بكرك نوح وهناك جامع قد بنى بسبب ذلك فيما ذكر والله أعلم *

قصة نوح عليه السلام

وهو هود بن صالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام * ويقال إن هوداً هو عابر بن صالح ابن ارفخشذ بن سام بن نوح . ويقال هود بن عبد الله بن رباح بن الجارود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام * ذكره ابن جرير وكان من قبيلة يقال لهم عاد بن عوص بن سام بن نوح كانوا عرباً يسكنون الاحفاف وهى جبال الرمل وكانت باليمن من عمان وحضر موت بأرض مطلة على البحر يقال لها الشحر واسم واديههم مغيث * وكانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذوات الاعمدة الضخام كما قال تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد) أى عاد إرم وهم عاد الأولى * وأما عاد الثانية فتأخرة كما سيأتى بيان ذلك فى موضعه * وأما عاد الأولى فهم عاد (إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أى مثل القبيلة * وقيل مثل العمدة . والصحيح الأول كما بيناه فى التفسير * ومن زعم أن ارم مدينة تدور فى الأرض فتارة فى الشام وتارة فى اليمن وتارة فى الحجاز وتارة فى غيرها فقد أبعد النجعة وقال ما لا دليل عليه ولا برهان يعول عليه ولا مستند يركن اليه * وفى صحيح بن حبان عن أبى ذر فى حديثه الطويل فى ذكر الأنبياء والمرسائين قال فيه منهم أربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونيك يا أبا ذر * ويقال ان هوداً عليه السلام أول من تكلم بالعربية * وزعم وهب بن منبه أن أباه أول من تكلم بها * وقال غيره أول من تكلم بها نوح * وقيل آدم وهو الأشبه . قبل غير ذلك والله أعلم *

ويقال للعرب الذين كانوا قبل اسمعيل عليه السلام العرب العاربة وهم قبائل كثيرة منهم عاد * وثمود * وجرم * وطسم * وجديس * وأميم * ومدين * وعملاق * وعييل * وجاسم * وقحطان * وبنو يقطن * وغيرهم

وأما العرب المستعربة فهم من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل * وكان اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة * وكان قد أخذ كلام العرب من جرم الذين نزلوا عند أمه هاجر بالحرم كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى ولكن انطقه الله بها في غاية الفصاحة والبيان . وكذلك كان يتلفظ بهار رسول الله (ص) *

والمقصود أن عاداً وهم عاد الأولى كانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان . وكان أصنامهم ثلاثة صدا وصودا وهرا . فبعث الله فيهم أخاهم هوداً عليه السلام فدعاهم الى الله كما قال تعالى بعد ذكر قوم نوح وما كان من أمرهم في سورة الاعراف . (والى عاد أخاهم هوداً . قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون . قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين . قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين . أو عجبت أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة . فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون . قالوا أجبثنا لنعبد الله وحده وننذر ما كان يعبد آباؤنا فاتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين . قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجاد لوني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان . فاتتظروا إني معكم من المنتظرين . فأنجيناهم والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين) وقال تعالى بعد ذكر قصة نوح في سورة هود (والى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون . يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجرى إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون . ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين . قالوا يا هود ماجئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك . وما نحن لك بمؤمنين . إن هول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء . قال إني أشهد الله وأشهدوا أنى برى مما تشركون من دونه فكيدونى جميعاً ثم لا تنظرون . إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيته إن ربي على صراط مستقيم . فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربي قوماً غيركم ولا تضرونه شيئاً إن ربي على كل شىء حفيظ . ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غلظ . وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسوله واتبعوا أمر كل جبار عنيد . وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عاداً كفروا ربهم ألا بعداً لعاد قوم هود) . وقال تعالى في سورة قد أفلح المؤمنون بعد قصة قوم نوح (ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون . وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشراً

مثلكم إنكم إذا نلّسرون) أي يدكم أنكم إذا تمم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون . هيهات هيهات
لما توعدون إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين . إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن
له بمؤمنين . قال رب انصرني بما كذبون . قال عما قليل ليصبحن نادمين . فأخذتهم الصيحة بالحق
فجعلناهم غنماً فبعداً للقوم الظالمين) . وقال تعالى في سورة الشعراء بعد قصة قوم نوح أيضاً (كذبت
عاد المرسلين . إذ قال لهم أخوهم هود الأتقون . إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم
عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين . أتبنون بكل ربيع آية تعشون . وتتخذون مصانع لعلكم
تخدون . وإذا بطشتم بطشتم جبارين . فاتقوا الله وأطيعون . واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون . أمدكم
بأنعام وبنين وجنات وعيون . إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن
من الواعظين . إن هذا إلا خلق الأولين . وما نحن بمعدين فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية
وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك لهو العزيز الرحيم) وقال تعالى في سورة حم السجدة (وأما عاد
فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقتلوا من أشد منا قوة . أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم
قوة وكانوا باياتنا يمجّدون . فارسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في
الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون) وقال تعالى في سورة الاحقاف (واذكر أبا عاد
إذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم
عذاب يوم عظيم . قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين . قال إنما العلم
عند الله وأبلغكم ما أرسلت به إليكم ولكني أراكم قوماً تجهلون . فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم
قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا
لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين) وقال تعالى في الذاريات (وفي عاد إذ أرسلنا
عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالريم) وقال تعالى في النجم (وأنه أهلك عاداً
الأولى وثموداً فما أبق . وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى . والمؤتفة أهوى . فغشاها ماغشى
فبأى آلاء ربك تبارى) وقال تعالى في سورة اقتربت (كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذري إنا
أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر . تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر . فكيف كان عذابي
ونذري . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) . وقال في الحاقة (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر
عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل
يرى لهم من باقية) وقال في سورة الفجر (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد . التي لم يخلق
مثلها في البلاد . وثمود الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذي الأوتاد . الذين طفوا في البلاد فأكثروا
فيها الفساد . فصب عليهم ربك سوط عذاب . إن ربك لبالمرصاد) . وقد تكلمنا على كل من هذه

القصص في أما كتبها من كتابنا التفسير والله الحمد والمنة *

وقد جرى ذكر عاد في سورة براءة وإبراهيم والفرقان والعنكبوت وفي سورة (ص) وفي سورة (ق) ولذكر مضمون القصة مجموعاً من هذه السياقات مع ما يضاف إلى ذلك من الأخبار * وقد قدمنا أنهم أول الأمم عبدوا الأصنام بعد الطوفان . وذلك بين في قوله لهم (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة) أي جعلهم أشد أهل زمانهم في الخلق والشدة والبطش . وقال في المؤمنون (ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) وهم قوم هود على الصحيح * وزعم آخرون أنهم ثمود لقوله (فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غناء) قالوا وقوم صالح هم الذين أهلكوا بالصيحة (وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية) وهذا الذي قاله لا يمنع من اجتماع الصيحة والريح العاتية عليهم كما سيأتي في قصة أهل مدين أصحاب الأيكة فإنه اجتمع عليهم أنواع من العقوبات * ثم لا خلاف أن عاداً قبل ثمود * والمقصود أن عاداً كانوا عرباً جملة كافرين عتاة متمردين في عبادة الأصنام فأرسل الله فيهم رجلاً منهم يدعوهم إلى الله وإلى إفراده بالعبادة والاخلاص له فكذبوه وخالفوه وتمتصوه فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر فلما أمرهم بعبادة الله ورجبهم في طاعته واستغفاره ووعدهم على ذلك خير الدنيا والآخرة وتوعدهم على مخالفة ذلك عقوبة الدنيا والآخرة (قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سناهة) أي هذا الأمر الذي تدعوننا إليه سفه بالنسبة إلى ما نحن عليه من عبادة هذه الأصنام التي يرتجى منها النصر والرزق ومع هذا نظن أنك تكذب في دعواك أن الله أرسلك (قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين) أي ليس الأمر كما تظنون ولا ما تعتقدون (أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين) والبلاغ يستلزم عدم الكذب في أصل المبلغ وعدم الزيادة فيه والنقص منه ويستلزم إبلاغه بعبارة فصيحة وجيزة جامعة مانعة لا يلبس فيها ولا اختلاف ولا اضطراب وهو مع هذا البلاغ على هذه الصفة في غاية النصح لقرمه والشفقة عليهم والحرص على هدايتهم لا يتغنى منهم أجراً ولا يطلب منهم جعلاً بل هو مخلص لله عز وجل في الدعوة إليه والنصح لخلقه لا يطلب أجره إلا من الذي أرسله فان خير الدنيا والآخرة كله في يديه وأمره إليه ولهذا (قال يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجرى إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون) أي سألكم عقل تميزون به وتفهمون أي أدعوكم إلى الحق المبين الذي تشهد به فطرتم التي خلقتم عليها وهو دين الحق الذي بعث الله به نوحاً وأهلاًك من خلفه من الخلق وها أنا أدعوكم إليه ولا أسألكم أجراً عليه بل أتبعي ذلك عند الله مالك الضر والنفع ولهذا قال مؤمن يس (اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون . ومالي لأعبد الذي فطرني وإليه ترجعون) وقال قوم هود له فيما قالوا (يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلقتنا عن قوالك وما نحن لك بمؤمنين . إن نقول إلا اعتراك بعض آلقتنا بسوء) يقولون ما جئتنا بخارق يشهد لك بصدق ما جئت به وما نحن بالذين

ترك عبادة أصنامنا عن مجرد قولك بلا دليل أقمته ولا برهان نصبتة وما نظن إلا أنك مجنون فيما تزعمه
وعندنا إنما أصابك هذا أن بعض آلهتنا غضب عليك فاصابك في عقلك فاعتراك جنون بسبب ذلك
وهو قولهم (إن هول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني برى مما تشركون
من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون) وهذا تحد منه لهم وتبر من آلهم وتنقص منه لها وبيان
أنها لا تنفع شيئاً ولا تضر وإنما جماد حكماً حكمة وفعالها فعله . فان كانت كما تزعمون من أنها تنصر وتنفع
وتضر فما أنا برى منها لآعن لها (فكيدوني ثم لا تنظرون) أنتم جميعاً بجميع ما يمكنكم أن تصلوا إليه
وتقدروا عليه ولا تؤجروني ساعة واحدة ولا طرقة عين فاني لا أبالي بكم ولا أفكر فيكم ولا أنظر
إليكم (إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) أي
أنا متوكل على الله ومتأيد به وواثق بجنبه الذي لا يضيع من لاذبه واستند إليه فلست أبالي مخلوقا سواء
ولست أتوكل إلا عليه ولا أعبد الا إياه * وهذا وحده برهان قاطع على أن هوداً عبد الله ورسوله وأنهم
على جهل وضلال في عبادتهم غير الله لانهم لم يصلوا إليه بسوء ولا نالوا منه مكروها فدل على صدقه فيما
جاءهم به وبطلان ما هم عليه وفساد ما ذهبوا إليه * وهذا الدليل بعينه قد استدل به نوح عليه السلام قبله
في قوله (يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركائكم
ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقبضوا الي ولا تنظرون) . وهكذا قال الخليل عليه السلام (ولا أخاف
ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم
ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون .
الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على
قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم * وقال الملائكة من قومهم الذين كفروا وكذبوا بقاء
الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون
ولئن أطعمتم بشرًا مثلكم إنكم إذا لخالسرون . أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون)
استبعدوا أن يبعث الله رسولا بشرياً وهذه الشبهة أدلى بها كثير من جهلة الكفرة قديماً وحديثاً كما
قال تعالى (أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس) وقال تعالى (وما منع الناس أن
يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا . قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون
مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا) ولهذا قال لهم هود عليه السلام (أو عجبت أن جاءكم
ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) أي ليس هذا بعجيب فان الله أعلم حيث يجعل رسالته وقوله
(أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون . هيهات هيهات لما توعدون . إن هي إلا حياتنا
الدنيا نموت ونحى وما نحن بمبعوثين إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين * قال

ربى انصر فى * استبدوا المعاد وانكروا قيام الاجساد بعد صيرورتها تراباً وعظاماً وقالوا هيهات هيهات
 أى بيد بيد هذا الوعد إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحى وما نحن بمبعوثين أى يموت قوم ويحيى
 آخرون * وهذا هو اعتقاد الدهرية كما يقول بعض الجهلة من الزنادقة ارحام تدفع وأرض تبلع *
 وأما الدورية فهم الذين يعتقدون أنهم يعودون الى هذه الدار بعد كل ستة وثلاثين ألف سنة
 وهذا كله كذب وكفر وجهل وضلال وأقوال باطلة وخيال فاسد بلا برهان ولا دليل يستميل عقل
 الفجرة الكفرة من بنى آدم الذين لا يقولون ولا يهتدون كما قال تعالى (ولتصفى اليه أفئدة الذين
 لا يؤمنون بالآخرة ولا يرضوه وليقتروا ما هم مقترفون) وقال لهم فيما وعظهم به (أتبنون بكل ربيع آية
 تعشون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) يقول لهم أتبنون بكل مكان مرتفع بناء عظيماً هائلاً كالقصور
 ونحوها تعشون بينها لانه لا حاجة لكم فيه وما ذاك إلا لانهم كانوا يسكنون الخيام كما قال تعالى
 (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد . التى لم يخاق مثلها فى البلاد) فعاد إرم هم عاد الأولى الذين
 كانوا يسكنون الاعمدة التى تحمل الخيام *

ومن زعم أن إرم مدينة من ذهب وفضة وهى تنتقل فى البلاد فقد غلط وأخطأ وقل مالا دليل
 عليه * وقوله (وتتخذون مصانع) قيل هى القصور * وقيل بروج الحمام * وقيل ما أخذ الماء (لعلكم
 تخلدون) أى رجاء منكم أن تعمروا فى هذه الدار أعماراً طويلة (واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا
 الله وأطيعون . واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون . أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون إنى أخاف عليكم
 عذاب يوم عظيم) وقالوا له ما قالوا (أجمت لنا لعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فاتنا
 بما تعدنا ان كنت من الصادقين) أى أجمت لنا لعبد الله وحده ونخالف آباءنا وأسلافنا وما كانوا عليه *
 فان كنت صادقاً فيما جئت به فاتنا بما تعدنا من العذاب والنكال فاتنا لا تؤمن بك ولا تتبعك ولا
 نصدقك كما قالوا (سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين . إن هذا الاخلق الأولين . وما نحن
 بمعدين) أما على قراءة فتح الخاء فالمراد به اختلاق الأولين أى ان هذا الذى جئت به الا اختلاق
 منك وأخذته من كتب الأولين * هكذا فسر غير واحد من الصحابة والتابعين * وأما على قراءة ضم
 الخاء واللام فالمراد به الدين أى ان هذا الدين الذى نحن عليه الا دين الآباء والاجداد من أسلافنا ولن
 تتحول عنه ولا تتغير ولا تزال متمسكين به . ويناسب كلا القراءتين الأولى والثانية قولهم (وما نحن
 بمعدين) قال (قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلوني فى أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما
 نزل الله بها من سلطان فانتظروا انى نهيكم من المنتظرين) أى قد استحققتم بهذه المقالة الرجس والغضب
 من الله أتعارضون عبادة الله وحده لا شريك له بعبادة أصنام أنتم تحتموها وسميتوها آلهة من تلقاء
 انفسكم اصطاحتم عليها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان أى لم ينزل على ما ذهبتم اليه دليلاً ولا

برهاناً وإذا أبيتم قبول الحق وتماديتم في الباطل وسواء عليكم أنهيتم عما أنتم فيه أم لا فانظروا
الآن عذاب الله الواقع بكم وبأسه الذي لا يرد ونكاله الذي لا يصد وقال تعالى (قال رب انصرني بما
كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فآخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غناء فبعداً للقوم الظالمين) وقال
تعالى (قالوا أجبنا لنأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين . قال انما العلم عند الله وأبلغكم
ما أرسلت به ولكني اراكم قوماً تجهلون . فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا
بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم . تدمر كل شئ بأسر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم
كذلك نجزي القوم المجرمين) وقد ذكر الله تعالى خبر اهلاكهم في غير ما آية كما تقدم مجلا ومنصلا
كقوله (فأنجيناهم والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين) وكقوله (ولما
جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ . وتلك عاد جحدوا بآيات
ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة ألا ان عادا كفروا
ربهم الا بعداً لعاد قوم هود) وكقوله (فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غناء فبعداً للقوم الظالمين وقال
تعالى (فكذبوه فأهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك هو العزيز الرحيم)
وأما تفصيل إهلاكهم فلما قال تعالى (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل
هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم) كان هذا أول ما ابتدأهم العذاب أنهم كانوا محطين مستئين فطلبوا
السقيا فرأوا عارضا في السماء وظنوه سقيا رحمة فاذا هو سقيا عذاب . ولهذا قال تعالى (بل هو ما استعجلتم
به) أي من وقوع العذاب وهو قولهم (فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين) ومثلها في الأعراف .
وقد ذكر المفسرون وغيرهم ههنا الخبر الذي ذكره الامام محمد بن اسحق بن بشار قال فلما أبوا إلا الكفر
بالله عز وجل أمسك عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك قال وكان الناس اذا جهدهم أمر في ذلك
الزمان فطلبوا من الله الفرج منه إنما يطلبونه بجرمه ومكان بيته وكان معروفا عند أهل ذلك الزمان
وبه العماليق مقيمون وهم من سلالة عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيدهم اذ ذاك رجلا يقال له
معاوية بن بكر وكانت أمه من قوم عاد واسمها جلهدة ابنة الخيبرى . قال فبعث عاد ونداء قريبا من سبعين
رجلا ليستقوا لهم عند الحرم فرأوا معاوية بن بكر بظاهر مكة فنزلوا عليه فاقاموا عنده شهراً يشربون
الخمر يغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية وكانوا قد وصلوا اليه في شهر . فلما طال مقامهم عنده وأخذته
شقة على قومه واستحى منهم أن يأمرهم بالانصراف عمل شراً فيعرض لهم بالانصراف وأمر القينتين
أن تغنيهم به فقال

ألا يا قيل ويحك قم فهيم لعل الله يمنحنا عماما
فيسقي أرض عاد ان عاداً قد امسوا لا يبينون الكلاما

من العطش الشديد فليس نرجو به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير قد أمست نساؤهم أياما
وإن الوحش يأتيهم جبارا ولا يخشى لعادي سهاما
وأنتم هنا فيما اشتبهتم نهاركم وليكم تماما
فقبح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما

قال فعند ذلك تنبه القوم لما جاءوا له فهضوا الى الحرم ودعوا لقومهم فدعا داعيهم وهو قيل
ابن عنز فانشأ الله سحبات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء اختر لنفسك وتقومك
من هذا السحاب فقال اخترت السحابة السوداء فانها أكثر السحاب ماء فناداه اخترت رمادا رمدا
لا تبقى من عاد أحدا . لا والداً ينرك ولا ولداً . إلا جعلته همدا إلا بنى اللودية همدا . قال وهو بطن من
عاد كانوا مقيمين بمكة فلم يصبهم ما أصاب قومهم قال ومن بقي من أنسابهم وأعقابهم هم عاد الآخرة
قال وساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بن عنز بما فيها من النعمة الى عاد حتى تخرج عليهم من
واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فيقول تعالى (بل هو ما استعجلتم
به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء بأمر ربها) أي كل شيء أمرت به فكان أول من ابصر ما فيها
وعرف أنها ريح فيما يذكرون امرأة من عاد يقال لها فهد فلما تبينت ما فيها صاحت ثم صعقت . فلما
افاقت قالوا مارأيت يافهد قالت رأيت ريحاً فيها كشهد النار أمامها رجال يقودونها فسحرها الله
عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد أحداً إلا هلك قال واعتزل هود
عليه السلام فيما ذكر لي في حظيرة هو ومن معه من المؤمنين ما يصيبهم إلا ما يلين عليهم الجلود ويلتذ
الانفس وإنما التمر على عاد بالطن فيما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة * وذكروا تمام القصة

وقد روى الامام أحمد حديثاً في مسنده يشبه هذه القصة فقال حدثنا زيد بن الحباب حدثني أبو
المنذر سلام بن سليمان النحوي حدثنا عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن الحارث وهو ابن حسان
ويقال ابن يزيد البكري قال خرجت اشكو ابنعلاء بن الحضرمي الى رسول الله (ص) فمررت بالربذة
فاذا عجوز من بني تميم منقطع بها فقالت لي يا عبد الله ان لي الى رسول الله (ص) حاجة فهل أنت مبلغني
اليه قال فحملتها فأتيت المدينة فاذا المسجد غاص بأهله واذا راية سوداء تخفق واذا بلال متقلد السيف
بين يدي رسول الله (ص) فقلت ماشأن الناس قالوا يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها قال فجلست قال
فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فاذن لي فدخلت فسمت فقال هل كان بينكم وبين بني تميم شيء
فقلت نعم وكانت لنا الدبيرة عليهم ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها فسألتني أن احملها اليك وهامني
بالباب فاذن لها فدخلت فقلت يا رسول الله إن رأيت أن تجعل بيننا وبين بني تميم حاجزاً فاجعل الدهنا

فإنها كانت لنا قال فحسبت العجوز واستوفزت وقالت يا رسول الله فإلى أين تضطر مضرك قال فقلت إن مثلي
 ما قال الأول (معزى حملت حنفها) حملت هذه الأمة ولا أشعر أنها كانت لي خصماً أعوذ بالله ورسوله أن
 أكون كوافد عاد قال هيه وما وافد عاد وهو أعلم بالحديث منه ولكن يستطعمه قلت إن عاداً قحطوا فبعثوا
 وفداهم يقال له قيل فمر بماوية بن بكر فاقام عنده شهراً يسقيه الخمر ويغنيه جاريتان يقال لهما الجرادتان
 فلما مضى الشهر خرج إلى جبال تهامة فقال اللهم انك تعلم أني لم اجبني إلى مريض فادويه ولا إلى اسير
 فادويه . اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيه فمرت به سحابت سود فنودي منها اختر فأومى إلى سحابة منها
 سوداء فنودي منها خذها رماداً رمدداً لا تبقى من عاد أحداً قال فما بلغني أنه بعث عليهم من الريح إلا
 كقدر ما يجري في خاتمي هذا من الريح حتى هلكوا . قال أبو وائل وصدق وكانت المرأة والرجل إذا
 بعثوا وفداهم قالوا لا تكن كوافد عاد وهكذا رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن زيد بن الحباب به
 ورواه النسائي من حديث سلام أبي المنذر عن عاصم بن بهدلة ومن طريقه رواه ابن ماجه . وهكذا
 أورد هذا الحديث وهذه القصة عند تفسير هذه القصة غير واحد من المفسرين كابن جرير وغيره *
 وقد يكون هذا السياق لاهلاك عاد الآخرة فإن فيما ذكره ابن اسحاق وغيره ذكر لمكة ولم تبين
 إلا بعد ابراهيم الخليل حين اسكن فيها هاجر وابنه اسماعيل فنزلت جرمهم عندهم كما سيأتي وعاد الأولى
 قبل الخليل وفيه ذكر معاوية بن بكر وشعره وهو من الشعر المتأخر عن زمان عاد الأولى لا يشبه كلام
 المتقدمين . وفيه أن في تلك السحابة شرر نار وعاد الأولى إنما أهلكتها بريح صرصر . وقد قال ابن
 مسعود وابن عباس وغير واحد من أئمة التابعين هي الباردة والعاتية الشديدة الهبوب (سخرها عليهم
 سبع نبال وثمانية أيام حسوما) أي كوامل متتابعات * قيل كان أولها الجمعة وقيل الاربعاء (فترى القوم
 فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية) شبههم بأعجاز النخل التي لا رؤس لها وذلك لأن الريح كانت تجيء
 إلى أحدهم فتحمله فترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى جثة بلا رأس كما قال (إنا أرسلنا
 عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر) أي في يوم نحس عليهم مستمر عذابه عليهم (تنزع الناس كأنهم
 أعجاز نخل منقعر) ومن قال إن اليوم النحس المستمر هو يوم الاربعاء وتشاءم به لهذا الفهم فقد أخطأ
 وخالف القرآن فإنه قال في الآية الأخرى (فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات) ومعلوم أنها ثمانية
 أيام متتابعات فلو كانت نحسات في أنفسها لكانت جميع الأيام السبعة المندرجة فيها مشؤمة وهذا لا يقوله
 أحد وإنما المراد في أيام نحسات أي عليهم وقال تعالى (وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) أي التي
 لا تنتج خيراً فإن الريح المفردة لا تنثر سحاباً ولا تلقح شجراً بل هي عقيم لا تنتج خيراً لها ولهذا قال
 (ما تذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالريم) أي كالشيء البالي الفاني الذي لا ينتفع به بالكفاية * وقد
 ثبت في الصحيحين من حديث شمعة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس عن رسول الله (ص) أنه

قال نصرت بالصبا وأهلك عاد بالبور * وأما قوله تعالى (واذكر أبا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله لئني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) فالظاهر أن عاداً هذه هي عاد الأولى فإن سياقها شبيه بسياق قوم هود وهم الأولى. ويحتمل أن يكون المذكورون في هذه القصة هم عاد الثانية. ويدل عليه ما ذكرنا وما سيأتي من الحديث عن عائشة رضي الله عنها * وأما قوله (فلما رأوه عارضا مستقبلا أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) فإن عاداً لما رأوا هذا العارض وهو الناشئ في الجو كالسحاب ظنوه سحاب مطر فإذا هو سحاب عذاب اعتقدوه رحمة فإذا هو قهمة رجوا فيه الخير فنالوا منه غاية الشر قال الله تعالى (بل هو ما استعجبتم به) أي من العذاب ثم فسره بقوله (ريح فيها عذاب اليم) يحتمل أن ذلك العذاب هو ما أصابهم من الريح الصرصرة العاتية الباردة الشديدة الهبوب التي استمرت عليهم سبع ليال بآيامها الثمانية فلم تبق منهم أحداً بل تتبعتهم حتى كانت تدخل عليهم كهوف الجبال والغيارات فتلفهم وتخرجهم وتهلكهم وتدمر عليهم البيوت المحكمة والقصور المشيدة فكما منوا بقوتهم وشدتهم وقالوا من أشد منا قوة سلط الله عليهم ما هو أشد منهم قوة وأقدر عليهم وهو الريح العقيم * ويحتمل أن هذه الريح أثارت في آخر الأمر سحابة ظن من بقي منهم أنها سحابة فيها رحمة بهم وغيث لمن بقي منهم فأرسلها الله عليهم شرراً وناراً كما ذكره غير واحد ويكون هذا كما أصاب أصحاب الظلة من أهل مدين وجمع لهم بين الريح الباردة وعذاب النار وهو أشد ما يكون من العذاب بالاشياء المختلفة المتضادة مع الصيحة التي ذكرها في سورة قد أفاجح المؤمنون والله أعلم *

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن يحيى بن الضريس حدثنا ابن فضل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص)، ما فتح الله على عاد من الريح التي أهلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم بين السماء والأرض فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها (قالوا هذا عارض ممطرنا) فالقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة. وقد رواه الطبراني عن عبدان بن أحمد عن اسماعيل بن زكريا الكوفي عن أبي مالك عن مسلم الملائي عن مجاهد وسعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال قال رسول (ص)، ما فتح الله على عاد من الريح إلا مثل موضع الخاتم. ثم أرسلت عليهم البدو إلى الحضرة فلما رأها أهل الحضرة قالوا هذا عارض ممطرنا مستقبلا أوديتنا وكان أهل البوادي فيها فالقت أهل البادية على أهل الحاضرة حتى هلكوا قال عنت على خزائنها حتى خرجت من خلال الأبواب. قلت وقال غيره خرجت بغير حساب *

والمقصود أن هذا الحديث في رفعه نظر. ثم اختلف فيه على مسلم الملائي وفيه نوع اضطراب والله أعلم * وظاهر الآية أنهم رأوا عارضا والمفهوم منه لمعة السحاب كما دل عليه حديث الحارث بن حسان البكري أن جعلناه مفسراً لهذه القصة. وأصرح منه في ذلك ما رواه مسلم في صحيحه حيث قال

حدثنا أبو الطاهر حدثنا ابن وهب سمعت بن جريج يحدثنا عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله (ص) إذا عصفت الريح قال (اللهم انى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به) قالت وإذا عبيت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فإذا أمطرت سرى عنه فعرفت ذلك عائشة فسألته فقال لعله يا عائشة كما قال قوم عاد (فأما رأود عارضاً مستقبلاً أوديتهم قالوا هذا عارض مطرنا) رواد الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ابن جريج *

طريق أخرى * قال الامام أحمد حدثنا هرون بن معروف أنبأنا عبد الله بن وهب أنبأنا عمرو وهو ابن الحارث أن أبا النضر حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة أنها قالت سأيت رسول الله (ص) مستجعماً ضاحكاً قط حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم . وقالت كان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف ذلك في وجهه قالت يا رسول الله (الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيت عرف في وجهك الكراهية فتال يا عائشة ما يؤمنى أن يكون فيه عذاب . قد عذب قوم نوح بالريح . وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض مطرنا * فهذا الحديث كالصريح في تغاير القصتين كما أشرنا اليه أولاً . فعلى هذا تكون القصة المذكورة في سورة الاحقاف خبراً عن قوم عاد الثانية . وتكون بقية اسياقات في القرآن خبراً عن عاد الأولى والله أعلم بالصواب * وهكذا رواه مسلم عن هارون ابن معروف وأخرجه البخارى وأبو داود من حديث ابن وهب * وقدمنا حج هود عليه السلام عند ذكر حج نوح عليه السلام . وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب أنه ذكر صفة قبر هود عليه السلام في بلاد اليمن . رذ كر آخرون أنه بدمشق وبجامعها مكان في حائطه القبلى يزعم بعض الناس أنه قبر هود عليه السلام والله أعلم *

قصة صالح بنى عمود عليه السلام

وهم قبيلة مشهورة يقال لهم عمود باسم جدتهم تمود أخى جديس وهما ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح وكانوا عرباً من العاربة يسكنون الحجر الذى بين الحجاز وتبوك . وقد مر به رسول الله (ص) وهو ذاهب الى تبوك بمن معه من المساهين كاسيأنى بيانه وكانوا بعد قوم عاد وكانوا يعبدون الأصنام كأولئك فبعث الله فيهم رجلاً منهم وهو عبد الله ورسوله صالح بن عبد بن ماسح (١) بن عبيد بن حاجر

(١) وفي نسخة عبيد بن ماشخ والذى في العرائس هو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد

ابن حاذر بن عمود بن عابر بن ارم الخ نقل عن (محمود الامام)

ابن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح فدعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن يخلعوا الاصنام والانداد ولا يشركوا به شيئاً فامنت به طائفة منهم وكفر جمهورهم ونلوا منه بالمقال والفعال وهموا بقتله وقتلوا الناقة التي جعلها الله حجة عليهم فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى في سورة الأعراف (والى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيرى قد جاءكم بينة من ربكم . هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم . واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتتحتون من الجبال بيوتاً فاذا كروا آلاء الله ولا تعشوا في الأرض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون . قال الذين استكبروا إنا بالذى آمتم به كافرون . فمقرروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) وقال تعالى في سورة هود (والى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره . هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروا ثم توبوا إليه إن ربه قريب مجيب . قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نترك ما يعبد آباءنا وإنا لفي شك مما تدعونا إليه مريب . قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربه وآتاني منه رحمة فمن ينصرنى من الله إن عصيته فما تزيدوننى غير تخسير . ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب . فمقرروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب . فلما جاء أمرنا نجيتنا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ . إن ربك هو القوى العزيز . وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في دارهم جاثمين . كأن لم يغنوا فيها إلا إن ثمود كفروا ربهم إلا بدا للثمود) وقال تعالى في سورة الحجر (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين . وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين . وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين . فأخذتهم الصيحة مصبحين . فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) وقال سبحانه وتعالى في سورة سبحان (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون . وآتيناهم ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) وقال تعالى في سورة الشعراء (كذبت ثمود المرسلين . اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون . إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين . أتتركون فيما هاعنا آمين في جنات وعميون . وزروع ونخل طلمها هضيم . وتتحتون من الجبال بيوتاً فارهين . فاتقوا الله وأطيعون . ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا إنما أنت من المسحurin . ما أنت إلا بشر مثلنا فات بآية إن كنت من الصادقين . قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم . ولا

تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب عظيم . فقروها فاصبحوا نادمين . فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك هو العزيز الرحيم (وقال تعالى في سورة النمل (ولقد أرسلنا نوحاً أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون . قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستفرون الله لعلكم ترحمون . قالوا اطيرنا بك وبمن معك . قال طائرکم عند الله بل أنتم قوم تفتنون . وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون . ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين . فتلك بيوتهم خاوية بما ظاهروا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون . وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقال تعالى في سورة حم السجدة (وأما نوحاً فهديناها فاستجبوا لعلي الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون . ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقال تعالى في سورة اقتربت (كذبت نوحاً بالندر . فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه) أنا إذا لنفي ضلال وسعير . ألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشير . سيعلمون غداً من الكذاب الأشر . أنا مرسلوا الناقة فتنه لهم فارتقبهم واصطبر . ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر . فنادوا صاحبهم فعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر . أنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال تعالى (كذبت نوحاً بطغواها إذ انبعث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها . فكذبوه فقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها) . وكثيراً ما يقرب الله في كتابه بين ذكر عاد وثمود كما في سورة براءة وإبراهيم والفرقان وسورة (ص) وسورة (ق) والنجم والفجر * ويقال إن هاتين الأمتين لا يعرف خبرهما أهل الكتاب وليس لهما ذكر في كتابهم التوراة ولكن في القرآن ما يدل على أن موسى أخبر عنهما كما قال تعالى في سورة إبراهيم (وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد . ألم يأتكم نبي الذين من قبلكم قوم نوح و عاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسالهم بالبينات) الآية . الطاهران هذا من تمام كلام موسى مع قومه ولكن لما كان هاتان الأمتان من العرب لم يضبطوا خبرهما جيداً ولا اعتنوا بحفظه وإن كان خبرهما كان مشهوراً في زمان موسى عليه السلام * وقد تكلمنا على هذا كله في التفسير متقصباً والله الحمد والمنة *

والمقصود الآن . كرقصتهم وما كان من أمرهم وكيف نبى الله نبيه صالحاً عليه السلام ومن آمن به وكيف قطع دابر القوم الذين ظلموا بكفرهم وعتوهم ومخالفتهم رسوله عليه السلام * قد قدمنا أنهم كانوا عرباً وكانوا بعد عاد ولم يعتبروا بما كان من أمرهم * ولهذا قال لهم نبيهم عليه السلام (أعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله

ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم . واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض
تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين
أى إنما جعلكم خلفاء من بعدكم لتعتبروا بما كنتم أمرهم وتعملوا بخلاف عملهم وأباح لكم هذه الأرض
تبنون في سهولها القصور وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين أى حاذقين فى صنعها واتقانها وإحكامها
فقابلوا نعمة الله بالشكر والعمل الصالح والعبادة له وحده لا شريك له وإياكم ومخالفته والعدول عن طاعته
فإن عاقبة ذلك وخيمة ولهذا وعظهم بقوله (انتركون فيما ههنا آمين . فى جنات وعيون وزروع ونخل
طلعها هضيم) أى متراكم كثير حسن بهى ناضج (وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين فاتقوا الله وأطيعون
ولا تطيعوا أمر المسرفين . الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون) وقال لهم أيضاً (يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) أى هو الذى خلقكم فأنشأكم من الأرض
وجعلكم عمارها أى أعطاكموها بما فيها من الزروع والثمار فهو الخالق الرزاق فهو الذى يستحق العبادة
وحده لا سواه (فاستغفروه ثم توبوا إليه) أى أقبلوا عما أنتم فيه وأقبلوا على عبادته فانه يقبل منكم
ويتجاوز عنكم (إن ربي قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) أى قد كنا نرجو
أن يكون عقابك كاملاً قبل هذه المقالة وهى دعاؤك إيانا الى إفراد العبادة وترك ما كنا نعبد من
الانداد والعدول عن دين الآباء والاجداد ولهذا قالوا (انهمانا أن نترك ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما
تدعونا إليه مريب - قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرنى من الله
إن عصيته فما يزيدونى غير تخسير) وهذا تطف منه لهم فى العبارة ولين الجانب وحسن تأت فى
الدعوة لهم الى الخير أى فما ظنكم إن كان الامر كما أقول لكم وأدعوك إليه ماذا عذرکم عند الله وماذا
يخلصكم بين يديه وأنتم تطلبون منى أن اترك دعاءكم الى طاعته وأنا لا يمكننى هذا لانه واجب على
ولو تركته لما قدر أحد منكم ولا من غيركم أن يجيرنى منه ولا ينصرنى فانا لا أزال أدعوك الى الله وحده
لا شريك له حتى يحكم الله بينى وبينكم وقالوا له أيضاً (انما أنت من المسحرين) أى من المسحورين
يعنون مسحوراً لا تدرى ما تقول فى دعائك إيانا الى إفراد العبادة لله وحده وخلع ماسواه من الأنداد
وهذا القول عليه الجمهور إن المراد بالمسحرين المسحورين * وقيل من المسحرين أى ممن له سحر وهى
الرثة كأنهم يقولون انما أنت بشر له سحر والأول أظهر لقولهم بعد هذا ما أنت إلا بشر مثلنا * وقولهم
(فأت بآية إن كنت من الصادقين) سألوا منه أن يأتيهم بخارق يدل على صدق ما جاءهم (قال هذه ناقة
لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب عظيم) وقال (قد جاءكم بينة من
ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم) وقال تعالى
(وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها) *

وقد ذكر المفسرون ان ثمود اجتمعوا يوماً في ناديتهم فجاءهم رسول الله صالح فدعاهم الى الله وذكرهم وحذرهم ووعظهم وامرهم فقالوا له ان انت اخرجت لنا من هذه الصخرة وأشاروا الى صخرة هناك ناقة من صفتها كيت وكيت وذكروا اوصافاً سموها ونعتوها وتعتوا فيها وأن تكون عشراء طويلاً من صفتها كذا وكذا فقال لهم النبي صالح عليه السلام ارايتم ان اجبتكم الى ما سألتم على الوجه الذي طلبتم أتؤمنون بما جئكم به وتصدقوني فيما أرسلت به . قالوا نعم فاخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك ثم قام الى مصلاه فصلى لله عز وجل ما قدر له ثم دعا ربه عز وجل أن يجيبهم الى ما طلبوا فأمر الله عز وجل تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء على الوجه المطلوب الذي طلبوا أو على الصفة التي نتموا فلما عاينوها كذلك رأوا أمراً عظيماً ومنظراً هائلاً وقدرة باهرة ودليلاً قاطعاً وبرهاناً ساطعاً فآمن كثير منهم واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم ولهذا قال (فظهوا بها) أي جحدوا بها ولم يتبعوا الحق بسببها أي أكثرهم . وكان رئيس الذين آمنوا جندع بن عمرو بن محلاه بن لبيد بن جواس . وكان من رؤسائهم وهم بقية الأشراف بالاسلام قصدهم ذؤاب بن عمر بن لبيد والخباب صاحباً أو ثائهم ورباب بن صمر بن جلس ودعا جندع بن عمه شهاب بن خليفة وكان من اشرافهم فهم بالاسلام قبياء أولئك فمال اليهم قتال في ذلك رجل من المسادين يقال له مهرش بن غنمة بن الذميل رحمه الله

وكانت عصبية من آل عمرو الى دين النبي دعوا شهاباً
عزيراً ثمود كلهم جميعاً فهم بأن يجيب ولو أجابا
لاصبح صالح فينا عزيراً وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر تولوا بعد رُشدهم ذاباً (١)

ولهذا قال لهم صالح عليه السلام (هذه ناقة الله لكم آية) أضافها لله سبحانه وتعالى اضافة تشريف وتعظيم كقوله بيت الله وعبد الله لكم آية أي دليلاً على صدق ما جئكم به فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب) فاتفق الحال على أن تبقى هذه الناقة بين أظهرهم ترعى حيث شاءت من أرضهم وترد الماء يوماً بعد يوم وكانت اذا وردت الماء تشرب ماء البئر يوماً ذلك فكانوا يرفعون حاجتهم من الماء في يومهم لندم ويقال إنهم كانوا يشربون من لبنها كفايتهم ولهذا « قال لها شرب ولكم شرب يوم معلوم » ولهذا قال تعالى (إنا مرسلوا الناقة فتنه لهم) أي اخباراً لهم أيؤمنون بها أم يكفرون والله أعلم بما يفعلون (فارتقبهم) أي انتظر ما يكون من امرهم (واصطبر) على أدام فسيأتيك الخبر على جلية (ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر) فلما طال عليهم الحال هذا اجتمع ملؤهم واتفق رأيهم على أن يعقروا هذه الناقة ليستريحوا منها ويتوفر عليهم ماؤهم ويزين لهم الشيطان

(١) كذا بالاصل وفي المرائس ذباباً وفي نسخة فولوا بدل تولوا .

أعمالهم (قال الله تعالى) فقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين). وكان الذي تولى قتلها منهم رئيسهم قدار بن سالف بن جندع وكان أحمر ازرق أصهب وكان يقال انه ولد زانية ولد على فراش سالف وهو ابن رجل يقال له صبيان . وكان فعله ذلك باتفاق جميعهم فلهذا نسب الفعل الى جميعهم كلهم *

وذكر ابن جرير وغيره من علماء المفسرين أن امرأتين من ثمود اسم احدها صدوق ابنة الحيا ابن زهير بن المختار وكانت ذات حسب ومال وكانت تحت رجل من أسلم فقارقه فدعت ابن عم لها يقال له مصرع بن مهرح بن الحيا وعرضت عليه نفسها ان هو عقر الناقة واسم الاخرى عنيزة بنت غنيم بن مجلز وتكنى أم عثمان وكانت عجوزا كافرة لها بنات من زوجها ذؤاب بن عمرو احد الرؤساء فرضت بناتها الاربع على قدار بن سالف ان هو عقر الناقة فله أى بناتها شاء فأتدب هذان الثابان لعقرها وسعوا في قومهم بذلك فاستجاب لهم سبعة آخرون فصاروا تسعة وهم المذكورون في قوله تعالى (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) وسعوا في بقية القبيلة وحسنوا لهم عقرها فاجابوهم الى ذلك وطاوعوهم في ذلك فانطلقوا يرصدون الناقة فلما صدرت من وريدها كمن لها مصرع فرماها بسهم فانتظم عظم ساقها وجاء النساء يزمرن القبيلة في قتلها وحسن عن وجوههن ترغيبا لهم فابتدرهم قدار بن سالف فشد عليها بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرت ساقطة الى الارض ورغت رغبة واحدة عظيمة فمخدر ولدها ثم طعن في لبها فمخرها وانطلق سقيها وهو فصيلها فصعد جبلا منيعا ودعا ثلاثا *

وروى عبد الرزاق عن معمر عن سمع الحسن انه قال يارب أين أمي ثم دخل في صخرة فغاب فيها ويقال بل اتبعوه فقروه أيضا قال الله تعالى (فنادوا صاحبهم فتعاطى فقفر فكيف كان عذابي ونذر) . وقال تعالى (اذ انبث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها) أى احذروها فكذبوه فقروها فقدم عليهم عليهم بذنوبهم فسواها ولا يخاف عقباها) *

قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا هاشم هو أبو عزة عن أبيه عبد الله بن زمعة قال خطب رسول الله (ص) فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال (اذ انبثت أشقاها) انبث لها رجل من غارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة . أخرجاه من حديث هشام بن عارم أى شهيم عزيز أى رئيس منيع أى مطاع في قومه * وقال محمد بن اسحاق حدثني يزيد بن محمد بن خيثم عن محمد بن كعب عن محمد بن خيثم عن يزيد عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله (ص) لعلى ألا أحدنك بأشقى الناس قال بلى قال رجلان أحدهما احيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا على هذا يعنى قرنه حتى يقتل منه هذه يعنى لحيته . رواه ابن أبي حاتم . وقال تعالى (فقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا

يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين) فجمعوا في كلامهم هذابين كفر بليغ من وجوه. منها انهم خافوا الله ورسوله في ارتكابهم النهي الاكيد في عقر الناقة التي جعلها الله لهم آية. ومنها انهم استعجلوا وقوع العذاب بهم فاستحقوه من وجهين * أحدهما التشرط عليهم في قوله (ولا تمسوها بسوء فإخذكم عذاب قريب) وفي آية عظيم وفي الاخرى اليم والكل حق * والثاني استعجالهم على ذلك * ومنها انهم كذبوا الرسول الذي قد قام الدليل القاطع على نبوته وصدقه وهم يعلمون ذلك علما جازما ولكن حملهم الكفر والضلال والعناد على استبعاد الحق ووقوع العذاب بهم * قال الله تعالى (فقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) وذكروا انهم لما عقروا الناقة كان أول من سطا عليها قدار بن سالف لعنه الله فرقبها فسقطت الى الارض ثم ابتدروها باسيافهم يقطعونها فلما عين ذلك سقبا وهو ولدها شرد عنهم فعلا أعلى الجبل هناك ورغا ثلاث مرات فلما قال لهم صالح (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام) أي غير يومهم ذلك فلم يصدقوه أيضا في هذا الوعد الاكيد بل لما أمسوا هموا بقتله وأرادوا فيما يزعمون أن يلحقوه بالناقة (قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله) أي لنكبسته في داره مع أهله فلنقتله ثم نجحدهن قتله ونكرن ذلك أن طالبنا أو لياؤه بدمه. ولهذا قالوا. (ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون) قال الله تعالى (ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون. فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين. فذلك بيوتهم خاوية بما ظفروا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون وانجيبا الذين آمنوا وكانوا يتقون) وذلك أن الله تعالى أرسل على أولئك النفر الذين قصدوا قتل صالح حجارة رضحتهم سائفا وتعجلا قبل قومهم وأصبحت ثمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة ووحوشهم مصفرة كما أنذرهم صالح عليه السلام فلما أمسوا نادوا باجمعهم ألا قد مضى يوم من الأجل. ثم أصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل. وهو يوم الجمعة ووجههم محمرة فلما أمسوا نادوا ألا قد مضى يومان من الأجل. ثم أصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وهو يوم السبت ووجوههم مسودة فلما أمسوا نادوا ألا قد مضى الأجل فلما كان صبيحة يوم الأحد تحنطوا وتأهبوا وقعدوا ينتظرون ماذا يحل بهم من العذاب والنكال والنزلة لا يدرون كيف يفعل بهم ولا من أي جهة يأتيهم العذاب فلما أشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهت الذنوس وسكنت الحركات وخشمت الأصوات وحقت الحقائق فأصبحوا في دارهم جاثمين جثا لا ارواح فيها ولا حراك بها. قلوا ولم يبق منهم أحد إلا جارية كانت مقعدة واسمها كلبة ابنت السلو. ويقال لها الذريمة وكانت شديدة الكفر والمداوة له الخ عليه السلام فلما رأت العذاب أطلقت رجلاها فقامت تسعى كالسرع شئ فأتت حياً من العرب فاخبرتهم بتأرياتها وما حل بقومها واستسقمهم ما. فلما شربت ماتت. قال الله تعالى (كأن لم ينسوا فيها) أي لم يقيموا فيها في سعة ورزق وغناء (الإن

ثمود كفروا ربهم الا بعداً لثمود). أى نادى عليهم لسان القدر بهذا*

قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر قال لما مر رسول الله (ص) بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سأها قوم صالح فكانت يعنى الناقة ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج (ففتوا عن أمر ربهم فقروها). وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً فقروها فأخذتهم صيحة أهد الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان فى حرم الله. فقالوا من هو يا رسول الله قال هو أبو رغال. فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه. وهذا الحديث على شرط مسلم وليس هو فى شئ من الكتب الستة والله أعلم*

وقد قال عبد الرزاق أيضاً قال معمر أخبرنى اسماعيل بن أمية أن النبى (ص) مر بقبر أبى رغال فقال أندرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم. قال هذا قبر أبى رغال رجل من ثمود كان فى حرم الله فمنعه حرم الله عذاب الله. فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فنزل القوم فابتدروه بأسياهم فبحثوا عنه فاستخرجوا الغصن* قال عبد الرزاق قال معمر قال الزهرى أبو رغال أبو ثقيف* هذا مرسل من هذا الوجه* وقد جاء من وجه آخر متصلاً كما ذكره محمد بن اسحق فى السيرة عن اسماعيل بن أمية عن بجير بن أبى بجير سمعت عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله (ص) يقول حين خرجنا معه الى الطائف فررنا بقبر فقال إن هذا قبر أبى رغال. وهو أبو ثقيف. وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج منه أصابته النعمة التى أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب - إن أنتم نبثتم عنه أصبتموه معه. فابتدروه الناس فاستخرجوا منه الغصن* وهكذا رواه أبو داود من طريق محمد بن اسحق به* قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى رحمه الله هذا حديث حسن عزيز. قلت تفرد به بجير بن أبى بجير هذا ولا يعرف إلا بهذا الحديث ولم يرو عنه سوى اسماعيل ابن أمية* قال شيخنا فيحتمل أنه وهم فى رفعه وإنما يكون من كلام عبد الله بن عمرو من زاملته والله أعلم قلت لكن فى المرسل الذى قبله وفى حديث جابر أيضاً شاهد له* والله أعلم. وقوله تعالى (فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) إخبار عن صالح عليه السلام أنه خاطب قومه بعد هلاكهم وقد أخذ فى الذهاب عن محلهم الى غيرها قائلاً لهم (يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم) أى جهدت فى هدايتكم بكل ما أمكنتى وحرصت على ذلك بقولى وفعلى ونبتى (ولكن لا تحبون الناصحين) أى لم تكن سجاياءكم تقبل الحق ولا تريده فلماذا صرتم الى ما أنتم فيه من العذاب الأليم المستمر بكم المتصل الى الأبد وليس لى فيكم حيلة ولا لى بالدفع عنكم يدان والذى وجب على من أداء الرسالة والنصح لكم قد فعلته وبذلته لكم ولكن الله يفعل ما يريد وهكذا خاطب النبى (ص) أهل قليب بدر بعد ثلاث ليال وقف عليهم وقد ركب راحلته وأمر بالرحيل

من آخر الليل فقال يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا وقال لهم فيما قال بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتوني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقتلتوني ونصرني الناس فبئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم فقال له عمر يا رسول الله تخاطب أقواما قد جيفوا فقال (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يجيبون). وسيأتي بيانه في موضعه ان شاء الله * ويقال إن صالحا عليه السلام انتقل إلى حرم الله فاقام به حتى مات *

قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا زمعة بن صالح عن سادة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال لما مر النبي (ص) بوادي عسفان حين حج قال يا ابا بكر أي واد هذا . قال وادي عسفان قال لقد مر به هود وصالح عليهما السلام على بكرات خطمها الليف ازرم العباء وأرديتهم النار يلبون يحجون البيت العتيق * اسناد حسن * وقد تقدم في قصة نوح عليه السلام من رواية الطبراني وفيه نوح وهود و ابراهيم

رسول النبي بلوذيان الحجر من ارض عمود عام تبوك

قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا صخر بن جويرة عن نافع عن ابن عمر قال لما نزل رسول الله (ص) بالناس على تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود فعبجوا منها ونصبوا القدور فامرهم رسول الله فاهراقوا القدور وعلفوا العجين الابل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم * وقال أحمد أيضا حدثنا عفان حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله (ص) وهو بالحجر لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم * اخرجاه في الصحيحين من غير وجه * وفي بعض الروايات انه عليه السلام لما مر بمنزلهم قنع رأسه واسرع راحلته ونهى عن دخول منازلهم الا أن تكونوا باكين وفي رواية فان لم تبكوا فبئس كوا خشية أن يصيبكم مثل ما أصابهم * صلوات الله وسلامه عليه *

وقال الامام احمد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا المسعودي عن اسمعيل بن اوسط عن محمد بن ابي كبشة الانباري عن أبيه واسمه عمرو بن سعد ويقال غامر بن سعد رضي الله عنه قال لما كان في غزوة تبوك فسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله (ص) فنادى في الناس الصلاة جامعة قال فاتيت النبي (ص) وهو ممسك بعيرد وهو يقول ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم فناداد رجل فعجب منهم يا رسول الله قال أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان

قبلكم وما هو كان بدمكم فاستقيموا وسددوا فان الله لا يعبأ بذيابكم شيئاً وسيأتي قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئاً * إسناد حسن ولم يخرجوه . وقد ذكر أن قوم صالح كانت أعمارهم طويلة فكاتوا بينون البيوت من المدر فتخرب قبل موت الواحد منهم فنحتوا لهم بيوتاً في الجبال . وذكروا أن صالحاً عليه السلام لما سأله آية فأخرج الله لهم الناقة من الصخرة أمرهم بها وبالولد الذي كان في جوفها وحذرهم بأس الله إن هم نالوها بسوء . وأخبرهم أنهم سيعقرونها ويكون سبب هلاكهم ذلك وذكر لهم صفة عاقرها وأنه أحر أزرق أصهب فبعثوا القوايل في البلد متى وجدوا مولوداً بهذه الصفة يقتلنه فكاتوا على ذلك دهرًا طويلاً واقرض جيل وأتى جيل آخر . فلما كان في بعض الأعصار خطب رئيس من رؤسائهم على ابنة بنت آخر مثله في الرياسة فزوجه فولد بينهما عاقر الناقة وهو قدار بن سالف قام تمكن القوايل من قتله لشرف أبيه وجديه فيهم فقتلوا نشأة سريعة فكان يشب في الجمعة كما يشب غيره في شهر حتى كان من أمره أن خرج مطاعاً فيهم رئيساً بينهم فسولت له نفسه عقر الناقة واتبعه على ذلك ثمانية من أشرفهم وهم التسعة الذين أرادوا قتل صالح عليه السلام . فلما وقع من أمرهم ما وقع من عقر الناقة وبلغ ذلك صالحاً عليه السلام جاءهم باكياً عليها فتلقوه يعتذرون اليه ويقولون إن هذا لم يقع عن ملامنا وإنما فعل هذا هؤلاء الأحداث فينا . فيقال إنه أمرهم باستدراك سبقها حتى يحسنوا اليه عوضاً عنها فذهبوا وراءه فصعد جبلاً هناك فلما تصاعدوا فيه وراءه تعالى الجبل حتى ارتفع فلا يناله الطير وبكى الفصيل حتى سالت دموعه . ثم استقبل صالحاً عليه السلام ودعا ثلاثاً فعندها قال صالح تمتعوا في داركم ثلاثة أيام وذلك وعد غير مكذوب . وأخبرهم أنهم يصبحون من غدهم صفرًا ثم تحمر وجوههم في الثاني وفي اليوم الثالث تسود وجوههم * فلما كان في اليوم الرابع أتتهم صيحة فيها صوت كل صاعقة فأخذتهم فأصبحوا في دارهم جائعين * وفي بعض هذا السياق نظر ومخالفة لظاهر ما يفهم من القرآن في شأنهم وقصتهم كما قدمنا والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

قصة إسماعيل الخليل

هو إبراهيم بن تسارخ « ٢٥٠ » بن ناحور « ١٤٨ » بن ساروغ « ٢٣٠ » بن راعو « ٢٣٩ » ابن فالغ « ٤٣٩ » بن عابر « ٤٦٤ » بن شالح « ٤٣٣ » بن أرفخشذ « ٤٣٨ » بن سام « ٦٠٠ » ابن نوح عليه السلام * هذا نص أهل الكتاب في كتابهم وقد أعلت على أعمارهم تحت أسمائهم بالهندي كما ذكره من المدد (١) وقدمنا الكلام على عمر نوح عليه السلام فأغنى عن إعادته * وحكى الحافظ

(١) بيبه هذه الأرقام موافقة لما في التوراة وأما الأسماء فكثرها مخالفة لما في التوراة * مثلاً أن

ابن عساكر في ترجمة ابراهيم الخليل من تاريخه عن اسحق بن بشر الكاهلي صاحب كتاب المبتدأ
 أن اسم أم ابراهيم أميلة * ثم اورد عنه في خبر ولادتها له حكاية طويلة وقال الكاهلي اسمها بونا بنت
 كربنا بن كرتي من بني أرفخشذ بن سام بن نوح *

وروى ابن عساكر من غير وجه عن عكرمة أنه قال كان ابراهيم عليه السلام يكنى أبا الضيفان
 قالوا ولما كان عمر تلرخ خمساً وسبعين سنة ولد له ابراهيم عليه السلام وناحور وهاران وولد لها ران
 لوط * وعندهم أن ابراهيم عليه السلام هو الأوسط وأن هاران مات في حياة أبيه في أرضه التي ولد
 فيها وهي أرض الكلدانيين يعنون أرض بابل * وهذا هو الصحيح المشهور عند أهل السير والتواريخ
 والأخبار وصح ذلك الحافظ ابن عساكر بعد ما روى من طريق هشام بن عمار عن الوليد عن سعيد
 ابن عبد العزيز عن مكحول عن ابن عباس قال ولد ابراهيم بنوطة دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل
 يقال له قاسيون * ثم قال والصحيح أنه ولد ببابل . وإنما نسب اليه هذا المقام لأنه صلى فيه إذ جاء
 معيناً للوط عليه السلام . قالوا فتزوج ابراهيم سارة وناحور ملكا ابنة هاران يعنون بابنة أخيه قالوا
 وكانت سارة عاقراً لا تلد قالوا وانطلق تاريخ بابنة ابراهيم وامراته سارة وابن أخيه لوط بن هاران فخرج
 بهم من أرض الكلدانيين الى أرض الكنعانيين فنزلوا حران فمات فيها تاريخ وله مائتان وخمسون سنة
 وهذا يدل على أنه لم يولد بجران وإنما مولده بأرض الكلدانيين وهي أرض بابل وما والاها * ثم ارتحلوا
 قاصدين أرض الكنعانيين * وهي بلاد بيت المقدس فاقاموا بجران وهي أرض الكشدانيين في ذلك
 الزمان وكذلك أرض الجزيرة والشام أيضاً وكانوا يعبدون الكواكب السبعة . والذين عمروا مدينة دمشق
 كانوا على هذا الدين يستقبلون القطب الشمالي ويعبدون الكواكب السبعة بأنواع من الفعال والمقال *
 ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل لكوكب منها ويعملون لها أعياداً
 وقرابين * وهكذا كان أهل حران يعبدون الكواكب والأصنام وكل من كان على وجه الأرض
 كانوا كفاراً سوى ابراهيم الخليل وامراته وابن أخيه لوط عليهم السلام وكان الخليل عليه السلام هو
 الذي أزال الله به تلك الشرور وأبطل به ذلك الضلال فان الله سبحانه وتعالى أتاه رشده في صغره
 وابتعثه رسولا واتخذة خليلاً في كبره قال تعالى (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين)
 أي كان أهلاً لذلك وقال تعالى (و ابراهيم) اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم
 تعلمون انما تعبدون من دون الله آوثاناً وتخلقون إفا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم
 رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون . وان تكذبوا فقد كذب أمم من
 ما فيها تلرخ بدل تسارخ وسروج بدل ساروغ . وفالج بدل فالغ . وارفكشاد بدل أرفخشذ ورعو بدل
 راعو ووضعنا أرقام الاعمار بعد كل اسم *

قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين. أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير. قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة. ان الله على كل شئ قدير يذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تعلقون. وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير. والذين كفروا بآيات الله ولقائه اولئك يشسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب اليم. فما كان جواب قومه الا أن قولا اقتلوه أو حرقوه فانجاه الله من النار. إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون. وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين. فآمن له لوط وقال إني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم. ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب. وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين) ثم ذكر تعالى مناظرته لآبيه وقومه كما سندكره ان شاء الله تعالى. وكان اول دعوته لآبيه وكان أبوه ممن يعبد الأصنام لأنه أحق الناس باخلاص النصيحة له كما قال تعالى (واذكر في الكتاب ابراهيم إنه كان صديقا نبيا. اذ قال لآبيه. ياأبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفنى عنك شيئا. ياأبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا. ياأبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا. ياأبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا. قال أرأغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا. قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ان لا أكون بدعاء ربي شقيا). فذكر تعالى ما كان بينه وبين آبيه من المحاوره والمجادلة وكيف دعا أباه الى الحق بألفظ عبارة. وأحسن اشارة بين له بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان التي لا تسمع دعاء عابدها ولا تبصر مكانه فكيف تغنى عنه شيئا أو تفعل به خيرا من رزق أو نصر * ثم قال منها على ما أعطاه الله من الهدى والعلم النافع وإن كان أصغر سنا من آبيه (ياأبت إنه قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا) أي مستقيما وانحازا سهلا حنيفا يفضي بك الى الخير في دنياك وأخرائك فلما عرض هذا الرشده عليه وأهدى هذه النصيحة اليه لم يقبلها منه ولا أخذها عنه بل تهدده وتوعده قال (أرأغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك) قيل بالمقال وقيل بالفعال (واهجرني مليا) أي واقطعني وأطل هجراني فعندها قال له ابراهيم (سلام عليك) أي لا يصلاك مني مكروه ولا ينالك مني اذى بل أنت سالم من ناحيتي وزاده خيرا فقال (سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا) * قال ابن عباس وغيره أي لطيفا يعني في أن هداني لعبادته والاخلاص له ولهذا قال (واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا). وقد استغفر له ابراهيم عليه السلام كما وعده في أدميته. فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه كما قال تعالى (وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعده وعدها إياه فلما تبين له

أنه عدو لله تبرا منه إن إبراهيم لأواه حلیم)

وقال البخاری حدثنا اسمعيل ابن عبد الله حدثني اخي عبد الحميد عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (يلقى إبراهيم اباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قفرة وغبرة فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني فيقول له أبوه فاليوم لأعصيك فيقول إبراهيم يارب انك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون وأى خزي أخزى من أبي الأبعد فيقول الله إني حرمت الجنة على الكافرين . ثم يقال يا إبراهيم ما تحت رجلك فينظر فإذا هو بذبح متلطح فيؤخذ بهوأمه فيلقى في النار هكذا رواه في قصة إبراهيم منفردا *

وقال في التفسير وقال إبراهيم بن طهمان عن ابن أبي ذؤيب عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة * وهكذا رواه النسائي عن احمد بن حفص بن عبد الله عن أبيه عن إبراهيم بن طهمان به . وقد رواه البزار من حديث حماد بن سلمة عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه . وفي سياقه غرابة . ورواه أيضا من حديث قتادة عن عقبة بن عبد الغافر عن أبي سعيد عن النبي (ص) بنحوه وقال تعالى (واذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك في ضلال مبين) هذا يدل على أن اسم أبي إبراهيم آزر وجمهور أهل النسب منهم ابن عباس على أن اسم أبيه تارح وأهل الكتاب يقولون تارخ بلطاء المعجزة فقيل إنه لقب بصم كان يعبده اسمه آزر *

وقال ابن جرير والصواب أن اسمه آزر ولعل له اسمان علمان أو أحدهما لقب والآخر علم . وهذا الذي قاله محتمل والله أعلم * ثم قال تعالى (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهتدي ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم انى برى ما تشركون . إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتجاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شىء علما أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فإى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم) . وهذا المقام مقام مناظرة لقومه وبيان لهم أن هذه الاجرام المشاهدة من الكواكب النيرة لا تصلح للألوهية ولا أن تعبد مع الله عز وجل لانها مخلوقة مربية مصنوعة مدبرة مسخرة تطلع تارة وتأفل أخرى فتغيب عن هذا العالم والرب تعالى لا يغيب عنه شىء ولا تخفى عليه خافية بل هو الدائم الباقي بلا زوال لا إله الا هو ولا رب سواه فبين لهم أولا عدم

صلاحية الكواكب . قيل هو الزهرة لذلك ثم ترقى منها الى القمر الذي هو أضوأ منها وأبهى من حستها . ثم ترقى الى الشمس التي هي أشد الاجرام المشاهدة ضياء وسناء وبهاء فبين انما مسخرة مسيرة مقدره مربوبه كما قال تعالى (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياد تعبدون) ولهذا قال (فلما رأى الشمس بازغة) أى طالعة (قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم انى يرى مما تشركون . انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئاً) . أى لست أبالى فى هذه الآلهة التى تعبدونها من دون الله فانها لاتنفع شيئاً ولا تسمع ولا تعقل بل هى مربوبه مسخرة كالقواكب ونحوها أو مصنوعة منحوتة منجورة * والظاهر ان موعظته هذه فى الكواكب لأهل حران فاتهم كانوا يعبدونها وهذا يرد قول من زعم أنه قال هذا حين خرج من السرب لما كان صغيرا كما ذكره ابن اسحق وغيره وهو مستند الى أخبار اسراييلية لا يوثق بها ولا سيما اذا خالفت الحق * وأما أهل بابل فكانوا يعبدون الاصنام وهم الذين ناظرهم فى عبادتها وكسرها عليهم وأهانها وبين بطلانها كما قال تعالى (وقال إنما اتخذتم من دون الله آوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا . ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا . وماواكم النار وما لكم من ناصرين) وقال فى سورة الانبياء (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين . قالوا أجبثنا بلحق أم أنت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بأهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أنت فعلت هذا بأهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاستلومهم إن كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤسهم . لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون . قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخيرين) وقال فى سورة الشعراء (واطل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد أصناما فنظا لها عاكفين . قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون . فاتهم عدولى الا رب العالمين . الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعننى ويسقن . واذا مرضت فهو يشفين . والذى يميتنى ثم يحيين . والذى أطعم أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين

رب هب لي حكما والحقني بالصالحين). وقال تعالى في سورة الصافات (وان من شيعته لأبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم. اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون. انفكا آلهة دون الله تريدون. فما ظنكم برب العالمين. فنظر نظرة في النجوم. فقال إني سقيم. فتولوا عنه مدبرين. فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تاكون مالكم لا تنطقون. فراغ عليهم ضربا باليمين فأقبلوا إليه يزفون. قال أتعبدون ما ننحتون. والله خلقكم وما تعملون. قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم. فرادوا به كيذا فجعلناهم الأسفلين) يخبر الله تعالى عن إبراهيم خليفه عليه السلام انه أنكر على قومه عبادة الأوثان وحرقها عندهم وصغرها وتنقصها فقال (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) أي معتكفون عندها وخاضعون لها قالوا (وجدنا آباءنا لها عابدين) ما كان حجتهم إلا صنيع الآباء والاجداد وما كانوا عليه من عبادة الانداد (قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) كما قال تعالى (اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون. انفكا آلهة دون الله تريدون. فما ظنكم برب العالمين) قال قتادة فما ظنكم به أنه فاعل بكم اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره وقال لهم (هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون. قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) سلوا له أنها لاتسمع داعيا ولا تنفع ولا تضر شيئا وانما الحامل لهم على عبادتها الاقتداء بأسلافهم ومن هو مثلهم في الضلال من الآباء الجهال ولهذا قال لهم (أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدوا لى الرب العالمين) وهذا برهان قاطع على بطلان آلهية ما ادعوه من الأصنام لأنه تبرأ منها وتنقص بها فلو كانت تضر لضرته أو تؤثر لأثرت فيه (قالوا أجنثنا بالحق أم أنت من اللاعبين) يقولون هذا الكلام الذى تقوله لنا وتنقص به آلهتنا وتطعن بسببه فى آباءنا تقوله محقا جادا فيه أم لاعبا (قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين) يعنى بل أقول لكم ذلك جادا محقا وإنما إلهكم الله الذى لا إله الا هو ربكم ورب كل شىء فاطر السموات والارض الخالق لها على غير مثال سبق فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له وأنا على ذلكم من الشاهدين. وقوله (وتالله لا أكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) أقسم ليكيدن هذه الأصنام التى يعبدونها بعد أن تولوا مدبرين الى عيدهم. قيل إنه قال هذا خفية فى نفسه وقال ابن مسعود سمعه بعضهم وكان لهم عيد يذهبون اليه فى كل عام مرة الى ظاهر البلد فدعاه أبوه ليحضره فقال إني سقيم كما قال تعالى (فنظر نظرة فى النجوم. فقال إني سقيم). عرض لهم فى الكلام حتى توصل الى مقصوده من إهانة أصنامهم ونصرة دين الله الحق فى بطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التى تستحق أن تكسر وأن تهان غاية الإهانة فلما خرجوا الى عيدهم واستقر هو فى بلدهم (راغ الى آلهتهم) أى ذهب اليها مسرعا مستخفيا فوجد هاهنا بهو عظيم وقد وضعوا بين أيديها أنواعا من الاطعمة قربانا اليها (فقال) لها على سبيل التهمم والازدراء (ألا تاكون مالكم لا تنطقون. فراغ عليهم ضربا باليمين) لأنها أقوى وأبطش وأسرع وأقهر فكسرها بقدمه فى يده كما قال

قلن (جهلهم جذاباً) أي حطام كسرها كلها (إلا كبيراً لهم لعلمهم إليه يرجعون) قيل إنه وضع القدوم في يد الكبير إشارة إلى أنه غار أن تعبد معه هذه الصغار . فلما رجوا من عيدهم ووجدوا ما حل بمعبودهم (قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين)

وهذا فيه دليل ظاهر لهم لو كانوا يعقلون وهو ما حل بآلهتهم التي كانوا يعبدونها فلو كانت آلهة لدفت عن أنفسها من أردتها بسوء لكنهم قالوا من جهلهم وقلة عقلهم وكثرة ضلالهم وخبالهم من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) أي يذكرها بالغيب والتنقص لها والازدراء بها فهو المقيم عليها والكاسر لها . وعلى قول ابن مسعود أي يذكرهم بقوله وتالله لا يكذب أنصامكم بعد أن تولوا مدبرين (قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلمهم يشهدون) أي في الملاء الأكبر على رؤس الأشهاد لعلمهم يشهدون مقاتله ويسمعون كلامه ويمانيون ما يحل به من الاقتصاص منه وكان هذا أكبر مقاصد الخليل عليه السلام أن يجتمع الناس كلهم فيقيم على جميع عباد الأصنام الحججة على بطلان مأم عليه كما قال موسى عليه السلام لفرعون (مؤعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى) فلما اجتمعوا وجاؤا به كما ذكرنا (قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا) قيل معناه هو الحامل لي على تكسيرها وإنما عرض لهم في القول (فاسئلوهم إن كانوا ينطقون) وإنما أراد بقوله هذا أن يادروا إلى القول بأن هذه لا تنطق فيعترفوا بأنها جماد كسائر الجمادات فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون) أي فادوا على أنفسهم باللامة فقالوا إنكم أنتم الظالمون أي في تركها لاحفاظ لها ولا حارس عندها (ثم نكسوا على رؤسهم) قال السدي أي ثم رجعوا إلى الفتنه فلي هذا يكون قوله إنكم أنتم الظالمون أي في عبادتها * وقال قتادة أدركت القوم حيرة سوء أي فاطرقوا ثم قالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) أي لقد علمت يا إبراهيم أن هذه لا تنطق فكيف تأمرنا بسؤالها فعند ذلك قال لهم الخليل عليه السلام (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) كما قال (فأقبلوا إليه يزفون) قال مجاهد يسرعون * قال (أفتعبدون ما تنتحون) أي كيف تعبدون أصناماً أنتم تنتحونها من الخشب والحجارة وتصورونها وتشكلونها كما تريدون (والله خلقكم وما تعملون) وسواء كانت ما مصدرية أو بمعنى الذي فمقتضى الكلام أنكم مخلوقون وهذه الأصنام مخلوقة فكيف يعبد مخلوق لمخلوق مثله فانه ليس عبادتكم لها بأولى من عبادتها لكم وهذا باطل فلا خير باطل للتحكم إذ ليست العبادة تصلح ولا يجب إلا للخالق وحده لا شريك له (قالوا ابنوا له بيانا فأتوه في الجحيم . فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين) . عدلوا عن الجدل والمناظرة لما اطمعوا وغلبوا ولم تبق لهم حجة ولا شبهة إلى استعمال قوتهم وسلطانهم لينصروا مأم عليه من سفهمهم وطغيانهم فكادهم الرب جل جلاله وأعلى كلمته ودينه وبرهانه كما قال

تعالى (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا يا بلر كوني برداً وسلاماً على إبراهيم وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخرين) . وذلك أنهم شرعوا يجمعون حطباً من جميع ما يمكنهم من الأماكن فكثر ما يجمعون له حتى أن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر لئن عوفيت لتحملن حطباً لحريق إبراهيم * ثم عمدوا إلى جوبة عظيمة فوضعوا فيها ذلك الحطب وأطلقوا فيه النار فاضطربت وتأججت والتهبت وعلاها شرر لم ير مثله قط * ثم وضعوا إبراهيم عليه السلام في كفة منجنيق صنعه لهم رجل من الأكراد يقال له هزن وكان أول من صنع المجانيق فحسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ثم أخذوا يقيدونه ويكتفونه وهو يقول لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك فلما وضع الخليل عليه السلام في كفة المنجنيق مقيداً مكتوفاً ثم ألقوه منه إلى النار قال حسبنا الله ونعم الوكيل كما روى البخاري عن ابن عباس أنه قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقى في النار وقالها محمد حين قيل له (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً . وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) الآية *

وقال أبو يعلى حدثنا أبو هشام الرفاعي حدثنا اسحق بن سليمان عن أبي جعفر الرازي عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال (س) ، لما ألقى إبراهيم في النار قال اللهم إنك في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك *

وذكر بعض السلف أن جبريل عرض له في الهواء فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا * ويروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير أنه قال جعل ملك المطر يقول متى أومر فأرسل المطر فكان أمر الله أسرع (قلنا يا بلر كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) قال علي بن أبي طالب أي لا تضربه وقال ابن عباس وأبو العالية لولا أن الله قال وسلاماً على إبراهيم لأذى إبراهيم بردها * وقال كعب الأحمري لم ينتفع أهل الأرض يوماً بنار ولم يحرق منه سوى وثائه * وقال الضحاك يروى أن جبريل عليه السلام كان معه يمسح العرق عن وجهه لم يصبه منها شيء غيره * وقال السدي كان معه أيضاً ملك الظل . وصار إبراهيم عليه السلام في ميل الجوبة حوله النار وهو في روضة خضراء والناس ينظرون إليه لا يقدر على الوصول إليه ولا هو يخرج إليهم فمن أبي هريرة أنه قال أحسن كلمة قالها أبو إبراهيم إذ قال لما رأى ولده على تلك الحال نعم الرب ربك يا إبراهيم * وروى ابن عساكر عن عكرمة أن أم إبراهيم نظرت إلى ابنها عليه السلام فنادته يا بني إني أريد أن أجيء إليك فادع الله أن ينجيني من حر النار حولك . فقال نعم فأقبلت إليه لا يمساها شيء من حر النار . فلما وصلت إليه اعتنقته وقبلته ثم عادت * وعن المنهال بن عمرو أنه قال أخبرني أن إبراهيم مكث هناك إما أربعين يوماً وأنه قال ما كنت أيلما وليالي أطيب عيشاً إذ كنت فيها ووددت أن عيشي وحياتي كلها مثل إذ كنت فيها صلوات الله وسلامه عليه

فأرادوا أن ينتصروا فخذلوا وأرادوا أن يرتفعوا فاتضعوا وأرادوا أن يغلّبوا فغلبوا . قال الله تعالى
(ر . وابه كيداً فجلناهم الأخرين) وفي الآية الأخرى (الأسفلين) ففازوا بالخسارة والسفال
هذا في الدنيا وأما في الآخرة فإن نلّهم لا تكون عليهم برداً ولا سلاماً ولا يلقون فيها نجمة ولا سلاماً
بل هي كما قال تعالى (إنها ساءت مستقراً ومقاماً) .

قال البخاري حدثنا عبد الله بن موسى أو ابن سلام عنه أنبأنا ابن جريج عن عبد الحميد بن جبير
عن سعيد بن المسيب عن أم شريك أن رسول الله (ص) أمر بقتل الوزغ وقال وكان ينفخ على
ابراهيم * ورواه مسلم من حديث ابن جريج * وأخرجاه والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة
كلاهما عن عبد الحميد بن جبير بن شيبة به * وقال احمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ابن جريج أخبرني عبد
الله بن عبد الرحمن بن أبي أمية أن نافعا مولى ابن عمر أخبره أن عائشة أخبرته أن رسول الله (ص)
قال اقلوا الوزغ فإنه كان ينفخ النار على ابراهيم . قال فكانت عائشة تقتلهم * وقال احمد حدثنا اسماعيل
حدثنا أيوب عن نافع أن امرأة دخلت على عائشة فاذا رمح منصوب فقالت ما هذا الرمح فقالت قتل
به الأوزاغ . ثم حدثت عن رسول الله (ص) أن ابراهيم لما ألقى في النار جمعت الدواب كلها تطفي
عنه إلا الوزغ فإنه جعل ينفخها عليه * تفرد به أحمد من هذين الوجهين *

وقال احمد حدثنا عفان حدثنا جرير حدثنا نافع حدثني سماعة مولاة الفاكه بن المغيرة قالت دخلت
على عائشة فرأيت في بيتها رمحا موضوعا فقلت يا أم المؤمنين ما تصنعين بهذا الرمح
قالت هذا لهذه الأوزاغ تقتلهم به فإن رسول الله (ص) حدثنا أن ابراهيم
حين ألقى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا تطفي عنه النار غير الوزغ
كان ينفخ عليه فأمرنا رسول الله (ص) بقتله * ورواه ابن ماجه عن أبي
بكر بن أبي شيبة عن يونس بن محمد عن جرير بن حازم به .

ذكرنا نظرة ابراهيم الخليل مع من رآه

الربوبية وهو أحد العبيد الضعفاء

قال الله تعالى (ألم تر إلى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال ابراهيم ربي الذي
يحى ويميت قال أنا أحيى وأميت . قال ابراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب
فبنت الذي كفر . والله لا يهدي القوم الظالمين) . يذكر تعالى مناظرة خليله مع هذا الملك الجبار المتمرد

الذي ادعى لنفسه الربوبية فأبطل الخليل عليه السلام دليبه وبين كثرة جهله وقلة عقله وألججه الحجة وأوضح له طريق المحجة *

قال المفسرون وغيرهم من علماء النسب والأخبار وهذا الملك هو ملك بابل واسمه النمرود ابن كنعان بن كوش بن سام بن نوح قاله مجاهد . وقال غيره نمرود بن فالخ بن عابر بن صالح بن أرفخشذ ابن سام بن نوح قال مجاهد وغيره وكان أحد ملوك الدنيا فاته قد ملك الدنيا فيما ذكروا أربعة مؤمنان وكافران . فالؤمنان ذو القرنين وسليمان . والكافران النمرود وبختنصر وذكروا أن نمرود هذا استمر في ملكه أربعائة سنة وكان قد طفا وبغا وتجبج وعتا وآثر الحياة الدنيا * ولما دعاه إبراهيم الخليل إلى عبادة الله وحدد لأشريكه حمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الصانع فحاج إبراهيم الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية . فلما قال الخليل ربى الذي يحيى ويميت قال أنا حي وأميت *

قال قتادة والسدى ومحمد بن اسحق يعني أنه إذا أتى بالرجلين قد تحتم قتلها فإذا أمر بقتل أحدها وعفا عن الآخر فكأنه قد أحيى هذا وأمات الآخر . وهذا ليس بمعارضة للخليل بل هو كلام خارجي عن مقام المناظرة ليس بمنع ولا بمعارضة بل هو تشييب محض وهو انقطاع في الحقيقة فإن الخليل استدل على وجود الصانع بحدوث هذه المشاهدات من إحياء الحيوانات وموتها على وجود فاعل ذلك الذي لا بد من استنادها إلى وجوده ضرورة عدم قيامها بنفسها ولا بد من فاعل لهذه الحوادث المشاهدة من خلقها وتسخيرها وتسيير هذه الكواكب والرياح والسحاب والمطر وخلق هذه الحيوانات التي توجد مشاهدة ثم إمامتها ولهذا (قال إبراهيم ربى الذي يحيى ويميت) فقول هذا الملك الجاهل أنا حي وأميت إن عني أنه الفاعل لهذه المشاهدات فقد كابر وعاند وإن عني ما ذكره قتادة والسدى ومحمد بن اسحق فلم يقل شيئاً يتعلق بكلام الخليل إذ لم يمنع مقدمة ولا عارض الدليل *

ولما كان انقطاع مناظرة هذا الملك قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره وغيرهم ذكر دليلاً آخر بين وجود الصانع وبطلان ما ادعاه النمرود وانقطاعه جبهة (قال فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) أي هذه الشمس مسخرة كل يوم تطلع من المشرق كما سخرها خالقها ومسيرها وقاهرها . وهو الله الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء * فان كنت كما زعمت من أنك الذي يحيى ويميت فأت بهذه الشمس من المغرب فان الذي يحيى ويميت هو الذي يفعل ما يشاء ولا يمانع ولا يتألب بل قد قهر كل شيء ودان له كل شيء فان كنت كما تزعم فافعل هذا فان لم تفعله فلست كما زعمت وأنت تعلم وكل أحد أنك لا تقدر على شيء من هذا بل أنت أعجز وأقل من أن تخلق بموضة أو تنصر منها فبين ضلاله وجهله وكذبه فيما ادعاه وبطلان ماسلكه وتبجح به عند جهالة قومه ولم يبق له كلام يجيب الخليل

به بل اسكت ولهذا قال (فهت، الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين) *

وقد ذكر السدي أن هذه المناظرة كانت بين ابراهيم وبين النمرود يوم خرج من النار ولم يكن
إجتمع به يومئذ فكانت بينهما هذه المناظرة * وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم
أن النمرود كان عنده طعام وكان الناس يفدون اليه للميرة فوفد ابراهيم في جملة من وفد للميرة فكان
بينهما هذه المناظرة ولم يعط ابراهيم من الطعام كما أعطى الناس بل خرج وليس معه شيء من الطعام *
فلما قرب من أهله عمد الى كتيب من التراب فملأ منه عدليه وقال أشغل أهلي إذا قدمت عليهم فلما
قدم وضع رحاله وجاء فاتكأ فنام فقامت امرأته سارة الى العدلين فوجدتهما ملاً نين طعاماً طيباً فعملت
منه طعاماً * فلما أستيقظ ابراهيم وجد الذي قد أصلحوه فقال أتى لكم هذا قالت من الذي جئت به
فعرف أنه رزق رزقهموه الله عز وجل * قال زيد بن أسلم وبعث الله الى ذلك الملك الجبار ملكاً يأمره
بالإيمان بالله فأبى عليه . ثم دعاه الثانية فأبى عليه . ثم الثالثة فأبى عليه . وقال اجمع جموعك
وأجمع جموعى فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس فأرسل الله عليه ذباباً من
البعوض بحيث لم يروا عين الشمس وسلطها الله عليهم فأكلت لحومهم ودمائهم
وتركتهم عظاماً بادية ودخلت واحدة منها في منخر الملك فمكثت في
منخرها أربعين سنة عذبه الله تعالى بها فكان يضرب رأسه
بالمزارب في هذه المدة كلها حتى أهلكه الله عز وجل بها

سحرة الخليل الذي بدو الاسم الرباير المصرية

واستقره في الأرض المقدسة

قال الله (فأمن له لوط وقال إني مهاجر الى ربي إنه هو العزيز الحكيم . ووهبنا له اسحق ويعقوب
وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب . وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين) وقال تعالى
(ونجيناه لوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين . ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا
صالحين . وجعلناهم أممته يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا
عابدين) لما هجر قومه في الله وهاجر من بين أظهرهم وكانت امرأته عاقراً لا يولد لها ولم يكن له من الولد
أحد بل معه ابن أخيه لوط بن هاران بن آزر وهبه الله تعالى بعد ذلك الأولاد الصالحين وجعل في ذريته
النبوة والكتاب فكل نبي بعث بعده فهو من ذريته وكل كتاب نزل من السماء على نبي من الأنبياء من
بعده فعلى أحد نسله وعقبه خلعة من الله وكرامة له حين ترك بلاده وأهله وأقرباءه وهاجر الى بلد يتمكن

فيها من عبادة ربه عز وجل ودعوة الخلق اليه والارض التي قصدها بالهجرة ارض الشام وهي التي قال الله عز وجل (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) قاله ابي بن كعب و ابو العالية وقتادة وغيرهم * وروى العوفي عن ابن عباس قوله (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) مكة ألم تسمع الى قوله (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين) .

وزعم كعب الاحبار أنها حران * وقد قدمنا عن قتل أهل الكتاب أنه خرج من ارض بابل هو وابن أخيه لوط وأخوه ناحور وامرأة ابراهيم سارة وامرأة أخيه ملكا فزلوا حران فمات تلح أبو ابراهيم بها وقال السدي انطلق ابراهيم ولوط قبل الشام فلقى ابراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وقد طعنت على قومها في دينهم فزوجها على أن لا يغيرها رواه ابن جرير وهو غريب * والمشهور أنها ابنت عمه هاران المعنى تنسب اليه حران ومن زعم أنها ابنة أخيه هاران أخت لوط كما حكاه السهيلي عن القتيبي والنقاش قد أبد النجمة وقال بلا علم وادعى ان تزويج بنت الأخ كان اذ ذاك مشروعا فليس له على ذلك دليل . ولو فرض ان هذا كان مشروعا في وقت كما هو منقول عن الربانيين من اليهود فان الانبياء لا تتعاطاه والله أعلم * ثم المشهور ان ابراهيم عليه السلام لما هاجر من بابل خرج بسارة مهاجراً من بلاده كما تقدم والله أعلم . وذ كر أهل الكتاب أنه لما قدم الشام أوحى الله اليه إني جاعل هذه الأرض خلفك من بعدك فابتنى ابراهيم مذبحاً لله شكراً على هذه النعمة وضرب قبته شرقي بيت المقدس ثم انطلق مرتحلاً الى التيمن وأنه كان جوع أي قحط وشدة وغلاء فارتحلوا الى مصر وذكروا قصة سارة مع ملكها وان ابراهيم قال لها قولي أنا أخته وذكروا خدام الملك اياها هاجر . ثم أخرجهم منها فرجعوا الى بلاد التيمن يعني ارض بيت المقدس وما والاها ومعه دواب وعبيد وأموال *

وقد قال البخاري حدثنا محمد بن محبوب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتان منهن في ذات الله قوله (إني سقيم) وقوله (بل فسله كبيرهم هذا) وقال يينا هو ذات يوم وسارة اذا أتى على جبار من الجبابرة فقيل له ههنا رجل معه امرأة من أحسن الناس فأرسل اليه وسأله عنها فقال من هذه قال أختي فأتى سارة فقال يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني فأرسل اليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ فقال ادعى الله لي ولا أضرك فدعت الله فأطلق ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال ادعى الله لي ولا أضرك فدعا بعض حجبه فقال إنك لم تأتني بانسان وانما أتيتني بشيطان فأخدمها هاجر فأتته وهو قائم يصلي فأوماً بيده مهم فقالت رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر * قال أبو هريرة فمك أمكم يابني ماء السماء . تفرد به من هذا الوجه موقوفاً وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار عن عمرو بن علي الفلاس عن عبد الوهاب الثقفي عن هشام بن حسان عن محمد

ابن سيرين عن أبي هريرة عن النبي (ص)، قال إن إبراهيم لم يكذب قط الا ثلاث كذبات كل ذلك في ذات الله قوله (إني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرم هذا) وبينما هو يسير في أرض جبار من الجبارة اذ نزل منزلاً فأتى الجبار قبيل له إنه قد نزل ههنا رجل معه امرأة من أحسن الناس . فأرسل اليه فسأله عنها فقال إنها أختي فلما رجع اليها قال ان هذا سألني عنك فقلت إنك أختي وإنه ليس اليوم مسلم غيري وغيرك وانك أختي فلا تكذبيني عنده فأطلق بها فلما ذهب يتناولها أخذ فقال ادعى الله لي ولا أضرك فدعت له فأرسل فذهب يتناولها فأخذ مثلها أو أشد منها . فقال ادعى الله لي ولا أضرك فدعت فأرسل ثلاث مرات فدعا أدنى حشمه فقال إنك لم تأتني بانسان ولكن أتيتني بشيطان أخرجها وأعطها هاجر فجاءت إبراهيم قائم يصلي فلما أحس بها انصرف فقال مهم فقالت كفى الله كيد الظالم وأخذني هاجر وأخرجاه من حديث هشام * ثم قال البزار لا نعلم أسنده عن محمد عن أبي هريرة الا هشام ورواه غيره موقوفا * وقال الامام احمد حدثنا علي بن حفص عن ورقاء هو ابن عمر اليشكري عن ابي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، لم يكذب إبراهيم الا ثلاث كذبات قوله حين دعى الى آلهتهم فقال (إني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرم هذا) وقوله لسارة (إنها أختي) قال ودخل إبراهيم قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبارة قبيل دخل إبراهيم الليلة بامرأة من أحسن الناس قال فأرسل اليه الملك أو الجبار من هذه معك قال أختي قال فأرسل بها قال فأرسل بها اليه وقال لا تكذبي قولي فإني قد أخبرته أنك أختي إن على الأرض مؤمن غيري وغيرك فلما دخلت عليه قام اليها فاقبالت توضاً وتصلى وتقول اللهم ان كنت تعلم اني آمن بك وبرسولك وأحصنت فرجى الا على زوجى فلا تسلط على الكافر قال ففقط حتى ركض برجله * قال أبو الزناد قال أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة إنها قالت اللهم ان يمت يقال هي قتلتك قال فأرسل قال ثم قام اليها قال فقامت توضاً وتصلى وتقول (اللهم ان كنت تعلم اني آمن بك وبرسولك وأحصنت فرجى إلا على زوجى فلا تسلط على الكافر) قال ففقط حتى ركض برجله قال أبو الزناد وقال أبو سلمة عن أبي هريرة انها قالت اللهم ان يمت يقل هي قتلتك قال فأرسل قال فقال في الثالثة أو الرابعة ما أرسلتم الى الا شيطاناً ارجعوها الى إبراهيم وأعطوها هاجر قال فرجعت فقالت لابراهيم أشعرت ان الله رد كيد الكافرين وأخدم وليدة * تفرد به احمد من هذا الوجه وهو على شرط لصحيح * وقد رواه البخاري عن أبي اليان عن شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي (ص)، به مختصراً * وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا سفيان عن علي بن زيد ابن جلعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال قال رسول الله (ص)، في كيات إبراهيم الثلاث التي قال ما منها كلمة الا ما حل بها عن دين الله فقال إني سقيم وقال بل فعله كبيرم هذا وقال للملك حين اراد امرأته هي أختي فقوله في الحديث هي أختي أي في دين الله وقوله لها إنه ليس على وجه الأرض مؤمن

غيرى وغيرك يعنى روجين مؤمنين غيرى وغيرك ويتعين حملة على هذا لان لوطا كان معهم وهو نبي عليه السلام وقوله لهالما رجعت اليه مهم معناه ما الخبر فقالت ان الله رد كيد الكافرين. وفي رواية الفاجر وهو الملك وأخدم جارية وكان ابراهيم عليه السلام من وقت ذهب بها الى الملك قام يصلى لله عز وجل ويسأله أن يدفع عن أهله وأن يرد بأس هذا الذى اراد أهله بسوء وهكذا فعلت هي ايضا فلما اراد عدو الله ان ينال منها أمراً قامت الى وضوئها وصلاتها ودعت الله عز وجل بما تقدم من الدعاء العظيم ولهذا قال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلوة) فعصمها الله وصانها لعصمة عبده ورسوله وحيبه وخيله ابراهيم عليه السلام

وقد ذهب بعض العلماء الى نبوة ثلاث نسوة سارة وأم موسى ومريم عليهن السلام * والذى عليه الجمهور أنهم صديقات رضى الله عنهن وارضاهن * ورأيت فى بعض الآثار أن الله عز وجل كشف الحجاب فيما بين ابراهيم عليه السلام وبينها فلم يزل يراها منذ خرجت من عنده الى أن رجعت اليه وكان مشاهدا لها وهي عند الملك وكيف عصمها الله منه ليكون ذلك أطيب لقلبه وأقر لعينه وأشد لطأ نيتته فانه كان يحبها حباً شديداً لدينها وقرابتها منه وحسنها الباهر فانه قد قيل إنه لم تكن امرأة بعد حواء الى زمانها أحسن منها رضى الله عنها * والله الحمد والمنة *

وذكر بعض أهل التواريخ أن فرعون مصر هذا كان أخا للضحك الملك المشهور بالظلم وكان عاملاً لآخيه على مصر * ويقال كان اسمه سنان بن علوان بن عبيد بن عويج بن عملاق بن لاود بن سام ابن نوح . وذكر ابن هشام فى التيجان أن الذى أرادها عمرو بن امرئ القيس بن مايلون (١) بن سبأ وكان على مصر نقله السهيلي فالله أعلم *

ثم إن الخليل عليه السلام رجع من بلاد مصر الى أرض التيمن وهي الأرض المقدسة التي كان فيها ومعه أنعام وعبيد ومال جزيل وصحبتهم هاجر القبطية المصرية ثم إن لوطا عليه السلام نزع بماله من الاموال الجزيلة بأمر الخليل له فى ذلك الى أرض النور المعروف بنور زغر فنزل بمدينة سدوم وهي أم تلك البلاد فى ذلك الزمان وكان أهلها أشراً كفاراً فجاء وأوحى الله تعالى الى ابراهيم الخليل فأمره أن يمد بصره وينظر شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً وبشره بان هذه الأرض كلها سأجعلها لك وخلفك الى آخر الدهر وسأكثر ذريتك حتى يصيروا بعدد تراب الأرض * وهذه البشارة اتصلت بهذه الأمة بل ما كملت ولا كانت أعظم منها فى هذه الأمة المحمدية * يؤيد ذلك قول رسول الله (ص)، ان الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمى ما زوى لى منها . قالوا ثم أن طائفة من الجبارين تسلطوا على لوط عليه السلام فأسروه وأخذوا أمواله واستاقوا انعامه فلما بلغ

(١) قوله مايلون كذا فى النسختين المصريتين والذى فى النسخة الحلبية مايلون

أمواله وقتل من أعداء الله ورسوله خلقا كثيرا وهزمهم وساق في آثارهم حتى وصل الى شرقى دمشق وعسكر بظاهرها عند برزة وأظن مقام ابراهيم انما سمي لأنه كان موقف جيش الخليل والله أعلم .
ثم رجع مؤبداً منصوراً الى بلاده وتلقاه ملوك بلاد بيت المقدس معظمين له مكرمين خاضعين واستقر ببلاده صلوات الله وسلامه عليه *

ذكر مولد اسماعيل عليه السلام من هاجر

قال أهل الكتاب إن ابراهيم عليه السلام سأل الله ذرية طيبة وأن الله بشره بذلك وأنه لما كان لابراهيم ببلاد بيت المقدس عشرون سنة قالت سارة لابراهيم عليه السلام إن الرب قد أحرمنى الولد فادخل على أمتى هذه لعل الله يرزقنى منها ولداً فلما وهبته له دخل بها ابراهيم عليه السلام فحين دخل بها حملت منه قالوا فلما حملت ارتفعت نفسها وتعاظمت على سيدتها ففارت منها سارة فشكت ذلك الى ابراهيم فقال لها افعلى بها ماشئت فخافت هاجر فهربت فنزلت عند عين هناك فقال لها ملك من الملائكة لا تخافى فان الله جاعل من هذا الغلام الذى حملت خيراً وأمرها بالرجوع وبشرها أنها ستلد ابناً وتسميه اسماعيل ويكون وحش الناس يده على الكل ويد الكل به ويملك جميع بلاد إخوته فشكرت الله عزوجل على ذلك . وهذه البشارة إنما انطبقت على ولده محمد صلوات الله وسلامه عليه فانه الذى سادت به العرب وملك جميع البلاد غرباً وشرقاً وأنها الله من العلم النافع والعمل الصالح ما لم تؤت أمة من الأمم قبلهم وما ذاك إلا بشرف رسولها على سائر الرسل وبركة رسالته وبمن بشارته وكاله فيما جاء به وعموم بعثته لجميع أهل الأرض . ولما رجعت هاجر وضعت اسماعيل عليه السلام قالوا وولده ولا ابراهيم من العمر ست وثمانون سنة قبل مولد اسحق بثلاث عشرة سنة* ولما ولد اسماعيل أوحى الله الى ابراهيم يبشره باسحق من سارة فخر الله ساجداً وقال له قد استجبت لك فى اسماعيل وباركت عليه وكثرته ونميته جداً كثيراً ويولد له اثنا عشر عظيماً* وأجعله رئيساً لشعب عظيم وهذه ايضا بشارة بهذه الأمة العظيمة وهؤلاء الاثنا عشر عظيماً هم الخلفاء الراشدون الاثنا عشر المبشر بهم فى حديث عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة عن النبي (ص) قال (يكون اثنا عشر أميراً) ثم قال كلمة لم افهمها فسألت أبى ما قال قال (كلهم من قريش) أخرجاه فى الصحيحين . وفى رواية لا يزال هذا الأمر قائماً فى رواية عزيزاً حتى يكون اثنا عشر خليفة كلهم من قريش . فهؤلاء منهم الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي . ومنهم عمر بن عبد العزيز ايضا . ومنهم بعض بنى العباس وليس المراد أنهم يكونون اثني عشر نسقاً بل لا بد من وجودهم وليس المراد الأئمة الاثني عشر الذين يعتقد فيهم الرافضة الذين أولهم على بن أبى طالب وآخرهم المنتظر بسرداب سامرا وهو محمد ابن الحسن العسكري فيما يزعمون فان أولئك لم يكن فيهم أنفع من

على وإبنة الحسن بن علي حين ترك القتال وسلم الأمر لمعاوية وأخذ نار الفتنة وسكن رحي الحروب بين المسلمين والباقون من جملة الرعايا لم يكن لهم حكم على الأمة في أمر من الأمور * وأما ما اعتقدونه بسر داب سامرا فذاك هوس في الرؤس وهذيان في النفوس لا حقيقة له ولا عين ولا أثر *
 والمقصود أن هاجر عليها السلام لما ولد لها اسماعيل اشتدت غيرة سارة منها وطلبت من انخس أن يغيب وجهها عنها فذهب بها وبولدها فصار بهما حتى وضعهما حيث مكة اليوم ويقال إن ولدها كان إذ ذاك رضيعا فلما تركهما هناك وولى ظهره عنهما قامت إليه هاجر وتعلقت بثيابه وقالت يا ابراهيم أين تذهب وتدعنا ههنا وليس معنا ما يكفيننا فلم يجبهها فلما ألحت عليه وهو لا يجيبها قالت له الله أمرك بهذا قال نعم قالت فإذا لا يضيعنا * وقد ذكر الشيخ أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله في كتاب النوادر أن سارة تفضت على هاجر فحلفت لتقطن ثلاثة أعضاء منها فأمرها الخليل أن تنقب أذنيها وأن تخفضها فقب قسمها * قال السهيلي فكانت أول من اختن من النساء وأول من ثقت أذنها منهن وأول من طولت ذيلها *

فكبرها عمرة لملكهم بآبنة اسماعيل وأنته هاجر إلى جبل فالدن وهي الركن مكة وبناء البيت العتيق

قال البخاري قال عبد الله بن محمد هو أبو بكر بن أبي ثيبة حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب السخيتاني وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة يزيد أحدهما على الآخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسماعيل اتخذت منطلقا لتعني أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعها هناك ووضع عندها جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فبعته أم اسماعيل فقالت يا ابراهيم أين تذهب وتركنها بهذا الوادي الذي ليس به انس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها فقالت له الله أمرك بهذا قال نعم قالت إذا لا يضيعنا . ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند

يتك المحرم . ربنا ليقموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ مافي السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يلتوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف ذراعها ثم سمعت سعى الانسان المجهود حتى إذا جاوزت الوادي ثم أنت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات * قال ابن عباس قال النبي (ص) ، فلذلك سعى الناس بينهما . فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت صه تريد نفسها . ثم سمعت فسمعت أيضاً فقالت قد أسمعت إن كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تخوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تعرف من الماء في سقاها وهي تفور بعد ما تعرف * قال ابن عباس قال النبي (ص) ، (يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم) أو قال (لو لم تعرف من الماء لكنت زمزم عينا معينا) فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخاف الضيعة فان ههنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالراية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرم أو أهل بيت من جرم مقبلين من طريق كذا فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عاثفاً فقالوا ان هذا الطائر ليدور على الماء لهدانا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا جرياً أو جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم بالماء فاقبلوا قال وأم اسماعيل عند الماء فقالوا تأذنين لنا ان نزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم في الماء قالوا نعم * قال عبد الله بن عباس قال النبي (ص) ، فالتقى ذلك أم اسماعيل وهي تحب الانس فنزلوا وأرسلوا الى أهلهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها أهل أبيت منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجته امرأة منهم وماتت أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته فلم يجد اسماعيل فسأل امرأته فقالت خرج يتغنى لنا . ثم سألتها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر في ضيق وشدة وشكت اليه * قال فاذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فدا جاء اسماعيل كأنه آنس شيئاً فقال هل جاءكم من أحد فقالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة . قال فهل أوصاك بشي قالت نعم أمرني ان اقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك قال ذاك أبي وأمرني ان أفارقك فالحق بأهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى ولبث عندهم ابراهيم ما شاء الله * ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يتغنى لنا قال كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة وأنت على الله قال ما طعامكم قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الماء . قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء .

قال النبي (ص) ولم يكن لهم يومئذ حب . ولو كان لهم حب لدعا لهم فيه فها لا يخلو عليهما أحد (١)
 بين مكة الالم يوافقاه قال فاذا جاء زوجك فاقترني عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل
 قال هل أنا كم من أحد قالت نعم أنا شيخ حسن الهيئة وأنت عليه فسألني عنك فاخبرته فسألني كيف
 عيشنا فاخبرته أنا بخير قال فأوصاك بشي قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك
 قال ذاك أبي وأمرني أن أمسكك * ثم لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبري نبلا له تحت
 دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الولد بالوالد والوالد بالولد * ثم قال يا اسمعيل إن
 الله أمرني بأمر قال فاصنع ما أمرك به ربك قال وتعينني قال وأعينك قال فان الله أمرني ان أبني ههنا
 بيتا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها قال فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت فجعل اسمعيل يأتي بالحجارة
 وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسمعيل يناوله الحجارة
 وهما يقولان (ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم) قال وجعلا بينيان حتى يدورا حول البيت وهما
 يقولان (ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم) ثم قال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو عامر عبد الملك
 ابن عمرو حدثنا ابراهيم بن نافع عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما كان من
 ابراهيم وأهله ما كان خرج باسمعيل وأم اسمعيل ومعهم شنة فيها ماء * وذكر تمامه بنحو ما تقدم وهذا
 الحديث من كلام ابن عباس وموشح برفع بعضه وفي بعضه غرابة وكأنه مما تلقاه ابن عباس عن
 الاسرائيليات * وفيه أن اسمعيل كان رضيعا اذ ذاك * وعند أهل التوراه أن ابراهيم أمره الله بان يختن
 ولده اسمعيل وكل من عنده من العبيد وغيرهم فختنهم وذلك بعد مضي تسع وتسعين سنة من عمره فيكون
 عمر اسمعيل يومئذ ثلاث عشرة سنة وهذا امثال لامر الله عز وجل في أهله فيدل على أنه فعله على وجه
 الوجوب ولهذا كان الصحيح من أقوال العلماء انه واجب على الرجال كما هو مقرر في موضعه

وقد ثبت في الحديث الذي رواه البخاري حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن
 القرشي عن أبي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة قال قال النبي (ص) اختن ابراهيم النبي عليه السلام
 وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم * تابعه عبد الرحمن بن اسحق عن أبي الزناد تابعه مجلان عن أبي هريرة
 ورواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة * وهكذا رواه مسلم عن قتيبة به * وفي بعض الالفاظ
 اختن ابراهيم بعد ما أتت عليه ثمانون سنة واختن بالقدوم والقدم مع الآلة وقيل موضع وهذا

(١) قوله فهما لا يخلو عليهما أحد الى قوله الالم يوافقاه كذا بالأصول الشامية والمصرية وهو سقيم
 وفي مثل هذا الموضع من العرائس للثعلبي فلو جاءت يومئذ بنخز أو بر أو شعير أو تمر لكانت مكة
 أكثر أرض الله برا وشعيرا وتمر انتهى عن (محمود الامام)

اللفظ لا ينافي الزيادة على الثمانين . والله أعلم لما سيأتي من الحديث عند ذكر وفاته عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) ، أنه قال اختن إبراهيم وهو ابن مائة وعشرين سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة رواه ابن حبان في صحيحه . وليس في هذا السياق ذكر قصة الذبيح وأنه اسمعيل ولم يذكر في قدمات إبراهيم عليه السلام الا ثلاث مرات أولاهن بعد أن تزوج اسمعيل بعد موت هاجر وكيف تركهم من حين صغر الولد على ما ذكر الى حين تزويجه لا ينظر في حالهم . وقد ذكر أن الارض كانت تطوى له وقيل إنه كان يركب البراق اذا سار اليهم فكيف يتخلف عن مطالعة حالهم وهم في غاية الضرورة الشديدة والحاجة الأكيدة * وكان بعض هذا السياق متلقى من الاسرائيليات ومطرز بشئ من المرفوعات ولم يذكر فيه قصة الذبيح وقد دللنا على أن الذبيح هو اسمعيل على الصحيح في سورة الصافات

قصة النزوح

قال الله تعالى (وقال إني ذاهب الى ربي سيهدين . رب هب لي من الصالحين . فبشرناه بنحلام حلیم فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه ان يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين . ان هذا هو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه في الاخرين . سلام على إبراهيم . كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين . وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) . يذكر تعالى عن خليله إبراهيم أنه لما هاجر من بلاد قومه سأل ربه ان يهب له ولداً صالحاً فبشره الله تعالى بنحلام حلیم وهو اسمعيل عليه السلام لانه أول من ولد له على رأس ست وثمانين سنة من عمر الخليل . وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل الملل لأنه أول ولده وبكره وقوله (فلما بلغ معه السعي) أي شب و صار يسعى في مصالحه كأييه قال مجاهد (فلما بلغ معه السعي) أي شب وارتحل وأطلق ما يفعله أبوه من السعي والعمل . فلما كان هذا رأى إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يؤمر بذبح ولده * هذا . وفي الحديث عن ابن عباس مرفوعاً رؤيا الانبياء وحى * قاله عبيد ابن عمير أيضاً وهذا اختبار من الله عز وجل لخليله في أن يذبح هذا الولد العزيز الذي جاءه على كبر وقد طعن في السن بعد ما أمر بان يسكنه هو وأمه في بلاد قفر وواد ليس به حسيس ولا أنيس ولا زرع ولا ضرع فامتثل أمر الله في ذلك وتركها هناك ثقة بالله وتوكل عليه فجعل الله لهما فرجا ومخرجا ورزقها من حيث لا يحتسبان . ثم لما أمر بعد هذا كله بذبح ولده هذا الذي قد أفردته عن امر ربه وهو بكره ووحيدته الذي ليس له غيره أجاب ربه وامتثل أمره وسارع الى طاعته ثم عرض ذلك على ولده ليكون أطيب لقلبه وأهون عليه من أن يأخذه قسراً ويذبحه قهراً (قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر

ماذا ترى) فبادر الغلام الحلیم سر والده الخلیل ابراهیم فقال یاأبت افعل ما تؤمر ستجدنی ان شاء الله من الصابرين * وهذا الجواب فی غاية السداد والطاعة للوالد ولرب العباد قال الله تعالى (فلما أسدأ وتله للجبین) قیل أسدأ أى استسلما لأمر الله وعزما على ذلك . وقیل هذا من المقدم والمؤخر والمعنی تله للجبین أى ألقاه على وجهه . قیل أراد أن یذبجه من قفاه لثلاثا یشاهده فی حال ذبجه قاله ابن عباس ومجاهد وسعید بن جبیر وقتادة والضحاك . وقیل بل أضجمه كما تضجع الذبائح وبقى طرف جبینه لاصقا بالأرض واسدأ أى سمى ابراهیم وكبر وتشهد الولد للموت * قال السدی وغيره أمر السکین على حلقه فلم تقطع شیئا ويقال جعل ینها وین حلقه صفيحة من نحاس والله أعلم . فعند ذلك نودی من الله عز وجل (أن یا ابراهیم قد صدقت الرؤیا) أى قد حصل المقصود من اختبارك وطاعتك ومبادرتك الى أمر ربك وبذلك ولدك للقربان كما سمحت یدنك للنيران وكما مالك مبذول للضیغان ولهذا قال تعالى (إن هذا هو البلاء المبين) أى الاختبار الظاهر البین وقوله (وفديناه بذبح عظیم) أى وجعلنا فداء ذبح ولده مايسره الله تعالى له من العوض عنه والمشهور عن الجمهور أنه كبش أبيض أعین أقرن رآه مربوطا بسرة فی ثبير . قال الثورى عن عبدالله بن عثمان بن خثیم عن سعید بن جبیر عن ابن عباس قال كبش قد رعى فی الجنة أربعين خريفا (١) وقال سعید بن جبیر كان يرتع فی الجنة حتى تشقق عنه ثبير وكان عليه عن أحمر . وعن ابن عباس هبط عليه من ثبير كبش أعین أقرن له ثغاء فذبجه وهو الكبش الذى قر به ابن آدم فتقبل منه . رواه ابن أبى حاتم *

قال مجاهد فذبجه بمنى وقال عبید بن عمير ذبجه بالمقام . فأما ما روى عن ابن عباس أنه كان وعلا وعن الحسن أنه كان تيسا من الأروى . واسمه جرير فلا يكاد يصح عنهما * ثم غالب ما هبنا من الآثام مأخوذ من الاسرائيليات * وفى القرآن كفاية عما جرى من الأمر العظيم والاختبار الباهر وأنه فدى بذبح عظيم وقد ورد فى الحديث أنه كان كبشا * قال الامام أحمد حدثنا سفيان حدثنا منصور عن خاله نافع عن صفية بنت شيبة قالت أخبرتنى امرأة من بنى سليم ولدت عامة أهل دارنا قالت أرسل رسول الله (ص) الى عثمان بن طلحة وقال مرة إنها سألت عثمان لم دعاك رسول الله (ص) قال إني كنت رأيت قرنى الكبش حين دخلت البيت فنسيت أن أمرك أن تخمرها فخمرها فانه لا يذبح أن يكون فى البيت شئ يشغل المصلى قال سفيان لم تزل قرنا الكبش فى البيت حتى احترق البيت فاحترقا . وهذا روى عن ابن عباس أن رأس الكبش لم يزل معلقا عند ميزاب الكعبة قد ييس . وهذا وحده دليل على أن الذبيح اسمعيل لأنه كان هو المقيم بمكة . واسحق لا نعلم أنه قدمها فى حال صغره والله أعلم . وهذا هو الظاهر من القرآن بل كأنه نص على أن الذبيح هو اسمعيل لانه ذكر قصة الذبيح ثم قال

(١) وفى نسخة سبعين خريفا *

بعده (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) ومن جعله حالا فقد تكلف ومستنده أنه اسحق إنما هو اسراييليات وكتابتهم فيه تحريف ولا سيما همنا قطعا لا محيد عنه فان عندهم أن الله أمر ابراهيم أن يذبح ابنه وحيد وفي نسخة من العربية بكره اسحق فلنظة اسحق همنا مقحمة مكذوبة مفتراة لانه ليس هو الوحيد ولا البكر . ذاك اسمعيل . وانما حملهم على هذا حسد العرب فان اسمعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز الذين منهم رسول الله (ص) واسحق والد يعقوب وهو اسراييل الذين ينتسبون اليه فارادوا أن يجرؤوا هذا الشرف اليهم فحرفوا كلام الله وزادوا فيه وهم قوم بهت ولم يقرأوا بان الفضل بيد الله يؤتية من يشاء . وقد قال بانه اسحق طائفة كثيرة من السلف وغيرهم . وانما أخذوه والله أعلم من كعب الاحبار أو صحف أهل الكتاب وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز ولا يفهم هذا من القرآن بل المفهوم بل المنطوق بل النص عند التأمل على أنه اسمعيل . وما أحسن ما استدلل محمد بن كعب القرظي على أنه اسمعيل وليس باسحق من قوله فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحق يعقوب قال فكيف تقع البشارة باسحق وأنه سيولد له يعقوب ثم يؤمر بذبح اسحق وهو صغير قبل أن يولد له هذا لا يكون لانه يناقض البشارة المتقدمة والله أعلم *

وقد اعترض السهيلي على هذا الاستدلال بما حاصله أن قوله (فبشرناها باسحاق) جملة تامة وقوله (ومن وراء إسحاق يعقوب) جملة أخرى ليست في حيز البشارة . قال لانه لا يجوز من حيث العربية أن يكون مخفوضا إلا أن يعاد معه حرف الجر فلا يجوز أن يقال مررت بزيد ومن بعده عمرو حتى يقال ومن بعده بامر . وقال ققوله (ومن وراء إسحاق يعقوب) منصوب بفعل مضمر تقديره (ووهبنا لاسحق يعقوب) وفي هذا الذي قاله نظر . ورجح أنه اسحاق واحتج بقوله (فلما بلغ معه السعي) قال واسماعيل لم يكن عنده انما كان في حال صغره هو وأمه بجبال مكة فكيف يبلغ معه السعي * وهذا أيضا فيه نظر لانه قد روى أن الخليل كان يذهب في كثير من الأوقات راكبا البراق الى مكة يطلع على ولده وابنه ثم يرجع والله أعلم * فمن حكى القول عنه بأنه اسحق كعب الاحبار * وروى عن عمر والعباس وعلى وابن مسعود ومسروق وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء والشعبى ومقاتل وعبيد بن عمر وأبي ميسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن شقيق والزهرى والقاسم وابن أبي بردة ومكحول وعثمان بن حاضر والسدى والحسن وقتادة وأبي الهذيل وابن سابط وهو اختيار ابن جرير وهذا عجب منه وهو إخطى الروايتين عن ابن عباس ولكن الصحيح عنه وعن أكثر هؤلاء أنه اسماعيل عليه السلام . قال مجاهد وسعيد والشعبى ويوسف بن مهران وعطاء وغير واحد عن ابن عباس هو اسماعيل عليه السلام وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب اخبرني عمرو بن قيس عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال المندى اسماعيل وزعمت اليهود أنه اسحق وكذبت اليهود * وقال عبد الله بن الأمام احد

عن أبيه هو اسماعيل * وقال ابن أبي حاتم سألت أبي عن الذبيح فقال الصحيح أنه اسماعيل عليه السلام * قال ابن أبي حاتم وروى عن علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب وسعيد ابن جبير والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب وأبي جعفر محمد بن علي وأبي صالح أنهم قالوا الذبيح هو اسماعيل عليه السلام * وحكاه البغوي أيضاً عن الربيع بن أنس والكأبي وأبي عمرو بن العلاء * قلت وروى عن معاوية وجاء عنه أن رجلاً قال لرسول (ص)، يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله (ص)، واليه ذهب عمر بن عبد العزيز ومحمد بن اسحاق بن يسار وكان الحسن البصري يقول لاشك في هذا وقال محمد بن اسحاق عن بريدة عن سفیان بن فروة الاسلمى عن محمد بن كعب انه حدثهم انه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كان معه بالشام يعنى استدلاله بقوله بعد العصمة فبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فقال له عمر إن هذا الشيء ما كنت انظر فيه وإني لأراه كما قلت ثم أرسل الى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً فأسلم وحسن اسلامه وكان يرى انه من علمائهم قال فسأله عمر بن عبد العزيز أى ابني ابراهيم أمر بذبحه فقال اسماعيل والله يا أمير المؤمنين وإن اليهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون أبائكم الذى كان من أمر الله فيه والفضل الذى ذكره الله منه لصبره لما أمر به فهم يحسدون ذلك ويزعمون أنه اسحق لأن اسحق أبوم * وقد ذكرنا هذه المسئلة مستقصاة بأدلتها وآثارها فى كتابنا التفسير والله الحمد والمنة

سورة اسحاق

قال الله تعالى (وبشرناه باسحق نبياً من الصالحين . وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) * وقد كانت البشارة به من الملائكة لابراهيم وسارة لما مروا بهم بمجتازين ذاهبين الى مدائن قوم لوط ليدمروا عليهم لكفرهم وجورهم كما سيأتى بيانه فى موضعه ان شاء الله تعالى قال الله تعالى (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بمجل حنيد . فلما رأى أيديهم لا تصل اليهم نكرم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب . قالت يا ويلتى أألا . وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً إن هنا لشيء عجيب . قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) وقال تعالى (ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون . قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم . قال أبشرونى على أن مسنى الكبر فم تبشرون . قالوا بشركنا بلحق فلا

تكن من القانطين . قال ومن يقنط من رحمة ربه (إلا الضالون) وقال تعالى (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين . إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون . فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين . فقربه اليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم . فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم . قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم) يذكر تعالى أن الملائكة قالوا وكانوا ثلاثة حيريل وميكائيل واسرافيل لما وردوا على الخليل حسبهم أضيافا فدخلهم معاملة الضيوف شوى لهم عجلا سمينا من خيار بقره فلما قرب به اليهم وعرض عليهم لم ير لهم همة الى الأكل بل كالية وذلك لأن الملائكة ليس فيهم قوة الحاجة الى الطعام (فذكرهم) ابراهيم (وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا الى قوم لوط) . أى لندمر عليهم فاستبشرت عند ذلك سارة غضبا لله عليهم وكانت قائمة على رؤس الأضياف كما جرت به عادة الناس من العرب وغيرهم فإذ ضحكت استبشاراً بذلك قال الله تعالى (فبشرناها بأسحق ومن وراء اسحق يعقوب) أى بشرتها الملائكة بذلك (فأقبلت امرأته في صرة) أى فى صرخة (فصكت وجهها) أى كما يفعل النساء عند التعجب (وقالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً) أى كيف يلد مثلى وأنا كبيرة وعقيم أيضاً وهذا بعلى أى زوجى شيخاً تعجبت من وجود ولد والحالة هذه ولهذا قالت (إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) وكذلك تعجب ابراهيم عليه السلام استبشاراً بهذه البشارة وتثيتاً لها وفرحاً بها (قال أبشرونى على أن مسنى الكبر فم تبشرون . قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين) أكدوا الخبر بهذه البشارة وقرروه معه فبشروها (بغلام عليم) . وهو اسحق وأخوه اسماعيل غلام حليم مناسب لمقامه وصبره وهكذا وصفه ربه بصدق الوعد والصبر . وقال فى الآية الأخرى (فبشرناها بأسحق ومن وراء اسحق يعقوب) وهذا مما استدل به محمد بن كعب القرظى وغيره على أن الذبيح هو اسماعيل وأن اسحق لا يجوز أن يؤمر بذبحه بعد أن وقعت البشارة بوجوده ووجود ولده يعقوب المشتق من العقب من بعده *

وعند أهل الكتاب أنه أحضر مع العجل الخنيد وهو المشوى رغيفا من مكة فيه ثلاثة أكيا وسمن ولبن . وعندهم أنهم أكلوا وهذا غلط محض * وقيل كانوا يودون أنهم يأكلون والطعام يتلاشى فى الهواء . وعندهم أن الله تعالى قال لابراهيم أما سارا امرأتك فلا يدعى اسمها سارا ولكن اسمها سارة وأبارك عليها وأعطيك منها ابنا وأباركه ويكون الشعوب وملوك الشعوب منه فخر ابراهيم على وجهه يعنى ساجدا وضحك قائلا فى نفسه أبعده مائة سنة يولد لى غلام أو سارة تلد وقد أدت عليها تسعون سنة . وقال ابراهيم لله تعالى ليت اسماعيل يعيش قدامك فقال الله لابراهيم بحق إن امرأتك سارة

تلك لك غلاما وتدعو اسمه اسحق الى مثل هذا الحين من قابل واوثقه ميثاقى الى الدهر وخلفه من بعده وقد استجبت لك فى اسماعيل وباركت عليه وكبرته ونميتها جدا كثيرا ويولد له اثنا عشر عظيما واجعله رئيسا لشعب عظيم * وقد تكلمنا على هذا بما تقدم والله اعلم. فقوله تعالى (فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) دليل على انها تستمتع بوجود ولدها اسحق ثم من بعده يولد ولده يعقوب اى يولد فى حياتهما لتقر أعينهما به كما قررت بولده . ولو لم يرد هذا لم يكن لذكر يعقوب وتخصيص التنصيص عليه من دون سائر نسل اسحق فائدة ولما عين بالذکر دل على انها يتمتعان به ويسران بولده كما سرا بمولد ابيه من قبله وقال تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا) وقال تعالى (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ووهبنا له اسحق ويعقوب) وهذا ان شاء الله ظاهر قوى ويؤيده ما ثبت فى الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن ابراهيم بن يزيد التيمي عن ابيه عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله اى مسجد وضع اول قال المسجد الحرام قلت ثم اى قال المسجد الأقصى . قلت كم بينهما قال اربعون سنة قلت ثم اى قال ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلمها مسجد . وعند أهل الكتاب أن يعقوب عليه السلام هو الذى اسس المسجد الأقصى وهو مسجد ايليا بيت المقدس شرفه الله . وهذا متجه ويشهد له ما ذكرناه من الحديث فعلى هذا يكون بناء يعقوب وهو اسراييل عليه السلام بعد بناء الخليل وابنه اسماعيل المسجد الحرام بأربعين سنة سواء وقد كان بناؤها ذلك بعد وجود اسحق لأن ابراهيم عليه السلام لما دعا قال فى دعائه كما قال تعالى (واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا البلدا آمنا واجنبى وبني أن نعبد الأصنام . رب إني أضلن كثيرا من الناس فمن تبعتني فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم . ربنا إني اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون . ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شئ فى الأرض ولا فى السماء . الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحق إن ربى لسميع الدعاء . رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) . وما جاء فى الحديث من أن سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلا لا ثلاثا كما ذكرناه عند قوله (رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى) وكما سنورده فى قصته فالمراد من ذلك والله اعلم أنه جدد بناءه كما تقدم من أن بينهما أربعين سنة ولم يقل أحد إن بين سليمان و ابراهيم أربعين سنة سوى ابن حبان فى تقاسيمه وأنواعه وهذا القول لم يوافق عليه ولا سبق اليه

❦❦❦❦

بناء البيت العتيق

قال الله تعالى (واذ بوءنا لبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) وقال تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا . والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا . ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) وقال تعالى (واذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن . قال إني جاعلك للناس إماما . قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين . واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والماكفين والركع السجود . واذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير . واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا منا سكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) يذكر تعالى عن عبده ورسوله وصفه وخليله إمام الخفاء ووالد الأنبياء عليه أفضل صلاة وتسليم أنه بنى البيت العتيق الذي هو أول مسجد وضع لعموم الناس يعبدون الله فيه وبوآه الله مكانه أي أرشده إليه ودله عليه * وقد روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وغيره أنه أرشد إليه بوحى من الله عز وجل . وقد قدمنا في صفة خلق السموات أن الكعبة بحيال البيت المعمور بحيث أنه لو سقط لسقط عليها وكذلك معابد السموات السبع كما قال بعض السلف إن في كل سماء بيتا يعبد الله فيه أهل كل سماء وهو فيها كالكعبة لأهل الأرض فأمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يبني له بيتا يكون لأهل الأرض كذلك المعابد للملائكة السموات وأرشده الله إلى مكان البيت المهيأ له المعين لذلك منذ خلق السموات والأرض كما ثبت في الصحيحين أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة ولم يجيء في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنا قبل الخليل عليه السلام * ومن تمسك في هذا بقوله مكان البيت فليس بناهض ولا ظاهر لأن المراد مكانه المقدر في علم الله المقرر في قدرته المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم * وقد ذكرنا أن آدم نصب عليه قبة وأن الملائكة قولوا له قد طفنا قبلك بهذا البيت وأن السفينة طافت به أربعين يوما أو نحو ذلك ولكن كل هذه الأخبار عن بنى إسرائيل * وقد قررنا أنها لا تصدق ولا تكذب فلا يحتج بها فأما إن ردها الحق فهي مردودة . وقد قال الله (إن أول بيت وضع

للناس للذي بيكة مباركا وهدى للعالمين) أى أول بيت وضع لمعوم الناس للبركة والهدى البيت الذي بيكة * قيل مكة وقيل محل الكعبة (فيه آيات بينات) أى على أنه بناء الخليل والدالانبياء من بعده وإمام الحنفاء من ولده الذين يقتدون به ويتمسكون بسنته ولهذا قال (مقام ابراهيم) أى الحجر الذي كان يقف عليه قائما لما ارتفع البناء عن قامته فوضع له ولده هذا الحجر المشهور ليرتفع عليه لما تعالى البناء وعظم الفناء كما تقدم فى حديث ابن عباس الطويل. وقد كان هذا الحجر ملصقا بجائط الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان الى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاخره عن البيت قليلا لئلا يشغل المصلين عنده الطائفين بالبيت واتبع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى هذا فانه قد واقفه ربه فى اشياء منها فى قوله لرسوله (ص) لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فأنزل الله (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقد كانت آثار قدمي الخليل باقية فى الصخرة الى أول الأسلام وقد قال أبو طالب فى قصيدتنا اللامية المشهورة.

وثورٍ ومن أرسى ثبيرا مكانه وراق لبرٍ في حراء ونزل (١)
وبالبيت حق البيت من بطن مكة وباللهم إن الله ليس بنافيل
وبالحجر المسود إذ يمسخونه إذرا كتنفوه بالصحى والأصائل
وموطى ابراهيم فى الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

يعنى أن رجله الكريمة غاصت فى الصخرة فصارت على قدر قدمه حافية لامنتعلة ولهذا قال تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) أى فى حال قولهما (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) فهما فى غاية الاخلاص والطاعة لله عز وجل وهما يسألان من الله السميع العليم أن يتقبل منهما ما هما فيه من الطاعة العظيمة والسعى المشكور (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا منا سكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم)

(١) قال فى المعجم بعد بيان معنى ثور أنه الجبل الذى فيه النار. وقال أبو طالب عم النبي عليه السلام. أعوذ برب الناس من كل طاعن * علينا بشر * أو ملح بياطل * ومن كاشح يسعى لنا بمعية * ومن مفتر فى الدين مالم يحاول * وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه * وعير وراق (١) فى حراء ونزل. وقال الجوهري ثور جبل بمكة وفيه النار المذكور فى القرآن الى أن قال صاحب المعجم ايضا وقد قيل إن بمكة ايضا جبل اسمه عير ويشهد بذلك بيت أبى طالب المذكور فانه ذكر جبال مكة وذكر فيها عيرا فيكون المعنى أن حرم المدينة مقدار ما بين عير الى ثور الذين بمكة أو حرم المدينة تحريما مثل تحريم ما بين عير وثور بمكة بحذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه ووصف المصدر المحذوف الخ (١) قوله وعير وراق هكذا فى المعجم. وما فى القصيدة المطبوعة بالأستانة والاصول التى يأيدنا وراق لبر. والبر العبادة

والمقصود أن الخليل بنى أشرف المساجد في أشرف البقاع في واد غير ذي زرع وودعها لاهلها بالبركة وأن يرزقوا من الثمرات مع قلة المياه وعدم الأشجار والزرع والثمار وأن يجعله حرماً محرماً وآمناً محمياً فاستجاب الله له الحمد له مسأله ولبي دعوته وأناه طلبته فقال تعالى (أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم) وقال تعالى (أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبي إليه ثمرات كل شئ رزقاً من لدنا) وسأل الله أن يبعث فيهم رسولا منهم أي من جنسهم وعلى لغتهم الفصيحة البليغة النصيحة لئتم عليهم نعمتان الدينوية والدينية سعادة الأولى والأخرى. وقد استجاب الله له فبعث فيهم رسولا وأي رسول ختم به انبياءه ورسله واكمل له من الدين ما لم يؤت احداً قبله وعم بدعوته أهل الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم في سائر الاقطار والأمصا والأعصار الى يوم القيامة. كان هذا من خصائصه من بين سائر الانبياء لشرفه في نفسه وكال ما أرسل به وشرف ببعثه وفصاحة لغته وكال شفقتة على أمته ولطفه ورحمته وكريم محتده وعظيم مولده وطيب مصدره ومورده ولهذا استحق ابراهيم الخليل عليه السلام اذ كان باني الكعبة لأهل الأرض أن يكون منصبه ومحلّه وموضعه في منازل السموات ورفيع الدرجات عند البيت المعمور الذي هو كعبة أهل السماء السابعة المبارك المبرور الذي يدخله كل يوم سبعون الفا من الملائكة يتعدون فيه. ثم لا يعودون اليه الى يوم البعث والنشور وقد ذكرنا في التفسير من سورة البقرة صفة بناية البيت وما ورد في ذلك من الأخبار والآثار بما فيه كفاية فمن أراد فليراجعه ثم والله الحمد * فمن ذلك ما قال السدي لما أمر الله ابراهيم واسماعيل أن يبنيا البيت ثم لم يدريا اين مكانه حتى بعث الله ريحا يقال له الخجوج لها جناحان ورأس في صورة حية فكنت لهما ماحول الكعبة عن اساس البيت الأول واتباعها بالمعاول يحفران حتى وضعا الأساس وذلك حين يقول تعالى (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت) فلما بلغا القواعد بنيا الركن قال ابراهيم لاسماعيل يا بني اطلب لي الحجر الأسود من الهند وكان ابيض ياقوتة بيضاء مثل النعامة وكان آدم هبط به من الجنة فاسود من خطايا الناس فجاءه اسماعيل بحجر فوجده عند الركن. فقال يا أبتى من جاءك بهذا قال جاء به من هو انشط منك فبنيا وهما يدعوان الله (ربنا تقبل منّا إنك أنت السميع العليم) وذكر ابن أبي حاتم أنه بناه من خمسة اجبل وأن ذا القرنين وكان ملك الأرض إذ ذاك مر بهما وهما يبنيانه فقال من أمركما بهذا قال ابراهيم الله أمرنا به فقال وما يدريني بما تقول فشهدت خمسة اكبش انه أمره بذلك فأمن وصدق *
وذكر الازرقى أنه طاف مع الخليل بالبيت وقد كانت على بناء الخليل مدة طويلة ثم بعد ذلك بنتها قريش فقصرت بها عن قواعد ابراهيم من جهة الشمال مما يلي الشام على ما هي عليه اليوم * وفي الصحيحين من حديث مالك عن ابن شهاب عن سالم أن عبد الله بن محمد بن أبي بكر اخبر بن عمر عن عائشة أن رسول الله ص: قال ألم ترى الى قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد ابراهيم فقلت يا رسول

الله الا تردّها على قواعد ابراهيم فقال لولا حدثان قومك وفي رواية لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية
أو قال بكفر لا نقت كز الكعبة في سبيل الله ولجملت بابها بالارض ولا دخلت فيها الحجر * وقد بناها
ابن الزبير رحمه الله في أيامه على ما أشار اليه رسول الله (ص)، حسبما أخبرته خالته عائشة أم المؤمنين
عنه فلما قتلته الحجاج في سنة ثلاث وسبعين كتب الى عبد الملك بن مروان الخليفة اذ ذاك فاعتقدوا ان
ابن الزبير انما صنع ذلك من تلقاء نفسه فامر بردها الى ما كانت عليه فنقضوا الحائط الشامي
وأخرجوا منها الحجر ثم سدوا الحائط ورددوا الاحجار في جوف الكعبة فارتفع بابها
الشرقي وسدوا الغربي بالكعبة كما هو مشاهد الى اليوم ثم لما بلغهم أن ابن الزبير
انما فعل هذا لما أخبرته عائشة أم المؤمنين ندموا على ما فعلوا وتأسفوا أن
لو كانوا تركوه وما تولى من ذلك * ثم لما كان في زمن المهدي بن
المنصور استشار الامام مالك بن أنس في ردها على الصفة التي
بناها ابن الزبير فقال له إني أخشى أن يتخذها الملوك
لعبة يعني كلما جاء ملك بناها على الصفة التي
يريد فاستقر الامر على ما هي عليه اليوم

ذَكَرْنَا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ الْكَرِيمِ عَلَيَّ عَجْرَهُ وَغَيْدَةَ لِيَوْمِ

قال الله (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني جاعلك للناس إماما . قال ومن ذريتي قال
لا ينال عهدي الظالمين) . لما وفي ما أمره ربه به من التكليف العظيمة جعله للناس اماما يقتدون به ويأتمون
بهديه وسأل الله أن تكون هذه الامامة متصلة بسببه وباقيه في نسبة وخالدة في عقبه فأجيب الى ما سأل
ورام . وسلمت اليه الامامة بزمام واستثنى من نيلها الظالمون واختص بها من ذريته العلماء الماملون كما قال
تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب . وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب . وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة
لمن الصالحين) * وقال تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته
داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين . وذكرا يحيى وعيسى والياس
كل من الصالحين . واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين . ومن آباءهم ودرجاتهم واخوانهم
واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم) . فالضمير في قوله ومن ذريته عائد على ابراهيم على المشهور .
ولوط وان كان ابن أخيه الا أنه دخل في الذرية تغليا . وهذا هو الحامل للقائل الآخر ان الضمير على نوح
كما قدمنا في قصته والله أعلم . وقال تعالى (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب)

الآية . فكل كتاب أنزل من السماء على نبي من الانبياء بعد ابراهيم الخليل فمن ذريته وشيعته . وهذه خلعة سنية لا تضاهى ومرتبة عليه لا تباهى . وذلك أنه ولد له لصلبه ولدان ذكران عظيمان اسمعيل من هاجر ثم اء حق من سارة وولد لهذا يعقوب وهو اسرائيل الذى ينتسب اليه سائر أسباطهم فكانت فيهم النبوة ونثروا جداً بحيث لا يعلم عددهم الا الذى بهمم واختصهم بالرسالة والنبوة حتى ختموا بعبسى ابن مريم من بنى اسرائيل وأما اسمعيل عليه السلام فكانت منه العرب على اختلاف قبائلها كما سنبينه فيما بعد ان شاء الله تعالى ولم يوجد من سلالاته من الانبياء سوى خاتمهم على الاطلاق وسيدهم وفخر بنى آدم فى الدنيا والآخرة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى المكى ثم المدنى صلوات الله وسلامه عليه فلم يوجد من هذا الفرع الشريف والفصن المنيف سوى هذه الجوهرة الباهرة والدرة الزاهرة وواسطة المقد الفاخرة وهو السيد الذى يفتخر به أهل الجمع ويغبطه الأولوز والآخرين يوم القيامة . وقد ثبت عنه فى صحيح مسلم كما سنورده أنه قال (سأقوم مقاماً يرغب الى الخلق كلهم حتى ابراهيم) فدح ابراهيم أباه مدحة عظيمة فى هذا السياق ودل كلامه على أنه أفضل الخلائق بعده عند الخلاق فى هذه الحياة الدنيا ويوم يكشف عن ساق *

وقال البخارى حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن منصور عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله (ص) يعوذ الحسن والحسين ويقول أن أباً كما كان يعوذ بهما اسمعيل وإسحق . أعوذ بكلمات الله التامة . من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة . ورواه أهل السنن من حديث منصور به وقال تعالى (واذ قال ابراهيم رب أرني كيف نمحي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل مهن جزاً ثم ادعهن يأتينك سعياً . وأعلم أن الله عزيز حكيم) ذكر المفسرون لهذا السؤال اسباباً بسطانها فى التفسير . وقررهاها بأتم تقرير * والحاصل أن الله عز وجل أجابه الى ما سأل فأمره أن يعبد الى أربعة من الطيور واختلفوا فى تعيينها على اقوال والمقصود حاصل على كل تقدير فأمره أن يمزق لحومهن وريشهن ويخلط ذلك ببعضه فى بعض ثم يتسمه قسماً ويجعل على كل جبل منهن جزاً ففعل ما أمر به ثم أمر أن يدعوهن باذن ربهن فلما دعاهن جعل كل عضو يطير الى صاحبه وكل ريشة تآتى الى أختها حتى اجتمع بدن كل طائر على ما كان عليه وهو ينظر الى قدرة الذى يقول للشئ كن فيكون فأتين اليه سعياً ليكون آيين له وأوضح لمشاهدته من أن يأتين طيراناً * ويقال إنه أمر أن يأخذ رؤسهن فى يده فجعل كل طائر يأتى فيلقى رأسه فيتركب على جسده كما كان فلا إله الا الله وقد كان ابراهيم عليه السلام يعلم قدرة الله تعالى على احياء الموتى علماً يقينياً لا يحتمل النقيض ولكن أحب أن يشاهد ذلك عياناً ويترقى من علم اليقين الى عين اليقين فاجابه الله الى سؤاله وأعطاه غاية مأموله * وقال تعالى (يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة

والانجيل الا من بعده افلا تعقلون. ها انتم هؤلاء حاجبتم فيما لكم به علم. فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون. ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين. ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) ينكر تعالى على اهل الكتاب من اليهود والنصارى فى دعوى كل من الفريقين كون الخليل على ملتهم وطريقهم فبراه الله منهم وبين كثرة جهلهم وقلة عقولهم فى قوله (وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده) أى فكيف يكون على دينكم وانتم انما شرع لكم ما شرع بعده بمدد متطاولة ولهذا قل (افلا تعقلون) الى ان قال (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين). فبين أنه كان على دين الله الخفيف وهو القصد الى الاخلاص والانحراف وعمدا عن الباطل الى الحق الذى هو مخالف لليهودية والنصرانية والمشركية كما قال تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين. ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون. أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لنيه ماتعبدون من بعدى. قالوا نعبد اهلك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق إلهنا واحدا ونحن له مسلمون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون. وقالوا كونوا يهودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين. قولوا آمنا بالله وما أنزل اليه وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكم الله وهو السميع العليم. صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون. قل آتجاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون. أم يقولون إن ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا يهودا أو نصارى قل انتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون). فتره الله عز وجل خليله عليه السلام عن أن يكون يهوديا أو نصرانيا وبين أنه انما كان حنيفا مسلما ولم يكن من المشركين ولهذا قال تعالى (ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه) يعنى الذين كانوا على ملته من اتباعه فى زمانه ومن تمسك بدينه من بعدهم (وهذا النبي) يعنى محمدا (ص) فان الله شرع له الدين الخفيف الذى شرعه للخليل وكله الله تعالى له وأعطاه ما لم يعط نبيا ولا رسولا قبله كما قال تعالى (قل انى هدانى ربي الى صراط مستقيم ديننا قيا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين. قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا اول المسلمين) وقال تعالى إن ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين. شاكر الا نعمه اجتباها وهداه الى صراط مستقيم. وآتيناه فى الدنيا حسنة وانه

في الآخرة لمن الصالحين . ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين)
وقال البخاري حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام عن معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس
أن النبي (ص) لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحييت ورأى إبراهيم واسماعيل بأيديهما
الأزلام فقال قاتلهم الله والله إن يستقسما بالأزلام قط (١) لم يخرجهم مسلم * وفي بعض الفاظ البخاري
قاتلهم الله لقد علموا أن شيخنا لم يستقسم بها قط . فقوله (أمة) أي قدوة إماما مهتديا داعيا إلى الخير
يقتدى به فيه (قاتل الله) أي خاشعا له في جميع حالاته وحركاته وسكناته (حنيفا) أي مخلصا على
بصيرة (ولم يك من المشركين . شاكر الألفه) أي قائما بشكر ربه بجميع جوارحه من قلبه ولسانه
وأعماله (اجتباه) أي اختاره الله لنفسه واصطفاه لرسالته واتخذته خليلا وجمع له بين خيري الدنيا
والآخرة وقال تعالى (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ
الله إبراهيم خليلا) يرغب تعالى في اتباع إبراهيم عليه السلام لأنه كان على الدين القويم والصراف
المستقيم وقد قام بجميع ما أمره به ربه ومدحه تعالى بذلك فقال (وابراهيم الذي وفي) ولهذا اتخذ الله
خليلا وخللة هي غاية المحبة كما قال بعضهم

قد تخلت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا

وهكذا نال هذه المنزلة خاتم الانبياء وسيد الرسل محمد صلوات الله وسلامه عليه كما ثبت في
الصحيحين وغيرها من حديث جنذب البجلي وعبد الله بن عمرو وابن مسعود عن رسول الله (ص) .
أنه قال أيها الناس إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا . وقال أيضا في آخر خطبة خطبها أيها الناس
لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله . أخرجاه من
حديث أبي سعيد وثبت أيضا من حديث عبد الله بن الزبير وابن عباس وابن مسعود . وروى البخاري
في صحيحه حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن عمرو بن
ميمون قال إن معاذاً لما قدم اليمن صلى بهم الصبح قرأ واتخذ الله إبراهيم خليلا . فقال رجل من القوم
لقد قرئت عين أم إبراهيم * وقال ابن مردويه حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن مسلم حدثنا اسمعيل بن أحمد
ابن اسيد حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني بمكة حدثنا عبد الله الحنفي حدثنا زهعة بن صالح عن سلمة
ابن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب رسول الله (ص) . ينتظرونه فخرج حتى
إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم وإذا بعضهم يقول عجب أن الله اتخذ من خلقه خليلا
فإبراهيم خليله * وقال آخر ماذا بالعجب من أن الله كلم موسى تكليماً . وقال آخر فيسبى روح الله وكلته .
وقال آخر آدم اصطفاه الله . فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليل الله وهو

(١) قوله ان استقسما إن نافية . أي والله ما استقسما بالأزلام قط محمود الامام .

كذلك وموسى كليمه وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاؤه الله وهو كذلك . ألا وإني حبيب الله ولا فخر إلا وإني أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلقة باب الجنة فيفتحه الله فيدخلنيها ومعى قهراء المؤمنين وأنا أكرم الأولين والآخرين يوم القيامة ولا فخر * هذا حديث غريب من هذا الوجه وله شواهد من وجوه أخر والله أعلم * وروى الحاكم في مستدركه من حديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال أتذكرون أن تكون الخلة لأبراهيم والسكلام لموسى والرؤية لمحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين * وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمود بن خالد المسمى حدثنا الوليد عن اسحاق بن بشار قال لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً التى في قلبه الوجمل حتى أن كان خفقان قلبه ليسمع من بعد كما يسمع خفقان الطير في الهواء وقال عبيد بن عمير كان إبراهيم عليه السلام يضيف الناس فخرج يوماً يلتمس إنساناً يضيفه فلم يجد أحداً يضيفه فرجع الى داره فوجد فيها رجلاً قائماً فقال يا عبد الله ما أدخلك دارى بغير إذنى قال دخلتها بأذن ربها * قال ومن أنت قال أنا ملك الموت أرسلنى ربى الى عبد من عباده أبشره بأن الله قد اتخذته خليلاً قال من هو فوالله إن أخبرتنى به ثم كان باقى البلاد لا يتنه ثم لا ابرح له جاراً حتى يفرق بيننا الموت قال ذلك العبد أنت قال أنا قال نعم قال فبم اتخذنى ربى خليلاً قال بأنك تعطى الناس ولا تسألهم . رواه ابن أبى حاتم * وقد ذكره الله تعالى فى القرآن كثيراً فى غير ما موضع بالثناء عليه والمدح له قبيل إنه مذكور فى خمسة وثلاثين موضعاً منها خمسة عشر فى البقرة وحدها وهو احد أولى العزم الخمسة المنصوص على اسمائهم تخصيصاً من بين سائر الانبياء فى آيتى الاحزاب والشورى وهما قوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) وقوله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه) الآية . ثم هو أشرف أولى العزم بعد محمد (س) وهو الذى وجده عليه السلام فى السماء السابعة مستنداً ظهره بالبيت المعور الذى يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون اليه آخر ما عليهم . وما وقع فى حديث شريك ابن أبى نمير عن انس فى حديث الاسراء من أن إبراهيم فى السادسة وموسى فى السابعة فما انتقد على شريك فى هذا الحديث والصحيح الأول *

وقال احمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمرو حدثنا أبوسلمة عن أنى هريرة قال قال رسول (س) . إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم خليل الرحمن . تفرد به احمد .

ثم مما يدل على أن إبراهيم أفضل من موسى الحديث الذى قال فيه (وأخرت الثالثة ليوم يرغب الى انطلق كلهم حتى إبراهيم) رواه مسلم من حديث أبى بن كعب رضى الله عنه . وهذا هو المقام المحمود

الذي أخبر عنه صلوات الله وسلامه عليه بقوله (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر) ثم ذكر إستشفاع الناس بآدم ثم بنوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى فكلمهم بحمد عنها حتى يأتوا محمداً (ص)، فيقول (أنا لها أنا لها) الحديث . وهكذا رواه البخاري في مواضع أخر ومسلم والنسائي من طريق عن يحيى بن سعيد القطان عن عبيد الله وهو ابن عمر العمري به *

قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عبد الله حدثني سعيد عن أبيه عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله من أكرم الناس قال أقيم. قالوا ليس عن هذا نسألك قال فيوسف بنى الله ابن نبي الله ابن نبي الله بن خليل الله. قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألوني خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا * ثم قال البخاري قال أبو أسامة ومعتز عن عبيد الله عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي (ص)، قلت وقد أسنده في موضع آخر من حديثهما وحديث عبدة ابن سليمان والنسائي من حديث محمد بن بشر اربتهم عن عبيد الله بن عمر عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي (ص)، وقال أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم خليل الله . تفرد به احمد * وقال البخاري حدثنا عبدة حدثنا عبد الصمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن عمر عن النبي (ص)، قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم . تفرد به من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر به * فاما الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا يحيى عن سفيان حدثني مغيرة بن النعمان عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس عن النبي (ص)، «يحشر الناس حفاة عراة غرلا فأول من يكسى ابراهيم عليه السلام» ثم قرأ (كما بدأنا أول خلق نعيده) فأخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج كلاهما عن مغيرة بن النعمان النخعي الكوفي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به . وهذه الفضيلة المعينة لا تقتضى الأفضلية بالنسبة الى ما قبلها مما ثبت لصاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون * وأما الحديث الاخر الذي قال الامام أحمد حدثنا وكيع وأبو نعيم حدثنا سفيان هو الثوري عن مختار بن فلفل عن انس بن مالك قال قال رجل للنبي (ص)، ياخير البرية فقال ذلك ابراهيم قد رواه مسلم من حديث الثوري وعبد الله بن إدريس وعلي بن مسهر ومحمد بن فضيل اربتهم عن المختار بن فلفل * وقال الترمذي حسن صحيح * وهذا من باب الهضم والتواضع مع والده الخليل عليه السلام كما قال لا تفضلوني على الانبياء وقال لا تفضلوني على موسى فان الناس يصعقون يوم القيامة فاكون أول من يفيق فاجد موسى بلطفا قائمة العرش فلا أدري افاق قبلي أم جوزى بصعقة الطور * وهذا كله لا ينافي في ما ثبت بالتواتر عنه صلوات الله وسلامه عليه من أنه سيد ولد آدم يوم القيامة وكذلك

حديث أبي بن كعب في صحيح مسلم وأخرت الثالثة ليوم يرغب الى الخلق كلهم حتى ابراهيم . ولما كان ابراهيم عليه السلام أفضل الرسل وأولى العزم بعد محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أمر المصلي أن يقول في تشهده مائتة في الصحيحين من حديث كعب بن عجرة وغيره قال قلنا . يارسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك » قال قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم إنك حميد مجيد « وقال تعالى (و ابراهيم الذي وفى) قالوا وفى جميع ما أمر به وقام بجميع خصال الايمان وشعبه وكان لا يشغله مراعاة الأمر الجليل عن القيام بمصلحة الأمر القليل ولا ينسيه القيام باعباء المصالح الكبار عن الصغار . قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس (واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فآتمهن) قال إبتلاه الله بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد . في الرأس قص الشارب والمضمضة والسواك والاستنشاق وفرق الرأس وفي الجسد تقليم الاظفار وحلق العانة والختان وتنف الابط وغسل أثر الغائط والبرول بالماء . رواه ابن أبي حاتم * وقال وروى عن سعيد بن المسيب ومجاهد والشعبي والنخعي وأبي صالح وأبي الجلد نحو ذلك قلت وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال الفطرة خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار وتنف الابط * وفي صحيح مسلم وأهل السنن من حديث وكيع عن ذكر بن أبي زائدة عن مصعب بن شيبة العبدي المكي الحنبل عن طلق بن حبيب العتري عن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك وإستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم وتنف الابط وحلق العانة وإتقاص الماء يعنى الاستنجاء وسيأتي في ذكر مقدار عمره الكلام على الختان * والمقصود أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يشغله القيام بالاخلاص لله عز وجل وخشوع العبادة العظيمة عن مراعاة مصلحة بدنه وإعطاء كل عضو ما يستحقه من الاصلاح والتحسين وإزالة ما يشين من زيادة شعر أو ظفر أو وجود قلع أو وسخ فهذا من جملة قوله تعالى في حق من المدح العظيم و ابراهيم الذي وفى *

قصه في الجنة

قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا احمد بن سنان القطان الواسطي ومحمد بن موسى القطان قالا حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن سماك عن عكرمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) إن في الجنة قصرا احسبه قال من لؤلؤة ليس فيه فصم ولا وهي أعده الله لخليله ابراهيم عليه السلام نزلا . قال البزار وحدثناه احمد بن جميل المروزي حدثنا النضر بن شميل حدثنا حماد بن سلمة عن سماك عن

عكرمة عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه ثم قال وهذا الحديث لا يفهم رواه عن حماد بن سدة فاسنده الا يزيد بن هارون والنضر بن سميل وغيرهما يرويه موقوفا قلت لولا هذه العلة لكانت على شرط الصحيح ولم يخرجوه *

صفة ابراهيم عليه السلام

قال الامام احمد حدثنا يونس وحجين قالا حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر عن رسول الله (ص) انه قال عرض علي الانبياء فاذا موسى ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى ابن مريم فاذا أقرب من رأيت به شها عروة بن مسعود ورأيت ابراهيم فاذا أقرب من رأيت به شها دحية . تفرد به الامام احمد من هذا الوجه وبهذا اللفظ * وقال أحمد حدثنا اسود بن عامر حدثنا اسراييل عن عثمان يعني ابن المغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) رأيت عيسى ابن مريم وموسى و ابراهيم فأما عيسى فاحمر جعد عريض الصدر - وأما موسى فأدم جسيم . قالوا له فابراهيم قال انظروا الى صاحبكم يعني نفسه * وقال البخارى حدثنا بنان بن عمرو حدثنا النضر أنبأنا ابن عون عن مجاهد أنه سمع ابن عباس وذكروا له الدجال بين عينيه كافرا و (ك ف ر) فقال لم اسمعه ولكنه قال (ص) : أما ابراهيم فانظروا الى صاحبكم وأما موسى فجد آدم على جمل احمر مخطوم بخلبه كأنى أنظر اليه انحدر في الوادي . ورواه البخارى ايضا ومسلم عن محمد بن المثنى عن ابن أبي عدى عن عبد الله بن عون به * وهكذا رواه البخارى ايضا في كتاب الحج وفي اللباس ومسلم جميعا عن محمد بن المثنى عن ابن أبي عدى عن عبد الله بن عون به

وفاة ابراهيم وقيل في عمره

ذكر ابن جرير في تاريخه أن مولده كان في زمن النمرود بن كنعان وهو فيما قيل الضحاك الملك المشهور الذي يقال إنه ملك الف سنة وكان في غاية الغشم والظلم * وذكر بعضهم أنه من بني راسب الذين بعث اليهم نوح عليه السلام وأنه كان إذ ذاك ملك الدنيا . وذكروا أنه طلع نجم اخفى ضوء الشمس والقمر فهال ذلك أهل ذلك الزمان وفزع النمرود . فجمع الكهنة والمنجمين وسألهم عن ذلك فقالوا يولد مولود في رعيتك يكون زوال ملكك على يديه . فامر عند ذلك بمنع الرجال عن النساء وأن يقتل المولودون من ذلك الحين فكان مولد ابراهيم الخليل في ذلك الحين فحماه الله عز وجل وصاته من كيد الفجار وشب شبابا باهرا وابنته الله نباتا حسنا حتى كان من أمره ماتقدم وكان مولده بالسوس وقيل بيايل وقيل بالسواد من ناحية كوثى (١) وتقدم عن ابن عباس أنه ولد ببرزة شرقي دمشق فلما

(١) قال في معجم البلدان (كوثى) بالضم ثم السكون والثاء مثلثة والفاء مقصورة تكتب بالياء لأنها

أهلك الله نمرود على يديه وهاجر الى حران ثم الى أرض الشام وأقام ببلاد ايليا كما ذكرنا وولده اسماعيل واسحق ومانت سارة قبله بقرية حبرون التي في أرض كنعان ولها من العمر مائة وسبع وعشرون سنة فيما ذكر أهل الكتاب فحزن عليها ابراهيم عليه السلام وراثتها رحما الله واشترى من رجل من بني حيث يقال له عفرون بن صخر مغارة باربع مائة مثقال ودفن فيها سارة هناك قالوا ثم خطب ابراهيم على ابنه اسحق فزوجه رقبانت بتوئيل بن ناحور بن تارح وبث مولاه فحملها من بلادها ومعه مرضعتها وجوارها على الابل قالوا ثم تزوج ابراهيم عليه السلام قنطورا فولدت له زمران ويقشان ومادان ومدين وشياق وشوح . وذكروا ما ولد كل واحد من هؤلاء أولاد قنطورا . وقد روى ابن عساکر عن غير واحد من السلف عن أخبار أهل الكتاب في صفة مجيئ ملك الموت الى ابراهيم عليه السلام وغيره خلاف ذلك . قالوا ثم مرض ابراهيم عليه السلام ومات عن مائة وخمس وسبعين * وقيل وتسعين سنة ودفن في المغارة المذكورة التي كانت بحبرون الحثي عند امرأته سارة التي في مزرعة عفرون الحثي وتولى دفنه اسماعيل واسحاق صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين * وقد ورد ما يدل أنه عاش مائتي سنة كما قاله ابن الكلابي وقال أبو حاتم بن حبان في صحيحه أنبأنا المفضل بن محمد الجندی بمكة حدثنا علي بن زياد اللخمي حدثنا أبو قررة عن ابن جريج عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال اختن ابراهيم بالقدم وهو ابن عشرين ومائة سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة وقد رواه الحافظ بن عساکر من طريق عكرمة بن ابراهيم وجعفر بن عون العمري عن يحيى ابن سعيد عن سعيد عن أبي هريرة موقوفا *

ثم قال ابن حبان ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن رفع هذا الخبر وهم أخبرنا محمد بن عبد الله بن الجنيد نيسب (١) حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال اختن ابراهيم حين بلغ مائة وعشرين سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة واختن بدم . وقد رواه الحافظ ابن عساکر من طريق يحيى بن سعيد عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي (ص) وقد أتت رابعة الاسم الى قوله (كوثي) في ثلاث مواضع بسواد العراق وفي أرض بابل وبمكة . الى قوله وكوثي العراق كوثيان أحدهما كوثي الطريق . والآخر كوثي ربي وبها مشهد ابراهيم الخليل عليه السلام . وبها مولده وهما من أرض بابل وبها طرح ابراهيم في النار وهما ناحيتان الخ الخ راجع المعجم .

(١) قوله محمد بن عبد الله بن الجنيد نيسب كذا في نسخة وفي أخرى ابن الحسدسب (بندر كما ترى والمعروف من أسماء الرجال في ترجمة قتيبة بن سعيد ان ممن روى عنه محمد بن عبد الله بن نمير وليس ممن روى عنه ممن سمي محمد بن عبد الله غيره ((عمود الامام))

عليه ثمانون سنة. ثم روى ابن حبان عن عبدالرزاق أنه قال القدوم اسم القرية. قلت الذي في الصحيح أنه اختن وهد أنت عليه ثمانون سنة * وفي رواية وهو ابن ثمانين سنة وليس فيهما تعرض لما عاش بعد ذلك والله أعلم * وقال محمد بن اسماعيل الحسائي الواسطي زادني تفسير وكيع عنه فيما ذكره من الزيادات حدثنا أبو معاوية عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال كان إبراهيم أول من تسرول وأول من فرق وأول من استحد وأول من اختن بالقدوم وهو ابن عشرين ومائة سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة وأول من قرى الضيف وأول من شاب هكذا رواه موقوفا وهو أشبه بالرفوع خلافا لابن حبان والله أعلم *

وقال مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال كان إبراهيم أول من أضاف الضيف وأول الناس اختن وأول الناس قص شاربه وأول الناس رأى الشيب فقال يارب ما هذا فقال الله « وقار » فقال يارب زدني وقارا وزاد غيرها وأول من قص شاربه وأول من استحد وأول من لبس السراويل * قهره وقبر ولده اسحق وقبر ولد ولده يعقوب في المربعة التي بناها سليمان بن داود عليه السلام ببلد حبرون وهو البلد المعروف بالخليل اليوم وهذا تلقى بالتواتر أمة بعد أمة وجيل بعد جيل من زمن بني إسرائيل والى زماننا هذا أن قبره بالمربعة تحققت . فاما تعيينه منها فليس فيه خبر صحيح عن معصوم فينبغي أن تراعى تلك المحلة وأن تحترم احترام مثلها وأن تبجل وأن تجل أن يداس في أرجائها خشية أن يكون قبر الخليل أو أحد من أولاده الأنبياء عليهم السلام تحتها * وروى ابن عساكر بسنده إلى وهب بن منبه قال وجد عند قبر إبراهيم الخليل على حجر كتابة خالقة *

ألهى جهولاً أمله يموت من جا أجله
ومن دنائت حنقه لم تغف عنه حيله
وكيف يبقى آخر من مات عنه أوله
والمرء لا يصحبه في القبر إلا عمله

قوله أولاد إبراهيم الخليل

أول من ولد له اسماعيل من هاجر القبطية المصرية ثم ولد له اسحق من سارة بنت عم الخليل ثم تزوج بعدها قنطورا بنت يقطن الكنعانية فولدت له ستة مدين وزمران وسرج ويقشان ونشق ولم يسم السادس ثم تزوج بعدها حجون بنت امين فولدت له خمسة كيسان وسورج واميم ولوطان ونافس * هكذا ذكره أبو القاسم السهيلي في كتابه التعريف والاعلام .

ومما وقع في حياة إبراهيم الخليل من الأمد العظيمة قصة قوم لوط عليه السلام وما حل بهم من النعمة

الضيعة وذلك أن لوطاً بن هاران بن تارج وهو آزر كما تقدم ولوط ابن أخي إبراهيم الخليل إبراهيم وهاران وناحور اخوة كما قدمنا ويقال إن هاران هذا هو الذي بنى حران * وهذا ضيف لمخالفته ما أبدى أهل الكتاب والله أعلم * وكان لوط قد نزع عن محلة عمه الخليل عليهما السلام بامر له وأذنه فنزل بمدينة سدوم من أرض غور زغر وكان أم تلك المحلة ولها أرض ومعتلات وقرى مضافة إليها ولها أهل من أجز الناس واكفرهم واسوأهم طوية وأرداهم سريرة وسيرة يقطعون السبيل ويأتون في ناديهم المنكر ولا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بنى آدم وهي إتيان الذكوان من العالمين وترك ما خلق الله من النسوان لعباده الصالحين فدعاهم لوط إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطي هذه المحرمات والفواحش المنكرات والأفاعيل المستقبحات فبادروا على ضلالهم وطغيانهم واستمروا على فجورهم وكفرانهم فأحل الله بهم من البأس الذي لا يرد ما لم يكن في خلدكم وحسابهم وجعلهم مثلة في العالمين وعبرة يتعظ بها الألباء من العالمين ولهذا ذكر الله تعالى قصتهم في غير ما موضع من كتابه المبين فقال تعالى في سورة الأعراف (ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها أحد من العالمين . أنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون . وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون . فأجيبناه وأهلكناهم إلا امرأته كانت من الغابرين . وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) وقال تعالى في سورة هود (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى أيديهم لا تصل إليهم نكروهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضكحت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحاق يعقوب . قالت يا ويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب . قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد . فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشرى تجادلنا في قوم لوط إن إبراهيم لحليم أواه منيب . يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك . وإنهم آتاهم عذاب غير مردود . ولما جاءت رسلنا لوطا سئ بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب . وجاءه قومه يهرعون إليه . ومن قبل كانوا يعملون السيئات . قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخرزوني في ضيقي اليس منكم رجل رشيد . قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما تريد . قال لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد . قالوا بالوط إنا نرسل ربك لن يصلوا إليك فأسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح قريب . فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وماهى من الظالمين بعيد) وقال تعالى في سورة الحجر (ونذهم عن ضيف إبراهيم إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون قال لا توجل إنا نبشرك

بسلام عليهم . قال أبشروني على أن مسنى الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين
قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون . قال فما خطبكم أيها المرسلون . قالوا إنا أرسلنا الى قوم مجرمين .
الا آل لوط إنا لمنجورهم أجمعين . إلا امرأته قدرنا أنها لمن الغابرين . فلما جاء آل لوط المرسلون قال
إنكم قوم منكرون . قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وآتيناك بالحق وإنا لصادقون . فاسر باهلك
بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر
أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين . وجاء أهل المدينة يستبشرون . قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون .
واقفوا الله ولا تخزنون . قالوا أولم نهك عن العالمين . قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين . لعمرك إنهم
لنفسكرتهم يعمهون . فاخذتهم الصيحة مشرقين . فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل .
إن في ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم . إن في ذلك لآية للمؤمنين) وقال تعالى في سورة
الشعراء (كذبت قوم لوط المرسلين * اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله
وأطيعون وما أسألكم عليه من اجر إن أجرى إلا على رب العالمين * أتأتون الذكر ان من العالمين .
وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون * قالوا لئن لم تنته بالوط لتكونن من
الخرجين * قال إني لعملك من القالين * رب نجني وأهلي مما يعملون * فنجيناه وأهله أجمعين *
إلا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين * وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين * إن في ذلك لآية
وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك هو العزيز الرحيم) وقال تعالى في سورة النمل (ولوطاً إذ قال
لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون . أنتم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون *
فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله
إلا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين) . وقال تعالى في سورة
العنكبوت (ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين * أنتم لتأتون
الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر * فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بمذاب
الله إن كنت من الصادقين . قال رب انصرني على القوم المفسدين * ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى
قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية * إن أهلها كانوا ظالمين * قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها
لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين * ولما أن جاءت رسلنا لوطاً سئ بهم وضاق بهم ذرعا
وقالوا لا تنف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين * إنا منزلون على أهل
هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون * ولقد تركنا منها آية يئسها لقوم يعقلون) وقال تعالى في
سورة الصافات (وإن لوطاً لمن المرسلين * إذ نجيناه وأهله أجمعين . إلا عجوزا في الغابرين * ثم دمرنا
الآخرين * وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون) وقال تعالى في الذاريات بعد قصة

ضيف إبراهيم وبشارتهم إياه بنلام عليهم (قال فما خطبكم أيها المرسلون * قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين * لترسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للسرفين * فآخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين . وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) وقال في سورة الانشقاق (كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر . نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر * ولقد انذرهم بطشتنا فآبروا بالنذر * ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد صبغهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر *) وقد تكامنا على هذه القصص في أما كتبنا من هذه السورة في التفسير * وقد ذكر الله لوطاً وقومه في مواضع آخر من القرآن تقدم ذكرها مع قوم نوح وعاد وثمود * والمقصود الآن إيراد ما كان من أمرهم وما أحل الله بهم مجموعاً من الآيات والآثار وبالله المستعان * وذلك أن لوطاً عليه السلام لما دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطي ما ذكر الله عنهم من الفواحش فلم يستجيبوا له ولم يؤمنوا به حتى ولا رجل واحد منهم ولم يتركوا ما عنه نهوا بل استمروا على حالهم ولم يرددوا عن غيهم وضلالهم وهما باخراج رسولهم من بين ظهرانيهم وما كان حاصل جوابهم عن خطابهم اذ كانوا لا يعقلون إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم انهم أناس يتطهرون فجعلوا غاية المدح ذماً يقتضى الاخراج وما حملهم على مقاتلتهم هذه الا العناد واللجاج فطهره الله وأهله الا امرأته وأخرجهم منها أحسن اخراج وتركهم في محلهم خالدين لكن بعد ما صيرها عليهم بحرة منتنة ذات أمواج لكنها عليهم في الحقيقة نلر تأجج وحر يتوهج وماؤها ملح أجاج وما كان هذا جوابهم الا لما نهاهم عن الطاعة العظمى والفاحشة الكبرى التي لم يسبقهم إليها احد من اهل الدنيا * ولهذا صاروا مثلة فيها وعبرة لمن عليها وكانوا مع ذلك يقطعون الطريق ويخونون الرفيق ويأتون في ناديهم وهو مجتمعهم ومحل حديثهم وسمرهم المنكر من الاقوال والأفعال على اختلاف أصنافه حتى قيل انهم كانوا يتضارطون في مجالسهم ولا يستحيون من مجالسهم وربما وقع منهم الفعلة العظيمة في المحافل ولا يستنكفون ولا يرفعون لوعظ واعظ ولا نصيحة من عاقل وكانوا في ذلك وغيره كالأنعام بل أضل سبيلاً ولم يقلعوا عما كانوا عليه في الحاضر ولا ندموا على ما سلف من الماضي ولا راموا في المستقبل تحويلاً فاخزم الله أخذاً ويلاً وقالوا له فيما قالوا (ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) فطلبوا منه وقرع ما حذرهم عنه من العذاب الأليم وحلول البأس العظيم ففند ذلك دعا عليهم نبيهم الكريم فسأل من رب العالمين وإله المرسلين أن ينصره على القوم المفسدين فآبر الله لغيرته وغضب لفضيبته واستجاب لدعوته واجابه إلى طلبته وبعث رسله الكرام وملائكته العظام ففروا على الخليل إبراهيم وبشروه بالسلام العليم وأخبروه بما جاؤا له من الأمر الجسيم والخطب العميم (قال فما خطبكم أيها المرسلون . قالوا انا أرسلنا إلى قوم مجرمين . لترسل

عليهم حجارة من طين . مسومة عند ربك للسرفين) وقال (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين . قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين) وقال الله تعالى (فلما ذهب عن ابراهيم الروح وجاءته البشرى بمجادلنا في قوم لوط) . وذلك انه كان يرجو ان ينيبوا ويسلوا ويقلعوا ويرجعوا . ولهذا قال تعالى (ان ابراهيم لحليم اواه منيب . يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيتهم عذاب غير مردود) اى اعرض عن هذا وتكلم في غيره فانه قد حتم امرهم ووجب عذابهم وتدميرهم وهلاكهم انه قد جاء امر ربك اى قد امر به من لا يرد امره ولا يرد بأسه ولا معقب لحكمه وانهم آتيتهم عذاب غير مردود .

وذكر سعيد بن جبير والسدى وقادة ومحمد بن اسحق ان ابراهيم عليه السلام جعل يقول * (اهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن قالوا لا قال فثلاثمائة مؤمن قالوا لا قال فاربعون مؤمنا قالوا لا قال فاربعة عشر مؤمنا قالوا لا) قال ابن اسحق الى ان قال (افرأيتم ان كان فيها مؤمن واحد قالوا لا) قالوا ان فيها لوطاً قالوا نحن اعلم بمن فيها) الاية وعدد اهل الكتاب انه قال يارب اهلكهم وفيهم خمسون رجلاً صالحاً فقال الله لا اهلكهم وفيهم خمسون صالحاً ثم تنازل الى عشرة فقال الله (لا اهلكهم وفيهم عشرة صالحون) قال الله تعالى (وقال ولما جاءت رسلنا لوطاً سبي بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب) قال المفسرون لما فصلت الملائكة من عند ابراهيم وهم جبريل وميكائيل واسرافيل اقبلوا حتى اتوا ارض سدوم في صور شبان حسان اختباراً من الله تعالى لقوم لوط وإقامة للحجة عليهم فاستضافوا لوطاً عليه السلام وذلك عند غروب الشمس فخشى ان لم يضيفهم يضيفهم غيره وحسبهم بشراً من الناس وسي بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب *

قال ابن عباس ومجاهد وقادة ومحمد بن اسحق شديد بلاؤه وذلك لما يعلم من مدافقته الليلة عنهم كما كان يصنع بهم في غيرهم وكانوا قد اشترطوا عليه ان لا يضيف احداً ولكن رأى من لا يمكن المجيد عنه * وذكر قتادة انهم وردوا عليه وهو في ارض له يعمل فيها فضيفوا فاستحى منهم وانطلق امامهم وجعل يعرض لهم في الكلام لعلمهم ينصرفون عن هذه القرية وينزلوا في غيرها فقال لهم فيما قال باهولاء ما أعلم على وجه الارض اهل بلد اخبث من هؤلاء ثم مشى قليلاً ثم اعاد ذلك عليهم حتى كرهه اربع مرات قال وكانوا قد امروا ان لا يهلكهم حتى يشهد عليهم نبيهم بذلك *

وقال السدى خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قوم لوط فاتوا نصف النهار فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها وكانت له ابنتان اسم الكبرى ريثا والصغرى ذعرنا قالوا لها يا جارية هل من منزل فقالت لهم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيتكم فرقت عليهم من قومها فانت اباهما

قالت يا أبا جاه ارادك فتیان علی باب المدینة ما رأیت وجوه قوم قط هی أحسن منهم لا یاخذهم قومك فیفضحوم وقد كان قومه سهوه أن یضیف رجلا فجاء بهم فلم یعلم أحد إلا أهل البیت فخرجت امرأته فاخبرت قومها فقالت إن فی بیت لوط رجلا ما رأیت مثل وجوههم قط فجاءه قومه یرعون الیه . وقوله (ومن قبل كانوا یعملون السیئات) . ای هذا مع ما ساف لهم من الذنوب العظيمة الكبيرة الكثيرة (قال یا قوم هؤلاء بناتی هن أطهر لكم) یرشدهم الی غشیان نساتهم وهن بناته شرعا لأن النبی للامة بمنزلة الوالد كما ورد فی الحدیث وكما قال تعالی (النبی أولى بالمؤمنین من أنفسهم وأزواجه امرأتهم وفی قول بعض الصحابة والسلف وهو أب لهم . وهذا كقوله (أتأتون الذکران من العالمین . وتذرون ما خلق لكم ربکم من أزواجکم بل أنتم قوم عادون) وهذا هو الذی نص علیه مجاهد وسعید بن جبیر والربیع بن انس وقتادة والسدی ومحمد ابن اسحق وهو الصواب . والقول الآخر خطأ مأخوذ من أهل الكتاب وقد تصحف علیهم كما أخطأوا فی قولهم إن الملائكة كانوا إثنين وانهم تعشوا عنده وقد خبط أهل الكتاب فی هذه القصة تخبیطا عظیما وقوله (فاتقوا الله ولا تمخزون فی ضیفی ألیس منكم رجل رشید) نهی لهم عن تعاطی مالا یلیق من الفاحشة وشهادة علیهم بأنه لیس فیهم رجل له مسكة ولا فیہ خیر بل الجمیع سفهاء . فجرة أقویاء . كفرة أغبیاء . وكان هذا من جملة ما أراد الملائكة أن یسمعو منه من قبل أن یسألوه عنه . فقال قومه علیهم لعنة الله الحمید الحمید . مجیین لنبیهم فیا أمرهم به من الأمر السدید (لقد علمت مالنا فی بناتك من حق وإنك لتعلم ما یرید) یقولون علیهم لعائن الله لقد علمت یالوط إنه لا أرب لنا فی نساتنا وانك لتعلم مرادنا وغرضنا . واجهوا بهذا الكلام القبیح رسولهم الکریم ولم یخافوا سطوة العظیم ذی العذاب الالیم . ولذا قال علیه السلام (لو أن لی بكم قوة أو آوی الی ركن شدید) ود أن لو كان له بهم قوة أو له منعة وعشيرة ینصرونه علیهم لیحل بهم ما یرتقون من العذاب علی هذا الخطاب * وقد قال الزهری عن سعید بن المسیب وأبی سلمة عن أبی هريرة مرفوعا (نحن أحق بالثك من ابراهیم وبرحم الله لوطا لقد كان یاوی الی ركن شدید ولو لبثت فی السجن ما لبث یوسف لأجبت الداعی) ورواه أبو الزناد عن الأعرج عن ابی هريرة * وقال محمد بن عمرو بن علقمة عن أبی سلمة عن أبی هريرة أن رسول الله (ص) قال رحمة الله علی لوط لقد كان یاوی الی ركن شدید یعنی الله عز وجل فما بعث الله بعده من نبی إلا فی ثروة من قومه . وقال تعالی (وجاء أهل المدینة یرتبشرون قال ان هؤلاء ضیفی فلا تفضحون . واتقوا الله ولا تمخزون . قالوا أو لم نهنك عن العالمین . قال هؤلاء بناتی ان كنتم فاعین) فامرهم بقربان نساتهم وحذرهم الاستمرار علی طریقتهن وسیاتهن هذا وهم فی ذلك لا یتهنون ولا یرعونون بل كلما لهم یراعونون فی تحصیل هؤلاء الضیفان ویرضون . ولم یملوا ما هم

به القدر مما هم اليه صآرون. وصبيحة ليثهم اليه منقلدون (١) ولهذا قال تعالى: تقسما بحياة نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه (لعمر ك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) وقال تعالى (ولقد أنذرهم بطشتنا فمأروا بالنذر . ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد أصبحهم بكرة عذاب مستقر) ذكر المفسرون وغيرهم أن نبي الله لوطا عليه السلام جعل يمانع قومه اللخول ويدافعهم والباب مغلق وهم يرومون فتحه وولوجه وهو يمشيهم وبيناهم من وراء الباب وكل ما لهم في الجاج والعاج فلما ضاق الأمر وعسر الحال قال * لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد لأحلت بكم النكال * قالت الملائكة (يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك) وذكروا أن جبريل عليه السلام خرج عليهم فضرب وجوههم خفقة بطرف جناحه فطمست أعينهم حتى قيل إنها غارت بالكفاية ولم يبق لها محل ولا عين ولا أثر فرجعوا يتجسسون مع الحيطان . ويتوعدون رسول الرحمن . ويقولون إذا كان الغد كان لنا وله شأن قال الله تعالى (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد أصبحهم بكرة عذاب مستقر) فذلك أن الملائكة تقدمت إلى لوط عليهم السلام أمرين له بان يسرى هو وأهله من آخر الليل ولا يلتفت منكم أحد يعني عند سماع صوت العذاب إذا حل بقومه وأمره أن يكون سيره في آخرهم كالساقة لهم * وقوله (إلا امرأتك) على قراءة النصب يحتمل أن يكون مستثنى من قوله فاسر باهلك كأنه يقول إلا امرأتك فلا تسر بها . ويحتمل أن يكون من قوله ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك أي فاتها ستلتفت فيصيبها ما أصابهم . ويقوى هذا الاحتمال قراءة الرفع ولكن الأول أظهر في المعنى والله أعلم *

قال السهيلي واسم امرأة لوط والهة واسم امرأة نوح والفة . وقالوا له مبشرين بهلاك هؤلاء البغاة العتاة الملعونين النظراء والاشباه الذين جعلهم الله سلفاً لكل خائن مريب (إن موعدم الصبح أليس الصبح قريب) فلما خرج لوط عليه السلام بأهله وهم ابنتاه ولم يتبعه منهم رجل واحد ويقال إن امرأته خرجت معه فأنه أعلم . فلما خلصوا من بلادهم وطلعت الشمس فكان عند شروقها جاءهم من أمر الله ما لا يرد . ومن البأس الشديد ما لا يمكن أن يصد * وعند أهل الكتاب أن الملائكة أمره أن يصد إلى رأس الجبل الذي هناك فاستبعده وسأل منهم أن يذهب إلى قرية قريبة منهم فقالوا اذهب فانا ننتظرك حتى تصير إليها وتستقر فيها ثم نحمل بهم العذاب فذكروا أنه ذهب إلى قرية صغر التي يقول الناس غور زغر فلما اشرفت الشمس نزل بهم العذاب قال الله تعالى (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين يعمدون) قالوا اقتلهم جبريل بطرف

(١) وفي النسخة الحلبية منقولون

جناحه من قرارهن وكن سبع مدن بمن فيهن من الامم فقالوا انهم كانوا اربع مائة نسمة . وقيل اربعة آلاف نسمة وما معهم من الحيوانات وما يتبع تلك المدن من الاراضي والاماكن والمعتملات فرجع الجميع حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة اصوات ديكهم ونباح كلابهم ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها قال مجاهد فكان اول ما سقط منها شرفاتها (وامطرتنا عليهم حجارة من سجيل) والسجيل فارسي معرب وهو الشديد الصلب القوي (منضود) أى يتبع بعضها بعضا في نزولها عليهم من السماء (مسومة) أى معلة مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذى يهبط عليه فيدمغه كما قال (مسومة عند ربك للسرفين) وكما قال تعالى (وامطرتنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين) وقال تعالى (والمؤتفة أهوى . فغشاها ماغشى) يعنى قلبها فأهوى بها منكسة عاليها سافلها وغشاها بمطر من حجارة من سجيل متتابعة مرقومة على كل حجر اسم صاحبه الذى سقط عليه من الحاضرين منهم في بلدهم والغائبين عنها من المسافرين والنازحين والشاذين منها * ويقال إن امرأة لوط مكثت مع قومها ويقال إنها خرجت مع زوجها وبناتها ولكنها لما سمعت الصيحة وسقوط البلدة والتفت الى قومها وخالفت امر ربها قديما وحديثا وقالت واقوماه فسقط عليها حجر فدهنها وألقها بقومها اذ كانت على دينهم وكانت عينا لهم على من يكون عند لوط من الضيفان كما قال تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) أى خانتاهما في الدين فلم يتبعاهما فيه . وليس المراد انهما كانتا على فاحشة حاشا وكلا ولما . فان الله لا يقدر على نبي أن تبغى امرأته كما قال ابن عباس وغيره من أئمة السلف والخلف ما بغت امرأة نبي قط * ومن قال خلاف هذا فقد اخطأ خطأ كبيرا . قال الله تعالى في قصة الإفك لما انزل براءة أم المؤمنين عائشة بنت الصديق زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لما أهل الافك ما قولوا فعاتب الله المؤمنين وانب وزجر ووعظ وحذر وقال فيما قال (اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلم ما يكون لنا أن تكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم) أى سبحانك أن تكون زوجة نبيك بهذه المثابة * وقوله هينا (وما هي من الظالمين ببعيد) أى وما هذه العقوبة ببعيدة ممن أشبههم في فعلهم . ولهذا ذهب من ذهب من العلماء إلى أن اللائط يرجم سواء كان محصنا أولا نص عليه الشافعي وأحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من الأئمة واحتجوا أيضا بما رواه الامام أحمد وأهل السنن من حديث عمرو بن أبى عمرو عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به) وذهب أبو حنيفة الى أن اللائط يلقي من شاقق جبل ويتبع بالحجارة كما فعل قوم لوط لقوله تعالى (وما هي من الظالمين ببعيد) . وجعل الله مكان تلك البلاد بحرة منتنة لا ينتفع بأهلها

ولا بما حولها من الاراضى المتاخمة لفنائها لردائها ودنائها فصارت عبرة ومثلة وعظة وآية على قدرة الله تعالى وعظمته وعزته فى انتقامه ممن خالف أمره وكذب رسله واتبع هواه وعصى مولاه . ودليلا على رحمته بعباده المؤمنين فى انجائه إياهم من المهلكات . واخراجه إياهم من النور الى الظلمات كما قال تعالى (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وان ربك هو العزيز الرحيم) وقال تعالى (فاخذتهم الصيحة مشرقين . فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل . إن فى ذلك لآيات للمتوسمين وإنها لبسبيل مقيم . ان فى ذلك لآية للمؤمنين) أى من نظر بعين الفراسة والتوسم فيهم كيف غير الله تلك البلاد وأهلها وكيف جعلها بعد ما كانت آهلة عامرة . هالكة غامرة . كما روى الترمذى وغيره مرفوعا (اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله) ثم قرأ (ان فى ذلك لآيات للمتوسمين) وقوله (وانها لبسبيل مقيم) أى لبطريق مهيع مسلوكة الى الآن كما قال (وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون) وقال تعالى (ولقد تركناها آية بينة لقوم يعقلون) وقال تعالى (فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) أى تركناها عبرة وعظة لمن خاف عذاب الآخرة وخشى الرحمن بالغيب وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فاتزجر عن محارم الله وترك معاصيه وخاف أن يشابه قوم لوط (ومن تشبه بقوم فهو منهم) وإن لم يكن من كل وجه فمن بعض الوجوه كما قال بعضهم فان لم تكونوا قوم لوط بعينهم فما قوم لوط منكم يبيد فالعاقلة اللبيب الخائف من ربه الفاهم يمثّل ما أمره الله به عزوجل ويقبل ما ارشده اليه رسول الله من إتيان ما خلق له من الزوجات الحلال . والجوارى من السرارى ذوات الجمال . وإياه أن يتبع كل شيطان مرید . فيحق عليه الوعيد . ويدخل فى قوله تعالى (وماهى من الظالمين يبيد)

قصة لوط بن قيس عليه السلام

قال الله تعالى فى سورة الاعراف بعد قصة قوم لوط (والى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من آله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فافوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين . ولا تقعدوا بكل صراط توعدون . وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثرتكم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين . وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . قال الملائكة الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا قال أو لو كنا كارهين . قد أفترينا على الله كذبا ان عدنا

في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها إلا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علماً .
 على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين . وقال الملائكة الذين كفروا من قومه
 لئن اتبعتم شعيباً إنكم اذا لخاسرون . فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين . الذين كذبوا شعيباً
 كأن لم يفتنوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين . فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات
 ربي وانصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين . وقال في سورة هود بعد قصة قوم لوط أيضاً .
 (والى مدين اخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني
 أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط . ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس
 أشياءهم ولا تشوا في الأرض مفسدين . بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين . وما أنا عليكم بمحفيظ .
 قالوا يا شعيب أصلوتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء . إنك لانت الحليم
 الرشيد . قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسناً وما أريد ان أخالفكم الى
 ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب .
 ويا قوم لا يجر منكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط
 منكم ببعيد . واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود . قالوا يا شعيب ما نقه كثيراً مما تقول وإنا
 لراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز . قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله
 واتخذتموه ورائكم ظهرياً إن ربي بما تعملون محيط . ويا قوم اعملوا على مكاتبتكم إني عامل سوف تعملون
 من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارقبوا إني معكم رقيب . ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين
 آمنوا معه برحمة منا وأخنت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين . كأن لم يفتنوا فيها إلا بعداً
 لمدين كما بدت ثمود . وقال في الحجر بعد قصة قوم لوط أيضاً . (وإن كان اصحاب الأيكة لظالمين
 فانقمنا منهم وانهم بالامام مبين) وقال تعالى في الشعراء بعد قصتهم (كذب أصحاب الأيكة المرسلين
 اذ قال لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن
 اجرى إلا على رب العالمين . اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالتسطاس المستقيم . ولا تبخسوا
 الناس أشياءهم ولا تشوا في الأرض مفسدين . واتقوا الله الذي خلقكم والجبلة الأولين . قالوا إنما أنت
 من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نفلتك لمن الكاذبين . فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت
 من الصادقين . قال ربي أعلم بما تعملون . فكذبوه فأخذهم عذاب يوم نظلة إنه كان عذاب يوم عظيم
 إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك هو العزيز الرحيم)
 كان أهل مدين قوما عربا يسكنون مدينتهم مدين التي هي قرية من أرض معان من أطراف الشام
 ما يلي ناحية الحجاز قريباً من بحيرة قوم لوط . وكانوا بدم بمدة قرية . ومدين قبيلة عرفت بهم القبيلة

وهم من بنى مدين بن مديان بن ابراهيم الخليل وشعيب بنهم هو ابن ميكيل (١) بن يشجن (٢) ذكره ابن اسحاق قال ويقال له بالسريانية بنزون (٣) وفي هذا نظر ويقال شعيب بن يشخر بن لاوى بن يعقوب ويقال شعيب بن نويب بن عيفا (٤) بن مدين بن ابراهيم ويقال شعيب بن ضيفور بن عيفا (٥) بن ثابت بن مدين بن ابراهيم وقيل غير ذلك في نسبه .

قال ابن عساكر ويقال جدته ويقال أمه بنت لوط وكان ممن آمن بابراهيم وهاجر معه ودخل معه دمشق وعن وهب ابن منبه أنه قال شعيب وملغم ممن آمن بابراهيم (٦) يوم أحرق بالنار وهاجرا معه الى الشام فزوجهما بنتى لوط عليه السلام . ذكره ابن قتيبة * وفي هذا كاه نظر أيضا والله أعلم .

وذكر أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة سلمة بن سعد العنزي قدم على رسول الله (ص) فأسلم وانتسب الى عنزة فقال نعم الحى عنزة مبنى عليهم منصورون قوم شعيب وأختان (٧) موسى فلو صح هذا لدل على أن شعيبا من موسى وأنه من قبيلة من العرب العاربة يقال لهم عنزة لا أنهم من عنزة ابن أسد بن ربيعة بن تزار بن معد بن عدنان فان هؤلاء بعده بدهر طويل والله أعلم .

وفي حديث أبي ذر الذي في صحيح ابن حبان في ذكر الأنبياء والرسل قال (أربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونيك يا أبا ذر) وكان بعض السلف يسمي شعيبا خطيب الأنبياء يعنى لفصاحته وعلو عبارته وبلاغته في دعاية قومه الى الايمان برسالته * وقد روى ابن اسحاق بن بشر عن جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال كان رسول الله (ص) اذا ذكر شعيبا قال (ذاك خطيب الأنبياء) وكان أهل مدين كفاراً يقطعون السبيل ويخيفون المارة ويعبدون الأيكة وهي شجرة من الأيك حولها غيضة ملتفة بها وكثرت من أسوء الناس معاملة يبخسون المكيال والميزان ويطففون فيهما يأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص فبعث الله فيهم رجلا منهم وهو رسول الله شعيب عليه السلام فدعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطي هذه الأفاعيل القبيحة من بخص الناس أشياءهم وإخافتهم لهم في سبلهم وطرقاتهم فآمن به بعضهم وكفر أكثرهم حتى أحل الله بهم البأس الشديد . وهو الولي الحميد . كما قال تعالى (وإلى مدين أخاهم شعيبا . قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) أى دلالة وحجة واضحة وبرهان قاطع على صدق ما جئتكم به وانه أرسلنى وهو ما أجرى الله على يديه من المعجزات التى لم تنقل اليها تفصيلا وان كان هذا اللفظ قد دل عليها إجمالا

(١) وفي الطبرى ميكائيل (٢) فى نسخة يشخر (٣) فى نسخة يثرون كما فى الطبرى (٤) فى الطبرى

عفا (٥) فى نسخة صيفور وفى الطبرى صيفون (٦) عبارة الطبرى وانما هو من ولد بعض من آمن بابراهيم وهاجر معه الى الشام (٧) قوله واختان موسى كذا بالأصول والذى فى الاستيعاب وأخبار موسى

(فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم) ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها (أمرهم بالعدل ونهاهم عن الظلم وتوعدهم على خلاف ذلك فقال (ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط) أى طريق (توعدون) أى تتوعدون الناس بأخذ أموالهم من مكوس وغير ذلك وتخيفون السبل * قال السدى فى تفسيره عن الصحابة (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) أنهم كانوا يأخذون العشور من أموال المارة * وقال اسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال كانوا قوما طفاة بناة يجلسون على الطريق (يبخسون الناس) يعنى يعشرونهم وكانوا أول من سن ذلك (وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا) فهام عن قطع الطريق الحسية الدنيوية والمعنوية الدينية (واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) ذكرهم بنعمة الله تعالى عليهم فى تكثيرهم بعد القلة وحذرهم قمة الله بهم إن خالفوا ما أرشدهم اليه ودلهم عليه كما قال لهم فى القصة الأخرى (ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيظ) أى لا تركبوا ما أنتم عليه وتستمروا فيه فيحق الله بركة ما فى أيديكم ويققركم ويذهب ما به يننكم وهذا مضاف إلى عذاب الآخرة ومن جمع له هذا وهذا فقد باء بالصفقة الخاسرة فهام أولا عن تعاطى ما يلبق من التطفيف وحذرهم سلب نعمة الله عليهم فى دنياهم وعذابه الأليم فى أخراهم وعنفهم أشد تعنيف . ثم قال لهم أمرا بعد ما كان عن ضده زاجرا (وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين بهيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ) قال ابن عباس والحسن البصرى (بهيت الله خير لكم) أى رزق الله خير لكم من أخذ أموال الناس * وقال ابن جرير ما فضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس بالتطفيف . قال وقد روى هذا عن ابن عباس وهذا الذى قاله وحكاه حسن وهو شبيه بقوله تعالى (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث) يعنى ان القليل من الحلال خير لكم من الكثير من الحرام فان الحلال مبارك وان قل والحرام محقوق وان كثر كما قال تعالى يحق الله الربا ويربى الصدقات وقال رسول الله (ص) (ان الربا وان كثر فان مصيره الى قل) رواه أحمد أى الى قلة وقال رسول الله (ص) البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فان صدقا وينا بورك لهما فى بيعها وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعها * والمقصود أن الربح الحلال مبارك فيه وان قل والحرام لا يجدى وان كثر ولهذا قال نبى الله شبيب (بهيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين) وقوله (وما أنا عليكم بحفيظ) أى افعلوا ما أمركم به ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه لا لأراكم انا وغيرى (قالوا يا شبيب أصلوتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى اموالنا ما نشاء انك لأنت الجليم الرشيد) يقولون هذا على سبيل الاستهزاء والتنقص والتهمك أصلوتك هذه التى تصلها هى الآمرة لك بأن نجبر علينا فلا نعبد الا إلهك

ونترك ما يعبد آباؤنا الأقدمون وأسلافنا الأولون أو أن لا تتعامل الا على الوجه الذي ترتضيه أنت
ونترك المعاملات التي تأبها وان كنا نحن نرضاها (انك لانت الحليم الرشيد) قال ابن عباس وميمون
ابن مهران وابن جريج وزيد بن اسلم وابن جرير يقولون ذلك اعداء الله على سبيل الاستهزاء (قال
يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انها كم عنه
ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه ائيب) هذا تطف معهم في
العبارة ودعوة لهم الى الحق باين اشارة يقول لهم ارايتم ايها المكذبون (ان كنت على بينة من ربي)
اى على امرين من الله تعالى انه ارسلنى اليكم (ورزقني منه رزقا حسنا) يعنى النبوة والرسالة يعنى
وعى عليكم معرفتهاى حيلة لى بكم . وهذا كما تقدم عن نوح عليه السلام انه قال لقومه سواء وقوله (وما
اريد ان اخالفكم الى ما انها كم عنه) اى لست امركم بالامر الا وانا اول فاعل له واذا نهيتكم عن الشئ
فانا اول من يتركه وهذه هى الصفة المحمودة العظيمة وضدها هى المردودة الذميمة كما تلبس بها علماء بنى
اسرائيل فى آخر زمانهم وخطباؤهم الجاهلون * قال الله تعالى (انا امرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون) وذكر عندها فى الصحيح عن رسول الله (ص) انه قال يؤتى
بالرجل فيلقى فى النار فتندلق اقطاب بطنه اى تخرج اعضاءه من بطنه فيدور بها كما يدور الحمار برحاه
فيجتمع اهل النار فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت امر
بالمعروف ولا آتبه وانهى عن المنكر وآتبه * وهذه صفة مخالفي الانبياء من الفجار والاشقياء فلما السادة
من النجباء والالباء من العلماء الذين يخشون ربهم بالغب فخالهم كما قال نبي الله شعيب (وما اريد ان
اخالفكم الى ما انها كم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت) اى ما اريد فى جميع امري الا الاصلاح
فى الفعال والمقال بجهدى وطاقتى (وما توفيقى) اى فى جميع احوالى (اى بالله عليه توكلت واليه
ائيب) اى عليه اتوكل فى سائر الامور واليه مرجعى ومصيرى فى كل امرى وهذا مقام ترغيب .
ثم انتقل الى نوع من الترهيب فقال (ويا قوم لا يجر منكم شقاقى ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح
او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم بعيد) اى لا تحمانكم مخالفتى وبفضكم ما جئتكم به على
الاستمرار على ضلالكم وجهلكم ومخالفتكم فيحل الله بكم من العذاب والنكال نظير ما احله بنظر ائمتكم
واشباهم من قوم نوح وقوم هود وقوم صالح من المكذبين المخالفين . وقوله (وما قوم لوط منكم
بعيد) قيل معناه فى الزمان اى ما بالمهد من قدم مما قد بلغكم ما احل بهم على كفرهم وعتوم * وقيل
معناه وما هم منكم بعيد فى المحلة والمكان . وقيل فى الصفات والافعال المستقبحة من قطع الطريق
واخذ اموال الناس جهرة وخفية بانواع الحيل والشبهات والجمع بين هذه الاقوال ممكن فانهم لم يكونوا
بعيدين منهم لا زمانا ولا مكانا ولا صفات ثم مزج الترهيب بالترغيب فقال (واستغفروا ربكم ثم توبوا

اليه إن ربي رحيم ودود) أى أقبلوا عما أنتم فيه وتوبوا إلى ربكم الرحيم الودود فانه من تلب اليه تلب عليه فانه رحيم بعباده أرحم بهم من الوالدة بولدها ودود وهو الحبيب ولو بعد التوبة على عبده ولو من المربقات العظام (قلوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا) روى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والثورى أنهم قالوا كان ضرير البصر * وقد روى فى حديث مرفوع أنه بكى من حب الله حتى عمى فرد الله عليه بعصره . وقال يا شعيب أتبكي خوفا من النار أو من شوقك الى الجنة فقال بل من محبتك فاذا نظرت اليك فلا أبالي ماذا يصنع بي فأوحى الله اليه هنيئا لك يا شعيب لقانى فلذلك أهدمتك موسى ابن عمران كليبي * رواه الواحدى عن أبي الفتح محمد بن على الكوفى عن على بن الحسن بن بندار عن أبى عبد الله محمد بن اسحق التريلى (١) عن هشام بن عمار عن اسمعيل بن عباس عن يحيى بن سعيد عن شداد بن أمين عن النبي (ص) بنحوه وهو غريب جداً وقد ضعفه الخطيب البغدادي * وقولهم (ولولا رهطك لرجناك وما أنت علينا بعزير) وهذا من كفرهم البليغ وعنادهم الشنيع حيث قالوا (ما نفقه كثيرا مما تقول) أى ما نفهمه ولا نتفقه لأننا لانجبه ولا نزيده وليس لنا همة اليه ولا إقبال عليه وهو كما قال كفار قريش لرسول الله (ص) (وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون) وقولهم (وانا لنراك فينا ضعيفا) أى مضطهداً مهجوراً (ولولا رهطك) أى قبيلتك وعشيرتك فينا (لرجناك وما أنت علينا بعزير) قال يا قوم ارهطى أعز عليكم من الله أى تخافون قبيلتى وعشيرتى وترعونى بسببهم ولا تخافون جنبه الله ولا ترعونى لانى رسول الله فصار رهطى أعز عليكم من الله (وانتخذتموه وراءكم ظهريا أى جانب الله وراء ظهوركم) (إن ربي بما تعملون محيط) أى هو عليم بما تعملونه وما تصنعونه محيط بذلك كله وسيجزىكم عليه يوم ترجعون اليه (ويا قوم اعلموا على مكاتبتكم انى عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب) وهذا أمر تهديد شديد ووعيد اكد بان يستمروا على طريقهم ومنهجهم وشاكلتهم فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار . ومن يحمل عليه الهلاك والبوار (من يأتيه عذاب يخزيه) أى فى هذه الحياة الدنيا (ويحمل عليه عذاب مقيم) أى فى الأخرى (ومن هو كاذب) أى منى ومنكم فيما اخبر وبشر وحذر (وارتقبوا انى معكم رقيب) وهذا كقوله (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . قال الملاء الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا قال أو لو كنا كارهين . قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علما على الله توكلنا ربنا افتح

(١) قوله التريلى وفى نسخة الرملى فليحرد . عن محمود الامام

بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) طلبوا بزعمهم أن يردوا من آمن منهم إلى ملتهم فاتصّب شعيب للمحاجة عن قومه فقال (أو لو كنا كارهين) أي هؤلاء لا يعودون اليكم اختياراً وإنما يعودون إليه إن عادوا اضطراباً مكرهين وذلك لأن الإيمان إذا خالطته بشاشة القلوب لا يسخطه أحد ولا يرتد أحد عنه ولا محيد لأخدمته. ولهذا قال (قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علماً على الله توكلنا) أي فهو كافينا وهو العاصم لنا وإليه ملجأؤنا في جميع أمرنا ثم استفتح على قومه واستنصر ربه عليه في تعجيل ما يستحقونه اليهم فقال (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين أي الحاكمين) فدعا عليهم والله لا يرد دعاء رسله إذا استنصروه على الذين جحدوه وكفروه ورسوله خالفوه. ومع هذا صموا على ما هم عليه مشتملون. وبه متلبسون (وقال الملاء الذين كفروا من قومه لئن اتبعت شعيباً إنكم إذا لخاسرون قال الله تعالى. فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين) ذكر في سورة الأعراف أنهم أخذتهم رجفة أي رجفت بهم أرضهم وزلزلت زلزلاً شديداً أزهدت أرواحهم من أجسادها وصيرت حيوانات أرضهم كجمادها وأصبحت جثهم جائية لا أرواح فيها ولا حركات بها ولا حواس لها * وقد جمع الله عليهم أنواعاً من العقوبات وصنوفاً من المثالب وأشكالا من البليات وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات سلط الله عليهم رجفة شديدة أسكنت الحركات وصيحة عظيمة أخذت الأصوات وظلة أرسل عليهم منها شرر النار من سائر أرجائها والجهات. ولكنه تعالى أخبر عنهم في كل سورة بما يناسب سياقها ويوافق طباقها في سباق قصة الأعراف أرجفوا نبي الله وأصحابه وتوعدوهم بالخراج من قريتهم أو ليعودن في ملتهم راجعين فقال تعالى (فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين) فقابل الأرجفاف بالرجفة والاختافة بالخيفة وهذا مناسب لهذا السياق ومتعلق بما تقدمه من السباق * وأما في سورة هود فذكر أنهم أخذتهم الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين وذلك لأنهم قالوا لنبي الله على سبيل التهكم والاستهزاء والتقصص (أصلوتك تأمرك أن تترك ما يعبد أبائنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء أنك لانت الحليم الرشيد) فناسب أن يذكر الصيحة التي هي كالزجر عن تعاطي هذا الكلام القبيح الذي واجهوا به هذا الرسول الكريم الأمين الفصيح فجاءتهم صيحة أسكتهم مع رجفة أسكتهم. وأما في سورة الشعراء فذكر أنه أخذهم عذاب يوم الظلة. وكان ذلك إجابة لما طلبوا. وتقرّيباً إلى ما إليه رغبوا. فاتهم قالوا (إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين. قال رب أعلم بما تعملون) قال الله تعالى (وهو السميع العليم فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) ومن زعم من المفسرين كفتادة وغيره أن أصحاب الأيكة أمة أخرى غير أهل مدين فقوله ضعيف وإنما

عدتهم شيثان أحدهما أنه قال (كذب أصحاب الأيكة المرسلين اذ قال لهم شعيب) ولم يقل أخوهم كما قال والى مدين أخاهم شعيبا . والثاني أنه ذكر عذابهم بيوم الظلة وذكر في أولئك الرجفة أو الصيحة والجواب عن الأول أنه لم يذكر الأخوة بعد قوله (كذب أصحاب الأيكة المرسلين) لانه وصفهم بعبادة الأيكة فلا يناسب ذكر الأخوة ههنا ولما نسبهم الى القبيلة شاع ذكر شعيب بأنه أخوهم * وهذا الفرو من النفائس اللطيفة العزيزة الشريفة * وأما احتجاجهم بيوم الظلة فان كان دليلا بمجرد على أن هؤلاء أمة أخرى فليكن تعداد الاتقام بالرجفة والصيحة دليلا على انهما أمتان أخريان وهذا لا يقوله أحد يفهم شيئا من هذا الشأن * فأما الحديث الذي أورده الحافظ ابن عساكر في ترجمة النبي شعيب عليه السلام من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن معاوية بن هشام عن هشام بن سعد عن شفيق بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً (إن مدين وأصحاب الأيكة أمتان بعث الله اليهما شعيبا النبي عليه السلام) فانه حديث غريب وفي رجاله من تكلم فيه * والأشبه أنه من كلام عبد الله بن عمرو مما أصابه يوم اليرموك من تلك الزامتين من أخبار بني اسرائيل والله أعلم * ثم قد ذكر الله عن أهل الأيكة من المذمة ما ذكره عن أهل مدين من التطفيف في المكيال والميزان فدل على أنهم أمة واحدة اهلكوا بأنواع من العذاب * وذكر في كل موضع ما يناسب من الخطاب . وقوله (فأخذهم عذاب يوم الظلة لانه كان عذاب يوم عظيم) ذكروا أنهم أصابهم - شديد وأسكن الله هبوب الهوا عنهم سبعة أيام فكان لا ينفعهم مع ذلك ماء ولا ظل ولا دخولهم في الاسراب فهربوا من محلهم الى البرية فآظلمهم سحابة فاجتمعوا تحتها ليستظلوا بظلمها فلما تكاملوا فيه أرسلها الله ترميهم بشرر وشهب ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة من السماء فازهقت الارواح وخربت الاشباح فاصبحوا في دارهم جائعين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين . ونجى الله شعيبا ومن معه من المؤمنين) كما قال تعالى وهو أصدق القائلين (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جائعين . كأن لم يغنوا فيها ألا بدأ مدین كما بدت ثمود) . وقال تعالى (وقال الملأ من قومه - لئن اتبعتم شعيبا إنكم اذا لخاسرون . فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جائعين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) وهذا في مقابلة قولهم (لئن اتبعتم شعيبا إنكم اذا لخاسرون) ثم ذكر تعالى عن نبيهم أنه نعام الى انفسهم موبخاً ومؤنباً ومقرعاً فقال تعالى (يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين) أى أعرض عنهم موليا عن محلهم بعد هلكتهم قائلاً (يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) أى قد أدبت ما كان واجباً على من البلاغ التام والنصح الكامل وحرصت على هدايتكم بكل ما أقدر عليه وأتوصل اليه فلم

ينتمكم ذلك لأن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين فلست أتأسف بعد هذا عليكم لأنكم لم تكونوا تقبلون النصيحة ولا تخافون يوم الفضيحة ولهذا قال فكيف آسى أى احزن على قوم كافرين أى لا تقبلون الحق ولا ترجعون اليه ولا تلتفتون اليه فخل بهم من بأس الله الذى لا يرد مالا بدافع ولا يمانع ولا محيد لاحد أريد به عنه ولا مناص منه *

وقد ذكر الحافظ بن عساكر فى تزيينه عن ابن عباس أن شعيبا عليه السلام كان بعد يوسف عليه السلام . وعن وهب بن منبه أن شعيبا عليه السلام مات بمكة ومن معه من المؤمنين وقبورهم عربى الكعبة بين دار الندوة ودار بنى سهم

باب ذرية إبراهيم

قد قدمنا قصته مع قومه وما كان من أمرهم وما آل اليه امره عليه السلام والتحية والأكرام وذكرنا ما وقع فى زمانه من قصة قوم لوط . وأتبعنا ذلك بقصة مدين قوم شعيب عليه السلام لأنها قرينتها فى كتاب الله عز وجل فى مواضع متعددة فذكر تعالى بعد قصة قوم لوط قصة مدين وهم أصحاب الأيكة على الصحيح كما قدمنا فذكرناها تبعاً لها إقتداء بالقرآن العظيم * ثم نشرع الآن فى الكلام على تفصيل ذرية إبراهيم عليه السلام لأن الله جل فى ذريته النبوة والكتاب فكل نبى أرسل بعده فمن ولده *

إسماعيل عليه السلام

وقد كان للخليل بنون كما ذكرنا ولكن أشهرهم الأخوان النبيان العظيمان الرسولان أسنهما وأجلهما الذى هو الذبيح على الصحيح اسماعيل بكر إبراهيم الخليل من هاجر القبطية المصرية عليها السلام من العظيم الجليل * ومن قال إن الذبيح هو اسحق فأنما تلقاه من قهلة بنى اسرائيل الذين بدلوا وحرفوا وأولوا التوراة والانجيل وخالفوا ما بأيديهم فى هذا من التنزيل * فان إبراهيم أمر بذبح ولده البكر * وفى رواية الوحيد وأياما كُنْ فهو اسماعيل بنص الدليل فى نص كتابهم إن اسماعيل ولد لإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة * وإنما ولد اسحق بعد مضى مائة سنة من عمر الخليل فاسماعيل هو البكر لا محالة وهو الوحيد صورة ومعنى على كل حال * أما فى الصورة فلانه كان وحده ولده أزيد من ثلاثة عشر سنة وأما أنه وحيد فى المعنى فانه هو الذى هاجر به أبوه ومعه أمه هاجر وكان صغيراً رضيعاً فيما قيل فوضعها فى وهاد جبال فاران وهى الجبال التى حول مكة نعم المقيم وتركها هناك ليس معها من الزاد والماء الا القليل وذلك ثقة بالله وتوكلا عليه . فحاطها الله تعالى بمنايته وكفايته فنعم الحبيب والكافى والوكيل

والكفيل فهذا هو الولد الوحيد في الصورة والمعنى ولكن أين من يتفطن لهذا السرواين من يحل
 هذا المحل والمعنى لا يدركه ويحيط بعلمه الا كل نبيه نبيل * وقد أثنى الله تعالى عليه ووصفه بالحلم
 والصبر وصدق الوعد والمحافظة على الصلاة والأمر بها لأهله ليقبهم العذاب مع ما كان يدعو اليه
 من عبادة رب الأرباب * قال تعالى (فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام
 اني أذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) فطاوع أباه
 على ما اليه دعاه . ووعد به بان سيصبر فوفى بذلك وصبر على ذلك . وقال تعالى (واذكر في الكتاب
 اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا)
 وقال تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار . إنا أخلصناهم بخالصة
 ذكري الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار . واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار)
 وقال تعالى (واسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين)
 وقال تعالى (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق
 ويعقوب والاسباط) الآية . وقال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل اليه وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل
 واسحاق ويعقوب والاسباط) الآية . ونظيرتها من السورة الأخرى . وقال تعالى (أم يقولون إن
 ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله) الآية
 فذكر الله عنه كل صفة جميلة وجعله نبيه ورسوله وبرأه من كل مانسب اليه الجاهلون . وأمر بأن يؤمن
 بما أنزل عليه عباده المؤمنون . وذكر علماء النسب وإيام الناس أنه أول من ركب الخيل وكانت قبل
 ذلك وحوشاً فانسأ وركبها . وقد قال سعيد بن يحيى الأموي في مغازيه حدثنا شيخ من قريش حدثنا
 عبد الملك بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر أن رسول الله (ص) قال (اتخذوا الخيل واعتبقوها
 فانها مراث أياكم اسماعيل) وكانت هذه العراب وحشا فدعا لها بدعوته التي كان أعطى فاجابته وإنه
 أول من تكلم بالعربية الفصيحة البلديفة * وكان قد تعلمها من العرب العاربة الذين نزلوا عندهم بمكة من
 جرهم والماليق وأهل اليمن من الأمم المتقدمين من العرب قبل الخليل .

قال الاموي حدثني علي بن المغيرة حدثنا أبو عبيدة حدثنا مسعم بن مالك عن محمد بن علي ابن
 الحسين عن آبائه عن النبي (ص) أنه قال « أول من فتح لسانه بالعربية البينة اسماعيل وهو ابن أربع
 عشرة سنة » فقال له يونس صدقت يا أبا سيار هكذا أبو جري حدثني . وقد قدمنا أنه تزوج اشب
 من الماليق امرأة وأن أباه أمره بفراقها ففارقها * قال الاموي هي عمارة بنت سعد بن أسامة بن أكيل
 الماليق * ثم نكح غيرها فامرته أن يستمر بها فاستمر بها وهي السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي

وقيل هذه ثلاثة فولدت له اثني عشر ولدا ذكرا . وقد سماهم محمد بن اسحق رحمه الله وهم نابت وقيدر (١) وازبل وميشي ومسمع وماش ودوصا وارر ويطور ونش وطيا وقيدما * وهكذا كرم أهل الكتاب في كتابهم . وعندهم أنهم الاثنا عشر عظاما المبشر بهم المتقدم ذكرا . وكذبوا في تأويلهم ذلك وكان اسماعيل عليه السلام رسولا الى أهل تلك الناحية وما والاها من قبائل جرم والعماليق وأهل اليمز صلوات الله وسلامه عليه * ولما حضرته الوفاة أوصى الى أخيه اسحق وزوج ابنته نسبة من ابن أخيه العيص بن اسحق فولدت له الروم . ويقال لهم بنو الاصفر لصفرة كانت في العيص * وولدت له اليونان في أحد الاقوال * ومن ولد العيص الاشبان قيل منهما ايضا * وتوقف ابن جرير رحمه الله .

ودفن اسماعيل نبي الله بالحجر مع أمه هاجر وكان عمره يوم مات مائة وسبعا وثلاثين سنة * وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال شكى اسماعيل عليه السلام الى ربه عز وجل حر مكة فأوحى الله اليه آتى سافح لك بابا الى الجنة الى الموضع الذي تدفن فيه تجرى عليك روحها الى يوم القيامة .

وعرب الحجاز كلهم ينتسبون الى ولديه نابت وقيدار * وسنتكلم على أحياء العرب وبطونها وعماثرها وقبائلها وعماثرها من لدن اسماعيل عليه السلام الى زمان رسول الله (ص) * وذلك اذا انتهينا الى أيامه الشريفة وسيرته المنيفة بعد الفراغ من أخبار انبياء بني اسرائيل الى زمان

عيسى بن مريم خاتم انبيائهم ومحقق أنبيائهم * ثم نذكر ما كان في زمن بني اسرائيل * ثم ما وقع في أيام الجاهلية ثم ينتهي الكلام الى سيرة نبينا رسول الله الى العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم من الأمم إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم العزيز الحكيم

اسحاق بن ابراهيم عليه الصلوة والسلام

قد قدمنا أنه ولد ولأبيه مائة سنة بعد أخيه اسماعيل باربع عشر سنة . وكان عمر أمه سارة حين بشرت به تسعين سنة قال الله تعالى (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) * وقد ذكره الله تعالى بالثناء عليه في غير ما آية من كتابه العزيز * وقد منا في حديث أبي هريرة عن رسول الله (ص) أن الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم

(١) قوله قيدر في نسخة قيدار وقوله وميشي وفي نسخة منبسي قوله وارر في نسخة وادر وفي

أخرى وازر قوله ويطور في نسخة ورتور قوله وطيا في نسخة وطيا

يوسف بن يعقوب بن سحوق بن ابراهيم . وذكر أهل الكتاب أن اسحق لما تزوج رقعا بنت بنو ايل في حيات أبيه كان عمره أربعين سنة وأنها كانت عاقراً فدعا الله لها فحملت فولدت غلامين توأمين أولهما سموه عيصو وهو الذي تسميه العرب العيص وهو والد الروم * والثاني خرج وهو أخذ بعقب أخيه فسموه يعقوب وهو اسرائيل الذي ينتسب إليه بنو اسرائيل قالوا وكان اسحق يحب العيصوا أكثر من يعقوب لانه بكره وكانت أمهما رقعا تحب يعقوب أكثر لأنه الأصغر قالوا فلما كبر اسحق وضعف بصره انتهى على ابنه العيص طعاما وأمره أن يذهب فيصطاد له صيداً ويطبخه له ليبارك عليه ويدعو له وكان العيص صاحب صيد فذهب ينتقى ذلك فأمرت رقعا ابناً يعقوب أن يذبح جديين من خيار غنمه ويصنع منهما طعاما كما اشتهاه أبوه ويأتي إليه به قبل أخيه ليدعو له فقامت فألبسته ثياب أخيه وجعلت على ذراعيه وعنقه من جلد الجديين لأن العيص كان أشعر الجسد ويعقوب ليس كذلك فلما جاء به وقربه إليه قال من أنت قال ولدك فضمه إليه وجسه وجعل يقول أما الصوت فصوت يعقوب وأما الجس والثياب فالعيص فلما أكل وفرغ دعا له أن يكون أكبر إخوته قدراً وكنيته عليهم وعلى الشعوب بعده وأن يكثر رزقه وولده *

فلما خرج من عنده جاء أخوه العيص بما أمره به والده فقربه إليه فقال له ما هذا يا بني قال هذا الطعام الذي اشتيته فقال أما جئتني به قبل الساعة وأكثت منه ودعوت لك فقال لا والله وعرف أن أخاه قد سبقه إلى ذلك فوجد في نفسه عليه وجداً كثيراً . وذكروا أنه تواعده بالقتل إذا مات أبوها وسأل أباه فدعا له بدعوة أخرى وأن يجعل لذريته غليظ الأرض وأن يكثر أرزاقهم وثماهم فلما سمعت أمهما ما يتواعد به العيص أخاه يعقوب أمرت ابناً يعقوب أن يذهب إلى أخيها لابان الذي بأرض حران وأن يكون عنده إلى حين يسكن غضب أخيه عليه وأن يتزوج من بناته . وقالت لزوجها اسحق أن يأمره بذلك ويوصيه ويدعو له ففعل فخرج يعقوب عليه السلام من عندهم من آخر ذلك اليوم فأدركه المساء في موضع فنام فيه أخذ حجراً فوضعه تحت رأسه ونام فرأى في نومه ذلك معراجاً منصوباً من السماء إلى الأرض وإذا الملائكة يصعدون فيه وينزلون والرب تبارك وتعالى يخاطبه ويقول له إني سأبارك عليك وأكثر ذريتك واجعل لك هذه الأرض ولعقبك من بعدك . فلما هب من نومه فرح بما رأى ونذر الله لأن يرجع إلى أهله سالماً لينبئ في هذا الموضع معبد الله عز وجل وأن جميع ما يرزقه من شيء يكون لله عشره ثم عمد إلى ذلك الحجر فجعل عليه دهناً يتعرفه به وسمى ذلك الموضع بيت إيل أي بيت الله وهو موضع بيت المقدس اليوم الذي بناه يعقوب بعد ذلك كما سيأتي قالوا فلما قدم يعقوب على خاله أرض حران إذا له ابنتان اسم الكبرى ليا واسم الصغرى راحيل وكانت أحسنهما وأجملها فاجابه إلى ذلك بشرط أن رعى على غنمه سبع سنين فلما مضت المدة على خاله لابان صنع طعاماً وجمع الناس عليه وزف إليه ليلا

ابنته الكبرى ليا وكانت ضيفة المينين قبيحة المنظر . فلما أصبح يعقوب اذا هي ليا فقال لخاله لم غنرت بي وانت انما خطبت اليك راحيل فقال إنه ليس من سنتنا أن نزوج الصغرى قبل الكبرى فان احببت اختم افعل سبع سنين أخرى وازوجكها فعمل سبع سنين وادخلها عليه مع أختها وكان ذلك سائغا في ملتهم ثم نسخ في شريعة التوراة * وهذا وحده دليل كاف على وقوع النسخ لان فعل يعقوب عليه السلام دليل على جواز هذا وابطاحه لأنه معصوم * ووهب لابان لكل واحدة من ابنتيه جارية فوهب لليا جارية اسمها زلفى ووهب لراحيل جارية اسمها بلهى * وجبر الله تعالى ضعف ليا بان وهب لها أولاداً فكان أول من ولدت ليعقوب روييل ثم شمعون ثم لاوى ثم يهوذا ففارت عند ذلك راحيل وكانت لا تحبل فوهبت ليعقوب جاريته بلهى فوطها فحملت وولدت له غلاماً سمته دان وحملت وولدت غلاماً آخر سمته نفتالى فصدت عند ذلك ليا فوهبت جاريته زلفى من يعقوب عليه السلام فولدت له جاد (١) وأشير غلامين ذكرين ثم حملت ليا أيضاً فولدت غلاماً خامساً منها وسمته ايساخر (٢) * ثم حملت وولدت غلاماً سادساً سمته زابلون ثم حملت وولدت بنتاً سمته دينا فصار لها سبعة من يعقوب * ثم دعت الله تعالى راحيل وسألته أن يهب لها غلاماً من يعقوب فسمع الله نداءها وأجاب دعائها فحملت من نبي الله يعقوب فولدت له غلاماً عظيماً شريفاً حسناً جميلاً سمته يوسف كل هذا وهم مقيمون بارض حاران (٣) وهو يرعى على خاله غنمه بعد دخوله على البنين ست سنين أخرى فصار مدة مقامه عشرين سنة فطلب يعقوب من خاله لابان أن يسرحه ليرى إلى أهله فقال له خاله انى قد بورك لى بسبيك فسلنى من مالى ما شئت فقال تعطينى كل حمل يولد من غنمك هذه السنة أبقع وكل حمل ملمع أبيض بسواد وكل أملح بيباض وكل أجلح أبيض من المعز فقال نعم فعند بنوه فابرزوا من غم أبيهم ما كان على هذه الصفات من التيوس لثلا يولد شئ من الحملان على هذه الصفات وساروا بها مسيرة ثلاثة أيام عن غم أبيهم قالوا فعند يعقوب عليه السلام إلى قضبان رطبة بيض من لوز وولب فكان يقشرها بلقا وينصبها فى مساقى الغنم من المياه لينظر الغنم اليها فتفرع وتتحرك أولادها فى بطونها فتصير ألوان حملانها كذلك وهذا يكون من باب خوارق العادات ويتنظم فى سلك المعجزات فصار ليعقوب عليه السلام أغنام كثيرة ودواب وعبيد وتغير له وجه خاله وبنيه وكانهم انحصروا منه وأوحى الله تعالى الى يعقوب أن يرجع الى بلاد أبيه وقومه ووعدته بأن يكون معه فعرض ذلك على أهله فاجابوه مبادرين الى طاعته فتحمل بأهله وماله وسرقت راحيل أصنام أبيها فلما جاوزوا وتجزوا عن بلادهم لحقهم لابان وقومه فلما اجتمع لابان بيعقوب عاتبه فى خروجه بغير علمه وهلا أعله فيخرجهم فى فرح ومزاهر وطبول وحتى يودع بناته وأولادهن ولم أخذوا أصنامه معهم ولم يكن عند

(١) فى النسخة الحلبية حاذ (٢) فى نسخة انساخر (٣) فى الطبرى بارض بابل

يعقوب علم من أصنامه فانكر أن يكون أخذوا له اصناما فدخل بيوت بناته وامأتهن يفتش فلم يجد شيئا وكانت راحيل قد جعلتهن في بردعة الحمل وهي تحنها فلم تقم وأعتذرت بأنها طامث فلم يقدر عليهن فعند ذلك تواتروا على رابية هناك يقال لما جلعاد على أنه لا يهبن بناته ولا يتزوج عليهن ولا يجاوز هذه الرابية الى بلاد الآخر لا لابان ولا يعقوب وعملا طعاما وأكل القوم معهم وتودع كل منهما من الآخر وتفارقوا راجعين الى بلادهم فلما اقترب يعقوب من أرض ساعير تلقته الملائكة يبشرونه بالتقدم وبعث يعقوب البرد الى أخيه العيصو يترفق له ويتواضع له فرجعت البرد وأخبرت يعقوب بان العيص قد ركب اليك في أربعائة راجل فخشي يعقوب من ذلك ودعا الله عز وجل وصلى له وتضرع اليه وتمسكن لديه وناشده عهده ووعدده الذي وعده به وسأله أن يكف عنه شر أخيه العيص وأعد لآخيه هدية عظيمة وهي مائتا شاة وعشرون تيساً ومائتا نعجة وعشرون كبشا وثلاثون لقحة وأربعون بقرة وعشرة من الثيران وعشرون أتاناً وعشرة من الحمر وأمر عبيده أن يسوقوا كلا من هذه الأصناف وحده وليكن بين كل قطيع وقطيع مسافة فإذا لقيهم العيص فقال للأول لمن أنت ولمن هذه معك فليقل لبيدك يعقوب أهداها لسيدى العيص وليقل الذي بعده كذلك وكذا الذي بعده ويقول كل منهم وهو جأى بعدنا وتأخر يعقوب بزوجتيه وأمتيه وبنيه الأحد عشر بعد الكل بليتين وجعل يسير فيهما ليلاً ويكن نهاراً فلما كان وقت الفجر من الليلة الثانية تبدا له ملك من الملائكة في صورة رجل فظنه يعقوب رجلاً من الناس فأتاه يعقوب ليصارعه ويغالبه فظهر عليه يعقوب فيما يرى إلا أن الملك أصاب وركه فخرج يعقوب فلما أضاء الفجر قال له الملك ما اسمك قال يعقوب قال لا ينبغي أن تدعى بعد اليوم إلا اسراييل فقال له يعقوب ومن أنت وما اسمك فذهب عنه فعلم أنه ملك من الملائكة وأصبح يعقوب وهو يمرج من رجاء فلذلك لا يأكل بنوا اسراييل عرق النساء ورفع يعقوب عينيه فإذا أخوه عيصو قد أقبل في أربعائة راجل فتقدم أمام أهله فلما رأى أخاه العيص سجد له سبع مرات وكانت هذه تحيتهم في ذلك الزمان وكان مشروعا لهم كما سجدت الملائكة لآدم تحية له وكما سجد أخوه يوسف وأبواه له كما سيأتي فلما رآه العيص تقدم اليه وأحتضنه وقبله وبكى ورفع العيص عينيه ونظر الى النساء والصبيان فقال من أين لك هؤلاء فقال هؤلاء الذين وهب الله لبيدك فدنت الأمتان وبنوها فسجدوا له ودنت لياو بنوها فسجدوا له ودنت راحيل وابنها يوسف فخراً سجداً له وعرض عليه أن يقبل هديته وألح عليه قبلها ورجع العيص فتقدم أمامه ولحقه يعقوب باهله وما معه من الانعام والمواشي والعبيد قاصدين جبال ساعير فلما مر بساحور ابنتى له يتا ولدوا به ظلالاً ثم مر على أورشليم قرية شخيم فنزل قبل القرية واشترى مزرعة شخيم بن حمور بمائة نسيجة فحضر هناك فسطاطه وابنتى ثم مذبجا فسماه إيل إله اسراييل وأمر الله بينائه ليستعلن له فيه وهو بيت المقدس اليوم الذى جدده بعد ذلك سليمان بن داود عليهما

السلام وهو مكان الصخرة التي أعلمها بوضع الدهن عليها قبل ذلك كما ذكرنا أولاً
 وذكر أهل الكتاب هنا قصة دينا بنت يعقوب بنت ليا وما كان من أمرها مع شخيم بن جمور
 الذي قهرها على نفسها وأدخلها منزله ثم خطبها عن أبيها وأخوتها فقال إخوتها إلا أن تختنوا كلكم
 فنصاهرهم وتصاهرونا فانا لا نصاهر قومًا غلغلا فأجابوهم إلى ذلك واختنوا كلهم فلما كان اليوم الثالث
 واشتد وجهم من ألم الختان مال عليهم بنوا يعقوب فقتلوا شخيم وأباه جمور لقبيح
 ما صنعوا إليهم مضافاً إلى كفرهم وما كانوا يعبدونه من أصنامهم فلهذا قتلهم بنوا يعقوب وأخذوا
 أموالهم غنيمة *

ثم حملت راحيل فولدت غلاماً وهو بنيامين إلا أنها جهدت في طلقها به جهداً شديداً وماتت عقبه
 فدقها يعقوب في أفرات وهي بيت لحم وصنع يعقوب على قبرها حجراً وهي الحجازة المعروفة بقبر راحيل
 إلى اليوم * وكان أولاد يعقوب الذكور اثني عشر رجلاً فمن ليا روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا
 وايساخر وزايلون ومن راحيل يوسف وبنيامين ومن أمة راحيل دان ونفالي
 ومن أمة ليا احاد واشير عليهم السلام وجاء يعقوب إلى أبيه اسحاق فاقام عنده
 بقرية حبرون التي في أرض كنعان حيث كان يسكن ابراهيم ثم مرض
 اسحاق ومات عن مائة وثمانين سنة ودفنه ابنه العيص ويعقوب
 مع أبيه ابراهيم الخليل في المقبرة التي اشتراها كما قدمنا

ما وقع من اللذات العجيبة في حياة اسرئيل

فمن ذلك قصة يوسف بن راحيل وقد أنزل الله عز وجل في شأنه وما كان من أمره سورة من
 القرآن العظيم ليتدبر ما فيها من الحكم والمواعظ والآداب والأمر الحكيم . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
 (بسم الله الرحمن الرحيم الرآئك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . نحن
 نخص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) قد تكلمنا
 على الحروف المقطعة في أول تفسير سورة البقرة فمن أراد تحقيقه فلينظره ثم * وتكلمنا على هذه
 لسورة مستقصى في موضعها من التفسير ونحن نذكر هنا نبذاً مما هناك على وجه الإيجاز والنجاز *
 وجملة القول في هذا المقام أنه تعالى يمدح كتابه العظيم الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم
 بلسان عربي فصيح بين واضح جلي يفهمه كل عاقل ذكي زكي فهو أشرف كتاب نزل من السماء أنزله
 أشرف الملائكة على أشرف الخلق في أشرف زمان ومكان . بأفصح لغة وأظهر بيان . فان كان السياق
 في الاخبار الماضية أو الآتية ذكر أحسنها وأبينها وأظهر الحق مما اختلف الناس فيه ودمغ الباطل وزيفه

ورده وإن كان في الأوامر والنواهي فاعدل الشرائع وأوضح المناهج وأبين حكماً وأعدل حكماً فهو كما قال تعالى (وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا) . يعني صدقا في الأخبار عدلا في الأوامر والنواهي ولهذا قال تعالى (نحن نحص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) أي بالنسبة إلى ما أوحى إليك فيه كما قال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) . وقال تعالى (كذلك نحص عليك من أنباء ما قد سبق . وقد آتيناك من لدنا ذكرا . من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا . خالدن فيه وساء لهم يوم القيامة حملا) . يعني من أعرض عن هذا القرآن واتبع غيره من الكتب فإنه يناله هذا الوعيد كما قال في الحديث المروي في المسند والترمذي عن أمير المؤمنين علي مرفوعا وموقوفا (من ابتغى الهدى في غيره أضله الله) . وقال الامام أحمد حدثنا سريج بن النعمان حدثنا هشام أنبأنا خالد عن الشعبي عن جابر (أن عمر بن الخطاب أتى النبي ص . بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ص . قال فمضب وقال أتتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء هية لا تسألوه عن شيء فيخبرونكم بحق فتكذبونه أو يبطل فتصدقونه والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني) اسناد صحيح . ورواه أحمد من وجه آخر عن عمرو فيه فقال رسول الله ص . (والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم انبعتموه وتركتموني لضلتم) إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين) وقد أوردت طرق هذا الحديث وألفاظه في أول سورة يوسف . وفي بعضها أن رسول الله ص . خطب الناس فقال في خطبته (أيها الناس إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه واختصر لي اختصارا ولقد أتيتكم بها بيضاء هية فلا تهوكونا ولا يفرنكم المهوكون . ثم أمر بتلك الصحيفة فمحيت حرفا حرفا) اذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين . قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للانسان عدو مبين . وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم) قد قدمنا أن يعقوب كان له من البنين اثنا عشر ولدا ذكرا وسميئاهم واليهم تنسب أسباط بني اسرائيل كلهم وكان أشرفهم وأجلهم وأعظمهم يوسف عليه السلام وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أنه لم يكن فيهم نبي غيره وباقي إخوته لم يوح اليهم . وظاهر ما ذكر من فعالهم ومقالمهم في هذه القصة يدل على هذا القول * ومن استدلل على نبوتهم بقوله (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط) وزعم أن هؤلاء هم الأسباط فليس استدلاله بقوى

لأن المراد بالأسياب شعوب بني إسرائيل وما كان يوجد فيهم من الأنبياء الذين ينزل عليهم الوحي من السماء والله أعلم *

ومما يؤيد أن يوسف عليه السلام هو المختص من بين إخوته بالرسالة والنبوة أنه نص على واحد من إخوته سواء فدل على ما ذكرناه ويستأنس لهذا بما قال الامام أحمد (حدثنا) عبد الصمد حدثنا عبد الرحمن عن عبد الله بن دينار عن أبيه عن عمر أن رسول الله (ص) قال الكريم بن الكريم ابن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم « افرد به البخاري » فرواه عن عبد الله ابن محمد وعبد بن عبد الصمد بن عبد الوارث به * وقد ذكرنا طرقه في قصة ابراهيم بما أغنى عن اعادته ههنا والله الحمد والمثني * قال المفسرون وغيرهم رأى يوسف عليه السلام وهو صغير قبل أن يحتلم كان (أحد عشر كوكبا) وهم اشارة الى بقية اخوته (والشمس والقمر) وهما عبارة عن أبويه قد سجدوا له فهاله ذلك فلما استيقظ قصها على أبيه فصرف أبوه أنه سينال منزلة عالية ورفعة عظيمة في الدنيا والآخرة بحيث يخضع له أبواه واخوته فيها فأمره بكتانها وأن لا يقصها على إخوته كيلا يحسدوه ويفغوا له الفوائل ويكيدوه باتواع الحيل والمكر وهذا يدل على ما ذكرناه * ولهذا جاء في بعض الآثار (استعينوا على قضاء حوائجكم بكتانها فان كل ذي نعمة محسود) ، وعند أهل الكتاب أنه قصها على أبيه واخوته معاً وهو غلط منهم (وكذلك يجتبيك ربك) أي وكما أراك هذه الرؤيا العظيمة فاذا كتمتها (يجتبيك ربك) أي يخلصك بانواع اللطف والرحمة (ويعلمك من تأويل الأحاديث) أي يفهمك من معاني الكلام وتعبير المنام مالا يفهمه غيرك (ويتم نعمته عليك) أي بالوحي اليك (وعلى آل يعقوب) أي بسببك ويحصل لهم بك خير الدنيا والآخرة (كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق) أي ينعم عليك ويحسن اليك بالنبوة كما أعطاهما أباك يعقوب وجدك اسحق ووالد جدك ابراهيم الخليل (إن ربك عليم حكيم كما قال تعالى) (الله أعلم حيث يجعل رسالته) *

لهذا قال رسول الله (ص) لما سئل أي الناس أكرم قال (يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله) وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما وأبو يعلى والبزار في مسنديهما من حديث الحكم بن ظهير وقد ضمنه الأئمة عن السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر قال (أتى النبي (ص) رجل من اليهود يقال له بستانة اليهودي فقال يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف أنها ساجدة له ما أساؤها . قال فسكت النبي (ص) فلم يجبه بشئ ونزل جبريل عليه السلام باسمها قال فبعث اليه رسول الله فقال هل أنت مؤمن إن أخبرتك باسمها قال نعم فقال هي جريان (١) والطارق . والديال وذو الكتفان . وقابس . ووئلب . وعمردان (٢) والفيلق . والمصبح . والضروح . وذو الفرع .

(١) في نسخة خرثان (٢) وفي نسخة عمودان .

والضياء . والنور) فقال اليهودى اى والله انها لاساؤها . وعند ابي يعلى فلما قصها على ابيه قال هذا امر مشئت يجمعه الله والشمس ابوه والقمر امة . (لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين . اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى اينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين . اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين . قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين)

ينبه تعالى على ما في هذه القصة من الآيات والحكم والدلالات والمواعظ والبيانات . ثم ذكر حسد اخوة يوسف له على محبة ابيه له ولاخيه يعنون شقيقه لآمه بدياهين اكثر منهم وهم عصبة اى جماعة يقولون فكنا نحن احق بالمحبة من هذين (ان ابانا لفي ضلال مبين) اى بتقديمه جبهما علينا * ثم اشتدوا فيما بينهم في قتل يوسف او ابعاده الى ارض لا يرجع منها ليخلو لهم وجه ابيهم اى لتمحض محبته لهم وتتوفر عليهم واضمروا التوبة بعد ذلك فلما تماثلوا على ذلك وتوافقوا عليه (قال قائل منهم) قال مجاهد هو شمعون * وقال السدى هو يهودا * وقال قتادة ومحمد بن اسحق هو اكبرهم روبيل (لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة) اى المارة من المسافرين (ان كنتم فاعلين) ماتقولون لا محالة فليكن هذا الذى اقول لكم فهو اقرب حالا من قتله او نفيه وتفريه فاجمعوا رأيهم على هذا فعند ذلك قالوا يا ابانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون . قال ابنى ليحزنتنى ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون . قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون) طلبوا من ابيهم ان يرسل معهم اخاهم يوسف واظهروا له انهم يريدون ان يرعى معهم وان يلعب وينبسط وقد اضرروا له ما الله به عايم فاجابهم الشيخ عليه من الله افضل الصلاة والتسليم . يا بنى يشق على ان افارقه ساعة من النهار ومع هذا اخشى ان تشتغلوا في لعبكم وما انتم فيه فياى الذئب فيا اكله ولا يقدر على ذفنه عنه لصغره وغفلتكم عنه . (قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون) اى لئن عدا عليه الذئب فا اكله من بيننا او اشتغلنا عنه حتى وقع هذا ونحن جماعة انا اذا لخاسرون اى عاجزون هالكون .

وعند اهل الكتاب انه ارسله وراهم يتبعهم فضل عن الطريق حتى ارشده رجل اليهم . وهذا ايضا من غلظهم وخطئهم في التعريب فان يعقوب عليه السلام كان احرص عليه من ان يبعثه معهم فكيف يبعثه وحده (فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجملوه في غيابة الجب واوحينا اليه لننبئهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون و جاؤا اباهم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فا اكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين . و جاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل . والله المستعان على ما تصفون) لم يزالوا بابيهم حتى بعثه معهم فما كان الا ان غابوا عن

عينه فجلوا يشتمونه ويهينونه بالفعال والمقال واجمعوا على القائه في عيابت الجب أى في قعره على راعوفته
وهى الصخرة التى تكون فى وسطه يقف عليها المائح وهو الذى ينزل ليملى الدلاء إذا قل الماء والذى
يرفضها بالجبل يسمى المائح فلما ألقوه فيه أوحى الله إليه أنه لا بد لك من فرج ومخرج من هذه الشدة
التى أنت فيها ولتخبرن أخوتك بصنيعهم هذا فى حال أنت فيها عزيز وهم محتاجون إليك خائفون منك
وهم لا يشعرون .

قال مجاهد وقتادة وهم لا يشعرون بإيحاء الله إليه ذلك * وعن ابن عباس وهم لا يشعرون أى لتحبرنهم
بامرهم هذا فى حال لا يعرفونك فيها * رواه ابن جرير عنه * فلما وضعوه فيه ورجعوا عنه أخذوا قميصه
فلطخوه بشئ من دم ورجعوا إلى أبيهم عشاء وهم يكونون أى على أخيهم . ولهذا قال بعض السلف لا يعرفك
بكاء المتظلم فرب ظالم وهو باك وذكر بكاء إخوة يوسف وقد جاءوا أباهم عشاء يكون أى فى ظلمة الليل
ليكون أمشى لغديرهم لا لغديرهم (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا) أى ثيابنا (فأكله
الذئب) أى فى غيبتنا عنه فى استباقنا وقولهم (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) أى وما أنت بمصدق
لنا فى الذى أخبرناك من أكل الذئب له ولو كنا غير متهمين عندك فكيف وأنت تهمنا فى هذا فانك
خشيت أن يأكله الذئب وضمننا لك أن لا يأكله لكثرتنا حوله فصرنا غير مصدقين عندك فمعدور
أنت فى عدم تصديقك لنا والحالة هذه . (وجاءوا على قميصه بدم كذب) أى مكذوب مفتعل لانهم
عمدوا إلى سخلة ذبحوها فأخذوا من دمها فوضعوه على قميصه ليوهموا أنه أكله الذئب قالوا ونسوا ان
يخرقوه وآفة الكذب النسيان * ولما ظهرت عليهم علامة الريبة لم يرج صنيعهم على أبيهم فانه كان يفهم
عداوتهم له وحسداهم إياه على محبته له من بينهم أكثر منهم لما كان يتوسم فيه من الجلالة والمهابة التى
كانت عليه فى صغره لما يريد الله أن يخصه به من نبوته * ولما راودوه عن أخذه فبمجرد ما أخذوه أعدموه
وغيبوه عن عينيه جاؤا وهم يتباكون وعلى ماتمالوا عليه يتواطون ولهذا (قال بل سولت لكم أنفسكم
أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)

وعند أهل الكتاب أن روبيل أشار بوضعه فى الجب ليأخذه من حيث لا يشعرون ويرده إلى أبيه
فقالوه وباعوه لتلك القافلة . فلما جاء روبيل من آخر النار ليخرج يوسف لم يجده فصاح وشق ثيابه
وعمد أولئك إلى جدى فذبحوه ولطخوا من دمه جبة يوسف . فلما علم يعقوب شق ثيابه ولبس مئزرا
أسود وحزن على ابنه أياما كثيرة . وهذه الركاكة جاءت من خطيئهم فى التعبير والتصوير (وجاءت
سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه . قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون .
وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين . وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته
كرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً . وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل

الاحاديث . والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ولما بلغ أشده آتيناها حكما وعلما
وكذلك نجزي المحسنين) . يخبر تعالى عن قصة يوسف حين وضع في الجب أنه جلس ينتظر فرج الله
ولطفه به فجاءت سيارة أي مسافرون *

قال أهل الكتاب كانت بضاعتهم من الفستق والصنوبر والبطم قاصدين ديار مصر من الشام فاسلوا
بعضهم ليستقوا من ذلك البئر فلما أدلى أحدهم دلوه تعلق فيه يوسف فلما رآه ذلك الرجل (قال
يا بشرى) أي يا بشرتي (هذا غلام واسروه بضاعة) أي أوهموا أنه معهم غلام من جملة متجرهم
(والله عليم بما يعملون) أي هو عالم بما تمالأ عليه أخوته وبما يسره واجدوه من أنه بضاعة لهم ومع هذا
لا يغيره تعالى لئلا في ذلك من الحكمة العظيمة والقدر السابق والرحمة بأهل مصر بما يجرى الله على
يدى هذا الغلام الذي يدخلها في صورة أسير رقيق ثم بعد هذا يملكه أزمة الأمور وينفعهم الله به
في دنياهم وأخراهم بما لا يحد ولا يوصف . ولما استشر إخوة يوسف بأخذ السيارة له لحقوهم وقالوا
هذا غلامنا أبق منا فاشتروه منهم * بثمان بنحو أي قليل نزر وقيل هو الزيف (دراهم معدودة
وكانوا فيه من الزاهدين) . قال ابن مسعود وابن عباس ونوف اليكالي والسدي وقتادة وعطية العوفي
باعوه بعشرين درهما اقتسموها درهمين درهمين . وقال مجاهد اثنان وعشرون درهما . وقال عكرمة ومحمد
ابن اسحق أربعون درهما فله أعلم (وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه) أي أحسني
إليه (عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) وهذا من لطف الله به ورحمته واحسانه إليه بما يريد أن يؤهله
له ويمطيه من خيري الدنيا والآخرة . قالوا وكان الذي اشتراه من أهل مصر عزيزها وهو الوزير بها
الذي الخزان مساهة إليه * قال ابن اسحق واسمه اطفير (١) بن روجيه قال وكان ملك مصر يومئذ
الريان بن الوليد رجل من العماليق قال واسم امرأة العزيز راعيل بنت راعيل (٢) . وقال غيره كان
اسمها زليخا والظاهر أنه لقبها . وقيل فكا بنت ينوس رواه الثعالب عن أبي هشام (٣) الرفاعي . وقال
محمد بن اسحق عن محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس كان اسم الذي باعه بمصر يعني الذي
جلبه إليها مالك ابن ذعر بن نوب بن عتقاء (٤) بن مديان بن ابراهيم فله أعلم .

وقال ابن اسحق عن أبي عبيدة عن ابن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة عزيز مصر حين قال
لامرأته اكرمي مثواه والمرأة التي قالت لأبيها عن موسى (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت
القوى الأمين) وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

ثم قيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا . وقيل بوزنه مسكا ووزنه حريرا ووزنه ورقا . فله أعلم
وقوله (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) أي وكما قبضنا هذا العزيز وامرأته بحسنان إليه ويعتنيان

(١) في نسخة قطيفر (٢) في نسخة رعايل (٣) في نسخة ابن هشام (٤) في نسخة بن عتقاء

به مكنا له في أرض مصر (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) أي فهمها . وتعبير الرؤيا من ذلك (والله غالب على أمره) أي إذا أراد شيئاً فانه يقيض له أسباباً وأموراً لا يهتدى إليها العباد ولهذا قال تعالى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ولما بلغ أشده آتيناها حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين) . فدل على أن هذا كاه كان وهو قبل بلوغ الأشد . وهو حد الأربعين الذي يوحى الله فيه إلى عباده النبيين عليهم الصلاة والسلام من رب العالمين .

وقد اختلفوا في مدة العمر الذي هو بلوغ الأشد فقال مالك وربيعة وزيد بن أسلم والشعبي هو الحلم . وقال سعيد بن جبير ثمانى عشرة سنة . وقال الضحاك عشرون سنة وقال عكرمة خمس وعشرون سنة . وقال السدي ثلاثون سنة . وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ثلاث وثلاثون سنة . وقال الحسن أربعون سنة . ويشهد له قوله تعالى حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة . (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب . وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون . وقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيأ سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد باهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم . قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين . وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين) . يذكر تعالى ما كان من سراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام عن نفسه وطلبها منه ما لا يليق بحاله ومقامه وهي في غاية الجمال والمال والمنصب والشباب وكيف غلقت الأبواب عليها وعليه وتنهيات له وتصنعت ولبست أحسن ثيابها وأفخر لباسها وهي مع هذا كاه امرأة الوزير * قال ابن اسحق و بنت أخت الملك (١) الريان بن الوليد صاحب مصر . وهذا كاه مع أن يوسف عليه السلام شاب بديع الجمال والبهاء إلا أنه نبي من سلالة الانبياء فعصمه ربه عن الفحشاء . وحماه عن مكر النساء . فهو سيد السادة النجباء السبعة الاتقياء . المذكورين في الصحيحين عن خاتم الانبياء . في قوله عليه الصلاة والسلام من رب الأرض والسماء (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل . ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه . ورجل معلق قلبه بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه . ورجلان تحابا في الله إجتماعا عليه وتفرقا عليه . ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وشاب نشأ في عبادة الله . ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله) والمقصود أنها دعت إليها وحرصت على ذلك أشد الحرص فقال (معاذ الله إنه ربي) يعني زوجها

(١) في النسختين الموجودتين بالمكتبة المصرية أخ الملك .

صاحب المنزل سيدى (أحسن مثنوى) أى أحسن الى وأكرم مقامى عنده (إنه لا يفلح الظالمون) وقد تكلمنا على قوله (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) بما فيه كفاية ومقنع فى التفسير وأكثر أقوال المفسرين ههنا متلقى من كتب أهل الكتاب فلا عراض عنه أولى بنا * والذى يجب أن يعتد أن الله تعالى عصمه وبرأه ونزهه عن الفاحشة وحماه عنها وصانه منها * ولهذا قال تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين . واستبقا الباب) أى هرب منها طالباً الى الباب ليخرج منه فراراً منها فاتبعته فى أثره (والقيا) أى وجداً (سيدها) أى زوجها لدى الباب فبدرته بالكلام وحرصته عليه (قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءاً الا أن يسجن أو عذاب اليم) . أهمته وهى المهمة وبرأت عرضها ونزهت ساحتها فلماذا قال يوسف عليه السلام (هى راودتنى عن نفسى) إحتاج الى أن يقول الحق عند الحاجة (وشهد شاهد من أهلها) قيل كان صغيراً فى المهد قاله ابن عباس * وروى عن أبى هريرة وهلال بن يساف والحسن البصرى وسعيد بن جبير والضحاك واختاره ابن جرير . وروى فيه حديثاً مرفوعاً عن ابن عباس ووقفه غيره عنه * وقيل كان رجلاً قريباً الى أظفير بعلمها . وقيل قريباً اليها * ومن قال إنه كان رجلاً ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة والسدى ومحمد بن اسحاق وزيد بن أسلم فقال (إن كان قبيصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين) أى لأنه يكون قد راودها فدافعت حتى قدت مقدم قبيصه (وإن كان قبيصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) أى لأنه يكون قد هرب منها فاتبعته وتعلقت فيه فانشق قبيصه لذلك وكذلك كان . ولهذا قال تعالى (فلمأ رأى قبيصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم) أى هذا الذى جرى من مكركن أنت راودته عن نفسه * ثم أهمته بالباطل ثم ضرب بعلمها عن هذا صفحاً فقال (يوسف أعرض عن هذا) أى لا تذكره لأحد لأن كتمان مثل هذه الأمور هو الأليق والأحسن وأمرها بالاستغفار لذنبها الذى صدر منها والتوبة الى ربها فان العبد اذا تاب الى الله تاب الله عليه . وأهل مصر وإن كانوا يعبدون الأصنام إلا أنهم يعلمون أن الذى يغفر الذنوب ويؤاخذ بها هو الله وحده لا شريك له فى ذلك * ولهذا قال لها بعلمها وعذرها من بعض الوجوه لأنها رأت ملاحظها على مثله الا أنه عفيف نزيه برى العرض سليم الناحية فقال (استغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين . وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انالغراها فى ضلال مبين . فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكاً وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت اخرج عليهن . فلما رأينه أكبرنه وقطنن ايديهن وقان حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم . قالت فذلكن الذى لمتنقى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين . قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين . فاستجاب

له ربه فصرف عنه. كيدهن إنه هو السميع العليم) * يذكر تعالى ما كان من قبل نساء المدينة من نساء الأمراء وبنات الكبراء في الطعن على امرأة العزيز وعيبها والتشنيع عليها في سراودتها فتاها وحبها الشديد له تعنين وهو لا يساوى هذا لانه مولى من الموالى وليس مثله أهلا لهذا ولهذا قلن (إننا لفرأها في ضلال مبين) أى فى وضعها الشئ فى غير محله (فلما سمعت بمكرهن) أى بتشديعهن عليها والتنقص لها والاشارة اليها بالميب والمذمة بحب مولاها وعشق فتاها فآظهن ذما وهى معذورة فى نفس الامر فلماذا أحببت أن تبسط عذرها عندهن وتبين أن هذا الفتى ليس كما حسبن ولا من قبيل مالدیهن . فارسلت اليهن فجمعتهن فى منزلها . واعتدت لهن ضيافة مثلهن وأحضرت فى جملة ذلك شيئا مما يقطع بالسكاكين كالارج ونحوه وأنت كل واحدة مهن سكيناً وكانت قد هيات يوسف عليه السلام وألبسته أحسن الثياب وهو فى غاية طراوة الشباب وأمرته بالخروج عليهن بهذه الحالة . فخرج وهو أحسن من البدر لا محالة (فلما رأينه أكبرنه) أى اعظمته وأجلته وهبته وماظن أن يكون مثل هذا فى بنى آدم وبهرهن حسنه حتى اشتغلن عن أنفسهن وجعلن يحززن فى أيديهن بتلك السكاكين ولا يشعرن بالجراح (وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم) . وقد جاء فى حديث الاسراء (فردت بيوسف واذا هو قد أعطى شطر الحسن)

قال السهيلي وغيره من الأئمة معناه أنه كان على النصف من حسن آدم عليه السلام لأن الله تعالى خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه فكان فى غاية نهايات الحسن البشرى ولهذا يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم وحسنه ويوسف كان على النصف من حسن آدم ولم يكن بينهما أحسن منهما كما أنه لم تكن أنى بعد حواء أشبه بها من سارة امرأة الخليل عليه السلام .

قال ابن مسعود وكان وجه يوسف مثل البرق وكان اذا أتته امرأة لحاجة غطى وجهه * وقال غيره كان فى الغالب مبرقما لثلا يراه الناس ولهذا لما قام عذر امرأة العزيز فى محبتها لهذا المعنى المذكور وجرى لهن وعليهن ماجرى من تقطيع أيديهن بجراح السكاكين وماركبهن من المهابة والدهش عند رؤيته ومعاينته (قالت فذلك الذى لمتنى فيه) ثم مدحته بالعصمة التامة فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أى امتنع (ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونن من الصاغرین) وكان بقية النساء حرصنه على السمع والطاعة لسيده فابى أشد الاباء . ونأى لانه من سلالة الأنبياء ودعا فقال فى دعائه لرب العالمين (رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين) يعنى إن وكلتني الى نفسى فليس لى من نفسى الا العجز والضعف ولا أملك لنفسى نقما ولا ضرا إلا ماشاء الله فانا ضعيف الا ما قويتنى وعصمتنى وحفظتني وحطنى بحولك وقوتك ولهذا قال تعالى (فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم) . ثم بداهم من بعد مارأوا الآيات ليسجننه

حتى حين . ودخل معه السجن فتيان . قال احدهما إني أراني أعصر خمرا . وقال الآخر إني أراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبتنا بتأويله إنا نراك من المحسنين . قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نباتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلك كما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . واتبعت ملة آباءى ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون . يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان . يذكر تعالى عن العزيز وامراته أنهم بدا لهم أى ظهر لهم من الرأى بعد ما علموا براءة يوسف أن يسجنوه الى وقت ليكون ذلك أقل لكلام الناس فى تلك القضية وأخذ لأمرها وليظروا أنه راودها عن نفسها فسجن بسببها فسجنوه ظالما وعدوانا . وكان هذا مما قدر الله له * ومن جملة ما عصمه به فانه أبعد له عن معاشرتهم ومخالطهم * ومن ههنا استنبط بعض الصوفية ما حكاه عنهم الشافعى أن من العصمة أن لا تجد قال الله (ودخل معه السجن فتيان) قيل كان أحدهما ساقى الملك واسمه فيما قيل بنو . والآخر خبازه يعنى الذى يلى طعامه وهو الذى يقول له الترك (الجاشنكير) واسمه فيما قيل مجلث كان الملك قد اتهمهما فى بعض الامور فسجنهما * فلما رأيا يوسف فى السجن أعجبها سمته وهدية ودله وطريقته وقوله وفعله وكثرة عبادته ربه واحسانه الى خلقه فرأى كل واحد منهما رؤيا تناسبه * قال أهل التفسير رأيا فى ليلة واحدة * أما الساقى فرأى كأن ثلاث قضبان من حبلته وقد أوردت وأبنت عناقيد العنب فاخذها فاعتصرها فى كأس الملك وسقاه * ورأى الخباز على رأسه ثلاث سلال من خبز وضوارى الطيور تأكل من السل الاعلى قصاها عليه وطلبا منه أن يعبرها لهما وقالوا (إنا نراك من المحسنين) فاخبرها أنه علم بتعبيرها خبير بامرها و(قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نباتكما بتأويله قبل أن يأتيكما) * قيل معناه معهما رأيتما من حلم فأتى أعبره لكم قبل وقوعه فيكون كما أقول * وقيل معناه إني أخبركما بما يأتيكما من الطعام قبل مجيئه حلوا أو حامضا كما قال عيسى (وانبتكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم) وقال لهما إن هذا من تعليم الله ايلى لأنى مؤمن به موحد له متبع ملة آباءى الكرام ابراهيم الخليل واسحاق ويعقوب (ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا) أى بأن هداانا لهذا (وعلى الناس) أى بان أمرنا أن ندعوم اليه ونرشدهم وندلهم عليه وهو فى فطرم مركز وفى جبلتهم مفروز (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) * ثم دعاهم الى التوحيد وذم عبادة ما سوى الله عز وجل وصغر أمر الأوثان وحقرها وضعف أمرها فقال (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله

الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم (إلا الله) أي هو المتصرف في خلقه الفعال لما يريد الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء (أمر أن لا تعبدوا إلا إياه) أي وحده لا شريك له و (ذلك الدين القيم) أي المستقيم والصراط القويم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي فهم لا يهتدون إليه مع وضوحه وظهوره وكانت دعوته لهما في هذه الحال في غاية الكمال لأن نفوسهما معظمة له منبعثة على تلقى ما يقول بالقبول فناسب أن يدعوها إلى ما هو الأنفع لهما مما سألا عنه وطلبا منه * ثم لما قام بما وجب عليه وارشده إلى ما أرشده إليه قال (يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقى زبه خمرًا) قالوا وهو الساقى (وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه) قالوا وهو الخباز (قضى الأمر الذي فيه تستفتيان) أي وقع هذا الاحتمال ووجب كونه على حالة ولهذا جاء في الحديث (الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت).

وقد روى عن بن مسعود ومجاهد وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (أنهما قالوا لم نر شيئًا) فقال لهما (قضى الأمر الذي فيه تستفتيان). وقال للذي ظن أنه ناج منها اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين). يخبر تعالى أن يوسف عليه السلام قال للذي ظنه ناجيا منها وهو الساقى (أذكرني عند ربك) يعني اذكر أمرى وما أنا فيه من السجن بغير جرم عند الملك * وفي هذا دليل على جواز السعي في الأسباب * ولا ينافى ذلك التوكل على رب الأرباب. وقوله (فأنساه الشيطان ذكر ربه) أي فأنسى الناجي منهما الشيطان أن يذكر ما وصاه به يوسف عليه السلام * قاله مجاهد ومحمد بن اسحق وغير واحد وهو الصواب وهو منصوص أهل الكتاب (فلبث يوسف في السجن بضع سنين) والبضع ما بين الثلاث إلى التسع * وقيل إلى السبع * وقيل إلى الخمس * وقيل مادون العشرة. حكاهما الثعلبي * ويقال يضع نسوة وبضعة رجال * ومنع الفراء استعمال البضع فيما دون العشر قال وإنما يقال نيف. وقال الله تعالى (فلبث في السجن بضع سنين) وقال تعالى في (بضع سنين) وهذا رد لقوله * قال الفراء ويقال بضعة عشر وبضعة وعشرون إلى التسعين ولا يقال بضع ومائة وبضع والـف وخالف الجوهري فيما زاد على بضعة عشر فمنع أن يقال بضعة وعشرون إلى تسعين * وفي الصحيح (الإيمان بضع وستون) وفي رواية وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ومن قال إن الضمير في قوله (فأنساه الشيطان ذكر ربه) عائده على يوسف فقد ضعف مقاله وان كان قد روى عن ابن عباس وعكرمة والحديث الذي رواه ابن جرير في هذا الموضوع ضعيف من كل وجه * تفرد بأسناده إبراهيم بن يزيد الخوزي (١) المسكي وهو متروك. ومرسل الحسن وقتادة لا يقبل ولا ههنا بطريق الأولى والأحرى والله أعلم.

(١) في نسخة خوذى وفي أخرى خورى والصواب الخوزى.

فاما قول ابن حبان في صحيحه ذكر السبب الذي من أجله لبث يوسف في السجن ما لبث اخبرنا
الفضل بن الجباب الجمحي ثنا مسدد بن مسرهد ثنا خالد بن عبد الله ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن
أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) رحم الله يوسف لولا الكرامة التي قالها اذ كرتي عند ربك لبثت
في السجن ما لبث ورحم الله لوطا أن كان لياوي الى ركن شديد إذ قال لقومه لو أن لي بكم قوة أو آوى
الى ركن شديد قال فما بعث الله نبيا بعده إلا في ثروة من قومه . فانه حديث منكر من هذا الوجه
ومحمد بن عمرو بن علقمة له اشياء ينفرد بها وفيها نكارة وهذه اللفظة من أنكرها وأشدها . والذي
في الصحيحين يشهد بغلطها والله أعلم . (وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف
وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات . يأبها الملائكة فتوفى في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون . قالوا
أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين . وقال الذي نبأ منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم
بتأويله فأرسلون . يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات
لعلي أرجع إلى الناس لعالمهم يعلمون . قال تزرعون سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا
مما تأكلون . ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكل ما قدمت لمن إلا قليلا مما تحصنون . ثم يأتي من
بعد ذلك عام فيه يفاث الناس وفيه يعصرون) هذا كان من جملة اسباب خروج يوسف عليه السلام
من السجن على وجه الاحترام والاكرام وذلك أن ملك مصر وهو الريان بن الوليد بن ثروان بن
اراشه (١) بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح رأى هذه الرؤيا . قال أهل الكتاب
رأى كأنه على حافة نهر وكأنه قد خرج منه سبع بقرات سمان فجعلن يرتعن في روضة هناك فخرجت سبع
هزال ضعاف من ذلك النهر فرتعن معهن ثم ملن عليهن فاكلتهن فاستيقظ مذعورا . ثم نام فرأى سبع
سنبلات خضر في قصبة واحدة واذا سبع أخر دقاق يابسات فأكلتهن فاستيقظ مذعورا . فله! قصها
على ملئه وقومه لم يكن فيهم من يحسن تعبيرها بل (قالوا أضغاث أحلام) أي أخلط أحلام من
الليل لعلها لا تعبير لها ومع هذا فلا خيرة لنا بذلك ولهذا قالوا (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) فعند
ذلك تذكر الناجي منها الذي وصاه يوسف بأن يذكره عند ربه فتسبه الى حينه هذا . وذلك عن تقدير
الله عز وجل وله الحكمة في ذلك فلما سمع رؤيا الملك ورأى عجز الناس عن تعبيرها تذكر أمر يوسف
وما كان أوصاه به من التذكار . ولهذا قال تعالى (وقال الذي نبأ منهما وادكر) أي تذكر (بعد أمة)
أي بعد مدة من الزمان وهو بضع سنين وقرأ بعضهم كما حكى عن ابن عباس وعكرمة والضحاك
(وادكر بعد أمة) أي بعد نسيان وقرأها مجاهد (بعد أمة) بالسكان الميم وهو النسيان أيضا يقال أمة
الرجل يأمه أمها وأمها اذا نسي قال الشاعر .

(١) في النسخة الحلبية ابن اراية

امهت و كنت لا أنسى حديثاً كذاك الدهر بزرى بالمقول

قال لقومه وللملك (أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون) أى فأرسلوني الى يوسف فجاهه فقال (يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يا كاهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون) وعند أهل الكتاب أن الملك لما ذكره له الساقى إستدعاه الى حضرته وقص عليه ما رآه ففسره له وهذا غلط والصواب ما قصه الله في كتابه القرآن لا ما عر به هؤلاء الجهلة الثيران من قرأى وربان . فبذل يوسف عليه السلام ما عنده من العلم بلا تأخر ولا شرط ولا طلب الخروج سريعاً بل أجابهم الى ما سألوا وعبر لهم ما كان من منام الملك الدال على وقوع سبع سنين من الخصب ويعقبها سبع جلب . (ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يفاث الناس) يعنى يأتهم الفيث والخصب والرفاهية (وفيه يعصرون) يعنى ما كوتوا يعصرونه من الاقصاب والاعناب والزيتون والسهم وغيرها فعبر لهم . وعلى الخير دهم وأرشدهم الى ما يعتمدونه في حالتى خصبهم وجد بهم وما يفعلونه من ادخار حبوب سنن الخصب في السبع الأول في سنبله الا ما يرصد بسبب الأكل ومن تقليل البذر في سنن الجلب في السبع الثانية اذ الغالب على الظن أنه لا يرد البذر من الحقل * وهذا يدل على كمال العلم وكمال الرأى والفهم .

(وقال الملك اثنتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم . قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين . ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين * وما أبرئ نفسي ان النفس لأماراة بالسوء إلا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم) . لما أحاط الملك علماً بكمال علم يوسف عليه الصلاة والسلام وتمام عقله ورأيه السديد وفهمه أمر باحضاره الى حضرته ليكون من جملة خاصته فلما جاءه الرسول بذلك أحب أن لا يخرج حتى يتبين لكل أحد أنه حبس ظلماً وعدواناً وأنه برى الساحة مما نسبوه اليه بهتاناً (قال ارجع الى ربك يعنى الملك) فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم) قيل معناه إن سيدى العزيز يعلم براءتى مما نسب الى أى فر الملك فليسألن كيف كان امتناعى الشديد عند مراودتهن إياى وحثن لى على الأمر الذى ليس برشيد ولا سديد . فلما سئلن عن ذلك أعرفن بما وقع من الأمر وما كان منه من الأمر الحميد (وقلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء) فعند ذلك (قالت امرأة العزيز) وهى زليخا (الآن حصحص الحق) أى ظهر وتبين ووضح والحق أحق أن يتبع (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) أى فيما يقوله من انه برى وانه لم يراودنى وأنه حبس ظلماً وعدواناً وزوراً وبهتاناً . وقوله (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين) قيل إنه من كلام يوسف أى انما

طلبت تحقيق هذا ليعلم العزيز آتى لم أخنه بظهر الغيب . وقيل إنه من تمام كلام زليخا أى إنما اعترفت بهذا ليعلم زوجى آتى لم أخنه فى نفس الامر وإنما كان مراده لم يقع معها فعل فاحشة وهذا القول هو الذى نصره طائفة كثيرة من أئمة المتأخرين وغيرهم ولم يحك ابن جرير وابن أبى حاتم سوى الاول . (وما ابرى نفسى ان النفس لا مارة بالسوء إلا مارحم ربي إن ربي غفور رحيم) قيل إنه من كلام يوسف وقيل من كلام زليخا وهو مفرع على القولين الاولين . وكونه من تمام كلام زليخا أظهر وأنسب وأقوى والله أعلم (وقال الملك : ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلفه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين . قال اجعلني على خزائن الارض ائني حفيظ عليم . وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوا منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين . ولا أجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) . لما ظهر للملك براءة عرضه وتزاهة ساحته عما كانوا أظهروا عنه مما نسبوه اليه (قال ائتوني به أستخلصه لنفسي) أى أجعله من خاصتى ومن أكبر دولتى ومن أعيان حاشيتى فلما كلفه وسمع مقاله وتبين حاله (قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) أى ذو مكانة وأمانة (قال اجعلني على خزائن الارض ائني حفيظ عليم) طلب أن يولى النظر فيما يتعلق بالاهراء لما يتوقع من حصول الخلل فيها بعد مضي سبعة سنين الخصب لينظر فيها بما يرضى الله فى خلقه من الاحتياط لهم والرفق بهم وأخبر الملك إنه حفيظ أى قوى على حفظ ما لديه أمين عليه عليم بضبط الاشياء ومصالح الاهراء وفى هذا دليل على جواز طلب الولاية لمن علم من نفسه الأمانة والكفاءة * وعند أهل الكتاب أن فرعون عظم يوسف عليه السلام جدا وسلطه على جميع أرض مصر وألبسه خاتمه وألبسه الحرير وطوقه الذهب وحمله على مركبه الثانى ونودى بين يديه أنت رب ومسلط وقال له لست أعظم منك إلا بالكرسى . قالوا وكان يوسف اذ ذاك ابن ثلاثين سنة وزوجه امرأة عظيمة الشأن .

وحكى الثعلبى أنه عزل قطيفير عن وظيفته وولاها يوسف . وقيل إنه لما ماتت زوجته إمرأته زليخا فوجدتها عنداه لأن زوجها كان لا يأتى النساء فولدت ليوسف عليه انسلام رجلين وهما أفرام ومنشا قال واستوثق ليوسف ملك مصر وعمل فيهم بالعدل فأجبه الرجال والنساء .

وحكى أن يوسف كان يوم دخل على الملك عمره ثلاثين سنة وأن الملك خاطبه بسبعين لغة وكل ذلك يجاوبه بكل لغة منها فاجبه ذلك مع حداثة سنه فالله أعلم * قال الله تعالى (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوا منها حيث يشاء) أى بعد السجن والضيق والحصر صار مطلق الركاب بديار مصر (يتبوا منها حيث يشاء) أى أين شاء حل منها مكرماً محسوداً معظماً (نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين) أى هذا كله من جزاء الله وثوابه للمؤمن مع ما يدخر له فى آخرته من الخير الجزيل والثواب الجميل . ولهذا قال (ولا أجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) ويقال إن أطفير زوج

زليخا كان قد ملت فولاه الملك مكانه وزوجه إمرأته زليخا فكان وزير صدق .
 وذكر محمد بن اسحق أن صاحب مصر الوليد بن الريان أسلم على يدى يوسف عليه السلام فآله
 أعلم . وقد قال بعضهم

وراء مضيق الخوف متسع الأمن وأول مفروح به غاية الحزن
 فلا تياسن فآله ملك يوسف خزائنه بعد الخلاص من السجن

(وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون . ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ
 لكم من أيكم ألا ترون أنى أوف الكيل وأنا خير المنزلين . فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندى
 ولا تقربون . قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون . وقال لفتياناه إجملوا بضاعتهم فى رحالهم لعلهم يعرفونها
 اذا اقبلوا الى أهلهم لعلهم يرجعون) يخبر تعالى عن قدوم إخوة يوسف عليه السلام الى الديار المصرية
 يمتارون طعاما وذلك بعد إتيان سنى الجذب وعمومها على سائر البلاد والعباد . وكان يوسف عليه السلام
 اذ ذاك الحاكم فى أمور الديار المصرية دينا ودنيا . فلما دخلوا عليه عرفهم ولم يعرفوه لأنهم لم يخطر
 ببالهم مآصار اليه يوسف عليه السلام من المكاة والمظمة فلذا عرفهم وهم له منكرون
 وعند أهل الكتاب أنهم لما قدموا عليه سجدوا له فعرفهم وأراد أن لا يعرفوه فأغظ لهم فى القول
 وقال أتم جواسيس جثم لتأخذوا خبر بلادى . فقالوا معاذ الله إنما جئنا لقومنا من الجهد والجوع
 الذى أصابنا ونحن بنو أب واحد من كنعان ونحن اثنا عشر رجلا ذهب منا واحد وصغيرنا عند أينا فقال
 لا بد أن أستعلم أمركم * وعندهم أنه حبسهم ثلاثة أيام ثم أخرجهم وأحتبس شمعون عنده لياتوه بالأخ
 الآخر . وفى بعض هذا انظر . قال الله تعالى (فلما جهزهم بجهازهم) أى أعطاهم من الميرة ما جرت به
 عادته فى إعطاء كل انسان حمل بميرلا يزيد على (قال ائتوني باخ لكم من أيكم) وكان قد سألهم عن
 حالهم وهم قالوا كنا اثني عشر رجلا ذهب منا واحد وبقى شقيقه عند أينا فقال اذا قدمتم من
 العام المقبل فأتوني به معكم (ألا ترون أنى أوف الكيل وأنا خير المنزلين) أى قد أحسنت نزلكم
 وقراكم فرغبتهم لياتوه به ثم رهبهم إن لم يأتوه به قال (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندى ولا
 تقربون) أى فلست أعطيك ميرة ولا أقربكم بالكياة عكس ما أسدى اليهم أولا فاجتهد فى إحضاره معهم
 ليل شوقه منه بالترغيب والترهيب (قالوا سنراود عنه أباه) أى سنجتهد فى مجيئه معنا وإتيانه اليك
 بكل ممكن (وإنا لفاعلون) أى وانا لقادرون على تحصيله . ثم أمر فتياناه أن يضعوا بضاعتهم وهمى ما جاؤا
 به يتعوضون به عن الميرة فى أمتعتهم من حيث لا يشعرون بها (لعلهم يعرفونها اذا اقبلوا الى أهلهم
 لعلهم يرجعون) قيل أراد أن يردوها اذا وجدوها فى بلادهم . وقيل خشى أن لا يكون عندهم ما يرجعون
 به مرة ثانية . وقيل تدمم أن يأخذ منهم عوضا عن الميرة .

وقد اختلف المفسرون في بضاعتهم على أقوال سيأتي ذكرها * وعند أهل الكتاب أنها كانت صرراً من ورق وهو أشبه والله أعلم (ف) فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون . قال هل آمنكم عليه إلا كما آمنكم على أخيه من قبل فإله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين . ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم . قالوا يا أبا منع ما نبغى هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير . قال لن أرسله معكم حتى تؤتونني موقفاً من الله لتأتني به إلا أن يحاط بكم . فلما آتوه موثقهم قال الله على ما قول وكيل . وقال يا بني لا يدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون . ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

يذكر تعالى ما كان من أمرهم بعد رجوعهم إلى أبيهم * وقولهم له (منع منا الكيل) أي بعد عامنا هذا إن لم ترسل معنا أخانا فإن أرسلته معنا لم يمنع منا (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبا منع ما نبغى) أي شيء نريد وقد ردت إلينا بضاعتنا (ونمير أهلنا) أي نمتار لهمم ونأتيهم بما يصلحهم في سنتهم ومحلهم (ونحفظ أخانا ونزداد) بسببه (كيل بعير) قال الله تعالى (ذلك كيل يسير) أي في مقابلة ذهاب ولده الآخر وكان يعقوب عليه السلام أضن شيء بولده بنيامين لأنه كان يشم فيه رائحة أخيه ويتسلى به عنه ويتعوض بسببه منه فلماذا قال (لن أرسله معكم حتى تؤتون موقفاً من الله لتأتني به إلا أن يحاط بكم) أي إلا أن تغلبوا كلكم عن الاتيان به (فلما آتوه موثقهم قال الله على ما قول وكيل) أكد الموثيق وقرر اليهود واحتاط لنفسه في ولده ولن يغني حذر من قدر . ولولا حاجته وحاجة قومه إلى الميرة لما بعث الولد العزيز ولكن الأقدار لها أحكام والرب تعالى يقدر ما يشاء ويختار ما يريد ويحكم ما يشاء وهو الحكيم العليم . ثم أمرهم أن لا يدخلوا المدينة من باب واحد ولكن ليدخلوا من أبواب متفرقة . قيل أراد أن لا يصيبهم أحد بالعين . ذلك لأنهم كانوا أشكالا حسنة وصورا بديعة قاله ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وقتادة والسدي والضحاك * وقيل أراد أن يتفرقوا لهمم يجدون خبراً ليوسف أو يحدثون عنه بأثر . قاله إبراهيم النخعي . والأول أظهر ولهذا قال (وما أغنى عنكم من الله من شيء) وقال تعالى (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء) الحاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وعند أهل الكتاب أنه بعث معهم هدية إلى العزيز من الفستق واللوز والصنوبر والبطم والعسل وأخذوا الدرهم الأولى وعضواً آخر (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال اني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون . فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذون أيتها العبر إنكم

لسارقون. قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تقدمون . قالوا فقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم . قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين . قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين . فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم . قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون . قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدا مكانه إنا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون (يذكر تعالى ما كان من أمرهم حين دخلوا بأخيه بنيامين على شقيقه يوسف وأبوانه إليه وإخباره له سرا عنهم بأنه أخوه وأمره بكنم ذلك عنهم وسلاه عما كان منهم من الاساءة إليه * ثم احتال على أخذه منهم وتركه إياه عنده دونهم فأمر فتياته بوضع سقايته . وهي التي كان يشرب بها ويكيل بها للناس الطعام عن غرته في متاع بنيامين . ثم أعلمهم بأنهم قد سرقوا صواع الملك ووعدهم جمالة على رده حمل بعير وضمنه المنادى لهم فقبلوا على من آتهمهم بذلك فأنبوه وهجنوه فيما قاله لهم و (قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين) يقولون أنتم تعلمون منا خلاف ما رميتونا به من السرقة (قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين . قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين) . وهذه كانت شريعتهم أن السارق يدفع إلى المسروق منه ولهذا قالوا (كذلك نجزي الظالمين) . قال الله تعالى (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه) ليكون ذلك أهدى لهم وأبلغ في الحيلة ثم قال الله تعالى (كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) أي لولا اعترافهم بأن جزاءه من وجد في رحله فهو جزاؤه لما كان يقدر يوسف على أخذه منهم في سياسة ملك مصر (إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء) أي في العلم (وفوق كل ذي علم عليهم) وذلك لأن يوسف كان أعلم منهم وأتم رأيا وأقوى عزيمة وحزما وإتقان فعل ما فعل عن أمر الله له في ذلك لأنه يترتب على هذا الأمر مصلحة عظيمة بعد ذلك من قدوم أبيه وقومه عليه ووفودهم إليه فلما عاينوا استخراج الصواع من حمل بنيامين (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) يعنون يوسف * قيل كان قد سرق صنم جده أبي أمه فكسره . وقيل كانت عنته قد علقت عليه بين ثيابه وهو صغير منطقة كانت لاسحق ثم استخرجوها من بين ثيابه وهو لا يشعر بما صنعت وإنما أرادت أن يكون عندها وفي حضانتها لمحبها له . وقيل كان يأخذ الطعام من البيت فيطعمه الفقراء . وقيل غير ذلك فلماذا (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه) وهي كليمته بعدها وقوله (أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون) أجابهم سرا لاجرا حلما وكرما وصفحا وعفوا فدخلوا معه في الترقق والتعطف فقالوا (يا أيها العزيز إن له أبا

شيخنا كبيرا فخذ أحدها مكانه إنا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا الظالمون (أى إن أطلقنا المتهم وأخذنا البرى). هذا مالا فعله ولا نسمح به وإنما نأخذ من وجدنا متاعنا عنده.

وعند أهل الكتاب أن يوسف تعرف اليهم حينئذ وهذا مما غلطوا فيه ولم يفهموه جدا (فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أرح الأَرْض حتى يأذن لي أبى أويحكم الله لي وهو خير الحاكمين . إرجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين . واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون . قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم . وتولى عنهم وقال يا أسنى على يوسف وأيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكري يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين . قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون . يا بني إذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)

يقول تعالى مخبرا عنهم أنهم لما استيأسوا من أخذه منه خلصوا يتناجون فيما بينهم قال كبيرهم وهو روبيل (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله لتأتني به إلا أن يحاط بكم) لقد أخلفتم عهده وفرطتم فيه كما فرطتم في أخيه يوسف من قبله فلم يبق لي وجه أقابله به (فلن أرح الأَرْض) أى لا أزال مقيا ههنا (حتى يأذن لي أبى) فى القدوم عليه (أو يحكم الله لي) بأن يقدرنى على رد أخى إلى أبى (وهو خير الحاكمين . إرجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق) أى اخبروه بما رأيتم من الأمر فى لظاهر المشاهدة (وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين . واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها) أى فان هذا الذى أخبرناك به من أخذهم أخانا لأنه سرق أمر اشهر بمصر وعلمه العير التي كنا نحن وهم هناك (وانا لصادقون قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل) أى ليس الأمر كما ذكرتم لم يسرق فانه ليس سجية له ولا خلقه وإنما سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل قال ابن اسحق وغيره لما كان التفريط منهم فى بنيامين مترتبا على صنيعهم فى يوسف قال لهم ما قال وهذا كما قال بعض السلف إن من جزاء السيئة السيئة بعدها ثم قال (عسى الله أن يأتيني بهم جميعا) يعنى يوسف وبنيامين وروبييل (إنه هو العليم) أى بحالى وما أنا فيه من فراق الأُحبة (الحكيم) فيما يقدره ويفعله وله الحكمة البالغة والحجة القاطعة (وتولى عنهم) أى أعرض عن بنيه (وقال يا أسنى على يوسف) ذكره حزنه الجديد بالحزن القديم وحرك ما كان كامنا كما قال بعضهم .

قَلَّ فَوَادَكَ حَيْثُ شُتَّ مِنَ الْمَوَى مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

وقال آخر

قَدْ لَأْمَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ رَفِيقِي لِنُدْرَافِ الدَّمُوعِ السَّوَابِكِ
 قَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ لَقَبْرِ ثَوَى بَيْنَ اللَّوَى فَالِدَكَدِكِ
 قُلْتُ لَهُ إِنَّ الْأَسَى يَمُتُ الْأَسَى فَدَعَنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ

وقوله (وايضا عيناه من الحزن) أى من كثرة البكاء (فهو كظيم) أى مكظم من كثرة حزنه وأسفه وشوقه الى يوسف فلما رأى بنوه ما يقاسيه من الوجد وألم الفراق (قالوا) لعل وجه الرحمة له والرافة به والحرص عليه (تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين) يقولون لا تزال تتذكره حتى تنحل جسدك وتضمف قوتك فلو رقت بنفسك كان أولى بك (قال) إنما أشكو بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون) يقول لبيته لست أشكو اليكم ولا الى أحد من الناس ما أنا فيه إنما أشكو الى الله عز وجل وأعلم أن الله سيجعل لى مما أنا فيه فرجا ومخرجا وأعلم أن رؤيا يوسف لا بد أن تقع ولا بد أن أسجد له أنا وأنتم حسب ما رأى ولهذا قال: (واعلم من الله مالا تعلمون) ثم قال لهم محرضا على تطلب يوسف وأخيه وأن يبحثوا عن أمرها. (يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون) أى لا تيأسوا من الفرج بعد الشدة فانه لا يياس من روح الله وفرجه وما يقدر من المخرج فى المضايق إلا القوم الكافرون) فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين. قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون. قالوا أئنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين. قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين. قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتوني باهلكم أجمعين) يخبر تعالى عن رجوع إخوة يوسف إليه وقدمهم عليه ودرغبتهم فيما لديه من الميرة والصدقة عليهم رد أخيهم بنيامين اليهم (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) أى من الجلب وضيق الحال وكثرة العيال (وجئنا ببضاعة مزجاة) أى ضعيفة لا يقبل مثلها منا إلا أن يتجاوز عنه. قيل كانت دراهم رديئة. وقيل قليلة وقيل حب الصنوبر وحب البطم ونحو ذلك. وعن ابن عباس كانت خلق الفرائر والحبال ونحو ذلك (فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين) قيل قبولها قاله السدى. وقيل بردأخينا اليها قاله ابن جريج. وقال سفيان بن عيينة إنما حرمت الصدقة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونزع بهذه الآية رواه ابن جرير. فلما رأى ما هم فيه من الحال وما جاؤا به مما لم يبق عندهم سواه من ضعيف المسال تعرف اليهم وعطف عليهم قائلا لهم عن أمر ربه وربهم.

وقد حسر لهم عن جبينه الشريف وما يحويه من الخلال فيه الذي يعرفون (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون . قالوا) وتعجبوا كل العجب وقد ترددوا اليه مرارا عديدة وهم لا يعرفون أنه هو (أنتك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى) يعنى أنا يوسف الذى صنعت مع ما صنعتم وسلف من أمركم فيه ما فرطتم وقوله (وهذا أخى) تأكيد لما قل وتنبية على ما كانوا أضروا لها من الحسد وعلوا في أمرهما من الاحتيال ولهذا قال (قد من الله علينا) أى باحسانه الينا وصدقته علينا وإيوائه لنا وشده معاقبنا وذلك بما أسلفنا من طاعة ربنا وصبرنا على ما كان منكم الينا وطاعتنا وبرنا لآبائنا ومحبتنا الشديدة لنا وشقته علينا (إنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين . قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) أى فضلك وأعطاك ما لم يعطنا (وإن كنا لخاطئين) . أى فيما أسدينا اليك وها نحن بين يديك (قال لا تثريب عليكم اليوم) أى لست أعاقبكم على ما كان منكم بعد يومكم هذا ثم زادهم على ذلك فقال (اليوم ينفرد الله لكم وهو أرحم الراحمين).

ومن زعم أن الوقف على قوله لا تثريب عليكم وابتدأ بقوله اليوم ينفرد الله لكم فقوله ضعيف والصحيح الاول. ثم أمرهم بان يذهبوا بقميصه وهو الذى يلى جسده فيضعوه على عيني أبيه فانه يرجع اليه بصره بعد ما كان ذهب باذن الله وهذا من خوارق العادات ودلائل النبوات وأكبر المعجزات * ثم أمرهم أن يتحملوا بأهلهم أجمعين الى ديار مصر الى الخير والدعة وجمع الشمل بعد الفرقة على أكل الوجوه وأعلى الأمور (فما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون . قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم . فلما أن جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا . قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون . قالوا ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين . قال سوف استغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم).

قال عبد الرزاق أنبأنا اسراييل عن أبى سنان عن عبد الله بن أبى الهذيل سمعت ابن عباس يقول فدا فصلت العير قال لما خرجت العير هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف (قال إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) قال فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام. وكذا رواه الثورى وشعبة وغيرهم عن أبى سنان به . وقال الحسن البصرى وابن جريج المكي كان بينهما مسيرة ثمانين فرسخا وكان له منذ فارقه ثمانون سنة وقوله (لولا أن تفندون) أى تقولون انما قلت هذا من الفند وهو الخرف وكبر السن . قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقادة تفندون تسفهون . وقال مجاهد أيضا والحسن تهرمون (قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم) قال قتادة والسدى قالوا له كلمة غليظة . قال الله تعالى (فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا) أى بمجرد ما جاء ألقى القميص على وجه يعقوب فرجع من فوره بصيرا بعد ما كان ضريرا وقال لبيد عند ذلك (ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا

تلمون) أى أعلم أن الله سيجمع شملى يوسف وستقر عيني به وسيريني فيه ومنه ما يسرني فعند ذئب
(قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين). طلبوا منه أن يستغفر لهم الله عز وجل عما كانوا فعلوا
ونلوا منه ومن ابنه وما كانوا عزموا عليه . ولما كان من بينهم التوبة قبل الفعل وقهم الله للاستغفار عند
وقوع ذلك منهم فاجابهم أبوهم الى ماسأوا وما عليه عولوا قائلا (سوف استغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم).
قال ابن مسعود و ابراهيم التيمي وعمر بن قيس وابن جريج وغيرهم أرجأهم الى وقت السحر
قال ابن جرير حدثني أبو السائب حدثنا ابن ادريس سمعت عبد الرحمن بن سحوق يذكر عن محارب
ابن دثار قال كان عمر يأتي المسجد فسمع انسانا يقول (اللهم دعوتني فأجبت وأمرتني فاطمت وهذا
السحر فاغفر لي) قال فاستمع الصوت فاذا هو من دار عبد الله بن مسعود فسأل عبد الله عن ذلك فقال
إن يعقوب أخر بنيه الى السحر بقوله (سوف أستغفر لكم ربي) وقد قال الله تعالى (والمستغفرين
بالاسحار) وثبت في الصحيح عن رسول الله (ص) قال (ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول
هل من تائب فأتوب عليه هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له) وقد ورد في حديث (أن
يعقوب أرجأ بنيه الى ليلة الجمعة) قال ابن جرير حدثني المثني . ثنا سليمان بن عبد الرحمن بن أيوب
الدمشقي حدثنا الوليد أنبأنا ابن جريج عن عطاء وعكرمة عن ابن عباس عن رسول الله (ص) (سوف
أستغفر لكم ربي) يقول حتى تأتي ليلة الجمعة وهو قول أخى يعقوب لبنيه . وهذا غريب من هذا الوجه .
وفي رفة نظر والأشبه أن يكون موقوفا على ابن عباس رضى الله عنه . (فلما دخلوا على يوسف آوى
اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمين ورفع ابويه على العرش وخرروا له سجدا وقال يا أبت
هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو
من بعد ان ترغ الشيطان بيني وبين اخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم . رب قد آتيتني
من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض انت ولى في الدنيا والآخرة توفني
سدا والحقني بالصالحين) .

هذا إخبار عن حال إجتماع المتحايين بعد الفرقة الطويلة التي قيل انها ثمانون سنة وقيل ثلاث
وثمانون سنة وهما روايتان عن الحسن . وقيل خمس وثلاثون سنة قاله قتادة . وقال محمد بن اسحاق
ذكروا أنه غاب عنه ثمانى عشرة سنة . قال وأهل الكتاب يزعمون أنه غاب عنه أربعين سنة وظاهر
سباق القصة يرشد الى تحديد المدة تقريبا فان المرأة راودته وهو شاب ابن سبع عشرة سنة فيما فاه غير
واحد فامتنع فكان في السجن بضع سنين وهى سبع عند عكرمة وغيره . ثم أخرج فكانت سنوات
الخصب السبع ثم لما أحل الناس في السبع البواقي جاء إخوتهم يمتارون في السنة الأولى وخدم وفي
الثانية ومعهم أخوه بنيامين . وفي الثالثة تعرف اليهم وأمرهم باحضار أهلهم أجمعين فجاؤا كلهم (فلما دخلوا

عليه آوى إليه ابويه) اجتمع بها خصوصا وحدهما دون إخوته (وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) قيل هذا من المقدم والمؤخر تقديره ادخلوا مصر وآوى إليه ابويه . وضعفه ابن جرير وهو معذور * قيل تلقاها وآواها في منزل الخيام . ثم لما اقتربوا من باب مصر (قال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) قاله السدي . ولو قيل إن الأمر لا يحتاج إلى هذا أيضا وأنه ضمن قوله ادخلوا معنى اسكنوا مصر أو اقيموا بها (إن شاء الله آمنين) لكان صحيحا مليحا أيضا .

وعند أهل الكتاب أن يعقوب لما وصل إلى أرض جاشر وهي أرض بليس خرج يوسف لتلقيه وكان يعقوب قد بعث ابنه يهوذا بين يديه مبشرا بقدمه وعندهم أن الملك أطلق لهم أرض جاشر يكونون فيها ويقيمون بها بنعمهم ومواسيتهم * وقد ذكر جماعة من المفسرين أنه لما أرف قدمي نبي الله يعقوب وهو اسراييل أراد يوسف أن يخرج لتلقيه فركب معه الملك وجنوده خدمة ليوسف وتعظيما لنبي الله اسراييل وأنه دعا للملك وأن الله رفع عن أهل مصر بقية سني الجذب ببركة قدومه إليهم فأنعم الله عليهم وكان جملة من قدم مع يعقوب من بنيه وأولادهم فيما قاله أبو اسحاق السبيعي عن أبي عبيدة عن ابن مسعود ثلاثة وستين انسانا * وقال موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب عن عبد الله بن شداد كانوا ثلاثة وثمانين انسانا . وقال أبو اسحاق عن مسروق دخلوا وهم ثلثمائة وتسعون انسانا . قالوا وخرجوا مع موسى وهم أزيد من ستمائة الف مقاتل * وفي نص أهل الكتاب أنهم كانوا سبعين نفسا وسبعمائة . قال الله تعالى (ورفع أبويه على العرش) قيل كانت أمه قد ماتت كما هو عند علماء التوراة . وقال بعض المفسرين فأحياها الله تعالى وقال آخرون بل كانت خالته ليا وخالته بمنزلة الام . وقال ابن جرير وآخرون بل ظاهر القرآن يقتضي بقاء حياة أمه إلى يومئذ فلا يعول على نقل أهل الكتاب فيما خالفه وهذا قوي والله أعلم . ورفعها على العرش أي اجلسها معه على سريرها (وخروا له سجدا) أي سجدوا له الابوان والاخوة الأحد عشر تعظيما وتكريما وكان هذا مشروعا لهم ولم يزل ذلك معمولا به في سائر الشرائع حتى حرم في ملتنا . (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) أي هذا تعبير ما كنت قصصته عليك من رؤيتي الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر حين رأيتهم لي ساجدين وأمرتني بكنائنها ووعدتني ما وعدتني عند ذلك (قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن) أي بعد الهام والضيق جعلني حيا كما نافذ الكلمة في الديار المصرية حيث شئت (وجاء بكم من البدو) أي البادية وكانوا يسكنون أرض العربات من بلاد الخليل (من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي) أي فيما كان منهم إلى من الأمر الذي تقدم وسبق ذكره * ثم قال (إن ربي لطيف لما يشاء) أي إذا أراد شيئا هيا أسبابه ويسرها وسهلها من وجوه لا يهتدى إليها العباد بل يقدرها ويسرها بلطف صنعه وعظيم قدرته (إنه هو العليم) أي بجميع الأمور (الحكيم) في خلقه وشرعه وقدره .

وعند أهل الكتاب ان يوسف باع أهل مصر وغيرهم من الطعام الذي كان تحت يده - بأموالهم كلها من الذهب والفضة والعقار والأثاث وما يملكونه كله حتى باعهم بأنفسهم فصاروا أرقاء * ثم اطلق لهم أرضهم وأعتق رقابهم على أن يعملوا ويكون خمس ما يشتغلون من زرعهم وثمارهم للملك فصارت سنة أهل مصر بعده .

وحكى الثعلبي أنه كان لايشبع في تلك السنين حتى لاينسى الجيعان وأنه انما كان يأكل أكلة واحدة نصف النهار ذل فمن ثم اقتدى به الملوك في ذلك * قلت وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لايشبع بطنه عام الرمادة حتى ذهب الجذب وأتى الخصب .

قال الشافى قال رجل من الأعراب لعمر بعد ما ذهب عام الرمادة (لقد انجبت عنك وإنك لابن حرة) . ثم لما رأى يوسف عليه السلام نعمته قد تمت وشمله قد اجتمع عرف أن هذه الدار لا يقربها قرار وأن كل شئ فيها ومن عليها فان . وما بعد التمام الا النقصان فعند ذلك أثنى على ربه بما هو أهله واعترف له بعظيم إحسانه وفضله . وسأل منه وهو خير المسؤولين أن يتوفاه أى حين يتوفاه على الاسلام . وأن يلحقه بعباده الصالحين . وهكذا كما يقال في الدعاء (اللهم احينا مسلمين وتوفنا مسلمين) أى حين تتوفانا ويحتمل أنه سأل ذلك عند احتضاره عليه السلام كما سأل النبي (س) عند احتضاره أن يرفع روحه الى الملا الأعلى والرفقاء الصالحين من النبيين والمرسلين كما قال (اللهم فى الرفيق الأعلى ثلاثا ثم قضى) .

ويحتمل أن يوسف عليه السلام سأل الوفاة على الاسلام منجزا فى صحة بدنه وسلامته وأن ذلك كان سائفا فى ملهم وشرعتهم كما روى عن ابن عباس أنه قال ما تمنى نبي قط الموت قبل يوسف . فأما فى شريعتنا فقد نهى عن الدعاء بالموت الا عند الفتن كما فى حديث معاذ فى الدعاء الذى رواه أحمد (وإذا أردت قوم فتنه فتوفنا اليك غير مفتونين) وفى الحديث الآخر (ابن آدم الموت خير لك من الفتنة) وقالت مريم عليها السلام (يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) وتمنى الموت على بن أبى طالب لما تفاقمت الأمور وعظمت الفتن واشتد القتال وكثر القيل والقال وتمنى ذلك البخارى أبو عبد الله صاحب الصحيح لما اشتد عليه الحال ولقى من مخالفه الأهوال .

فأما فى حال الرفاهية فقد روى البخارى ومسلم فى صحيحهما من حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله (س) (لا يتمنى احدكم الموت لضر نزل به إما محسنا فيزداد وإما مسيئا فاعله يستعيب ولكن ليقل اللهم احينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى) والمراد بالضر ههنا ما يخص العبد فى بدنه من مرض ونحوه لافى دينه * والظاهر أن نبي الله يوسف عليه السلام سأل ذلك إما عند احتضاره أو إذا كان ذلك أن يكون كذلك .

وقد ذكر ابن اسحق عن أهل الكتاب أن يعقوب أقام بديار مصر عند يوسف سبع عشرة سنة ثم توفي عليه السلام وكان قد أوصى إلى يوسف عليه السلام أن يدفن عند أبويه إبراهيم واسحق. قال السدي فصر وسيره إلى بلاد الشام فدفنه بالمذارة عند أبيه اسحق وجده الخليل عليهم السلام. وعند أهل الكتاب أن عمر يعقوب يوم دخل مصر مائة وثلاثون سنة. وعندهم أنه أقام بأرض مصر سبع عشرة سنة ومع هذا قالوا فكان جميع عمره مائة وأربعين سنة * هذا نص كتابهم وهو غلط إما في النسخة أو منهم أو قد اسقطوا الكسر وليس بعادتهم فيما هو أكثر من هذا فكيف يستعملون هذه الطريقة ههنا وقد قال تعالى في كتابه العزيز (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه هذه الطريقة ههنا وقد قال تعالى في كتابه العزيز) أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون) يوصى بنيه بالاخلاص وهو دين الاسلام الذي بعث الله به الأنبياء عليهم السلام. وقد ذكر أهل الكتاب أنه أوصى بنيه واحداً واحداً وأخبرهم بما يكون من أمرهم وبشر يهودا بخروج نبي عظيم من نسله تطيعه الشعوب وهو عيسى بن مريم والله أعلم.

وذكروا أنه لما مات يعقوب بكى عليه أهل مصر سبعين يوماً وأمر يوسف الأطباء فطيبوه بطيب ومكث فيه أربعين يوماً ثم استأذن يوسف ملك مصر في الخروج مع أبيه ليدفنه عند أهله فأذن له وخرج معه أكبر مصر وشيوخها فلما وصلوا حبرون دفنوه في المغارة التي كان إشتراها إبراهيم الخليل من عفرون بن صخر الحيثي وعملوا له عزاء سبعة أيام قالوا ثم رجعوا إلى بلادهم وعزى إخوة يوسف ليوسف في أبيهم وترققوا له فأكرمهم وأحسن منقلبهم فأقاموا ببلاد مصر. ثم حضرت يوسف عليه السلام الوفاة فأوصى أن يحمل معهم إذا خرجوا من مصر فيدفن عند آباءه فحنطوه ووضعوه في تابوت فكان بمصر حتى أخرجه معه موسى عليه السلام فدفنه عند آباءه كما سيأتي. قالوا فمات وهو ابن مائة سنة وعشر سنين * هذا نص في رأيته وفيما حكاه ابن جرير أيضاً. وقال مبارك بن فضالة عن الحسن ألقى يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وغاب عن أبيه ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة. ومات وهو ابن مائة سنة وعشرين سنة * وقال غيره أوصى إلى أخيه يهودا صلوات الله عليه وسلامه.

قصّة نبي الهارون

قال ابن اسحق كان رجلاً من الروم وهو أيوب بن موص بن زراح بن العيص بن اسحق ابن إبراهيم الخليل. وقال غيره هو أيوب بن موص بن رعويل بن العيص بن اسحق بن يعقوب وقيل غير ذلك في نسبه. وحكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط عليه السلام. وقيل كان أبوه ممن آمن بإبراهيم

عليه السلام يوم ألقى في النار فلم تحرقه والمشهور الأول لأنه من ذرية إبراهيم كما قررنا عند قوله تعالى (ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون) الآيات من أن الصحيح أن الضمير عائد على إبراهيم دون نوح عليهما السلام. وهو من الأنبياء المنصوص على الإيماء إليهم في سورة النساء في قوله تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب) الآية فالصحيح أنه من سلالة العيص بن إسحق وإمرأته قيل اسمها ليا بنت يعقوب. وقيل رحمة بنت أفرايم. وقيل منشا بن يوسف بن يعقوب. وهذا أشهر فلماذا ذكرناه هاهنا. ثم نعطف بذكر أنبياء بني إسرائيل بعد ذكر قصته إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلم. قال الله تعالى (وأيوب إذ نادى ربه أي مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكري للعابدين) وقال تعالى في سورة ص (وإذ ذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أي مسنى الشيطان بنصب وعذاب. أركض برجلك هذا مقتسل بارد وشراب. ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكري لأولى الألباب. وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب) وروى ابن عساکر من طريق الكلبى أنه قال أول نبي بعث إدريس . ثم نوح . ثم إبراهيم . ثم إسماعيل . ثم إسحاق . ثم يعقوب . ثم يوسف . ثم لوط . ثم هود . ثم صالح . ثم شعيب . ثم موسى وهرون . ثم إلياس . ثم اليسع . ثم عوفى (١) بن سويلخ بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب . ثم يونس بن متى من بني يعقوب . ثم أيوب بن زراح (٢) بن آموص بن لبيفرز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم . وفي بعض هذا الترتيب نظر فإن هوداً وصالحاً المشهور أنهما بعد نوح . وقبل إبراهيم والله أعلم .

قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم كان أيوب رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه من الأنعام والعيود والمواشى والأراضى المنتسبة بأرض البثينة من أرض حوران .

وحكى ابن عساکر أنها كلها كانت له وكان له أولاد وأهلون كثير فسلم من ذلك جميعه وابتلى في جسده بأنواع البلاء ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه . يذكر الله عز وجل بها وهو في ذلك كاه صابر محتسب ذا كره عز وجل في ليله ونهاره وصباحه ومساءه . وطال مرضه حتى عافه الجليس وأوحش منه الأيس وأخرج من بلده وألقى على مزبلة خارجها واقطع عنه الناس ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته كانت ترعى له حقه وتعرف قديم إحسانه إليها وشفقته عليها فكانت تتردد إليه فتصلح من شأنه وتمينه على قضاء حاجته وتقوم بمصلحته . وضعف حالها وقل مالها حتى كانت تخدم الناس بالأجر لتطعمه وتقوم بأوده رضى الله عنها وأرضاها وهي صابرة معه على ما حل بهما من فراق

(١) في نسخة عربي . (٢) في نسخة راذح .

المال والولد وما يختص بها من المصيبة بالزوج وضيق ذات اليد وخدمة الناس بعد السعادة والنعمة والخدمة والحرمة فان الله وإنا اليه راجعون . وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله (ص) قال (أشد الناس بلاء الانبياء . ثم الصالحون . ثم الامثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابة زيد في بلاءه) . ولم يزد هذا كله أيوب عليه السلام الا صبورا واحتسابا وحداً وشكراً حتى أن المثل ليضرب بصبره عليه السلام ويضرب المثل أيضاً بما حصل له من أنواع البلاء * وقد روى عن وهب ابن منبه وغيره من علماء بني اسرائيل في قصة أيوب خبر طويل في كيفية ذهاب ماله وولده وبلائه في جسده والله أعلم بصحته * وعن مجاهد أنه قال كان أيوب عليه السلام أول من أصابه الجدرى وقد اختلفوا في مدة بلواه على أقوال فزعم وهب أنه ابتلى ثلاث سنين لا تزيد ولا تنقص . وقال أنس ابتلى سبع سنين وأشهرًا وألقى على مزبلة لبني اسرائيل تخلف الدواب في جسده حتى فرج الله عنه وعظم له الاجر وأحسن الثناء عليه .

وقال حميد مكث في بلواه ثمانية عشرة سنة . وقال السدي تساقط لحمه حتى لم يبق إلا العظم والعصب فكانت امرأته تأتيه بالرماد تفرشه تحته فلما طال عليها قالت (يا أيوب لو دعوت ربك لفرج عنك فقال قد عشت سبعين سنة صحيحاً فهو قليل لله أن أصبر له سبعين سنة) فجزعت من هذا الكلام وكانت تخدم الناس بالأجر وتطعم أيوب عليه السلام .

ثم إن الناس لم يكونوا يستخدمونها لعلمهم أنها امرأة أيوب خوفاً أن ينالهم من بلاءه أو تعذيبهم بمخالطته فلما لم تجد أحداً يستخدمها عمدت فباعت لبعض بنات الاشراف احدى صغيرتيها بطعام طيب كثير فأتت به أيوب فقال من أين لك هذا وانكره فقالت خدمت به أناساً فلما كان الغد لم تجد أحداً فباعت الضفيرة الأخرى بطعام فأتته به فانكره أيضاً وحلف لا يأكله حتى تخبره من أين لما هذا الطعام فكشفت عن رأسها خمارها فلما رأى رأسها مخلوقاً قال في دعائه (انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال كان لأيوب اخوان فجاء يوماً فلم يستطيعوا ان يدنوا منه من ريحه فقاما من بعيد فقال أحدها لصاحبه لو كان الله علم من أيوب خيراً ما ابتلاه بهذا فجزع أيوب من قولها جزعاً لم يجزع من شيء قط قال (اللهم ان كنت تعلم انى لم أبت ليلة قط شبعاً وأنا أعلم مكان جائف فصدقني) فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال (اللهم ان كنت تعلم انى لم يكن لى قميصان قط وأنا أعلم مكان عار فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان) ثم قال اللهم بعزتك وخر ساجداً فقال اللهم بعزتك لا أرفع رأسي أبداً حتى تكشف عني فما رفع رأسه حتى كشف عنه .

وقال ابن أبي حاتم وابن جرير جميعاً حدثنا يونس بن عبد الأعلى انبثنا ابن وهب أخبرني

٢٢٢

نفع بن يزيد عن عقيل عن الزهري عن أنس بن مالك أن النبي (ص) قال: (إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من أخوانه كانا من أخص أخوانه له كانا يقدوان اليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه يعلم الله لقد أذنب أيوب ذنبا ماأذنبه أحد من العالمين قال له صاحبه وما ذاك قال منذ ثمانى عشر سنة لم يرحمه ربه فيكشف مابه . فلما راحا اليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب لا أدري ماتقول غير أن الله عز وجل يعلم أى كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فارجع الى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا فى حق . قال وكان يخرج فى حاجته فاذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يرجع فلما كان ذات يوم أبطأت عليه فأوحى الله الى أيوب فى مكانه (أن أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) فاستبطنه فتلقتة تنظر وأقبل عليها قد أذهب الله مابه من البلاء وهو على أحسن ما كان فلما رأته قالت أى برك الله فىك هل رأيت بنى الله هذا المبتلى فوالله على ذلك مارأيت رجلا أشبه به منك اذ كان صحيحاً قال فانى أنا هو . قال وكان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت أحدهما على اندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وافرغت الأخرى فى اندر الشعير الورق حتى فاض . هذا لفظ ابن جرير وهكذا رواه بتمامه ابن جبان فى صحيحه عن محمد بن الحسن بن قتيبة عن حرمة عن ابن وهب به . وهذا غريب رفته جدا . والأشبه أن يكون موقوفاً . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو ثنا موسى بن اسميل حدثنا حماد ابنتنا على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال وألبسه الله حلة من الجنة فتنحى أيوب وجلس فى ناحية وجاءت امرأته فلم تعرفه فقالت يا عبد الله هذا المبتلى الذى كان ههنا لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب وجعلت تكلمه ساعة قال و لعل أنا أيوب قالت أتسخر منى يا عبد الله فقال ويمحك أنا أيوب قد رد الله على جسدي .

قال ابن عباس ورد الله عليه ماله وولده باعيانهم ومثلهم معهم . وقال وهب بن منبه . أوحى الله اليه قد رددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم فاغتسل بهذا الماء فان فيه شفاءك وقرب عن صحابتك قربانا واستغفر لهم فاتهم قد عصوني فىك رواه ابن أبي حاتم . وقال ابن أبي حاتم ثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا همام عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: لما عافى الله أيوب عليه السلام أمطر عليه جرادا من ذهب فجعل يأخذ يده ويجعل فى ثوبه قال فقيل له يا أيوب أما تشبع . قال يارب ومن يشبع من رحمتك وهكذا رواه الامام أحمد عن ابى داود الطيالسى وعبد الصمد عن همام عن قتادة به . ورواه ابن جبان فى صحيحه عن عبد الله بن محمد الأزدي عن اسحق بن راهويه عن عبد الصمد به ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب وهو على شرط الصحيح فالله أعلم .

وقال الامام أحمد ثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أرسل على أيوب رجل من جراد من ذهب فجعل يقبضها في ثوبه فقيل يا أيوب ألم يكفك ما أعطيناك قال أي رب ومن يستغنى عن فضلك . هذا موقوف . وقد روى عن أبي هريرة من وجه آخر مرفوعا .

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله (س) ، (بينما أيوب يغتسل عريانا آخر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحشي في ثوبه فناداه ربه عز وجل (يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى) قال بلى يارب ولكن لاغنى لى عن بركتك . رواه البخارى من حديث عبد الرزاق به وقوله (أركض برجلك) أى اضرب الأرض برجلك فامثل ما أمر به فانبع الله له عينا باردة الماء وأمر أن يغتسل فيها ويشرب منها فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى والسقم والمرض الذى كان فى جسده ظاهرا وباطنا وأبد له الله بعد ذلك كله صحة ظاهرة وباطنة وجمالا تاما ومالا كثيرا حتى صب له من المال صبا مطرا عظيما جرادا من ذهب واخلف الله له أهله كما قال تعالى (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) فقيل أحيام الله باعيانهم . وقيل أجره فيمن سلف وعوضه عنهم فى الدنيا بدلمهم وجمع له شمله بكلهم فى الدار الآخرة . وقوله (رحمة من عندنا) أى رفنا عنه شدته (وكشفنا ما به من ضر) رحمة منا به ودرأة واحسانا (وذكرى للعابدين) أى تذكرة لمن ابتلى فى جسده أو ماله أو ولده فله أسوة بنبي الله أيوب حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك فصبر واحتسب حتى فرج الله عنه .

ومن فهم من هذا اسم امرأته فقال هى رحمة من هذه الآية فقد ابد النجعة واغرق النزع . وقال انسحاق عن ابن عباس رد الله اليها شبابها وزادها حتى ولدت له ستة وعشرون ولدا ذكرا . وعاش أيوب بعد ذلك سبعين سنة بارض الروم على دين الحنيفة ثم غيروا بعده دين ابراهيم . رقبوله (خذ بيدك ضغنا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) هذه رخصة من الله تعالى لعبده ورسوله أرب عليه السلام فيما كان من حلفه ليضربن امرأته مائة سوط فقيل حلفه ذلك لبيعها ضغائرها . وقيل لأنه عرضها الشيطان فى صورة طبيب يصف لها دواء لأيوب فاتته خبرته فعرف أنه الشيطان فخاف ليضربها مائة سوط . فلما عاقاه الله عز وجل أفتاه أن يأخذ ضغنا وهو كالمشكال الذى يجمع الشاربخ فيجمعها كلها ويضربها به ضربة واحدة ويكون هذا منزلا منزلة الضرب بمائة سوط ويبر ولا يحنث . وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأطاعه ولا سبى فى حق امرأته الصابرة المحتسبة المكابدة الصديقة البارة الراشدة رضى الله عنها . ولهذا عقب الله هذه الرخصة وعلها بقوله (إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) وقد استعمل كثير من الفقهاء هذه الرخصة فى باب الايمان والتدور وتوسع آخرون فيها حتى وضعوا كتاب الحيل فى الخلاص من الايمان وصدروه بهذه الآية الكريمة

وأتوا فيه بأشياء من العجائب والغرائب * وسندكر طرفاً من ذلك في كتاب الأحكام عند الوصول إليه
ان شاء الله تعالى .

وقد ذكر ابن جرير وغيره من علماء التاريخ أن أيوب عليه السلام لما توفي كان عمره ثلاثاً وتسعين
سنة . وقيل إنه عاش أكثر من ذلك . وقد روى ليث عن مجاهد مامعناه أن الله يمتحن يوم القيامة
بسلطان عليه السلام على الأغنياء ويوسف عليه السلام على الأرقاء وبأيوب عليه السلام على أهل البلاء
رواه ابن عساکر بمعناه وأنه أوصى إلى ولده حومل وقام بالأمر بعده ولده بشر بن أيوب وهو الذي
يزعم كثير من الناس أنه ذو الكفل فله أعلم . ومات ابنه هذا وكان نبياً فيما يزعمون وكان عمره من
السنين خمساً وسبعين * ولندكر ههنا قصة ذي الكفل إذ قال بعضهم إنه ابن أيوب عليهما السلام *

قصه ذي الكفل

الذي زعم قوم أنه ابن أيوب * قال الله تعالى بعد قصة أيوب في سورة الأنبياء (واسماعيل
وادريس وذا الكفل كل من الصابرين . وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين) وقال تعالى بعد قصة
أيوب أيضاً في سورة ص (واذكر عبادنا إبراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار . إنا أخلصناهم
بمخالصة ذكري الدار . وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار . واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل
من الأخيار) فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي
عليه من ربه الصلاة والسلام وهذا هو المشهور . وقد زعم آخرون أنه لم يكن نبياً وإنما كان رجلاً صالحاً
وحكماً مقسطاً عادلاً * وتوقف ابن جرير في ذلك فله أعلم *

وروى ابن جرير وابن أبي نجیح عن مجاهد أنه لم يكن نبياً وإنما كان رجلاً صالحاً وكان قد تكفل
لبني قومه أن يكفيه أمرهم ويقضى بينهم بالعدل فسمى ذا الكفل . وروى ابن جرير وابن أبي حاتم
من طريق داود بن أبي هند عن مجاهد أنه قال لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلاً على الناس
يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل فجمع الناس فقال من يتقبل لي بثلاث استخلفه . يصوم النهار
ويقوم الليل ولا يفتضب . قال قام رجل تزدر به العين فقال أنا فقال أنت تصوم النهار وتقوم الليل
ولا تفتضب قال نعم . قال فردد ذلك اليوم وقال مثلها اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال
أنا . فاستخلفه قال فحمل إبليس يقول للشياطين عليكم بفلان فاعياهم ذلك فقال دعوني وإياه فأراه في صورة
شيخ كبير قهير وأمه حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النومه فدق الباب
فقال من هذا قال شيخ كبير مظلوم * قال قام ففتح الباب فحمل يقص عليه فقال إن بيني وبين قومي
خصومة وانهم ظلموني وفضلوا بي وفضلوا حتى حضر الرواح وذهبت القائلة وقال اذا رحمت فأنتي آخذ

لك بحقك فانطلق وراح . فكان في مجلسه فجعل ينظر هل يرى الشيخ فلم يره ققام يتبعه فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس وينتظره فلا يراه . فلما رجع الى القائلة فأخذ مضجعه أتاه فدىق الباب فقال من هذا فقال الشيخ الكبير المظلوم ففتح له فقال ألم أقل لك اذا قدمت فأنتى فقال إنهم أخبث قوم اذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نمطيك حقك واذا قت جحدوني قال فانطلق فاذا رحى فأنتى قال ففانتى القائلة فراح فجعل ينتظر فلا يراه وشق عليه. النعاس فقال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فأتى قد شق على النوم . فلما كان تلك الساعة جاء فقال له الرجل وراك وراك فقال إني قد أتيتك أمس فذكرت له أمرى فقال لا والله لقد أمرنا أن لا ندع أحدا يقربه فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتدور منها فاذا هو في البيت واذا هو يدق الباب من داخل قال فاستيقظ الرجل فقال يا فلان ألم أمرك قال أما من قبلى والله فلم تؤت فانظر من اين أتيت قال ققام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا الرجل معه في البيت فعرفه فقال أعدو الله قال نعم أعيتنى فى كل شىء ففعلت ما ترى لأغضبنيك فسماء الله ذا الكفل لانه تكفل بأمر فوفى به .

وقد روى ابن أبي حاتم أيضا عن ابن عباس قريبا من هذا السياق . وهكذا روى عن عبد الله ابن الحارث ومحمد بن قيس وابن حجية الاكبر وغيرهم من السلف نحو هذا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الجماهر أنبأنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن كنانة بن الاخنس قال سمعت الاشعري يعنى أبا موسى رضى الله عنه وهو على هذا المنبر يقول ما كان ذو الكفل نيا ولكن كان رجلا صالحا يصلى كل يوم مائة صلاة فتكفل له ذو الكفل من بعده يصلى كل يوم مائة صلاة فسمى ذا الكفل ورواه ابن جرير من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة . قال قال أبو موسى الاشعري قد كره منقطعا . فلما الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الاعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعد مولى طلحة عن ابن عمر قال سمعت من رسول الله (ص) حديثا لو لم أسمعه الا مرة أو مرتين حتى عد سبع مرار ولكن قد سمعته أكثر من ذلك قال كان الكفل من بنى اسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فاعطاها ستين دينارا على أن يطأها فلما قصد منها مقعد الرجل من امرأته ارعدت وبكت فقال لها ما يبكيك أكرهتك قالت لا ولكن هذا عمل لم أعمله قط وانما حملتني عليه الحاجة قال فتعلمين هذا ولم تفعلينه قط . ثم نزل فقال اذهبي بالدنانير لك . ثم قال والله لا يعصى الله الكفل أبدا فمات من ليلته فاصبح مكتوبا على بابه قد غفر الله لكفل . ورواه الترمذى من حديث الاعمش به وقال حسن . وذكر ان بعضهم رواه فوقفه على ابن عمر فهو حديث غريب جدا . وفي اسناده نظر فان سعدا هذا قال أبو حاتم لا أعرفه الا بحديث واحد ووثقه ابن حبان ولم يرو عنه سوى عبد الله بن عبد الله الرازى هذا فالله أعلم

باب فِكْرِكُمْ أَهْلَكُوا بَعَاءَةً

وذلك قبل نزول التوراة بدليل قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى الآية) . كما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والبزار من حديث عوف الاعرابي عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال ما أهلك الله قوما بعذاب من السماء أو من الأرض بعد ما أنزلت التوراة على وجه الأرض غير القرية التي مسخوها قرده . ألم تر أن الله تعالى يقول (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) ورفع البزار في رواية له . والاشبه والله أعلم وقفه فدل على أن كل أمة أهلكت بعامة قبل موسى عليه السلام . فمنهم أصحاب الرس قال الله تعالى في سورة الفرقان (وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا . وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا) . وقال تعالى في صورة ق (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد) وهذا السياق والذي قبله يدل على أنهم أهلكوا ودمروا وتبروا وهو الهلاك . وهذا يرد اختيار ابن جرير من أنهم أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة البروج لأن أولئك عند ابن اسحق وجماعة كانوا بعد المسيح عليه السلام وفيه نظر أيضا . وروى ابن جرير قال قال ابن عباس أصحاب الرس أهل قرية من قرى ثمود وقد ذكر الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر في أول تاريخه عند ذكر بناء دمشق عن تاريخ أبي القاسم عبد الله بن عبد الله بن جرداد (١) وغيره أن أصحاب الرس كانوا بحضور فبعث الله إليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه فسار عاد ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح بولده من الرس قتل الاحقاف وأهلك الله أصحاب الرس وانتشروا في اليمن كلها وفشوا مع ذلك في الأرض كلها حتى نزل جيرون بن سعد بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح دمشق وبنى مدينتها وسماها جيرون وهي ارم ذات العماد وليس أعمدة الحجارة في موضع أكثر منها بدمشق فبعث الله هود بن عبد الله بن رباح بن خالد بن الخلود بن عاد إلى عاد يعني أولاد عاد بالاحقاف فكذبوه وأهلكهم الله عز وجل فهذا يقتضي أن أصحاب الرس قبل عاد بدهور متطاولة فالله أعلم . وروى ابن أبي حاتم عن أبي بكر بن أبي عاصم عن أبيه عن شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال الرس بئر بأذربيجان . وقال الثوري عن أبي بكر عن عكرمة قال الرس بئر رسوا فيها نبيهم أي دفنوه فيها . وقال بن جرير قال عكرمة أصحاب الرس بئلاج وهم أصحاب ياسين . وقال

(١) المعروف ابن جراد .

قتادة فلعج من قرى اليمامة قلت فان كانوا اصحاب ياسين كما زعمه عكرمة فقد اهلكوا بعامة قال الله تعالى في قصتهم (ان كانت الاصيحة واحدة فاذا هم خامدون) وستاتي قصتهم بعد هؤلاء وان كانوا غيرهم وهو الظاهر فقد اهلكوا ايضا وتبروا * وعلى كل تقدير فيناني ما ذكره ابن جرير وقد ذكر ابو بكر محمد ابن الحسن النقاش ان اصحاب الرس كانت لهم بئر ترويههم وتكفي ارضهم جميعها وكان لهم ملك عادل حسن السيرة فلما مات وجدوا عليه وجدا عظيما فلما كان بعد ايام تصور لهم الشيطان في صورته وقال ايني لم امت ولكن تعيت عنكم حتى ارى صنيعكم ففرحوا اشد الفرح وامر بضرب حجاب بينهم وبينه واخبرهم انه لا يموت ابدا فصدق به اكثرهم وافتنوا به وعبدوه فبعث الله فيهم نبيا واخبرهم ان هذا شيطان يخاطبهم من وراء الحجاب ونهاهم عن عبادته وامرهم بعبادة الله وحده لا شريك له *

قال السهيلي وكان يوحى اليه في النوم وكان اسمه حنظلة بن صفوان فعدوا عليه فقتلوه والقوه في البئر فغار ماؤها وعطشوا بعد ريههم وييست اشجارهم واقطعت ثمارهم وخرت ديارهم وتبدلوا بعد الانس بالوحشة وبعد الاجتماع بالفرقة وهلكوا عن آخرهم وسكن في مساكنهم الجن والوحوش فلا يسمع ببقاعهم الا عزيف الجن وزئير الاسد وصوت الضباع . فاما مارواه اعنى ابن جرير عن محمد بن حميد عن سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن كعب القرظي قال قال رسول الله (ص) : (ان اول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الاسود) وذلك ان الله تعالى بعث نبيا الى اهل قرية فلم يؤمن به من اهلها الا ذلك الاسود . ثم ان اهل القرية عدوا على النبي فحفروا له بئرا فلقوه فيها ثم اطبقوا عليه بحجر اصم قال فكان ذلك العبد يذهب فيحطب على ظهره ثم ياتي بحطبه فيبيعه ويشترى به طعاما وشرا با ثم ياتي به الى ذلك البئر فيرفع تلك الصخرة ويمينه الله عليها ويدلى اليه طعامه وشرا به ثم يردھا كما كانت قال فكان كذلك ماشاء الله ان يكون * ثم انه ذهب يوما يحطب كما كان يصنع فجمع حطبه وحزم حزمته وفرغ منها فلما اراد ان يحتملها وجد سنة فاضطجع ينام فضرب الله على اذنه سبع سنين نائما ثم انه هب فتمطى وتحول لشقه الاخر فاضطجع فضرب الله على اذنه سبع سنين اخرى ثم انه هب واحتمل حزمته ولا يحسب انه نام الا ساعة من نهار فجاء الى القرية فباع حزمته ثم اشترى طعاما وشرا با كما كان يصنع * ثم انه ذهب الى الحفرة الى موضوعها الذي كانت فيه فالتيمسه فلم يجده وقد كان بدا لقومه فيه بداء فاستخرجوه وامنوا به وصدقوه * قال فكان نبيهم يسألهم عن ذلك الاسود ما فعل فيقولون له ماندرى حتى قبض الله النبي عليه السلام واهب الاسود من نومه بعد ذلك فقال رسول الله (ص) : ان ذلك الاسود لا اول من يدخل الجنة . فانه حديث مرسل ومثله فيه نظر . ولعل بسط قصته من كلام محمد ابن كعب القرظي والله اعلم .

ثم قد رده ابن جرير نفسه وقال لا يجوز ان يحمل هؤلاء على انهم اصحاب الرس المذكورون في القرآن

قال لأن الله أخبر عن أصحاب الرس انه أهلكهم وهؤلاء قد بداهم فأمنوا بنبيهم . اللهم إلا أن يكون حدثت لهم أحداث آمنوا بالنبي بعد هلاك آبائهم والله أعلم . ثم اختار أنهم أصحاب الأخدود وهو ضعيف لما تقدم ولما ذكر في قصة أصحاب الأخدود حيث توعدوا بالعذاب في الآخرة إن لم يتوبوا ولم يذكر هلاكهم وقد صرح بهلاك أصحاب الرس والله أعلم

قصّة قوم يس وهتم أصحاب القرية

قال الله تعالى (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون . إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون . قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون . قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون . وما علينا إلا البلاغ المبين . قالوا إنا تطيرنا بكم لننظنكم لننتهوا أن نرجنكم ولیمسنكم منا عذاب اليم . قالوا طائركم معكم إن ذكركم بل أنتم قوم مسرفون وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون وما لي لأعبد الذي فطرني وإليه ترجعون . أتأخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيئاً ولا يتقدون . إني إذا لفي ضلال مبين . إني آمنت بربكم فاسمعون . قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين . وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين . إن كانت الاصيحة واحدة فاذا هم خامدون)

اشهر عن كثير من السلف والخلف أن هذه القرية انطاكية . رواه ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وكعب الاحبار ووهب بن منبه وكذا روى عن بريدة بن الحبيب وعكرمة وقتادة والزهرى وغيرهم قال ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وكعب ووهب انهم قالوا وكان لها ملك اسمه انطيوخ بن انطيوخ وكان يعبد الاصنام فبعث الله اليه ثلاثة من الرسل وهم صادق وصدق وشلوم فكذبهم .

وهذا ظاهر أنهم رسل من الله عز وجل وزعم قتادة أنهم كانوا رسلا من المسيح . وكذا قال ابن جرير عن وهب عن بن سليمان عن شعيب الجبائي كان اسم المرسلين الاولين شمعون ويوحنا واسم الثالث بولس والقرية انطاكية .

وهذا القول ضعيف جدا لان أهل انطاكية لما بعث إليهم المسيح ثلاثة من الحواريين كانوا أول

(١) في نسخة ومنهم أصحاب القرية .

مدينة آمنت بالمسيح في ذلك الوقت ولهذا احدى كانت المدن الاربع التي تكون فيها تاركة النصراني وهن أنطاكية والقدس واسكندرية ورومية ثم بعدها الى القسطنطينية ولم يهلكوا وأهل هذه القرية المذكورة في القرآن أهلكوا كما قال في آخر قصتها بعد قتلهم صديق المرسلين (إن كانت إلا صيحة واحدة فاذا هم خامدون) لكن إن كانت الرسل الثلاثة المذكورون في القرآن بعثوا الى أهل أنطاكية قديما فكذبوهم وأهلكهم الله ثم عمرت بعد ذلك . فلما كان في زمن المسيح آمنوا رسله اليهم فلا يمنع هذا والله أعلم .

فاما القول بأن هذه القصة المذكورة في القرآن هي قصة أصحاب المسيح فضعيف لما تقدم ولأن ظاهر سياق القرآن يقتضى أن هؤلاء الرسل من عند الله . قال الله تعالى (وأضرب لهم مثلا) يعني لقومك يا محمد (أصحاب القرية) يعنى المدينة (اذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث) أى أيدينا بثالث في الرسالة (قالوا إنا اليكم مرسلون) فردوا عليهم بانهم بشر مثلهم كما قالت الأمم الكافرة لرسولهم يستبعدون أن يبعث الله نبيا بشريا فاجابوهم بأن الله يعلم أنا رسله اليكم ولو كنا كذبا عليه لعاقبنا وأتقم منا أشد الاتقام (وما علينا إلا البلاغ المبين) أى إنما علينا أى نبلغكم ما أرسلنا به اليكم والله هو الذى يهدى من يشاء ويضل من يشاء (قالوا إنا تطيرنا بكم) أى تشائمنا بما جئتمونا به (لنن لم تنهوا لرجنكم) بالمقال وقيل بالفعال ويؤيد الأول قوله (ولمسنكم منا عذاب اليم) فوعدوهم بالقتل والاهانة . (قالوا طأركم معكم) أى مردود عليكم (أن ذكركم) أى بسبب أنا ذكركم بالهدى ودعونا كم اليه توعدتمونا بالقتل والاهانة (بل أنتم قوم مسرفون) أى لا تقبلون الحق ولا تريدونه . وقوله تعالى (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) يعنى لنصرة الرسل وأظهار الايمان بهم (قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) أى يدعونكم الى الحق المحض بلا أجر ولا جماله . ثم دعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن عبادة ماسواه مما لا ينفع شيئا لافى الدنيا ولا فى الآخرة (إني إذا لفي ضلال مبين) أى إن تركت عبادة الله وعبدت معه ماسواه * ثم قال مخالبا للرسل (إني آمنت بربكم فاسمعون) قيل فاستمعوا مقالتي واشهدوا لي بها عند ربكم . وقيل معناه فاسمعوا يا قومي إيماني يرسل الله جهرة . فعند ذلك قتلوه . قيل رجما . وقيل عضا وقيل وثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه * وحكى ابن اسحق عن بعض أصحابه عن ابن مسعود قال وطئوه بارجلهم حتى أخرجوا قصبته .

وقد روى الثورى عن عاصم الاحول عن ابي بجز كان اسم هذا الرجل حبيب بن مري * ثم قيل كان نجارا وقيل جبالا . وقيل إسكافا . وقيل قصارا وقيل كان يتعبد فى غار هناك فالله أعلم وعن ابن عباس كان حبيب النجار قد أسرع فيه الجذام وكان كثير الصدقة قتله قومه . ولهذا قال تعالى

(إدخل الجنة) يعني لما قتله قومه أدخله الله الجنة فلما رأى فيها من انفضرة والسرور (قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) يعني ليؤمنوا بما آمنت به فيحصل لهم ما حصل لي قال ابن عباس نصح قومه في حياته (يا قوم اتبعوا المرسلين) وبعد مماته (ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) رواه ابن أبي حاتم وكذلك قال قتادة لا يلقى المؤمن الا نصحا لا يلقى غاشا لما عاين ما عاين من كرامة الله (ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) تمنى والله أن يعلم قومه بما عاين من كرامة الله وما هو عليه قال قتادة فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله (ان كانت الاصيحة واحدة فاذا هم خامدون) وقوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين) أى ما احتجنا في الانتقام منهم الى انزال جنود من السماء عليهم. هذا معنى ما رواه ابن اسحق عن بعض أصحابه عن ابن مسعود * قال مجاهد وقتادة وما أنزل عليهم جندا أى رسالة أخرى قال ابن جرير والأول أولى قلت وأقوى ولهذا قال (وما كنا منزلين) أى وما كنا نحتاج في الانتقام الى هذا حين كذبوا رسلنا وقتلوا ولينا (إن كانت الاصيحة واحدة فاذا هم خامدون) .

قال المفسرون بعث الله اليهم جبريل عليه السلام فأخذ بمضادتي الباب الذي لبلدهم ثم صاح بهم صيحة واحدة فاذا هم خامدون أى قد أخذت أصواتهم وسكنت حركاتهم ولم يبق منهم عين تطرف . وهذا كله مما يدل على أن هذه القرية ليست أنطاكية لأن هؤلاء أهلها كانوا يكذبون رسل الله اليهم وأهل أنطاكية آمنوا واتبعوا رسل المسيح من الحواريين اليهم فلماذا قيل إن أنطاكية أول مدينة آمنت بالمسيح * فأما الحديث الذي رواه الطبراني من حديث حسين الأشقرى عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي (ص) قال (السبق ثلاثة فالسابق الى موسى يوشع بن نون والسابق الى عيسى صاحب يس والسابق الى محمد على ابن أبي طالب) فانه حديث لا يثبت لأن حسيننا هذا متروك وشيى من الغلاة وتفردة بهذا مما يدل على ضعفه بالكفاية والله أعلم *

قصّة يونس

قال الله تعالى في سورة يونس (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها الاقوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) وقال تعالى في سورة الانبياء (وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله الا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) وقال تعالى في سورة الصافات (وإن يونس لمن المرسلين از أبق الى الفلك المشحون. فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالمرء وهو سقيم وانبثنا عليه شجرة من يقطين

وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتنعناهم الى حين). وقال تعالى في سورة نون (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم) لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين). قال أهل التفسير بعث الله يونس عليه السلام الى أهل نينوى من أرض الموصل فدعاهم الى الله عز وجل فكذبوه وتمردوا على كفرهم وعنادهم فلما طال ذلك عليه من أمرهم خرج من بين أظهرهم ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث.

قال ابن مسعود ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد من السلف والخلف فلما خرج من بين ظهرانيهم وتحققوا نزول العذاب بهم قذف الله في قلوبهم التوبة والابابة وندموا على ما كان منهم الى نبيهم فلبسوا المسوح وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ثم عجوا الى الله عز وجل وصرخوا وتضرعوا اليه وتمسكوا لديه وبكى الرجال والنساء والبنون والبنات والأهباب وجارت الأنعام والذواب والمواشي فرغت الأبل وفصلانها وخارت البقر وأولادها وثفت الغنم وحملانها وكانت ساعة عظيمة هائلة فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب الذي كان قد اتصل بهم بسببه ودار على رؤسهم كقطع الليل المظلم ولهذا قال تعالى (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها) أى هلا وجدت فيما سلف من القرون قرية آمنت بكاملها فدل على أنه لم يقع ذلك بل كما قال تعالى (وما أرسلنا في قرية من نبي الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون). وقوله (الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتنعناهم الى حين) أى آمنوا بكاملهم.

وقد اختلف المفسرون هل ينفعهم هذا الايمان في الدار الآخرة فينقذهم من العذاب الأخرى كما أقدمهم من العذاب الدنيوى على قولين الأظهر من السياق نعم والله أعلم كما قال تعالى (لما آمنوا) وقال تعالى (وأرسلناه الى مائة الف أو يزيدون فآمنوا فمتنعناهم الى حين). وهذا المتاع الى حين لا ينفى أن يكون معه غيره من رفع العذاب الأخرى والله أعلم.

وقد كانوا مائة الف لاحالة واختلفوا في الزيادة فن مكحول عشرة آلاف * وروى الترمذى وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زهير عن سمع أبا العالية حدثني أبي بن كعب أنه شال رسول الله (س) عن قوله (وأرسلناه الى مائة الف أو يزيدون) قال يزيدون عشرين ألفا فلولا هذا الرجل المبهم لكان هذا الحديث فاصلا في هذا الباب * وعن ابن عباس كانوا مائة الف وثلاثين ألفا وعنه وبضعة وثلاثين ألفا. وعنه وبضعة وأربعين ألفا وقال سعيد بن جبير كانوا مائة ألف وسبعين ألفا.

واختلفوا هل كان إرساله اليهم قبل الحوت أو بعده أو هما أمتان على ثلاثة أقوال هى مبسوطه في التفسير * والمقصود أنه عليه السلام لما ذهب مضابيا بسبب قومه ركب سفينة في البحر فلجبت بهم واضطربت وماجت بهم وقلت بما فيها وكادوا يفرقون على ما ذكره المفسرون * قالوا فاشتوروا فيما

فيا ينهم على أن يقتروا فن وقت عليه القرعة ألقوه من السفينة ليحفظوا منه . فلما اقتروا وقت القرعة على نبي الله يونس فلم يسمحوا به فلعادوها ثانية فوقت عليه أيضا فشر ليخضع ثيابه ويلقى بنفسه فأبوا عليه ذلك . ثم أعادوا القرعة ثالثة فوقت عليه أيضا لما يريد الله به من الأمر العظيم . قال الله تعالى (وإن يونس لمن المرسلين . إذ أبق إلى الفلك المشحون . فسام فكان من المدحضين . فالتقمه الحوت وهو ملبم) . وذلك أنه لما وقت عليه القرعة ألقى في البحر وبث الله عز وجل حوتا عظيما من البحر الأخضر فالتقمه وأمره الله تعالى أن لا يأكل له لحما ولا يهشم له عظما فليس لك برزق فأخذه فطاف به البحار كلها وقيل إنه ابتلع ذلك الحوت حوت آخر أكبر منه * قالوا ولما استقر في جوف الحوت حسب أنه قد مات فحرك جوارحه فتحرك فاذا هو حي فخر الله ساجدا وقال يارب أنجيتك لك مسجداً لم يبذلك أحد في مثله .

وقد اختلفوا في مقدار لبثه في بطنه . قال مجالد عن الشعبي التقمه ضحى ولفظه عشية * وقال قتادة مكث فيه ثلاثا وقال جعفر الصادق سبعة أيام ويشهد له شعر أمية بن أبي الصلت .

وَأَنْتَ بِفَضْلِ مَنْكَ نَجَّيْتَ يُونُسًا وَقَدَّبْتَ فِي أَضْعَافِ حُوتٍ لِيَالِيَا

وقال سعيد بن أبي الحسن وأبو مالك مكث في جوفه أربعين يوما والله أعلم كم مقدار ما لبث فيه والمقصود أنه لما جعل الحوت يطوف به في قرار البحار اللجبية ويقتمح به لجج الموج الأجاجي فسمع تسييح الحيتان للرحمن وحتى سمع تسييح الحصى لفتلق الحب والنوى ورب السمواب السبع والأرضين السبع وما بينها وما تحت الثرى * فعند ذلك وهنالك قال ما قال بلسان الحال والمقال كما أخبر عنه ذو العزة والجلال الذي يعلم السر والنجوى ويكشف الضر والبلوى سامع الأصوات وإن ضعفت وعالم الخفيات وإن دقت ومجيب الدعوات وإن عظمت حيث قال في كتابه المبين المنزل على رسوله الأمين وهو أصدق القائلين ورب العالمين وإله المرسلين (وذالنون إذ ذهب) إلى أهله (مفاضبا فظن أن لن قدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين . فظن أن لن قدر عليه) أن تضيق * وقيل معناه قدر من التقدير وهي لغة مشهورة قدر وقدر كما قال الشاعر .

فَلَا عَائِدَ ذَلِكَ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى تَبَارَكْتَ مَا يَقْدَرُ يَكُنْ فَلكَ الأَمْرُ

(فنادى في الظلمات) قال ابن مسعود وابن عباس وعمرو بن ميمون وسعيد بن جبيرة ومحمد بن كعب والحسن وقتادة والضحاك ظلمة الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وقال سالم بن أبي الجعد ابتلع الحوت حوت آخر فصار ظلمة الحوتين مع ظلمة البحر . وقوله تعالى (فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون) قيل معناه لولا أنه سبح الله هنالك وتقال ما قال من التهليل والتسبيح

والاعتراف لله بالخضوع والتوبة اليه والرجوع اليه للث هنالك الى يوم القيامة . وليث من جوف ذلك الحوت . هذا معنى ماروي عن سعيد بن جبير في إحدى الروايتين عنه . وقيل معناه (فلولا انه كلن) من قبل أخذ الحوت له (من المسبحين) أي المطيعين المصلين الذاكرين الله كثيرا قاله الضحاك بن قيس وابن عباس وأبو العالمة ووهب بن منبه وسعيد بن جبير والضحاك والسدي وعطاء بن السائب والحسن البصري وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير ويشهد لهذا ما رواه الامام أحمد وبعض أهل السنن عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال لي (يا غلام إني معلمك كلمات يحفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة) وروى ابن جرير في تفسيره والبخاري في مسنده من حديث محمد بن اسحاق عن حذيفة عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله (ص) « لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله الى الحوت أن خذ ولا تأخذش لحما ولا تكسر عظما » فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فأوحى الله اليه وهو في بطن الحوت إن هذا تسبيح دواب البحر * قال فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا (ياربنا إنا نسمع صوتا بأرض غريبة) قال ذلك عندي يونس عصاني فخبسته في بطن الحوت في البحر * قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم * قال فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت فقفه في الساحل كما قال الله (وهو سقيم) هذا لفظ ابن جرير إسناداً ومتمناً * ثم قال البخاري لا نعلمه يروى عن النبي (ص) إلا بهذا الإسناد كذا قال . وقد قال ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثني أبو صخر أن يزيد الرقاشي حدثه سمعت أنس بن مالك ولا أعلم إلا أن أنساً يرفع الحديث الى رسول الله (ص) ان يونس النبي عليه السلام حين بداله أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت قال (اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) فقبلت الدعوة تمن بالعرش فقالت الملائكة يارب صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال أما تعرفون ذلك . قالوا يارب ومن هو قال عبيد يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عملاً متقبلاً ودعوة مجابة قالوا ياربنا أولاً ترحم ما كان يصنعه في الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى فامر الحوت فطرحه في العراء * ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب به زاد ابن أبي حاتم * قال أبو صخر حميد بن زياد فأخبرني ابن قسيط وأنا أحدثه هذا الحديث أنه سمع أبا هريرة يقول طرح بلعراء وابنت الله عليه اليقطينة قلنا يا أبا هريرة وما اليقطينة قال شجرة الدباء قال أبو هريرة وهيا لله له أروية وحشية تأكل من خشاش الأرض أو قال هشاش الأرض . قال فتفتش عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت وقال أمية ابن أبي الصلت في ذلك بيتاً من شعره .

فَأَبْتٌ يَقْطِيناً عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ أَصْبَحَ ضَاوِياً

وهذا غريب أيضا من من هذا الوجه ويزيد الرقاشي ضعيف ولكن يتقوى بحديث أبي هريرة المتقدم كما يتقوى ذلك بهذا والله أعلم . وقد قال الله تعالى (فنبذناه) أى القيناه (بالراء) وهو المكان القفر الذى ليس فيه شئ من الأشجار بل هو عار منها (وهو سقيم) أى ضعيف البدن * قال ابن مسعود كهيئة الفرخ ليس عليه ريش * وقال ابن عباس والسدى وابن زيد كهيئة الضبي حين يولد وهو المنفرش ليس عليه شئ وابتنا عليه شجرة من يقطين * قال ابن مسعود وابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير ووهب ابن منبه وهلال بن يساف وعبد الله بن طاوس والسدى وقتادة والضحاك وعطاء الخرساني وغير واحد هو القرع * .

قال بعض العلماء فى انبات القرع عليه حكم حجة . منها أن ورقه فى غاية النعومة وكثير وظليل ولا يقربه ذباب ويؤكل ثمره من أول طلوعه الى آخره نيا ومطبوخا وبقشره وببزره أيضا وفيه نفع كثير وتقوية للدماغ وغير ذلك وتقدم كلام أبي هريرة فى تسخير الله تعالى له تلك الاروية التى كانت ترضعه لبنا وترعى فى البرية وتأتيه بكرة وعشية . وهذا من رحمة الله به ونعمته عليه وإحسانه اليه ولهذا قال تعالى (فاستجبنا له فنجيناها من الغم) أى الكرب والضيق الذى كان فيه (وكذلك نتجى المؤمنين) أى وهذا صنعنا بكل من دعانا واستجار بنا * قال ابن جرير حدثني عمران بن بكر الكلاعى حدثنا يحيى ابن صالح حدثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن حدثني بشر بن منصور عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن مالك وهو ابن أبي وقاص يقول سمعت رسول الله (ص) يقول اسم الله الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى قال فقلت يا رسول الله هى ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين قال هى ليونس خاصة وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها . ألم تسمع قول الله تعالى (فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك نتجى المؤمنين) فهو شرط من الله لمن دعاه به . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن كثير بن زيد عن المطب بن حنطب * قال أبو خالد أحسبه عن مصعب يعنى ابن سعد عن سعد . قال قال رسول الله (ص) (من دعا بدعاء يونس أستجيب له) قال أبو سعيد الأشج يريد به (وكذلك نتجى المؤمنين) وهذان طريقان عن سعد . وثالث أحسن منهما .

قال الامام أحمد حدثنا اسماعيل بن عمر حدثنا يونس بن أبي اسحق الهمداني حدثنا ابراهيم بن محمد ابن سعد حدثني والدى محمد عن أبيه سعد وهو ابن أبي وقاص قال مررت بثمان بن عفان فى المسجد فسلمت عليه فلا عينه منى ثم لم يرد على السلام فأتيت عمر بن الخطاب فقلت يا أمير المؤمنين هل حدث فى السلام شئ قال لا وماذا كنت لا إلا أتى مررت بثمان آفا فى المسجد فسلمت عليه فلا عينه منى ثم لم يرد على السلام . قال فارسل عمر الى عثمان فدعاه فقال ما منعك أن لا تكون رددت

على أخيك السلام . قال ما فعلت . قال سعد قلت بلى حتى حلف وحلفت . قال ثم إن عثمان ذكر قال بلى وأستغفر الله وأتوب إليه إنك مررت بي آفا وأنا احث نفسي بكلمة سمعتها من رسول الله (ص) لا والله ما ذكرتها قط الا تنشى بصرى وقلبي غشاوة قال سعد فانا أنبتك بها إن رسول الله (ص) ذكر لنا أول دعوة ثم جاء أعرابي فشغله حتى قام رسول الله (ص) فاتبعته فلما اشقت أن يسبقني الى منزله ضربت بقدمي الأرض فالتفت الى رسول الله (ص) فقال من هذا أبو اسحق قال قلت نعم يا رسول الله قال فه قلت لا والله إلا أنك ذكرت لنا أول دعوة . ثم جاء هذا الاعرابي فشغلك . قال نعم دعوة ذى النون إذ هو في بطن الحوت (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) فانه لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له ورواه الترمذى والنسائى من حديث ابراهيم بن محمد بن سعد به *

قتل يونس

قال الله تعالى (وإن يونس لمن المرسلين) وذكره تعالى في جملة الانبياء الكرام في سورتي النساء والانعام عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام * وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال قال رسول الله (ص) (لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) ورواه البخارى من حديث سفيان الثورى به * وقال البخارى أيضا حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس عن النبي (ص) قال ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى ونسبه الى أبيه . ورواه أحمد ومسلم وأبو داود من حديث شعبة به قال شعبة فيما حكاه أبو داود عنه لم يسمع قتادة من أبي العالية سوى أربعة أحاديث هذا احدها * وقد رواه الامام أحمد عن عفان عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن النبي (ص) قال (وما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) تفرد به أحمد ورواه الحافظ أبو القاسم الطبرانى * حدثنا محمد بن الحسن بن كيسان حدثنا عبد الله بن رجاء أنانا اسراييل عن أبي يحيى العتاب عن مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال (لا ينبغي لأحد أن يقول أنا عند الله خير من يونس بن متى) إسناده جيد ولم يخرجوه *

وقال البخارى حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن سعد بن ابراهيم سمعت حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) وكذا رواه مسلم من حديث شعبة به وفي البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن الفضل عن عبد الرحمن بن هرم عن الاعرج عن أبي هريرة في قصة المسلم الذي لطم وجه اليهودى حين قال لا والذي اصطفى موسى على

العالمين . قال البخاري في آخره (ولا أقول إن أحداً خيراً من يونس بن متى) أي ليس لاحد
 أن يفضل نفسه على يونس * والقول الآخر لا ينبغي لاحد أن يفضلني على
 يونس بن متى كما قد ورد في بعض الأحاديث لا تفضلوني على الأنبياء
 ولا على يونس بن متى * وهذا من باب الهضم والتواضع منه صلوات
 الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله والمرسلين

قصة موسى العظيم

وهو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام
 قال تعالى (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولا نبياً وناديناه من جانب الطور
 الأيمن وقربناه نجياً . ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبياً) وقد ذكره الله تعالى في مواضع كثيرة
 متفرقة من القرآن * وذكر قصته في مواضع متعددة مبسطة مطولة وغير مطولة وقد تكلمنا على ذلك
 كله في مواضعه من التفسير وسنورد سيرته ههنا من إبتدائها الى آخرها من الكتاب والسنة وما ورد
 في الآثار المنقولة من الاسرائيليات التي ذكرها السلف وغيرهم إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان *
 قال الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين تلو عليك من نبأ موسى
 وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح
 أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين . وزيد أن ننم على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم
 أئمةً ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم في الأرض ونرئى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا
 يحذرون) يذكر تعالى ملخص القصة ثم يبسطها بعد هذا فذكر أنه تلو على نبيه خير موسى وفرعون
 بالحق أي بالصدق الذي كان سامعه مشاهد للامر معان له (ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها
 شيعاً) أي تجبر وعتا وطنى وبنى وآثر الحياة الدنيا وأعرض عن طاعة الرب الأعلى وجعل أهلها شيعاً
 أي قسم رعيته الى أقسام وفرق وأنواع يستضعف طائفة منهم وهم شعب بنى اسرائيل الذين هم من سلالة
 نبي الله يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الله وكانوا إذ ذاك خيار أهل الأرض * وقد سلط عليهم
 هذا الملك الظالم الغاشم الكافر الفاجر يستعبدهم ويستخدمهم في أخس الصنائع والحرف وارداها وأدناها
 ومع هذا (يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين) وكان الحامل له على هذا الصنيع القبيح
 أن بنى اسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم ما يثرونه عن ابراهيم عليه السلام من أنه سيخرج
 من ذريته غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه وذلك والله أعلم حين كان جرى على سارة امرأة الخليل
 من ملك مصر من إرادته إياها على السوء وعصاة الله لها * وكانت هذه البشارة مشهورة في بنى اسرائيل

فتحدث بها القبط فيما بينهم ووصلت الى فرعون فذكرها له بعض امرائه واساورته وهم يسرون عنده
فامر عند ذلك بقتل أبناء بنى إسرائيل حذراً من وجود هذا الغلام ولن يغنى حذر من قدر .
وذكر السدى عن أبي صالح وأبي مالك عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أنس من
الصحابة أن فرعون رأى في منامه كأن نلراً قد أقبلت من نحو بيت المقدس فأحرقته دور مصر وجميع
القبط ولم تضر بنى إسرائيل * فلما استيقظ هاله ذلك فجمع الكهنة والحزاة والسحرة وسألهم عن ذلك
فقالوا هذا غلام يولد من هؤلاء يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه فلهدا أمر بقتل الغلمان وترك
النسوان ولهذا قال الله تعالى (وتريد أن ننم على الذين أستضعفوا فى الأرض) وهم بنو إسرائيل
(ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) أى الذين يؤل ملك مصر وبلادها اليهم (ونمكن لهم فى الأرض
وئرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) أى سنجعل الضعيف قويا والمقهور قادراً
والذليل عزيزاً وقد جرى هذا كله لبنى إسرائيل كما قال تعالى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارك الأرض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا الآيات)
وقال تعالى (كم تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بنى إسرائيل) وسيأتى
تفصيل ذلك فى موضعه إن شاء الله .

والمقصود أن فرعون احترز كل الاحتراز أن لا يوجد موسى حتى جعل رجلاً وقوابل يدورون
على الجبال ويصلون ميقات وضعهن فلا تلد امرأة ذكراً إلا ذبحه أولئك الذباحون من ساعته * وعند
أهل الكتاب أنه إنما كان يأمر بقتل الغلمان لتضعف شوكة بنى إسرائيل فلا يقاومونهم إذا غالبهم أو
قاتلهم . وهذا فيه نظر بل هو باطل وإنما هذا فى الأمر بقتل الولدان بعد بعثة موسى كما قال تعالى
(فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) ولهذا قالت بنو
إسرائيل لموسى (أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) فالصحيح أن فرعون إنما أمر بقتل الغلمان
أولاً حذراً من وجود موسى . هذا والقدر يقول يا أيها ذا الملك الجبار المفرور بكثرة جنوده وسلطة
بأسه واتساع سلطانه قد حكم العظيم الذى لا يغالب ولا يمانع ولا يخالف أقداره ان هذا المولود الذى
تحترز منه وقد قتلت بسببه من النفوس مالا يعد ولا يحصى لا يكون مرباه إلا فى دارك وعلى فراشك
ولا يفتدى إلا بحامك وشرابك فى منزلك وأنت الذى تتبناه وتربيه وتتعداه ولا تطلع على سر معناه
ثم يكون هلاكك فى دنياك وأخراك على يديه لمخالفتك ما جاءك به من الحق المبين وتكذيبك ما أوحى
اليه لتعلم أنت وسائر الخلق أن رب السموات والأرض هو الفعال لما يريد وأنه هو القوى الشديد
ذو البأس العظيم والحول والقوة والمشيمة التى لا مرد لها .

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن القبط شكوا الى فرعون قلة بنى إسرائيل بسبب قتل

ولدتهم الذكور وخشى أن تنفاني الكبار مع قتل الصغار فيصرون هم الذين يلون ما كان بنو إسرائيل يماجون فامر فرعون بقتل الأبناء عاماً وأن يتركوا عاماً فذكروا أن هرون عليه السلام ولد في عام المساحة عن قتل الأبناء وأن موسى عليه السلام ولد في عام قتلهم فضاقت أمه به ذرعاً واحترزت من أول ما حبلت ولم يكن يظهر عليها مخاض الجبل. فلما وضعت اهتمت أن اتخذت له تابوتاً فربطته في جبل وكانت دارها متاخمة للنيل فكانت ترضعه فإذا خشيت من أحد وضعت في ذلك التابوت فأرسلته في البحر وأمسكت طرف الجبل عندها فإذا ذهبوا استرجعته إليها به . قال الله تعالى (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فإلقه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون) هذا الوحي وحى الهام وإرشاد كما قال تعالى (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كل من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً الآية) وليس هو بوحى نبوة كما زعمه ابن حزم وغير واحد من المتكلمين بل الصحيح الأول كما حكاه أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة .

قال السهيلي واسم أم موسى أيارخا . وقيل أياذخت^(١) * والمقصود أنها أرشدت إلى هذا الذي ذكرناه والتي في خلدتها وروعها أن لا تخافي ولا تحزني فإنه ان ذهب فان الله سيردك إليك وان الله سيجعله نبيا مرسلًا يعلى كلمته في الدنيا والآخرة فكانت تصنع ما أمرت به فأرسلته ذات يوم وذهلت أن تربط طرف الجبل عندها فذهب مع النيل فر على دار فرعون (فالتقطه آل فرعون) قال الله تعالى (ليكون لهم عدواً وحزناً) قال بعضهم هذه لام العاقبة وهو ظاهر ان كان متعلقاً بقوله فالتقطه * وأما ان جعل متعلقاً بمضمون الكلام وهو أن آل فرعون قيسوا لالتقاطه ليكون لهم عدواً وحزناً صارت اللام معطلة كغيرها والله أعلم * ويقوى هذا التقدير الثاني قوله (إن فرعون وهامان) وهو الوزير السوء (وجنودهما) المتابعين لها (كانوا خاطئين) أي كانوا على خلاف الصواب فاستحقوا هذه العقوبة والحسرة .

وذكر المفسرون أن الجوارى التقطنه من البحر في تابوت مغلق عليه فلم يتجاسرن على فتحه حتى وضعته بين يدي امرأة فرعون آسية بنت مزاحم بن عبد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف * وقيل انها كانت من بنى إسرائيل من سبط موسى * وقيل بل كانت عمته حكاه السهيلي فله أعلم .

وسبأني متصحها والثناء عليها في قصة مريم بنت عمران وأنها يكونان يوم القيامة من أزواج رسول

(١) والذي في تفسير القرطبي عن الثعلبي لوخا بنت هاند بن لاوا بن يعقوب . وفي بعض التفاسير

اسمها (يوحاند) .

صلى (س) في الجنة • فلما فتحت الباب وكشفت الحجاب رأت وجهه يتلأأ بتلك الأنوار النبوية والجلالة الموسوية فلما رآته ووقع نظرها عليه أحبته حباً شديداً جداً • فلما جاء فرعون قال ما هذا وأمر بذبحه فاسترهبته منه ودفعت عنه (وقالت قرّة عين لي ولك) فقال لها فرعون أما لك فنعم وأما لي فلا أي حاجة لي به (والللاء موكل بالمنطق) . وقولها (عسى أن ينفعنا) وقد أنلها الله ما رجحت من النفع أما في الدنيا فهداها الله به وأما في الآخرة فأسكنها جنته بسببه (أو تتخذه ولداً) وذلك أنها تبنياه لأنه لم يكن يولد لها ولد . قال الله تعالى (وهم لا يشعرون) أي لا يدرون ماذا يريد الله بهم أن يرضيهم لالتقاطه من النعمة العظيمة بفرعون وجنوده . (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمان عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه إلى أمه كي تفر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو عبيدة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً أي من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى إن كادت لتبدي به أي لتظهر أمره وتسال عنه جهرة (لولا أن ربطنا على قلبها) أي صبرناها وثبتناها (لتكون من المؤمنين) وقالت لاخته وهي ابنتها الكبيرة قصيه أي اتبعي أثره واطلبي له خبره فبصرت به عن جنب • قال مجاهد عن بعد • وقال قتادة جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريد • ولهذا قال (وهم لا يشعرون) وذلك لأن موسى عليه السلام لما استقر بدار فرعون أرادوا أن يغذوه برضاعة فلم يقبل ثدياً ولا أخذ طعاماً فخاروا في أمره واجتهدوا على تغذيته بكل ممكن فلم يفعل . كما قال تعالى (وحرمانا عليه المراضع من قبل) فأرسلوه مع القوايل والنساء إلى السوق لعل يجدون من يوافق رضاعته فينمواهم وقوف به والناس عكوف عليه إذ بصرت به اخته فلم تظهر أنها تعرفه بل قالت (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون) • قال ابن عباس لما قالت ذلك قالوا لها ما يدريك بنصحهم وشفتهم عليه فقالت رغبة في صهر الملك ورجاء منفعة فأطلقوها وذهبوا معها إلى منزلهم فأخذته أمه فلما أرضعته التقم ثديها وأخذ يمتصه ويرتضعه ففرحوا بذلك فرحاً شديداً وذهب البشير إلى آسية يعلمها بذلك فاستدعتها إلى منزلها وعرضت عليها أن تكون عندها وأن تحسن إليها فأبت عليها وقالت إن لي بملا وأولاداً ولست أقدر على هذا إلا أن ترسله معي فأرسلته معها وربت لها رواتب وأجرت عليها النفقات والكساوى والهبات فرجعت به تحوزة إلى رحلها وقد جمع الله شمله بشملها . قال الله تعالى (فرددناه إلى أمه كي تفر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق) أي كما وعدناها برده ورسالته فهذا رده وهو دليل على صدق البشارة برسالته (ولكن أكثرهم لا يعلمون) وقد امتن الله على موسى بهذا ليلة كلفه فقال له فيما قال له (ولقد متنا عليك مرة أخرى إذ

أوهينا إلى أمك يا يحيى إني اقتنيه في التابوت فألقيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدوى وعدوه له وأتيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني) إذ قال قتادة وغير واحد من السلف أي تطعم وترفه وتغذي باطيب المأكول وتلبس أحسن الملابس برأى مني وذلك كله بحفظي وكلائتني لك فيما صنعت بك لك وقدرته من الأمور التي لا يقدر عليها غيري (إذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرددناك إلى أمك كي تفر عينها ولا تحزن وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتوناً) وسنورد حديث الفتون في موضعه بعد هذا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان .

(ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين . ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين * قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم * قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين) لما ذكر تعالى أنه أنعم على أمه برده لها وإحسانه بذلك وإمتهانه عليها شرع في ذكر أنه لما بلغ أشده واستوى وهو إحكام الخلق والخلق وهو سن الأربعين في قول الأثرين آناه الله حكماً وعلماً وهو النبوة والرسالة التي كان بشر بها أمه حين قال (إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) ثم شرع في ذكر سبب خروجه من بلاد مصر وذهابه إلى أرض مدين وإقامته هناك حتى كمل الأجل واقضى الأمد وكان ما كان من كلام الله له واكرامه بما أكرمه به كما سيأتي . قال تعالى (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة وعكرمة وقتادة والسدي وذلك نصف النهار * وعن ابن عباس بين المشائين (فوجد فيها رجلين يقتتلان) أي يتضاربان ويتهاوشان (هذا من شيعته) أي إسرائيلي (وهذا من عدوه) أي قبطي قاله ابن عباس وقتادة والسدي ومحمد بن اسحاق (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وذلك أن موسى عليه السلام كانت له بديار مصر صولة بسبب نسبه إلى تبنى فرعون له وتربيته في بيته وكانت بنو إسرائيل قد عزوا وصارت لهم وجاهاً وارتفعت رؤسهم بسبب أنهم أَرْضَعُوهُ وهم أخواله أي من الرضاعة فلما استغاث ذلك الإسرائيلي موسى عليه السلام على ذلك القبطي أقبل إليه موسى (فوكزه) * قال مجاهد أي طعنه بجمع كفه * وقال قتادة بمصا كانت معه (قضى عليه) أي فمات منها * وقد كان ذلك القبطي كافراً مشركاً بالله العظيم ولم يرد موسى قتله بالكفاية وإنما أزدزجره وردعه ومع هذا (قال) موسى (هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين . قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم . قال رب بما أنعمت علي) أي من العز والجلالة (فلن أكون ظهيراً للمجرمين . فاصبح في المدينة خائفاً يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوى مبين . فلما أراد ان يبطش بالذي هو عدو لها قال يا موسى

أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين . وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملا يأمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين

يخبر تعالى أن موسى أصبح بمدينة مصر خائفاً أي من فرعون وملأه أن يعلموا أن هذا القاتل الذي رفع إليه أمره إنما قتله موسى في نصرته رجل من بني إسرائيل فتقوى ظنونهم أن موسى منهم ويترتب على ذلك أمر عظيم فصار يسير في المدينة في صبيحة ذلك اليوم (خائفاً يترقب) أي يلتفت فينما هو كذلك إذا ذلك الرجل الإسرائيلي الذي استنصره بالأمس يستصرخه أي يصرخ به ويستغيثه على آخر قد قاتله فعنفه موسى ولامه على كثرة شره ومخاصمته قال له إنك لغوى مبين * ثم أراد أن يبطش بذلك القبطي الذي هو عدو لموسى وللإسرائيليين فيردعه عنه ويخلصه منه فلما عزم على ذلك وأقبل على القبطي (قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين) قال بعضهم إنما قال هذا الكلام الإسرائيلي الذي إطلع على ما كان صنع موسى بالأمس وكأنه لما رأى موسى مقبلاً إلى القبطي إعتقد أنه جاء إليه لما عنفه قبل ذلك بقوله إنك لغوى مبين فقال ما قال لموسى وأظهر الأمر الذي كان وقع بالأمس فذهب القبطي فاستعدى موسى إلى فرعون . وهذا الذي لم يذكر كثير من الناس سواه . ويحتمل أن قاتل هذا هو القبطي وأنه لما رآه مقبلاً إليه خافه ورأى من سجيته إنتصاراً جيداً للإسرائيليين فقال ما قال من باب الظن والفراسة إن هذا لعله قاتل ذلك القاتل بالأمس أولعله فهم من كلام الإسرائيلي حين أستصرته عليه مادله على هذا والله أعلم .

والمقصود أن فرعون بلغه أن موسى هو قاتل ذلك المقتول بالأمس فأرسل في طلبه وسبقهم رجل ناصح عن طريق أقرب (جاء من أقصى المدينة) ساعياً إليه مشفقاً عليه فقال (يا موسى إن الملا يأمرون بك ليقتلوك فاخرج) أي من هذه البلدة (إني لك من الناصحين) أي فيما أقوله لك قال الله تعالى (فخرج منها خائفاً يترقب) أي فخرج من مدينة مصر من فوره على وجهه لا يهتدي إلى طريق ولا يعرفه قائلاً (رب نجني من القوم الظالمين . ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لانسق حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لها ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير) . يخبر تعالى عن خروج عبده ورسوله وكليهما من مصر خائفاً يترقب أي بتلفت خشية أن يدركه أحد من قوم فرعون وهو لا يدري أين يتوجه ولا إلى أين يذهب وذلك لأنه لم يخرج من مصر قبلها (ولما توجه تلقاء مدين) أي أتجه له طريق يذهب فيه (قال عسى ربي أن يهديني

سواء السبيل). أى عسى أن تكون هذه الطريق موصلة الى المقصود * وكذا وقع أو صلته الى مقصود
 وأى مقصود (ولما ورد ماء مدين) وكانت بئرا يستقون منها * ومدين هي المدينة التي أهلك الله فيها
 أصحاب الأيكة وهم قوم شعيب عليه السلام * وقد كان هلاكهم قبل زمن موسى عليه السلام في أحد
 قولي العلاء * (ولما ورد الماء) المذكور (وجد عليه أمة من الناس يستقون ووجد من دونهم امرأتين
 تذودان) أى تكفكفان غنهما أن تختاط بغم الناس * وعند أهل الكتاب أنهم كن سبع بنات .
 وهذا أيضاً من الغلط وكأنه كن سبعا ولكن إنما كان تسقى إثنان منهن . وهذا الجمع ممكن ان كان ذلك
 محفوظا والا فالظاهر أنه لم يكن له سوى بنتان (قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا
 شيخ كبير) أى لا قدر على ورود الماء إلا بعد صدور الرعاء لضعفنا وسبب مباشرتنا هذه الرعية
 ضعف أينا وكبره قال الله تعالى (فسقى لهما) .

قال المفسرون وذلك أن الرعاء كانوا اذا فرغوا من ورددهم وضعوا على فم البئر صخرة عظيمة
 فتجى هاتان المرأتان فيشرعان غنهما في فضل أغنام الناس فلما كان ذلك اليوم جاء موسى فرجع تلك
 الصخرة وحده . ثم استقى لهما وسقى غنهما ثم رد الحجر . كما كان * قال أمير المؤمنين عمر وكان لا يرفعه
 إلا عشرة وإنما استقى ذنوبا واحدا فكفاها . ثم تولى الى الظل قالوا وكان ظل شجرة من السم * روى
 ابن جرير عن ابن مسعود أنه رآها خضراء ترف (قال رب إني لما أنزلت الى من خير فقير) قال ابن
 عباس سار من مصر الى مدين لم يأكل إلا البقل وورق الشجر وكان حافيا فسقطت نعل قدميه من
 الحفاء وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه وان بطنه لاصق بظهره من الجوع وإن خضرة البقل
 ترى من داخل جوفه وأنه لمحتاج الى شق تمر * قال عطاء بن السائب لما (قال رب إني لما أنزلت الى
 من خير فقير) اسمع المرأة (فجاءته احداها تمشى على استحياء قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما
 سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين . قالت احداها يا أبت
 إستأجره إن خير من إستأجرت القوى الامين . قال إني أريد أن انكحك إحدى ابنتي هاتين على
 أن تأجرني ثمانى حجج فإن اتمت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من
 الصالحين . قال ذلك بينى وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على الله على ما تقول وكيلا لما
 جلس موسى عليه السلام فى الظل و (قال رب إني لما أنزلت الى من خير فقير) سمعته المرأتان فيما قيل
 فذهبتا الى أبيهما فيقال إنه استنكر سرعة رجوعهما فأخبرناه ما كان من أمر موسى عليه السلام فأمر
 احداها أن تذهب اليه فتدعوه فجاءته احداها تمشى على استحياء أى مشى الحرير قالت إن أبى يدعوك
 ليجزيك أجر ما سقيت لنا * صرحت له بهذا لئلا يوم كلامها ريبة . وهذا من تمام حياتها وصيانتها
 فلما جاءه وقص عليه القصص وأخبره خبره وما كان من أمره فى خروجه من بلاد مصر فرارا من

فرعونها (قال له) ذلك الشيخ (لانخف نجوت من القوم الظالمين) أى خرجت من سلطاتهم فليست في دولتهم

وقد اختلفوا في هذا الشيخ من هو قبيل هو شعيب عليه السلام . وهذا هو المشهور عند كثيرين وممن نص عليه الحسن البصرى ومالك بن أنس . وجاء مصرحاً به في حديث ولكن في إسناده نظر وصرح طائفة بان شعيبا عليه السلام عاش عمراً طويلاً بعد هلاك قومه حتى أدركه موسى عليه السلام وتزوج بابنته . وروى ابن أبي حاتم وغيره عن الحسن البصرى أن صاحب موسى عليه السلام هذا اسمه شعيب وكان سيد الماء ولكن ليس بالنبي صاحب مدين * وقيل إنه ابن أخى شعيب * وقيل ابن عمه * وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب * وقيل رجل اسمه يثرون هكذا هو في كتب أهل الكتاب يثرون كاهن مدين أى كبيرها وعالمها * قال ابن عباس وأبو عبيدة بن عبد الله اسمه يثرون : زاد أبو عبيدة وهو ابن أخى شعيب . زاد ابن عباس صاحب مدين .

والمقصود أنه لما أضافه وأكرم مثواه وقص عليه ما كان من أمره بشره بأنه قد نجا فعند ذلك قالت إحدى البنيتين لا بها يا أبت إستأجره أى لرعى غنمك ثم مدحته بأنه قوى أمين قال عمرو ابن عباس وشريح القاضي وأبو مالك وقتادة ومحمد بن اسحق وغير واحد لما قالت ذلك قال لها أبوها وماءك بهذا فتالت إنه رفع صخرة لا يطبق رفقها إلا عشرة . وأنه لما جئت معه تدمت امامه فقال كوني من ورأى فاذا اختلف الطريق فاخذ في لى بحصاة أعلم بها كيف الطريق .

قال ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة * صاحب يوسف حين قال لامراته أكرمي مثواه * وصاحبة موسى حين قالت يا أبت إستأجره إن خير من إستأجرت القوى الأمين * وأبو بكر حين أستخلف عمر بن الخطاب قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج فان اتهمت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين) استدل بهذا جماعة من أصحاب أبى حنيفة رحمه الله على صحة ما اذا باعه أحد هذين العبدین أو الثوين ونحو ذلك أنه يصح لقوله إحدى ابنتي هاتين * وفي هذا نظر لأن هذه مراوضة لاماقله والله أعلم .

واستدل أصحاب احمد على صحة الايجار بالطعمة والكسوة كما جرت به العادة وأستانسوا بالحديث الذى رواه ابن ماجه فى سننه مترجماً فى كتابه (باب إستئجار الاجير) على طعام بطنه حدثنا محمد ابن الصفي الحمصي حدثنا بنية بن الوليد عن مسleme بن على عن سعيد بن أبى أيوب عن الخارث بن يزيد عن على بن رباح قال سمعت عتبة بن الدر يقول كنا عند رسول الله (ص) فقرأ طس حتى اذا بلغ قصة موسى قال ان موسى عليه السلام آجر نفسه ثمانى سنين أو عشرة على عفة فرجه وطعام بطنه وهذا من هذا الوجه لا يصح لأن مسleme بن على الحسنى الدمشقى البلاطى ضعيف عند الأئمة لا يحتج بتفرده ولكن

قد روى من وجه آخر قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكر حدثني ابن لهيعة (ح) وحدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الله بن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي قال سمعت عتبة بن النُدْر السلمي صاحب رسول الله (ص) يحدث أن رسول الله قال إن موسى عليه السلام آجر نفسه لعفة فرجه وطعمة بطنه * ثم قال تعالى (ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ والله على ما هول وكيل) يقول إن موسى قال لصهره الأمر على ما قلت فإيهما قضيت فلا عدوان عليّ والله على ما هول وكيل ووكيل عليّ وعليك ومع هذا فلم يقض موسى إلا أكل الأجلين وأتمهما وهو العشر سنين كوامل تامه .

قال البخاري حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا مروان بن شجاع عن سالم الأقطس عن سعيد بن جبير قال سألت يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضى موسى فقلت لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى أكثرهما وأطيبهما إن رسول الله إذا قال فعل . تفرد به البخاري من هذا الوجه وقد رواه النسائي في حديث الفتون كما سيأتي من طريق القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير وقد رواه ابن جرير عن أحمد بن محمد الطوسي وابن أبي حاتم عن أبيه كلاهما عن الحميدي عن سفيان بن عيينة حدثني إبراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال سألت جبريل أي الأجلين قضى موسى قال أتمهما وأكلمهما * وإبراهيم هذا غير معروف إلا بهذا الحديث . وقد رواه البزار عن أحمد بن أبان القرشي عن سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن أعين عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي (ص) فذكره وقد رواه سنيد عن حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مرسلًا أن رسول الله سأل عن ذلك جبريل فسأل جبريل إسرافيل فسأل إسرافيل الرب عز وجل فقال أبرها وأوفأها . وبنحوه رواه ابن أبي حاتم من حديث يوسف بن سرح مرسلًا ورواه ابن جرير من طريق محمد بن كعب أن رسول الله (ص) سئل أي الأجلين قضى موسى قال أوفأها وأتمهما . وقد رواه البزار وابن أبي حاتم من حديث عويد بن أبي عمران الجوني وهو ضعيف عن أبيه عن عبد الله ابن الصامت عن أبي ذر أن رسول الله (ص) سئل أي الأجلين قضى موسى قال أوفأها وأبرها قال وإن سئلت أي المرأتين تزوج قهل الصغرى منهما . وقد رواه البزار وابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح عن عتبة بن النُدْر أن رسول الله قال إن موسى آجر نفسه بعفة فرجه وطعام بطنه * فلما وفي الأجل قيل يا رسول الله أي الأجلين قال أبرها وأوفأها * فلما أراد فراق شعيب سأل إسرأته أن تسأل أبأها أن يعطيها من غنمه ما يعيشتون به فاعطاها ما ولت من غنمه من قالبون من ولد ذلك العام وكانت غنمه سودا حسانا فانطلق موسى عليه السلام

الى عصا قسمها من طرفها * ثم وضعها في أدنى الحوض ثم أوردتها فسقاها ووقف موسى عليه السلام
بازاء الحوض فلم يصدر منها شاة الا ضرب جنبها شاة شاة قال فأممت وأنت (١) ووضعت كلها قوالب الوان
إلا شاة أو شاتين ليس فيها فشوش ولا ضبوب ولا عزوز ولا ثعول ولا كوش تفوت الكف قال
النبي (ص) لو أقتحمت الشام وجدتم بقايا تلك الغنم وهي السامرية . قال ابن لهيعة الفشوش واسعة السخب
والضبوب طويلة الضرع تجره والعزوز ضيقة السخب والثعول الصغيرة الضرع كالحلتهتين والكوش التي
لا يحكم الكف على ضرعها لصغره وفي صحة رفع هذا الحديث نظر * وقد يكون موقوفا كما قال ابن
جرير حدثنا محمد بن المثني حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة حدثنا أنس بن مالك قال لما دعا
نبي الله موسى صاحبه الى الأجل الذي كان بينهما قال له صاحبه كل شاة ولدت على لونها فلك ولدها
فعمد فوضع خيالا على الماء فلما رأت الخيال فرزت فجالت جولة فولدن كاهن بلقا الأشاة واحدة فذهب
باولادهن ذلك العام وهذا إسناد رجاله ثقات والله أعلم .

وقد تقدم عن قتل أهل الكتاب عن يعقوب عليه السلام حين فارق خاله لابان أنه أطلق له ما
يولد من غنمه بلقا ففعل نحو ما ذكر عن موسى عليه السلام فأنه أعلم . (فلما قضى موسى الأجل وسار
بأهله أنس من جانب الطور نارا قال لأهله أمكنوا إني آنت نارا لعل آتيكم منها بخبر أو جذوة من
النار لعلكم تصطلون . فلما أتتها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن
يا موسى إني أنا الله رب العالمين . وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى
أقبل ولا تخف إنك من الآمنين . أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك
جناحك من الرهب فذاتك برهانان من ربك الى فرعون وملائته إنهم كانوا قوما فاسقين) . تقدم أن
موسى قضى أتم الأجلين وأكملهما وقد يؤخذ هذا من قوله (فلما قضى موسى الأجل) وعن مجاهد
أنه أكل عشرا وعشرا بعدها . وقوله (وسار بأهله) أي من عند صهره ذاهبا فيما ذكره غير واحد
من المفسرين وغيرهم أنه اشتاق الى أهله فقصد زيارتهم ببلاد مصر في صورة مختلف فلما سار بأهله ومعه
ولدان منهم وغنم قد استفادها مدة مقامه قالوا واتفق ذلك في ليلة مظلمة باردة وناهوا في طريقهم فلم
يهتدوا الى السلوك في الدرب المألوف وجعل يورى زناده فلا يورى شيئا واشتد الظلام والبرد فينبأ هو
كذلك اذ أبصر عن بعد نارا تأجج في جانب الطور وهو الجبل الغربي منه عن يمينه فقال لأهله أمكنوا
إني آنت نارا وكأنه والله أعلم رآها دونهم لأن هذه النار هي نور في الحقيقة ولا يصلح رؤيتها لكل أحد
(لعل آتيكم منها بخبر) أي لعل أستعلم من عندها عن الطريق (أو جذوة من النار لعلكم تصطلون)
فدل على أنهم كانوا قد تهاوا عن الطريق في ليلة باردة ومظلمة لقوله في الآية الأخرى (وهل أتاك

(١) هكذا بالنسخة الحلبية . وفي النسخة المصرية فاغتت وانبتت فليحرد

حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعل آتيكم منها قبس أو أجد على النار هدى (فدل على وجود الظلام وكونهم تاهوا عن الطريق * وجمع الكل في سورة النمل في قوله (إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سأتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون) . وقد أتاهم منها بخبر وأي خبر ووجد عندها هدى وأي هدى واقتبس منها نورا وأي نور . قال الله تعالى (فلما أتاهم نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين) . وقال في النمل (فلما جاء هانودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين) أي سبحان الله الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم) وقال في سورة طه (فلما أتاهم نودي يا موسى إني أنا ربك فأخضع نفسك إنك بالوادي المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) . قال غير واحد من المفسرين من السلف والخلف لما قصد موسى إلى تلك النار التي رآها فأنهى إليها وجدها تأجج في شجرة خضراء من العوسج وكل ما لتلك النار في اضطرام وكل ما لخضرة تلك الشجرة في ازدياد فوقف متعجبا وكانت تلك الشجرة في لحف جبل غربي منه عن يمينه كما قال تعالى (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين) وكان موسى في واد اسمه طوى فكان موسى مستقبل القبلة وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب فناده ربه بالواد المقدس طوى فأمر أولا بخلع عليه تعظيما وتكريما وتوقيرا لتلك البقعة المباركة ولا سيما في تلك الليلة المباركة .

وعند أهل الكتاب أنه وضع يده على وجهه من شدة ذلك النور مهابة له وخوفا على بصره ثم خاطبه تعالى كما يشاء قائلا له (إني أنا الله رب العالمين * إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) أي أنا رب العالمين الذي لا إله إلا هو الذي لا تصلح العبادة واقامة الصلاة إلا له . ثم أخبره أن هذه الدنيا ليست بدار قرار وإنما الدار الباقية يوم القيامة التي لا بد من كونها ووجودها (لتجزى كل نفس بما تسعى) أي من خير وشر . وحضه وحثه على العمل لها ومجانبة من لا يؤمن بها من عصي مولاه واتبع هواه ثم قال له مخاطبا ومؤانسا ومبيناً له أنه القادر على كل شيء الذي يقول للشيء كن فيكون . (وما تلك يمينك يا موسى) أي أما هذه عصاك التي نعرفها منذ صحبتها (قال هي عصا أتوكؤ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى) . أي بل هذه عصا التي أعرفها وأتحققها (قال القها يا موسى فالتقاها فإذا هي حية تسعى) . وهذا خارق عظيم وبرهان قطع على أن الذي يكلمه يقول للشيء كن فيكون وأنه الفعال بالاختيار *

وعند أهل الكتاب أنه سأل برهانا على صدقه عند من يكذبه من أهل مصر فقال له الرب

عز وجل ماهذه التي في يدك قال عصاى قال القها الى الارض (فلقاها فاذا هي حية تسعى) فهرب موسى من قدامها فامرہ الرب عز وجل أن يسط يده ويأخذها بذنبها فلما استمكن منها ارتدت عصا في يده وقد قال الله تعالى في الآية الاخرى (وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب) أى قد صارت حية عظيمة لها ضخامة هائلة وأنياب تصك وهي مع ذلك في سرعة حركة الجان وهو ضرب من الحيات * يقال الجبان والجنان وهو لطيف ولكن سريع الاضطراب والحركة جدا فهذه جمعت الضخامة والسرعة الشديدة فلما عاينها موسى عليه السلام (ولى مدبرا) أى هاربا منها لان طبيعته البشرية تقتضى ذلك (ولم يعقب) أى ولم يلتفت (فناداه ربه) قائلا له (يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين فلما رجع أمره الله تعالى أن يمسكها . قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى) . فيقال إنه هابها شديدا فوضع يده في كم مدرعته ثم وضع يده في وسط فمها * وعند أهل الكتاب بذنبها فلما استمكن منها اذا هي قد عادت كما كانت عصا ذات شعبتين فسبحان القدير العظيم رب المشرقين والمغربين ثم أمره تعال بادخال يده في جيبه . ثم أمره بنزعها فاذا هي تتلأأ كالقمر بياضا من غير سوء أى من غير برص ولا بهق . ولهذا قال (اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الريب) قيل معناه اذا خفت فضع يدك على فؤادك يسكن جأشك . وهذا وإن كان خاصا به الا أن بركة الايمان به حق بأن ينفع من استعمل ذلك على وجه الاقتداء بالانبياء وقال في سورة النمل (وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين) أى هاتان الآيتان وهما العصا واليد وهما البرهانان المشار اليهما في قوله (فذاتك برهانان من ربك الى فرعون وملأه إنهم كانوا قوما فاسقين) ومع ذلك سبع آيات أخر فذلك تسع آيات بينات وهي المذكورة في آخر سورة سبحان حيث يقول تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون إني لآظنك يا موسى مسحورا . قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والأرض بصائر وإني لآظنك يا فرعون مشبورا) وهي المبسوطة في سورة الاعراف في قوله (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين وقصص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طأرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون . وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين . فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين) كما سيأتى الكلام على ذلك في موضعه وهذه التسع آيات غير العشر الكامات فان التسع من كلمات الله القدريه والعشر من كلماته الشرعية وانما نبهنا على هذا لانه قد اشتبه أمرها على بعض الرواة فظن أن هذه هي هذه كما قررنا ذلك في تفسير آخر سورة بني إسرائيل .

والمقصود أن الله سبحانه لما أمر موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون (قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلوني . وأخي هرون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردأً يصدقني إني أخاف أن يكذبون . قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لك سلطاناً فلا يصلون اليك بآياتنا أنتا ومن اتبعك الغالبون) . يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه موسى عليه السلام في جوابه لربه عز وجل حين أمره بالذهاب إلى عدوه الذي خرج من ديار مصر فراراً من سطوته وظلمه حين كان من أمره ما كان في قتل ذلك القبطي ولهذا (قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلوني . وأخي هرون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردأً يصدقني إني أخاف أن يكذبون) . أي اجعله معي معيناً وردأً ووزيراً يساعدي ويعينني على أداء رسالتك اليهم فإنه أفصح مني لساناً وأبلغ بياناً قال الله تعالى مجيباً له إلى سؤاله (سنشد عضدك بأخيك ونجعل لك سلطاناً) أي برهاناً (فلا يصلون اليك) أي فلا ينالون منك ما مكروها بسبب قيامك بآياتنا . وقيل بركة آياتنا (أنتا ومن اتبعك الغالبون) وقال في سورة طه (اذهب إلى فرعون انه طغى . قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) قيل إنه أصابه في لسانه لثغة بسبب تلك الجرة التي وضعها على لسانه التي كان فرعون أراد اختبار عقله حين أخذ بلحيته وهو صغير فهم بقتله فخافت عليه آسية وقالت إنه طفل فاختره بوضع تمره وجره بين يديه فهم باخذ التمرة فصرف الملك يده إلى الجرة فاخذها فوضعها على لسانه فاصابه لثغة بسببها فسأل زوال بعضها بمقدار ما يفهمون قوله ولم يسأل زوالها بالكفاية .

قال الحسن البصري والرسول إنما يسألون بحسب الحاجة ولهذا بقيت في لسانه بقية ولهذا قال فرعون قبحه الله فيما زعم إنه يعيب به الكليم (ولا يكاد يبين) أي يفصح عن مراده ويعبر عما في ضميره وفؤاده * ثم قال موسى عليه السلام (واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخى اشد به أزدى وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً . قال قد أوتيت سؤالك يا موسى) أي قد أجبتك إلى جميع ما سألت وأعطيناك الذي طلبت وهذا من وجاهته عند ربه عز وجل حين شفع أن يوحى الله إلى أخيه فارحى إليه وهذا جاه عظيم قال الله تعالى (وكان عند الله وجيهاً) وقال تعالى (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبياً) وقد سمعت أم المؤمنين عائشة رجلاً يقول لأناس وهم سائر من طريق الحج (أي أخ أمن على أخيه) فسكت القوم فقالت عائشة لمن حولها هو موسى بن عمران حين شفع في أخيه هرون فأوحى إليه قال الله تعالى (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبياً) قال تعالى في سورة الشعراء (وإذ نادى ربك موسى أن ات القوم الظالمين قوم فرعون لا يتقون . قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطق لساني فأرسل إلى هرون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلوني . قال كلا فاذهباً بآياتنا إنا معكم مستمعون . فأتيا فرعون قهولاً إنا رسول رب العالمين أن أرسل

معنا نبي إسرائيل . قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) تقدير الكلام فاتياه فقال له ذلك وبلغاه ما أرسلابه من دعوته الى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وأن يفك أسارى بنى إسرائيل من قبضته وقهره وسطوته وتركهم يعبدون ربهم حيث شاؤوا ويتفرغون لتوحيده ودعائه والتضرع لديه فتكبر فرعون في نفسه وعتا وطفى ونظر الى موسى بعين الازدراء والتنقص قائلاً له (ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين) أى اما أنت الذى ربينا فى منزلنا وأحسننا اليه وأنعمنا عليه مدة من الدهر وهذا يدل على أن فرعون الذى بعث اليه هو الذى فر منه خلافاً لما عند أهل الكتاب من أن فرعون الذى فر منه مات فى مدة مقامه بمدين وأن الذى بعث اليه فرعون آخر . وقوله (وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) أى وقتلت الرجل القبطى وفررت منا وجحدت نعمتنا (قال فعلتها اذا وأنا من الضالين) أى قبل أن يوحى الى وينزل على (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربي حكماً وجعلنى من المرسلين) ثم قال مجيباً لفرعون عما امتن به من التربية والاحسان اليه وتلك نعمة تمنها على أن عبت بنى إسرائيل أى وهذه النعمة التى ذكرت من أنك أحسنت الى وأنا رجل واحد من بنى إسرائيل تقابل ما استخدمت هذا الشعب العظيم بكاله واستعبدتهم فى أعمالك وخدمك وأشغالك (قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . قال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الأولين . قال إن رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون) .

يذكر تعالى ما كان بين فرعون وموسى من المناظرة والمحاجة والمناظرة وما أقامه الكليم على فرعون اللثيم من الحجة العقلية المعنوية ثم الحسية . وذلك أن فرعون قبجه الله أظهر جحد الصانع تبارك وتعالى . وزعم أنه الاله (فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى * وقال يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى) . وهو فى هذه المقالة معاند يعلم أنه عبد مرئوب وأن الله هو الخالق البارئ المصور الاله الحق كما قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كانت عاقبة المفسدين) ولهذا قال لموسى عليه السلام على سبيل الانكار لرسائله والظهار أنه ما ثم رب ارسله (وما رب العالمين) لانهما قالاه (إنا رسول رب العالمين) فكأنه يقول لها ومن رب العالمين الذى تزعمان أنه أرسلكما وابتثكما فاجابه موسى قائلاً (رب السموات والارض وما بينهما إن كنتم موقنين) يعنى رب العالمين خالق هذه السموات والارض المشاهدة وما بينهما من المخلوقات المتجددة من السحاب والرياح والمطر والنبات والحيوانات التى يعلم كل موقن انها لم تحدث بانفسها ولا بد لها من موجد ومحدث وخالق . وهو الله الذى لا اله الا هو رب العالمين . (قال) أى فرعون لمن حوله من امرائه ومرأزبته ووزرائه

على سبيل التهم والتنقص لما قرره موسى عليه السلام ألا تسمعون يعني كلامه هذا قال موسى مخاطباً له ولهم (ربكم ورب آبائكم الاولين) أي هو الذي خلقكم والذين من قبلكم من الآباء والاجداد والقرون السالفة في الآباد فان كل احد يعلم أنه لم يخلق نفسه ولا أبوه ولا أمه ولم يحدث من غير محدث وإنما أوجده وخلقه رب العالمين. وهذان المقامان هما المذكوران في قوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) ومع هذا كله لم يستفق فرعون من رقدته ولا تزع عن ضلالتة بل استمر على طغيانه وعناده وكفرانه (قال إن رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون. قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) أي هو المسخر لهذه الكواكب الزاهرة. المسير للأفلاك الدائرة. خالق الظلام والضياء. ورب الأرض والسماء رب الأولين والآخريين خالق الشمس والقمر والكواكب السائرة والثوابت الحائرة خالق الليل بظلامه والنهار بضياؤه والكل تحت قهره وتسخيره وتسييره سائرون وفلك يسبحون يتعاقبون في سائر الأوقات ويدورون فهو تعالى الخالق المالك المتصرف في خلقه بما يشاء. فلما قامت الحجج على فرعون واقطعت شبهه ولم يبق له قول سوى العناد عدل الى استعمال سلطانه وجاهه وسطوته لاقال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين. قال أولو جنتك بشي مبين. قال فأت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين وتزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين) وهذان هما البرهانان اللذان أيده الله بهما وهما العصا واليد. وذلك مقام أظهر فيه الخارق العظيم الذي بهر به العقول والأبصار حين ألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين. أي عظيم الشكل بديع في الضخامة والهول والمنظر العظيم الفظيع الباهر حتى قيل إن فرعون لما شاهد ذلك وعابنه أخذه رعب شديد وخوف عظيم بحيث انه حصل له إسهال عظيم أكثر من أربعين مرة في يوم وكان قبل ذلك لا يتبرز في كل أربعين يوماً إلا مرة واحدة فانعكس عليه الحال * وهكذا لما أدخل موسى عليه السلام يده في جيبه واستخرجها أخرجها وهي كفلقة القمر تتلألاً نورا بهر الأبصار فإذا أعادها إلى جيبه رجعت الى صفتها الأولى ومع هذا كله لم ينتفع فرعون لعنه الله بشي من ذلك بل استمر على ما هو عليه وأظهر أن هذا كله سحر وأراد معارضته بالسحرة فرسل يجمعهم من سائر مملكته ومن في رعيته وتحت قهره ودولته كما سيأتي بسطه وبيانه في موضعه من اظهار الله الحق المبين والحجة الباهرة القاطعة على فرعون وملائه وأهل دولته وملته والله الحمد والمثني. وقال تعالى في سورة طه (قلبت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسى إذ ذهب أنت وأخوك بأبائي ولا تنيا في ذكرى إذ هبا الى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالاربتنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى).

يقول تعالى مخاطباً لموسى فيما كله به ليلة أوحى اليه وأنعم بالنبوة عليه وكلمه منه اليه قد كنت مشاهداً

لك وأنت في دار فرعون وأنت تحت كنفى وحفظى ولطفى ثم أخرجتك من أرض مصر الى أرض
مدين بمشيتى وقدرتى وتديرى فلبثت فيها سنين (ثم جئت على قدر) أى منى لذلك فوافق ذلك
تقديرى وتسييرى (واصطنعتك لنفسى) أى اصطفيتك لنفسى برسالتى وبكلامى (اذهب أنت وأخوك
بآبائى ولا تنيا فى ذكرى) يعنى ولا تقترأ فى ذكرى اذ قدما عليه ووقدما اليه فان ذلك عون لكما
على مخاطبته ومجاوبته وإهداء النصيحة اليه وإقامة الحجة عليه . وقد جاء فى بعض الأحاديث يقول الله
تعالى (إن عبدى كل عبدى الذى يذكركنى وهو ملاق قرنه) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم
فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً الآية) ثم قال تعالى (اذها الى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله
يتذكر أو يخشى) وهذا من حلمه تعالى وكرمه ورأفته ورحمته بخلقته مع علمه بكفر فرعون وعتوه وتجبيره
وهو اذ ذاك أردى خلقه وقد بعث اليه صفوته من خلقه فى ذلك الزمان ومع هذا يقول لها ويأمرها أن
يدعوا اليه بالتي هى أحسن برفق ولين ويعامله معاملة من يرجو أن يتذكر أو يخشى كما قال لرسوله « أذع
الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى أحسن » وقال تعالى (ولا تجادلوا أهل
الكتاب الا بالتي هى أحسن الا الذين ظلموا منهم الآية) قال الحسن البصرى (فقولا له قولا لينا)
أعذرا اليه قولا له ان لك رباً ولك معاداً وإن بين يديك جنة ونارا . وقال وهب بن منبه قولا له إني
لى العفو والمغفرة أقرب منى الى الغضب والعقوبة . قال يزيد الرقاشى عند هذه الآية يامن يتجيب الى
من يعاديه فكيف بمن يتولاه ويناديه (قالوا ربنا إنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى) وذلك أن فرعون
كان جباراً عنيداً وشيطاناً مريداً له سلطان فى بلاد مصر طويل عريض وجاه وجنود وعساكروسطوة
فهاباء من حيث البشرية وخافا أن يسطوا عليهما فى بلادى الأمر فثبتهما تعالى وهو العلى الأعلى فقال
(لا تخافا إني معكما أسمع وأرى) كما قال فى الآية الأخرى (إنا معكم مستمعون . فاتياه فقولا إنا
رسولا ربك فارسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بأية من ربك والسلام على من اتبع
الهدى . إنا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى) يذكر تعالى أنه أمرها أن يذها الى فرعون
فيدعوا الى الله تعالى أن يعبده وحده لا شريك له وأن يرسل معهم بنى إسرائيل ويطلقهم من أسره
وقهره ولا يعذبهم (قد جئناك بأية من ربك) وهو البرهان العظيم فى العصى واليد (والسلام على من
إتبع الهدى) تقيده مفيد بليغ عظيم . ثم تهداه وتوعده على التكذيب فقالا (إنا قد أوحى الينا أن
العذاب على من كذب وتولى) أى كذب بلحق بقلبه وتولى عن العمل بقاله .

وقد ذكر السدى وغيره أنه لما قدم من بلاد مدين دخل على أمه وأخيه هرون وهما يتعشيان
من طعام فيه الطفشيل وهو اللقت فأكل معهما ثم قال ياهرون إن الله أمرنى وأمرك أن ندعو
فرعون الى عبادته فقم معى فقاما يقصدان بلب فرعون فاذا هو مغلق فقال موسى للبوايين والحجة

أعلموه أن رسول الله بالباب فجعلوا يسخرون منه ويستهزؤن به .

وقد زعم بعضهم أنه لم يؤذن لها عليه إلا بعد حين طويل . وقال محمد بن اسحق أذن لها بعد سنتين لأنه لم يك أحد يتجاسر على الاستئذان لها فإله أعلم * ويقال إن موسى تقدم إلى الباب فطرقة بصاه فاتزعج فرعون وأمر باحضارها فوقفا بين يديه فدعواه إلى الله عز وجل كما أمرها .

وعند أهل الكتاب أن الله قال لموسى عليه السلام إن هرون اللاوى يعنى من نسل لاوى بن يعقوب سيخرج ويتلقاك وأمره أن يأخذ معه مشايخ بنى إسرائيل إلى عند فرعون وأمره أن يظهر ما أتاه من الآيات * وقال له سأقضى قلبه فلا يرسل الشعب وأكثر آياتي وأعاجيبى بأرض مصر * وأوحى الله إلى هرون أن يخرج إلى أخيه يتلقاه بالبرية عند جبل حوريب فلما تلقاه أخبره موسى بما أمره به ربه * فلما دخلا مصر جمعا شيوخ بنى إسرائيل وذهبا إلى فرعون فلما بلغاه رسالة الله قال من هو الله لا أعرفه ولا أرسل بنى إسرائيل . وقال الله مخبراً عن فرعون (قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الأرض مهذا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى . منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) .

يقول تعالى مخبراً عن فرعون إنه أنكر اثبات الصانع تعالى قائلاً (فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى) أى هو الذى خلق الخلق وقدر لهم أعمالاً وأرزاقاً وأجالات * وكتب ذلك عنده فى كتابه اللوح المحفوظ ثم هدى كل مخلوق إلى ما قدره له فطابق عمله فيهم على الوجه الذى قدره وعلمه لكامل علمه وقدرته وقدره وهذه الآية كقوله تعالى (سبح اسم ربك الأعلى . الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى) أى قدر قدرًا وهدى الخلائق إليه (قال فما بال القرون الأولى) يقول فرعون لموسى فإذا كان ربك هو الخالق المقدر الهادى الخلائق لما قدره وهو بهذه المثابة من أنه لا يستحق العبادة سواه فلم عبد الأولون غيره وأشركوا به من الكواكب والانداد ما قد علمت فهلا إهتدى إلى ما ذكرته القرون الأولى (قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى) أى هم وإن عبدوا غيره فليس ذلك بحجة لك ولا يدل على خلاف ما أقول لأنهم جهلة مثلك كل شئ فلوهم مستطير عليهم فى الزبر من صغير وكبير وسيجزئهم على ذلك ربى عز وجل ولا يظلم أحداً مثقال ذرة لأن جميع أعمال العباد مكتوبة عنده فى كتاب لا يضل عنه شئ ولا ينسى ربى شيئاً . ثم ذكر له عظمة الرب وقدرته على خلق الأشياء وجعله الأرض مهادا والسماء سقفا محفوظا وتسخيره السحاب والأمطار لرزق العباد وداوئهم وأنعامهم كما قال (كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى) أى لذوى العقول

الصحيحة المستقيمة والفظر القويمة غير السقيمة فهو تعالى الخالق الرازق . وكما قال تعالى (يا أيها الناس
اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء
بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) ولما ذكر
أحياء الأرض بالمطر واهتزازها باخراج نباتها فيه نبه به على المعاد فقال (منها) أي من الأرض خلقناكم
(وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) كما قال تعالى (كما بدأكم تعودون) وقال تعالى (وهو الذي
يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)
ثم قال تعالى (ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجبثنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى
فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى . قال موعدكم يوم الزينة
وان يحشر الناس ضحى) .

يخبر تعالى عن شقاء فرعون وكثرة جهله وقلة عقله في تكذيبه بآيات الله واستكباره عن إتباعها
وقوله لموسى إن هذا الذي جئت به سحر ونحن نعارضك بمثله ثم طلب ممن موسى أن يواعده الى
وقت معلوم ومكان معلوم وكان هذا من أكبر مقاصد موسى عليه السلام أن يظهر آيات الله وحججه
وبراهينه جهره بحضرة الناس ولهذا قال (موعدكم يوم الزينة) وكان يوم عيد من أعيادهم ومجتمع لهم
(وأن يحشر الناس ضحى) أي من أول النهار في وقت اشتداد ضياء الشمس فيكون الحق أظهر وأجلى
ولم يطلب أن يكون ذلك ليلاً في ظلام كما يروج عليهم محالاً وباطلاً بل طلب أن يكون نهراً جهره لانه
على بصيرة من ربه ويقين أن الله سيظهر كلمته ودينه وإن رغمت أنوف القبط . قال الله تعالى (فتولى
فرعون فجمع كيدته ثم أتى قال لهم موسى ويلكم لا تفترؤا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب
من افترى فتنزعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى . قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من
أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم أمثوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى) .

يخبر تعالى عن فرعون أنه ذهب فجمع من كان ببلاده من السحرة وكانت بلاد مصر في ذلك الزمان
مملوءة سحرة فضلاء في قههم غاية فجمعوا له من كل بلد ومن كل مكان فاجتمع منهم خلق كثير وجم غفير
فقيل كانوا ثمانين ألفاً قاله محمد بن كعب * وقيل سبعين ألفاً قاله القاسم بن أبي بردة . وقال السدي بضعة
وثلاثين ألفاً . وعن أبي أمامة تسعة عشر ألفاً وقال محمد بن اسحاق خمسة عشر ألفاً . وقال كعب الأخبار
كانوا إثني عشر ألفاً * وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس كانوا سبعين رجلاً وروى عنه أيضاً أنهم
كانوا أربعين غلاماً من بني إسرائيل أمرهم فرعون أن يذهبوا الى العرقاء فيتعلوا السحر ولهذا قالوا
وما أكرهتنا عليه من السحر وفي هذا نظر .

وحضر فرعون وأمرأؤه وأهل دولته وأهل بلده عن بكرة أبيهم . وذلك أن فرعون نادى فيهم أن

يحضروا هذا الموقف العظيم فخرجوا وهم يقولون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين . وتقدم موسى عليه السلام الى السحرة فوعظهم وزجرهم عن تعاطي السحر الباطل الذي فيه معارضة لآيات الله وحججه قال (ويلكم لا تقفروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنزعوا أمرهم بينهم) قيل معناه أنهم اختلفوا فيما بينهم فقائل يقول هذا كلام نبي وليس بساحر وقائل منهم يقول بل هو ساحر فالله أعلم * وأسروا التناجى بهذا وغيره (قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاك من أرضك بسحرهما) يقولون إن هذا وأخاه هرون ساحران عليان مطبقان متقنان لهذه الصناعة ومرادهم أن يجتمع الناس عليهما ويصولا على الملك وحاشيته ويستأصلاكم عن آخركم ويستأصرا عليكم بهذه الصناعة (فأجمعوا كيدكم ثم اتوا صفاً وقد أفلح اليوم من أستعلى) * وإنما قالوا الكلام الأول ليتدبروا ويتواصوا ويأتوا بجميع ما عندهم من المكيدة والمكر والخديعة والسحر والبهتان . وهيهات كذبت والله الظنون واخطأت الآراء . أتى يعارض البهتان . والسحر والهديان . خوارق العادات التي أجازها الديان . على يدى عبده الكليم . ورسوله الكريم المؤيد بالبرهان الذى يبهز الابصار وتجار فيه العقول والأذهان وقولهم (فأجمعوا كيدكم) أى جميع ما عندهم (ثم اتوا صفاً) أى جملة واحدة ثم حضوا بعضهم بعضا على التقدم فى هذا المقام لان فرعون كان قد وعدهم ومناهم وما يعدم الشيطان إلا غرورا (قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى قال بل القوا فإذا جبالهم وعصيمهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس فى نفسه خيفة موسى . قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألقى مافى يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) .

لما اصطف السحرة ووقف موسى وهرون عليهما السلام تجاههم قالوا له إما أن تلقى قبلنا وإما أن تلقى قبلك (قال بل القوا) أنتم وكانوا قد عمدوا الى جبال وعصى فأودعوها الزئبق وغيره من الآلات التى تضطرب بسببها تلك الجبال والعصى اضطرابا يخيل للرائى أنها تسعى باختيارها * وإنما تتحرك بسبب ذلك . فعند ذلك سحروا أعين الناس واسترهبوهم وألقوا جبالهم وعصيمهم وهم يقولون بعزة فرعون إنما نحن الغالبون . قال الله تعالى (فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) . وقال تعالى (فإذا جبالهم وعصيمهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى . فأوجس فى نفسه خيفة موسى) أى خاف على الناس أن يفتنوا بسحرهم ومحالهم قبل أن يلقى مافى يده فانه لا يضع شيئا قبل أن يؤمر فأوحى الله اليه فى الساعة الراهنة (لا تخف إنك أنت الأعلى وألقى مافى يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) فعند ذلك ألقى موسى عصاه وقال ما جتم به السحران الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين (ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون) . وقال تعالى (فألقى) موسى (عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون *)

فطلبوا هنالك واقتلبوا صاغرين . وألقى السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهرون .
وذلك أن موسى عليه السلام لما القاهما صارت حية عظيمة ذات قوائم (فيما ذكره غير واحد من علماء
السلف) وعنق عظيم وشكل هائل مزعج بحيث ان الناس انحازوا منها وهربوا سراعا وتأخروا عن
مكاتها وأقبلت هي على ما ألقوه من الجبال والمعصى فجملت تلقفه واحدا واحدا في أسرع ما يكون من
الحركة والناس ينظرون اليها ويتعجبون منها . واما السحرة فاتهم رأوا ما هالمهم وحيرهم في أمرهم
واطلعوا على أمر لم يكن في خلداهم ولا بالهم ولا يدخل تحت صناعاتهم وأشغالهم . فعند ذلك وهنالك تحققوا
بما عندهم من العلم أن هذا ليس بسحر ولا شعبذة ولا محلل ولا خيال ولا زور ولا بهتان ولا ضلال بل
حق لا يقدر عليه إلا الحق الذي ابتعث هذا المؤيد به بالحق وكشف الله عن قلوبهم غشاوة الغفلة وانارها بما
خلق قباها من الهدى وازاح عنها القسوة وانابوا إلى ربهم وخروا له ساجدين وقالوا جبهة للحاضرين ولم
يخشوا عقوبة ولا بلوى (آمنا برب موسى وهرون) كما قال تعالى (فآلقى السحرة سجداً قالوا آمنا برب
هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلا تقطن أيديكم وأرجلكم
من خلاف ولا صلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى . قالوا لتتوثرن على ما جاءنا من
البيئات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليفقرنا خطايانا وما
أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى .
ومن يأت مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى . جنات عدن تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى)

قال سعيد بن جبيرة وعكرمة والقاسم بن أبي بردة والاوزاعي وغيرهم لما سجد السحرة رأوا منازلهم
وقصورهم في الجنة تهباً لهم وتزخرف لقدومهم ولهذا لم يلتفتوا إلى تهويل فرعون وتهديده ووعيده
وذلك لأن فرعون لما رأى هؤلاء السحرة قد أسلخوا واشهروا ذكروا موسى وهرون في الناس على هذه
الصفة الجميلة أفزعه ذلك ورأى أمرا بهره وأعمى بصيرته وبصره وكان فيه كيد ومكر وخداع وصنعة
بليغة في الصد عن سبيل الله فقال مخاطباً للسحرة بمحضرة الناس (آمنتم له قبل أن آذن لكم) أي هلا
شاورتهموني فيما صنعتم من الأمر الفظيع بمحضرة رعيتي ثم تهدد وتوعد وابق وكذب فأبعد قائلاً
(إنه لكبيركم الذي علمكم السحر) وقال في الآية الأخرى (إن هذا لمكر مكتموه في المدينة
لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون) . وهذا الذي قاله من البهتان يعلم كل فرد عاقل مافيه من الكفر
والكذب والهديان بل لا يروج مثله على الصبيان فإن الناس كلهم من أهل دولته وغيرهم يعلمون أن
موسى لم يره هؤلاء يوماً من الدهر فكيف يكون كبيرهم الذي علمهم السحر . ثم هو لم يجمعهم ولا علم
باجتماعهم حتى كان فرعون هو الذي استدعاهم واجتباهم من كل فج عميق ووادسحيق ومن حواضر بلاد

مصر والاطراف ومن المدن والأرياف . قال الله تعالى في سورة الأعراف (ثم بشنا من بعدهم موسى باياتنا الى فرعون وملائته فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين . وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين . حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى إسرائيل قال إن كنت جئت بآية فات بها إن كنت من الصادقين فأتى . عصاه فاذا هى ثعبان مبین . وتزع يده فاذا هى يضاء للناظرين . قال الملائة من قوم فرعون إن هذا ساحر عليم . يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون . قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين . يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم لمن المقربين قالوا يا موسى إنا أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين . قال القوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس وأسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم وأوحينا الى موسى أن التى عصاك فاذا هى تلقف ما يأفكون فوقه الحق وبطل ما كانوا يعملون . فقلبوا هناك واقلبوا صاغرين . وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهرون قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون . لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لا صلبنكم أجمعين . قالوا إنا الى ربنا منقلبون . وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) وقال تعالى فى سورة يونس (ثم بشنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملائته باياتنا فاستكبروا وكاتوا قوماً مجرمين . فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين . قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون . قالوا أجبنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الأرض وما نحن لكما بمؤمنين . وقال فرعون إئتونى بكل ساحر عليم . فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبيطه إن الله لا يصلح عمل المفسدين . ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون) وقال تعالى فى سورة الشعراء (قال لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجلنك من المسجونين . قال أو لو جئتك بشئ مبين . قال فات به إن كنت من الصادقين . فأتى عصاه فاذا هى ثعبان مبین . وتزع يده فاذا هى يضاء للناظرين قال للملائة حوله إن هذا ساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون . قالوا أرجه وأخاه وابتث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم . فجمع السحرة لميقات يوم معلوم . وقيل للناس هل أنتم مجتمعون . لعلنا تتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين . فلما جاء السحرة قالوا لفرعون إن لنا لأجراً ان كنا نحن الغالبين • قال نعم وإنكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون . فألقوا جبالهم وعصيهم وقالوا بئزة فرعون إنا لنحن الغالبون . فأتى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون . فأتى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون • قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون . لا قطعن أيديكم وأرجلكم من

خلاف ولاصلبناكم أجمعين . قالوا لاضير إنا الى ربنا منقلبون إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين .

والمقصود أن فرعون كذب وافتري وكفر غاية الكفر في قوله إنه لكبيرم الذي علمكم السحر وأتى بهتان يعلمه العالمون بل العالمون في قوله (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون) وقوله (لاقطن أيديكم وأرجلكم من خلاف) يعني يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى وعكسه (ولاصلبناكم أجمعين) أي ليجعلهم مثله ونكالا لئلا يقتدى بهم أحد من رعيته وأهل ملته ولهذا قال (ولاصلبناكم في جذوع النخل) أي على جذوع النخل لأنها أعلى وأشهر (ولتعلمن أننا أشد عذابا وأبى) يعني في الدنيا (قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من بينات) أي لن نطيعك ونترك ما وقر في قلوبنا من بينات والدلائل القاطعات (والذي فطرنا) قيل معطوف . وقيل قسم (فاقض ما أنت قاض) أي فافعل ما قدرت عليه (إنما تقضى هذه الحياة الدنيا) أي إنما حكمك علينا في هذه الحياة الدنيا فاذا أتقلنا منها الى الدار الآخرة صرنا الى حكم الذي أسلمنا له واتبعنا رساله (إنا آمننا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبى) أي وثوابه خير مما وعدتنا به من التقريب والترغيب وأبى أي وأدوم من هذه الدار الفانية وفي الآية الاخرى (قالوا لاضير إنا الى ربنا منقلبون إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا) أي ما اجترمناه من المآثم والمحارم أن كنا أول المؤمنين) أي من القبط بموسى وهرون عليهما السلام * وقالوا له أيضا (وما تنقم منا إلا أن آمننا بآيات ربنا لما جاءتنا) أي ليس لنا عندك ذنب إلا إيماننا بما جاءنا به رسولنا واتباعنا آيات ربنا لما جاءتنا (ربنا أفرغ علينا صبرا) أي ثبتنا على ما أبتلينا به من عقوبة هذا الجبار العنيد والسلطان الشديد بل الشيطان المرید (وتوفنا مسدين) وقالوا أيضا يمظونه ويخوفونه بأس ربه العظيم (إنه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى) يقولون له فإياك أن تكون منهم فكان منهم (ومن يأتهم مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) أي المنازل العالية (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) فاحرص أن تكون منهم فحالت بينه وبين ذلك الأقدار التي لاتقالب ولا تمنع وحكم العلى العظيم بان فرعون لعنه الله من أهل الجحيم ليباشر العذاب الأليم يصب من فوق رأسه الحميم * ويقال له على وجه التقريع والتوبيخ وهو المقبوح المذبح والذميمة (ذق إنك أنت العزيز الكريم) والظاهر من هذه السياقات أن فرعون لعنه الله صلبهم وعذبهم رضى الله عنهم . قال عبد الله بن عباس وعبيد بن عمير كانوا من أول النهار سحرة فصاروا من آخره شهداء برة * ويؤيد هذا قولهم (ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين .)

قَضِيَّتُكَ

ولما وقع ما وقع من الأمر العظيم وهو الغلب الذي غلبته القبط في ذلك الموقف الهائل وأسلم
 السحرة الذين استنصروا ربهم لم يزدتهم ذلك الا كفراً وعباداً وبعداً عن الحق . قال الله تعالى بعد قصص
 ما تقدم في سورة الأعراف . (وقال الملا من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض
 ويذرك وآلهتك . قال سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون . قال موسى لقومه استعينوا
 بالله واصبروا ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . قالوا أؤذينا من قبل أن
 تأتينا ومن بعد ما جئتنا . قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون)
 يخبر تعالى عن الملا من قوم فرعون وهم الأمراء والكبراء أنهم حرضوا ملكهم فرعون على
 أذية نبي الله موسى عليه السلام ومقابله بدل التصديق بما جاء به بالكفر والرد والأذى قالوا (أتذر
 موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك) يعنون قبحهم الله أن دعوته الى عبادة الله وحده
 لا شريك له والنهي عن عبادة ما سواه فساد بالنسبة الى اعتقاد القبط لعنهم الله . وقرأ بعضهم (ويذرك
 وآلهتك) أي وعبادتك ويحتمل شيئين أحدهما ويذر دينك وتقويه القراءة الأخرى . الثاني ويذر أن
 يعبدك فانه كان يزعم أنه إله لعنه الله (قال سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم) أي نثلاً يكثر مقاتلتهم (وإنا
 فوقهم قاهرون) أي غالبون (وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله يورثها من
 يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) أي اذا هموا هم بأذيتكم والفتك بكم فاستعينوا أنتم بربكم واصبروا
 على بليتكم (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) أي فكونوا أنتم المتقين لتكون
 لكم العاقبة كما قال في الآية الأخرى (وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم
 مسلمين . فقالوا على الله توكلنا ربنا لا نجعلنا فتنه للقوم الظالمين . ونجنا برحمتك من الظالمين الكافرين)
 وقولهم (قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) أي قد كانت الأبناء تقتل قبل مجيئك وبعد
 مجيئك الينا (قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) وقال الله
 تعالى في سورة حم المؤمن (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا
 ساحر كذاب) وكان فرعون الملك وهامان الوزير . وكان قارون إسرائيلياً من قوم موسى الا أنه كان
 على دين فرعون وملائته وكان ذامال جزيل جداً كما ستأتي قصته فيما بعد إن شاء الله تعالى . (فلما
 جاءهم الحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين إلا في
 ضلال) وهذا القتل للغلمان من بعد بعثة موسى إنما كان على وجه الاهانة والاذلال والتقليل للملا بني
 اسرائيل لثلا يكون لهم شوكة يتنعمون بها ويصولون على القبط بسببها وكانت القبط منهم يحذرون فلم

ينفعهم ذلك ولم يرد عنهم قدر الذي يقول للشئ كن فيكون (وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه
إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) . ولهذا يقول الناس على سبيل التهمك
(صار فرعون مذكراً) وهذا منه فان فرعون في زعمه يخاف على الناس أن يضلهم موسى عليه السلام .
(وقال موسى إني عدت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) . أي عدت بالله ولجأت إليه
بجنابه من أن يسطو فرعون وغيره على بسوء وقوله (من كل متكبر) أي جبار عنيد لا يرعوى ولا
يتهمى ولا يخاف عذاب الله وعتابه لأنه لا يعتقد معاداً ولا جزاء . ولهذا قال (من كل متكبر لا يؤمن
بيوم الحساب) . وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم
بالبينات من ربكم وان يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي
من هو مسرف كذاب . يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا
قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) وهذا الرجل هو ابن عم فرعون وكان
يكتم إيمانه من قومه خوفاً منهم على نفسه * وزعم بعض الناس أنه كان اسرئيلياً وهو بعيد ومخالف لسياق
الكلام لفظاً ومعنى والله أعلم * .

قال ابن جريج قال ابن عباس لم يؤمن من القبط بموسى إلا هذا والذي جاء من أقصى المدينة
واسرأة فرعون . رواه ابن أبي حاتم * قال الدارقطني لا يعرف من اسمه شيمان بالشين المعجمة إلا مؤمن
آل فرعون * حكاه السهيلي * وفي تاريخ الطبراني أن اسمه خير فأنه أعلم . والمقصود أن هذا الرجل
كان يكتم إيمانه فلما هم فرعون لعنه الله بقتل موسى عليه السلام وعزم على ذلك وشاور ملاءه فيه خاف
هذا المؤمن على موسى فتلف في رد فرعون بكلام جمع فيه الترغيب والترهيب فقال على وجه
المشورة والرأى وقد ثبت في الحديث عن رسول الله (ص) أنه قال أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان
جائر . وهذا من أعلى مراتب هذا المقام فان فرعون لا شد جوراً منه وهذا الكلام لا أعدل منه لأن
فيه عصية نبي * ويحتمل أنه كاشرهم باظهار إيمانه وصرح لهم بما كان يكتبه والأول أظهر والله أعلم
قال (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) أي من أجل أنه قال ربي الله فمثل هذا لا يقابل بهذا بل بالأكرام
والاحترام والموادعة وترك الانتقام يعني لأنه (قد جاءكم بالبينات من ربكم) أي بالخوارق التي دلت
على صدقه فيما جاء به عن أرسله فهذا إن وادعتوه كنتم في سلامة لأنه (إن يك كاذباً فعليه كذبه)
ولا يضركم ذلك (وان يك صادقاً) وقد تعرضتم له (يصيبكم بعض الذي يعدكم) أي وأنتم تشفقون أن
ينالكم أيسر جزاء مما يتوعدكم به فكيف بكم إن حل جميعه عليكم .

وهذا الكلام في هذا المقام من أعلى مقامات التلطف والاحترام والعقل التام . وقوله (يا قوم
لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض) يحذرهم أن يسلبوا هذا الملك العزيز فانه ما تعرض الدول للدين

الا سلبوا ملكهم وذلوا بعد عزم وكذا وقع لآك فرعون مازالوا في شك وريب ومخالفة ومعاودة لما جاءهم موسى به حتى أخرجهم الله مما كانوا فيه من الملك والأملأك والدور والتصور والنعمة والخبور ثم حولوا الى البحر مهانين ونقلت ارواحهم بعدالعلو والرفعة الى أسفل السافلين . ولهذا قال هذا الرجل المؤمن المصدق البار الراشد التابع للحق الناصح لقومه الكامل العقل (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض) أى عالين على الناس حاكين عليهم (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) أى لو كنتم أضعاف ما أنتم فيه من العدد والعدة والقوة والشدة لما فنعنا ذلك ولأرد عنا بأس ملك المملك . (قال فرعون) أى فى جواب هذا كله (ماأرىكم إلا ماأرى) أى ما أقول لكم إلا ما عندى (وما أهدىكم إلا سبيل الرشاد) وكذب فى كل من هذين القولين وهاتين المقدمتين فانه قد كان يتحقق فى باطنه وفى نفسه أن هذا الذى جاء به موسى من عند الله لا محالة وإنما كان يظهر خلافه بغياً وعدواناً وعتواً وكفراًناً قال الله تعالى اخباراً عن موسى (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر وإنى لا أظنك يا فرعون مثبوراً فأراد أن يستفزهم من الارض فأغرقناه ومن معه جميعاً . وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيقاف) وقال تعالى (فما جاءهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين . وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وأما قوله (وما أهدىكم إلا سبيل الرشاد) . فقد كذب أيضاً فانه لم يكن على رشاد من الأمر بل كان على سفه وضلال وخبل وخيال فكان أولاً ممن يعبد الاصنام والامثال . ثم دعا قومه الجهلة الضلال الى أن اتبعوه وطاوعوه وصدقوه فيما زعم من الكفر المحال فى دعواه أنه رب تعالى الله ذو الجلال . قال الله تعالى (ونلأى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر . وهذه الانهار تجري من تحتى أفلا تصرون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين فلوألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين . فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين . فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين) وقال تعالى فأراه الآية الكبرى فكذب وعصى ثم أدبر يسى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذ الله نكال الآخرة والأولى . ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى) وقال تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين . الى فرعون وملأته فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيمة فأوردهم النار وبئس الورد المورود . وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود) .

والمقصود بيان كذبه فى قوله (ما أرىكم إلا ما أرى) وفى قوله (وما أهدىكم إلا سبيل الرشاد) وقال الذى آمن يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد . ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد . يوم تولون مدبرين ما لكم من

الله من عاصم ومن يضل الله فماله من هاد. ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتلب. الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) يحذرهم ولي الله إن كذبوا برسول الله موسى أن يحل بهم ما حل بالأمم من قبلهم من النعمات والمثالات مما تواتر عندهم وعند غيرهم ما حل بقوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم الى زمانهم ذلك مما أقام به الحجج على أهل الارض قاطبة في صدق ما جاءت به الانبياء لما انزل من النعمة بمكذبيهم من الاعداء وما أنجى الله من اتبعهم من الاولياء وخوفهم يوم القيمة وهو يوم التناد أي حين ينادى الناس بعضهم بعضاً حين يولون ان قدروا على ذلك ولا الى ذلك سبيل (يقول الانسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر) وقال تعالى (بامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون الا بسطان. فبأي آلاء ربكماتكذبان يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأي آلاء ربكماتكذبان) وقرأ بعضهم (يوم التناد) بتشديد الال أي يوم الفرار ويحتمل أن يكون يوم القيامة ويحتمل ان يكون يوم يحل الله بهم البأس فيودون الفرار ولات حين مناص (-فما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون) لاتركضوا وارجعوا الى ما اترقم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون) ثم اخبرهم عن نبوة يوسف في بلاد مصر ما كان منه من الاحسان الى الخلق في دنياهم وأخراهم وهذا من سلالة وذريته ويدعو الناس الى توحيد الله وعبادته وأن لا يشركوا به أحدا من بريته وأخبر عن أهل الديار المصرية في ذلك الزمان أي من سجيتهم التكذيب بالحق ومخالفة الرسل ولهذا قال (فمازتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلم لن يبعث الله من بعده رسولا) أي وكذبتم في هذا ولهذا قال (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتلب. الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم) أي يريدون حجج الله وبراهينه ودلائل توحيدة بلا حجة ولا دليل عندهم من الله فان هذا أمر يمقته الله غاية المقت أي يبغض من تلبس به من الناس ومن اتصف به من الخلق (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) قرئ بالاضافة وبالنعت وكلاهما متلازم أي هكذا اذا خالفت القلوب الحق ولا تخالفه الا بلا برهان فان الله يطبع عليها أي يختم عليها. (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب) كذب فرعون موسى عليه السلام في دعواه أن الله أرسله وزعم فرعون لقومه ما كذبه واقترأه في قوله لهم (ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلى أطلع الى إله موسى وإني لأظنه كاذبا) وقال هنا (لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات) أي طرقها ومسالكها (فاطلع الى إله موسى وإني لأظنه كاذبا) ويحتمل هذا معنيين أحدهما وإني لأظنه

كاذبا في قوله إن للعالم رباً غيري والثاني في دعواه أن الله أرسله . والأول أشبه بظاهر حال فرعون فإنه كان ينكر ظاهراً اثبات الصانع والثاني أقرب إلى اللفظ حيث قال (فاطم إلى إله موسى) أي فأسأله هل أرسله أم لا (وإني لأظنه كاذباً) أي في دعواه ذلك . وإنما كان مقصود فرعون أن يصد الناس عن تصديق موسى عليه السلام وإن يحتمهم على تكذيبه قال الله تعالى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) وقرئ (وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب) قال ابن عباس ومجاهد يقول إلا في خسار أي باطل لا يحصل له شيء من مقصوده الذي أراد منه فإنه لا سبيل للبشر أن يتوصلوا بقوام إلى نيل السماء أبداً أعنى السماء الدنيا فكيف بما بعدها من السموات العلى وما فوق ذلك من الارتفاع الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل . وذكر غير واحد من المفسرين أن هذا الصرح وهو القصر الذي بناه وزيره هامان له لم يربنا أعلى منه وإن كان مبنياً من الآجر المشوي بالنار ولهذا قال (فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً) .

وعند أهل الكتاب أن بنى إسرائيل كانوا يسخرون في ضرب اللبن وكان مما حملوا من التكاليف الفرعونية أنهم لا يساعدون على شيء مما يحتاجون إليه فيه بل كانوا هم الذين يجمعون ترابه وتبنه وماءه ويطلب منهم كل يوم قسط معين إن لم يفعلوه والا ضربوا وأهينوا غاية الإهانة وأوذوا غاية الأذى . ولهذا قالوا لموسى (أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) فوعدهم بأن العاقبة لهم على القبط وكذلك وقع وهذا من دلائل النبوة * ولترجع إلى نصيحة المؤمن وموعظته واحتجاجه قال الله تعالى (وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزي إلا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) يدعوهم رضى الله عنه إلى طريق الرشاد والحق وهي متابعة نبي الله موسى وتصديقه فيما جاء به من ربه ثم زهدهم في الدنيا الدنية الفانية المنقضية لاحالة ورجبهم في طلب الثواب عند الله الذي لا يضيع عمل عامل لديه . القدير الذي ملكوت كل شيء بيده الذي يعطى على القليل كثيراً ومن عدله لا يجازى على السيئة إلا مثلها . وأخبرهم أن الآخرة هي دار القرار التي من وافاها مؤمناً قد عمل الصالحات فلهم الجنة العاليات والغرف الآمنات والخيرات الكثيرة الفاتكات والارزاق الدائمة التي لا تنبذ . والخير الذي كل ما لهم منه في مزيد .

ثم شرع في إبطال ما هم عليه وتخويفهم مما يصيرون إليه فقال (ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار تدعونني لا كفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار . لا جرم أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب

النار فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد . فوقاه الله سيئات ما مكروا وحق بآل فرعون سوء العذاب . النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) كان يدعوهم إلى عبادة رب السموات والأرض الذي يقول للشيء كن فيكون وهم يدعوونه إلى عبادة فرعون الجاهل الضال الملعون ولهذا قال لهم على سبيل الإنكار (وياقوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار تدعونني لا كفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار) ثم بين لهم بطلان ما هم عليه من عبادة ما سوى الله من الأنداد والأوثان وأنها لا تملك من نفع ولا أضرار فقال (لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار) أي لا تملك تصرفا ولا حكما في هذه الدار فكيف تملك يوم القرار * وأما الله عز وجل فانه الخالق الرازق للابرار والفجار وهو الذي أحيا العباد ويميتهم ويدخل طاعتهم الجنة وعاصيهم إلى النار .

ثم توعدهم إن هم استمروا على العناد بقوله (فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد) قال الله (فوقاه الله سيئات ما مكروا) أي بانكاره سلم مما أصابهم من العقوبة على كفرهم بالله ومكروا في صدم عن سبيل الله مما أظهروا للعامة من الخيالات والمخالات التي ألبسوا بها على عوامهم وطفاهم ولهذا قال (وحق) أي أحاط (بآل فرعون سوء العذاب . النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) أي تعرض ارواحهم في برزخهم صباحا ومساء على النار (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) وقد تكلمنا على دلالة هذه الآية على عذاب القبر في التفسير والله الحمد والمقصود أن الله تعالى لم يهلكهم إلا بعد إقامة الحجج عليهم وإرسال الرسول إليهم وإزاحة الشبه عنهم وأخذ الحجة عليهم منهم فبالترهيب تلوثة والترغيب أخرى كما قال تعالى . (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين وقصص من الثمرات لعلمهم يذكرون . فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطبروا بموسى ومن معه إلا إنما طائروا عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون . وقالوا مهما تأتنا به من آية نتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين . فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين) .

يخبر تعالى أنه ابتلى آل فرعون وهم قومه من القبط بالسنين وهي أعوام الجذب التي لا يستغل فيها زرع ولا يتفتح بضرع وقوله (وقصص من الثمرات) وهي قلة الثمار من الأشجار (لعلمهم يذكرون) أي فلم ينتفعوا ولم يرعوا بل تمردوا واستمروا على كفرهم وعنادهم (فإذا جاءتهم الحسنة) وانخصب ونحوه (قالوا لنا هذه) أي هذا الذي نستحيه وهذا الذي يليق بنا (وإن تصبهم سيئة يطبروا بموسى ومن معه) أي يقولون هذا بثؤمهم أصابنا هذا ولا يقولون في الأول أنه بركتهم وحسن مجاورتهم ولكن

قلوبهم منكراً مستكبرة نافرة عن الحق اذا جاء الشر أسندوه اليه وإن رأوا خيراً ادعوه لأنفسهم . قال الله تعالى (ألا إنما طأرهم عند الله) أى الله يجزيهم على هذا أوفر الجزاء (ولكن أكثرهم لا يعلمون . وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) أى مهما جئتنا به من الآيات وهى الخوارق للمعادات فلنا تؤمن بك ولا تتبعك ولا نطيعك ولو جئتنا بكل آية . وهكذا أخبر الله عنهم فى قوله (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) قال الله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين) أما الطوفان فمن ابن عباس هو كثرة الأمطار المتلفة للزرع والثمار . وبه قال سعيد بن جبيرة وقتادة والسدى والضحاك * وعن ابن عباس وعطاء هو كثرة الموت * وقال مجاهد الطوفان الماء والطاعون على كل حال * وعن ابن عباس أمرطاف بهم * وقد روى بن جرير وابن مردويه من طريق يحيى بن يمان عن المنهال بن خليفة عن الحجاج عن الحكم بن مينا عن عائشة عن النبي (ص) : الطوفان الموت وهو غريب * وأما الجراد فعروف * وقد روى أبو داود عن أبي عثمان عن سلمان الفارسي قال سئل رسول الله عن الجراد فقال أكثر جنود الله لا آكله ولا أحرمه وترك النبي (ص) آكله إنما هو على وجه التقدير له كما ترك أكل الضب وتنزه عن أكل البصل والثوم والكراث لما ثبت فى الصحيحين عن عبد الله بن أبي أوفى قال غزونا مع رسول الله (ص) سبع غزوات فأكل الجراد . وقد تكلمنا على ماورد فيه من الأحاديث والآثار فى التفسير . والمقصود أنه استاق خضراءهم فلم يترك لهم زرعاً ولا ثماراً ولا سبداً ولا لبداً . وأما القمل فمن ابن عباس هو السوس الذى يخرج من الحنطة وعنه انه الجراد الصغار الذى لا أجنحة له . وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة . وقال سعيد بن جبيرة والحسن هو دواب سود صفار * وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هى البراغيث * وحكى ابن جرير عن أهل العربية أنها الحنات وهو صفار القردان (فرق القمامة) فدخل معهم البيوت والفرش فلم يقر لهم قرار ولم يمكنهم معه الغمض ولا العيش . وفسره عطاء بن السائب بهذا القمل المعروف وقرأها الحسن البصرى كذلك بالتخفيف . وأما الضفادع فعروفة لبستهم حتى كانت تسقط فى أظفارهم وأوانيتهم حتى إن أحدهم اذا فتح فيه لطعام أو شراب سقطت فى فيه ضفدعة من تلك الضفادع . وأما الدم فكان قد مزج ماؤهم كله به فلا يستقون من النيل شيئاً إلا وجدوه دماً عيطاً ولا من نهر ولا بئر ولا شئ إلا كان دماً فى الساعة الراحنة . هذا كله لم ينل بنى إسرائيل من ذلك شئ بالكفاية . وهذا من تمام المعجزة الباهرة والحجة القاطعة أن هذا كله يحصل لهم من فعل موسى عليه السلام فينالهم عن آخرهم ولا يحصل هذا لاحد من بنى إسرائيل وفى هذا أدل دليل . قال محمد بن اسحق فرجم عدو الله فرعون حين آمنت السحرة مغلوباً مغلولاً ثم أبى إلا الإقامة على الكفر والتلذذ فى الشر

وتابع الله عليه بالآيات فأخذه بالسنين فأرسل عليه الطوفان ثم الجراد ثم القمل ثم الضفادع ثم الدم
 آيات مفصلات فأرسل الطوفان وهو الماء ففاض على وجه الأرض ثم ركذ . لا يقدر أن يخرجوا
 ولا أن يهاوا شيئاً حتى جهدوا جوعاً فلما بلغهم ذلك (قالوا يا موسى أدع لنا ربك بما عهد عندك
 لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل) فدعا موسى ربه فكشفه عنهم فلما لم
 يفوا له بشيء فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر فيما بلغنى حتى أن كان لياً كل مسامير الأبواب من
 الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم فقالوا مثل ما قالوا فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا
 فأرسل الله عليهم القمل فذكر لى أن موسى عليه السلام أمر أن يمشى الى كتيب حتى يضربه بعصاه فمشى
 الى كتيب أهيل عظيم فضربه بها فانتال عليهم قملاً حتى غلب على البيوت والاطعمة ومنعهم النوم
 والقرار فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا له فدعا ربه فكشف عنهم فلما لم يفوا له بشيء مما قالوا أرسل
 الله عليهم الضفادع فملأت البيوت والاطعمة والآنية فلم يكشف أحد ثوباً ولا طعاماً إلا وجد فيه الضفادع
 قد غلب عليه فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا بشيء مما قالوا فأرسل
 الله عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دماً لا يستقون من بئر ولا نهر يفترفون من إناه الاعاد دماغبيطا
 وقال زيد بن أسلم المراد بالدم الرعاف رواه ابن أبي حاتم . قال الله تعالى (ولما وقع عليهم الرجز قالوا
 يا موسى أدع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل . فلما
 كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون . فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبا باياتنا
 وكانوا عنها غافلين]

يخبر تعالى عن كفرهم وعتوهم واستمرارهم على الضلال والجهل والاستكبار عن اتباع آيات الله
 وتصديق رسوله مع ما أيده من الآيات العظيمة الباهرة والحجج البليغة القاهرة التي أراهم الله إياها عياناً
 وجعلها عليهم دليلاً وبرهاناً وكلما شاهدوا آية وعابنوها وجهدهم وأضنكهم حلفوا وعاهدوا موسى لئن
 كشف عنهم هذه ليؤمنن به وليرسلن معه من هو من حزبه فكما رفعت عنهم تلك الآية عادوا الى
 شر مما كانوا عليه وأعرضوا عما جاءهم به من الحق ولم يلتفتوا اليه فيرسل الله عليهم آية أخرى هي أشد
 مما كانت قبلها وأقوى فيقولون فيكذبون . ويهدون ولا يفنون لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن
 معك بنى إسرائيل فيكشف عنهم ذلك العذاب الويل . ثم يعودون الى جهلهم العريض الطويل هذا
 والعظيم الحليم القدير بنظرهم ولا يعجل عليهم ويؤخرهم ويتقدم بالوعيد اليهم ثم أخذهم بعد إقامة الحججة
 عليهم والانذار اليهم أخذ عزيز مقتدر فجعلهم عبرة ونكلاً وسامعاً لمن أشبههم من الكافرين ومثلاً
 لمن اتعظ بهم من عباده المؤمنين كما قال تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين في سورة حم والكتاب
 المبين (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملأه فقال إني رسول رب العالمين . فلما جاءهم بآياتنا اذا

هم منها يضحكون . وما تريهم من آية إلا هي أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلمهم يرجعون . وقالوا يا أيها الساحر أدع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون . فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون . ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون . أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين . فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فاطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين . فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين . فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين .

يذكر تعالى إرساله عبده الحكيم الكريم الى فرعون الخسيس اللئيم وأنه تعالى أيد رسوله بآيات بينات ووضحات تستحق أن تقابل بالتعظيم والتصديق وأن يرتدعوا عما هم فيه من الكفر ويرجعوا الى الحق والصراط المستقيم فاذا هم منها يضحكون وبها يستهزئون وعن سبيل الله يصدون وعن الحق يصدون فارسل الله عليهم الآيات تترى يتبع بعضها بعضا وكل آية أكبر من التي تتلوها لأن التوكيد أبلغ مما قبله (وأخذناهم بالعذاب لعلمهم يرجعون . وقالوا يا أيها الساحر أدع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون) لم يكن لفظ الساحر في زمنهم قصا ولا عيبا لأن علماءهم في ذلك الوقت هم السحرة ولهذا خاطبوه به في حال احتياجهم اليه وضراعتهم لديه قال الله تعالى . (فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون) ثم أخبر تعالى عن تبجح فرعون بملكه وعظمة بلده وحسنها وتخرق الأنهار فيها * وهي الخلجانات التي يكسرونها أمام زيادة النيل ثم تبجح بنفسه وحليته وأخذ يتنقص رسول الله موسى عليه السلام ويزدر به بكونه (لا يكاد يبين) يعني كلامه بسبب ما كان في لسانه من بقية تلك اللثغة التي هي شرف له وكمال وجمال ولم تكن مانعة له أن كله الله تعالى وأوحى اليه وأنزل بعد ذلك التوراة عليه وتنقصه فرعون لعنه الله بكونه لأساور في بدنه ولازينة عليه وإنما ذلك من حلية النساء لا يليق بشهامة الرجال فكيف بالرسول الذين هم أكل عقلا وأتم معرفة وأعلى همة وأزهد في الدنيا وأعلم بما أعد الله لأوليائه في الآخرة وقوله (أوجاء معه الملائكة مقترنين) لا يحتاج الأمر الى ذلك إن كان المراد أن تعظمه الملائكة فالملائكة يعظمون ويتواضعون لمن هو دون موسى عليه السلام بكثير كما جاء في الحديث إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع فكيف يكون تواضعهم وتعظيمهم لموسى الحكيم عليه الصلاة والتسليم والتكريم * وان كان المراد شهادتهم له بالرسالة فقد أيد من المعجزات بما يدل قطعا لذوى الأبواب ولمن قصد الى الحق والصواب ويعنى عما جاء به من البيئات والحجج الواضحات من نظر الى القشور وترك لب اللباب وطبع على قلبه رب الأرباب وختم عليه بما فيه من الشك والارتباب كما هو حال فرعون القبطى العمى الكذاب قال الله تعالى (فاستخف قومه فاطاعوه) أى استخف غفولهم ودرجهم من حال الى حال الى أن صدقوه في دعواه الربوبية لعنه الله وقبحهم (إنهم كانوا قوما فاسقين

فما آسفونا) أى أغضبونا (انتقمنا منهم) أى بالفرق والاهانة وسلب العز وانتبدل بالذل وبالعذاب بعد النعمة والهوان بعد الرفاهية والنار بعد طيب العيش عياداً بالله العظيم وسلطانه القديم من ذلك (فجعلناهم سلفاً) أى لمن اتبعهم فى الصفات (ومثلاً) أى لمن اتعظ بهم وخاف من وبيل مصرهم ممن بلغه جلية خبرهم وما كان من أمرهم كما قال الله تعالى . (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مقترى وما سمعنا بهذا فى آياتنا الاولين . وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون . وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا لعلى أطلع الى الله موسى وانى لاظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فبنذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين . وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيمة لا ينصرون وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين) يخبر تعالى أنهم لما استكبروا عن اتباع الحق وادعى ملكهم الباطل وواقفوه عليه واطاعوه فيه اشتد غضب الرب القدير العزيز الذى لا يغالب ولا يمانع عليهم فانتقم منهم أشد الانتقام واغرقه هو وجنوده فى صبيحة واحدة فلم يفلت منهم أحد ولم يبق منهم ديار بل كل قد غرق فدخل النار وأتبعوا فى هذه الدار لعنة بين العالمين ويوم القيمة بئس الرفد المرفود ويوم القيمة هم من المقبوحين .

صدك فرعون وجنوده

لما تمادى قبط مصر على كفرهم وعتوم وعنادهم متابعة لملكهم فرعون ومخالفة لنبى الله ورسوله وكايمه موسى بن عمران عليه السلام وأقام الله على أهل مصر الحجج العظيمة القاهرة وأرام من خوارق العادات ما بهر الابصار وحير العقول وهم مع ذلك لا يرجعون ولا يتوبون ولا ينزعون ولا يرجعون ولم يؤمن منهم إلا التليل . قيل ثلاثة وهم امرأة فرعون ولا علم لأهل الكتاب بخبرها ومؤمن آل فرعون الذى تقدم حكاية موعظته ومشورته وحجته عليهم والرجل الناصح الذى جاء يسعى من أقصى المدينة فقال يا موسى إن الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إلى لك من الناصحين قاله ابن عباس فيما رواه ابن أبى حاتم عنه ومراده غير السحرة فاتهم كانوا من القبط وقيل بل آمن طائفة من القبط من قوم فرعون والسحرة كلهم وجميع شعب بنى إسرائيل . ويدل على هذا قوله تعالى (فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال فى الأرض وإنه لمن المسرفين) فالضمير فى قوله (إلا ذرية من قومه) عائد على فرعون لان السياق يدل عليه . وقيل على موسى لقربه والأول أظهر كما هو مقرر فى التفسير وإيمانهم كان خفية لمخافتهم من فرعون وسطوته

وجبروته وسلطته ومن ملائمتهم أن ينموا عليهم اليه فيفتنهم عن دينهم قال الله تعالى مخبرا عن فرعون وكفى بالله شهيداً (وإن فرعون لعال في الارض) أي جبار عنيد مستعل بغير الحق (وإنه لمن المسرفين) أي في جميع أموره وشثونه واحواله ولكنه جرثومة قد حان إنجافها وثمره خبيثة قد آن قطفها ومهجة ملعونة قد حتم اتلافها . وعند ذلك قال موسى (يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين . فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين . ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) بأمرهم بالتوكل على الله والاستمالة به والاتجاء إليه فاتمروا بذلك فجعل الله لهم مما كانوا فيه فرجاً ومخرجاً . (وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين) أوحى الله تعالى إلى موسى وأخيه هارون عليهما السلام أن يتخذوا لقومها بيوتاً متميزة فيما بينهم عن بيوت القبط ليكونوا على أهبة في الرحيل إذا أمروا به ليعرف بعضهم بيوت بعض وقوله (واجعلوا بيوتكم قبلة) قيل مساجد وقيل معناه كثرة الصلاة فيها قاله مجاهد وابومالك و ابراهيم النخعي والربيع والضحاك وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن وغيرهم . ومعناه على هذا الاستعانة على ما هم فيه من الضر والشدة والضيق بكثرة الصلاة كما قال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى . وقيل معناه أنهم لم يكونوا حينئذ يقدرون على إظهار عبادتهم في مجتمعاتهم ومعابدهم فأمروا أن يصلوا في بيوتهم عوضاً عما فاتهم من إظهار شعار الدين الحق في ذلك الزمان الذي اقتضى حالهم اخفاءه خوفاً من فرعون وملائته . والمعنى الاول أقوى لقوله (وبشر المؤمنين) وإن كان لا ينافي الثاني أيضاً والله أعلم . وقال سعيد بن جبير (واجعلوا بيوتكم قبلة) أي متقابلة وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملائه زينة وأمولا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا (اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم . قال قد أجيبته دعوتكما فاستقيا ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) هذه دعوة عظيمة دعابها كليم الله موسى على عدو الله فرعون غضبا لله عليه لتكبره عن اتباع الحق وصدده عن سبيل الله ومعانده وعتوه وتمرده واستمراره على الباطل ومكابرتة الحق الواضح الجلي الحسي والمعنوي والبرهان القطعي فقال (ربنا إنك آتيت فرعون وملائه) يعني قومه من القبط ومن كان على ملته ودان بدينه (زينة وأمولا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك) أي وهذا يفتنه من يعظم أمر الدنيا فيحسب الجاهل أنهم على شيء لكون هذه الاموال وهذه الزينة من اللباس والمراكب الحسنة الهنية والدور الأنيقة والقصور المبنية والمأكلة الشبيهة والمناظر البهية والملك العزيز والتمكين والجاه العريض في الدنيا لا الدين (ربنا اطمس على أموالهم) قال ابن عباس ومجاهد أي أهلكتها وقال أبو العالية والربيع بن أنس والضحاك اجعلها حجارة منقوشة كهيئة ما كانت وقال قتادة بلغنا أن زروعهم صارت حجارة . وقال محمد بن كعب جعل سكرهم حجارة وقال أيضا صارت

أموالهم كلها حجارة . ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال عمر بن عبد العزيز لغلام له قم ايتني بكيس فجاهه بكيس فاذا فيه حصص وبيض قد حول حجارة * رواه ابن أبي حاتم . وقوله (واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) قال ابن عباس أى اطبع عليها وهذه دعوة غضب الله تعالى ولدينه ولبراهينه فاستجاب الله تعالى لها وحقها وتقبلها كما استجاب لنوح في قومه حيث قال (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا. إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) ولهذا قال تعالى مخاطباً لموسى حين دعا على فرعون وملائته وأمن أخوه هارون على دعائه فنزل ذلك منزلة الداعي أيضاً) قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) قال المفسرون وغيرهم من أهل الكتاب استأذن بنو اسرائيل فرعون في الخروج إلى نعيدهم فاذن لهم وهو كاره ولكنهم تجهزوا للخروج وتأهبوا له وإنما كان في نفس الامر مكيدة بفرعون وجنوده ليتخلصوا منهم ويخرجوا عنهم وامرهم اذ تعالى فيما ذكره أهل الكتاب أن يستعيروا حلياً منهم فاعاروهم شيئاً كثيراً فخرجوا بلبيل فساروا مستمرين ذاهبين من فورهم طالبين بلاد الشام فلما علم بذهابهم فرعون حنق عليهم كل الحنق واشتد غضبه عليهم وشرع في استحاث جيشه وجمع جنوده ليلحقهم ويمحقهم قال الله تعالى (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي انكم متبعون . فارسل فرعون في المداين حاشرين . إن هؤلاء لشرذمة قليلون . وإنهم لنا لغائظون زانوا لجميع حاذرون فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثنا ما بنى اسرائيل فابعوهم مشرقين . فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون . قال كلا إن معي ربي سيهدين . فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانلق فكان كل فرق كالطود العظيم . وأزلفنا ثم الآخريين . وأنجينا موسى ومن معه أجمعين . ثم أغرقنا الآخريين . إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك لهو العزيز الرحيم) قال علماء التفسير لما ركب فرعون في جنوده طالباً بنى اسرائيل يقفوا أثرهم كان في جيش كثيف عرصرم حتى قيل كان في خيوله مائة ألف فحل أدهم وكانت عدة جنوده تزيد على ألف ألف وستائة ألف فآله أعلم . وقيل إن بنى اسرائيل كانوا نحواً من ستمائة ألف مقاتل غير الذرية وكان بين خروجهم من مصر صحبة موسى عليه السلام ودخولهم إليها صحبة أبيهم اسرائيل أربعمائة سنة وستا وعشرين سنة شمسية .

والمقصود أن فرعون لحقهم بالجنود فادر كهم عند شروق الشمس وتراءى الجمعان ولم يبق ثم ريب ولا لبس وعابن كل من الفريقين صاحبه وتحققه وراه ولم يبق إلا المقاتلة والمجادلة والحاماة فعندها قال أصحاب موسى وهم خائفون إنا لمدركون وذلك لأنهم اضطروا في طريقهم الى البحر فليس لهم طريق ولا محيد الا سلوكه وخوضه . وهذا ما لا يستطيعه أحد ولا يقدر عليه والجبال عن يسرتهم وعن أيامهم وهي شاهقة منيفة وفرعون قد خالقهم وواجههم وعابنوه في جنوده وجيوشه وعدده وعدده وهم مسنة في غاية

الخوف والذعر لما قاسوا في سلطانه من الالهانة والمنكر فشكروا الى نبي الله ما هم فيه مما قد شاهدوه وعايروه فقال لهم الرسول الصادق المصدوق (كلا إن معي ربي سيهدين) وكان في الساقه فتقدم الى المقدمة ونظر الى البحر وهو يتلاطم بامواجه ويتزايد زبد اجاجه وهو يقول ههنا أمرت ومعه أخوه هرون ويوشع بن نون وهو يومئذ من سادات بني إسرائيل وعلماهم وعبادهم الكبار وقد أوحى الله اليه وجعله نبيا بعد موسى وهرون عليهما السلام كما سنذكره فيما بعد إن شاء الله * ومعهم أيضا مؤمن آل فرعون وهم وقوف وبنو إسرائيل بكاملهم عليهم عكوف ويقال إن مؤمن آل فرعون جعل يقتحم بفرسه مرارا في البحر هل يمكن سلوكه فلا يمكن ويقول موسى عليه السلام يا نبي الله أهنا أمرت. فيقول نعم. فلما تفاقم الأمر وضاق الحال واشتد الأمر واقترب فرعون وجنوده في جدم وحدهم وحديدتهم وغضبهم وحقهم وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر فعند ذلك أوحى الخليم العظيم القدير رب العرش الكريم الى موسى الكليم (أن اضرب بعصاك البحر) فلما ضربه يقال إنه قال له انفلق باذن الله ويقال إنه كناد بابي خلد فالله أعلم (قال الله تعالى فإوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم) ويقال إنه انفلق اثنتي عشرة طريقا لكل سبط طريق يسرون فيه حتى قيل إنه صار أيضا شبابيك ليرى بعضهم بعضا وفي هذا نظر لأن الماء جرم شفاف اذا كان من ورائه ضياء حكاة . وهكذا كان ماء البحر قائما مثل الجبال مكفوفاً بالقدرة العظيمة الصادرة من الذي يقول للشيء كن فيكون وأمر الله ريح الدبور فلقتت حال البحر فاذهبت حتى صار يابساً لا يملق في سنايك الخيول والدواب . قال الله تعالى (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى . فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى) والمقصود أنه لما آل أمر البحر الى هذه الحال باذن الرب العظيم الشديد المحال أمر موسى عليه السلام أن يجوزه ببني إسرائيل فأنحدروا فيه مسرعين مستبشرين مبادرين وقد شاهدوا من الأمر العظيم ما يحير الناظرين ويهدى قلوب المؤمنين فلما جاوزوه وجاوزوه وخرج آخرهم منه وانفصلوا عنه كان ذلك عند قدوم أول جيش فرعون اليه ووفودهم عليه فأراد موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه ليرجع كما كان عليه لئلا يكون لفرعون وجنوده وصول اليه. ولا سبيل عليه فامر القدير ذو الجلال أن يترك البحر على هذه الحال كما قال وهو الصادق في المثال (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم أن أدوا الى عباد الله إني لكم رسول أمين. وان لا تعملوا على الله إني آتيكم بسطان مبين. واني عدت بربي وربكم أن ترجموني. وان لم تؤمنوا لي فاعتزلوني . فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون. فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون واترك البحر رهواً إنهم جند مفرقون . كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأوردناها قوما آخرين. فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين . ولقد

نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين . من فرعون إنه كان عالياً من المسرفين . ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين (قوله تعالى (وأترك البحر رهواً) أى ساكناً على هيئته لا تغيره عن هذه الصفة . قاله عبدالله بن عباس ومجاهد وعكرمة والربيع والضحاك وقتادة وكعب الاحبار وسماك بن حرب وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم * فلما تركه على هيئته وحالته وانتهى فرعون فرأى ما رأى وعابن ما عابن هاله هذا المنظر العظيم وتحقق ما كان يتحققه قبل ذلك مع أن هذا من فعل رب العرش الكريم فاحجم ولم يتقدم وندم في نفسه على خروجه في طلبهم والحالة هذه حيث لا ينفعه الندم لكنه أظهر لجنوده تجلداً وعاملهم معاملة العدا وحملته النفس الكافرة والسجية الفاجرة على أن قال لمن استخفهم فأطاعوه وعلى باطله تابعوه أفتظنوا كيف أتخسر البحر لى لأدرك عبيدى الآبقين من يدي الخارجين عن طاعتي وبلدى وجل يورى في نفسه أن يذهب خلفهم ويرجو أن ينجو وهيبات ويقدم تارة ويحجم تارات . فذكروا أن جبريل عليه السلام تبدي في صورة فارس راكب على رمكة حائل فر بين يدي فخل فرعون لعنه الله فحجم إليها وأقبل عليها وأسرع جبريل بين يديه فاقحم البحر واستبق الجواد وقد أجاد فبادر مسرعاً هذا وفرعون لا يملك من نفسه ضراً ولا نفعاً فلما رآه الجنود قد سلك البحر اقتحموا وراه مسرعين فحصلوا في البحر أجمعين أكتمين أبصمين حتى هم أولهم بالخروج منه فعند ذلك أمر الله تعالى كايمة فيما أوحاه إليه أن يضرب البحر بصاه فضربه فارتد عليهم البحر كما كان فلم ينج منهم انسان قال الله تعالى (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين . ثم أغرقنا الآخرين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك هو العزيز الرحيم) أى في انجائه أوليائه فلم يفرق منهم أحد واغراقه أعداءه فلم يخلص منهم أحد آية عظيمة وبرهان قاطع على قدرته تعالى العظيمة وصدق رسوله فيما جاء به عن ربه من الشريعة الكريمة والمناهج المستقيمة وقال تعالى (وجاوزنا بيني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بنيا وعدواً حتى إذا ادركه الفرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . فاليوم نتجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية وأن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون) يخبر تعالى عن كيفية غرق فرعون زعيم كفر القبط وأنه لما جعلت الأمواج تخفضه تارة وترفعه أخرى وبنو اسرائيل ينظرون إليه وإلى جنوده ماذا أحل الله به وبهم من البأس العظيم والخطب الجسيم ليكون أقر لآعين بنى اسرائيل وأشفى لنفوسهم فلما عابن فرعون الملكة وأحيط به وبأشر مكرات الموت أناب حينئذ وتاب وآمن حين لا ينفع نفساً إيمانها كما قال تعالى (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاههم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) وقال تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين . فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) وهكذا دعا

موسى على فرعون وملائته أن يطمس على أموالهم ويشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الآليم) أى حين لا ينفعهم ذلك ويكون حسرة عليهم وقد قال تعالى لهما أى لموسى وهرون حين دعوا
بهذا (قد أجيبت دعوتكما) فهذا من جابة الله تعالى دعوة كليمه وأخيه هرون عليهما السلام. ومن
ذلك الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن
يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص)، لما قال فرعون (آمنت أنه لا إله إلا الذى
آمنت به بنو إسرائيل) قال قال لى جبريل لو رأيتنى وقد أخذت من حال البحر فدرسته فى فيه مخافة
أن تناله الرحمة ورواه الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم عند هذه الآية من حديث حماد بن سلمة
وقال الترمذى حديث حسن . وقال أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة عن عدى بن ثابت وعطاء بن
السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) قال لى جبريل لو رأيتنى وأنا آخذ
من حال البحر فادسه فى فم فرعون مخافة أن يناله الرحمة ورواه الترمذى وابن جرير من حديث شعبة
وقال الترمذى حسن غريب صحيح وأشار ابن جرير فى رواية الى وقفه . وقال ابن أبى حاتم حدثنا
أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمر بن عبد الله بن يعلى الثقفى عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال لما أغرق الله فرعون أشار باصبعه ورفع صوته (آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو
إسرائيل) قال فخاف جبريل أن تسبق رحمة الله فيه غضبه فجعل يأخذ الحمال بجناحيه فيضرب به وجهه
فيرمه * ورواه ابن جرير من حديث أبى خالد به . وقد رواه ابن جرير من طريق كثير بن زاذان
وليس بمعروف وعن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) قال لى جبريل يا محمد لو
رأيتنى وأنا أعطه وأدس من الحمال فى فيه مخافة أن تدركه رحمة الله فيغفر له . يعنى فرعون . وقد أرسله
غير واحد من السلف كإبراهيم التيمى وقتادة وميمون بن مهران ويقال إن الضحاك بن قيس خطب
به الناس . وفى بعض الرويات إن جبريل قال ما بغضت احدا بغضى لفرعون حين قال أنا ربكم الاعلى
ولقد جملت أدس فى فيه الطين حين قال ما قال . وقوله تعالى (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من
المفسدين) إستفهام إنكار ونص على عدم قبوله تعالى منه ذلك لأنه والله أعلم لو رد الى الدنيا لما كان
لما الى ما كان عليه كما أخبر تعالى عن الكفار اذا عاينوا النار وشاهدوها أنهم يقولون (ياليتنا نرد
ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين) قال الله (بل بدلهم ما كاتوا يخفون من قبل ولو
ردوا لمادوا لما نهوا عنه وإهم لكاذبون) وقوله (فاليوم ننجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية)
قال ابن عباس وغير واحد شك بعض بنى إسرائيل فى موت فرعون حتى قال بعضهم إنه لا يموت فامر
الله البحر فرفه على مرتفع . قيل على وجه الماء وقيل على نجوة من الارض وعليه درعه التى يرفونها
من ملابسه ليتحققوا بذلك هلاكه ويعلموا قدرة الله عليه . ولهذا قال (فاليوم ننجيك بيدك) أى

مصاحباً درعك المعروفة بك (لتكون) أى أنت آية (ان خلفك) أى من بنى إسرائيل دليلاً على قدرة الله الذى أهلكه . ولهذا قرأ بعض السلف لتكون لمن خلقك آية (١) . ويحتمل أن يكون المراد نتجيك مصاحباً لتكون درعك علامة لمن وراءك من بنى إسرائيل على معرفتك وإنك هلكت والله أعلم . وقد كان هلاكه وجنوده فى يوم عاشوراء . كما قال الامام البخارى فى صحيحه حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء فقالوا هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون قال النبي صلى الله عليه وسلم (أنتم أحق بموسى منهم فصوموا) . وأصل هذا الحديث فى الصحيحين وغيرها والله أعلم

أمر بنى إسرائيل بعرضك فرعون

قال الله تعالى (فاتقنا منهم فآغرقتناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين . وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون . وجاوزنا بنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم . قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أنبيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين . واذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلك بلاء من ربكم عظيم) يذكر تعالى ما كان من أمر فرعون وجنوده فى غرقهم وكيف سلبهم عزمهم ومالهم وأنفسهم وأورث بنى إسرائيل جميع أموالهم وأملاكهم كما قال (كذلك وأورثناها بنى إسرائيل) وقال (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) وقال ههنا (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون) أى أهلك ذلك جميعه وسلبهم عزم العزيز العريض فى الدنيا وهلك الملك وحاشيته وأمرأؤه وجنوده ولم يبق ببلد مصر سوى العامة والرعايا . فذكر ابن عبد الحكم فى تاريخ مصر أنه من ذلك الزمان تسلط نساء مصر على رجالها بسبب أن نساء الامراء والكبراء تزوجن بمن دونهن من العامة فكانت هن السطوة عليهم واستمرت هذه سنة نساء مصر الى يومك هذا .

وعند أهل الكتاب أن بنى إسرائيل لما أمروا بالخروج من مصر جعل الله ذلك الشهر أول سنتهم وأمروا أن يذبح كل أهل بيت حملاً من الغنم فان كانوا لا يحتاجون الى حمل فليشترك الجار وجاره فيه

(١) باللقاف أى ولتكون لخالفك آية كسائر آياته .

فاذا ذبحوه فلينضحوا من دمه على اعتاب ابراهيم ليكون علامة لهم على بيوتهم ولا يأكلونه مطبوخا
 ولكن مشويا برأسه وأكارعه وبطنه ولا يبقوا منه شيئا ولا يكثروا له عظام ولا يخرجوا منه شيئا الى
 خارج بيوتهم وليكن خبزهم فطيرا سبعة أيام ابتداءها من الرابع عشر من الشهر الأول من سنتهم
 وكان ذلك في فصل الربيع فاذا أكلوا فلتكن أوساطهم مشدودة وخفافهم في أرجلهم وعصيمهم في
 أيديهم وليأكلوا بسرعة قياما. ومهما فضل عن عشايتهم فما بقي الى الغد فليحرقوه بالنار وشرع لهم
 هذا عبدا لاعتقابهم مادامت التوراة معمولا بها فاذا نسخت بطل شرعها وقد وقع. قالوا وقتل الله عز
 وجل في تلك الليلة أ بكر القبط وأ بكر دوابهم ليشتغلوا عنهم وخرج بنو إسرائيل حين اتصف النهار
 وأهل مصر في مناحة عظيمة على ابكار أولادهم وأ بكر أموالهم ليس من بيت الاوفيه عويل. وحين
 جاء الوحي الى موسى خرجوا مسرعين فحملوا العجين قبل اختباره وحملوا الازواد في الأردية والقوها
 على عواتهم * وكانوا قد استعاروا من أهل مصر حليا كثيرا فخرجوا وهم ستمائة ألف رجل سوى
 الدراري بما معهم من الانعام وكانت مدة مقامهم بمصر أربع مائة سنة وثلاثين سنة. هذا نص كتابهم.
 وهذه السنة عندهم تسمى سنة الفسخ وهذا العيد عيد الفسخ. ولهم عيد الفطير وعيد الحمل وهو أول السنة *
 وهذه الاعياد الثلاثة آكد أعيادهم منصوص عليها في كتابهم. ولما خرجوا من مصر أخرجوا معهم تابوت
 يوسف عليه السلام وخرجوا على طريق بحر سوف. وكانوا في النهار يسرون والسحاب بين أيديهم
 يسير أمامهم فيه عامود نور وبالليل أمامهم عامود نار فاتمى بهم الطريق الى ساحل البحر فترزوا هنالك
 وادركهم فرعون وجنوده من المصريين وهم هناك حول على شاطئ اليم فقلق كثير من بني إسرائيل
 حتى قال قائلمهم كان بقاؤنا بمصر احب الينا من الموت بهذه البرية. وقال موسى عليه السلام لمن قال
 هذه المقالة لا تخشوا فان فرعون وجنوده لا يرجعون الى بلادهم بعد هذا. قالوا واسر الله موسى عليه السلام
 أن يضرب البحر بعصاه وأن يقسمه ليدخل بنو إسرائيل في البحر واليبس. وصار الماء من ههنا وههنا
 كالجلبين وصار وسطه ييسا لان الله سلط عليه ريح الجنوب والسموم فجاز بنو إسرائيل البحر واتبعهم
 فرعون وجنوده فلما توسطوه أمر الله موسى فضرب البحر بعصاه فرجع الماء كما كان عليهم. لكن
 عند أهل الكتاب أن هذا كان في الليل وأن البحر ارتطم عليهم عند الصبح وهذا من غلظهم وعدم
 فهمهم في تعريبهم والله أعلم. قالوا ولما أغرق الله فرعون وجنوده حينئذ سبح موسى وبنو إسرائيل
 بهذا التسبيح للرب وقالوا (نسبح الرب البهي الذي قهر الجنود ونبذ فرسانها في البحر المنيع المحمود) وهو
 تسبيح طويل. قالوا وأخذت مريم النبية أخت هارون دفا يدها وخرج النساء في أثرها كلهن بدفوف
 وطبول وجعلت مريم ترتل لمن وتقول سبحان الرب القهار الذي قهر الخيول وركبائها إلقاء في البحر
 هكذا رأيت في كتابهم. ولعل هذا هو من الذي حمل محمد بن كعب القرظي على زعمه أن مريم بنت

عمران أم عيسى هي أخت هرون وموسى مع قوله يا أخت هرون • وقد بنا غلظه في ذلك وان هذا لا يمكن أن يقال ولم يتابعه أحد عليه بل كل واحد خالفه فيه ولو قدر أن هذا محفوظ فهذه مريم بنت عمران أخت موسى وهرون عليها السلام وأم عيسى عليها السلام واقعتها في الأسم واسم الأب واسم الأخ لأنهم كما قال رسول الله (ص)، للغيرة بن شعبة لما سأله أهل نجران عن قوله يا أخت هرون فلم يدر ما يقول لهم حتى سأل رسول الله (ص)، عن ذلك فقال أما علمت أنهم كانوا يسمون باسماء أنبيائهم رواه مسلم . وقولهم النبوة كما يقال للمرأة من بيت الملك ملكة ومن بيت الإمرة أميرة وان لم تكن مباشرة شيئاً من ذلك فكذا هذه استعارة لها لا أنها نبوة حقيقة يوحى اليها وضربها بالدف في مثل هذا اليوم الذي هو أعظم الأعياد عندهم دليل على أنه قد كان شرع من قبلنا ضرب الدف في العيد • وهذا مشروع لنا أيضا في حق النساء لحديث الجاريتين اللتين كانتا عند عائشة يضربان بالدف في أيام منى ورسول الله (ص)، مضطجع مولى ظهره اليهم ووجهه الى الحائط فلما دخل أبو بكر زجرهن وقال ابزمور الشيطان في بيت رسول الله (ص)، فقال دعهن يا أبا بكر فان لكل قوم عيداً وهذا عيدنا . وهكذا يشرع عندنا في الاعراس ولقدوم الغياب كما هو مقرر في موضعه والله أعلم . وذكروا أنهم لما جاوزوا البحر وذهبوا قاصدين الى بلاد الشام مكثوا ثلاثة أيام لا يجدون ماء فتكلم من تكلم منهم بسبب ذلك فوجدوا ماء زعاقاً اجاباً لم يستطيعوا شربه فامر الله موسى فاخذ خشبة فوضعها فيه فحلا وساغ شربه وعلمه الرب هنالك فرائض وسنننا ووصاه وصايا كثيرة . وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز المهيمن على ما عداه من الكتب (وجاوزنا بيني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون) . قالوا هذا الجهل والضلال وقد عاينوا من آيات الله وقدرته ما دهم على صدق ما جاءهم به رسول ذى الجلال والاکرام وذلك أنهم مروا على قوم يعبدون أصناماً قيل كانت على صور البقر فكانهم سألوم لم يعبدونها فزعموا لهم أنها تنفعهم وتضرهم ويسترزقون بها عند الضرورات فكان بعض الجهال منهم صدقهم في ذلك فسألوا نبهم الكليم الكريم العظيم أن يجعل لهم آلهة كما لأولئك آلهة فقال لهم مبيناً لهم أنهم لا يعقلون ولا يهتدون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . ثم ذكروا نعمة الله عليهم في تفضيله إياهم على عالمي زمانهم بالعلم والشرع والرسول الذي بين أظهرهم وما أحسن به اليهم وما امتن به عليهم من انجائهم من قبضة فرعون الجبار العنيد وإهلا كه إياه وهم ينظرون وتوريته إياهم ما كان فرعون وملاؤه يجمعونه من الاموال والسعادة وما كانوا يرشون وبين لهم أنه لا تصلح العبادة الا لله وحده لا شريك له لانه الخالق الرازق القهار وليس كل بنى إسرائيل سأل هذا السؤال بل هذا الضمير عائذ على الجنس في قوله (وجاوزنا بيني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون

على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة (أى قال بعضهم كما فى قوله (وحشرناهم فلم نقادر منهم أحداً وعرضوا على ربك صفاتك جثموناً كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً) فالذين زعموا هذا بعض الناس لا كلهم وقد قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن سنان بن أبي سنان الدبلى عن أبي واقد الليثى قال خرجنا مع رسول الله (ص) قبل حنين فمررنا بسدرة قلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة ويكفون حولها قال النبي الله (ص) الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة انكم تكونون سنن الذين من قبلكم . ورواه النسائى عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به . ورواه الترمذى عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومى عن سفيان بن عيينة عن الزهري به . ثم قال حسن صحيح . وقد روى ابن جرير من حديث محمد بن اسحق ومعمر وعقيل عن الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثى أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله (ص) الى خيبر قال وكان للكفار سدرة يكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط قال فررنا بسدرة خضراء عظيمة قال قلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال قلم والذي نفسى بيده كما قال قوم موسى لموسى (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبرماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون) . والمقصود أن موسى عليه السلام لما انفصل من بلاد مصر وواجه بلاد بيت المقدس وجد فيها قوماً من الجبارين من الحثانيين والفزاريين والكنعانيين وغيرهم فامرهم موسى عليه السلام بالدخول عليهم ومقاتلتهم واجلائهم اياهم عن بيت المقدس فان الله كتبه لهم ووعدهم اياه على لسان ابراهيم الخليل او موسى الكليم الجليل فابوا ونكفوا عن الجهاد فسلط الله عليهم الخوف والقاهم فى التيه يسرون ويحلون ويرتملون ويذهبون ويبيثون فى مدة من السنين طويلة هى من العدد اربعون كما قال الله تعالى (واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين . يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا تترددوا على أدباركم فتقلبوا خاسرين قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإن لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى إن لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون . قال رب إني لا أملك إلا نفسى وأخى فأفرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فأنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض فلانأس على القوم الفاسقين) . يذكرهم نبى الله نعمة الله عليهم احسانه عليهم بالنعمة الدينية والدنيوية ويأمرهم بالجهاد فى سبيل الله ومقاتلة أعدائه فقال (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا تترددوا على أدباركم) أى تنكصوا على أعقابكم وتنكفوا على قتال أعدائكم

(فتقلبوا خاسرين) أي فتخسروا بعد الربح وتنقصوا بعد الكمال (قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين) أي عتاة كفره متمردين (وإنالندخلهاحتى يخرجوا منها فإن يخرجوا فانا داخلون) خافوا من هؤلاء الجبارين وقد عاينوا هلاك فرعون وهو أجبر من هؤلاء وأشد بأساً وأكثر جمعا وأعظم جنداً وهذا يدل على أنهم ملومون في هذه المقالة ومذمومون على هذه الحالة من الذلة عن مصالاة الأعداء ومقاومة المردة الأشقياء .

وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا آثراً فيها مجازفات كثيرة باطلة يدل العقل والنقل على خلافها من أنهم كانوا أشكالا هائلة ضخاما جداً حتى إنهم ذكروا أن رسل بني إسرائيل لما قدموا عليهم تلقاهم رجل من رسل الجبارين فجعل يأخذهم واحداً واحداً ويلفهم في أكمامه وحجزة سراويله وهم اثنا عشر رجلاً فجاء بهم فنثرهم بين يدي ملك الجبارين فقال ما هؤلاء ولم يعرف أنهم من بني آدم حتى عرفوه وكل هذه هذيان وخرافات لاحقيقة لها وأن الملك بعث معهم عنباً كل عنبة تكفي الرجل وشيئاً من ثمارهم ليعلموا ضخامة اشكالهم وهذا ليس بصحيح . وذكروا ههنا أن عوج بن عنق خرج من عند الجبارين الى بني إسرائيل ليهلكهم وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلاث ذراع هكذا ذكره البغوي وغيره وليس بصحيح كما قدمنا بيانه عند قوله (ص) (إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعاً) ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن قالوا فعمد عوج الى قمة جبل فاقتلعها ثم أخذها بيديه ليلقيها على جيش موسى فجاء طائر فنقر تلك الصخرة فخرقها فصارت طوقاً في عنق عوج بن عنق . ثم عمد موسى اليه فوثب في الهواء عشرة أذرع وطوله عشرة أذرع ويده عصاه وطولها عشرة أذرع فوصل الى كعب قدمه فقتله . يروى هذا عن عوف البكالي وقته ابن جرير عن ابن عباس وفي اسناده اليه نظر ثم هو مع هذا كاه من الاسرائيليات وكل هذه من وضع جهال بني إسرائيل فان الاخبار الكذبة قد كثرت عندهم ولا تميزهم بين صحتها وباطلها . ثم لو كان هذا صحيحاً لكان بنو إسرائيل معذورين في النكول عن قتالهم وقد ذمهم الله على نكولهم وعاقبهم بالتيه على ترك جهادهم ومخالفتهم رسولهم وقد أشار عليهم رجلان صالحان منهم بالاقدام ونهياهم عن الاحجام ويقال إنهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنا قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطية والسدي والربيع بن انس وغير واحد (قال رجلان من الذين يخافون) أي يخافون الله وقرأ بعضهم يخافون أي يهابون (أنهم الله عليهما) أي بالاسلام والايان والطاعة والشجاعة (ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون) وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) أي إذا توكلتم على الله واستعنتم به وبلغتم اليه نصرتم على عدوكم وأيدكم عليهم وأظفركم بهم . (قالوا يا موسى إنالندخلهاأبداً ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) فصم ملازم على النكول عن الجهاد ووقع أمر عظيم ووهن كبير . فيقال إن يوشع وكالب لما سمعا هذا

الكلام شقائباهما وإن موسى وهرون سجدا إعظاما لهذا الكلام وغضباً لله عز وجل وشققة عليهم من ويل هذه المقالة (قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) قال ابن عباس (اقض بيني وبينهم) . (قال فاتها محرمة عليهم أربعين سنة يتيمون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين) عوقبوا على نكولهم بالتيهان في الأرض يسرون إلى غير مقصد ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساءً ويقال إنه لم يخرج أحد من التيه ممن دخله بل ماتوا كلهم في مدة أربعين سنة ولم يبق إلا ذراريهم سوى يونس وكالب عليهما السلام . لكن أصحاب محمد (ص) يوم بدر لم يقولوا له كما قال قوم موسى لموسى بل لما استشارهم في الذهاب إلى النضير تكلم الصديق فاحسن وغيره من المهاجرين ثم جعل يقول أشيروا علي حتى قال سعد بن معاذ كأنك تعرض بنا يا رسول الله فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن يلقي بنا عدونا غدا إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله . فسر رسول الله (ص) . بقول سعد وبسطه ذلك . وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن محارق ابن عبد الله الاحمسي عن طارق هو ابن شهاب أن المقداد قال لرسول الله (ص) . يوم بدر يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون * وهذا إسناد جيد من هذا الوجه وله طرق أخرى . قال أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا إسرائيل عن محارق عن طارق بن شهاب قال قال عبد الله بن مسعود لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إلى مما عدل به أتى رسول الله (ص) . وهو يدعو على المشركين قال والله يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكننا قاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك فرأيت وجه رسول الله (ص) . يشرق لذلك وسر بذلك رواه البخاري في التفسير والمغازي من طرق عن محارق به . وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا علي بن الحسن بن علي حدثنا أبو حاتم الرازي حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري حدثنا حميد عن أنس أن رسول الله (ص) . لما سار إلى بدر استشار المسلمين فأشار عليه عمر ثم استشارهم فقالت الانصار يا مشر الانصار إياكم يريد رسول الله (ص) . قالوا إذا لا نقول له (كما قال بنو إسرائيل لموسى) (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) والذي بعثك بالحق إن ضربت أكبادها إلى برك الغماد لا تبعناك رواه الامام أحمد عن عبيدة بن حميد عن حميد الطويل عن أنس به ورواه النسائي عن محمد بن المثني عن خالد بن الحارث عن حميد عن أنس به نحوه وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي يعلى عن عبد الاعلى بن حماد عن معمر عن حميد عن أنس به نحوه *

وقول نبى الله صلى الله عليه وسلم وعافيه من اللذات المحببه

قد ذكرنا نكول بنى اسرائيل عن قتال الجبارين وأن الله تعالى عاقبهم بالتيه وحكم بانهم لا يخرجون منه الى أربعين سنة ولم ار فى كتاب أهل الكتاب قصة نكولهم عن قتال الجبارين ولكن فيها أن يوشع جهزه موسى لقتال طائفة من الكفار وأن موسى وهرون وخور جلسوا على رأس أكمة ورفع موسى عصاه فكلما رفعها اتصرت يوشع عليهم وكلامت يده بها من تعب أو نحوه غلبهم أولئك وجعل هرون وخور يدعان يديه عن يمينه وشماله ذلك اليوم الى غروب الشمس فاتصرت حزب يوشع عليه السلام وعندهم أن يثرون كاهن مدين وختن موسى عليه السلام بلغه ما كان من أمر موسى وكيف أظفروه الله بعدوه فرعون فقدم على موسى مسلماً ومعه ابنته صفورا زوجة موسى وابناها منه جرشون وعازر فلقاه موسى وأكرمه واجتمع به شيوخ بنى اسرائيل وعظموه وأجلوه . وذكروا أنه رأى كثرة اجتماع بنى اسرائيل على موسى فى الخصومات التى تقع بينهم فاشار على موسى أن يجعل على الناس رجلاً أمناء أتقياء أعفاء يفضون الرشاء والخيانة فيجعلهم على الناس رؤس ألوف ورؤس مئين ورؤس خمسين ورؤس عشرة فيقضوا بين الناس فاذا أشكل عليهم أمر جاؤك ففصلت بينهم ما أشكل عليهم ففعل ذلك موسى عليه السلام . قالوا ودخل بنو اسرائيل البرية عند سيناء فى الشهر الثالث من خروجهم من مصر وكان خروجهم فى أول السنة التى شرعت لهم وهى أول فصل الربيع فكانهم دخلوا التيه فى أول فصل الصيف والله اعلم . قالوا ونزل بنو اسرائيل حول طور سيناء وصعد موسى الجبل فكلمه ربه وأمره أن يذكر بنى اسرائيل ما أنعم الله به عليهم من أنجائه إياهم من فرعون وقومه وكيف حملهم على مثل جناحى نسر من يده وقبضته وأمره أن يأمر بنى اسرائيل بأن يتطهروا ويغتسلوا ويغسلوا ثيابهم ولا يستمدوا الى اليوم الثالث فاذا كان فى اليوم الثالث فليجتمعوا حول الجبل ولا يقترب أحد منهم اليه فمن دنا منه قتل حتى ولا شئ من البهائم ماداموا يسمعون صوت القرن فاذا سكن القرن فقد حل لكم أن ترقوه فسمع بنو اسرائيل ذلك وأطاعوا واغتسلوا وتنظفوا وتطيبوا فلما كان اليوم الثالث ركب الجبل غمامة عظيمة وفيها أصوات وبروق وصوت الصور شديد جداً ففرع بنو اسرائيل من ذلك فرعاً شديداً وخرجوا قاموا فى سفح الجبل وغشى الجبل دخان عظيم فى وسطه عمود نور وتزلزل الجبل كله زلزلة شديدة واستمر صوت الصور وهو البوق واشتد وموسى عليه السلام فوق الجبل والله يكلمه ويناجيه وأمر الرب عز وجل موسى أن ينزل فأمر بنى اسرائيل أن يقتربوا من الجبل ليسمعوا وصية الله ويأمر الاحبار وهم علمائهم أن يدنوا فيصعدوا الجبل ليتقدموا بالقرب وهذا نص فى كتابهم على وقوع

النسخ لا محالة قال موسى يارب إنهم لا يستطيعون أن يصعدوه وقد نهيتهم عن ذلك فأمره الله تعالى أن يذهب فيأتي معه باخيه هرون وليكن الكهنة وهم العلماء والشعب وهم بقية بني إسرائيل غير بعيد فضل موسى وكله ربه عز وجل فأمره حينئذ بالمشر كلمات .

وعندم أن بني إسرائيل سمعوا كلام الله ولكن لم يفهموا حتى فهمهم موسى وجعلوا يقولون لموسى بلنا أنت عن الرب عز وجل فانا نخاف أن نموت فبلغهم عنه فقال هذه العشر الكلمات وهي الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له . والنهي عن الحلف بالله كاذباً . والأمر بالمحافظة على السبت . ومعناه تفرغ يوم من الاسبوع للعبادة * وهذا حاصل يوم الجمعة الذي نسخ الله به السبت . أكرم أبك وأمك ليطول عمرك في الارض الذي يعطيك الله ربك . لا تقتل . لا تزني . لا تسرق . لا تشهد على صاحبك شهادة زور لا تمتد عينك الى بيت صاحبك . ولا تشته امرأة صاحبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً من الذي لصاحبك . ومعناه النهي عن الحسد . وقد قال كثير من علماء السلف وغيرهم مضمون هذه العشر الكلمات في آيتين من القرآن وهما قوله تعالى في سورة الانعام (قل تعالوا أتقوا ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن . ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده . وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه الآية) وذكروا بعد العشر الكلمات وصايا كثيرة وأحكاماً متفرقة عزيزة كانت فزالت وعملت بها حيناً من الدهر * ثم طرأ عليها عصيان من المكافين بها ثم عمدوا اليها فبدلوا وحرفوها وأولوها . ثم بعد ذلك كله سلبوها فصارت منسوخة مبدلة بعد ما كانت مشروعة مكملة فله الامر من قبل ومن بعد وهو الذي يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد الاله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين . وقد قال الله تعالى (يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تظفوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى . وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) بذكر تعالى منته وإحسانه الى بني إسرائيل بما أنجاهم من أعدائهم وخلصهم من الضيق والهرج وأنه وعدم صحبة نبيهم الى جانب الطور الايمن أي منهم لينزل عليه أحكاماً عظيمة فيها مصلحة لهم في دنياهم وأخراهم وأنه تعالى أنزل عليهم في حال شدتهم وضروورتهم في سفرهم في الارض التي ليس فيها زرع ولا ضرع مناً من السماء يصبحون فيجدونه خلال بيوتهم فيأخذون منه قدر حاجتهم في ذلك اليوم الى مثله من القند ومن ادخر منه لا أكثر من ذلك فسد . ومن أخذ منه قليلاً كفاه أو كثيراً لم يفضل عنه فيصنعون منه مثل الخبز وهو

في غاية البياض والحلاوة فاذا كان من آخر النهار غشيهم طير السلوى فيقتنصون منه بلا كلفة ما يحتاجون اليه حسب كفايتهم لعشاهم* واذا كان فصل الصيف ظلل الله عليهم الغمام وهو السحاب الذي يستر عنهم حر الشمس وخبواها الباهر . كما قال تعالى في سورة البقرة (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون) الى أن قال (واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبجون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم . واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقتنا آل فرعون وأنتم تنظرون . واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون . واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون . واذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم . واذ قلمت يا موسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون . وظلانا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) الى أن قال (واذ إستسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين . واذ قلمت يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) فذكر تعالى إنعامه عليهم وإحسانه اليهم بما يسر لهم من المن والسلوى طعامين شهيين بلا كلفة ولا سعى لهم فيه بل ينزل الله المن با كرا ويرسل عليهم طير السلوى عشياً وأنبع الماء لهم بضرب موسى عليه السلام حجراً كانوا يحملونه معهم بالعصا فتفجر منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين منه تنبجس* ثم تفجر ماءً زلالاً فيستقون ويسقون دولبهم ويدخرون كفايتهم . وظلل عليهم الغمام من الحر* وهذه نعم من الله عظيمة وعطيات جسيمة فمارعوا حق رعايتها ولا قاموا بشكرها وحق عبادتها ثم ضجر كثير منها وتبرموا بها وسألوا أن يستبدلوا منها ببدلها مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها . فصرعهم الكليم ووبخهم وأنهم على هذه المقالة وعنفهم قائلاً (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فان لكم ما سألتم) أي هذا الذي تطلبونه وتريدونه بدل هذه النعم التي أنتم فيها حاصل لأهل الأمصا والصغار والكبار موجود بها واذا هبطتم اليها أي وتزلم عن هذه المرتبة التي لا تصلحون لمنصبها تجدوا بها ما تشتمون وما ترومون مما ذكرتم من المآكل الدنية

والاغذية الرديئة ولكني لست أجيبكم الى سؤال ذلك ههنا ولا أبلغكم ما تمنتم به من المنى وكل هذه الصفات المذكورة عنهم الصادرة منهم تدل على أنهم لم ينتهوا عما نهوا عنه كما قال تعالى (ولا تظنوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) أى فقد هلك وحق له والله الهلاك والدمار وقد حل عليه غضب الملك الجبار ولكنه تعالى مزج هذا الوعيد الشديد بالرجاء لمن أناب وتاب ولم يستمر على متابعة الشيطان المرید فقال (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى)

سؤال الرؤية

قال تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر قم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين . ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا . فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين . قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين . وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق . وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل النفي يتخذوه سبيلا . ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين . والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون) . قال جماعة من السلف منهم ابن عباس ومسروق ومجاهد الثلاثون ليلة هي شهر ذى القعدة بكاله وامت أربعين ليلة بعشر ذى الحجة فعلى هذا يكون كلام الله له يوم عيد النحر وفي مثله أكل الله عز وجل لمحمد (ص) دينة وأقام حجته وبراهينه . والمقصود أن موسى عليه السلام لما استكمل الميقات وكان فيه صائما يقال إنه لم يستطعم الطعام فلما كمل الشهر أخذ لحا شجرة فوضعه لطيب ريح فيه فامر الله أن يمسك عشرا أخرى فصارت أربعين ليلة . ولهذا ثبت في الحديث أن خلو فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فلما عزم على الذهاب استخلف على شعب بنى اسرائيل أخاه هرون الحبيب المبجل الجليل وهو ابن أمه وأبيه ووزيره في الدعوة الى مصطفىه فوصاه وأمره وليس في هذا لعلو منزلته في نبوته منافاة قال الله تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا) أى في الوقت الذي أمر بالحي في (وكلمه ربه) أى كلمه الله من وراء حجاب الا أنه أسمه الخطاب فناداه ونجاه وقربه وأدناه وهذا مقام رفيع ومعل منيع ومنصب شريف ومنزل منيف فصوات الله عليه تترى وسلامه عليه في الدنيا والآخرة * ولما أعطى هذه المنزلة

العلية والمرتبة السنية وسمع الخطاب سأل رفع الحجاب فقال للعظيم الذي لا تدركه الابصار القوى البرهان (ربي أرني أنظر اليك قال لن تراني). ثم بين تعالى أنه لا يستطيع أن يثبت عند تجليه تبارك وتعالى لان الجبل الذي هو أقوى وأكبر ذاتاً وأشد ثباتاً من الانسان لا يثبت عند التجلي من الرحمان ولهذا قال (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني)

وفي الكتب المتقدمة أن الله تعالى قال له يا موسى إنه لا يراني حتى إلامات ولا يابس إلا تدهده وفي الصحيحين عن أبي موسى عن رسول الله (ص)، انه قال حجاب النور . وفي رواية النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه . وقال ابن عباس في قوله تعالى (لا تدركه الابصار) ذلك نوره الذي هو نوره اذا تجلى لشيء لا يقوم له شيء ولهذا قال تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين) . قال مجاهد (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) فانه أكبر منك وأشد خلقا فلما تجلى ربه للجبل فنظر الى الجبل لا يتالك وأقبل الجبل فدك على أوله ورأى موسى ما يصنع الجبل فخر صعقا * وقد ذكرنا في التفسير ما رواه الامام احمد والترمذي وصححه ابن جرير والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت . زاد ابن جرير وليث عن أنس أن رسول الله (ص)، قرأ (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) قال هكذا باصبعه ووضع النبي (ص)، الابهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل لفظ ابن جرير . وقال السدي عن عكرمة وعن ابن عباس ما تجلى يعني من العظمة الا قدر الخنصر فجعل الجبل دكا قال ترايا (وخر موسى صعقا) أي منشيا عليه وقال قتادة ميتا . والصحيح الأول لقوله (فلما أفاق) فان الافاقة انما تكون عن غشي قال (سبحانك) تنزيه وتعظيم واجلال أن يراه بعظمته أحد (تبت إليك) أي فلت أسأل بعد هذا الرؤية (وأنا أول المؤمنين) أنه لا يراك حتى إلامات ولا يابس إلا تدهده . وقد ثبت في الصحيحين من طريق عمرو بن يحيى بن عمار بن أبي حسن المازني الأنصاري عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله (ص)، (لا تخيروني من بين الانبياء فان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أو جوزى بصعقة الطور) لفظ البخاري وفي أوله قصة اليهودي الذي لطم وجهه الأنصاري حين قال لا والذي اصطفى موسى على البشر فقال رسول الله (ص)، (لا تخيروني من بين الانبياء) . وفي الصحيحين من طريق الزهري عن أبي سلمة وعبد الرحمن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وفيه (لا تخيروني على موسى) وذكر تمامه . وهذا من باب الهضم والتواضع أو نهى عن التفضيل بين الانبياء على وجه الغضب والعصية أو ليس هذا إليكم بل الله هو الذي رفع بعضهم فوق بعض درجات وليس ينال هذا بمجرد الرأي بل بالتوقيف . ومن قال ان هذا قاله قبل أن يعلم أنه أفضل ثم نسخ باطلاعه على افضليته

عليهم كلهم ففي قوله نظر لأن هذا من رواية أبي سعيد وأبي هريرة وما هاجر أبو هريرة الاعام حين متأخرا فيبعد أنه لم يعلم بهذا الابد هذا والله أعلم ولا شك أنه صلوات الله وسلامه عليه أفضل البشر بل الخليفة . قال الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وما كلكوا الا بشرف نبهم وثبت بالتواتر عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر) ثم ذكر اختصاصه بالمقام المحمود الذي ينبطه به الاولون والآخرون الذي تحيد عنه الانبياء والمرسلون حتى أولو العزم الا كليون نوح و ابراهيم وموسى وعيسى بن مريم . وقوله (س) ، (فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشا بقائمة العرش) أى أخذاً بها (فلا أدري أفاق قبلى أم جوزى بصعقة الطور) دليل على أن هذا الصعق الذي يحصل للخلائق فى عرصات القيامة حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين عباده فيصعقون من شدة الهيبة والعظمة والجلال فيكون أولهم إفاقة محمد خاتم الانبياء ومصطفى رب الأرض والسماء على سائر الانبياء فيجد موسى باطشا بقائمة العرش قال الصادق المصدوق (لأدري أصعق فافاق قبلى) أى كانت صعقته خفيفة لأنه قد ناله بهذا السبب فى الدنيا صعق أو جوزى بصعقة الطور يعنى فلم يصعق بالكافية وهذا فيه شرف كبير لموسى عليه السلام من هذه الحيثية . ولا يلزم تفضيله بها مطلقا من كل وجه * ولهذا نبه رسول الله (س) ، على شرفه وفضيلته بهذه الصفة لان المسلم لما ضرب وجه اليهودى حين قال (لا والذى اصطفى موسى على البشر) قد يحصل فى نفوس المشاهدين لذلك هضم بجانب موسى عليه السلام فبين النبي (س) ، فضيلته وشرفه . وقوله تعالى (قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) أى فى ذلك الزمان لا ما قبله لأن ابراهيم الخليل أفضل منه كما تقدم بيان ذلك فى قصة ابراهيم ولا ما بعده لأن محمداً (س) ، أفضل منهما كما ظهر شرفه ليلة الاسراء على جميع المرسلين والانبياء وكما ثبت أنه قال (سأقوم مقاماً يرغب الى الخلق حتى ابراهيم) وقوله تعالى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين (أى فخذ ما أعطيتك من الرسالة والكلام ولا تسأل زيادة عليه وكن من الشاكرين على ذلك . قال الله تعالى (وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلاً لكل شىء) وكانت الألواح من حوهر نفيس فى الصحيح أن الله كتب له التوراة بيده وفيها مواعظ عن الآثام وتفصيل لكل ما يحتاجون إليه من الحلال والحرام (فخذها بقوة) أى بعزم ونية صادقة قوية (وأمر قومك بأخذوا بأحسنها) أى يضعوها على أحسن وجوها وأجل محاملها (ساريكم دار الفاسقين) أى ستروا عاقبة الخارجين عن طاعتى المخالفين لامرى المكذبين لرسلى . (سأصرف عن آياتى) عن فهمها وتدبرها وتعقل معناها الذى أريد منها ودل عليه مقتضاها (الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أى ولو شاهدوا معها شاهدوا من الخوارق والمعجزات لا يتقادوا لاتباعها (وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً) أى لا يسلكوه ولا يتبعوه (وإن يروا سبيل الفنى يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) أى صرفناهم

عن ذلك لتكذيبهم بآياتنا وتغافلهم عنها واعراضهم عن التصديق بها والتفكير في معناها وترك العمل بمقتضاها (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون).

قصة عباد وتم العجل في غيبته موسى

قال الله تعالى (وانخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار لم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين . وما سقط في أيديهم وروا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويفر لنا لنكونن من الخاسرين . ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بشما خلفتموني من بعدى أعجلتم أمر ربكم والقي الألواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين . قال رب اغفر لي ولأخي وادخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين . إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين . والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسخها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) وقال تعالى (وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفتال عليكم العهد أم أردتم أن يجل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدى قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقدفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً * ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما فتنم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى . قال ياهرون مامنك إذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعن أفصيت أمري قال يابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي . قال فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لنسفنه في اليم نسفاً إنما الهك الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شئ علماً) يذكر تعالى ما كان من أمر بني اسرائيل حين ذهب موسى عليه السلام الى ميقات ربه فكث على الطور يناجيه ربه ويسأله موسى عليه السلام عن اشياء كثيرة وهو تعالى يجيبه عنها فمد رجل منهم يقال له هرون السامري فاخذ ما كان استعاره من الخلى فصاغ منه عجلاً وألقى فيه قبضة من التراب كان أخذها من أثر فرس جبريل حين رآه يوم أغرق الله فرعون على يديه فلما التقاها فيه خار كما

بخور العجل الحقيق . ويقال إنه استحال عجلا جسداً أى لحماً ودماً حياً بخور . قاله قتادة وغيره
وقيل بل كانت الريح اذا دخلت من دبره خرجت من فمه فيخور كما تخور البقرة فيرقصون حوله
ويفرحون (قالوا هذا إلهكم وإله موسى قنسى) أى قنسى موسى ربه عنداً وذهب يتطلبه وهو هنا
تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وتقدست أسماؤه وصفاته وتضاعفت آلاؤه وعاداته . قال الله تعالى
مينا بطلان ما ذهبوا اليه وما عولوا عليه من الهية هذا الذى قصاراه أن يكون حيواناً بهياً وشيطاناً
رجياً (أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً) وقال (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا
يديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين) فذكر أن هذا الحيوان لا يتكلم ولا يرد جواباً ولا يملك ضراً
ولا نفعاً ولا يهدى الى رشد اتخذوه وهم ظالمون لانفسهم عالمون فى انفسهم بطلان ما هم عليه من الجهل
والضلال (ولما سقط فى أيديهم) أى ندموا على ما صنعوا (ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا
ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين) . ولما رجع موسى عليه السلام اليهم ورأى ما هم عليه من عبادة
العجل ومعه الألواح المتضمنة التوراة القاها فيقال إنه كسرها . وهكذا هو عند أهل الكتاب وإن الله
أبدله غيرها وليس فى اللفظ القرآنى ما يدل على ذلك إلا أنه القاها حين عابن ما عابن . وعند أهل الكتاب
أنهما كانا لوحين وظاهر القرآن أنها الواح متعددة ولم يتأثر بمجرد الخبر من الله تعالى عن عبادة العجل
فامر به بماينة ذلك . ولهذا جاء فى الحديث الذى رواه الامام أحمد وابن حبان عن ابن عباس قال قال
رسول الله (ص) (ليس الخبر كالمعاينة) ثم أقبل عليهم فنصفهم ووبخهم وهجنهم فى صنيعهم هذا القبيح
فاعتذروا اليه بما ليس بصحيح (قالوا إنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقدفناها فكذلك أتى السامرى)
تخرجوا من تملك حلى آل فرعون وهم أهل حرب وقد أمرهم الله بأخذه وأبأحه لهم ولم يتخرجوا بجملهم
وقلة علمهم وعقلهم من عبادة العجل الجسد الذى له خوار مع الواحد الاحد الفرد الصمد القهار . ثم
أقبل على أخيه هرون عليهما السلام قائلاً له (يا هرون ما منعتك اذ رأيتهم ضلوا أن لاتبعن) أى هلا لما
رأيت ما صنعوا اتبعنى فاعلمتنى بما فعلوا فقال (إني خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل) أى
تركهم وجعتنى وأنت قد استخلفتنى فيهم (قال رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم
الراحمين) وقد كان هرون عليه السلام نهام عن هذا الصنيع الفظيع أشد النهى وزجرهم عنه أتم الزجر
قال الله تعالى (ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما فتتم به) أى إنما قدر الله أمر هذا العجل وجعله
بخور فتنة واختباراً لكم (وإن ربكم الرحمن) أى لا هذا (فاتبعونى) أى فيما أقول لكم (وأطيعوا
أمرى . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى) يشهد الله لهرون عليه السلام (وكفى بالله
شهيداً أنه نهام وزجرهم عن ذلك فلم يطيعوه ولم يتبعوه ثم أقبل موسى على السامرى (قال ما خطبك
يا سامرى) أى ما حملك على ما صنعت (قال بصرت عالم يبصروا به) أى رأيت جبرائيل وهو راكب

فرساً (قبضت قبضة من أثر الرسول) أي من أثر فرس جبريل . وقد ذكر بعضهم أنه رآه وكلا وطئت بحوافرها على موضع اخضر وأعشب فأخذ من أثر حافرهما فلما التقاه في هذا العجل المصنوع من الذهب كان من أمره ما كان ولهذا قال (فبنيتها وكذلك سولت لي نفسي . قال فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس) وهذا دعاء عليه بأن لا يس أحدًا معاقبة له على مسه مالم يكن له مسه . هذا معاقبة له في الدنيا ثم توعدته في الآخرة فقال (وإن لك موعداً لن تخلفه) وقرئ لن تخلفه (واقظر الى إهلك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لنسفته في اليم نسفاً) قال فعبد موسى عليه السلام الى هذا العجل فخرقه بالنار كما قاله قتادة وغيره . وقيل بالبارد كما قاله علي وابن عباس وغيرها وهو نص أهل الكتاب ثم ذراه في البحر وأمر بني اسرائيل فشرّبوا فمن كان من عابديه علق على شفاهم من ذلك الرماد منه ما يدل عليه وقيل بل اصفرت ألوانهم ثم قال تعالى اخباراً عن موسى أنه قال لهم (إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً) وقال تعالى (إن الذين اتخذوا العجل سينا لهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين) وهكذا وقع وقد قال بعض السلف (وكذلك نجزي المفترين) مسجلة لكل صاحب بدعة الى يوم القيمة . ثم أخبر تعالى عن حله ورحمته بخلقه وإحسانه على عبده في قبوله توبة من تاب اليه بتوبته عليه فقال (والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم) لكن لم يقبل الله توبة عابدي العجل إلا بالقتل كما قال تعالى (وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلك خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم) فيقال إنهم أصبحوا يوماً وقد أخذ من لم يعبد العجل في أيديهم السيوف والقي الله عليهم ضرباً حتى لا يعرف القريب قريبه ولا النسيب نسيبه . ثم مالوا على عابديه فتلّوهم وحصدوهم فيقال إنهم قتلوا في صبيحة واحدة سبعين ألفاً . ثم قال تعالى (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسخها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) إستدل بعضهم بقوله وفي نسخها على أنها تكسرت وفي هذا الاستدلال نظر وليس في اللفظ ما يدل على أنها تكسرت والله أعلم . وقد ذكر ابن عباس في حديث الفتون كما سيأتي أن عبادتهم العجل كانت على أثر خروجهم من البحر وما هو يعبد لأنهم حين خرجوا (قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) .

وهكذا عند أهل الكتاب فان عبادتهم العجل كانت قبل مجيئهم بلاد بيت المقدس وذلك أنهم لما أمروا بقتل من عبد العجل قتلوا في أول يوم ثلاثة آلاف . ثم ذهب موسى يستغفر لهم فغفر لهم بشرط أن يدخلوا الأرض المقدسة . (واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أهلكنا بما فضل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تفضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين . واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة

إنا هدانا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) ذكر السدي وابن عباس وغيرهما أن هؤلاء السبعين كانوا علماء بني إسرائيل ومعهم موسى وهرون ويوشع وناداب وإيهو ذهبوا مع موسى عليه السلام ليعتدروا عن بني إسرائيل في عبادة من عبد منهم العجل وكانوا قد أمروا أن يتطيبوا ويتطهروا ويفتسلوا فلما ذهبوا معه واقتربوا من الجبل وعليه الغمام وعمودان نور ساطع وصعد موسى الجبل فذكر بنو إسرائيل أنهم سمعوا كلام الله وهذا قد وافهم عليه طائفة من المفسرين وحلوا عليه قوله تعالى (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) وليس هذا بلازم لقوله تعالى (فأجره حتى يسمع كلام الله) أي مبلغاً وهكذا هؤلاء سمعوه مبلغاً من موسى عليه السلام وزعموا أيضاً أن السبعين رأوا الله وهذا غلط منهم لأنهم لما سألوا الرؤية أخذتهم الرجفة كما قال تعالى (واذا قلت يا موسى لئن تؤمن لك حتى ترى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) وقال ههنا (فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي الآية) قال محمد بن اسحق اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً خيراً فأنخبر . وقال انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا واطهروا ثيابكم فخرج بهم إلى طور سيناء لمبقات وقته له ربه وكان لا يأتيه إلا باذن منه وعلم فطلب منه السبعون أن يسمعوا كلام الله فقال أفعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تفتشى الجبل كله ودنا موسى فدخل في الغمام وقال لقوم أدنوا وكان موسى إذا كلفه الله وقع على جنبه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه فضرب دونه بلحجاب ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً فسمعوه وهو يكلم موسى بأمر وينهاه أفضل ولا تفعل . فلما فرغ الله من أمره وانكشف عن موسى الغمام أقبل إليهم قالوا لئن تؤمن لك حتى ترى الله جهرة فاخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فالتقت أرواحهم فأتوا جميعاً فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) أي لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء الذين عبدوا العجل منا فأنابوا مما عملوا . وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج إنما أخذتهم الرجفة لأنهم لم ينهوا قومهم عن عبادة العجل وقوله (إن هي إلا فتنتك) أي اختبارك وابتلاؤك وامتحانك قاله ابن عباس وسعيد بن جبيرة وأبو العالية والربيع بن أنس وغير واحد من علماء السلف والخلف . يعني أنت الذي قدرت هذا وخلقته ما كان من أمر العجل إختباراً تختبرهم

به كما (قال لهم هزرون من قبل يا قوم إنما فتنتم به) أى اختبرتم ولهذا قال (تفضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) أى من شئت أضلته باختبارك إياه ومن شئت هديته * لك الحكم والمشية ولا مانع ولا راد لما حكمت وقضيت (أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك) أى تبنا إليك ورجعنا وأبنا قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبو العالية وإبراهيم التيمي والضحاك والسدى وقتادة وغير واحد وهو كذلك فى اللغة . (قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ) أى أنا أعذب من شئت بما أشاء من الأمور التى أخلقها وأقدرها (ورحمتي وسعت كل شئ) كما ثبت فى الصحيحين عن رسول الله (ص) أنه قال (ان الله لما فرغ من خلق السموات والأرض كتب كتابا فهو موضوع عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي) فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) أى فسأوحبها حتما لمن يتصف بهذه الصفات (الذين يتبعون الرسول النبى الامى الاية) وهذا فيه تنويه بذكر محمد (ص) وامته من الله لموسى عليه السلام فى جملة ما ناجاه به وأعلمه وأطلمه عليه * وقد تكلمنا على هذه الآية وما بعدها فى التفسير بما فيه كفاية ومقنع والله الحمد والمنة . وقال قتادة قال موسى يارب أجد فى الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر رب اجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد فى الألواح أمة هم الآخرون فى الخلق السابقون فى دخول الجنة رب اجعلهم أمتى . قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد فى الألواح أمة أنجيلهم فى صدورهم يقرأونها وكان من قبلهم يقرأون كتابهم نظراً حتى اذا رفعوها لم يحفظوا شيئاً ولم يعرفوه وان الله اعطاكم أيتها الامة من الحفظ شيئاً لم يعطه احداً عن الامم قال رب اجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال رب إني أجد فى الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويقاثلون فصول الضلالة حتى يقاثلوا الاعور الكذاب فاجعلهم أمتى . قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد فى الألواح أمة صدقاتهم بأكلونها فى بطونهم ويؤجرون عليها وكان من قبلهم اذا تصدق بصدقة قبلت منه بث الله عليها ناراً فاكلتها وان ردت عليه تركت فتاكلها السباع والطيور وان الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم قال رب اجعلهم أمتى . قال تلك أمة أحمد . قال رب فاتى أجد فى الألواح أمة اذا هم أحدم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر امثالها الى سبعماية ضعف قال رب اجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال رب إني أجد فى الألواح أمة هم المشفعون المشفوع لهم فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد * قال قتادة فذكر لنا أن موسى عليه السلام نبذ الألواح وقال اللهم اجعلنى من أمة أحمد . وقد ذكر كثير من الناس ما كان من مناجاة موسى عليه السلام وأوردوا اشياء كثيرة لا أصل لها ونحن نذكر ما تيسر ذكره من الاحاديث والآثار بمون الله وتوفيقه وحسن هدايته ومعونه وتأيدته .

قال الحافظ أبو حاتم محمد بن حاتم بن حبان في صحيحه ذكر سؤال كليم الله ربه عز وجل عن ادنى أهل الجنة وأرفعهم منزلة أخبرنا عمر بن سعيد الطائي بمسج حدثنا حامد بن يحيى البلخي حدثنا سفيان حدثنا مطرف بن طريف وعبد الملك بن ابجر شيخان صالحان سمعنا الشعبي يقول سمعت المغيرة بن شعبة يقول على المنبر عن النبي (ص) إن موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل أي أهل الجنة أدنى منزلة فقال رجل يحيى بعد ما يدخل أهل الجنة فيقال أدخل الجنة فيقول كيف أدخل الجنة وقد نزل الناس منازلهم واخذوا إخاذاتهم فيقال له ترضى أن يكون لك من الجنة مثل ما كان ملك من ملوك الدنيا. فيقول نعم أي رب فيقال لك هذا ومثله ومثله فيقول أي رب رضيت فيقال له لك مع هذا ما اشتيت نفسك ولدت عينك وسأل ربه أي أهل الجنة أرفع منزلة قال ساحدك عنهم غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ومصدق ذلك في كتاب الله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين الآية) وهكذا رواه مسلم والترمذي كلاهما عن ابن أبي عمير عن سفيان وهو ابن عيينة به ولفظ مسلم (فيقال له ارضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله فيقول في الخامسة رضيت رب فيقال هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتيت نفسك ولدت عينك فيقول رضيت رب قال رب فأعلام منزلة قال أولئك الذين اردت غرس كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر قال ومصدقاه من كتاب الله (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وقال الترمذي حسن صحيح . قال ورواه بعضهم عن الشعبي عن المغيرة فلم يرفعه والارفع أصح . وقال ابن حبان (ذكر سؤال الكليم ربه عن خصال سبع) حدثنا عبد الله بن محمد بن مسلم بيت المقدس حدثنا حرملة بن يحيى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن أبا السرح حدثه عن ابن حجريرة عن أبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال (سأل موسى ربه عز وجل عن ست خصال كان يظن أنها له خالصة والسابعة لم يكن موسى يجربها . قال يارب أي عبادك اتقى . قال الذي يذكر ولا ينسى قال فأى عبادك أهدى قال الذي يتبع الهدى قال فأى عبادك أحكم قال الذي يحكم للناس كما يحكم لنفسه . قال فأى عبادك أعلم قال عالم لا يشبع من العلم يجمع علم الناس إلى علمه . قال فأى عبادك أعز . قال الذي إذا قدر غفر قال فأى عبادك أغنى قال الذي يرضى بما يؤتى قال فأى عبادك أقر قال صاحب منقوص . قال رسول الله (ص) (ليس الغنى عن ظهر إنما الغنى غنى النفس) وإذا أراد الله بعبده خيراً جعل غناه في نفسه وتقاه في قلبه . وإذا أراد بعبده شراً جعل فقره بين عينيه . قال ابن حبان قوله صاحب منقوص يريد به منقوص حاله يستقل ما أوتي ويطلب الفضل . وقد رواه ابن جرير في تزيينه عن ابن حميد عن يعقوب التيمي عن هرون بن عبيرة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى ربه عز وجل فذكر نحوه وفيه قال (أي رب فأى عبادك أعلم قال الذي يتغنى علم الناس

الى علمه عسى أن يجد كلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى . قال أى رب فهل فى الارض أحد أعلم
منى قال نعم الخضر فسأل السبيل الى لقيه فكان ماسند كره بعد إن شاء الله وبه الثقة

حديث آخر بمعنى ما ذكره ابن حبان

قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد
الخدري عن النبي (ص) أنه قال إن موسى قال أى رب عبدك المؤمن مقتر عليه فى الدنيا . قال ففتح له
باب من الجنة فنظر اليها قال يا موسى هذا ما أعددت له . فقال موسى يارب وعزتك وجلالك لو كان مقطع
اليدين والرجلين يسحب على وجهه منذ يوم خلقته الى يوم القيامة وكان هذا مصيره لم ير يوماً قط قال
ثم قال أى رب عبدك الكافر موسع عليه فى الدنيا . قال ففتح له باب الى النار فيقول يا موسى هذا
ما أعددت له فقال أى رب وعزتك وجلالك لو كانت له الدنيا منذ يوم خلقته الى يوم القيامة وكان هذا
مصيره لم ير خيراً قط . تفرد به احمد من هذا الوجه . وفى صحته نظر والله أعلم . وقال ابن حبان (ذكر
سؤال كليم الله ربه جل وعلا أن يعلمه شيئاً يذكره به) حدثنا ابن سلمة حدثنا حرملة بن يحيى حدثنا ابن
وهب أخبرنى عمرو بن الحارث إن دراجاً حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن النبي (ص) أنه قال قال
موسى (يارب علمنى شيئاً أذكرك به وأدعوك به) قال قل يا موسى (لا إله إلا الله) قال يارب كل
عبادك يقول هذا . قال قل لا إله إلا الله . قال إنما أريد شيئاً تخصنى به . قال يا موسى لو أن أهل السموات
السبع والأرضين السبع فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة مالت بهم لا إله إلا الله . ويشهد لهذا الحديث
حديث البطاقة . وأقرب شئ الى معناه الحديث المروى فى السنن عن النبي (ص) أنه قال أفضل الدعاء
دعاء عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو
على كل شئ قدير) وقال ابن أبى حاتم عند تفسير آية الكرسي حدثنا احمد بن القاسم بن عطية . حدثنا
احمد بن عبد الرحمن الدسكى حدثنى أبى عن أبيه حدثنا أشعث بن اسحق عن جعفر بن أبى المغيرة
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن بنى إسرائيل قالوا لموسى هل ينام ربك قال أتقوا الله فتاداه ربه
ياموسى سألوك هل ينام ربك فخذ زجاجتين فى يديك قم الليل ففعل موسى فلما ذهب من الليل نكث
نفس فوق لركبته ثم أتعش فضبطهما حتى اذا كان آخر الليل نفس فسقطت الزجاجتان فانكسرتا .
فقال يا موسى لو كنت أنام لسقطت السموات والأرض فهلكن كما هلكت الزجاجتان فى يديك . قال
وأنزل الله على رسوله آية الكرسي . وقال ابن جرير حدثنا اسحق بن أبى إسرائيل حدثنا هشام بن
بوسف عن أمية بن شبل عن الحكم بن إبان عن عكرمة عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله (ص)
يحكى عن موسى عليه السلام على المنبر قال وقع فى نفس موسى عليه السلام هل ينام الله عز وجل فارسل

الله اليه ملكا فارقه ثلاثاً ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما قال فجعل ينام وكادت يدها تلتصقان فيستيقظ فيحبس إحداهما على الأخرى حتى نام نومة فاصططقت يدها فانكسرت القارورتان قال ضرب الله له مثلاً أن لو كان ينام لم يستمسك السماء والأرض . وهذا حديث غريب رفته . والأشبه أن يكون موقوفاً . وأن يكون أصله إسرائيلياً . وقال الله تعالى (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون . ثم توليتهم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين) وقال تعالى (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون) قال ابن عباس وغير واحد من السلف لما جاءهم موسى بالأنوار فيها التوراة أمرهم بقبولها والأخذ بها بقوة وعزم فقالوا أنشرها علينا فان كانت أوامرنا ونواهيها سهلة قبلناها فقال بل اقبلوها بما فيها فراجعوه مراراً فأمر الله الملائكة فرفعوا الجبل على رؤسهم حتى صار كأنه ظلة أي غمامة على رؤسهم وقيل لهم إن لم تقبلوها بما فيها وإلا سقط هذا الجبل عليكم قبلوا ذلك وأمروا بالسجود فسجدوا فجعلوا ينظرون إلى الجبل بشق وجوههم فصارت سنة لليهود إلى اليوم يقولون لاسجدة أعظم من سجدة رفعت عنا العذاب . وقال سنيد بن داود عن حجاج بن محمد عن أبي بكر بن عبد الله قال فلما نشرها لم يبق على وجه الأرض جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز فليس على وجه الأرض يهودي صغير ولا كبير تقرأ عليه التوراة إلا اهتز ونفض لها رأسه . قال الله تعالى (ثم توليتهم من بعد ذلك) أي ثم بعد مشاهدة هذا الميثاق العظيم والامر الجسيم فكنتم عهودكم ومواثيقكم (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) بان تداركم بالارسل اليكم وانزال الكتب عليكم (لكنتم من الخاسرين)

قصة بقرة بني إسرائيل

قال الله تعالى (واذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة . قالوا اتخذنا هزوا قال أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلة لاشية فيها . قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون . واذ قتلتم نفساً فادار أتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون . قتلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريك آياته لعلكم تتقون) قال ابن عباس وعبيدة السلماني وأبو العالية ومجاهد والسدي وغير واحد من السلف كان رجل في بني إسرائيل كثير المال وكان شيخاً كبيراً وله

بنوا أخ وكانوا يتمنون موته ليرثوه فعمد أحدهم قتله في الليل وطرحه في مجمع الطرق ويقال على بلب رجل منهم فلما أصبح الناس اختصموا فيه وجاء ابن أخيه فجعل يصرخ ويتظلم قالوا مالكم تختصمون ولا تأتون نبي الله فجاء ابن أخيه فشكى أمره إلى رسول الله موسى (ص) قال موسى عليه السلام أنشد الله رجلا عنده علم من أمر هذا القتل إلا أعلمنا به فلم يكن عند أحد منهم علم منه وسأله أن يسأل في هذه القضية ربه عز وجل فسأل ربه عز وجل في ذلك فأمره الله أن يأمرهم بذبح بقرة قال (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أمتخذنا هزواً) يعنون نحن نسألك عن أمر هذا القتل وأنت تقول هذا (قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) أي أعوذ بالله أن أقول عنه غير ما أوحى إلى . وهذا هو الذي أجابني حين سأله عما سألتوني عنه أن أسأله فيه . قال ابن عباس وعبيدة ومجاهد وعكرمة والسدي وأبو العالية وغير واحد فلو أنهم عمدوا إلى أي بقرة فذبجوها لحصل المقصود منها ولكنهم شددوا فشدد عليهم وقد ورد فيه حديث مرفوع . وفي إسناده ضعف فسألوا عن صحتها ثم عن لونها ثم عن سننها فاجيبوا بما عز وجوده عليهم وقد ذكرنا في تفسير ذلك كله في التفسير . والمقصود أنهم أمروا بذبح بقرة عوان وهي الوسط بين النصف الفارض وهي الكبيرة والبكر وهي الصغيرة قاله ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وعكرمة والحسن وقتادة وجماعة . ثم شددوا وضيقوا على أنفسهم فسألوا عن لونها فأمروا بصفراء فاقع لونها أي مشرب بجمرة تسر الناظرين * وهذا اللون عزيز . ثم شددوا أيضاً (قالوا ادع لنا ربك بين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا إن شاء الله لمهتدون) ففي الحديث المرفوع الذي رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه لولا أن بنى إسرائيل استثنوا لما أعطوا وفي صحته نظر والله أعلم (قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرت مسلة لاشية فيها . قالوا الآن جئت بالحق فذبجوها وما كادوا يفعلون) وهذه الصفات أضيق مما تقدم حيث أمروا بذبح بقرة ليست بالذلول وهي المذلة بالحرارة وسقى الأرض بالسانية مسلة وهي الصحيحة التي لا عيب فيها قاله أبو العالية وقتادة . وقوله (لاشية فيها) أي ليس فيها لون يخالف لونها بل هي مسلة من العيوب ومن مخالطة سائر الألوان غير لونها فلما حددها بهذه الصفات وحصرها بهذه النعوت والوصاف (قالوا الآن جئت بالحق) ويقال إنهم لم يجدوا هذه البقرة بهذه الصفة إلا عند رجل منهم كان براءً بآيه فطلبوها منه فآبى عليهم فارغبوه في ثمنها حتى أعطوه فيما ذكره السدي بوزنها ذهباً فآبى عليهم حتى أعطوه بوزنها عشر مرات فباعها منهم فأمرهم نبي الله موسى بذبجها (فذبجوها وما كادوا يفعلون) أي وهم يترددون في أمرها . ثم أمرهم عن الله أن يضربوا ذلك القتل ببعضها . قيل بلحم فخذها . وقيل بالمظم الذي على الفضروف . وقيل بالبخضة التي بين الكتفين فلما ضربوه ببعضها أحياء الله تعالى ققام وهو يشخب أوداجه فسأله نبي الله من قتلك قال قتلني ابن أخي . ثم عاد ميتاً كما كان قال الله تعالى

(كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون) أى كما شاهدتم إحياء هذا القنبل عن أمر الله له كذلك أمره فى سائر الموتى إذا شاء إحياءهم أحياءم فى ساعة واحدة كما قال (ما خلقكم ولا بشكم إلا كنفس واحدة الآية)

قصة موسى والخضر عليهما السلام

قال الله تعالى (وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا . فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا . قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فأنسى الخوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا . قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا . فوجدا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنا علما . قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشداً . قال إنك لن تستطيع معى صبراً . وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً . قال ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً . قال فان اتبعنى فلا تسألنى عن شى حتى أحدث لك منه ذكراً . فانطلقا حتى اذركبا فى السفينة خرقها . قال أخرقها لتفرق أهلها لقد جئت شيئا امراً . قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبراً . قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسراً . فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكراً . قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبراً قال إن سألتك عن شى بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عزرا فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطاعا أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لانخذت عليه أجرا . قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا . وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً . وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغنا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً)

قال بعض أهل الكتاب إن موسى هذا الذى رحل إلى الخضر هو موسى بن ميثاب بن يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل وتابعهم على ذلك بعض من يأخذ من صحفهم وينقل عن كتبهم منهم نوف بن فضالة الحميرى الشافى البكالى . ويقال إنه دمشقى وكانت أمه زوجة كعب الأخبارى والصحيح الذى دل عليه ظاهر سياق القرآن ونص الحديث الصحيح الصريح المتفق عليه أنه موسى بن عمران صاحب بنى إسرائيل . قال البخارى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمر بن دينار أخبرنى سعيد بن

جبر قال قلت لابن عباس إن نوحا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بنى إسرائيل . قال ابن عباس كذب عدو الله . حدثنا أبي بن كعب أنه سمع رسول الله (ص) يقول إن موسى قام خطيبا في بنى إسرائيل فسئل اى الناس أعلم فقال أنا فغضب الله عليه إذ لم يرد العلم اليه فأوحى الله اليه إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك . قال موسى يارب وكيف لي به . قال تأخذ معك حوتا فتجمله بمكثل فحيما فقدت الحوت فهو ثم . فأخذ حوتا فجعله بمكثل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت في المكثل فخرج منه فسقط في البحر وأخذ سيده في البحر سربا . وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بية يومها وليتهما حتى إذا كان من الغد (قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى أمره الله به (قال) له فتاه (أرأيت إذ أوينا الى الصخرة فآنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سيده في البحر عجبا) قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا (قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا قال فرجما يقصان أثرهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى قال الخضر وانى بارضك السلام قال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمنى مما علمت رشداً (قال إنك لن تستطيع معى صبرا) يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه فقال (ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً) قال له الخضر فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكراً فانطلقا) يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بنير نول . فلما ركبوا فى السفينة لم ينجأ الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بنير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها (لتغرق أهلها لقد جئت شيئا امرا . قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا . قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا) قال وقال رسول الله (ص) وكانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر قررة فقال له الخضر ما علمى وعلمك فى علم الله الا مثل ما قص هذا العصفور من هذا البحر . ثم خرجا من السفينة فينماها يمشيان على الساحل اذ بصير الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتله بيده فقتله فقال له موسى (أقمت نساء زكية بنير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا) قال وهذه أشد من الأولى (قال إن سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا) فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطاعوا أهلها فأبوا أن يضيفوها فوجدوا فيها جدارا يريد أن ينقض) قال ماثل قال الخضر بيده (فأقامه) قال موسى قوم آتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا (لو شئت لا اتخذت عليه أجرا . قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل

ما لم تستطع عليه صبراً) قال رسول الله (ص)، وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرها
 قال سعيد بن جبیر فكان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ وأما
 الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين . ثم رواه البخاری أيضاً عن قتيبة عن سفیان بن عینة بأسناده
 نحوه . وفيه فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون ومعهما الحوت حتى انتهىا إلى الصخرة فزلا عندها
 قال فوضع موسى رأسه فنام قال سفیان وفي حديث غير عمرو قال وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة
 لا يصيب من ماها شيء إلا حبي فأصاب الحوت، من ماء تلك العين قال فتحرك وانسل من المكتل ودخل
 البحر فلما استيقظ (قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا) وساق الحديث وقال ووقع عصفور على حرف
 السفينة فمسخ منقاره في البحر فقال الخضر لموسى ما علمى وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس
 هذا العصفور منقاره وذكر تمام الحديث . وقال البخاری حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن
 يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال أخبرني يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار عن سعيد بن جبیر يزيد أحدها
 على صاحبه . وغيرها قد سمعته يحدثه عن سعيد بن جبیر قال إنا لعند ابن عباس في بيته إذ قال سلوني
 قلت أي أبا عباس جعلني الله فداك بالسكوفة رجل قاص يقال له نوف يزعم أنه ليس بموسى بنى
 إسرائيل أما عمرو فقال لي قال قد كذب عدو الله وأما يعلى فقال لي قال ابن عباس حدثني أبي بن كعب
 قال قال رسول الله (ص)، موسى رسول الله قال ذكر الناس يوماً حتى إذا فاضت العيون وورقت القلوب
 ولى فأدركه رجل فقال أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك قال لا فغضب الله عليه إذ لم يرد العلم
 إلى الله * قيل بلى قال أي رب فأين قال بمجمع البحرين قال أي رب اجعل لي علماً أعلم ذلك به قال لي
 عمرو قال حيث يفارقك الحوت وقال لي يعلى قال خذ حوتاً ميتاً حيث ينفخ فيه الروح فاخذ حوتاً فجعله في
 مكتل فقال لفتاه لا أكفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت قال ما كلفت كبيراً فذلك قوله (وإذ قال
 موسى لفتاه) يوشع بين نون . ليست عن سعيد ابن جبیر قال فيهما هو في ظل صخرة في مكان ثريان إذ
 تضرب الحوت وموسى نائم فقال فتاه لا أوقظه حتى إذا استيقظ نسي أن يخبره وتضرب الحوت حتى
 دخل البحر فامسك الله عنه جريه البحر حتى كأن أثره في حجر قال لي عمرو هكذا كان أثره في حجر
 وحلق بين ابهاميه واللتين تليان (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) قال وقد قطع الله عنك النصب ليست هذه
 عن سعيد أخبره فرجعا فوجدا خضرا قال لي عثمان بن أبي سليمان على طنفسة خضراء على كبد البحر قال
 سعيد مسجى بثوبه قد جعل طرفه تحت رجله وطرفه تحت رأسه فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه
 وقال هل بارض من سلام من أنت قال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل قال نعم قال فما شأنك قال جئتك
 (لتعلمني مما علمت رشداً) قال أما بكيفك أن التوراة بيدك وأن الوحي يأتيك يا موسى إن لي علماً لا ينبغى
 لك أن تعلمه وإن لك علماً لا ينبغى لي أن أعلمه فاخذ طائر بمنقاره من البحر فقال والله ما علمى وعلمك

في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر (حتى إذا ركبا في السفينة) وجدا معابر صفاراً
 تحمل أهل هذا الساحل إلى أهل هذا الساحل الآخر عرفوه فقالوا عبد الله الصالح. قال قتلنا لسعيد (خضر)
 قال نعم. لا نحمله بأجر (فخرتها) ووتد فيها وتدا (قال) موسى (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرأ)
 قال مجاهد منكرا (قال أم أفل إنك لن تستطيع معي صبراً) كانت الأولى نسيانا والوسطى شرطاً والثالثة
 عمداً (قال لا تؤأخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمرى عسرا. فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله) قال يعلى
 قال سعيد وجد غلامانا يلعبون فأخذ غلاماً كافراً ظريفاً فاضجمه ثم ذبحه بالسكين (قال أقتلت نفساً زكية)
 لم تعمل بالخبث * ابن عباس قرأها زكية مسلمة كقولك غلاماً زكياً (فانطلقا فوجدا فيها جداراً
 يريد أن ينتفض فأقامه) قال بيده هكذا ورفع يده فاستقام قال يعلى حسبت أن سعيداً قال فمسحه بيده
 فاستقام (قال لو شئت لا اتخذت عليه أجرا) قال سعيد أجرا أنا كله (وكان وراءهم) وكان أمامهم قرأها ابن
 عباس أمامهم. ملك يزعمون عن غير سعيد أنه هدد بن بدد والغلام المقتول يزعمون جيسور (ملك يأخذ
 كل سفينة غصبا) فإذا هي مرت به يدعها بعينها فإذا جاوزوا أصلحها فاتفعوا بها. منهم من يقول
 سدوها بتارورة ومنهم من يقول بالقار (كان أبواه مؤمنين) وكان كافراً (فخشينا أن يرهقهما طغيانا
 وكفرا) أي يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه (فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكاة) لقوله أقتلت
 نفساً زكية (وأقرب رحماً) هما به أرحم منهما بالأول الذي قتل خضر * وزعم سعيد بن جبير أنه ابن
 لا جارية وأما داود بن أبي عاصم فقال عن غير واحد إنها جارية * وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن أبي
 اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خطب موسى بنى إسرائيل فقال ما أحد أعلم بالله وبأمره
 مني فأمر أن يلقى هذا الرجل. فذكر نحوه ما تقدم وهكذا رواه محمد بن اسحق عن الحسن بن عمارة عن
 الحكم بن عيينة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله (ص) كنهجوما تقدم
 أيضاً ورواه العوفي عنه موقوفاً * وقال الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أنه تمارى
 هو والحربن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى فقال ابن عباس هو خضر فربهما أبي بن كعب
 فدعاه ابن عباس فقال إني تماريت أنا وصاحبى هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقيه فهل
 سمعت من رسول الله فيه شيئاً قال نعم وذكر الحديث وقد تفصينا طرق هذا الحديث والفاظه في تفسير
 سورة الكهف والله الحمد. وقوله (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) قال السهيلي وهما
 أصرم وصريم ابنا كاشع. (وكان تحته كنز لهما) قيل كان ذهباً قاله عكرمة وقيل عدداً قاله ابن عباس
 والأشبه أنه كان لوحاً من ذهب مكتوباً فيه علم قال البزار حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا بشر
 ابن المنذر حدثنا الحرث بن عبد الله اليحصبي عن عياش بن عباس النسائي عن بن حجرية عن أبي ذر رفته
 قال إن الكنز الذي ذكر الله في كتابه لوح من الذهب مصمت. عجبت لمن أيقن بالقدر كيف نصب وعجبت

لمن ذكر النار لم فتحك وعجبت لمن ذكر الموت كيف غفل لا إله إلا الله . وهكذا روى عن الحسن البصرى
وعمر مولى عفرة وجعفر الصادق نحو هذا وقوله (وكان أبوهما صالحا) وقد قيل إنه كان الأب السابع
وقيل العاشر . وعلى كل تقدير فيه دلالة على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته فالله المستعان . وقوله (رحمة
من ربك) دليل على أنه كان نبياً وأنه ما فعل شيئاً من تلقاء نفسه بل بأمر ربه فهو نبي وقيل رسول
وقيل ولي واغرب من هذا من قال كان ملكا قلت وقد اغرب جدا من قال هو ابن فرعون وقيل
إنه ابن ضحاك الذى ملك الدنيا ألف سنة . قال ابن جرير والذى عليه جمهور أهل الكتاب أنه كان فى
زمن أفريدون ويقال إنه كان على مقدمة ذى القرنين الذى قيل إنه كان أفريدون وذو الفرس هو الذى
كان فى زمن الخليل . وزعموا أنه شرب من ماء الحياة فخلد وهو باق الى الآن . وقيل إنه من ولد
بعض من آمن براهيم وهاجر معه من ارض بابل وقيل اسمه ملكان وقيل أرميا بن خلقيا وقيل كان
نبيا فى زمن سباسب بن لهراسب قال ابن جرير وقد كان بين أفريدون وبين سباسب دهور طويلة لا يجيها
أحد من أهل العلم بالأنسب قال ابن جرير والصحيح أنه كان فى زمن أفريدون واستمر حيا إلى أن أدركه
موسى عليه السلام وكانت نبوة موسى فى زمن منو شهر الذى هو من ولد ابرج بن أفريدون أحد ملوك
الفرس وكان اليه الملك بعد جده أفريدون لعهدده وكان عادلا وهو أول من خندق الخنادق وأول من جعل
فى كل قرية دهقانا وكانت مدة ملكه قريبا من مائة وخمسين سنة ويقال انه كان من سلالة اسحاق بن ابراهيم
وقد ذكر عنه من الخطب الحسان والكليم البليغ النافع الفصيح ما يبهر العقل ويمحير السامع وهذا يدل
على أنه من سلالة الخليل . والله أعلم . وقد قال الله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جائكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم الآية)

فأخذ الله ميثاق كل نبي على أن يؤمن بمن يجي بعده من الانبياء وينصره فلو كان الخضر حيا فى
زمانه لما وسعه إلا اتباعه والاجتماع به والقيام بنصره ولما كان من جملة من تحت لوائه يوم بدر كما كان
تحتها جبريل وسادات من الملائكة وقصارى الخضر عليه السلام أن يكون نبيا وهو الحق
أورسولا كما قيل أو ملكا فيما ذكر وأياما كان فخريل رئيس الملائكة وموسى أشرف
من الخضر ولو كان حيا لوجب عليه الايمان بمحمد ونصرته فكيف ان كان
الخضر وليا كما يقوله طوائف كثيرون فأولى أن يدخل فى عموم البعثة وأخرى
ولم ينقل فى حديث حسن بل ولا ضعيف يمتد أنه جاء يوما واحدا
الى رسول الله (ص) ولا اجتمع به وما ذكر من حديث التعزية
فيه وان كان الحاكم قد رواه فإسناده ضعيف والله أعلم
وستفرد الخضر ترجمة على حدة بعد هذا

حَدِيثُ الْفَتُونِ وَالْمَقْتَمِ وَقِصَّةِ مُوسَى مِنْ أَوْلِيَاءِ آلِ أَبِي رَافِعٍ

قال الامام ابو عبد الرحمن النسائي في كتاب التفسير من سننه عند قوله تعالى في سورة طه (وقلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا) (حديث الفتون) حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا يزيد بن هارون انبأنا اصبع بن زيد حدثنا القاسم بن ابي ايوب اخبرني سعيد بن جبير قال سألت عبد الله بن عباس عن قول الله تعالى (وفتناك فتونا) فسأله عن الفتون ما هو فقال استأنف النهار يا ابن جبير فان لها حديثا طويلا فلما أصبحت غدوت الى ابن عباس لا تتجز منه ما وعدني من حديث الفتون فقال تذكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد ابراهيم عليه السلام أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكا فقال بعضهم إن بني اسرائيل ينتظرون ذلك ما يشكون فيه وكانوا يظنون انه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا كان وعد ابراهيم فقال فرعون فكيف ترون فأمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجلا معهم الشفار يطوفون في بني اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه ففعلوا ذلك فلما رأوا أن الكبار من بني اسرائيل يموتون بأجلهم والصغار يذبحون قالوا توشكون أن تفتنوا بني اسرائيل فتصيروا الى أن تباشروا من الاعمال والخدمة الذي كانوا يكفونكم فاقتلوا عاما كل مولود ذكر فقتل بناتهم ودعوا عاما فلا تقتلوا منهم أحداً فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار فاتهم لن يكثرنا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكائدهم اياكم ولن تفتنوا بمن تقتلون وتحتاجون اليهم فاجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا تقتل فيه الغلمان فولدته علانية آمنة . فلما كان من قابل حملت بموسى عليه السلام فوقع في قلبها الهم والحزن وذلك من الفتون يا ابن جبير ما دخل عليه في بطن أمه مما يراد فأوحى الله اليها أن لا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فأمرها اذا ولدت أن تجعله في تابوت وتلقيه في اليم فلما ولدت فعلت ذلك فلما تواری عنها انها أتاها الشيطان فقالت في نفسها ما فعلت بابني لو ذبح عندى فواريته وكفته كان أحب الى من أن اقيه الى دواب البحر وحيثانه فانتهى الماء به حتى أوفى عند فرضة تستقي منها جوارى امرأة فرعون فلما رأته أخذته فهمن أن يفتحن التابوت فقال بعضهن ان في هذا مالا وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه فحملته كهيئته لم يخرج منه شيئا حتى دفعنه اليها فلما فتحته رأت فيه غلاما فالتقى عليه منها محبة لم تلق منها على أحد قط وأصبح فؤاد أم موسى فارغا .

ذكر كل شيء إلا من ذكر موسى . فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا بشفارهم الى امرأة فرعون ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت لهم أقروه فان هذا الواحد لا يزيد في بني اسرائيل حتى آتى فرعون

فاستوهبه منه فان وهبه منى كنتم قد أحستتم وأجلمتم وان أمر بذبحه لم ألمكم فأتت فرعون فقالت (قرة
 عين لي ولك) فقال فرعون يكون لك فأما لي فلا حاجة لي فيه فقال رسول الله (س) (والذي يحلف به
 لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له كما أقرت امرأته لهداه الله كما هداها ولكن حرمة ذلك) فأرسلت
 الى من حولها الى كل امرأة لها لأن تختار ظئرا فجعل كما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل على ثديها
 حتى أشقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فاصرت به فاخرج الى السوق وجمع
 الناس ترجو أن تجد له ظئراً يأخذه منها فلم يقبل وأصبحت أم موسى والها فقالت لاخته قصي أثره
 واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحى إبنى أم قد أكلته الدواب ونسيت ما كان الله وعداها فيه فبصرت به
 أخته عن جنب وهم لا يشعرون والجنب أن يسمو بصير الانسان الى شئ بعيد وهو الى جنبه لا يشعر به
 فقالت من الفرح حين أعيام الظؤرات أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فقالوا
 ما يدريك ما نصحهم هل يعرفونه حتى شكوا في ذلك . وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت نصحهم له
 وشققتم عليه ورجبتهم في صهر الملك ورجاء منعة الملك فأرسلوها فانطلقت الى أمها فأخبرتها الخبر
 فجاءت أمه فلما وضعته في حجرها نزا الى ثديها فمصه حتى امتلأ جنباه ربا وانطلق البشير الى امرأة
 فرعون يبشرها أن قد وجدنا لابنك ظئرا فأرسلت اليها فأتت بها وبه . فلما رأت ما يصنع بها قالت
 أمكئى ترضى ابني هذا فاني لم أحب شيئا حبه قط قالت أم موسى لا أستطيع أن أترك بيتي وولدي
 فيضيع فان طابت نفسك أن تعطينه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آله خيرا ففعلت فاني غير تاركة
 بيتي وولدي وذكرت أم موسى ما كان الله وعداها فتعاسرت على امرأة فرعون وابتغيت أن الله منجز
 مواعده فرجعت الى بيتها من يومها وأبنته الله نباتا حسنا وحفظ لما قد قضى فيه فلم يزل بنو اسرائيل وهم
 في ناحية القرية ممتنعين من السخرة والظلم ما كان فيهم فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لام موسى أريني ابني
 فوعدها يوما تريها اياه فيه وقالت امرأة فرعون نخرانها وظهورها وقهارمتها لا يبقين أحد منكم إلا استقبل
 ابني اليوم بهدية وكرامة لارى ذلك فيه وأنا باعثة أمينا يحصى كل ما يصنع كل انسان منكم فلم تزل الهدايا
 والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت أمه الى أن دخل على امرأة فرعون . فلما دخل عليها
 نحلته وأكرمته فرحت به ونحلت أمه بحسن أثرها عليه . ثم قالت لا تبين به فرعون فلينحلته وليكرمنه
 فلما دخلت به وعليه جملة في حجره فتناول موسى لحية فرعون فمدها الى الارض فقال الغواة من أعداء الله
 لفرعون ألا ترى ما وعد الله ابراهيم نبيه أنه زعم أن يرثك ويملوك ويصرعك فأرسل الى الذباحين
 ليذبحوه . وذلك من الفتون يا ابن جبير بعد كل بلاء ابتلى به وأريد به فجاءت امرأة فرعون نسى الى
 فرعون فقالت ما بدالك في هذا الغلام الذي وهبته لي فقال ألا ترى أنه يزعم أنه يصرعني ويملوني فقالت
 اجعل بيني وبينك أمرا تعرف فيه الحق أنت بجمرتين ولؤلؤتين فقربهن اليه فان بطش باللؤلؤتين

واجتنب الجرتين عرفت أنه يعقل وان تناول الجرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحدا لا يؤثر الجرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل فحرب اليه فتناول الجرتين فانزعجها منه مخافة أن يجر قابده فقالت المرأة ألا ترى فصرفه الله عنه بعد ما كان هم به وكان الله بالنافيه أمره . فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص الى أحد من بني اسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع . فينبأ موسى عليه السلام يمشي في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتلان أحدهما فرعونى والآخر اسرائيلى فاستغاثه الاسرائيلى على الفرعونى فغضب موسى غضبا شديدا لأنه تناوله وهو يعلم منزلته من بني اسرائيل وحفظه لهم مالم يطلع عليه غيره فوكر موسى الفرعونى قتلته وليس يراها أحد إلا الله عز وجل والاسرائيلى قال موسى حين قتل الرجل (هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين) ثم قال (رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين فاصبح في المدينة خائفاً يترقب) الاخبار فأتى فرعون قبيلاً له إن بني اسرائيل قتلوا رجلاً من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فقال ابغوني قاتله من يشهد عليه فان الملك وان كان صفوه مع قومه لا ينفى له أن يقتل بغير بينة ولا ثبت فاطلبوا لي علم ذلك آخذ لكم بحقكم فينبأهم يطوفون لا يجدون بينة اذا موسى من الغد قد رأى ذلك الاسرائيلى يقاتل رجلاً من آل فرعون آخر فاستغاثه الاسرائيلى على الفرعونى فصادف موسى قد ندم على ما كان منه وكره الذى رأى فغضب الاسرائيلى وهو يريد أن يبطش بالفرعونى فقال للاسرائيلى لما فعل بالامس واليوم (انك لغوى مبين) فنظر الاسرائيلى الى موسى بعد ما قال له ما قال فاذا هو غضبان كغضبه بالامس الذى قتل فيه الفرعونى فخاف أن يكون بعد ما قال له إنك لغوى مبين أن يكون اياه أراد ولم يكن أراد انما أراد الفرعونى فخاف الاسرائيلى * وقال موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالامس وانما قال له مخافة أن يكون اياه أراد موسى ليقتله فتناكرا وانطلق الفرعونى فاخبرهم بما سمع من الاسرائيلى من الخبر حين يقول أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالامس فارسل فرعون الذابحين ليقتلوا موسى فأخذ رسل فرعون الطريق الاعظم يمشون على هيتهم يطلبون موسى وهم لا يخافون ان يفوتهم فجاء رجل من شيعة موسى من اقصى المدينة فاخصر طريقاً حتى سبقهم الى موسى فأخبره . وذلك من الفتون يا ابن جبير فخرج موسى متوجهاً نحو مدين لم يلق بلاء قبل ذلك وليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه عز وجل فانه قال (عسى ربي ان يهدينى سواء السبيل . ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراةين تزدودان) يعنى بذلك حابستين غنمهما فقال لهما (ماخطبكما) معزلتين لا تسقيان مع الناس قالتا ليس لنا قوة تراحم القوم وإنما نتنظر فضول حياضهم فسقى لهما فجعل يعرف من الدلو ماء كثيراً حتى كان أول الرعاء وانصرفنا بغممهما الى أبيهما وانصرف موسى فاستظل بشجرة (وقال رب انى لما انزلت الى من خير فقير) واستنكر أبوها سرعة صدورهما بغممهما حفاً بطاناً فقال ان لكما اليوم لشأنا فاخبرناه بما

صنع موسى فامر اجداهما أن تدعوه فانت موسى فدعته فلما كلفه قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ليس لفرعون ولا قومه علينا من سلطان ولسنا في مملكته (فقال احداها يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين) فاحتملته الغيرة على أن قال لها ما يدريك ما قوته وما أماته فقالت أما قوته فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا لم أر رجلا قط أقوى في ذلك السقى منه . وأما الامانة فانه نظر الى حين أقبلت اليه وشخصت له فلما علم أنى امرأة صوب رأسه فلم يرفعه حتى بلغت رسالتك . ثم قال لي امشى خلفي وانعتي لي الطريق فلم يفعل هذا إلا وهو أمين فسرى عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت فقال له هل لك (إن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج فإن اتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن اشق عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين) ففعل فكانت على نبي الله موسى ثمان سنين واجبة وكانت السنان عدة منه فمضى الله عنه عدته فاتمها عشرا . قال سعيد هو ابن جبير فلقيني رجل من أهل النصرانية من علمائهم قال هل تدري أى الأجلين قضى موسى قلت لا وأنا يومئذ لا أدري فلقيت ابن عباس فذكرت ذلك له فقال أما علمت أن ثمانية كانت على نبي الله واجبة لم يكن نبي الله لينقص منها شيئا وتعلم أن الله كان قاضيا عن موسى عدته التى وعده فانه قضى عشر سنين فلقيت النصرانى فاخبرته ذلك فقال الذى سألته فاخبرك أعلم منك بذلك قلت أجل وأولى فلما سار موسى بأهله كان من أمر النار والمعنى وبده ما قص الله عليك فى القرآن فشكا الى الله تعالى ما يتخوف من آل فرعون فى القتل وعقدة لسانه فانه كان فى لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يعينه باخيه هرون يكون له رداً ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه فاتاه الله عز وجل وحل عقدة من لسانه وأوحى الله الى هرون فامرهم أن يلقاه فاندفع موسى بعصاه حتى لقي هرون فانطلقا جميعا الى فرعون فاقاما على بابهما لا يؤذن لهما . ثم أذن لهما بعد حجاب شديد فقالا إنا رسولا ربك فقال فمن ربكما فاخبره بالذى قص الله عليك فى القرآن قال فما تريدان وذكره القليل فاعتذر بما قد سمعت قال أريدان تؤمن بالله وترسل معى بنى إسرائيل فابى عليه وقال أنت بآية إن كنت من الصادقين فالتقى عصاه فاذا هى ثعبان عظيمة فاغرة فاعدا مسرعة الى فرعون فلما رأى فرعون قاصدة اليه خافها وأقتحم عن سريره وأستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل . ثم أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء . يعنى من غير برص . ثم ردها فمادت الى لونها الأول فاستشار الملأ حوله فيما رأى فقالوا له (هذان ساحران يريدان أن يخرجاك من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) يعنى ملكهم الذى هم فيه والعيش وأبوا على موسى أن يعطوه شيئا مما طلب وقالوا له إجمع السحرة فانهم بارضك كثير حتى تغلب بسحرهما فارسل الى المدائن فحشر له كل ساحر متعلم فلما أتوا فرعون قالوا بم يعمل السحر قالوا يعمل بالحيات قالوا فلا والله ما احد من الارض يعمل السحر بالحيات والحبال والعصى الذى نعمل وما أجرنا إن نحن غلبنا قال لهم أنتم أقاربي وخاصتى وأنا صانع

اليكم كل شئ أحببت فتواعدوا يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى) قال سعيد فحدثني ابن عباس أن يوم الزينة اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة هو يوم عاشوراء فلما اجتمعوا في صعيد قال الناس بعضهم لبعض انطلقوا فلنحضر هذا الامر لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين يعنون موسى وهرون استهزاء بهما فقالوا يا موسى بعد تريثهم بسحرم (إما أنت تلقى وإما أن نكون نحن الملقين. قال بل أقوا فلقوا أحبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون فرأى موسى من سحرم ما أوجس في نفسه خيفة فأوحى الله إليه أن الق عصاك فلما القاها صارت ثعبانا عظيمة فاغرة فاها فجعلت العصى تلتبس بالحبال حتى صارت جرزاً على الثعبان أن تدخل فيه حتى ما أبت عصا ولا حبال إلا ابتلعت فلما عرف السحرة ذلك قالوا لو كان هذا سحرا لم تبلع من سحرنا كل هذا ولكنه أمر من الله تعالى آمنا بالله وبما جاء به موسى وتوب الى الله مما كنا عليه فكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياعه وظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك واقتلبوا صاغرين وامرأة فرعون بارزة مبتدلة تدعوا لله بالنصر لموسى على فرعون وأشياعه فمن رآها من آل فرعون ظن أنها إنما ابتذلت للشفقة على فرعون وأشياعه وإنما كان حزنها وهما لموسى فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة كلما جاء بآية وعده عندها أن يرسل معه بنى إسرائيل فاذا مضت أخلف من غده وقال هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا فأرسل الله على قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفها عنه ويوافقه على أن يرسل معه بنى إسرائيل فاذا كف ذلك عنه أخلف بوعدة ونكث عهده حتى أمر موسى بالخروج بقومه فخرج بهم ليلا فلما أصبح فرعون ورأى أنهم قد مضوا أرسل في المدائن حاشرين فتبعه بمجنود عظيمة كثيرة وأوحى الله إلى البحر اذا ضربك موسى عبدي بعصاه فانفلق اثنتي عشرة فرقة حتى يجوز موسى ومن معه * ثم التقى على من بقى بعد من فرعون وأشياعه فنسى موسى أن يضرب البحر بالعصى وانتهى إلى البحر وله قصيف مخافة أن يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير عاصيا لله عز وجل فلما ترائى الجمعان وتقاربا قال أصحاب موسى إنا لمدركون إفلع ما أمرك به ربك فانه لم يكذب ولم تكذب قال وعدنى ربي اذا أبيت البحر انفرق اثنتي عشرة فرقة حتى أجازه ثم ذكر بعد ذلك العصى ف ضرب البحر بعصاه حين ذنا أوائل جند فرعون من أوخر جند موسى فانفرك البحر كما أمره ربه وكما وعد موسى فلما جاوز موسى وأصحابه كلهم البحر ودخل فرعون وأصحابه التقى عليهم البحر كما أمر فلما جاوز موسى قال أصحابه إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ولا تؤمن بهلاكه فدعا ربه فاخرجه له ييدنه حتى استيقنوا بهلاكه ثم مروا بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم (قالوا يا موسى اجعل لنا إلهة كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون) قد رأيت من العبر وسمعت ما يكفبكم ومضى فانزلهم موسى منزلا

وقال أطيعوا هارون فإن الله قد استخلفه عليكم فاني ذاهب الى ربي واجلهم ثلاثين يوماً أن يرجع اليهم فيها فلما أتى ربه عز وجل وأراد أن يكلمه في ثلاثين يوماً وقد صام من ليلته ونهاره من وكره ان يكلم ربه وريح فيه ريح فم الصائم فتناول موسى شيئاً من نبات الارض فمضغه فقال له ربه حين أتاه لم أفطرت وهو أعلم بالذي كان قال يارب اني كرهت أن أكلمك الا وفي طيب الريح. قال او ما علمت يا موسى ان ريح فم الصائم أطيب من ريح المسك إرجع فصم عشرًا ثم ائتني ففعل موسى ما أمره به ربه فلما رأى قوم موسى أنه لم يرجع اليهم في الاجل ساءم ذلك وكان هارون قد خطبهم فقال إنكم خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندهم عواري وودائع ولكم فيها مثل ذلك وانا أرى ان تحتسبوا مالكم عندهم ولا أحل لكم وديعة استودعتموها ولا عارية ولسنا برادين اليهم شيئاً من ذلك ولا ممسكية لانفسنا فحفر حفيراً وأمر كل قوم عندهم من ذلك متاع أو حلية أن يقدفوه في ذلك الحفير. ثم أوقد عليه النار فاحرقه فقال لا يكون لنا ولا لهم * وكان السامري من قوم يعبدون البقر جيران لبني اسرائيل ولم يكن من بني اسرائيل فاحتمل مع موسى وبني اسرائيل حين احتملوا قضي له أن رأى اثر قبض منه قبضة فمر بهارون فقال له هارون يا سامري الا تلتقى ماني يدبك وهو قابض عليه لا يراه أحد طوال ذلك فقال هذه قبضة من اثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ولا القيا لشيء الا أن تدعو الله اذا ألقيتها أن يكون ما أريد فلقاها ودعا له هارون فقال أريد أن تكون مجلاً فاجتمع ما كان في الحفرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار مجلاً أجوف ليس فيه روح له خوار قال ابن عباس لا والله ما كان فيه صوت قط إنما كانت الريح تدخل من دبره وتخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك فنفرو بنو اسرائيل فرقا فقالت فرقة يا سامري ما هذا وانت أعلم به قال هذا ربكم ولكن موسى اضل الطريق وقالت فرقة لا نكذب بهذا حتى يرجع الينا موسى فان كان ربنا لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حتى راينا وان لم يكن ربنا فانا نتبع قول موسى وقالت فرقة هذا من عمل الشيطان وليس بربنا ولا تؤمن به ولا نصدق واشرب فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل وأعلنوا التكذيب به فقال لهم هارون عليه السلام يا قوم إنما فتنتم به وان ربكم الرحمن ليس هذا قالوا فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوماً ثم اخلفنا. هذه أربعون يوماً قد مضت قال سفهاؤهم اخطأ ربه فهو يطلبه ويبتغيه فلما كلم الله موسى وقال له ما قال. خبره بما لقي قومه من بعده فرجع الى قومه غضبان أسفا فقال لهم ما سمعتم ما في القرآن (وأخذ برأس أخيه يجره) اليه وألقى الألواح من الغضب ثم إنه عذر أخاه بعذره واستغفر له فانصرف الى السامري فقال له ما حاكك على ما صنعت (قال قبضت قبضة من اثر الرسول) وفطنت لها وعميت عليكم فقدتها (وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقته ثم لنسفته في اليم نسفاً) ولو كان إلهاً لم يخلص الى ذلك منه فاستيقن بنو اسرائيل بالفتنة واغبط

الذين كان رأيهم فيه مثل رأى هرون فقالوا لجماعتهم يا موسى سل لنا أن يفتح لنا باب توبة نصنعها فتكفر
عنا ما عملنا فاختار موسى قومه سبعين رجلاً لذلك لا يألوا الخير خيار بني إسرائيل ومن لم يشرك في الحق
فانطلق بهم يسأل لهم التوبة فرجفت بهم الأرض فاستحيا نبي الله عليه السلام من قومه ومن وفده حين
فعل بهم ما فعل فقال لو شئت لأهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا وفيهم من كان الله
اطلع منه على ما أشرب قلبه من حب العجل وإيمان به فلذلك رجفت بهم الأرض فقال (رحمتي وسعت كل
شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون. الذين يتبعون الرسول النبي الأمي
الذي يجذونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) فقال يارب سألتك التوبة لقومي فقلت إن رحمتي كتبتها
لقوم غير قومي فليتك أخرتني حتى تخرجني في أمة ذلك الرجل المرحوم فقال له إن توبتهم أن يقتل كل
رجل من لقي من والد وولد فيقتله بالسيف لا يبالي من قتل في ذلك الموطن. وتاب أولئك الذين كان
خفي على موسى وهرون واطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما أمروا وغفر الله للقاتل والمقتول
ثم سار بهم موسى عليه السلام متوجهاً نحو الأرض المقدسة وأخذ الألواح بعد ما سكت عنه الغضب
فأمرهم بالذي أمر به من الوظائف فقتل ذلك عليهم وأبوا أن يقرؤا بها وتيق الله عليهم الجبل كأنه ظلة
ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم وأخذوا الكتاب بايمانهم وهم مصفون ينظرون إلى الجبل والكتاب
بايديهم وهم من وراء الجبل مخافة أن يقع عليهم ثم مضوا حتى أتوا الأرض المقدسة فوجدوا مدينة فيها
قوم جبارون خلقهم خلق منكر وذكر من ثمارهم أمراً عجيباً من عظمها فقالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين
لا طاقة لنا بهم ولا ندخلها ماداموا فيها فان يخرجوا منها فانا داخلون. قال رجلان من الذين يخافون
قيل ليزيد هكذا قراه قال نعم من الجبارين آمننا بموسى وخرجنا إليه فقالوا نحن أعلم بقومنا إن كنتم إنما
تخافون ما رأيتم من أجسامهم وعددهم فانهم لا قلوب لهم ولا منعة عندهم فادخلوا عليهم الباب فاذا
دخلتموه فانكم غالبون ويقول أناس إنهم من قوم موسى فقال الذين يخافون من بني إسرائيل (قالوا
يا موسى إننا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتل إنا ههنا قاعدون) فغضبوا موسى فدعا
عليهم وساماً فاسقين ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من المعصية وإساءتهم حتى كان يومئذ فاستجاب
الله لهم وساماً كما ساءم فاسقين فخرمها عليهم أربعين سنة يتيمون في الأرض يصبحون كل يوم فيسيرون ليس
لهم قرار ثم ظلل عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثياباً لا تبلى ولا تتسخ
وجعل بين ظهرانيهم حجراً مربباً وأمر موسى فضربه بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا في كل
نحية ثلاثة أعين وأعلم كل سبط عينتهم التي يشربون منها فلا يرتحلون من محله إلا وجدوا ذلك الحجر
بالمكان الذي كان فيه بالأمس * رفع ابن عباس هذا الحديث إلى النبي (ص) وصدق ذلك عندي أن
معاوية سمع ابن عباس هذا الحديث فانكر عليه أن يكون الفرعوني الذي أفشى على موسى أمر القتل الذي

قتل قال كيف ينفي عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه إلا الاسرائيلي الذي حضر ذلك فغضب ابن عباس فاخذ يد معاوية فانطلق به الى سعد بن مالك الزهري فقال له يا ابا اسحق هل تذكر يوم حدثنا رسول الله (ص) عن قتيل موسى الذي قتل من آل فرعون . الاسرائيلي الذي أفشى عليه ام الفرعوني قال إنما أفشى عليه الفرعوني بما سمع الاسرائيلي الذي شهد ذلك وحضره هكذا ساق هذا الحديث الامام النسائي وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما من حديث يزيد بن هرون والاشبه والله أعلم أنه موقوف وكونه مرفوعا فيه نظر وغالبه متلقى من الاسرائيليات وفيه شيء يسير مصرح برفعه في أثناء الكلام وفي بعض ما فيه نظر ونكارة والاغلب أنه كلام كعب الاحبار وقد سمعت شيخنا الحافظ ابا الحجاج المزي يقول ذلك والله أعلم

بناء وقبة الزمان

قال أهل الكتاب وقد أمر الله موسى عليه السلام بعمل قبة من خشب الشمشار وجلود الانعام وشعر الاغنام وأمر بزيتها بالحرير المصبغ والذهب والفضة على كيفيات مفصلة عند أهل الكتاب ولها عشر سرادقات طول كل واحد ثمانية وعشرون ذراعا وعرضه أربعة أذرع ولها أربعة أبواب وأطاب من حرير ودمقس مصبغ وفيها رفوف وصفائح من ذهب وفضة ولكل زاوية بلان وأبواب أخر كبيرة وستور من حرير مصبغ وغير ذلك مما يطول ذكره وبعمل تابوت من خشب الشمشار يكون طوله ذراعين ونصفا وعرضه ذراعين وأرتفاعه ذراعا ونصفا ويكون مضيقا بذهب خالص من داخله وخارجه وله أربع حلق في أربع زواياه ويكون على حافته كرويان من ذهب يعنون صفة ملكين باجنحة وهما متقابلان صفة رجل اسمه بصليال وأمره أن يعمل مائدة من خشب الشمشار طولها ذراعا وعرضها ذراع ونصف لها ضباب ذهب واكيل ذهب بشفة مرتفعة باكيل من ذهب واربع حلق من نواحيها من ذهب معذرة في مثل الرمان من خشب ملبس ذهبيا واعمل صحافا ومصافي وقصاعا على المائدة واصنع منارة من الذهب دلى فيها ست قصبات من ذهب من كل جانب ثلاثة . على كل قصبة ثلاث سرج وليكن في المنارة أربع قناديل وليكن هي وجميع هذه الآنية من قنطار من ذهب صنع ذلك بصليال أيضا وهو الذي عمل المذبح أيضا ونصب هذه القبة أول يوم من سنتهم وهو أول يوم من الربيع ونصب تابوت الشهادة وهو والله أعلم المذكور في قوله تعالى (ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) وقد بسط هذا الفصل في كتابهم مطولا جدا وفيه شرائع لهم وأحكام وصفة قرباتهم وكيفيته وفيه ان قبة الزمان كانت موجودة قبل عبادتهم العجل الذي هو متقدم على مجيئ بيت المقدس وانها كانت لهم كالكعبة

يصلون فيها واليها ويتقربون عندها وأن موسى عليه السلام كان إذا دخلها يقفون عندها وينزل
عمود النعام على بابها فيخرون عند ذلك سجداً لله عز وجل ويكلم الله موسى عليه السلام من ذلك العمود
النعام الذي هو نور ويخاطبه ويناجيه ويأمره ويهاه وهو واقف عند التابوت صامداً إلى ما بين الكرويين
فإذا فصل الخطاب يخبر بني إسرائيل بما أوحاه الله عز وجل إليه من الأوامر والنواهي وإذا تمحاكوا إليه
في شيء ليس عنده من الله فيه شيء ينجي إلى قبة الزمان ويقف عند التابوت ويصمد لما بين ذينك الكرويين
فيأتيه الخطاب بما فيه فصل تلك الحكومة وقد كان هذا مشروعاً لهم في زمانهم أعني استعمال الذهب
والحرير المصنوع والآل في معبدهم وعند مصلام فإما في شريعتنا فلا بل قد نهينا عن زخرفة المساجد وتزيينها
لثلاث تشغل المصلين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما وسع في مسجد رسول الله (ص) للذي وكاه
على عمارته ابن للناس ما يكنهم وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس * وقال ابن عباس لتزخرقها كما
زخرقت اليهود والنصارى كنائسهم وهذا من باب التشریف والتكريم والتنزيه فهذه الأمة غير مشابهة
من كان قبلهم من الأمم إذ جمع الله همهم في صلاتهم على التوجه إليه والاقبال عليه وصان ابصارهم
وخواطرهم عن الاشتغال والتفكير في غير مأم بصدده من العبادة العظيمة فله الحمد والمنة وقد كانت قبة
الزمان هذه مع بني إسرائيل في التيه يصلون إليها وهي قبلتهم وكتبهم وإمامهم كليم الله موسى عليه
السلام ومقدم القربان أخوه هارون عليه السلام * فلما مات هارون ثم موسى عليهما السلام استمرت بنو
هارون في الذي كان يليه أبوم من أمر القربان وهو فيهم إلى الآن وقام بأعباء النبوة بعد موسى وتدير
الأمر بعده فتاه يوشع بن نون عليه السلام وهو الذي دخل بهم بيت المقدس كما سيأتي بيانه والمقصود هنا
أنه لما استقرت يده على البيت المقدس نصب هذه القبة على صخرة بيت المقدس فكانوا يصلون إليها فلما بادت
صلوا إلى محلها وهي الصخرة فلماذا كانت قبلة الأنبياء بعده إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
صلى إليها رسول الله (ص) قبل الهجرة وكان يجعل الكعبة بين يديه * فلما هاجر أمر
بالصلاة إلى بيت المقدس فصلى إليها ستة عشر * وقيل سبعة عشر شهراً * ثم حولت
القبلة إلى الكعبة وهي قبلة إبراهيم في شعبان سنة ثنتين في وقت صلاة العصر
وقيل الظهر كما بسطنا ذلك في التفسير عند قوله تعالى سيقول السفهاء
من الناس ما ولاءهم عن قبلتهم التي كانوا عليها إلى قوله قد نرى
قلوب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول
وجهك شطر المسجد الحرام . الآيات

❦❦❦❦

قصة قارون مع موسى عليه السلام

قال الله تعالى (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم . وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون . فحسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين . واصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) قال الأعمش عن المنهال بن عمرو ابن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان قارون بن عم موسى وكذا قال إبراهيم النخعي وعبد الله ابن الحرث بن نوفل وسماك بن حرب وقتادة ومالك ابن دينار وابن جريج وزاد فقال هو قارون بن يصهر بن قاهث وموسى بن عمران بن هافث . قال ابن جريج وهذا قول أكثر أهل العلم أنه كان ابن عم موسى . ورد قول ابن اسحاق إنه كان عم موسى قال قتادة وكان يسمى النور لحسن صوته بالتوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فاهلكه البغي لكثرة ماله . وقال شهر بن حوشب زاد في ثيابه شبرا طولا ترعفا على قومه . وقد ذكر الله تعالى كثرة كنوزه حتى أن مفاتيحه كان يتقل حملها على القيام من الرجال الشداد وقد قيل إنها كانت من الجلود وإنها كانت تحمل على ستين بغلا فالله أعلم وقد وعظه النصحاء من قومه قائلين لا تفرح أي لا تبطر بما أعطيت وتفخر على غيرك (إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) يقولون لتكن همتك مسروقة لتحصيل ثواب الله في الدار الآخرة فانه خير وأبقى ومع هذا (لا تنس نصيبك من الدنيا) أي وتناول منها بما لك ما أحل الله لك فتمتع لنفسك بالملاذ الطيبة الحلال (واحسن كما أحسن الله اليك) أي واحسن الى خلق الله كما أحسن الله خالقهم وبارئهم اليك (ولا تبغ الفساد في الأرض) أي ولا تنس اليهم ولا تفسد فيهم فتقابلهم ضد ما أمرت فيهم فيعاقبك ويسلبك ما وهبك (إن الله لا يحب المفسدين) فما كان جواب قومه . لهذه النصيحة الصحيحة الفصيحة إلا أن (قال إنما أوتيته على علم عندي) يعني أنا لا أحتاج الى استعمال ما ذكرتم ولا الى ما اليه أشركم فان الله إنما أعطاني هذا لعله أتى أستحقه وأنا أهل له ولولا أنني حبيب اليه وحظي عنده لما

أعطاني ما أعطاني قال الله تعالى ردا عليه ما ذهب اليه (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) أى قد أهلكنا من الامم الماضين بذنوبهم وخطاياهم من هو أشد من قارون قوة وأكثر أموالا وأولادا فلو كان ما قال صحيحا لم نقاب أحدا ممن كان أكثر مالا منه ولم يكن ماله دليلا على محبتنا له واعتنائنا به كما قال تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا لنفى إلا من آمن وعمل صالحا) وقال تعالى (أيجسبون أنما نمدّم به من مال وبنين . نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وهذا الرد عليه يدل على صحة ما ذهبنا اليه من معنى قوله (إنما أوتيته على علم عندي) وأما من زعم أن المراد من ذلك أنه كان يعرف صنعة الكيمياء أو أنه كان يحفظ الاسم الأعظم فاستعمله في جمع الاموال فليس بصحيح لان الكيمياء تخيل وصنعة لا تحيل الحقائق ولا تشابه صنعة الخالق والاسم الأعظم لا يصعد الدعاء به من كافر به وقارون كان كافرا في الباطن منافقا في الظاهر . ثم لا يصح جوابه لهم بهذا على هذا التقدير ولا يبقى بين الكلامين تلازم وقد وضخنا هذا في كتابنا التفسير والله الحمد . قال الله تعالى (فخرج على قومه في زينته) ذكر كثير من المفسرين أنه خرج في تجمل عظيم من ملابس وصراب وخدم وحشم فلما رآه من يعظم زهرة الحياة الدنيا تمنوا أن لو كانوا مثله وغبطوه بما عليه وله فلما سمع مقالتهم العلماء ذوو الفهم الصحيح الزهاد الالباء قالوا لهم (وبلّكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا) أى ثواب الله في الدار الآخرة خير وأبقى وأجل وأعلى قال الله تعالى ولا يلقاها إلا الصابرون أى وما يلقى هذه النصيحة وهذه المقالة وهذه الهمة السامية الى الدار الآخرة العلية عند النظر الى زهرة هذه الدنيا الدنية إلا من هدى الله قلبه وثبت فؤاده وأيد له وحق مراده وما أحسن ما قال بعض السلف إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند حلول الشهوات . قال الله تعالى فحسبنا به وبداره الارض فما كان له من فئمة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين . لما ذكر تعالى خروجه في زينته واختياله فيها وفخره على قومه بها قال فحسبنا به وبداره الارض كما روى البخارى من حديث الزهري عن سالم عن أبيه عن النبي (ص) قال بينا رجل يجر ازاره إذ خسف به فهو يتجلبج في الارض الى يوم القيامة . ثم رواه البخارى من حديث جرير بن زيد عن سالم عن أبي هريرة عن النبي (ص) نحوه . وقد ذكر ابن عباس والسدى أن قارون أعطى امرأة بنيا مالا على أن تقول لموسى عليه السلام وهو في ملا من الناس إنك فعلت بي كذا وكذا فيقال إنها قالت له ذلك فارعد من الفرق وصلى ركعتين . ثم أقبل عليها فاستحلفها من ذلك على ذلك وما حملك عليه فذكرت أن قارون هو الذي حملها على ذلك واستغفرت الله وتابت اليه فعند ذلك خر موسى لله ساجدا ودعا الله على قارون فاوحى الله اليه انى قد أمرت الارض أن تطيعك فيه فامر موسى الارض أن تبغضه وداره فكان ذلك فالله أعلم وقد قيل إن قارون لما خرج على قومه في زينته مر

يجعله وبفاله وملا بيه على مجلس موسى عليه السلام وهو يذكر قومه بإيام الله فلما رآه الناس انصرفت وجوه كثير من الناس ينظرون اليه فدعا موسى عليه السلام فقال له ما حملك على هذا فقال يا موسى أما لئن كنت فضلت على بالنبوة فلقد فضلت عليك بالمال ولئن شئت لتخرجن فلتدعون على ولا تدعون عليك فخرج وقارون في قومه فقال له موسى تدعو أو ادعو قال ادعو أنا فدعى قارون فلم يجب في موسى فقال موسى ادعو قال نعم فقال موسى اللهم من الارض فلتطني اليوم فاوحى الله اليه انى قد فعلت فقال موسى يا أرض خذيهم فاخذيهم الى اقدمهم ثم قال خذيهم فاخذيهم الى ركبهم ثم الى منا كبهم ثم قال اقبلي بكنوزهم وأموالهم فاقبلت بها حتى نظروا اليها ثم أشار موسى بيده فقال اذهبوا بنى لاوى فاستوت بهم الارض . وقد روى عن قتادة أنه قال يخسف بهم كل يوم قامة الى يوم القيامة . وعن ابن عباس أنه قال خسف بهم الى الارض السابعة . وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا إسرائيليات كثيرة اضربنا عنها صفحاً وتركناها قصداً . وقوله تعالى (فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) لم يكن له ناصر من نفسه ولا من غيره كما قال (فماله من قوة ولا ناصر) ولما حل به ما حل من الخسف وذهاب الاموال وخراب الدار واهلاك النفس والاهل والعقار ندم من كان تمنى مثل ما أوتى وشكروا الله تعالى الذى يدبر عباده بما يشاء من حسن التدبير المحزون ولهذا قالوا (لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويك انه لا يفلح الكافرون) وقد تكلمنا على لفظ ويك في التفسير وقد قال قتادة ويكأن بمعنى ألم تران وهذا قول حسن من حيث المعنى والله أعلم . ثم أخبر تعالى (أن الدار الآخرة) وهى دار القرار وهى الدار التى يغبط من أعطيها ويعزى من حرما إنما هى سعة للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً . فالعلو هو التكبر والفخر والاشر والبطر والفساد هو عمل المعاصى اللازمة والمتعدية من أخذ أموال الناس وافساد معاشهم والاساءة اليهم وعدم النصيح لهم ثم قال تعالى (والعاقبة للمتقين) وقصة قارون هذه قد تكون قبل خروجهم من مصر لقوله فخسفنا به وبداره الأرض فان الدار ظاهرة فى البنيان وقد تكون بعد ذلك فى التيه وتكون الدار عبارة عن المحلة التى تضرب فيها الخيام كما قال عنترة .

يادارُ عبلَةٌ بالجَوارِ نكلِّي * * * وبعي صباحاً دارَ عبلَةٍ وأسلمي

والله أعلم . وقد ذكر الله تعالى مذمة قارون فى غير ما آية من القرآن . قال الله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب) وقال تعالى فى سورة العنكبوت بعد ذكر عاد وثمود . وقارون وفرعون وهامان (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) فالذى خسف به

الارض قارون كما تقدم والذي أغرق فرعون وهامان وجنودهما أنهم كانوا خاطئين . وقد قال الامام احمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد حدثنا كعب بن علقمة عن عيسى بن هلال الصدي عن عبد الله بن عمرو عن النبي (ص) أنه ذكر الصلاة يوماً فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف . انفرده احمد رحمه الله .

باب فضائل موسى عليه السلام وشمائله وصفاته ووفائه

قال الله تعالى (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجياً ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً). وقال تعالى قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) . وتقدم في الصحيحين عن رسول الله (ص) أنه قال لا تفضلوني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فاكون أول من يفيق فاجد موسى باطشاً بقائمة العرش فلا أدري أصعق فافاق قبلي أم جوزى بصعقة الطور . وقد منا أنه من رسول الله (ص) من باب الهضم والتواضع وإلا فهو صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم في الدنيا والاخرة قطعاً جزماً لا يمحتمل النقيض . وقال تعالى (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط) الى أن قال (ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكفوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً) قال الأمام أبو عبد الله البخاري حدثنا اسحق بن ابراهيم بن روح بن عباد بن عوف عن الحسن ومحمد وخلاس عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً لا يرى جلده شيء استحياء منه فأذاه من اذاه من بني اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر الا من عيب بجلده إما برص أو أذرة أو آفة وأن الله عز وجل أراد أن يبرأه مما قالوا لموسى فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر * ثم اغتسل فلما فرغ اقبل على ثيابه ليأخذها وأن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملاء من بني اسرائيل فرأوه عرياناً احسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطلق بالحجر ضرباً بعصاه فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً قال ذلك قوله عز وجل باليهما الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً) . وقد رواه الأمام احمد من حديث عبد الله بن شقيق وهام بن منبه عن أبي هريرة به وهو في الصحيحين من حديث عبد الرزاق عن معمر عن هام عنه به ورواه مسلم من حديث عبد الله بن شقيق القبلي عنه *

قال بعض السلف كان من وجاهته أنه شفع في أخيه عند الله وطلب منه أن يكون معه وزيراً فأجابه الله إلى سؤاله وأعطاه طلبته وجعله نبياً كما قال (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبياً) ثم قال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة حدثنا الأعمش سألت أبا وائل قال سمعت عبد الله قال قسم رسول الله (ص) قسماً فقال رجل إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فاتيت النبي (ص) فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ثم قال يرحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر . وكذا رواه مسلم من غير وجه عن سليمان بن مهران الأعمش به . وقال الامام أحمد حدثنا أحمد بن حجاج سمعت اسراييل بن يونس عن الوليد بن أبي هاشم مولى لهمدان عن زيد بن أبي زائد عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله (ص) لأصحابه لا يبلغني أحد عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر قال واتي رسول الله (ص) مال قسسه قال فررت برجلي وأحدهما يقول لصاحبه والله ما أراد محمد بقسته وجه الله ولا الدار الآخرة فثبت حتى سمعت ما قالاً . ثم اتيت رسول الله فقلت يا رسول الله إنك قلت لنا لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً واني مررت بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا فاحمر وجه رسول الله (ص) وشق عليه . ثم قال دعنا منك فقد أودى موسى أكثر من ذلك فصبر . وهكذا رواه أبو داود والترمذي من حديث اسراييل عن الوليد بن أبي هاشم به وفي رواية للترمذي ولأبي داود من طريق ابن عبد عن اسراييل عن السدي عن الوليد به وقال الترمذي غريب من هذا الوجه . وقد ثبت في الصحيحين في أحاديث الاسراء أن رسول الله (ص) مر بموسى وهو قائم يصلي في قبره . ورواه مسلم عن أنس . وفي الصحيحين من رواية قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة عن النبي (ص) أنه مر ليلة أسرى به بموسى في السماء السادسة فقال له جبريل هذا موسى فسلم عليه قال فسلمت عليه فقال مرحباً بالنبي الصالح والاخ الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكى لان غلاماً بث بدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي . وذكر ابراهيم في السماء السابعة . وهذا هو المحفوظ وما وقع في حديث شريك ابن أبي نمر عن أنس من أن ابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله فقد ذكر غير واحد من الحفاظ أن الذي عليه الجادة أن موسى في السادسة و ابراهيم في السابعة وانه مسند ظهره إلى البيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم . واتفقت الروايات كلها على أن الله تعالى لما فرض على محمد (ص) وأمه خمسين صلاة في اليوم واليلة فمر بموسى قال ارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك فإني قد عاجلت بني اسراييل قبلك أشد المعالجة وان أمتك اضعف أسماعاً و ابصاراً وافئدة فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله عز وجل ويخفف عنه في كل مرة حتى صارت إلى خمس صلوات في اليوم واليلة وقال الله تعالى هي خمس وهي خمسون أي بالمضاعفة فجزي الله عنا محمداً (ص) خيراً وجزي الله عنا موسى عليه السلام خيراً . وقال البخاري حدثنا مسدد حدثنا حصين

ابن نمیر عن حصین بن عبد الرحمن عن سعید بن جبیر عن ابن عباس قال خرج علينا رسول الله (ص) يوماً فقال عرضت على الأمم ورأيت سواداً كثيراً سد الافق قبيل هذا موسى في قومه . هكذا روى البخاری هذا الحديث ههنا مختصراً وقد رواه الامام أحمد مطولاً فقال حدثنا شريح حدثنا هشام حدثنا حصین بن عبد الرحمن . قال كنت عند سعید بن جبیر فقال أیکم رأى الکوکب الذى اتقض البارحة قلت أنا ثم قلت انى لم اکن فی صلاة ولكن لدغت . قال وكيف فعلت قلت استرقيت . قال وما حملك على ذلك قال قلت حديث حدثناه الشعبي عن بريدة الا سلمى أنه قال لا رقية الا من عين أوحمة فقال سعید یعنی ابن جبیر قد أحسن من انتهى الى ما سمع ثم قال حدثنا ابن عباس عن النبي (ص) قال عرضت على الامم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي معه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد اذ رفع لى سواد عظیم فقلت هذه أمتى قبيل هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فاذا سواد عظیم * ثم قيل انظر الى هذا الجانب فاذا سواد عظیم قبيل هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض رسول الله (ص) فدخل فحاض القوم في ذلك فقالوا من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم لعلمهم الذين صحبوا النبي (ص) . وقال بعضهم لعلمهم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا بالله شيئاً قط وذكروا أشياء فخرج اليهم رسول الله (ص) فقال ما هذا الذى كنتم تخوضون فيه فأخبروه بمقاتلهم فقال هم الذين لا يكتون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محيصن الاسدى فقال أنا منهم يا رسول الله قال أنت منهم * ثم قام آخر فقال أنا منهم يا رسول الله فقال سبقك بها عكاشة . وهذا الحديث له طرق كثيرة جداً وهو في الصحاح والحسان وغيرها وسنوردها إن شاء الله تعالى في باب صفة الجنة عند ذكر احوال القيامة وأهوالها . وقد ذكر الله تعالى موسى عليه السلام في القرآن كثيراً واثني عليه واورد قصته في كتابه العزيز مراراً وكررها كثيراً مطولة ومبسوطة ومختصرة واثني عليه بليغاً . وكثيراً ما يقرنه الله ويذكره ويذكر كتابه مع محمد (ص) وكتابه كما قال في سورة البقرة (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) وقال تعالى (ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام) وقال تعالى في سورة الانعام (وما قدموا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمت ما لم تعلموا انتم ولا آباءكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون . وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) فاثني تعالى على التوراة ثم مدح

القرآن العظيم مدحاً عظيماً وقال تعالى في آخرها ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة لعلمهم بلقاء ربهم يؤمنون . وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾ وقال تعالى في سورة المائدة ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ الى أن قال ﴿وليحكم أهل الأنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون . وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه الآية﴾ فجعل القرآن حاكماً على سائر الكتب غيره وجعله مصدقاً لها ومهيماً ما وقع فيها من التحريف والتبديل فإن أهل الكتاب استحفظوا على ما بأيديهم من الكتب فلم يقدرُوا على حفظها ولا على ضبطها وصونها فلماذا دخلها ما دخلها من تغييرهم وتبديلهم لسوء فهمهم وقصورهم في علومهم وردائهم قصودهم وخيانتهم لمعبودهم عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة ولهذا يوجد في كتبهم من الخطأ البين على الله وعلى رسوله ما لا يجد ولا يوصف ونملاً يوجد مثله ولا يعرف . وقال تعالى في سورة الانبياء ﴿ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياءً وذكرى للمتقين . الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون . وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفانتم له منكرون﴾ وقال الله تعالى في سورة القصص ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون . قل فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منها أتبعه إن كنتم صادقين﴾ . فأنشئ الله على الكتابين وعلى الرسولين عليهما السلام . وقالت الجن لقومهم إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى . وقال ورقة بن نوفل لما قص عليه رسول الله (ص) خبر ما رأى من الأول الوحي وتلا عليه ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم﴾ قال سبوح سبوح هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران . وبالجملة فشرية موسى عليه السلام كانت عظيمة وامته كانت أمة كثيرة ووجد فيها نبياء وعلماء وعباد وزهاد وأبباء وملوك وأمراء وسادات وكبراء . لكنهم كانوا فبادوا وتبدلوا كما بدت شريعتهم ومسحوا قرده وخنزير ثم نسخت بعد كل حساب ملتهم وجرت عليهم خطوب وأمور يطول ذكرها ولكن سنورد ما فيه مقنع لمن أراد أن يبلغه خبرها إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان

حجّة عليه السلام الى البيت الحرام

قال الامام احمد حدثنا هشام حدثنا داود بن أبي هند عن أبي العالية عن ابن عباس أن رسول الله (ص) مر بوادي الأزرق فقال أيّ واد هذا . قالوا وادي الأزرق . قال كافي أنظر الى موسى وهو هابط من الثنية وله جوار الى الله عز وجل بالتلبية حتى أتى على ثنية هرشاء . فقال أي ثنية هذه قالوا هذه ثنية هرشاء قال كافي أنظر الى يونس بن متى على ناقة حمراء عليه جبة من صوف خطام ناقته خلبة . قال هشيم يعني ليفاً وهو يلبي . أخرجه مسلم من حديث داود بن أبي هند به . وروى الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً إن موسى حج على ثور أحمر وهذا غريب جداً . وقال الامام احمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن ابن عون عن مجاهد قال كنا عند ابن عباس فذكروا الدجال فقال إنه مكتوب بين عينيه (ك ف ر) قال ما يقولون قال يقولون مكتوب بين عينيه (ك ف ر) فقال ابن عباس لم أسمعه قال ذلك ولكن . قال أما ابراهيم فانظروا الى صاحبكم . وأما موسى فرجل آدم جعد الشعر على جمل أحمر مخطوم بخلبة كافي أنظر اليه وقد انحدر من الوادي يلبي قال هشيم الخلبة الليف ثم رواه الامام احمد عن أسود عن إسرائيل عن عثمان بن المغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) رأيت عيسى بن مريم وموسى و ابراهيم فلما عيسى فابيض جعد عريض الصدر . وأما موسى فأدم جسيم . قالوا فابراهيم قال أنظروا الى صاحبكم . وقال الامام احمد حدثنا يونس حدثنا شيبان قال حدث قتادة عن أبي العالية حدثنا ابن عم نبيكم ابن عباس قال قال نبي الله (ص) رأيت ليلة أسرى بي موسى بن عمران رجلاً طوالاً جعداً كأنه من رجال شنؤة ورأيت عيسى بن مريم مربع الخلق الى الحمرة والبياض سبب الرأس وأخرجاه من حديث قتادة به . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر قال الزهري وأخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) حين أسرى به لقيت موسى فنفته فقال رجل قال حسبته قال مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنؤة . ولقيت عيسى . فنفته رسول الله (ص) فقال ربة أحمر كأنما خرج من ديماس يعني حماماً قال ورأيت ابراهيم وأنا أشبه ولد . به الحديث . وقد تقدم غالب هذه الاحاديث في ترجمة الخليل

ذكر وفاة عليه السلام

قال البخاري في صحيحه (وفاة موسى عليه السلام) حدثنا يحيى بن موسى حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال أرسل ملك الموت الى موسى عليه السلام فلما جاءه

صكه فرجع الى ربه عز وجل فقال أرسلتني الى عبد لا يريد الموت قال ارجع اليه قل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة . قال أي رب ثم ماذا قال ثم الموت قال فلا آن قال فسأل الله عز وجل أن يدينه من الارض المقدسة رمية بحجر . قال أبو هريرة فقال رسول الله (ص) : فلو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر . قالوا بنانا معمر عن هام عن أبي هريرة عن النبي (ص) نحوه . وقد روى مسلم الطريق الاول من حديث عبد الرزاق به ورواه الامام أحمد من حديث حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة مرفوعا وسيأتي . وقال الامام احمد حدثنا الحسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو يونس يعني سليم بن جبير عن أبي هريرة قال الامام أحمد لم يرفعه . قال جاء ملك الموت الى موسى عليه السلام فقال أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت فقأها . فرجع الملك الى الله فقال إنك بعثتني الى عبد لك لا يريد الموت . قال وقد فقأ عيني قال فرد الله عينه وقال ارجع الى عبدى قتل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعره فانك تعيش بها سنة قال ثم مه قال ثم الموت قال فلا آن يارب من قريب . تفرد به احمد وهو موقوف بهذا اللفظ . وقد رواه ابن حبان في صحيحه من طريق معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال معمر وأخبرني من سمع الحسن عن رسول الله فذكره ثم استشكاه ابن حبان وأجاب عنه بما حاصله أن ملك الموت لما قال له هذا لم يعرفه لمحيته له على غير صورة يعرفها موسى عليه السلام كما جاء جبريل في صورة أعرابي وكما وردت الملائكة على ابراهيم ولوط في صورة شباب فلم يعرفهم ابراهيم ولا لوط أزلا وكذلك موسى لعلمه لم يعرفه لذلك ولطمه فقأ عينه لانه دخل داره بغير أذنه وهذا موافق لشريعتنا في جواز فق عين من نظر اليك في دارك بغير اذن * ثم أورد الحديث من طريق عبد الرزاق عن معمر عن هام عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : جاء ملك الموت الى موسى ليقبض روحه قال له أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت فقأ عينه وذكر تمام الحديث كما أشار اليه البخاري ثم تأوله على أنه لما رفع يده ليلطمه قال له أجب ربك وهذا التأويل لا يتمشى على ماورد به اللفظ من تعقيب قوله أجب ربك بلطمه ولو أستمر على الجواب الاول لتمشى له وكأنه لم يعرفه في تلك الصورة ولم يحمل قوله هذا على أنه مطابق اذ لم يتحقق في الساعة الراهنة أنه ملك كريم لانه كان يرجو أمورا كثيرة كان يحب وقوعها في حياته من خروجه من التيه ودخولهم الارض المقدسة وكان قد سبق في قدرة الله أنه عليه السلام يموت في التيه بعد هرون أخيه كما سنبينه إن شاء الله تعالى . وقد زعم بعضهم أن موسى عليه السلام هو الذي خرج بهم من التيه ودخل بهم الارض المقدسة . وهذا خلاف ما عليه أهل الكتاب وجمهور المسلمين . ومما يدل على ذلك قوله لما اختار الموت رب أدتني الى الارض المقدسة رمية حجر . ولو كان قد دخلها لم يسأل ذلك ولكن لما كان مع قومه بالتية وحانت وفاته عليه

السلام أحب أن يتقرب الى الارض التي هاجر اليها وحث قومه عليها ولكن حال بينهم وبينها القدر رمية بحجر ولهذا قال سيد البشر . ورسول الله الى أهل الوبر والمدن . فلو كنت ثم لاريتكم قبره عند الكتيب الاحمر . وقال الامام حدثنا عفان حدثنا حماد حدثنا ثابت وسليمان التيمي عن أنس بن مالك إن رسول الله (ص) قال لما أسرى بي مررت بموسى وهو قائم يصلى في قبره عند الكتيب الاحمر ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به وقال السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة قالوا ثم إن الله تعالى أوحى الى موسى إني متوف هرون فأتى به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فاذا هم بشجرة لم تر شجرة مثلها واذا هم بيت مبني واذا هم بسرير عليه فرش واذا فيه ريح طيبة فلما نظر هرون الى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه قال يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السرير قال له موسى قم عليه قال إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب على قال له لا ترهب أنا كفيك رب هذا البيت قم . قال يا موسى نم معي فان جاء رب هذا البيت غضب على وعليك جميعاً . فلما ناما أخذ هرون الموت فلما وجد حسه قال يا موسى خدعتني فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به الى السماء فلما رجع موسى الى قومه وليس معه هرون قالوا فان موسى قتل هرون وحسده حب بنى إسرائيل له وكان هرون أكف عنهم والين لهم من موسى وكان في موسى بعض الغلظة عليهم فلما بلغه ذلك قال لهم ويحكم كن أخي أفتروني أقتله . فلما أكثروا عليه قام فضلى ركعتين ثم دعا الله فزل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض . ثم إن موسى عليه السلام بينما هو يمشى ويوشع فتاه اذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر اليها يوشع ظن أنها الساعة فالتزم موسى وقال تقوم الساعة وأنا ملتزم موسى نبي الله فاستل موسى عليه السلام من تحت القميص وترك القميص في يدي يوشع . فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو إسرائيل وقالوا قتلت نبي الله . فقال لا والله ماقتلته ولكنه أستل مني فلم يصدقوه وأرادوا قتله . قال فاذا لم تصدقوني فاخروني ثلاثة أيام فدعا الله فأتى كل رجل ممن كان يحرسه في المنام فأخبر أن يوشع لم يقتل موسى وإنما قد رفعناه الينا فتركوه ولم يبق احد ممن أتى أن يدخل قرية الجبارين مع موسى الامات ولم يشهد الفتح وفي بعض هذا السياق نكارة وغرابة والله أعلم . وقد قدمنا أنه لم يخرج احد من التيه ممن كان مع موسى سوى يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وهو زوج مريم أخت موسى وهرون وهما الرجلان المذكوران فيما تقدم اللذان أشارا على ملائكة بني إسرائيل بالدخول عليهم وذكر وهب بن منبه أن موسى عليه السلام مر بملا من الملائكة يحفرون قبوراً فلم يرا حسن منه ولا أنضر ولا أبهج فقال يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد من عباد الله كريم فان كنت تحب أن تكون هذا العبد فادخل هذا القبر وتمدد فيه وتوجه الى ربك وتنفس أسهل تنفس ففعل ذلك فمات صلوات الله

وسلامه عليه فصلت عليه الملائكة ودفنوه* وذكروا أهل الكتاب وغيرهم أنه مات وعمره مائة وعشرون سنة وقد قال الامام أحمد حدثنا أمية بن خالد ويونس قالا حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال يونس رفع هذا الحديث الى النبي (ص) قال كان ملك الموت يأتي الناس عيانا قال فأتى موسى عليه السلام فلطمه فقأ عينه فأتى ربه فقال يارب عبدك موسى فقأ عيني ولولا كرامته عليك لتمت عليه . وقال يونس لشقت عليه . قال له اذهب الى عبدى . قتل له فليضع يده على جلد (أو) مسك ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة فاتاه فقال له فقال ما بعد هذا قال الموت قال فالان قال فشمة شمة قبض روحه . قال يونس فرد الله عليه عينه وكان يأتي الناس خفية * وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن مصعب بن المقدم عن حماد بن سلمة به فرغه أيضا

نبوة يوسع وقيامه باجبا ونبى سيد السبل بعزى وهرود

هو يوشع بن نون بن أفرايم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام واهل الكتاب يقولون يوشع بن عم هود وقد ذكره الله تعالى في القرآن غير مصرح باسمه في قصة الخضر كما تقدم من قوله (واذ قال موسى لفتاه* فلما جاوزا قال لفتاه) وقد منا ما ثبت في الصحيح من روايته أبي ابن كعب رضى الله عنه عن النبي (ص) من أنه يوشع بن نون وهو متفق على نبوته عند أهل الكتاب فان طائفة منهم وهم السامرة لا يقرون بنبوة أحد بعد موسى الا يوشع بن نون لانه مصرح به في التوراة ويكفرون بما وراءه وهو الحق من ربهم فعليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة .

واما ما حكاه ابن جرير وغيره من المفسرين عن محمد بن اسحق من أن النبوة حولت من موسى الى يوشع في آخر عمر موسى فكان موسى يلقى يوشع فيسأله ما احدث الله من الاوامر والنواهي حتى قال له يا كليم الله انى كنت لا اسألك عما يوحى الله اليك حتى تخبرنى انت ابتداء من تلقاء نفسك فعند ذلك كره موسى الحياة واحب الموت فى هذا نظر لأن موسى عليه السلام لم يزل الأمر والوحى والتشريع والكلام من الله اليه من جميع أحواله حتى توفاه الله عز وجل ولم يزل معززا مكرما مددلا وجيها عند الله كما قدمنا فى الصحيح من قصة فقته عين ملك الموت ثم بعثه الله اله ان كان يريد الحياة فليضع يده على جلد ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة يعيشها قال ثم ماذا قال الموت قال فالان يارب وسأل الله ان يدنيه الى بيت المقدس رمية بحجر وقد اجيب الى ذلك صلوات الله وسلامه عليه

فهذا الذي ذكره محمد بن اسحق إن كان إنما يقوله من كتب أهل الكتاب ففي كتابهم الذي يسمونه التوراة أن الوحي لم يزل ينزل على موسى في كل حين يحتاجون إليه إلى آخر مدة موسى كما هو المعلوم من سياق كتابهم عند تبوت الشهادة في قبة الزمان . وقد ذكروا في السفر الثالث أن الله أمر موسى وهاورن أن يعدا ابني إسرائيل على أسباطهم وأن يجعلوا على كل سبط من الاثني عشر أميراً وهو النقيب وما ذاك الا ليتأهبوا للقتال قتال الجبارين عند الخروج من التيه وكان هذا عند اقتراب اقضاء الاربعين سنة . ولهذا قال بعضهم إنما قفا موسى عليه السلام عين ملك الموت لانه لم يعرفه في صورته تلك ولأنه كان قد أمر بأمر كان يرتجى وقوعه في زمانه ولم يكن في قدر الله أن يقع ذلك في زمانه بل في زمان قناه بوشع بن نون عليه السلام كما أن رسول الله (ص) كان قد أراد غزو الروم بالشام فوصل إلى تبوك ثم رجع عامه ذلك في سنة تسع . ثم حج في سنة عشر ثم رجع فجهز . جيش أسامة إلى الشام طليعة بين يديه ثم كان على عزم الخروج اليهم امثالاً لقوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ولما جهز رسول الله جيش أسامة توفي عليه الصلاة والسلام واسامة مخيم بلجرف فنفته صديقه وخليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم لما لم شمت جزيرة العرب وما كان دهي من أمر اهلها وعاد الحق إلى نصابه جهز الجيوش بمئة ويسرة إلى العراق أصحاب كسرى ملك الفرس وإلى الشام أصحاب قيصر ملك الروم ففتح الله لهم ومكن لهم وبهم وملكهم نواصي اعدائهم كما سنورده عليك في موضعه اذا انتهينا إليه مفصلاً إن شاء الله بعونه وتوفيقه وحسن ارشاده * وهكذا موسى عليه السلام كان الله قد أمره أن يجند بني إسرائيل وأن يجعل عليهم قباء كما قال تعالى (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبشنا منهم اثني عشر قبياً) وقال الله (إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزتموه وأقرضتم الله قرضاً حسناً لا كفرن عنكم سياتكم ولا دخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) يقول لهم لئن قمتم بما أوجبت عليكم ولم تنكروا عن القتال كما نكلتم أول مرة لاجملن ثواب هذه مكفراً لما وقع عليكم من عقاب تلك كما قال تعالى لمن تخلف من الاعراب عن رسول الله (ص) في غزوة الحديبية « قل للمخلفين من الاعراب استدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليت من قبل يندبكم عذاباً أليماً » وهكذا قال تعالى لبني إسرائيل (فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) ثم ذمهم تعالى على سوء صنيعهم وقضهم موافقتهم كما ذم من بدم من النصارى على اختلافهم في دينهم وأدياتهم . وقد ذكرنا ذلك في التفسير مستقصى والله الحمد .

والمقصود أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يكتب أسماء المقاتلة من بني إسرائيل ممن يحمل

السلح وبقائل ممن بلغ عشرين سنة فصاعدا وأن يجعل على كل سبط قريبا منهم . السبط الاول سبط رويل لانه بكر يعقوب كان عدة المقاتلة منهم ستة وأربعين الفا وخمسة . وقيهم منهم وهو اليصور ابن شديشورا . السبط الثاني سبط شمعون وكانوا تسعة وخمسين الفا وثلاثمائة . وقيهم شلوميثيل بن هوريشداى . السبط الثالث سبط يهوذا وكانوا أربعة وسبعين الفا وستائة . وقيهم نحشون بن عميناداب . السبط الرابع سبط ايساخر وكانوا أربعة وخمسين الفا وأربعمائة وقيهم نشائيل بن صوغر . السبط الخامس سبط يوسف عليه السلام وكانوا أربعين الفا وخمسة وقيهم يوشع بن نون . السبط السادس سبط ميشا وكانوا أحدا وثلاثين الفا ومائتين وقيهم جليثيل بن فدهصور . السبط السابع سبط بنيامين وكانوا خمسة وثلاثين الفا وأربعمائة وقيهم أيدن بن جدعون . السبط الثامن سبط حاد وكانوا خمسة وأربعة الفا وستائة وخمسين رجلا وقيهم الياساف بن رعوثيل . السبط التاسع سبط أشير وكانوا أحدا وأربعين الفا وخمسة وقيهم فجعيثيل بن عكرن . السبط العاشر سبط دان وكانوا إثنين وستين الفا وسبعمائة وقيهم أخيعزر ابن عمشداى . السبط الحادى عشر سبط نفتالى وكانوا ثلاثة وخمسين الفا وأربعمائة . وقيهم أخيرع بن عين السبط الثانى عشر سبط زبولون وكانوا سبعة وخمسين الفا وأربعمائة وقيهم الباب بن حيلون . هذا نص كتابهم الذى بأيديهم والله أعلم . وليس منهم بنو لاوى فامر الله موسى أن لا يعدم معهم لانهم موكلون بحمل قبة الشهادة وضربها ونصبها وحملها اذا ارنحلوا وهم سبط موسى وهرون عليهما السلام وكانوا اثنين وعشرين الفا من ابن شهر فما فوق ذلك * وهم فى أنفسهم قبائل الى كل قبيلة طائفة من قبة الزمان يحرسونها ويحفظونها ويقومون بمصالحها ونصبها وحملها وهم كلهم حولها ينزلون ويرتحلون أمامها ويمنتها وشمالها ووراءها . وجملة ما ذكر من المقاتلة غير بنى لاوى خمسة الف وأحد وسبعون الفا وستائة وستة وخمسون لكن قالوا فكان عدد بنى إسرائيل ممن عمره عشرون سنة فما فوق ذلك ممن حمل السلح ستائة الف وثلاثة الآف وخمسة وخمسين رجلا سوى بنى لاوى وفى هذا نظر فان جميع الجبل المتقدمة إن كانت كما وجدنا فى كتابهم لا تطابق الجملة التى ذكرها والله أعلم . فكان بنو لاوى الموكلون بحفظ قبة الزمان يسرون فى وسط بنى إسرائيل وهم القلب ورأس الميمنة بنو رويل ورأس الميسرة بنوران وبنو نفتالى يكونون ساقه وقرر موسى عليه السلام بامر الله تعالى له الكهانة فى بنى هرون كما كانت لا يهيم من قبلهم وهم نداداب وهو بكره وأبيهو والمازر وبشر . والمقصود أن بنى إسرائيل لم يبق منهم أحد ممن كان نكل عن دخول مدينة الجبارين الذين قالوا (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) قاله الثورى عن أبى سعيد عن عكرمة عن ابن عباس وقاله قتادة وعكرمة ورواه السدى عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة حتى قال ابن عباس وغيره من علماء السلف والخلف ومات موسى وهرون قبله كلاهما فى التيه جميعا وقد زعم ابن اسحق أن الذى فتح بيت المقدس

هو موسى وإنما كان يوشع على مقدمته وذكر في سروره إليها قصة بلعام بن باعور الذي قال تعالى فيه
(وأتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفضناه بها
ولكنه أخذ إلى الأرض واتبع هواه فمثل كمثل الكلب ان يحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث . ذلك
مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون . ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا
وأفسهم كانوا يظلمون) وقد ذكرنا قصته في التفسير وأنه كان فيما قاله ابن عباس وغيره يعلم الاسم
الاعظم وأن قومه سألوه أن يدعو على موسى وقومه فامتنع عليهم ولما الحوا عليه ركب حمارة له . ثم
سار نحو معسكر بني إسرائيل فلما أشرف عليهم ربضت به حمارته فضربها حتى قامت فسارت غير بعيد
وربضت فضربها ضرباً أشد من الأول فقامت ثم ربضت فضربها فقالت له يا بلعام أين تذهب أما ترى
الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم فلم ينزع عنها فضربها
حتى سارت به حتى أشرف عليهم من رأس جبل حسان . ونظر إلى معسكر موسى وبني إسرائيل فاخذ
يدعو عليهم فجعل لسانه لا يطيعه إلا أن يدعو لموسى وقومه ويدعو على قوم نفسه فلاموه على ذلك فاعتذر
إليهم بأنه لا يجري على لسانه إلا هذا واندد لسانه حتى وقع على صدره وقال لقومه ذهبت مني الآن
الدنيا والآخرة ولم يبق إلا المكر والحيلة . ثم أمر قومه أن يزبنوا النساء ويعشوهن بالامتنع يعن
عليهم ويتعرضن لهم حتى لعلهم يقعون في الزنا فانه متى زنى رجل منهم كفيتموم ففعلوا وزبنوا نساءهم
وعشوهن إلى المعسكر فموتت امرأة منهم اسمها كستي برجل من عطاء بني إسرائيل وهو زمرى بن شلوم .
يقال إنه كان رأس سبط بني شمعون بن يعقوب فدخل بها قبته فلما خلاها أرسل الله الطاعون على
بني إسرائيل فجعل يحوس فيهم فلما بلغ الخبر إلى فنحاص بن العزار بن هرون أخذ حربته وكانت من
حديد فدخل عليها القبة فاتنظمها جميعاً فيها ثم خرج بهما على الناس والحربة في يده وقد اعتمد على
خاصرته وأسندها إلى حيطته ورفضها نحو السماء وجعل يقول اللهم هكذا فضل بمن يمصيك ورفع الطاعون
فكان جملة من مات في تلك الساعة سبعين الفا والمقل يقول عشرين الفا وكان فنحاص بكر أبيه العزار
ابن هرون فلماذا يجعل بنو إسرائيل لولد فنحاص من الذبيحة اللية والذراع واللحى ولحم البكر من كل
أموالهم وأفسهم . وهذا الذي ذكره ابن اسحق من قصة بلعام صحيح قد ذكره غير واحد من علماء
السلف لكن لعله لما أراد موسى دخول بيت المقدس أول مقدمه من الديار المصرية ولعله مراد ابن
اسحاق ولكنه ما فهمه بعض الناقلين عنه وقد قدمنا عن نص التوراة ما يشهد لبعض هذا والله أعلم . ولعل
هذه قصة أخرى كانت في خلال سيرهم في التيه فان في هذا السياق ذكر حسان وهي بيعة عن أرض
بيت المقدس أو لعله كان هذا جيش موسى الذين عليهم يوشع بن نون حين خرج بهم من التيه قاصداً
بيت المقدس كما صرح به السدي . والله أعلم . وعلى كل تقدير فالذي عليه الجمهور أن هرون توفي بالتيه

قبل موسى أخيه بنحو من سنتين . وبعده موسى في التيه أيضا كما قدمنا وانه سأل ربه أن يقرب إلى بيت المقدس فأجيب إلى ذلك فكان الذي خرج بهم من التيه وقصد بهم بيت المقدس هو يوشع بن نون عليه السلام قد ذكر أهل الكتاب وغيرهم من أهل التاريخ أنه قطع بنى اسرائيل نهر الاردن واتي إلى أريحا وكانت من أحصن المدائن سوراً واعلاها قصوراً واكثرها أهلاً فحاصرها ستة أشهر . ثم إنهم أحاطوا بها يوماً وضربوا بالقرون يعني الابواق وكبروا تكبيرة رجل واحد فتفسخ سورها وسقط وجبة واحدة فدخلوها وأخذوا ما وجدوا فيها من الغنائم وقتلوا اثني عشر ألفاً من الرجال والنساء وحاربوا ملوكاً كثيرة . ويقال إن يوشع ظهر على أحد وثلاثين ملكاً من ملوك الشام . وذكروا أنه انتهى محاصرته لها إلى يوم الجمعة بعد العصر . فلما غربت الشمس أو كادت تقرب ويدخل عليهم السبت الذي جعل عليهم وشرع لهم ذلك الزمان قال لما إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على فحسبها الله عليه حتى تمكن من فتح البلد وأمر القمر فوقف عند الطلوع وهذا يقتضى أن هذه الليلة كانت الليلة الرابعة عشرة من الشهر والاول وهو قصة الشمس المذكورة في الحديث الذي سأذكره . وأما قصة القمر فمن عند أهل الكتاب ولاينا في الحديث بل فيه زيادة تستفاد فلا تصدق ولا تكذب ولكن ذكرهم أن هذا في فتح اريحا فيه نظر والاشبه والله أعلم أن هذا كان في فتح بيت المقدس الذي هو المقصود الأعظم وفتح اريحا كان وسيلة إليه والله أعلم .

قال الإمام احمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا أبو بكر عن هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : إن الشمس لم تجبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس . انفرد به احمد من هذا الوجه وهو على شرط البخارى . وفيه دلالة على أن الذي فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون عليه السلام لا موسى وان حبس الشمس كان في فتح بيت المقدس لا اريحا كما قلنا . وفيه أن هذا كان من خصائص يوشع عليه السلام فيدل على ضعف الحديث الذي روينا أن الشمس رجعت حتى صلى على بن أبي طالب صلاة العصر بعد ما فاتته بسبب نوم النبي (ص) على ركبته فسأل رسول الله أن يردها عليه حتى يصلى العصر فرجعت . وقد صححه على بن صالح المصرى ولكنه منكر ليس في شيء من الصحاح ولا الحسان وهو مما تتوفر الدواعى على نقله وتفردت بنقله امرأة من أهل البيت مجهولة لا يعرف حالها والله أعلم . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : غزا نبي من الانبياء فقال لقومه لا يتبعنى رجل قد ملك بضم امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولما بين . ولا آخر قد بنى بنيانا ولم يرفع سقفها ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر أولادها فغزا فدنا من القرية حين صلى العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على شيئاً فحسبت عليه حتى فتح الله عليه فجمعوا ما غنموا فانت النار لنا كاه فابت أن تطعمه

فقال فيكم غلول فليبايعني من كل قبيلة رجل فبايعوه فلصقت يد رجل يده فقال فيكم الغلول ولتبايعني
 قبيلتك فبايعته قبيلته فلصق يد رجلين أو ثلاثة فقال فيكم الغلول أنتم غلالم فأخرجوا له مثل رأس بقرة
 من ذهب قال فوضعه بالمال وهو بالصعيد فاقبلت النار فأكته فلم تحمل الغنائم لاحد من قبلنا ذلك بأن الله
 رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا . انفرد به مسلم من هذا الوجه . وقد روى البزار من طريق مبارك بن فضالة
 عن عبيد الله عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي (س) نحوه . قال ورواه محمد بن عجلان عن
 سعيد المقبري قال ورواه قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي (س) . والمقصود أنه لما
 دخل بهم باب المدينة أسروا أن يدخلوها سجداً أي ركعتين متواضعتين شاكرين لله عز وجل على ما من به
 عليهم من الفتح العظيم الذي كان الله وعدم إياه وان يقولوا حال دخولهم حطة أي حط عنا خطيانا التي
 سلفت من نكولنا الذي تقدم منا . ولهذا لما دخل رسول الله (س) مكة يوم فتحها دخلها وهو
 راكب ناقته وهو متواضع حامد شاكر حتى أن عشقونه وهو طرف لحيته ليس مورك رحله مما يطأطن
 رأسه خضعاً لله عز وجل ومعه الجنود والجيش من لا يرى منه إلا الحدق ولا سباً الكتيبة الخضراء
 التي فيها رسول الله (س) ثم لما دخلها اغتسل وصلى ثماني ركعات وهي صلاة الشكر على النصر على
 المنصور من قولى العلماء . وقيل إنها صلاة الضحى وما حمل هذا القائل على قوله هذا إلا لأنها وقت
 وقت الضحى . وأما بنو إسرائيل فاتهم خالفوا ما أسروا به قولاً وفعلاً دخلوا الباب يزحفون على
 استاهم يقولون حبة في شعرة وفي رواية حنطة في شعرة . وحاصله أنهم بدلوا ما أسروا به واستهزؤا به
 كما قال تعالى حاكياً عنهم في سورة الاعراف وهي مكة (وإذا قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها
 حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا
 منهم قولاً غير الذي قيل لهم فإرسلنا عليهم رجلاً من السماء بما كانوا يظلمون) وقال في سورة البقرة
 وهي مدنية مخاطباً لهم (وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً
 وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فإرسلنا على
 الذين ظلموا رجلاً من السماء بما كانوا يفسقون) . وقال الثوري عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن
 سعيد بن جبير عن ابن عباس وادخلوا الباب سجداً قال ركعا من باب صغير . رواه الحاكم وابن جرير
 وابن أبي حاتم وكذا روى العوفي عن ابن عباس وكذا روى الثوري عن ابن اسحاق عن البراء . قال
 مجاهد والسدى والضحاك والباب هو باب حطة من بيت ايلياء بيت المقدس . قال ابن مسعود فدخلوا
 مقنعي رؤوسهم ضد ما أسروا به وهذا لا ينافي قول ابن عباس أنهم دخلوا يزحفون على استاهم . وهكذا
 في الحديث الذي سنورده بعد فاتهم دخلوا يزحفون وهم مقنعوا رؤوسهم . وقوله وقولوا حطة الواو هنا
 حالة لا عاطفة أي ادخلوا سجداً في حال قولكم حطة . قال ابن عباس وعطاء والحسن وقتادة والربيع

أمروا أن يستغفروا * قال البخاري حدثنا محمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي (ص)، قال قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فدخلوا يزحفون على استاهم فبدلوا وقالوا حطة حبة في شعرة . وكذا رواه النسائي من حديث ابن المبارك بعضه ورواه عن محمد بن اسماعيل بن إبراهيم عن ابن مهدي به موقوفا . وقد قال عبدالرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله (ص) : قال الله لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على استاهم فقالوا حبة في شعرة . ورواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث عبد الرزاق وقال الترمذي حسن صحيح . وقال محمد بن اسحاق كان تبديلهم كما حدثني صالح بن كيسان عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة وعن لا اتهم عن ابن عباس أن رسول الله (ص)، قال دخلوا الباب الذي أمروا أن يدخلوا فيه سجدا يزحفون على استاهم وهم يقولون حنطة في شعيرة . وقال اسباط عن السدي عن مرة عن ابن مسعود قال في قوله (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) قال قالوا (هطى سقانا أزمة مزبا) فهي في العربية (حبة حنطة حمراء متقوية فيها شعرة سوداء) وقد ذكر الله تعالى أنه عاقبهم على هذه المخالفة بإرسال الرجز الذي أنزله عليهم وهو الطاعون كما ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن عامر بن سعد ومن حديث مالك عن محمد بن المنكدر وسالم أبي النضر عن عامر بن سعد عن أسامة بن زيد عن رسول الله (ص)، أنه قال إن هذا الوجع (أو) السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم وري النسائي وابن أبي حاتم وهذا لفظه من حديث الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه وأسامة بن زيد وخزيمة بن ثابت قالوا قال رسول الله (ص)، الطاعون رجز عذاب عذب به من كان قبلكم وقال الضحاك عن ابن عباس الرجز العذاب . وكذا قال مجاهد وأبو مالك والسدي والحسن وقتادة وقال أبو العالية هو الغضب . وقال الشعبي الرجز إما الطاعون وإما البرد . وقال سعيد بن جبير هو الطاعون . ولما استقرت يد بني إسرائيل على بيت المقدس أستمروا فيه وبين أظهرهم نبي الله يوشع يحكم بينهم بكتاب الله التوراة حتى قبضه الله إليه وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة فكان مدة حياته بعد موسى سبعا وعشرين سنة

قصص الخضر والكس علىهما السلام

أما الخضر فقد تقدم أن موسى عليه السلام رحل إليه في طلب ما عنده من العلم اللدني وقص الله من خبرهما في كتابه العزيز في سورة الكهف وذكرنا في تفسير ذلك هنالك وأوردنا هنا ذكر الحديث

المصرح بذكر الخضر عليه السلام وأن الذي رحل اليه هو موسى بن عمران نبي بني إسرائيل عليه السلام الذي أنزلت عليه التوراة .

وقد اختلف في الخضر في اسمه ونسبه ونبوته وحياته الى الآن على أقوال ساذ كرها لك هنا إن شاء الله وبحوله وقوته * قال الحافظ ابن عساكر يقال إنه الخضر بن آدم عليه السلام لصلبه ثم روى من طريق الدار قطنى حدثنا محمد بن الفتح القلانسي حدثنا العباس بن عبد الله الرومي حدثنا رواد بن الجراح حدثنا مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس قال الخضر ابن آدم لصلبه ونسبه له في أجله حتى يكذب الدجال وهذا منقطع وغريب . وقال أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني سمعت مشيختنا منهم أبو عبيدة وغيره قالوا إن أطول بني آدم عمراً الخضر وإسمه خضرون بن قاييل بن آدم قال وذكر ابن اسحق أن آدم عليه السلام لما حضرته الوفاة أخبر بنيه أن الطوفان سيقع بالناس وأوصاهم إذا كان ذلك أن يحملوا جسده معهم في السفينة وأن يدفنوه في مكان عينه لهم . فلما كان الطوفان حلوه معهم فلما هبطوا الى الأرض أمر نوح بنيه أن يذهبوا بيده فيدفنوه حيث أوصى فقالوا إن الأرض ليس بها أنيس وعليها وحشة فحرضهم وحشهم على ذلك . وقال إن آدم دعا لمن يلي دفنه بطول العمر فهاجوا المسير الى ذلك الموضع في ذلك الوقت فلم يزل جسده عندهم حتى كان الخضر هو الذي تولى دفنه وأبجز الله ما وعده فهو يحيى الى ما شاء الله له أن يحيى . وذكر ابن قتيبة في المعارف عن وهب بن منبه أن اسم الخضر بلياء ويقال ايليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام . وقال اسماعيل بن أبي أويس اسم الخضر فيما بلغنا والله أعلم المعمر بن مالك بن عبد الله بن نصر بن لاذد . وقال غيره هو خضرون بن عميايل بن اليفز بن العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل . ويقال هو أرميا بن خلقيا فله أعلم . وقيل إنه كان ابن فرعون صاحب موسى ملك مصر وهذا غريب جدا . قال ابن الجوزي رواه محمد بن أيوب عن ابن لهيعة وهما ضعيفان . وقيل إنه ابن مالك . وهو أخو الياس قاله السدي كما سيأتي . وقيل انه كان على مقدمة ذى القرنين . وقيل كان ابن بعض من آمن براهيم الخليل وهاجر معه وقيل كان نبياً في زمن بشتاسب بن لهراسب قال ابن جرير والصحيح أنه كان متقدماً في زمن أفريدون ابن اثنيان حتى أدركه موسى عليهما السلام . وروى الحافظ ابن عساكر عن سعيد بن المسيب أنه قال الخضر أمه رومية وأبوه فارسي وقد ورد ما يدل على أنه كان من بني إسرائيل في زمان فرعون أيضا . قال أبو زرعة في دلائل النبوة حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي حدثنا الوليد حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله (ص) أنه ليلة أسرى به وجد رائحة طيبة فقال يا جبريل ماهذه الرائحة الطيبة قال هذه ريح قبر الماشطة وأبتها وزوجها وقال وكان بدء ذلك أن الخضر كان من

أشرف بنى إسرائيل وكان عمره براهب في صومعته فتطلع عليه الراهب فعلمه الاسلام فلما بلغ الخضر
 زوجه أبوه امرأة فعلمها الاسلام وأخذ عليها أن لا تعلم أحدا وكان لا يقرب النساء ثم طلقها ثم زوجه
 أبوه باخرى فعلمها الاسلام وأخذ عليها أن لا تعلم أحداً ثم طلقها فكتمت إحداهما وأفشت عليه
 الاخرى فانطلق هاربا حتى أتى جزيرة في البحر فاقبل رجلان محتطبان فرأياه فكتم أحدهما وأفشى
 عليه الآخر قال قد رأيت العزقييل ومن رآه معك قال فلان فسئل فكتم وكان من دينهم انه من
 كذب قتل قتل وكان قد تزوج الكاتمة المرأة الكاتمة قال فبينما هي تمشط بنت فرعون اذ سقط المشط
 من يدها فقالت نس فرعون فاخبرت أباهما وكان للمرأة ابنان وزوج فارسل اليهم فراود المرأة وزوجها
 أن يرجعا عن دينهما فايها فقال إني قاتلكما فقالا احسان منك الينا إن أنت قتلتنا أن تجعلنا في قبر
 واحد فجعلهما في قبر واحد فقال وما وجدت ريحا أطيب منهما وقد دخلت الجنة وقد تقدمت قصة
 مائة بنت فرعون وهذا المشط في أمر الخضر قد يكون مدرجا من كلام أبي بن كعب أو عبد الله بن
 عباس والله أعلم . وقال بعضهم كنيته أبو العباس والاشبه والله أعلم أن الخضر لقب غلب عليه . قال
 البخارى رحمه الله حدثنا محمد بن سعيد الاصبهاني حدثنا ابن المبارك عن معمر عن همام عن أبي هريرة
 عن النبي (ص) قال إنما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز من خلفه خضراء تفرد به
 البخارى وكذلك رواه عبدالرزاق عن معمر به . ثم قال عبد الرزاق الفروة الحشيش الابيض وما أشبهه
 يعنى المشيم اليابس . وقال الخطابي وقال أبو عمر الفروة الأرض البيضاء التى لانبات فيها وقال غيره هو
 المشيم اليابس شبهه بالفروة ومنه قيل فروة الرأس وهى جلده بما عليها من الشعر كما قال الراعى .

ولقد ترى الحبشيَّ حولَ بيوتنا جَنِيلاً إذا مانالَ يوماً ما كلاً
 جِداً أصك كلُّ فِروة رأيه بُدِرَتْ فَأَنْبَتَ جَانِبَاهُ فُلُقُلاً

قال الخطابي إنما سمي الخضر خضرا لحسنه واشراق وجهه * قلت هذا لا ينافى ما ثبت في الصحيح
 فان كان ولا بد من التعليل باحدهما فما ثبت في الصحيح أولى وأقوى بل لا يلتفت الى ما عداه وقد
 روى الحافظ ابن عساكر هذا الحديث أيضاً من طريق اسماعيل بن حفص بن عمر الايلي حدثنا عثمان
 وأبو جزى وهمام بن يحيى عن قتادة عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن ابن عباس عن النبي (ص)
 قال إنما سمي الخضر خضرا لانه صلى على فروة بيضاء فاهتزت خضراء . وهذا غريب من هذا الوجه
 وقال قبيصة عن الثوري عن منصور عن مجاهد قال إنما سمي الخضر لانه كان اذا صلى اخضر ماحوله
 وتقدم أن موسى وبوشع عليهما السلام لما رجعا يقصان الأثر وجداه على طنفسة خضراء على كبد البحر
 وهو مسجى بثوب قد جعل طرفاه من تحت رأسه وقدميه فسلم عليه السلام فكشف عن وجهه فرد وقال
 أنى بروضك السلام من أنت قال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل قال نعم فكان من أمرها ما قصه

الله في كتابه عنهما .

وقد دل سباق القصة على نبوته من وجوه . أحدها قوله تعالى (فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلماها من من لدنا علما) الثاني قول موسى له (هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً . قال إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً . قال مستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً . قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً) فلو كان ولياً وليس بنبي لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة ولم يرد على موسى هذا الرد بل موسى إنما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به دونه فلو كان غير نبي لم يكن معصوماً ولم تكن لموسى وهو نبي عظيم ورسول كريم واجب العصمة كبير رغبة ولا عظيم طلبه في علم ولي غير واجب العصمة ولما عزم على الذهاب إليه والتفتيش عليه ولو أنه يمضي حقاً من الزمان قيل ثمانين سنة ثم لما اجتمع به تواضع له وعظمه واتبعه في صورة مستفيد منه دل على أنه نبي مثله يوحى إليه كما يوحى إليه وقد خص من العلوم اللدنية والاسرار النبوية بما لم يطلع الله عليه موسى الكليم نبي بني إسرائيل الكريم وقد احتج بهذا المسلك بعينه الرماني (١) على نبوة الخضر عليه السلام . الثالث أن الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام وما ذاك إلا للوحى إليه من الملك العلام * وهذا دليل مستقل على نبوته . وبرهان ظاهر على عصمته لان الولي لا يجوز له الاقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقى في خلد له لان خاطره ليس بواجب العصمة اذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق . ولما أقدم الخضر على قتل ذلك الغلام الذي لم يبلغ الحلم علماً منه بانه اذا بلغ يكفر ويحمل أبويه عن الكفر لشدة محبتهم له فيتابعانه عليه في قتله مصلحة عظيمة تربو على بقاء مهجته صيانة لأبويه عن الوقوع في الكفر وعقوبته دل ذلك على نبوته وانه مؤيد من الله بعصمته . وقد رأيت الشيخ أبا الفرج ابن الجوزي طرق هذا المسلك بعينه في الاحتجاج على نبوة الخضر وصححه . وحكى الاحتجاج عليه الرماني أيضاً . الرابع أنه لما فسر الخضر تأويل تلك الافاعيل لموسى ووضح له عن حقيقة أمره وجلى قال بعد ذلك كاه (رحمة من ربك وما فعلته من أمرى) يعني ما فعلته من تلقاء نفسي بل أمرت به وأوحى الي فيه فدلّت هذه الوجوه على نبوته * ولا ينافي ذلك حصول ولايته بل ولا رسالته كما قاله آخرون . وأما كونه ملكاً من الملائكة فغريب جداً . واذا ثبت نبوته كما ذكرناه لم يبق لمن قال بولايته وان الولي قد يطلع على حقيقة الامور دون أرباب الشرع الظاهر مستند يستندون اليه ولا معتمد يعتمدون عليه .

وأما الخلاف في وجوده الى زماننا هذا فالجمهور على انه باق الى اليوم . قيل لانه دفن آدم بعد خروجهم من الطوفان فنالته دعوة أبيه آدم بطول الحياة . وقيل لانه شرب من عين الحياة فحي .

وذكروا أخباراً استشهدوا بها على بقائه الى الآن وسنوردها إن شاء الله تعالى وبه الثقة وهذه وصيته لموسى حين (قال هذا فراق بيني وبينك سأبشكم بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) روى في ذلك آثار منقطعة كثيرة . قال البيهقي أنا أبو سعيد بن أبي عمرو حدثنا أبو عبد الله الصفار حدثنا أبو بكر ابن أبي الدنيا حدثنا اسحاق بن اسماعيل حدثنا جرير حدثني أبو عبد الله الملقب قال لما أراد موسى أن يفارق الخضر قال له موسى أوصني قال كن نفاعاً ولا تكن ضاراً . كن بشاشاً ولا تكن غضبان . ارجع عن اللباجة ولا تمس في غير حاجة . وفي رواية من طريق أخرى زيادة (ولا تضحك إلا من عجب) . وقال وهب بن منبه قال الخضر يا موسى إن الناس معذبون في الدنيا على قدر همومهم بها وقال بشر بن الحارث الخافي قال موسى للخضر أوصني فقال يسر الله عليك طاعته . وقد ورد في ذلك حديث مرفوع رواه ابن عساكر من طريق ذكره ابن يحيى الوقاد إلا أنه من الكذايين الكبار . قال قرئ على عبد الله بن وهب وأنا أسمع قال الثوري قال مجالد قال أبو الوداك قال أبو سعيد الخدري قال عمر بن الخطاب قال قال رسول الله (ص) قال أخى موسى يارب ذكر كلمته فاتاه الخضر وهو فتى طيب الريح حسن بياض الثياب مشرماً فقال السلام عليك ورحمة الله يا موسى بن عمران إن ربك يقرأ عليك السلام . قال موسى هو السلام واليه السلام والحمد لله رب العالمين الذي لا أحصى نعمه ولا أقدر على أداء شكره إلا بمعونته ثم قال موسى أريد أن توصيني بوصية ينفعني الله بها بعدك . فقال الخضر يا طالب العلم ان القائل اقل ملامة (١) من المستمع فلا تمل جلساءك اذا حدثتهم واعلم ان قلبك وعاء فانظر ماذا تحشو به وعاءك . واغرف من الدنيا وانبذها وراءك . فاتها ليست لك بدار ولا لك فيها محل قرار . وإنما جعلت بلغة للعباد والتزود منها ليوم المعاد . ورض نفسك على الصبر تخلص من الائم * يا موسى تفرغ للعلم ان كنت تريد فاعلم لمن تفرغ له * ولا تكن مكثراً للعلم مهذاراً فان كثرة المنطق تشين العلماء وتبدي مساوى السخفاء . ولكن عليك بالاعتقاد فان ذلك من التوفيق والسداد * وأعرض عن الجهال وما ظلمهم واحلم عن السفهاء فان ذلك فعل الحكماء وزين العلماء اذا شتمك الجاهل فاسكت عنه حلماً . وجانبه حزماً . فان ما بقى من جهله عليك وسبه نيتك أكثر وأعظم * يا ابن عمران ولا ترى أنك أوتيت من العلم إلا قليلاً * فان الاندلاث والتصف من الاقتحام والتكاف * يا ابن عمران لا تفتحن باباً لا تدري ما غلقه ولا تغلقن باباً لا تدري ما فتحه * يا ابن عمران من لا ينتهي من الدنيا نهمة ولا تنقضي منها رغبته ومن يحقر حاله ويتم الله فيما قضى له كيف يكون زاهدا . هل يكف عن الشهوات من غلب عليه هواه . أو ينفعه طلب العلم والجهل قد حواه لان سعيه الى آخرته وهو مقبل على دنياه * يا موسى تعلم ما تعلمت لتعمل به ولا تعلمه لتحدث به فيكون عليك بواره ولنغيرك نوره * يا موسى بن عمران اجعل الزهد والتقوى لباسك والعلم والذكر كلامك واستكثر من الحسنات فانك مصيب السيئات وزرع بالخوف قلبك فان ذلك يرضى ربك واعمل خيراً فانك لا بد

عامل سوء . قد وعظتُ أن حفظتُ * قال فتولى الخضر وبقى موسى محزوناً مكروباً يبكي .

لا يصح هذا الحديث وأظنه من صنعة ذكرى بن يحيى الوقاد المصري كذبه غير واحد من الأئمة والعجب أن الحافظ بن عساكر سكت عنه * وقال الحافظ أبو نعيم الاصبهاني حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ثنا عمرو بن اسحاق بن ابراهيم بن العلاء الحمصي حدثنا محمد بن الفضل بن عمران الكندي حدثنا بنية بن الوليد عن محمد بن زياد عن أبي امامة أن رسول الله (ص) قال لاصحابه ألا أحدثكم عن الخضر قالوا بلى يا رسول الله قال بينما هو ذات يوم يمشي في سوق بني اسرائيل ابصره رجل مكاتب فقال تصدق علي بارك الله فيك فقال الخضر آمنت بالله ما شاء الله من أمر يكون ما عندي من شيء أعطيكه فقال المسكين أسألك بوجه الله لما تصدقت علي فاني نظرت الي السماء في وجهك ورجوت البركة عندك فقال الخضر آمنت بالله ما عندي من شيء أعطيكه إلا أن تأخذني فتبيعي فقال المسكين وهل يستقيم هذا قال نعم الحق أقول لك لقد سألتني بامر عظيم أما أني لا أخيبك بوجه ربي يعني قال فقدمه الي السوق فباعه بأربعمائة درهم فمكث عند المشتري زماناً لا يستعمله في شيء فقال له انك ابتعتني التماس خير عندي فأوصني بعمل قال أكره أن أشق عليك انك شيخ كبير ضعيف . قال ليس يشق علي . قال فانقل هذه الحجارة وكان لا ينقلها دون ستة نفر في يوم فخرج الرجل لبعض حاجاته ثم انصرف وقد قل الحجارة في ساعة . فقال أحسنت وأجملت وأطقت مالم أرك تطيقه . ثم عرض للرجل سفر فقال إني أحسبك أميناً فاخلفني في أهلي خلافة حسنة قال فأوصني بعمل قال إني أكره أن أشق عليك قال ليس تشق علي قال فاضرب من اللبن لبيتي حتى أقدم عليك فمضى الرجل لسفره فرجع وقد شيد بناؤه فقال أسألك بوجه الله ماسيالك وما أمرك فقال سألتني بوجه الله والسؤال بوجه الله أوتعتني في العبودية سأخبرك من أنا أنا الخضر الذي سمعت به سألتني مسكين صدقة فلم يكن عندي من شيء أعطيه فسألتني بوجه الله فامكنته من رقبتي فباعني وأخبرك أنه من سئل بوجه الله فرد سائله وهو بقدر وقف يوم القيامة جلده للاحم له ولا عظم يتهتقع . فقال الرجل آمنت بالله شققت عليك يا نبي الله ولم أعلم فقال لا بأس أحسنت وأبقيت . فقال الرجل بأبي وأمي يا نبي الله أحكم في أهلي ومالي بما أراك الله أو أخيرك فاخلني سيالك فقال أحب أن تخلني سيالي فاعبد ربي فخلني سياله * فقال الخضر الحمد لله الذي أوتعتني في العبودية ثم نجاني منها . وهذا حديث رفته خطأ والأشبه أن يكون موقوفاً وفي رجاله من لا يعرف فإله أعلم .

وقد رواه ابن الجوزي في كتابه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر من طريق عبد الوهاب بن الضحاك وهو متروك عن بنية . وقد روى الحافظ بن عساكر باسناده الي السدي أن الخضر والياس كانا أخوين وكان أبوهما ملكاً فقال الياس لايه إن أخى الخضر لا رغبة له في الملك فلو أنك زوجته لعله يحيى منه ولد يكون الملك له فزوجه أبوه بامرأة حسناء بكر فقال لها الخضر إنه لا حاجة لي في النساء فان

شئت اطلقت سراحك وان شئت آتيت معي تعبدن الله عز وجل وتكتنين علي سري فقالت نعم
 واقامت معه سنة . فلما مضت السنة دعاها الملك فقال إنك شابة وابني شاب فابن الولد فقالت إنما الولد
 من عند الله ان شاء كان وان لم يشأ لم يكن فامرہ أبوہ فطلقها وزوجہ باخری ثيبا قد ولد لها فلما زفت
 اليه قال لها كما قال للتي قبلها فاجابت الى الاقامة عنده . فلما مضت السنة سأها الملك عن الولد فقالت إن
 ابنك لاحابة له بالنساء فتطلبه أبوہ فہرب فارسل وراءہ فلم يقدروا عليه . فيقال إنه قتل المرأة الثانية
 لكونها أفشت سرہ فہرب من أجل ذلك وأطلق سراح الاخری فاقامت تعبد الله في بعض نواحي
 تلك المدينة فر بها رجل يوما فسمعه يقول بسم الله فقالت له أني لك هذا الاسم فقال إني من أصحاب
 الخضر فزوجته فولدت له أولاداً . ثم صار من أمرها أن صارت ماشطة بنت فرعون فينا هي يوما تمشطها
 إذ وقع المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت ابنة فرعون أبي فقالت لا ربي وربك ورب أيك الله
 فأعلت أباه فامر ببقرة من نحاس فاحميت ثم أمر بها فلقيت فيه فلما عاينت ذلك تقاعست أن تقع
 فيها فقال لها ابن معها صغير يا أمه أصبري فانك على الحق فالتقت نفسها في النار فماتت رحمها الله * وقد
 روى ابن عساكر عن أبي داود الاعمى فبيع وهو كذاب وضاع عن أنس بن مالك ومن طريق كثير
 ابن عبد الله بن عمرو بن عوف وهو كذاب أيضا عن أبيه عن جده أن الخضر جاء ليلة فسمع النبي
 (ص) وهو يدعو ويقول اللهم أعني على ما ينجيني مما خوفتني وارزقني شوق الصالحين الى ماشوقتهم
 اليه فبعث اليه رسول الله أنس بن مالك فلم عليه فرد عليه السلام وقال قل له ان الله فضلك على الانبياء
 كما فضل شهر رمضان على سائر الشهور وفضل أمتك على الامم كما فضل يوم الجمعة على غيره الحديث
 وهو مكذوب لا يصح سنداً ولا متناً كيف لا يمثل بين يدي رسول الله (ص) ويحیی بنفسه مسداً
 ومتعلماً وهم يذكرون في حكاياتهم وما يسندونه عن بعض مشايخهم أن الخضر يأتي اليهم ويسلم عليهم
 ويعرف أسماءهم ومنازلهم ومحالهم وهو مع هذا لا يعرف موسى بن عمران كليم الله الذي اصطفاه الله في
 ذلك الزمان على من سواه حتى يتعرف اليه بأنه موسى بن اسرائيل . وقد قال الحافظ أبو الحسين بن
 المنادي بعد ايراده حديث أنس هذا وأهل الحديث متفقون على أنه حديث منكر الاسناد سقيم المتن
 يتبين فيه أثر الصنعة . فلما الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البيهقي قائلنا أخبرنا أبو عبد الله الحافظ
 أخبرنا أبو بكر بن بالويه حدثنا محمد بن بشر بن مطر حدثنا كامل بن طلحة حدثنا عباد بن عبد الصمد
 عن أنس بن مالك قال لما قبض رسول الله (ص) أحذق به أصحابه فبكوا حوله واجتمعوا فدخل رجل
 أشهب اللحية جسيم صبيح فتخطى رقابهم فبكي ثم التفت الى أصحاب رسول الله (ص) فقال ان في الله
 عزاء من كل مصيبة وعوضاً من كل فائت وخلفاً من كل هالك فالى الله فانيبوا واليه فارغبوا ونظر اليكم
 في البلاء فانظروا فان المصاب من لم يجبر وانصرف فقال بعضهم لبعض تعرفون الرجل فقال أبو بكر وعلى

نعم هو أخو رسول الله (ص)، الخضر عليه السلام . وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن كامل بن طلحة به وفي
متنه مخالفة لسياق البيهقي ثم قال البيهقي عباد بن عبد الصمد ضعيف وهذا منكر بكرة قلت عباد بن عبد
الصمد هذا هو بن معمر البصرى . روى عن أنس نسخة قال ابن حبان والقبيلي أكثرها موضوع *
وقال البخارى منكر الحديث . وقال أبو حاتم ضعيف الحديث جداً منكره . وقال بن عدى عامة ما روي به
فى فضائل على وهو ضعيف غال فى التشيع . وقال الشافعى فى مسنده أخبرنا القاسم بن عبد الله بن
عمر عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده على بن الحسين قال لما توفى رسول الله (ص) وجاءت التعزية
سمعوا قائلاً يقول ان فى الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبإلله فتقوا
وإياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب . قال على بن الحسين أتدرون من هذا . هذا الخضر * شيخ
الشافعى القاسم العمري متروك . قال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يكذب . زاد أحمد ويضع الحديث
ثم هو مرسل ومثله لا يعتمد عليه ههنا والله أعلم . وقد روى من وجه آخر ضعيف عن جعفر بن محمد
عن أبيه عن جده عن أبيه عن على . ولا يصح . وقد روى عبد الله بن وهب عن حدثه عن محمد بن
عجلان عن محمد بن المنكدر أن عمر بن الخطاب بينما هو يصلى على جنازة اذ سمع هاتفا وهو يقول لا
تسبقنا برحمتك الله فانتظره حتى لحق بالصف فذكر دعاءه للميت إن تعذبه فكثيرا عصاك وإن تغفر له فقفر
الى رحمتك * ولما دفن قال طوبى لك يا صاحب القبر إن لم تكن عريفاً أو جانياً أو خازناً أو كاتباً أو
شرطياً فقال عمر خذوا الرجل نسأله عن صلاته وكلامه عن هو . قال فتواري عنهم فنظروا فإذا أثر قدمه
ذراع . فقال عمر هذا والله الخضر الذى حدثنا عنه رسول الله (ص) . وهذا الأثر فيه مبهم وفيه اقطاع
ولا يصح مثله .

وروى الحافظ بن عساكر عن الثورى عن عبد الله بن محرز عن يزيد بن الاصم عن على بن
أبي طالب قال دخلت الطواف فى بعض الليل فاذا أنا برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول يا من لا يمنعه
سمع من سمع ويامن لا تغلظه المسائل ويامن لا يبرمه الحاح الملحين ولا مسألة السائلين أرزقنى برد عفوك
وحلاوة رحمتك قال فقلت أعد على ما قلت فقال لى أو سمعته قلت نعم فقال لى والذى نفس الخضر بيده
قال وكان هو الخضر لا يقولها عبد خلف صلاة مكتوبة إلا غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل ذبذب البحر
وورق الشجر وعدد النجوم لغفرها الله له . وهذا ضعيف من جهة عبد الله بن المحرز فانه متروك
الحديث ويزيد بن الاصم لم يدرك علياً ومثل هذا لا يصح والله أعلم . وقد رواه أبو اسماعيل الترمذى
حدثنا مالك بن اسماعيل حدثنا صالح بن أبي الاسود عن محفوظ بن عبد الله الحضرمى عن محمد بن يحيى
قال بينما على بن أبي طالب يطوف بالكعبة إذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول يا من لا يشغله
سمع عن سمع ويامن لا يغلظه السائلون ويامن لا يتبرم بالحاح الملحين أرزقنى برد عفوك وحلاوة رحمتك

قال قال له على يا عبد الله أعد دعاءك هذا قال وقد سمعته قال نعم قال فادع به في دبر كل صلاة فوالذي
 نفس الخضر بيده لو كان عليك من الذنوب عدد نجوم السماء ومطرها وحبباء الارض وترابها لغفر
 لك أسرع من طرفة عين . وهذا أيضا منقطع وفي اسناده من لا يعرف والله أعلم .

وقد أورد ابن الجوزي من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا حدثنا يعقوب بن يوسف حدثنا مالك بن
 اسماعيل فذكر نحوه . ثم قال وهذا إسناد مجهول منقطع وليس فيه ما يدل على أن الرجل الخضر . وقال
 الحافظ أبو القاسم ابن عساكر أنبأنا أبو القاسم بن الحصين أنبأنا أبو طالب محمد بن محمد أنبأنا أبو اسحق
 المزكي حدثنا محمد بن اسحق بن خزيمة حدثنا محمد بن احمد بن يزيد أملاه علينا بعبادان أنبأنا عمرو بن
 عاصم حدثنا الحسن بن زريق عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال ولا أعلمه إلا مرفوعا الى
 النبي (ص) قال يلتقي الخضر والياس كل عام في الموسم فيخلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان
 عن هؤلاء الكلمات بسم الله ماشاء الله لا يسوق الخير إلا الله ماشاء الله لا يصرف الشر إلا الله ماشاء الله
 ما كان من نعمة فمن الله ماشاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله . قال وقال ابن عباس من قالهن حين يصبح
 وحين يمسي ثلاث مرات آمنه الله من الفرق والحرق والسرقة قال وأحسبه قال ومن الشيطان والسلطان
 والحية والعقرب .

قال الدار القطنى في الافراد هذا حديث غريب من حديث ابن جريج لم يحدث به غير هذا
 الشيخ عنه يعنى الحسن بن زريق هذا * وقد روى عنه محمد بن كثير العبدى أيضا ومع هذا قال فيه
 الحافظ أبو أحمد بن عدى ليس بالمعروف * وقال الحافظ أبو جعفر العقيلي مجهول وحديثه غير محفوظ .
 وقال أبو الحسن بن المنادى هو حديث واه بالحسن بن زريق . وقد روى ابن عساكر نحوه من طريق
 على بن الحسن الجهمضى وهو كذاب عن ضمرة بن حبيب المقدسى عن أبيه عن العلاء بن زياد القشبرى
 عن عبد الله بن الحسن عن أبيه عن جده عن على بن أبي طالب مرفوعا قال يجتمع كل يوم عرفة بمرات
 جبريل وميكائيل وإسرافيل * والخضر وذكر حديثا طويلا موضوعا تركنا إيراد قصدا والله الحمد .
 وروى ابن عساكر من طريق هشام ابن خالد عن الحسن بن يحيى الخشنى عن ابن أبي رواد قال الياس
 والخضر يصومان شهر رمضان بيت المقدس ويحجان في كل سنة ويشربان من ماء زمزم شربة واحدة
 تكفيهما الى مثلها من قابل . وروى ابن عساكر أن الوليد بن عبد الملك بن مروان بنى جامع دمشق
 أحب أن يتعبد ليلة في المسجد فامر القومة أن يخلوه له ففعلوا فلما كان من الليل جاء من باب الساعات
 فدخل الجامع فاذا رجل قائم يصلى فيما بينه وبين باب الخضر . فقال للقومة ألم أمركم أن تخلوه فقالوا
 يا أمير المؤمنين هذا الخضر يحيى كل ليلة يصلى ههنا . وقال ابن عساكر أيضا أنبأنا أبو القاسم بن اسماعيل
 ابن أحمد أنبأنا أبو بكر بن الطبرى أنبأنا أبو الحسين بن الفضل أنبأنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب هو

ابن سفيان الفسوي حدثني محمد بن عبد العزيز حدثنا حمزة عن السري بن يحيى عن رباح بن عبيدة قال رأيت رجلاً يمشي عمر بن عبد العزيز معتمداً على يديه فقلت في نفسي إن هذا الرجل حافي قال فله انصرف من الصلاة قلت من الرجل الذي كان معتمداً على يدك آنفاً قال وهل رأيته ياربح قلت نعم قال ما أحسبك إلا رجلاً صالحاً ذاك أخي الخضر بشرني أني سألي وأعدل. قال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي الرملي مجروح عند العلماء * وقد قدح أبو الحسين بن المنادي في ضرة والسري ورباح. ثم أورد من طرق آخر عن عمر بن عبد العزيز أنه اجتمع بالخضر وضعفها كلها. وروى ابن عساكر أيضاً أنه اجتمع بأبراهيم التيمي وبسفيان بن عيينة وجماعة يطول ذكركم. وهذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم وكل من الاحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا يقوم بمثلها حجة في الدين والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الاسناد * وقصاراها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره لانه يجوز عليه الخطأ والله أعلم. وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أباسعيد قال حدثنا رسول (س)، حديثنا طويلاً عن الدجال وقال فيما يحدثنا يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل قباب المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خیرهم فيقول أشهد أنك أنت الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله (س)، بحديثه فيقول الدجال أرايتم إن قلت هذا ثم أحييته أتشكون في الامر فيقولون لا فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحيي والله ما كنت أشد بصيرة فيك مني الآن قال فريد قتله الثانية فلا يسلط عليه قال معمر بلغني أنه يجعل على حلقه صحيفة من نحاس وبلغني أنه الخضر الذي يقتله الدجال ثم يحييه وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري به وقال أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه الراوي عن مسلم الصحيح أن يقال إن هذا الرجل الخضر وقول معمر وغيره بلغني ليس فيه حجة وقد ورد في بعض الفاظ الحديث يأتي بشاب ممتلياً شاباً فيقتله وقوله الذي حدثنا عنه رسول الله (س)، لا يقتضي المشافهة بل يكفي التواتر. وقد تصدى الشيخ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله في كتابه بحالة المنتظر في شرح حالة الخضر للاحاديث الواردة في ذلك من المرفوعات فبين أنها موضوعات ومن الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم فيبين ضعف أسانيدها ببيان أحوالها وجهالة رجالها وقد أجاد في ذلك وأحسن الامتقاد * وأما الذين ذهبوا إلى أنه قد مات ومنهم البخاري و ابراهيم الحربي وأبو الحسين بن المنادي والشيخ أبو الفرج بن الجوزي وقد اتصر لذلك والفت فيه كتاباً سماه بحالة المنتظر في شرح حالة الخضر فيحتاج لهم بأشياء كثيرة * منها قوله (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) فالخضر إن كان بشراً قد دخل في هذا العموم لا بحالة ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح انتهى والاصل عدمه حتى يثبت ولم يذكر ما فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله. ومنها أن الله تعالى قال (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب

وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلك إصرى قالوا
أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين قال ابن عباس ما بث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن
بث محمد وهو حي ليؤمنن به ولنصرنه. وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بث محمد وهم أحياء ليؤمنن
به وينصرنه. ذكره البخارى عنه فالخضر إن كان نبياً أو ولياً فقد دخل في هذا الميثاق فلو كان حياً في زمن
رسول الله (ص)، لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه يؤمن بما أنزل الله عليه وينصره أن يصل
احد من الاعداء اليه لأننا إن كان ولياً فالصديق أفضل منه وإن كان نبياً فهو أفضل منه وقد روى
الامام أحمد في مسنده حدثنا شريح بن النعمان حدثنا هشيم أنبأنا مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله
أن رسول الله (ص) قال والذي نفسى بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعته إلا أن يتبعنى . وهذا الذى
يقطع به ويعلم من الدين علم الضرورة . وقد دلت عليه هذه الآية الكريمة أن الانبياء كلهم لو فرض
أنهم أحياء مكفون في زمن رسول الله (ص) لكانوا كلهم أتباعاً له وتحت أوامره وفي عموم شرعه
كما أنه صلوات الله وسلامه عليه لما اجتمع معهم ليلة الاسراء رفع فوقهم كلهم ولما هبطوا معه الى
بيت المقدس وحانت الصلاة أمره جبريل عن أمر الله أن يؤمهم فصلى بهم في محبل ولايتهم ودار
اقامتهم فدل على أنه الامام الاعظم والرسول الخاتم المبجل المقدم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم
أجمعين . فاذا علم هذا وهو معلوم عند كل مؤمن علم أنه لو كان الخضر حياً لكان من جملة أمة محمد
(ص) ومن يقتدى بشرعه لا يسهه إلا ذلك * هذا عيسى بن مريم عليه السلام اذا نزل في آخر الزمان
بحكم بهذه الشريعة المطهرة لا يخرج منها ولا يجيد عنها وهو أحد أولى العزم الخمسة المرسلين وخاتم انبياء
بنى إسرائيل والمعلوم أن الخضر لم ينقل بسند صحيح ولا حسن تسكن النفس اليه أنه اجتمع برسول الله
(ص) في يوم واحد ولم يشهد معه قتالا في مشهد من المشاهد وهذا يوم بدر يقول الصادق المصدوق
فيادعا به لربه عز وجل واستنصره وأستفتحه على من كفره اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد بعدها في
الارض وتلك العصابة كان تحتها سادة المسلمين يومئذ وسادة الملائكة حتى جبريل عليه السلام كما قال
حسان بن ثابت في قصيدة له في بيت يقال إنه أخر بيت قاله العرب

وَبَيْرُ بَدْرِ أَذِيرُ وَجَوْهَهُمْ جَبْرِيلُ تَحْتَ لَوَائِنَا وَمُحَمَّدُ

فلو كان الخضر حياً لكان وقوفه تحت هذه الراية أشرف مقامته وأعظم غزواته . قال القاضى
أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلى سئل بعض أصحابنا عن الخضر هل مات فقال نعم قل وبلغنى
مثل هذا عن أبي طاهر بن الغبارى قال وكان يحتج بانه لو كان حياً لجاء الى رسول الله (ص) . نقله ابن
الجوزى في العجالة * فان قيل فهل يقال إنه كان حاضراً في هذه المواطن كلها ولكن لم يكن أحد يراه .
فالجواب أن الاصل عدم هذا الاحتمال البعيد الذى يلزم منه تخصيص العمومات بمجرد التوهمات .

ثم ما الجاصل له على هذا الاختفاء وظهوره أعظم لاجره وأعلى في مرتبته وأظهر لمجزته . ثم لو كان باقيا بعده لكان تبليغه عن رسول الله (ص) الاحاديث النبوية والآيات القرآنية وانكاره لما وقع من الاحاديث المكذوبة والروايات المقلوبة والآراء البدعية والاهواء العصبية وقتاله مع المسلمين في غزواتهم وشهوده جمعهم وجماعاتهم وفعه إياهم ودفعه الضرر عنهم ممن سوامم وتسديده العداة والحكام وتقريره الادلة والاحكام أفضل ما يقال عنه من كونه في الامصار . وجوبه الفياق والاقطار . وإجتماعه بعباد لا يعرف أحوال كثير منهم وجعله لهم كالنقيب المترجم عنهم . وهذا الذي ذكرناه لا يتوقف احد فيه بعد التفهيم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين وغيرها عن عبد الله بن عمر أن رسول الله (ص) صلى ليلة العشاء ثم قال أرايتم ليلتكم هذه فانه الى مائة سنة لا يبقى ممن هو على وجه الارض اليوم أحد . وفي رواية عين تطرف . قال ابن عمر فَوَيْهَلِ النَّاسُ فِي مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) هَذِهِ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْخِرَامَ قَرْنِهِ . قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبانا معمر عن الزهري قال أخبرني سالم بن عبد الله وأبو بكر بن سليمان ابن أبي خيثمة أن عبد الله بن عمر قال صلى رسول (ص) ذات ليلة العشاء في آخر حياته فلما سلم قام فقال أرايتم ليلتكم هذه فان على رأس مائة سنة لا يبقى ممن على ظهر الارض أحد وأخرجه البخاري ومسلم من حديث الزهري * وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن سليمان التيمي عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله قال قال رسول (ص) قبل موته بقليل أو بشهر مامن نفس منفوسة أو مامنكم من نفس اليوم منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي يومئذ حية وقال أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا بن هبيرة عن أبي الزبير عن جابر عن النبي (ص) أنه قال قبل أن يموت بشهر يسألونني عن الساعة وإنما علمها عند الله أقسم بالله ما على الارض نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة . وهكذا رواه مسلم من طريق أبي نضرة وأبي الزبير كل منهما عن جابر بن عبد الله به نحوه . وقال الترمذي حدثنا عباد حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال رسول (ص) ما على الارض من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة . وهذا أيضا على شرط مسلم * قال ابن الجوزي فهذه الاحاith الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر * قالوا فالخضر إن لم يكن قد أدرك زمان رسول الله (ص) كما هو المظنون الذي يترقى في القوة الى القطع فلا إشكال وإن كان قد أدرك زمانه فهذا الحديث يقتضى أنه لم يش بعد مائة سنة فيكون الآن مقوداً لا موجوداً لانه داخل في هذا العموم والاصل عدم التخصص له حتى يثبت بدليل صحيح يجب قبوله والله أعلم . وقد حكى الحافظ أبو القاسم السهيلي في كتابه التعريف والاعلام عن البخاري وشيخه أبي بكر بن العربي أنه أدرك حياة النبي (ص) . ولكن مات بعدد لهذا الحديث وفي كون البخاري رحمه الله يقول بهذا وأنه بقى الى زمان النبي (ص) نظر * ورجح السهيلي بقاءه وحكاة عن الاكثرين * قال وأما إجتماعه

مع النبي (ص) وقزيتة لاهل البيت بده فروى من طرق صحاح ثم ذكر ماتقدم مما ضعفناه ولم يورد
أسانيدنا والله أعلم

وَأَمَّا الْيَاسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال الله تعالى بعد قصة موسى وهرون من سورة الصافات (وإن الياس لمن المرسلين. اذ قال لقومه
ألا تتقون. أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين. الله ربكم ورب آبائكم الاولين. فكذبوه فاتهم
لمحضرون. إلا عباد الله المخلصين. وتركنا عليه في الآخريين. سلام على الياسين. إنا كذلك نجزي
المحسنين. إنه من عبادنا المؤمنين) قال علماء النسب هو الياس التثبي * ويقال ابن ياسين بن فنحاص
ابن العيزار بن هرون * وقيل الياس بن العازر بن العيزار بن هارون بن عمران. قالوا وكان ارساله الى
أهل بعلبك غربى دمشق فدعاهم الى الله عز وجل وأن يتركوا عبادة صنم لهم كانوا يسمونه بعلا. وقيل
كانت امرأة اسمها بعل والأول أصح. ولهذا قال لهم (ألا تتقون. أتدعون بعلا وتذرون أحسن
الخالقين. الله ربكم ورب آبائكم الاولين) فكذبوه وخالفوه وأرادوا قتله فيقال إنه هرب منهم واختفى
عنهم * قال أبو يعقوب الأذرى عن يزيد بن عبد الصمد عن هشام بن عمار قال وسمعت من يذكر عن
كعب الاحبار أنه قال إن الياس اختفى من ملك قومه فى الغار الذى تحت الدم عشر سنين حتى أهلك
الله الملك وولى غيره فاتاه الياس فعرض عليه الاسلام فاسلم وأسلم من قومه خلق عظيم غير عشرة آلاف
منهم فامر بهم فقتلوا عن آخرهم. وقال ابن أبى الدنيا حدثنى أبو محمد القاسم بن هاشم حدثنا عمر بن
سعيد الدمشقى حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن بعض مشيخة دمشق قال أقام الياس عليه السلام هاربا من
قومه فى كهف جبل عشرين ليلة أو قال أربعين ليلة تأتبه الغربان برزقه. وقال محمد بن سعد كاتب
الواقدي أنبأنا هشام بن محمد بن السائب الكلبى عن أبيه قال أول نبي بعث إدريس ثم نوح ثم ابراهيم
ثم اسماعيل واسحق ثم يعقوب ثم يوسف ثم لوط ثم هود ثم صالح ثم شعيب ثم موسى وهارون ابنا
عمران ثم الياس التثبي بن العازر بن هارون بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق
ابن ابراهيم عليهم السلام هكذا قال وفى هذا الترتيب نظر * وقال مكحول عن كعب أربعة أنبياء أحياء
اثنتان فى الأرض الياس والخضر واثنتان فى السماء إدريس وعيسى. وقد قدمنا قول من ذكر أن
الياس والخضر يجتمعان فى كل عام فى شهر رمضان بيت المقدس وأنها يجبان كل سنة ويشربان
من زمزم شربة تكفيهما الى مثلها من العام المقبل * وأوردنا الحديث الذى فيه أنها يجتمعان بمرقات
كل سنة وبيننا أنه لم يصح شئ من ذلك وأن الذى يقوم عليه الدليل أن الخضر مات وكذلك الياس
عليهما السلام. وما ذكره وهب بن منبه وغيره أنه لما دعا ربه عز وجل أن يقبضه اليه لما كذبوه وآذوه

فجاءته دابة لونها لون النار فركبها وجعل الله له ريشا وألبسه النور وقطع عنه لثة المطعم والمشرب وصار ملكيا بشريا سماويا أرضيا وأوصى الى اليسع بن أخطوب ففى هذا فطر وهو من الاسرائيلات التى لا تصدق ولا تكذب بل الظاهر أن صحتها بيده والله أعلم .

فما الحديث الذى رواه الحافظ أبو بكر البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنى أبو - بن أحمد ابن سعيد المدائنى بينخارا حدثنا عبد الله بن محمود حدثنا عبدان بن سنان حدثنى أحمد بن عبد الله البرقى حدثنا يزيد بن يزيد البلوى حدثنا أبو اسحاق الفزارى عن الاوزاعى عن مكحول عن أنس بن مالك قال كنا مع رسول الله (س) فى سفر قزلنا منزلا فاذا رحل فى الوادى يقول اللهم اجعلنى من أمة محمد (س) المرحومة المغفورة المتاب لها قال فأشرفت على الوادى فاذا رجل طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع قال لى من أنت قلت أنس بن مالك خادم رسول الله (س) قال فأين هو قلت هوذا يسمع كلامك قال فانه فأقرته السلام وقل له أخوك الياس يقرئك السلام قال فأنيت النبى (س) فاخبرته فجاء حتى لقيه فماقه وسلم ثم قعدا يتحادثان فقال له يارسول الله إني ما آكل فى سنة إلا يوما وهذا يوم فطرى فأكل أنا وأنت قال قزلت عليهما مائدة من السماء عليها خبز وحوت وكرفس فأكلا وأطعمانى وصلينا العصر ثم ودعه ورأيت مر فى السحاب نحو السماء . فقد كفانا البيهقى أمره وقال هذا حديث ضعيف بكرة والعجب أن الحاكم أبا عبد الله النيسابورى أخرجه فى مستدركه على الصحيحين وهذا مما يستدرك به على المستدرك فانه حديث موضوع مخالف للأحاديث الصحاح من وجوه . ومعناه لا يصح أيضا فقد تقدم فى الصحيحين أن رسول الله (س) قال إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعا فى السماء الى أن قال ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن وفيه أنه لم يأت الى رسول الله (س) حتى كان هو الذى ذهب اليه . وهذا لا يصح لانه كان أحق بالسمى الى بين يدي خاتم الانبياء . وفيه أنه يأكل فى السنة مرة وقد تقدم عن وهب أنه سلبه الله لثة المطعم والمشرب وفيما تقدم عن بعضهم أنه يشرب من زمزم كل سنة شربة تكفيه الى مثلها من الحول الآخر . وهذه أشياء متعارضة وكلها باطلة لا يصح شئ منها . وقد ساق ابن عساكر هذا الحديث من طريق أخرى واعترف بضعفها وهذا عجب منه كيف تكلم عليه فانه أورده من طريق حسين بن عرفة عن هاتى بن الحسن بن قبية عن الاوزاعى عن مكحول عن وائلة عن ابن الاسقع فذكر نحو هذا مطولا وفيه أن ذلك كان فى غزوة تبوك وأنه بعث اليه رسول الله (س) أنس بن مالك وحذيفة بن اليمان قالا فاذا هو أعلى جسما بندا عين أو ثلاثة واعتذر بدم قدرته لثلاثين ابل وفيه أنه لما اجتمع به رسول الله (س) أكلا من طعام الجنة وقال إن لى فى كل أربعين يوما أكلة وفى المائدة خبز وورمان وعنب وموز ورطب وقل ماعدا الكراث وفيه أن رسول الله (س) سأله عن الخضر قال عهدى به عام أول وقال لى إنك ستلقاه قبلى فأقرته منى السلام . وهذا يدل على أن الخضر

والياس بتقدير وجودهما وصحة هذا الحديث لم يجتمعا به إلى سنة تسع من الهجرة وهذا لا يسوغ شرعاً وهذا موضوع أيضاً . وقد أورد ابن عساكر طرقاً فيمن اجتمع بالياس من العباد وكلها لا يفرح بها لضعف إسنادها أو لجهالة المسند اليه فيها * ومن أحسنها ما قال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني بشر بن معاذ حدثنا حماد بن واقد عن ثابت قال كنا مع مصعب بن الزبير بسواد الكوفة فدخلت حائطاً أصلي فيه ركعتين فافتحت (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العظيم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول) . فاذا رجل من خلفي على بغلة شهباء عليه مقطعات يمنية فقال لي إذا قلت غافر الذنب قتل يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي * وإذا قلت قابل التوب قتل يا قابل التوب تقبل توبتي . وإذا قلت شديد العقاب قتل يا شديد العقاب لا تماقني . وإذا قلت ذي الطول قتل يا ذا الطول تطول على برحمة فالتفت فاذا لأحد وخرجت فسألت من بكم رجل على بغلة شهباء عليه مقطعات يمنية قالوا ما صر بنا أحد فكاتبوا لا يرون إلا أنه الياس . وقوله تعالى . (فكذبوه فاتهم لمحضرون) أي للذئاب إمامي الدنيا والآخرة أو في الآخرة والأول أظهر على ما ذكره المفسرون والماوردون . (وقوله إلا عباد الله المخلصين) أي إلا من آمن منهم وقوله (وتركنا عليه في الآخريين) أي ابقينا بعده ذكراً حسناً له في العالمين فلا يذكر إلا بخير ولهذا قال (سلام على الياسين) أي سلام على الياس . العرب تلحق النون في أسماء كثيرة وتبدلها من غيرها كما قالوا اسماعيل واسماعيل واسرائيل واسرائين والياسين . ومن قرأ سلام على آل ياسين أي على آل محمد وقرأ ابن مسعود وغيره سلام على ادراسين . ونقل عنه من طريق اسحاق عن عبيدة بن ربيعة عن ابن مسعود أنه قال الياس هو ادريس واليه ذهب الضحاك بن مزاحم وحكاه قتادة ومحمد بن اسحاق والصحيح أنه غيره كما تقدم والله أعلم . *



بمجد الله تعالى قد تم الجزء الاول من كتاب البداية والنهاية ويليه الجزء الثاني وأوله
(ذكر جماعة من أنبياء بني اسرائيل بعد موسى عليه السلام)

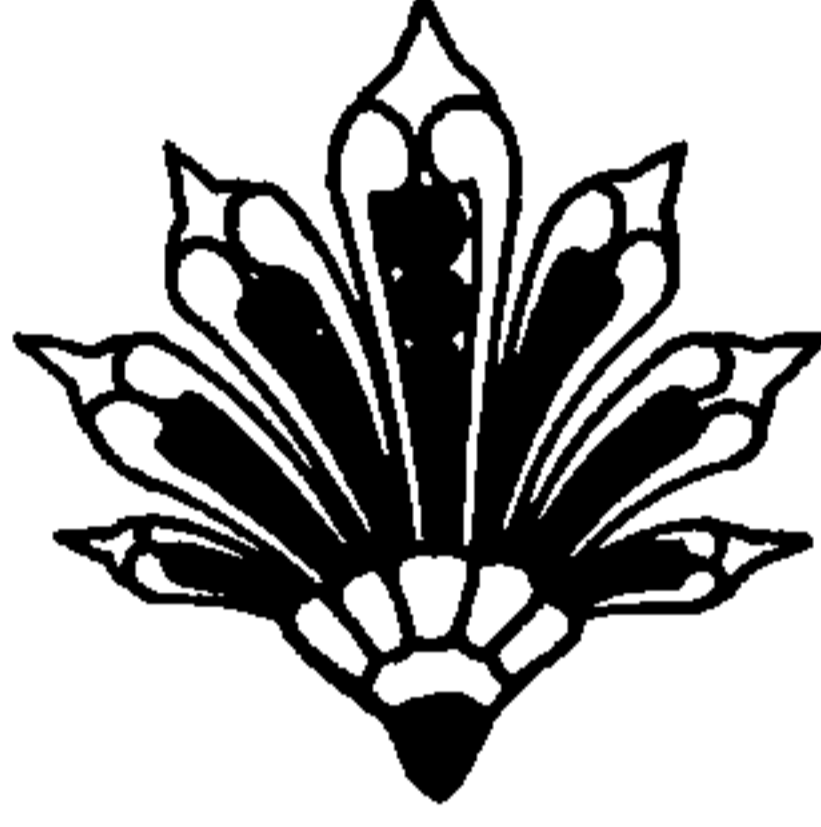
فهرست الجزء الاول

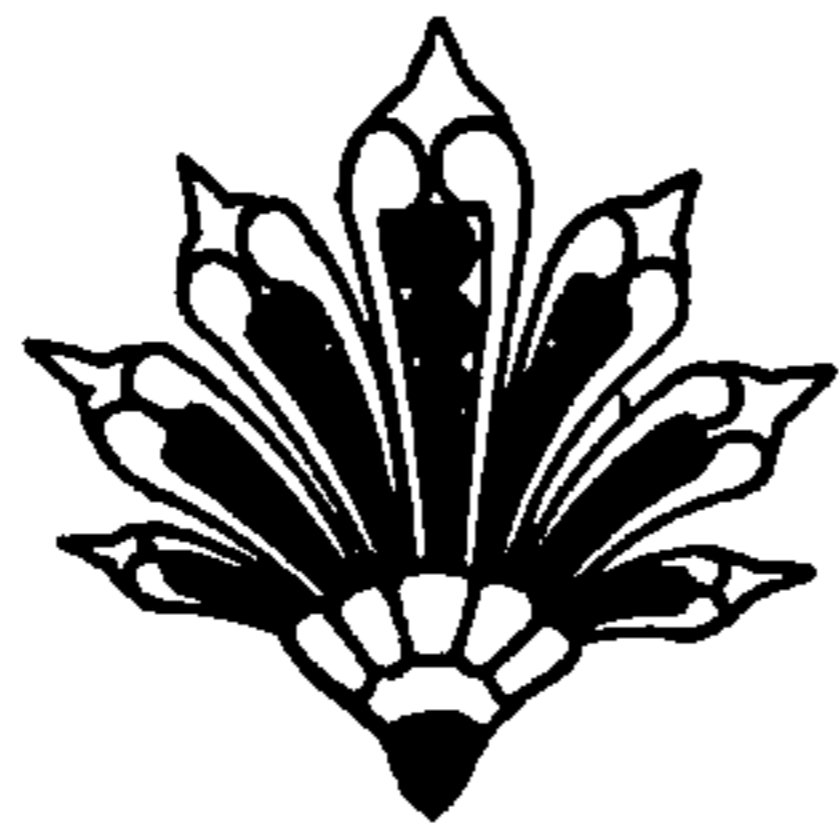
من كتاب البداية والنهاية

صفحة	صفحة
٥٥ - باب خلق الجن وقصة الشيطان	٣ - المؤلف والكتاب
٦٨ - باب خلق آدم عليه السلام	٤ - المنهاج في تأليف الكتاب
٨١ - احتجاج آدم وموسى عليها السلام	٨ - فصل
٨٥ - الاحاديث الواردة في خلق آدم	٩ - فصل
٩٢ - قصة قابيل وهابيل	١٣ - واما الكرسي
٩٨ - وفاة آدم ووصيته الى ابنه شيث	١٤ - ذكر اللوح المحفوظ
٩٩ - ادريس عليه السلام	١٥ - ماورد في خلق السموات والارض وما بينها
١٠٠ - قصة نوح عليه السلام	١٨ - ما جاء في سبع ارضين
١١٨ - ذكر شيء من اخبار نوح عليه السلام	٢٢ - فصل في البحار والأنهار
١١٨ - صومه عليه السلام	٢٨ - فصل
١١٩ - حجه عليه السلام	٢٩ - ذكر ما يتعلق بخلق السموات وما فيهن
١١٩ - وصيته لولده	من الآيات
١٢٠ - قصة هود عليه السلام	أ - الاجماع على ان السموات مستديرة
١٣٠ - قصة صالح نبي ثمود عليه السلام	ب - حديث سب الدهر
١٣٧ - ذكر أبي رغال من بني ثمود	ج - اليونانيون ودمشق
١٣٨ - مرور النبي بوادي الحجر	د - هاروت وماروت
من أرض ثمود عام تبوك	٣٨ - المجرة وقوس قزح
١٣٩ - قصة ابراهيم خليل الرحمن	٤٠ - باب ذكر خلق الملائكة وصفاتهم
١٤٧ - ذكر مناظرة ابراهيم الخليل مع من ادعى الربوبية وهو احد العبيد الضعفاء	٤٩ - فصل
	٥٤ - فصل

صفحة .	صفحة .
٢٣١ - قصة يونس	١٤٩ - هجرة الخليل الى بلاد الشام ثم الديار المصرية واستقراره في الارض المقدسة
٢٣٦ - فضل يونس	١٥٣ - ذكر مولد اسماعيل من هاجر
٢٣٧ - قصة موسى الكليم	١٥٤ - ذكر مهاجرة ابراهيم بابنه اسماعيل وامه الى جبال فاران وهي ارض مكة وبنائه البيت العتيق
٢٥٩ - فصل	١٥٧ - قصة الذبيح
٢٦٨ - هلاك فرعون وجنوده	١٦٠ - مولد اسحاق
٢٧٤ - امر بني اسرائيل بعد هلاك فرعون	١٦٣ - بناء البيت العتيق
٢٨٠ - دخول بني اسرائيل التيه وما فيه من الامور العجيبة	١٦٦ - ذكر ثناء الله ورسوله الكريم على عبده وخليئه ابراهيم .
٢٨٣ - سؤال الرؤية	١٧٢ - قصره في الجنة
٢٨٦ - قصة عبادتهم العجل في غيبة كلم الله عنهم	١٧٣ - صفة ابراهيم عليه السلام
٢٩٢ - حديث آخر بمعنى ما ذكره ابن حبان	١٧٣ - وفاة ابراهيم وما قيل في عمره
٢٩٣ - قصة بقرة بني اسرائيل	١٧٥ - ذكر اولاد ابراهيم الخليل
٢٩٥ - قصة موسى والخضر عليها السلام	١٨٣ - قصة مدين قوم شعيب عليه السلام
٣٠٠ - حديث الفتون المتضمن قصة موسى مفصلا من اولها الى آخرها	١٩١ - باب ذرية ابراهيم
٣٠٧ - بناء قبة الزمان	١٩١ - اسماعيل عليه السلام
٣٠٩ - قصة قارون مع موسى عليه السلام	١٩٣ - اسحاق بن ابراهيم عليها الصلاة والتسليم
٣١٢ - باب فضائل موسى عليه السلام وشماله وصفاته ووفاته	١٩٧ - ما وقع من الامور العجيبة في حياة اسرائيل .
٣١٦ - حجته عليه السلام الى البيت العتيق	٢٢٠ - قصة نبي الله ايوب
٣١٦ - وفاته عليه السلام	٢٢٥ - قصة ذي الكفل
٣١٩ - نبوة يوشع وقيامه بأعباء بني اسرائيل بعد موسى وهارون . (الاسباط - بلعام - وفاة موسى وهارون - فتح اريحا)	٢٢٧ - باب ذكر أمم اهلكوا بعامه
	٢٢٩ - قصة قوم يس وهم اصحاب القرية

صفحة	صفحة
٣٣٧ - واما الياس عليه السلام	٣٢٥ - قصتنا الخضر والياس عليها السلام
٣٤٠ - فهرست الجزء الاول	٣٢٦ - ذكر الاختلاف في اسم الخضر ونسبه وزمن وجوده ونبوته ، وحياته الى الآن ، منفلا





الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى ٧٧٤هـ

الْبَيْدُ الْبَيْتِيُّ وَالْبَيْتِيُّ

٥٣٥٣

الْبَيْتِيُّ الْبَيْتِيُّ

الطبعة الثالثة ١٩٧٩

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذيبت بشروح
قامت بها هيئة باشراف الناشر

مكتبة المحاريف
بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَجَامِعُ مِنْ الرِّبَايَا وَبَنِي إِسْرَائِيلَ بِعَرَبِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ثم تتبعهم بذكر داود وسليمان عليهما السلام . قال ابن جرير في تاريخه لا خلاف بين أهل العلم بأخبار الماضين وأموال الفين من أمتنا وغيرهم أن القائم بأمر بني إسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنا يعني أحد أصحاب موسى عليه السلام وهو زوج أخته مريم وهو أحد الرجلين اللذين ممن يخافون الله وهما يوشع وكالب وهما القاتلان لبني إسرائيل حين فكلوا عن الجهاد (أدخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) قال ابن جرير ثم من بعده كلن القائم بأمر بني إسرائيل حزقييل بن بوذي وهو الذي دعا الله فأحيا الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت

قصة حزقييل

قال الله تعالى (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحيام إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) . قال محمد بن اسحاق عن

وهب بن منبه إن كالب بن يوفنا لما قبضه الله إليه بعد يوشع خلف في بني إسرائيل حزقييل بن بوذي
 وهو ابن المعجوز وهو الذي دعا للقوم الذين ذكرهم الله في كتابه فيما بلغنا (ألم تر إلى الذين خرجوا من
 ديارهم وهم ألوف حذر الموت) قال ابن إسحاق فروا من الوباء فزلوا بصعيد من الأرض فقال لهم الله
 موتوا فماتوا جميعا فخطروا عليهم حظيرة دون السباع فضمت عليهم دهور طريفة فمر بهم حزقييل عليه
 السلام فوقف عليهم متفكرا قبيل له أحب أن يبعثهم الله وأنت تنظر فقال نعم فأمر أن يدعو تلك
 العظام أن تكتسى لحما وأن يتصل العصب بعضه ببعض فناداهم عن أمر الله له بذلك فقام القوم أجمعون
 وكبروا تكبيرة رجل واحد . وقال أسباط عن السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس
 وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من الصحابة في قوله . (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم
 ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحيام) قالوا كانت قرية يقال لها داوردان قبيل واسط وقع
 بها الطاعون فهرب عامة أهلها فزلوا ناجية منها فهلك من بقى في القرية وسلم الآخرون فلم يمت منهم
 كثير فلما ارتفع الطاعون رجوا سالمين قال الذين بقوا أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا
 بقينا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم فوقع في قابل فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفا حتى زلوا
 ذلك المكان وهو واد أفيح فناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه أن موتوا فماتوا حتى إذا
 هلكوا وبقيت أجسادهم سر بهم نبي يقال له حزقييل فلما رآهم وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم ويلوى
 شديقه وأصابه فوحى الله إليه تريد أن أريك كيف أحيهم قال نعم وإني ما كان تفكره أنه تعجب من
 قدرة الله عليهم قبيل له ناد فنادى يا أيها العظام ان الله يأمرك أن تجتمعي فجملت العظام يطير بعضها
 إلى بعض حتى كانت أجساد من عظام ثم أوحى الله إليه ان ناد يا أيها العظام ان الله يأمرك أن تكتسى
 لحما فكتست لحما ودعا وثيابها التي ماتت فيها . ثم قبيل له ناد فنادى أيها الأجساد ان الله يأمرك أن
 تهمي قماما . قال أسباط فزعم منصور عن مجاهد أنهم قالوا حين أحيوا (سبحانك اللهم وبحمدك
 لا إله إلا أنت) فرجعوا إلى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى سحنة الموت على وجوههم لا
 يلبسون ثوبا إلا عاد رسما حتى ماتوا لا آجالهم التي كتبت لهم . وعن ابن عباس أنهم كانوا أربعة آلاف
 وعنه ثمانية آلاف وعن أبي صالح تسعة آلاف وعن ابن عباس أيضا كانوا أربعين ألفا . وعن سعيد
 ابن عبد العزيز كانوا من أهل أدرعات . وقال ابن جريج عن عطاء هذا مثل معنى أنه سيق مثلا مينا
 أنه لن ينفى حذر من قدر وقول الجمهور أقوى ان هذا وقع . وقد روى الامام أحمد وصاحبنا الصحيح
 من طريق الزهري عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن عبد الله بن الحارث بن نوفل
 عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان يسرع لقيه أمراء الاجناد
 أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فاخبروه أن الوباء وقع بالشام فذكر الحديث معنى في مشاورته المهاجرين

والأنصار فاختلفوا عليه فجاءه عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا ببعض حاجته فقال إن عندي من هذا علما سمعت رسول الله (ص) يقول إذا كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه فحمد الله عمر ثم انصرف . وقال الامام حدثنا حجاج ويزيد المفتي (١) قالا حدثنا ابن أبي ذؤيب عن الزهري عن سالم عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عبد الرحمن بن عوف أخبر عمر وهو في الشام عن النبي (ص) أن هذا السقم عذب به الأمم قبلكم فاذا سمعتم به في أرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه قال فرجع عمر من الشام . وأخرجاه من حديث مالك عن الزهري بنحوه *

قال محمد بن اسحاق ولم يذكر لنا مدة لبث حزقيل في بني إسرائيل * ثم إن الله قبضه إليه * فلما قبض نسي بنو إسرائيل عهد الله اليهم وعظمت فيهم الأحداث وعبدوا الأوثان وكان في جملة ما يعبدونه من الأصنام صنم يقال له بعل فبعث الله اليهم الياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون ابن عمران * قلت وقد قدمنا قصة الياس تبعا لقصة الخضر لأنهما يقرنان في الذكر غالبا ولا أجل أنها بعد قصة موسى في سورة الصافات فتعجلنا قصته لذلك والله أعلم . قال محمد بن اسحاق فيما ذكره عن وهب ابن منبه قال ثم تنبأ فيهم بعد الياس وصيه اليسع بن أخطوب عليه السلام وهذه *

قصة اليسع عليه السلام

وقد ذكره الله تعالى مع الانبياء في سورة الأنعام في قوله (واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين) وقال تعالى في سورة ص (واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار) قال اسحاق بن بشر أبو حذيفة انبأنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال كان بعد الياس اليسع عليها السلام فكث ما شاء الله أن يمكث يدعوهم الى الله مستمسكا بمنهاج الياس وشريعته حتى قبضه الله عز وجل اليه ثم خلف فيهم الخلوف وعظمت فيهم الأحداث والخطايا وكثرت الجبارة وقتلوا الانبياء وكان فيهم ملك عنيد طاغ * ويقال إنه الذي تكفل له ذو الكفل إن هو تاب ورجع دخل الجنة فسمى ذا الكفل *

قال محمد بن اسحاق هو اليسع بن أخطوب . وقال الحافظ أبو القسم بن عساكر في حرف الباء من تاريخه اليسع وهو الأسباط بن عدي بن شوتلم بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم الخليل * ويقال هو ابن عم الياس النبي عليهما السلام . ويقال كان مستخفيا معه بجبل قاسيون من ملك بابل ثم ذهب معه اليها فلما رفع الياس خلفه اليسع في قومه ونبأه الله بعمده . ذكر ذلك عبد المنعم بن

(١) هو يزيد بن أبي حبيب قال ابن سعد كان مفتي أهل مصر في زمانه وكان حليما عاقلا وكان أول

من أظهر العلم بمصر .

ادريس عن أبيه عن وهب بن منبه . قال وقال غيره وكان ياناس . ثم ذكر ابن عساكر قراءة من قرأ
اليسع بالتخفيف وبالتشديد ومن قرأ واليسع وهو اسم واحد لنبي من الانبياء * قلت قد قدمنا قصة
ذا الكفل بعد قصة أيوب عليهما السلام لأنه قد قيل إنه ابن أيوب فإله أعلم

قصة بني إسرائيل

قال ابن جرير وغيره ثم مرج أمر بني إسرائيل وعظمت منهم الخطوب والخطايا وقتلوا من قتلوا
من الأنبياء وسلط الله عليهم بدل الأنبياء ملوكا جبارين يظلمونهم ويسفكون دماءهم وسلط الله عليهم
الأعداء من غيرهم أيضا وكانوا إذا قاتلوا أحداً من الأعداء يكون مهم تابوت الميثاق الذي كان في قبة
الزمان كما تقدم ذكره فكانوا ينصرون ببركته وبما جعل الله فيه من السكينة والبقية مما ترك آل موسى
وآل هارون فلما كان في بعض حروبهم مع أهل غزة وعسقلان غلبوهم وقهروهم على أخذه فانتزعوه من
أيديهم فلما علم بذلك ملك بني إسرائيل في ذلك الزمان مالت عنقه فمات كمداً وبقي بنو إسرائيل كالغنم
بلا راع حتى بعث الله فيهم نبياً من الأنبياء يقال له شمویل فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكاً ليقاتلوا معه
الأعداء فكان من أمرهم ما سنذكره مما قص الله في كتابه . قال ابن جرير فكان من وفاة يوشع بن
نون إلى أن بعث الله عز وجل شمویل بن بلي أربعاً مائة سنة وستون سنة * ثم ذكر تفصيلها بمدد الملوك
الذين ملكوا عليهم وساموا واحداً واحداً تركنا ذكرهم قصداً *

قصة شمویل وفيها بدء أمر داود وعليهما السلام

* وفيها بدأ أمر داود عليه السلام *

هو شمویل ويقال له أشمویل بن بلي بن هلقمة بن يرخام بن اليهو بن تهو بن صوف بن علقمة
ابن ماحث بن عموص بن عزريا * قال مقاتل وهو من ورثة هارون وقال مجاهد هو أشمویل بن هلقفا
ولم يرفع في نسبه أكثر من هذا فإله أعلم *
حكى السدي بأسناده عن ابن عباس وابن مسعود وائس من الصحابة والثعلبي وغيرهم أنه لما غلبت
العماليق من أرض غزة وعسقلان على بني إسرائيل وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وسبوا من ابنائهم جمماً كثيراً
واقطعت النبوة من سبط لاوي ولم يبق فيهم إلا امرأة حبلى فجعلت تدعو الله عز وجل أن يرزقها
ولداً ذكراً فولدت غلاماً فسماه أشمویل ومعناه بالعبرانية إسماعيل أي سمع الله دعائي فلما ترعرع بعثته
إلى المسجد وأسلمته عند رجل صالح فيه يكون عنده ليتعلم من خيره وعبادته فكان عنده فلما بلغ أشده
بينما هو ذات ليلة نائم إذا صوت يأتيه من ناحية المسجد فانتبه مذعوراً فظنه الشيخ يدعوه فسأله أذعوتني

فكره أن يفزعه فقال نعم نعم فنام . ثم ناداه الثانية فكذلك ثم الثالثة فلذا جبريل يدعوه فجاءه فقال إن ربك قد بعثك إلى قومك فكان من أمره معهم ما قص الله في كتابه قال الله تعالى في كتابه العزيز (ألم تر إلى الملائكة من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابث لنا ملكا قاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين . وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم . وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آله موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين . فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني إلا من اغترف غرفة يده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين . ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين)

قال أكثر المفسرين كان نبي هؤلاء القوم المذكورين في هذه القصة هو شمویل . وقيل شمعون وقيل هما واحد وقيل يوشع وهذا بعيد لما ذكره الامام أبو جعفر بن جرير في تلخيصه أن بين مبعث يوشع وبعثة شمویل أربع مائة سنة وستين سنة فالله أعلم *

والمقصود أن هؤلاء القوم لما أنهكتهم الحروب وقهرهم الأعداء سألوا نبي الله في ذلك الزمان وطلبوا منه أن ينصب لهم ملكا يكونون تحت طاعته ليقاتلوا من ورائه ومعه وبين يديه الأعداء فقال لهم (هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله) أى وأى شئ يمنعنا من القتال وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) يقولون نحن محروبون متوردون فحقب لنا أن نقاتل عن أبنائنا المنهورين المستضعفين فيهم المأسورين في قبضتهم . قال تعالى (فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين) كما ذكر في آخر القصة أنه لم يجاوز النهر مع الملك إلا القليل والباقي رجعوا ونكوا عن القتال (وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا) قال الثعلبي وهو طالوت بن قيش بن أفيل بن صارو بن نحورت بن أفيح بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم الخليل .

قال عكرمة والسدى كان سقاء وقال وهب بن منبه كان دباغا. وقيل غير ذلك فالله أعلم ولهذا (قالوا
(أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) وقد ذكروا أن النبوة كانت في
سبط لاوى وأن الملك كان في سبط يهوذا فلما كان هذا من سبط بنيامين نفروا معه وطعنوا في إمارته
عليهم وقالوا نحن أحق بالملك منه وذكروا أنه قدير لاسعة من المال معه فكيف يكون مثل هذا ملكا.
(قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم). قيل كان الله قد أرحى إلى شمويل أن أى
بنى إسرائيل كان طولُه على طول هذه العصا وإذا حضر عندك يفور هذا القرن الذى فيه من دهن
القدس فهو ملكهم فجهلوا يدخلون ويقيدون أنفسهم بتلك العصا فلم يكن أحد منهم على طولها سوى
طالوت ولما حضر عند شمويل فار ذلك القرن فدهنه منه وعينه الملك عليهم وقال لهم (إن الله اصطفاه
عليكم وزاده بسطة في العلم) قيل فى أمر الحروب وقيل بل مطلقا (والجسم) قيل الطول وقيل الجمال
والظاهر من السياق أنه كان أجملهم وأعلمهم بمد نبينهم عليه السلام (والله يؤتى ملكه من يشاء) فله الحكم
وله الخلق والأمر (والله واسع عليم) وقال لهم نبينهم إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينه من ربكم
وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) وهذا
أيضا من بركة ولاية هذا الرجل الصالح عليهم ويمنه عليهم أن يرد الله عليهم التابوت الذى كان سلب منهم
وقهرم الأعداء عليه وقد كانوا ينصرون على أعدائهم بسببه (فيه سكينه من ربكم) قيل طشت من
ذهب كان يفسل فيه صدور الأنبياء. وقيل السكينه مثل الريح الخجوج. وقيل صورتها مثل الهرة إذا
صرخت فى حال الحرب أيقن بنو إسرائيل بالنصر (وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون) قيل كان
فيه رضاض الألواح وشئ من المن الذى كان نزل عليهم باليه (تحمله الملائكة) أى تأتكم به الملائكة
يحملونه وأنتم ترون ذلك عيانا ليكون آية لله عليكم وحجة باهرة على صدق ما أقوله لكم وعلى صحة ولاية
هذا الملك الصالح عليكم ولهذا قل (إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) وقيل إنه لما غلب العمالة
على هذا التابوت وكان فيه ما ذكر من السكينه والبقية المباركة. وقيل كان فيه التوراة أيضا فلما استقر فى
أيديهم وضعوه تحت صنم لهم بأرضهم فلما أصبحوا إذا التابوت على رأس الصنم فوضعوه تحته فلما كان
اليوم الثانى إذا التابوت فوق الصنم فلما تكرر هذا علموا أن هذا أمر من الله تعالى فأخرجوه من بلادهم
وجعلوه فى قرية من قرام فأخدم داء فى رقابهم فلما طال عليهم هذا جعلوه فى عجلة وربطوها فى بقرتين
وارسلوهما فيقال إن الملائكة ساقتهما حتى جاؤا بهما ملائ بنى إسرائيل وهم ينظرون كما أخبرهم نبينهم
بذلك فالله أعلم على أى صفة جاءت به الملائكة والظاهر أن الملائكة كانت تحمله بأنفسهم كما هو المفهوم بالجنود
من الآيات والله أعلم * وإن كان الأول قد ذكره كثير من المفسرين أو أكثرهم (فلما فصل طالوت قال
إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى إلا من اغترف غرفة بيده).

قال ابن عباس وكثير من المفسرين هذا النهر هو نهر الاردن وهو المسمى بالشرية فكان من أمر طالوت بجنوده عند هذا النهر عن أمر نبي الله له عن أمر الله له إختباراً وامتحاناً أن من شرب من هذا النهر فلا يصحبنى في هذه الغزوة ولا يصحبنى إلا من لم يطعمه إلا غرفة في يده . قال الله تعالى (فشربوا منه إلا قليلاً منهم) .

قال السدى كان الجيش ثمانين ألفاً فشرب منه ستة وسبعون ألفاً فبقي معه أربعة آلاف كذا قال * وقد روى البخارى في صحيحه من حديث إسرائيل وزهير والثورى عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب قال كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا بضعة عشر وثلاثمائة مؤمن . وقول السدى أن عدة الجيش كانوا ثمانين ألفاً فيه نظر لأن أرض بيت المقدس لا تحتمل أن يجتمع فيها جيش مقاتلة يبلغون ثمانين ألفاً والله أعلم . قال الله تعالى (فلما جاوزوه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) أى استقلوا أنفسهم واستضعفوها عن مقاومة أعدائهم بالنسبة الى قتلهم وكثرة عدد عدوهم (قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) يعنى بها الفرسان منهم . والفرسان أهل الايمان والايقان الصابرون على الجلال والجدال والطعان . (ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) طلبوا من الله أن يفرغ عليهم الصبر أى يفرمهم به من فوقهم فتستقر قلوبهم ولا تقلق وأن يثبت أقدامهم فى مجال الحرب ومترك الابطال وحومة الوغى والدعاء الى التزال فسألوا التثبت الظاهر والباطن وأن ينزل عليهم النصر على أعدائهم وأعدائه من الكافرين الجاحدين بآياته وآلائه فاجابهم العظيم التقدير السميع البصير الحكيم الخبير الى ما سألوا وأنا لهم ما اليه فيه رغبوا ولهذا قال (فمزموهم باذن الله) أى بحول الله لا بحولهم وبقوة الله ونصره لا بقوتهم وعددهم مع كثرة أعدائهم وكال عددهم كما قال تعالى (ولقد نصركم الله ييـدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) وقوله تعالى (وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء) فيه دلالة على شجاعة داود عليه السلام وانه قتل قتلاً أذل به جنده وكسره ولا أعظم من غزوة يقتل فيها ملك عدوه فيغتم بسبب ذلك الأموال الجزيلة ويأسر الابطال والشجعان والاقران وتعلو كلمة الايمان على الأوثان ويدال لاولياء الله على أعدائه . ويظهر الدين الحق على الباطل وأوليائه * وقد ذكر السدى فيما يرويه أن داود عليه السلام كان أصغر أولاد أبيه وكانوا ثلاثة عشر ذكراً كان سمع طالوت ملك بنى إسرائيل وهو يمرض بنى إسرائيل على قتل جالوت وجنوده وهو يقول من قتل جالوت زوجته بابنتي وأشركته فى ملكي وكان داود عليه السلام يرمى بالقذافة وهو للقلاع رمياً عظيماً فيينا هو سائر مع بنى إسرائيل إذ ناداه جبر أن خذنى فان بنى قتل جالوت فاخذه ثم

حجر آخر كذلك ثم آخر كذلك فأخذ الثلاثة في مخلاته فلما تواجه الصفتان برز جالوت ودعا الى نفسه فتقدم اليه داود فقال له ارجع فاني أكره قتلك فقال لكني أحب قتلك وأخذ تلك الأحجار الثلاثة فوضعها في القذافة ثم أدارها فصارت الثلاثة حجراً واحداً . ثم رمى بها جالوت ففلق رأسه وفرجيشه منهزماً فوفى له طالوت بما وعده فزوجه ابنته وأجرى حكمه في ملكه وعظم داود عليه السلام عند بني إسرائيل وأحبوه ومالوا اليه أكثر من طالوت فذكروا أن طالوت حسده وأراد قتله واحتال على ذلك فلم يصل اليه وجعل العلماء يبهون طالوت عن قتل داود فتسلط عليهم فقتلهم حتى لم يبق منهم إلا القليل . ثم حصل له توبة وندم واقلاع عما سلف منه وجعل يكثر من البكاء ويخرج الى الجبابة فيبكي حتى يسيل الثرى بدموعه فنودي ذات يوم من الجبابة أن يا طالوت قتلنا ونحن أحياء وآذيتنا ونحن أموات فازداد لذلك بكاءه وخوفه واشتد وجله ثم جعل يسأل عن عالم يسأله عن أمره وهل له من توبة قبيل له وهل أقيت عالماً؟ حتى دل على امرأة من العابدات فأخذته فذهبت به الى قبر يوشع عليه السلام قالوا فدعت الله فقام يوشع من قبره فقال أقامت القيامة فقالت لا ولكن هذا طالوت يسألك هل له من توبة فقال نعم ينخلع من الملك ويذهب فيقاتل في سبيل الله حتى يقتل . ثم عاد ميتاً فترك الملك لداود عليه السلام وذهب معه ثلاثة عشر من أولاده فقاتلوا في سبيل الله حتى قتلوا قالوا فذلك قوله (وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء) هكذا ذكره ابن جرير في تزيينه من طريق السدي بأسناده . وفي بعض هذا نظر ونكارة والله أعلم .

وقال محمد بن اسحق النبي الذي بعث فاختبر طالوت بتوبته هو اليسع بن أخطوب حكاة ابن جرير أيضا . وذكر الثعلبي انها أمت به الى قبر اشمويل فاتبه على ما صنع بعده من الامور وهذا أنسب . ولعله انما رآه في النوم لا أنه قام من القبر حيا فان هذا انما يكون معجزة لنبي وتلك المرأة لم تكن نبيه والله أعلم * وزعم أهل التوراة أن مدة ملك طالوت الى أن قتل مع أولاده أربعون سنة فأنه أعلم *

قصة داود وما كان في أيامه من فضائله وسماحه واولاد نبوته واولاده

هو داود بن ايشا بن عويد بن عابر بن سلون بن نمشون بن عويناذب بن ارم بن حصرون بن فارص ابن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عبد الله ونبيه وخليفته في أرض بيت المقدس * قال

ببب

محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه كان داود عليه السلام قصيرا أزرق العينين قليل الشعر طاهر القلب وقيمه . تقدم أنه لما قتل جالوت وكان قتله له فيما ذكر ابن عساكر عند قصر أم حكيم بقرب مرج الصفر فأحبتة بنو إسرائيل ومالوا اليه والى ملكه عليهم فكان من أمر طالوت ما كان وصار الملك الى داود عليه السلام وجمع الله له بين الملك والنبوة بين خير الدنيا والآخرة وكان الملك يكون في سبط والنبوة في آخر فاجتمع في داود هذا وهذا كما قال تعالى (وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) أى لولا اقامة الملوك حكاما على الناس لأكل قوى الناس ضعيفهم . ولهذا جاء في بعض الآثار (السلطان ظل الله فى أرضه) . وقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان (ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) . وقد ذكر ابن جرير فى تاريخه أن جالوت لما بارز طالوت فقال له اخرج الى واخرج اليك فندب طالوت الناس فانتدب داود فقتل جالوت . قال وهب بن منبه فقال الناس الى داود حتى لم يكن لطالوت ذكر وخلصوا طالوت وولوا عليهم داود * وقيل ان ذلك عن أمر شمويل حتى قال بعضهم إنه ولاء قبل الوقعة . قال ابن جرير والذى عليه الجمهور انه انما ولى ذلك بعد قتل جالوت والله أعلم * وروى ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز ان قتله جالوت كان عند قصر أم حكيم وان النهر الذى هناك هو المذكور فى الآية فالله أعلم * وقال تعالى (ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وأنا له الحديد أن اعمل سابقات وقدر فى السرد واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير) وقال تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين . وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) . أعانه الله على عمل الدروع من الحديد ليحصن المقاتلة من الأعداء وارشده الى صنعها وكيفيتها فقال (وقدر فى السرد) أى لا تدق المسامير فينلق ولا تملظه فيفصم قاله مجاهد وقتادة والحكم وعكرمة .

قال الحسن البصرى وقتادة والاعمش كان الله قد ألان له الحديد حتى كان يفتله بيده لا يحتاج الى نار ولا مطرقة . قال قتادة فكان أول من عمل الدروع من زرد وانما كانت قبل ذلك من صفائح قال ابن شوذب كان يعمل كل يوم درعا يديهما بستة آلاف درهم وقد ثبت فى الحديث أن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وان نبي الله داود كان يأكل من كسبه يده وقال تعالى (واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أواب . انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) قال ابن عباس ومجاهد الأيد القوة فى الطاعة يعنى ذا قوة فى العبادة والعمل الصالح قال قتادة اعطى قوة فى العبادة وفقها فى الاسلام قال وقد ذكر لنا أنه كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر . وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ص . قال (أحب الصلوة الى الله صلاة داود

وأحب الصيام الى الله صيام داود) كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفتر اذا لاقى . وقوله (انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة كل له أواب) كما قال (يا جبال أوبي معه والطير) أى سبحى معه قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد فى تفسير هذه الآية) انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق) أى عند آخر النهار وأوله وذلك انه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يمطه أحدا بحيث انه كان اذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير فى الهواء يُرجع بترجيعة ويسبح بتسبيحه وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشيا صلوات الله وسلامه عليه . وقال الاوزاعى حدثنى عبد الله بن عامر قال اعطى داود من حسن الصوت ما لم يمط أحد قط حتى أن كان الطير والوحش ينعكف حوله حتى يموت عطشا وجوعاً وحتى ان الانهار لتقف . وقال وهب بن منبه كان لا يسمعه احد الا حبل كهيئة الرقص وكان يقرأ الزبور بصوت لم تسمع الاذان بمثله فيعكف الجن والانس والطير والدواب على صوته حتى يهلك بعضها جوعاً وقال أبو عوانة الاسفراينى حدثنا أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا محمد بن منصور الطوسى سمعت صبيحاً أئبثنا برادح قال ابو عوانة وحدثنى أبو العباس المدنى حدثنا محمد بن صالح العدوى حدثنا سيار هو ابن حاتم عن جعفر عن مالك قال كان داود عليه السلام اذا أخذ فى قراءة الزبور فتفتت العذارى وهذا غريب . وقال عبد الرزاق عن ابن جريج سألت عطاء عن القراءة على الغناء فقال وما بأس بذلك سمعت عبيد بن عمر يقول كان داود عليه السلام يأخذ العزفة فيضرب بها فيقرأ عليها فتد عليه صوته يريد بذلك أن يبكى وتبكي . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت سمع رسول الله (ص) صوت أبى موسى الاشعري وهو يقرأ فقال لقد أوتى أبو موسى من مزامير آل داود وهذا على شرط الشيخين ولم يخرجاه من هذا الوجه وقال احمد حدثنا حسن حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمر عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال لقد أعطى أبو موسى من مزامير داود على شرط مسلم وقد روينا عن أبى عثمان الترمذى أنه قال لقد سمعت الربيط والمزمار فما سمعت صوتاً أحسن من صوت أبى موسى الاشعري . وقد كان مع هذا الصوت الرخيم سريع القراءة لكتاب الزبور كما قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن هام عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) خفف على داود القراءة فكان يأمر بدابته فتسرح فكان يقرأ القرآن من قبل أن تسرح دابته وكان لا يأكل الا من عمل يديه وكذلك رواه البخارى

منفرداً به عن عبد الله بن محمد عن عبد الرزاق به ولفظه خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوا به
فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه ولا يأكل الا من عمل يديه . ثم قال البخاري ورواه موسى
ابن عقبة عن صفوان هو ابن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن النبي (ص) وقد أسنده
ابن عساكر في ترجمة داود عليه السلام في تاريخه من طرق عن ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة
ومن طريق أبي عاصم عن أبي بكر السبري عن صفوان بن سليم به .

والمراد بالقرآن ههنا الزبور الذي انزله عليه وأوحاه اليه وذكروا رواية أشبه أن يكون محفوظاً فانه
كان ملكاً له اتباع فكان يقرأ الزبور بمقدار ما تسرج الدواب وهذا أمر سريع مع التدبر وانترنم
والتغنى به على وجه التخشع صلوات الله وسلامه عليه وقد قال الله تعالى (وآتينا داود زبوراً) والزبور
كتاب مشهور وذكروا في التفسير الحديث الذي رواه أحمد وغيره أنه أنزل في شهر رمضان وفيه من
المواعظ والحكم ما هو معروف لمن نظره فيه وقوله (وشددنا ملكه وآتينا الحكمة وفصل الخطاب)
أى أعطيناه ملكاً عظيماً وحكماً نافذاً . روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن رجلين
تداعيا الى داود عليه السلام في بقر ادعى أحدهما على الآخر أنه اغتصبها منه فانكر المدعى عليه فارجأ
أمرها الى الليل فلما كان الليل أوحى الله اليه أن يقتل المدعى فلما أصبح قال له داود ان الله قد أوحى الى
أن أقتلك فانا قاتلك لا محالة فما خبرك فيما ادعيتك على هذا قال والله يا نبي الله انى لمحق فيما ادعيت
عليه ولكنى كنت اغتلت أباه قبل هذا فأمر به داود فقتل فظم أمر داود في بني اسرائيل جدا
وخضعوا له خضوعاً عظيماً . قال ابن عباس وهو قوله تعالى (وشددنا ملكه) وقوله تعالى (وآتينا
الحكمة) أى النبوة (وفصل الخطاب) قال شريح والشعبي وقتادة وأبو عبد الرحمن السلمي وغيرهم
فصل الخطاب الشهود والأيمان يعنون بذلك البيعة على المدعى واليمين على من أنكر . وقال مجاهد
والسدي هو اصابة القضاء وفهمه . وقال مجاهد هو الفصل في الكلام وفي الحكم واختاره ابن جرير
وهذا لا ينافى ما روى عن أبي موسى أنه قول (اما بعد) . وقال وهب بن منبه لما كثر الشر وشهادات
الزور في بني اسرائيل أعطى داود سلسلة لفصل القضاء فكانت ممدودة من السماء الى صخرة بيت
القدس وكانت من ذهب فاذا تشاجر الرجلان في حق فأيهما كان محقاً فالما والآخرا يصل اليها فلم
تزل كذلك حتى اودع رجل رجلاً لؤلؤة فجددها منه واتخذ عكازاً وأودعها فيه فلما حضرا عند
الصخرة تناوها المدعى فلما قيل للاخر خذها بيدك عمد الى العكاز فأعطاه المدعى وفيه تلك اللؤلؤة
وقال اللهم انك تعلم انى دفعتها اليه ثم تناول السلسلة فناها فأشكك أمرها على بني اسرائيل . ثم
رفت سريماً من بينهم . ذكره بمعناه غير واحد من المفسرين . وقد رواه اسحق بن بشر عن ادريس
ابن سنان عن وهب به بمعناه (وهل أتاك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففرغ منهم

قالوا لا تخف خصمان بنى بمضنا على بعض فاحكم بيننا بلحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط إن هذا أخى له تسع وتسعون فجة ولى فجة واحدة فقال أ كفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى فاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وذن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأتاب . فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب .

وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ههنا قصصا وأخبارا أكثرها اسراييليات ومنها ما هو مكذوب لا محالة تركنا ايرادها في كتابنا قصدا اكتفاء واقتصارا على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

وقد اختلف الأئمة في سجدة ص هل هي من عزائم السجود أو انما هي سجدة شكر ليست من عزائم السجود على قولين * قال البخارى حدثنا محمد بن عبدالله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسى عن العوام قال سألت مجاهدا عن سجدة ص فقال سألت ابن عباس من أين سجدت قال أو ما تقرأ (ومن ذريته داود وسليمان) (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) فكان داود ممن أمر نبيكم (ص) أن يقتدى به فسجدها داود عليه السلام فسجدها رسول الله (ص) . وقد قال الامام أحمد حدثنا اسمعيل هو ابن عليه عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال في السجود في ص ليست من عزائم السجود . وقد رأيت رسول الله (ص) يسجد فيها . وكذا رواه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث أيوب وقال الترمذى حسن صحيح وقال النسائى أخبرنى ابراهيم بن الحسين المسمى حدثنا حجاج بن محمد عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي (ص) سجد في ص وقال سجدها داود توبة ونسجدها شكرا تفرد به أحمد ورجاله ثقات وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبى سرح عن أبى سعيد الخدرى قال قرأ رسول الله (ص) وهو على المنبر ص فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد معه الناس فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشرف الناس للسجود فقال انما هي توبة نبي ولكن رأيتم تشرقم فزول وسجد . تفرد به أبو داود واسناده على شرط الصحيح . وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حميد حدثنا بكر هو ابن عمر وأبو الصديق الناجى أنه أخبره أن أباسعيد الخدرى رأى رؤيا أنه يكتب ص فلما بلغ الى التي يسجد بها رأى الدواة والقلم وكل شئ بحضرة اقلب ساجدا قال فقصها على النبي (ص) فلم يزل يسجد بها بعد * تفرد به أحمد وروى الترمذى وابن ماجه من حديث محمد بن يزيد بن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبى يزيد قال قال لى ابن جريج حدثنى جلدك عبيد الله بن أبى يزيد عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي (ص) فقال يا رسول الله انى

رأيت فيما يرى النائم كأنى أصلى خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت الشجرة بسجودى فسمعتها تقول
وهى ساجدة (اللهم اكتب لى بها عندك أجرا واجعلها لى عندك ذخراً وضع عني بها وزرا واقبلها منى
كما قبلت من عبدك داود) وقال ابن عباس فرأيت النبي (ص) قام قراً السجدة ثم سجد فسمته يقول
وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة . ثم قال الترمذى غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه .
وقد ذكر بعض المفسرين أنه عليه السلام مكث ساجداً أربعين يوماً وقاله مجاهد والحسن وغيرها
وورد فى ذلك حديث مرفوع لكنه من رواية يزيد الرقاشى وهو ضعيف متروك الرواية * قال الله تعالى
(ففخرنا له ذلك وان له عندنا لزلنى وحسن مآب) . اى ان له يوم القيامة لزلنى وهى القرية التى يقربه الله
بها ويدينه من حظيرة قدسه بسببها كما ثبت فى حديث (المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكاننا
بديه يمين الذين يقسطون فى أهلهم وحكمهم وما ولوا) . وقال الامام أحمد فى مسنده حدثنا يحيى بن
آدم حدثنا فضيل عن عطية عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله (ص) ان أحب الناس الى الله
يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا امام عادل وان أبغض الناس الى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا امام جائر
وهكذا رواه الترمذى من حديث فضيل بن مرزوق الاغربى وقال لا نعرفه مرفوعا الا من هذا
الوجه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن أبى زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان
سمعت مالك بن دينار فى قوله (وان له عندنا لزلنى وحسن مآب) قال يقوم داود عليه السلام يوم القيامة
عند ساق العرش فيقول الله يا داود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرحيم الذى كنت تمجدنى فى
الدنيا فيقول وكيف وقد سلبته فيقول انى أردته عليك اليوم قال فيرفع داود بصوت يستفرغ نعيم
أهل الجنان (يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن
سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) هذا خطاب من الله
تعالى مع داود والمراد ولاية الامور وحكام الناس وأمرهم بالعدل واتباع الحق المنزل من الله لا ما سواه
من الآراء والاهواء وتوعد من سلك غير ذلك وحكم بغير ذلك وقد كان داود عليه السلام هو المقتدى
به فى ذلك الوقت فى العدل وكثرة العبادة وأنواع القربات حتى إنه كان لا يمضى ساعة من آناه الليل
وأطراف النهار إلا وأهل بيته فى عبادة ليلا ونهاراً كما قال تعالى (اعملوا آل داود شكراً وقليل من
عبادى الشكور) قال أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا اسمعيل بن ابراهيم بن بسام حدثنا صالح المزى عن
أبى عمران الجونى عن أبى الجلسد قال قرأت فى مسألة داود عليه السلام أنه قال يا رب كيف لى أن
أشرك وأنا لا أصل الى شرك إلا بنعمتك قال فاتاه الوحي « أن يا داود ألت تعلم أن الذى بك
من النعم منى قال بلى يا رب قال فاتى أرضى بذلك منك » وقال البيهقى أنانا أبو عبد الله الحافظ أنانا أبو
بكر بن بلويه حدثنا محمد بن يونس القرشى حدثنا روح بن عبادة حدثنى عبد الله ابن لاحق عن ابن

شهاب قال قال داود الحمد لله كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله فاحس الله اليه إنك أتيت الحفظة يا داود» ورواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن هلي بن الجعد عن الثوري مثله وقال عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد أنبأنا سفیان الثوري عن رجل عن وهب بن منبه قال ان في حكمة آل داود حق على العاقل أن لا يفتل عن أربع ساعات ساعة يتأجج فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه ببيوبه ويصدقونه عن نفسه وساعة يخلى بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل فان هذه الساعة عون على هذه الساعات واجام للقلوب وحق على العاقل أن يعرف زمانه ويحفظ لسانه ويقبل على شأنه * وحق على العاقل أن لا يظن إلا في إحدى ثلاث زاد لمعاده ومرة لمعاشه ولذة في غير محرم وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن أبي بكر بن أبي خيثمة عن ابن مهدي عن سفیان عن أبي الاغر عن وهب بن منبه فذكره . ورواه أيضا عن علي بن الجعد عن عمر بن الهيثم الرقاشي عن أبي الاغر عن وهب بن منبه فذكره وأبو الاغر هذا هو الذي أبهت ابن المبارك في روايته . قاله ابن عساكر وقال عبد الرزاق أنبأنا بشر بن رافع حدثنا شيخ من أهل صنعاء يقال له أبو عبد الله قال سمعت وهب بن منبه فذكر مثله . وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة داود عليه السلام أشياء كثيرة مليحة منها قوله كن لليتيم كالأب الرحيم * واعلم أنك كاترزع كذلك تمحصد . وروى بسند غريب مرفوعا قال داود يازارع السيئات أنت تمحصد شوكتها وحسكها وعن داود عليه السلام أنه قال مثل الخطيب الاحق في نلدى القوم كمثل المغنى عند رأس الميت وقال أيضا ما أقبح القفر بعد الغنى وأقبح من ذلك الضلالة بعد الهدى وقال انظر ماتكره أن يذكر عنك في نلدى القوم فلا تفضله اذا خلوت . وقال لا تمدن أخاك بما لا تنجزه له فان ذلك عداوة ما بينك وبينه . وقال محمد بن سعد أنبأنا محمد بن عمر الواقدي حدثني هشام بن سعد عن عمر مولى عفرة قال قالت يهود لما رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج النساء انظروا الى هذا الذي لا يشبع من العظام ولا والله ماله همة الا الى النساء حسدوه لكثرة نسائه وعابوه بذلك فقالوا لو كان نبيا مارغب في النساء وكان أشد من ذلك حيي بن أخطب فأكذبهم الله وأخبرهم بفضل الله وسنته على نبيه صلوات الله عليه وسلامه فقال (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) يعنى بالناس رسول الله صلى الله عليه وسلم (قد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) يعنى ما أتى الله سليمان ابن داود كانت له الف امرأة سبعمائة مهيبة وثلاثمائة سرية وكانت لداود عليه السلام مائة امرأة منهن امرأة أوريا أم سليمان بن داود التي تزوجها بعد الفتنة هذا أكثر مما لمحمد صلى الله عليه وسلم . وقد ذكر الكلبى نحو هذا وانه كان لداود عليه السلام مائة امرأة وسليمان الف امرأة منهن ثلاثمائة سرية

(١) وروى الحافظ في تزيينه في ترجمة صدقة الدمشقي الذي يروى عن ابن عباس من طريق الفرج

(١) من هنا لآخر القصة لم يوجد في النسختين الموجودتين بالمكتبة المصرية .

ابن فضالة الحمصي عن أبي هريرة الحمصي عن صدقة الدمشقي أن رجلا سأل ابن عباس عن الصيام فقال لأحدثك بمحدث كان عندي في البحث (١) مخزوناً إن شئت أنبأتك بصوم داود فإنه كان صواماً قواماً وكان شجاعاً لا يفر إذا لاقى وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صيام داود وكان يقرأ الزبور بسبعين صوتاً يكون فيها وكانت له ركة من الليل يبكي فيها نفسه ويبكي بيكاته كل شيء ويصرف بصوته الهوم والمهوم * وان شئت أنبأتك بصوم ابنه سليمان فإنه كان يصوم من أول الشهر ثلاثة أيام ومن وسطه ثلاثة أيام ومن آخره ثلاثة أيام يستفتح الشهر بصيام ووسطه بصيام ويختتمه بصيام . وان شئت أنبأتك بصوم ابن العذراء البتول عيسى بن مريم فإنه كان يصوم الدهر ويأكل الشعير ويلبس الشعر يأكل ما وجد ولا يسأل عما قد ليس له ولد يموت ولا بيت يخرّب وكان أينما أدركه الليل صفت بين قدميه وقام يصلي حتى يصبح وكان رامياً لا يفوته صيد يريد به وكان يمر بمجالس بني إسرائيل فيقضى لهم حوائجهم .

وان شئت أنبأتك بصوم أمه مريم بنت عمران فإنها كانت تصوم يوماً وتفطر يومين .
وان شئت أنبأتك بصوم النبي العربي الامي محمد (ص) فإنه كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ويقول إن ذلك صوم الدهر . وقد روى الامام احمد عن أبي النصر عن فرج بن فضالة عن أبي هرم عن صدقة عن ابن عباس مرفوعاً في صوم داود *

كَيْفَةُ حَيَاةٍ وَكَيْفَةُ وِفَاةٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قد تقدم في ذكر الاحاديث الواردة في خلق آدم أن الله لما استخرج ذريته من ظهره فرأى فيهم الانبياء عليهم السلام ورأى فيهم رجلاً يزهر فقال أي رب من هذا قال هذا ابنك داود قال أي رب كم عمره قال ستون عاماً قال أي رب زد في عمره قال لا الا أن أزيد من عمرك وكان عمر آدم ألف عام فزاده أربعين عاماً فلما اتقضى عمر آدم جاءه ملك الموت فقال بقي من عمري أربعون سنة ونفس آدم ما كان وهبه لولده داود فاتمها الله لآدم الف سنة ولد داود مائة سنة رواه احمد عن ابن عباس والترمذي وصححه عن أبي هريرة وابن خزيمة وابن حبان . وقال الحاكم على شرط مسلم . وقد تقدم ذكر طرقة والفاظه في قصة آدم * قال ابن جرير وقد زعم بعض أهل الكتاب أن عمر داود كان سبعمائة سنة . قلت هذا غلط مردود عليهم قالوا وكان مدة ملكه أربعين سنة وهذا قد يقبل قوله لانه ليس عندنا ما ينافيه ولا ما يقتضيه

واما وفاته عليه السلام قال الامام احمد في مسنده حدثنا قبيصة حدثنا يعقوب بن عبدالرحمن بن محمد بن عمرو بن ابي عمرو عن المطلب عن ابي هريرة أن رسول الله (ص) قال: كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان اذا خرج أغلق الابواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع قال فخرج ذات يوم وغلقت الدار فاقبلت امرأته تطلع الى الدار فلذا رجل قائم وسط الدار فقالت لمن في البيت من أين دخل هذا الرجل والدار منقعة والله لنتنضحن بذاود فجاء داود فاذا الرجل قائم في وسط الدار فقال له داود من أنت قال أنا النبي لا آهاب الملوك ولا أئمنع من الحجاب فقال داود أنت والله إذن ملك الموت مر جبا بأمر الله ثم مكث حتى قبضت روحه فلما غسل وكفن وفرغ من شأنه طلعت عليه الشمس فقال سليمان للطير أظلي على داود فاظلته الطير حتى اظلمت عليه الأرض فقال سليمان للطير اقبضى جناحا قال قال أبو هريرة فطلق رسول الله (ص) يرينا كيف فعلت الطير وقبض رسول الله (ص) بيده وغلبت عليه يومئذ المضرحية . انفرد باخراجه الامام احمد واسناده جيد قوى رجاله ثقات ومعنى قوله وغلبت عليه يومئذ المضرحية أى وغلبت على التظليل عليه الصقور الطوال الاجنحة واحدا مضرحي * قال الجوهري وهو الصقر الطويل الجناح وقال السدي عن ابي مالك عن ابن عباس قال مات داود عليه السلام فجأة وكان بسبب وكانت الطير تظله . وقال السدي أيضاً عن ابي مالك وعن سعيد بن جبير قال مات داود عليه السلام يوم السبت فجأة . وقال اسحاق بن بشر عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن الحسن قال مات داود عليه السلام وهو ابن مائة سنة ومات يوم الاربعاء فجأة . وقال ابوالسكن الهجري مات ابراهيم الخليل فجأة وداود فجأة وابنه سليمان فجأة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين رواه ابن عساکر وروى عن بعضهم أن ملك الموت جاءه وهو نازل من محرابه فقال له دعني أنزل أو أصعد فقال يا نبي الله قد ضنت السنون والشهور والآثار والارزاق . قال فخر ساجداً على مرقاة من تلك المراتى قبضه وهو ساجد . وقال اسحاق بن بشر (١) ابناً وافر بن سليمان عن ابي سليمان الفلسطيني عن وهب بن منبه قال إن الناس حضروا جنازة داود عليه السلام فجلسوا في الشمس في يوم صائف قال وكان قد شيع جنازته يومئذ اربعمائة الف راهب عليهم البرانس سوى غيرهم من الناس ولم يمت في بني إسرائيل بعد موسى وهرون أحد كانت بنو إسرائيل أشد جزعا عليه منهم على داود قال فأدام الحر فنادوا سليمان عليه السلام أن يسل لهم وقاية لما اصابهم من الحر فخرج سليمان فنادى الطير فاجابت فامرها أن تظل الناس فتراص بعضها الى بعض من كل وجه حتى استمسكت الريح فكاد الناس أن يهلكوا غماً فصاحوا

(١) هو اسحاق بن بشر بن حذيفة البخارى صاحب كتاب المبتدا والفتوح وتركوه وكذبه على بن المدينى وقال ابن جان لا يحمل حديثه الا على جهة التعجب وقال الدارقطنى متروك وقوله وافر بن سليمان كذا بالنسخة الحلبية .

الى سليمان عليه السلام من الغم فخرج سليمان فنادى الطير أن أظلي الناس من ناحية الشمس وتنجي عن ناحية الريح ففعلت فكان الناس في ظل وتهب عليهم الريح فكان ذلك أول ما رآوه من ملك سليمان .
وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع حدثني الوليد بن مسلم عن الهيثم بن حميد عن الوضين بن عطاء عن نصر بن علقمة عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء قال قال رسول الله (ص) لقد قبض الله داود من بين أصحابه ما فتنوا ولا بدلوا ولقد مكث أصحاب المسيح على سنه وهدبه مائتي سنة هذا حديث غريب وفي رفعه نظر والوضين بن عطاء كان ضعيفا في الحديث والله أعلم *

قصّة سليمان بن داود عليهما السلام

قال الحافظ بن عساكر هو سليمان بن داود بن ايشان بن عويد بن عابر بن سلون بن نحشون بن عمينا داب بن ارم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم أبي الربيع نبي الله بن نبي الله . جاء في بعض الآثار أنه دخل دمشق . قال ابن ماكولا فارص بالصاد المهملة وذكّر نسبه قريبا مما ذكره ابن عساكر قال الله تعالى (وورث سليمان داود) وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا هو الفضل المبين) أي ورثه في النبوة والملك وليس المراد ورثه في المال لانه قد كان له بنون غيره فما كان ليخص بالمال دونهم ولأنه قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله (ص) قال لا نورث ما تركنا فهو صدقة وفي لفظ نحن معاشر الأنبياء لا نورث فاخبر الصادق المصدوق بأن الانبياء لا تورث أموالهم عنهم كما يورث غيرهم بل يكون أموالهم صدقة من بدم على الفقراء والمحاويج لا يخصصونها بها اقرباؤهم لان الدنيا كانت أهون عليهم وأحرر عندهم من ذلك كما هي عند الذي أرسلهم واصطفاهم وفضلهم وقال (يا أيها الناس علمنا منطق الطير الآية) يعني أنه عليه السلام كان يعرف ما يتخاطب به الطيور بلغاتها ويعبر للناس عن مقاصدها واراقتها . وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ (١) أنبأنا علي بن حشاد (٢) حدثنا اسمعيل بن قتيبة حدثنا علي بن قدامة حدثنا أبو جعفر الاسواني (٣) يعني محمد بن عبد الرحمن عن أبي

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع . وانما عرف بالحاكم لتقلده القضاء وهو صاحب المستدرک وغيره (٢) كذا في الحلية وحشاد في المصريتين وكلاهما خطأ والصواب حشاد عن محمود الامام (٣) كذا في الفسخ بنون بعد الالف وواو بعد السين وهو خطأ والصواب الاستوائى بالهمز بعد الالف وبتاء مثناة بين السين والواو نسبة الى استواء بضم الهمزة ثم السكون وضم التاء المثناة وواو وألف . وهي كورة من نواحي نيسابور ومعناها

يعقوب القمي (١) حدثني أبو مالك قال مر سليمان بن داود بمصفور يدور حول عصفورة فقال لاصحابه أتدرون ما يقول قالوا وما يقول يا نبي الله : قال يخطبها الى نفسه ويقول زوجيني أسكنك أي غرف دمشق شئت. قال سليمان عليه السلام لان غرف دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها أحد ولكن كل خاطب كذاب . رواه ابن عساكر عن أبي القاسم زاهر بن طاهر (٢) عن البيهقي به وكذلك ما عداها من الحيوانات وسائر صنوف المخلوقات والدليل على هذا قوله بعد هذا من الآيات (وأوتينا من كل شيء) أي من كل ما يحتاج الملك اليه من العدد والآلات والجنود والجيش والجماعات من الجن والانس والطيور والوحوش والشياطين السارحات والعلوم والفهوم والتعبير عن ضائر المخلوقات من الناطقات والصامتات ثم قال (إن هذا هو الفضل المبين) أي من باري البريات وخالق الأرض والسموات كما قال تعالى (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والخنزير فهم يوزعون حتى اذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) .

يخبر تعالى عن عبده ونبيه وابن نبيه سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أنه ركب يوما في جيشه جميعه من الجن والانس والطيور فالجن والانس يسرون معه والطيور سائرة معه تظله بأجنحتها من الحر وغيره وعلى كل من هذه الجيوش الثلاثة وزعة أي ثقباء يردون أوله على آخره فلا يتقدم أحد عن موضعه الذي يسير فيه ولا يتأخر عنه قال الله تعالى (حتى اذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) فأمرت وحذرت واعتذرت عن سليمان وجنوده بعدم الشعور . وقد ذكر وهب أنه مر وهو على البساط بواد بالطائف وأن هذه النملة كان اسمها جرسا وكانت من قبيلة يقال لهم بنو الشيبان وكانت عرجاء وكانت بقدر الذئب . وفي هذا كله نظر بل في هذا السياق دليل على أنه كان في مركبه راكبا في خيوله وفرسانه لا كما زعم بعضهم من أنه كان اذ ذاك على البساط لانه لو كان كذلك لم ينل النمل منه شيء ولا وطء لان البساط كان عليه جميع ما يحتاجون اليه من الجيوش والخيول والجمال والاثقال والخيام والانعام والطيور من فوق ذلك كله كما سنبينه بعد ذلك إن شاء الله تعالى

بلسانهم المضحاة والمشرقه عن محمود الامام (١) كذا بالاصول بالعين المهملة والصواب القمي بضم القاف وتشديد الميم . وهو يعقوب بن عبد الله بن سعد بن مالك بن هاني بن عامر بن أبي عامر الاشعري أبو الحسن القمي رحمه الله (٢) هو زاهر بن طاهر أبو القاسم الشحامى مسند بنيسابور صحيح السماع لكنه يخل بالصلاة فترك الرواية عنه غير واحد من الحفاظ تورعا وقبله آخرون

والمقصود أن سليمان عليه السلام فهم ما خاطبت به تلك النملة لامتها من الرأي السديد والأمر الحميد وتبسم من ذلك على وجه الاستبشار والفرح والسرور بما أطلعه الله عليه دون غيره وإيس كما يقوله بعض الجهلة من أن الدواب كانت تنطق قبل سليمان وتخطب الناس حتى أخذ عليهم سليمان بن داود العهد وألجها فلم تتكلم مع الناس بعد ذلك فإن هذا لا يقوله إلا الذين لا يعلمون ولو كان هذا هكذا لم يكن لسليمان في فهم لغاتها مزية على غيره إذ قد كان الناس كلهم يفهمون ذلك ولو كان قد أخذ عليها العهد أن لا تتكلم مع غيره وكان هو يفهمها لم يكن في هذا أيضاً فائدة يعول عليها ولهذا قال (رب أوزعني) أي ألهمني وأرشدني (أن أشكر نعمتك التي أنمت على وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) فطلب من الله أن يقيضه للشكر على ما أنعم به عليه وعلى ما خصه به من المزية على غيره وأن يسر عليه العمل الصالح وأن يحشره إذا توفاه مع عباده الصالحين وقد استجاب الله تعالى له * والمراد بالديه داود عليه السلام وأمه وكانت من العابدات الصالحات كما قال سنيد بن داود عن يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر عن النبي (ص) قال قالت أم سليمان بن داود يا بني لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تدع العبد فقيراً يوم القيامة. رواه ابن ماجه عن أربعة من مشايخه عنه به نحوه. (١) وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري أن سليمان ابن داود عليه السلام خرج هو وأصحابه يستسقون فرأى نملة قائمة رافعة إحدى قوائمها تستسقي فقال لأصحابه ارجعوا فقد سقيتم ان هذه النملة استسقت فاستجيب لها. قال ابن عساکر وقد روى مرفوعاً ولم يذكر فيه سليمان ثم ساقه من طريق محمد بن عزيز عن سلامة بن روح بن خالد عن عقيل عن ابن شهاب حدثني أبو سلمة عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله (ص) يقول خرج نبي من الانبياء بالناس يستسقون الله فإذا هم بنملة رافعة بعض قوائمها الى السماء فقال النبي ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل هذه النملة وقال السدي أصاب الناس قحط على عهد سليمان عليه السلام فأمر الناس فخرجوا فإذا بنملة قائمة على رجلها باسطة يديها وهي تقول « اللهم انا خلق من خلقك ولا غناء بنا عن فضلك » قال فصب الله عليهم المطر. قال تعالى (وتفقد الطير مقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين فكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبأ يقين انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم. وجئتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدم عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذى يخرج الخب فى السموات والارض ويعلم ما يخفون وما تعلنون الله لا إله الا هو رب العرش العظيم. قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين. اذهب بكتابي هذا فآله اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون.

(١) من هنا لغاية قوله فصب الله عليهم المطر لم يوجد بالتسخين الموجودتين بالمكتبة المصرية.

قالت يا أيها الملاء انى التى الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تفلرا على واتونى مسلمين قالت يا أيها الملاء ائتونى فى امرى ما كنت قاطعة امرآ حتى تشهدون قالوا نحن اولوا قوة وأولوا بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين . قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة أهلها اذلة وكذلك يفعلون وانى مرسله اليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال ائتمدون بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل اتم بهديتكم تفرحون . ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون) يذكر تعالى ما كان من أمر سليمان والهدهد وذلك أن الطيور كان على كل صنف منها مقدمون يقدمون بما يطلب منهم ويحضرون عنده بالنوبة كما هي عادة الجنود مع الملوك وكانت وظيفة الهدهد على ما ذكره ابن عباس وغيره أنهم كانوا اذا اعوزوا الماء فى القفار فى حال الاسفار يجي فينظر لهم هل بهذه البقاع من ماء وفيه من القوة التى أودعها الله تعالى فيه أن ينظر الى الماء تحت نخوم الأرض فاذا دلم عليه حفروا عنه واستنبطوه واخرجوه واستعملوه لحاجتهم فلما طلبه سليمان عليه السلام ذات يوم فقدته ولم يجده فى موضعه من محل خدمته (قال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) أى ماله مفقود من ههنا أو قد غاب عن بصرى فلا أراه بحضرتى (لأعذبه عذابا شديدا) توعدده بنوع من العذاب * اختلف المفسرون فيه والمقصود حاصل على كل تقدير (أولا ذبحته أو ليأتينى بسلطان مبین) أى بحجة تنجيه من هذه الورطة . قال الله تعالى (فمكث غير بعيد) أى فتاب الهدهد غيبة ليست بطويلة ثم قدم منها (قال) لسليمان (احطت بما لم تحط به) أى اطلمت على ما لم تطلع عليه (وجئتك من سبأ نبأ يقين) أى بخبر صادق (انى وجدت امرأة تملكهم وأرنيت من كل شىء ولها عرش عظيم) يذكر ما كان عليه ملوك سبأ فى بلاد اليمن من المملكة العظيمة والتبابعة المتوجين وكان الملك قد آكل فى ذلك الزمان الى امرأة منهم ابنة ملكهم لم يخلف غيرها فملكوها عليهم .

وذكر الثعلبي وغيره أن قومها ملكوا عليهم بعد ابيها رجلا فسم به الفساد فارسلت اليه تخطبه فتزوجها فلما دخلت عليه سقته خرا ثم حزت رأسه ونصبتة على بابها فاقبل الناس عليها وملكوها عليهم وهى بلقيس بنت السيرح وهو الهدهد وقيل شراحيل بن ذى جدن بن السيرح بن الحرث بن قيس ابن صيفى بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان أبوها من اكابر الملوك وكان يأتى أن يتزوج من أهل اليمن فيقال إنه تزوج بامرأة من الجن اسمها ريمحانة بنت السكن فولدت له هذه المرأة واسمها ثلقمة ويقال لها بلقيس . وقد روى الثعلبي من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن النضر بن انس عن بشير بن نهيك عن أبى هريرة عن النبي (ص) أنه قال كان أحد أبوى بلقيس جنياً . وهذا حديث غريب وفى سنده ضعف . وقال الثعلبي اخبرنى أبو عبد الله بن قبحونة حدثنا أبو بكر بن جريرة حدثنا ابن أبى الليث حدثنا أبو كريب حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن أبى بكره قال ذكرت بلقيس

عند رسول الله (ص) قال لا يفلح قوم وكوا أمرهم امرأة . اسماعيل بن مسلم هذا هو المكي ضعيف . وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث عوف عن الحسن عن أبي بكرة أن رسول الله (ص) لما بلغه أن أهل فارس ملكوا عليهم ابنة كسرى قال لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة . ورواه الترمذي والنسائي من حديث حميد عن الحسن عن أبي بكرة عن النبي (ص) وقال الترمذي حسن صحيح وقوله (واوتيت من كل شيء) أي مما من شأنه أن تؤتاه الملوك (ولها عرش عظيم) يعني سرير ملكتها كان مزخرفاً بتواضع الجواهر والآلي والذهب والحلي الباهر . ثم ذكر كفرهم بالله وعبادتهم الشمس من دون الله واضلال الشيطان لهم وصده أيام عن عبادة الله وحده لا شريك له الذي يخرج الخبث في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون أي يعلم السرائر والظواهر من المحسوسات والمعنويات (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) أي له العرش العظيم الذي لا أعظم منه في الخلوقات . فعند ذلك بعث معه سليمان عليه السلام كتابه يتضمن دعوته لهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله والالتفاف والاذعان إلى الدخول في الخضوع للملكة وسلطانه ولهذا قال لهم (ألا تعلموا على) أي لا تستكبروا عن طاعتي وامثال أوامري (واتوني مسلمين) أي وأقدموا على سامعين مطيعين بلا معاودة ولا مراودة فلما جاءها الكتاب مع الطير ومن ثم أخذ الناس البطائق ولكن أين الثريا من الثرى تلك البطاقة كانت مع طائر سامع مطيع فأم عالم بما يقول ويقال له فذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم أن المهدد حمل الكتاب وجاء إلى قصرها فلقاه إليها وهي في خلوة لها ثم وقف فاحية ينتظر ما يكون من جوابها عن كتابها فجمعت أمراءها ووزراءها واكبر دولتها إلى مشورتها (قالت يا أيها الملائة أتى التي إلى كتاب كريم) ثم قرأت عليهم عنوانه أولاً (إله من سليمان) ثم قرأته (وإله بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلموا على واتوني مسلمين) ثم شاورتهم في أمرها وما قد حل بها وقادبت معهم وخاطبتهم وهم يسمعون (قالت يا أيها الملائة أتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون) تعني ما كنت لأبت أمراً إلا وأنتم حاضرون (قلوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد) يعنون لنا قوة وقدرة على الجلال والقتال ومقومة الأبطال فإن أردت منا ذلك فإنا عليه من القادرين (و) مع هذا (الامر إليك فانظري ماذا تأمرين) فبدلوا لها السمع والطاعة وأخبروها بما عندهم من الاستطاعة وفوضوا إليها في ذلك الامر لتري فيه ما هو الارشد لها ولهم فكان رأيها أنهم وأسد من رأيهم وعلت أن صاحب هذا الكتاب لا يغال ولا يمانع ولا يخالف ولا يخادع (قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) تقول برأيها السيد إن هذا الملك لو قد غلب على هذه المملكة لم يخلص الأمر من بينكم إلا إلى ولم تكن الحدة والشدة والسطوة البليغة إلا على (وإني مرسلت إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) أرادت أن تصانع عن نفسها وأهل مملكتها بهدية ترسلها وتحف تبثها ولم تعلم أن سليمان عليه السلام لا يقبل منهم والحالة هذه صرفاً ولا عدلاً لأنهم كافرون وهو

وجنوده عليهم قادرين ولهذا (لما جاء سليمان قال اعدونى بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون) هذا وقد كانت تلك الهدايا مشتملة على أمور عظيمة كما ذكره المفسرون ثم قال لرسولها اليه ووافدها التي قدم عليه والناس حاضرون يسمعون (ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) يقول ارجع بهديتك التي قدمت بها الي من قدم بها فان عندي مما قد أفهم الله على وأسدها الي من الاموال والتحف والرجال ما هو اضعاف هذا وخير من هذا الذي انتم تفرحون به وتفخرون على أبناء جنسكم بسببه (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) أى فلا يثبت اليهم بجنود لا يستطيعون دفاعهم ولا تراهم ولا مما فتهم ولا قتالهم ولا يخرجهم من بلادهم وحوزتهم ومعاملتهم ودولتهم أذلة (وهم صاغرون) عليهم الصغار والمار والدمار فلما بلغهم ذلك عن نبي الله لم يكن لهم بد من السمع والطاعة فبادروا الي اجابته في تلك الساعة وأقبلوا صحبة الملكة أجمعين سامعين مطيعين خاضعين فلما سمع بقدمهم عليه ووفودهم اليه قال لمن بين يديه ممن هو مسخر له من الجن ما قصه الله عنه في القرآن . (قال يا أيها الملا أياكم باتيني برشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوى أمين . قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ومن شكر فأنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غنى كريم قال فكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله إلهها كانت من قوم كافرين قيل . لما ادخل الصرح فلما رآته حسبه لجة وكشفت عن ساقها قال انه صرح ممر من قوارير قالت رب انى ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) .

لما طلب سليمان من الجن أن يحضروا له عرش بلقيس وهو سرير مملكتها التي تجلس عليه وقت حكمها قبل قدومها عليه (قال عفريت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك) يعنى قبل أن ينتضى مجلس حكمك وكان فيما يقال من أول النهار الى قريب الزوال يتصدى لمهمات بنى اسرائيل وما لهم من الاشغال (واني عليه لقوى أمين) أى واني لذو قدرة على احضارى اليك وامانة على ما فيه من الجواهر النفيسة لديك (قال الذي عنده علم من الكتاب) المشهور أنه آصف بن برخيا وهو ابن خالة سليمان . وقيل هو رجل من مؤمنى الجن كان فيما يقال يحفظ الاسم الاعظم . وقيل رجل من بنى اسرائيل من علمهم وقيل إنه سليمان وهذا غريب جداً . وضعفه السهيلي بانه لا يصح في سياق الكلام قال وقد قيل فيه قول رابع وهو جبريل (أنا آتيتك به قبل أن يرتد اليك طرفك) قيل معناه قبل أن تبث رسولا الى أقصى ما ينتهى اليه طرفك من الارض ثم يعود اليك . وقيل قبل أن يصل اليك أبداً من تراه من

الناس وقيل قبل أن يكمل طرفك اذا أدمت انظر به قبل أن تطبق جنك . وقيل قبل أن يرجع اليك طرفك اذا نظرت به الى أبد غاية منك ثم أغضيته وهذا أقرب ما قيل . (فلما رآه مستقراً عنده)
 أي فلما رأى عرش بلقيس مستقراً عنده في هذه المدة القريبة من بلاد اليمن الى بيت المقدس في طرفه عين
 (قال هذا من فضل ربي ليولني أشكر أم أ كفر) أي هذا من فضل الله على وفضله على عبده ليختبرهم
 على الشكر أو خلافه (ومن شكر فأتوا يشكر لنفسه) أي انما يعود نفع ذلك عليه (ومن كفر فان ربي غني
 كريم) أي غني عن شكر الشاكرين ولا يتضرر بكفر الكافرين ثم أمر سليمان عليه السلام أن يغير
 حلي هذا العرش وينكر لها ليختبر فهمها وعقلها ولهذا قال (فنظر أتهدى أم تكون من الذين لا يهتدون
 فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو) وهذا من فطنتها وجزارة فهمها لأنها استبعدت أن
 يكون عرشها لأنها خلقتة وراها بأرض اليمن ولم تكن تعلم أن أحداً يقدر على هذا الصنع العجيب
 الغريب قال الله تعالى اخباراً عن سليمان وقومه (وأوتينا العلم من قبلها وكننا مسلمين وصدها ما كانت
 تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين) أي ومنعها عبادة الشمس التي كانت تسجد لها هي
 وقومها من دون الله اتباعاً لدين آباؤهم واسلافهم لا لدليل قادم الى ذلك ولا حدام على ذلك وكان
 سليمان قد أمر ببناء صرح من زجاج وعمل في ممره ماء وجعل عليه سقفاً من زجاج وجعل فيه من السمك
 وغيرها من حواب الماء وأمرت بدخول الصرح وسليمان جالس على سريره فيه (فلما رآه حسبته لجة
 وكشفت عن ساقها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت ربي إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله
 رب العالمين) وقد قيل إن الجن أرادوا أن يشعروا منظرها عند سليمان وأن تبدي عن ساقها ليرى
 ما عليها من الثمر فينفره ذلك منها وخشوا أن يتزوجها لأن أمها من الجن فتسلط عليهم معه . وذكر
 بعضهم أن حافرها كان كحافر الدابة وهذا ضعيف وفي الاول أيضاً نظر والله أعلم الا أن سليمان قيل
 إنه لما أراد ازالته حين عزم على تزوجها سأل الأوس عن زواله فذكروا له موسى فامتنعت من ذلك
 فسأل الجن فضنعوا له التورة ووضعوا له الحمام فكان أول من دخل الحمام فلما وجد مسه قال أوه من
 عذاب أوه أوه قبل أن لا ينفع أوه . رواه الطبراني مرفوعاً وفيه نظر .

وقد ذكر الثعلبي وغيره أن سليمان لما تزوجها أقرها على مملكة اليمن وردها اليه وكان يزورها في
 كل شهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام ثم يعود على البساط وأمر الجن فبنوا له ثلاثة قصور باليمن غمدان
 وسالحين ويثون فأنه أعلم . وقد روى ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أن سليمان لم
 يتزوجها بل زوجها بملك همدان وأقرها على ملك اليمن وسخر زوبعة ملك جن اليمن فبنى لها القصور
 الثلاثة التي ذكرناها باليمن والأول أشهر واظهر والله أعلم .

وقال تعالى في سورة ص (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والاعناق . ولقد فتنا سليمان والقيينا على كرسیه جداً ثم أناب . قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب . فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد . هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا لزلزلي وحسن ما أب). يذکر تعالى أنه وهب لداود سليمان عليهما السلام ثم أثني الله عليه تعالى فقال (نعم العبد إنه أواب) أي رجاع مطيع لله . ثم ذكر تعالى ما كان من أمره في الخيل الصافنات وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة . الجياد وهي المضمرة السراع (فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) يعني الشمس . وقيل الخيل على ما سنده من القولين . (ردوها على فطفق مسحاً بالسوق والاعناق) قيل مسح عراقيها وأعناقها بالسيوف . وقيل مسح عنها العرق لما أجراها وسابق يديها وبين يديه على القول الآخر * والذي عليه أكثر السلف الأول فقالوا اشتغل بمرض تلك الخيول حتى خرج وقت العصر وغربت الشمس روى هذا عن علي بن أبي طالب وغيره والذي يقطع به أنه لم يترك الصلاة عمداً من غير عذر اللهم إلا أن يقال إنه كان سائفاً في شريعتهم فأخر الصلاة لاجل أسباب الجهاد وعرض الخيل من ذلك * وقد ادعى طائفة من العلماء في تأخير النبي (ص) صلاة العصر يوم الخندق أن هذا كان مشروعاً اذ ذاك حتى نسخ بصلاة الخوف قاله الشافعي وغيره . وقال مكحول والاوزاعي بل هو حكم محكم الى اليوم أنه يجوز تأخيرها بعذر القتال الشديد كما ذكرنا تقرير ذلك في سورة النساء عند صلاة الخوف . وقال آخرون بل كان تأخير النبي (ص) صلاة العصر يوم الخندق نسياناً وعلى هذا فيحمل فعل سليمان عليه السلام على هذا والله أعلم . وأما من قال الضمير في قوله حتى توارت بالحجاب عائد على الخيل وأنه لم تفته وقت صلاة وان المراد بقوله (ردوها على فطفق مسحاً بالسوق والاعناق) يعني مسح العرق عن عراقيها وأعناقها فهذا القول اختاره ابن جرير ورواه الوابي عن ابن عباس في مسح العرق * ووجه هذا القول ابن جرير بأنه ما كان ليعذب الحيوان بالعرقه ويهلك مالا بلا سبب ولا ذنب لها وهذا الذي قاله فيه نظر لانه قد يكون هذا سائفاً في ملتهم وقد ذهب بعض علمائنا الى أنه اذا خاف المسلمون أن يظفر الكفار على شيء من الحيوانات من أغنام ونحوها جاز ذبحها واهلا كما لثلا يتقوا بها وعليه حمل صنيع جعفر بن أبي طالب يوم عقر فرسه بموته وقد قيل إنها كانت خيلاً عظيمة . قيل كانت عشرة آلاف فرس . وقيل عشرين الف فرس . وقيل كان فيها عشرون فرساً من ذوات الاجنحة . وقد روى أبو داود في سننه حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد ابن أبي مریم أنبأنا يحيى بن أيوب حدثني عمارة بن عزيزة أن محمد بن ابراهيم حدثه عن محمد بن أبي سلمة

ابن عبد الرحمن عن عائشة قالت قدم رسول الله (ص) من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر فهبث الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة تلب فقال ما هذا يا عائشة فقالت بناتي ورأى ينهن فرسا له جناحان من رقاع فقال ما هذا الذي أرى وسطهن قلت فرس قال وما الذي عليه هذا قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة قالت فضحك حتى رأيت نواجذه (ص) . وقال بعض العلماء لما ترك الخليل لله عرضه الله عنها بما هو خير له منها وهو الريح التي كانت غدوها شهرا وورواها شهرا كما سيأتي الكلام عليها كما قال الامام احمد حدثنا اسمعيل حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبي قتادة وأبي الدهماء وكانا يكثران السفر نحو البيت قالا أتينا على رجل من أهل البادية فقال البدوي أخذ بيدي رسول الله (ص) فجعل يعلني مما علمه الله عز وجل وقال انك لاتدع شيئا اتقاء الله عز وجل الا أعطاك الله خيرا منه . وقوله تعالى (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أنب) . ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من المفسرين ههنا آثارا كثيرة عن جماعة من السلف وأكثرها أو كلها متلقاة من الاسرائيليات وفي كثير منها فكارة شديدة وقد نهنا على ذلك في كتابنا التفسير واقتصرنا ههنا على مجرد التلاوة ومضمون ما ذكره أن سليمان عليه السلام غاب عن سريره أربعين يوما ثم عاد اليه ولما عاد أمر ببناء بيت المقدس فبناء بناء محكما . وقد قدمنا أنه جدده وأن أول من جمعه مسجداً اسراييل عليه السلام كما ذكرنا ذلك عند قول أبي ذر قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال مسجد بيت المقدس قلت كم بينهما قال أربعون سنة ومعلوم أن بين ابراهيم الذي بنى المسجد الحرام وبين سليمان بن داود عليهما السلام أزيد من ألف سنة دع أربعين سنة وكان سؤاله الملك الذي لا ينبغي لاحد من بعده بعد اكماله البيت المقدس كما قال الامام احمد والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم باسانيدهم عن عبد الله بن فيروز الديلمي عن عبد الله ابن عمرو ابن العاص قال قال رسول الله (ص) إن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خلافا ثلاثا فأعطاه اثنتين ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة سأله حكما يصادف حكمه فأعطاه إياه وسأله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فأعطاه إياه وسأله إيمارا رجل خرج من بيته لا يريد الا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيبته مثل يوم ولدته أمه فنحن نرجو أن يكون الله قد أعطانا إياها . فلما الحكم الذي يوافق حكم الله تعالى قد أتى الله تعالى عليه وعلى أبيه في قوله (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرف إذ فنشت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) وقد ذكر شريح القاضي وغير واحد من السلف أن هؤلاء القوم كان لهم كرم فنشت فيه غم قوم آخرين أي رعته بالابل فاكلت شجره بالكافية فتعاكروا الى داود عليه السلام فحكم لاصحاب الكرم بقيته فلما خرجوا على سليمان قال بما حكم لكم نبي الله فقالوا بكذا وكذا فقال أما لو كنت أنا لما حكمت الا بتسليم الغم الى اصحاب الكرم فيستغلونها تاجا ودرزا حتى

يصلح أصحاب النعم كرم أولئك ويردوه الى ما كان عليه ثم يتسلوا غنمهم فبلغ داود عليه السلام ذلك فحكم به وقريب من هذا ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، بينا امرأتان معهما ابناهما اذ عدا الذئب فأخذ ابن احدهما فتنازعتا في الاخر فقالت الكبرى انما ذهب بابنك وقالت الصغرى بل انما ذهب بابنك فتحاكتنا الى داود فحكم به للكبرى فخرجاتا على سليمان فقال اثنوني بالسكين أشقه نصفين لكل واحدة مكا نصفه فقالت الصغرى لا تفعل برحمك الله هو ابنها قضى به لها وامل كلا من الحكيم كان سائفا في شريعتهم ولكن ما قاله سليمان أرجح ولهذا اثني الله عليه بما ألهه اياه ومدح بعد ذلك أباه فقال (وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلما صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون). ثم قال (ولسليمان الريح عاصفة) أي وسخرنا لسليمان الريح عاصفة (تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين. ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنالهم حافظين). وقال في سورة ص (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب. وان له عندنا نزلي وحسن ما أب). لما ترك الخليل ابتغاء وجه الله عوضه الله منها الريح التي هي أسرع سيرا وأقوى وأعظم ولا كافة عليه لما تجرى بأمره رخاء (حيث أصاب) أي حيث أراد من أي البلاد. كان له بساط مركب من أخشاب بحيث إنه يسع جميع ما يحتاج اليه من الدور المبنية والقصور والحمام والأمتعة والخيول والجمال والانتقال والرجال من الانس والجان وغير ذلك من الحيوانات والطيور فاذا أراد سفراً أو مستنزها أو قتال ملك أو أعداء من أي بلاد الله شاء فاذا حمل هذه الأمور المذكورة على البساط أمر الريح فدخلت تحته فرفته فاذا استقل بين السماء والارض أمر الرخاء فسارت به فان أراد أسرع من ذلك أمر العاصفة فحملته أسرع ما يكون فوضعت في أي مكان شاء بحيث إنه كان يرتحل في أول النهار من بيت المقدس فتعدو به الريح فتضعه باصطخر مسيرة شهر فيقيم هناك الى آخر النهار ثم يروح من آخره فترده الى بيت المقدس كما قال تعالى (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعلموا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور). قال الحسن البصري كان يفتدو من دمشق فينزل باصطخر فيفتدى بها ويذهب رانحا منها فبييت بكابل وبين دمشق وبين اصطخر مسيرة شهر وبين اصطخر وكابل مسيرة شهر قلت قد ذكر المتكلمون على الصمران والبلدان أن اصطخر بنتها الجان لسليمان وكان فيها قرار مملكة الترك قديما وكذلك غيرها من بلدان شتى كندسرو بيت المقدس ولبب جبرون ولبب البريد اللذان بدمشق على أحد الاقوال.

وأما القطر فقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقاتدة وغير واحد هو النحاس قال قنادة وكانت باليمن أنبعها الله له قال السدي ثلاثة أيام فقط أخذ منها جميع ما يحتاج اليه للبناءات وغيرها وقوله (ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير) أي وسخر الله له من الجن عمالا يعملون له ما يشاء لا يفترون ولا يخرجون عن طاعته ومن خرج منهم عن الأمر عذبه ونكل به (يعملون له ما يشاء من محاريب) وهي الاماكن الحسنة وصدور المجالس (وتماثيل) وهي الصور في الجدران وكان هذا سائغا في شريعتهم وملتهم (وجنان كالجواب). قال ابن عباس الجنة كالجوبة من الارض وعنه كالحياض وكذا قال مجاهد والحسن وقاتدة والضحاك وغيرهم وعلى هذه الرواية يكون الجواب جمع نجابية وهي الحوض الذي يجبي فيه الماء كما قال الاعشى .

ترويح على آل المخلوق جفنة كجباية الشيخ العراقي يفرق

وأما القدور الراسيات فقال عكرمة أنها فيها منها يعني أنها ثوابت لا يزلن عن أما كنهن وهكذا قال مجاهد وغير واحد ولما كان هذا بصدد اطعام الطعام والاحسان الى الخلق من انسان وجان قال تعالى (اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور) وقال تعالى (والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد) يعني أن منهم من قد سخره في البناء ومنهم من يأمره بالغوص في الماء لاستخراج ما هنالك من الجواهر واللاكي وغير ذلك كما لا يوجد الا هنالك وقوله (وآخرين مقرنين في الاصفاد) أي قد عصوا فقيدوا مقرنين اثنين اثنين في الاصفاد وهي القيود . هذا كله من جملة ما هباه الله وسخر له من الاشياء التي هي من تمام الملك الذي لا ينبغي لاحد من بعده ولم يكن أيضا لمن كان قبله وقد قال البخاري ثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال إن عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع على صلاتي فأمكنني الله منه فاخذته فأردت أن أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان (رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فردده خاسئا) . وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة وقال مسلم حدثنا محمد بن سلمة المرادي حدثنا عبد الله بن وهب عن معاوية بن صالح حدثني ربيعة بن يزيد عن أبي ادريس الخولاني عن أبي الدرداء قال قام رسول الله (ص) فصلى فسمعناه يقول أعوذ بالله منك ألعنك بلعنة الله ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيئا فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله سمعناك تقول في الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال إن عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجمعه في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات . ثم أردت أخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة . وكذا رواه النسائي عن محمد بن سلمة به . وقال احمد حدثنا أبو احمد حدثنا مرة بن معبد ثنا أبو عبيد

حاجب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد اللبثي قائماً يصلي فذهبت أمرين يديه فردني ثم قال حدثني أبو سعيد الخدري أن رسول الله (ص) قام فصلى صلاة الصبح وهو خلفه فقرأ فاتبست عليه القراءة . فلما فرغ من صلاته قال لو رأيتموني وابليس فاهويت بيدي فمازلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين الابهام والتي تليها ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل . روى أبو داود منه فمن استطاع الى آخره عن احمد بن سريج عن احمد الزيري به *

وقد ذكر غير واحد من السلف أنه كانت لسليمان من النساء الف امرأة سبعانة بمهود وثلاثمائة سراري وقيل بالعكس ثلثمائة حرأر وسبعانة من الاماء . وقد كان يطيق من التمتع بالنساء أمراً عظيماً جداً قال البخاري حدثنا خالد بن مخلد حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال قال سليمان بن داود لا طوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل شيئاً الا واحداً ساقطاً أحد شقيه فقال النبي (ص) لو قالها لجاهدوا في سبيل الله * وقال شعيب وابن أبي الزناد تسعين وهو أصح تفرد به البخاري من هذا الوجه وقال أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا يزيد أنبأنا هشام بن حسان عن محمد بن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) قال سليمان بن داود لا طوفن الليلة على مائة امرأة كل امرأة منهن تلد غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف تلك الليلة على مائة امرأة فلم تلد منهن امرأة إلا امرأة ولدت نصف انسان فقال رسول الله (ص) لو قال إن شاء الله لولدت كل امرأة منهن غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل . إسناده على شرط الصحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه . وقال الامام احمد حدثنا هشيم ثنا هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال سليمان بن داود لا طوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل واحدة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله ولم يستثن فماتت الا واحدة منهن بشق انسان قال قال رسول الله (ص) لو استثنى لولد له مائة غلام كلهم يقاتل في سبيل الله عز وجل تفرد به احمد أيضاً . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر بن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) قال سليمان بن داود لا طوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله قال ونسي أن يقول إن شاء الله فطاف بهن قال فلم تلد منهن امرأة الا واحدة نصف انسان قال رسول الله (ص) لو قال إن شاء الله لم يمحن وكان دركاً لحاجته وهكذا أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به مثله . وقال اسحاق بن بشر أنبأنا مقاتل عن أبي الزناد وابن أبي الزناد عن أبيه عن عبد الرحمن بن أبي هريرة أن سليمان بن داود كان له اربعمائة امرأة وستمائة سرية فقال يوماً لا طوفن الليلة على الف امرأة فتحمل كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يستثن فطاف عليهن فلم تحمل واحدة منهن

الا امرأة واحدة منهن جاءت بشق إنسان فقال النبي (ص)، والذي نفسى بيده لو استثنى فقال إن شاء الله لولد له ما قال فرسان ولجاهدوا في سبيل الله عز وجل . وهذا اسناد ضعيف لحال اسحاق بن بشر فانه منكر الحديث ولا سيما وقد خالف الروايات الصحاح . وقد كان له عليه السلام من أمور الملك واتساع الدولة وكثرة الجنود وتنوعها ، لم يكن لاحد قبله ولا يعطيه الله أحدا بعده كما قال (وأوتينا من كل شئ وقال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى انك أنت الوهاب) وقد اعطاه الله ذلك بنص الصادق المصدوق . ولما ذكر تعالى ما أنعم به عليه واسداه من النعم السكاملة العظيمة اليه قال (هذا عطاؤنا فانهن أو أمسك بغير حساب) أى أعط من شئت واحرم من شئت فلا حساب عليك أى تصرف فى المال كيف شئت فان الله قد سوغ لك كما تفعله من ذلك ولا يحاسبك على ذلك وهذا شان النبي الملك بخلاف العبد الرسول فان من شأنه أن لا يعطى أحدا ولا يمنع أحدا إلا باذن الله له فى ذلك وقد خير نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه بين هذين المقامين فاختر أن يكون عبداً رسولاً . وفى بعض الروايات أنه استشار جبريل فى ذلك فأشار اليه أن تواضع فاختر أن يكون عبداً رسولاً صلوات الله وسلامه عليه وقد جعل الله الاخلافة والملك من بعده فى أمته الى يوم القيامة فلا تزال طائفة من أمته ظاهرين حتى تقوم الساعة فله الحمد والمنة .

ولما ذكر تعالى ما وهبه لنبى سليمان عليه السلام من خير الدنيا نبه على ما أعده له فى الآخرة من الثواب الجزيل والاجر الجميل والقربة التى تقربه اليه والفوز العظيم والا كرام بين يديه وذلك يوم المعاد والحساب حيث يقول تعالى (وان له عندنا زلفى وحسن ما ب) .

وَفَاةٌ وَمَرَّةٌ مَلِكُهُ وَحِمَاةٌ

قال الله تبارك وتعالى (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) . روى ابن جرير وابن أبى حاتم وغيرهما من حديث ابراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن النبي (ص) قال كان سليمان نبي الله عليه السلام اذا صلى رأى شجرة فابته بين يديه فىقول لها ما اسمك فتقول كذا فىقول لاي شئ أنت فان كانت افرس غرست وان كانت لدواء أنبتت فىينا هو يصلى ذات يوم اذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت انخروب قال لاي شئ أنت قالت نخراب هذا البيت قال سليمان اللهم عم على الجن موتى حتى تعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب ففتحها عصا فتوكتا عليها حولاً والجن تعمل فاكتمها الارضة فبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً فى العذاب المهين . قال وكان ابن عباس يقرؤها كذلك قال فشكرت الجن للارضة فكانت تأتيا باللاه .

لفظ ابن جرير وعطاء الخراساني في حديثه نكارة * وقد رواه الحافظ ابن عساكر من طريق سلمة ابن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً وهو أشبه بالصواب والله أعلم . وقال السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من الصحابة كان سليمان عليه السلام يتجرد في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل طعامه وشرابه فأدخله في المرذالتى توفي فيها فكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه الا نبتت في بيت المقدس شجرة فيأتيها فيسألها ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فان كانت لغرس غرسها وان كانت نبتت دواء قالت نبتت دواء لكذا وكذا فيجمعها كذلك حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها ما اسمك فقالت أنا الخروبة فقال ولاي شيء نبتت فقالت نبتت لخراب هذا المسجد فقال سليمان ما كان الله ليخربه وأناحي أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس قزعها وغرسها في حائط له . ثم دخل المحراب فقام يصلى متكئاً على عصاه فمات ولم تعلم به الشياطين وهم في ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول الست جليداً ان دخلت فخرجت من ذلك الجانب فيدخل حتى يخرج من الجانب الاخر فدخل شيطان من اولئك فمر ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان عليه السلام وهو في المحراب الا احترق ولم يسمع صوت سليمان ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع في البيت ولم يحترق ونظر الى سليمان عليه السلام قد سقط ميتاً فخرج فاخبر الناس أن سليمان قدم مات ففتحوا عنه فاخرجوه ووجدوا منسأته وهي العصا بلسان الحبشة قد اكلتها الارضة ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على العصا فكانت منها يوماً ولبيلة . ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قدمات منذ سنة وهي قراءة ابن مسعود فمكثوا بدأ بوزله من بعد موته حولا كاملاً فايقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبون ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له وذلك قول الله عز وجل (ادلهم على موته الا دابة الارض تاكل منسأته فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) يقول تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم ثم إن الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام لأتيناك باطيب الطعام ولو كنت تشرين الشراب سقيناك اطيب الشراب ولكننا منتقل اليك الماء والطين قل فانهم ينقلون اليها ذلك حيث كانت قال الم ترالى الطين الذي يكون في جوف الخشب فهو ما يأتيها به الشيطان تشكر آلهما . وهذا فيه من الاسرائيلات التي لا تصدق ولا تكذب .

وقال أبو داود في كتاب القدر حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن الاعمش عن خزيمة قال قال سليمان بن داود عليهما السلام ملك الموت اذا أردت أن تهبط روحى فأعلمنى قال ما أنا أعلم بذلك منك انما هي كتب يلقى الى فيها تسمية من يموت . وقال اصبح بن الفرج وعبد الله بن وهب عن

عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال قال سليمان ملك الموت اذا أمرت بي فاعلمني فانه قال يا سليمان قد أمرت بك قد بقيت لك سوية فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي فأتى كاهن على عصاه قال فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متوك على عصاه ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت قال والجن تعمل بين يديه وبنظرون اليه يحسبون أنه حي قال فبعث الله دابة الارض يعنى الى منسأته فاكلتها حتى اذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر فلما رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا قال فذلك قوله (مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خرت بينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين). قال اصبغ وبلغني عن غيره أنها مكثت سنة تأكل في منسأته حتى خر وقد روى نحو هذا عن جماعة من السلف وغيرهم والله أعلم.

قال اسحاق بن بشر عن محمد بن اسحاق عن الزهري وغيره ان سليمان عليه السلام عاش ثنتين وخمسين سنة وكان ملكه أربعين سنة وقال اسحاق أنبأنا أبو روق عن عكرمة عن ابن عباس أن ملكه كان عشرين سنة والله أعلم وقال ابن جرير فكان جميع عمر سليمان بن داود عليهما السلام نيفاً وخمسين سنة وفي سنة اربع من ملكه ابتداء ببناء بيت المقدس فيما ذكر ثم ملك بعده ابنه رجبام مدة سبع عشرة سنة فيما ذكره ابن جرير وقال ثم تفرقت بعده مملكة بني إسرائيل.

جماعة من انبياء بني اسرائيل بعد داود وسليمان وقبل زكريا ويحيى عليهم السلام

فمنهم شعيا بن امصيا قال محمد بن اسحاق وكان قبل زكريا ويحيى وهو ممن بشر بعيسى ومحمد عليهما السلام وكان في زمانه ملك اسمه حزقيا على بني إسرائيل ببلاد بيت المقدس وكان سامعاً مطيعاً لشعيا فيما يأمره به وينهاه عنه من المصالح وكانت الاحداث قد عظمت في بني إسرائيل فرض الملك وخرجت في رجله قرحة . وقصد بيت المقدس ملك بابل في ذلك الزمان وهو سنحاريب قال ابن اسحاق في ستمائة الف راية وفزع الناس فزعاً عظيماً شديداً وقال الملك للنبي شعيا ماذا أوحى الله اليك في أمر سنحاريب وجنوده فتألم بوح الى فبهم شيء بعد . ثم نزل عليه الوحي بالأمر للملك حزقيا بان يوصي ويستخلف على ملكه من يشاء فانه قد اقترب أجله فلما أخبره بذلك أقبل الملك على القبلة فصلى وسبح ودعا وبكى فقال وهو يبكي ويتضرع الى الله عز وجل يتدب مخلص وتوكل وصبر (اللهم رب الأرباب وإله الآلهة يا رحمن

٣٣

يارحيم يا من لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرني بعلمى وفعلى وحسن قضائى على بنى اسرائيل وذلك كله كان منك فانت أعلم به من نفسى صرى واعلانى لك) قال فاستجاب الله له ورحمه واوحى الله الى شعيا أن يحشره بأنه قد رحم بكاءه وقد أفر في أجله خمس عشر سنة وأنجاه من عدوه سنحاريب فلما قال له ذلك ذهب منه الوجع واقطع عنه الشر والحزن وخر ساجداً وقال فى سجوده (اللهم أنت الذى تعطى الملك من تشاء وتنزعه ممن تشاء وتمز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين) فلما رفع رأسه أوحى الله الى شعيا أن يأمره أن يأخذ ماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ويصبح قد برى. ففعل ذلك فشفي وارسل الله على جيش سنحاريب الموت فاصبحوا وقد هلكوا كلهم سوى سنحاريب وخمسة من اصحابه منهم نخت نصر فارسل ملك بنى اسرائيل فجاء بهم فجمعهم فى الاغلال وطاف بهم فى البلاد على وجه التنكيل بهم والاهانة لهم سبعين يوماً ويطعم كل واحد منهم كل يوم رغيفين من شعير ثم أودعهم السجن واوحى الله تعالى الى شعيا أن يأمر الملك برسالتهم الى بلادهم لينذروا قومهم ما قد حل بهم فلما رجعوا جمع سنحاريب قومه واخبرهم بما قد كان من امرهم فقال له السحرة والكهنة انا اخبرناك عن شأن ربهم وانبيائهم فلم تطعنا وهى أمة لا يستطيعها احد من ربهم فكان أمر سنحاريب مما خوفهم الله به. ثم مات سنحاريب بعد سبع سنين. قال ابن اسحاق ثم لما مات حزقيا ملك بنى اسرائيل مرح امرم واختلطت احداهم وكثر شرم فوحي الله تعالى الى شعيا فقام فيهم فوعظهم وذكرهم واخبرهم عن الله بما هو اهله وانذرهم بأسه وعقابه ان خالفوه وكذبوه. فلما فرغ من مقالته عدوا عليه وطلبوه ليقتلوه فهرب منهم فر بشجرة فانفلقت له فدخل فيها وادركه الشيطان فاخذ بهدبة ثوبه فبرزها فلما رأوا ذلك جاؤا بالمنشار فوضعه على الشجرة فنشروها ونشروه معها فان الله وإنا اليه راجعون

ومنهم ارميا بن حلفيا من كسبى لادوى بن يعقوب

وقد قيل إنه الخضر رواه الضحاك عن ابن عباس وهو غريب وليس بصحيح. قال ابن عساکر جاء فى بعض الآثار أنه وقف على دم يحيى بن زكريا وهو يفور بدمشق فقال أيها الدم فنتت الناس فاسكن فسكن ورسب حتى غاب. وقال أبو بكر بن ابى الدنيا حدثنى على بن أبى مریم عن احمد بن حنبل عن عبد الله بن عبد الرحمن قال قال ارميا أى رب أى عبادك احب اليك قال اكثرهم لى ذكرأ الذين يشتغلون بذكرى عن ذكر الخلائق. الذين لا تعرض لهم وسادس الفناء ولا يحدثون انفسهم بالبقاء. الذين اذا عرض لهم عيش الدنيا قلوبهم واذا زوى عنهم سروا بذلك. اولئك انحلهم محبتى واعطيتهم فوق غاياتهم.

غرائب بيت المقدس

وقوله تعالى (وأتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل أن لا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبداً شكوراً . وقضينا الى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلمن علواً كبيراً . فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا اولى بأس شديد فجاؤا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر فقيراً إن أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسووا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تبيها . عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) وقال وهب بن منبه أوحى الله الى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له أرميا حين ظهرت فيهم المعاصي أن قم بين ظهراني قومك فاخبرهم أن لهم قلوبا ولا يفقهون وأعيننا ولا يبصرون وآذاننا ولا يسمعون وانى تذكرت صلاح آبائهم فمطفتني ذلك على أبنائهم فسلمهم كيف وجدوا غب طاعتي وهل سعد أحد ممن عصاني بمعصيتي وهل شقي أحد ممن أطاعني بطاعتي إن الدواب تذكر أوطانها فتزغ اليها وان هولاء القوم تركوا الأمر الذي أكرمت عليه آباءهم والتمسوا الكرامة من غير وجهها أما أحبارهم فانكروا حتى وأما قراؤهم فعبدوا غيري وأما نساكم فلم ينتفعوا بما علموا وأما ولاتهم فكذبوا على وعلى رسلي . خزنوا المكر في قلوبهم وعودوا الكذب ألسنتهم . وانى أقسم بجلالي وعزتي لا هيجن عليهم جيولا لا يفقهون ألسنتهم ولا يعرفون وجوههم ولا يرحمون بكاءهم ولا يبتن فيهم ملكا جباراً قاسياً له عساكر كقطع السحاب ومواكب كأمثال الفجاج كان خفقان رايته طيران النسور وكان حمل فرسانه كالعقبان يعيدون العمران خرابا ويتركون القرى وحشة فياويل أيليا وسكانها كيف أذلهم للقتل وأسلط عليهم السبا واعيد بعد لجب الاعراس صراخا وبعد صهيل الخيل عواء الذآب وبعد شرافات القصور مساكن السباع وبعد ضوء السرج وهج العجاج وبالمرزحلا وبالنعمة العبودية وأبدان نساءهم بعد الطيب التراب . وبالمنشئ على الزرابي الخجب ولا جعلن أجسادهم زبالا للأرض وعظامهن ضاحية للشمس ولا دوسنهم بالوان العذاب ثم لا مرن السماء فتكون طبقة من حديد والارض سبيكة من نحاس فان أمطرت لم تنبت الارض وان أنبتت شيئا في خلال ذلك فبرحتي للبهائم . ثم أحبسه في زمان الزرع وأرسله في زمان الحصاد فان زرعوا في خلال ذلك شيئا سلطت عليه الآفة فان خلص منه شيء نزعته منه البركة فان دعوني لم أجبهم وان سألوا لم أعظمهم وان بكوا لم أرحمهم وان تضرعوا صرفت وجهي عنهم . رواه ابن عساكر بهذا اللفظ .

وقال اسحاق بن بشر أنبئنا إدريس عن وهب بن منبه قال ان الله تعالى لما بعث أرميا الى بني إسرائيل وذلك حين عظمت الاحداث فيهم فعملوا بالمعاصي وقتلوا الانبياء طمع بخت نصر فيهم وقذف

الله في قلبه وحدث نفسه بالمسير اليهم لما أراد الله أن ينتقم به منهم فأوحى الله إلى أرميا إني مهلك بني إسرائيل ومنتقم منهم قم على صخرة بيت المقدس ياتيك أمرى ووحى قام أرميا فشق ثيابه وجعل الرءاد على رأسه وخر ساجداً وقال يارب وددت أهي لم تلدني حين جعلتني آخر أنبياء بني إسرائيل فيكون خراب بيت المقدس وبوار بني إسرائيل من أجل قال له ارفع رأسك فرفع رأسه فبكى ثم قال يارب من تسلط عليهم فقال عبدة النيران لا يخافون عقابي ولا يرجون ثوابي قم يا أرميا فاستمع وحي أخبرك خبرك وخبر بني إسرائيل. من قبل أن أخلقك اخترتك. ومن قبل أن أصورك في رحم أمك قدسك ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ومن قبل أن تبلغ نبأك ومن قبل أن تبلغ الأشد اخترتك ولا أمر عظيم أجيتك قم مع الملك تسدده وترشده فكان مع الملك يسدده ويأتيه الوحي من الله حتى عظمت الأحداث ونسوا ما نجام الله به من عدوم سنحاريب وجنوده فأوحى الله إلى أرميا قم فاقصص عليهم ما أمرك به وذكروا نعمتي عليهم وعرفهم أحداً فقال أرميا (يا رب إني ضعيف إن لم تقوني عاجز إن لم تبلغني مخطئ إن لم تسددي مخذول إن لم تنصرنى ذليل إن لم تعزني) فقال الله تعالى (أو لم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتي وأن الخلق والأمر كله لي وأن القلوب والألسنة كلها بيدي فأقلها كيف شئت فتطيعني فإنا الله الذي ليس شيء مثلي. قامت السموات والأرض وما فيهن بكلامي. وانه لا يخلص التوحيد ولم تم القدرة إلا لي ولا يعلم ما عندي غيري وأنا الذي كلمت البحار ففهمت قولي وأمرتها ففعلت أمرى وحددت عليها حدوداً فلا تعدو حدي وتأتي بأمواج كالجبال فإذا بلغت حدي ألبستها مذلة لطاعتي وخوفاً واعترافاً لأمرى وإني معك ولن يصل اليك شيء معي وإني بشئك إلى خلق عظيم من خلقي لتبلغهم رسالاتي فتستوجب لذلك أجر من اتبعك ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً انطلق إلى قومك قم فيهم وقل لهم ان الله قد ذكركم بصلاح آباءكم فذلك استبقاكم بأممشر أبناء الأنبياء وكيف وجد آباؤكم مغبة طاعتي وكيف وجدتم مغبة معصيتي وهل وجدوا أحداً عصاني فمد بمعصيتي وهل عدوا أحداً أطاعني فشق بطاعتي ان الدواب اذا ذكرت أوطانها الصالحة نزعوا إليها وان هؤلاء القوم رجعوا في مروج المملكة وتركوا الأمر الذي به أكرمت آباءهم وابتغوا الكرامة من غير وجهها أما أحبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادي خولا يتعبدونهم ويعملون فيهم بغير كتابي حتى أجهلهم امرى وأنسوم ذكري وسنتي وعزوم غني فدان لهم عبادي بالطاعة التي لا تنبغي إلا فيهم يطيعونهم في معصيتي *

وأما ملوكهم وأمراؤهم فبطروا نعمتي وآمنوا مكري وغرتهم الدنيا حتى نبذوا كتابي ونسوا عهدي فهم يحرفون كتابي ويفترون على رسلي جرأة منهم على وغرة بي فسبحان جلالتي وعلو مكاني وعظمة شأني هل ينبغي أن يكون لي شريك في ملكي وهل ينبغي لبشر أن يطاع في معصيتي وهل ينبغي لي

أن أخلق عباداً أجعلهم أرباباً من دوني أو آذن لأحد بالطاعة لأحد وهي لا تنبغي إلا لي *
 وأما قراؤهم وقتهاؤهم فيد رسون ما يتمخرون فينقادون للملوك فيتابعونهم على البدع التي يتدعون
 في ديني ويطيعونهم في معصيتي ويوفون لهم بالعهود الناقضة لمهدي فهم جهلة بما يعلمون لا ينتفعون بشيء
 مما علموا من كتابي *

وأما أولاد النبيين فمقهورون ومفتونون يخوضون مع الخائضين يتمنون مثل نصري آباءهم والكرامة
 التي أكرمهم بها ويزعمون أنه لا أحد أولى بذلك منهم بنير صدق منهم ولا تفكر ولا يذكرون كيف
 كان صبر آباءهم وكيف كان جهدهم في أمري حين اغتر المغترون وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم فصبروا
 وصدقوا حتى عز أمرى وظهر ديني فتأنت هؤلاء القوم لهم يستحبون مني ويرجعون فتطولت عليهم
 وصفح عنهم فأكثر ومددت لهم في العمر وأعدت لهم لعلمهم يتذكرون * وكل ذلك أمطر عليهم
 السماء وأنت لهم الأرض وألبسهم العافية وأظهرهم على العدو ولا يزدادون الا طغيانا وبعداً مني نغتي
 متى هذا . أبي يسخرون أم بي يتحشون أم اباي يخادعون أم على يجترئون فاني أقسم بعزتي لا تبعن
 عليهم فتنة يتحير فيها الحكيم ويضل فيها رأى ذوى الرأى وحكمة الحكيم ثم لاسطن عليهم جباراً
 قاسياً عاتباً ألبسه الهية وأزرع من قلبه الرأفة والرحمة وآليت أن يتبعه عدد وسواد مثل الليل المظلم . له
 فيه عساكر مثل قطع انسحاب ومواكب مثل العجاج وكان حنيف رايانه طيران النور وحمل فرسانه
 كسرب العقبان يعيدون العمران خراباً والقري وحشا ويمشون في الأرض فساداً ويتبرون ما علوا تقبيراً
 قاسية قلوبهم لا يكثرئون ولا يرفبون ولا يرحمون ولا يبصرون ولا يسمعون يجولون في الأسواق
 بأصوات مرتفعة مثل زئير الاسد تقشع من هيتها الجلود وتطيش من سمعها الاحلام بالسنة لا يفتقونها
 ووجوه ظاهر عليها المنكر لا يعرفونها . فوعزتي لا عطن بيوتهم من كتبى وقديسى ولا خلين مجالسهم
 من حديثها ودروسها ولا وحشن مساجدهم من عمارها وزوارها الذين كانوا يتزينون بمارتها لغيرى
 ويتجدون فيها ويتعبدون لكسب الدنيا بالدين ويتفقون فيها لغير الدين ويتعلمون فيها لغير العمل
 لا بدان ملوكها بالعز الذل وبالأمن الخوف وبالغنى الفقر وبالنعمة الجوع وبطول العافية والزخاء أنواع
 البلاء ولباس الديباج والحريز مدارع الوبر والعباء وبالارواح الطيبة والادهان جيف القتل ولباس
 التيجان أطواق الحديد والسلاسل والاغلال . ثم لاعيدن فيهم بعد القصور الواسعة والحصون الحصينة
 الخراب وبعد البروح المشيدة مساكن السباع وبعد سهيل الخيل عواء الذئاب وبعد ضوء السراج دخان
 الحريق وبعد الانس الوحشة والقفار * ثم لا بدلن نساءها بالاسورة الاغلال وبقلائد الدر والياقوت
 سلاسل الحديد وبالوان الطيب والادهان النقع والغبار وبالمنشى على الزرابى عبور الأسواق والانهار
 وانخب الى الليل في بطون الأسواق وبالحدود والستور الحسور عن الوجوه والسوق والاسفار

والارواح السموم . ثم لادوسنهم بانواع العذاب حتى لو كان السكان منهم في حالق لوصل ذلك اليه انى انما اكرم من اكرمى وانما اهن من هان عليه امرى . ثم لاآمرن السماء خلال ذلك فلتكون عليهم طبقا من حديد ولاآمرن الارض فلتكون سبيكة من نحاس فلا سماء تمطر ولا ارض تنبت . فان امطرت خلال ذلك شيئا سلطت عليهم الآفة فان خلص منه شى نزعته منه البركة وان دعونى لم اجمعهم وان سالونى لم اعطهم وان بكوا لم ارحمهم وان تضرعوا الى صرفت وجهى عنهم . وان قالوا اللهم انت الذى ابتدأتنا وآباءنا من قبلنا برحمتك وكرامتك وذلك بانك اخترتنا لنفسك وجعلت فينا نبوتك وكتابك ومساجدك ثم مكنت لنا فى البلاد واستخلفتنا فيها وريبتنا وآباءنا من قبلنا بنعمتك صفاراً وحفظتنا وايام برحمتك كبارا فانت اوفى المنعمين وان غيرنا . ولا تبدل . وان بدلنا وان تم فضلك ومنك وطولك واحسانك فان قالوا ذلك قلت لهم انى ابتدى عبادى برحمتى ونعمتى * فان قبلوا اتعنت وان استزادوا زدت وان شكروا ضاعفت وان غيروا غيرت واذا غيروا غضبت * واذا غضبت عذبت وليس يقوم شى بنضبي .

قال كعب نقال ارميا برحمتك اصبحت اعلم بين يديك وهل ينبغى ذلك لى وانا اذل واضعف من ان ينبغى لى ان اتكلم بين يديك ولكن برحمتك ابقيتنى لهذا اليوم وليس احد احق ان يخاف هذا العذاب وهذا الوعيد منى بما رضيت به منى طولا والاقامة فى دار الخاطئين وهم يعصونك حولى بغير نكر ولا تغيير منى فان تعذبني فبذنبى وان ترحمنى فذلك ظلى بك * ثم قال يارب سبحانك وبمحمدك وتباركت ربنا وتعاليت اهلك هذه القرية وماحولها وهى مساكن انبيائك ومنزل وحيك يارب سبحانك وبمحمدك وتباركت ربنا وتعاليت لخراب هذا المسجد وماحول من المساجد ومن البيوت التى رفعت لذكرك يارب سبحانك وبمحمدك وتباركت وتعاليت لمقتل هذه الامة وعذابك ايامهم وهم من ولد ابراهيم خليلك وامة موسى نجيك وقوم داود صفيك يارب اى القرى تا من عقوبتك بعد اى العباد يامنون سطوتك بعد ولد خليلك ابراهيم وامة نجيك موسى وقوم خليلتك داود تسلط عليهم عبدة النيران قال الله تعالى (يا ارميا من عصانى فلا يستنكر همى فانى انما اكرمته هؤلاء القوم على طاعنى ولو انهم عصونى لانزلهم دارالعاصين الا ان اتداركهم برحمتى .

قال ارميا يارب اتخذت ابراهيم خليلا وحفظتنا به . وموسى قربته نجيا فسالك ان تحفظنا ولا تتخطفنا ولا تسلط علينا عدونا فوحي الله اليه (يا ارميا انى قدستك فى بطن امك واخرتك الى هذا اليوم فلو ان قومك حفظو اليتامى والارامل والمساكين وابن السبيل لمكنت الداعم لهم وكانوا عندي بمنزلة جنة ناعم شجرها طاهر ماؤها ولا يفسد ماؤها ولا تبور ثمارها ولا تنقطع ولكن ساشكوا ليك بنى اسرائيل انى كنت لهم بمنزلة الداعى الشفيق اجمعهم كل قحط وكل عسرة واتبع بهم الخصب حتى صاروا كباشا ينطح

بعضها بعضا فياويلهم ثم ياويلهم انما اكرم من اكرمى وأهين من هان عليه امرى ان من كان قبل هؤلاء القوم من القرون يستخفون بمصيتى وان هؤلاء القوم يتسرعون بمصيتى تبرعا فيظفرونها في المساجد والاسواق وعلى رؤس الجبال وظلال الاشجار حتى عجت السماء الى منهم وعجت الارض والجبال وفرت منها الوحوش باطراف الارض وأقاصيها وفي كل ذلك لا ينتهون ولا يتفنون بما علموا من الكتاب .

قال فلما بلغهم ارميا رسالة ربهم وسمعوا ما فيها من الوعيد والمذاب عصوه وكذبوه واتهموه وقالوا (كذبت وأعظمت على الله الفرية فترجم أن الله معطل أرضه ومساجده من كتابه وعبادته وتوحيده فمن يعبده حين لا يبقى له في الارض عابد ولا مسجد ولا كتاب لقد أعظمت الفرية على الله واعتراك الجنون) فأخذوه وقيدوه وسجنوه فعند ذلك بعث الله عليهم نخت نصر فاقبل يسير بجنوده حتى نزل بساحتهم ثم حاصرهم فكان كما قال تعالى (فجاسوا خلال الديار) قال فلما طال بهم الحصر نزلوا على حكمة ففتحوا الابواب وتخللوا الازقة وذلك قوله (فجاسوا خلال الديار) وحكم فيهم حكم الجاهلية وبطش الجبارين فقتل منهم الثلث وسبي الثلث وترك الزمنى والشيوخ والمجانز ثم وطهم بالخليل وهدم بيت المقدس وساق الصبيان وأوقف النساء في الاسواق حاسرات وقتل المقاتلة وخرب الحصون وهدم المساجد وحرق التوراة وسأل عن دانيال الذي كان قد كتب له الكتاب فوجدوه قدماء وأخرج أهل بيته الكتاب اليه وكان فيهم دانيال بن حزقيل الاصغر وميشائيل وعزرائيل وميخائيل فأمضى لهم ذلك الكتاب وكان دانيال بن حزقيل خلفا من دانيال الاكبر ودخل بخت نصر بجنوده بيت المقدس ووطى الشام كلها وقتل بنى اسرائيل حتى أفنهم * فلما فرغ منها انصرف راجعا وحمل الأموال التي كانت بها وساق السبايا فبلغ معه عدة صبيانهم من أبناء الاحبار والملوك تسعين الف غلام وقذف الكناسات في بيت المقدس وذبح فيه الخنازير وكان الغلمان سبعة آلاف غلام من بيت داود واحد عشر الفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط ايشي بن يعقوب وأربعة عشر الفا من سبط زبالون وفتالى ابني يعقوب وأربعة عشر الفا من سبط دان بن يعقوب وثمانية آلاف من سبط يستاخرن بن يعقوب والفين من سبط زبالون بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى واثني عشر الفا من سائر بنى اسرائيل وانطلق حتى قدم أرض بابل .

قال اسحاق بن بشر قال وهب بن منبه فلما فعل ما فعل قيل له كان لهم صاحب يحذرهم ما أصابهم ويصفك وخبرك لهم ويخبرهم أنك تقتل مقاتلتهم وتسبي ذراريهم وتهدم مساجدهم وتحرق كنائسهم فكذبوه واتهموه وضربوه وقيدوه وحبسوه فأمر بخت نصر فاخرج ارميا من السجن فقال له اكنتم تحذرون هؤلاء القوم ما أصابهم قال نعم قال فاني علمت ذلك قال أرسلني الله اليهم فكذبوني قال كذبوك وضربوك وسجنوك قال نعم قال (بس القوم قوم كذبوا نبينهم وكذبوا رسالة ربهم فهل لك أن تلحق

بنى فاكركم وأواسيك وان أحببت أن تقيم في بلادك قد أمتك) قال له أرميا إني لم أزل في أمان الله منذ كنت لم أخرج منه ساعة قط ولو أن بنى إسرائيل لم يخرجوا منه لم يخافوك ولا غيرك ولم يكن لك عليهم سلطان فلما سمع بخت نصر هذا القول منه تركه فاقام أرميا مكانه بأرض أينا . وهذا سياق غريب . وفيه حكم ومواعظ وأشياء مديحة وفيه من جهة التعريب غرابة .

وقال هشام بن محمد بن السائب الكلابي كان بخت نصر أصفهنا لما بين الاهواز الى الروم للملك على الفرس وهو لهراسب وكان قد بنى مدينة بلخ التي تلقب بالخنساء وقاتل الترك والجمام الى أضيح الاماكن وبخت نصر لقتال بنى إسرائيل بالشام فلما قدم الشام صالحه أهل دمشق وقد قيل إن الذي بخت نصر إنما هو بهمن ملك الفرس بعد بشتاسب بن لهراسب وذلك لتعدى بنى إسرائيل على رسله اليهم . وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى عن بن وهب عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد الانصارى عن سعيد بن المسيب أن بخت نصر لما قدم دمشق وجد بها دما يغلى على كبا يعنى القمامة فسألهم ما هذا الدم فقالوا أدركنا آباءنا على هذا وكما ظهر عليه الكبا ظهر قال فقتل على ذلك سبعين الفاً من المسلمين وغيرهم فسكن . وهذا إسناد صحيح الى سعيد بن المسيب وقد تقدم من كلام الحافظ بن عساكر ما يدل على أن هذا دم يحيى بن ذكريا وهذا لا يصح لأن يحيى بن ذكريا بعد بخت نصر بعدة والظاهر أن هذا دم نبي متقدم أو دم لبعض الصالحين أو لمن شاء الله من الله أعلم به . قال هشام بن الكلابي ثم قدم بخت نصر بيت المقدس فصالحه ملكها وكان من آل داود وصانعه عن بنى إسرائيل وأخذ منه بخت نصر رهائن ورجع . فلما بلغ طبرية بلغه أن بنى إسرائيل ناروا على ملكهم قتلوه لاجل أنه صالحه فضرب رقاب من معه من الرهائن ورجع اليهم فاخذ المدينة عنوة . وقتل المقاتلة وسبى الذرية . قال وبلغنا أنه وجد في السجن أرميا النبي فاخرجه وقص عليه ما كان من أمره ايامه وتحذيره لهم عن ذلك فكذبوه وسجنوه فقال بخت نصر بثس القوم قوم عصوا رسول الله وخلى سبيله وأحسن اليه واجتمع اليه من نبي من ضعفاء بنى إسرائيل قالوا إنا قد أسأنا وظلمنا ونحن نتوب الى الله عز وجل مما صنعنا فادع الله أن يقبل توبتنا فدعا ربه فوحي الله اليه أنه غير فاعل فان كانوا صادقين فليقيموا معك بهذه البلدة فاخبرهم ما أمره الله تعالى به قالوا كيف تقيم بهذه البلدة وقد خربت وغضب الله على أهلها فابوا ان يقيموا .

قال ابن الكلابي ومن ذلك الزمان تفرقت بنو إسرائيل في البلاد فنزلت طائفة منهم الحجاز وطائفة بئر وطائفة وادي القرى وذهبت شردمة منهم الى مصر فكتب بخت نصر الى ملكها يطلب منه من شرد منهم اليه فابى عليه فركب في جيشه قاتله وقهره وغلبه وسبى ذراريتهم . ثم ركب الى بلاد المغرب حتى بلغ أقصى تلك الناحية . قال ثم انصرف بسبى كثير من أرض المغرب ومصر وأهل بيت

المقدس وأرض فلسطين والأردن وفي السبي دانيال * قلت والظاهر أنه دانيال بن حزقيال الاصغر لا
الاكبر على ما ذكره وهب بن منبه والله أعلم *

سُئِلَ عَنْ خَيْرِ دَانِيَالٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال ابن أبي الدنيا حدثنا احمد بن عبد الاعلى الشيباني قال إن لم أكن سمعته من شعيب بن صفوان
فحدثني بعض أصحابنا عنه عن الأجلح الكندي عن عبد الله بن أبي الهذيل قال ضرا بخت نصر أسدين
فالقاهما في جب وجاء دانيال فالتقاها عليهما فلم يهيجاه فمكث ماشاء الله ثم اشتهى مايشتهى الآدميون
من الطعام والشراب فأوحى الله إلى أرميا وهو بالشام أن اعدد طعاما وشرابا لدانيال فقال يارب أنا بالارض
المقدسة ودانيال بأرض بابل من أرض العراق فأوحى الله إليه أن اعدد ما أمرتك به فانا سنرسل من يملكك
وبحمل ما أعددت ففعل وأرسل إليه من حملة وحمل ما أعدده حتى وقف على رأس الجب فقال دانيال
من هذا قل أنا أرميا فقال ما جاء بك فقال أرسلني إليك ربك . قال وقد ذكرني ربي قال نعم فقال
دانيال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره . والحمد لله الذي يجيب من رجاه . والحمد لله الذي من وثق
به لم يكاه إلى غيره . والحمد لله الذي يجزي بالاحسان احسانا . والحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة . والحمد
لله الذي هو يكشف ضرنا بعد كربنا . والحمد لله الذي يقينا حين يسوء ظننا بأعمالنا والحمد لله الذي
هو رجاؤنا حين ينقطع الحيل عنا

وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن أبي خلد بن دينار حدثنا أبو العالية قال لما افتتحنا
تستر وجدنا في مال بيت الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف فاخذنا المصحف فحملناه
إلى عمر بن الخطاب فدعا له كعباً فنسخه بالعربية . فانا أول رجل من العرب قرأه قرأته مثل ماقرأ القرآن
هذا قلت لأبي العالية ما كان فيه قال سيركم وأموركم ولحون كلامكم وماهو كائن بعد قلت فما صنعتم
بالرجل قال حفرنا بالنيار ثلاثة عشر قبراً متفرقة فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس
فلا ينبشونه . قلت فما يرجون منه قال كانت السماء اذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون قلت من
كنتم تظنون الرجل قال رجل يقال له دانيال قلت منذ كم وجدتموه قد مات قال منذ ثلثمائة سنة قلت
ما تغير منه شيء قال لا الاشعرات من قناه إن لحوم الانبياء لا تبليها الارض ولا تأكلها السباع . وهذا
استناد صحيح إلى أبي العالية ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظاً من ثلثمائة سنة فليس بنبي بل هو رجل صالح
لأن عيسى بن مريم ليس بينه وبين رسول الله (ص) نبي بنص الحديث الذي في البخاري والفترة التي
كانت بينهما أربع مائة سنة * وقيل ستمائة وقيل ستمائة وعشرون سنة وقد يكون تلوخي وفاته من ثمانمائة سنة
وهو قريب من وقت دانيال إن كان كونه دانيال هو المطابق لما في نفس الامر فانه قد يكون رجلاً آخر

إما من الانبياء أو الصالحين ولكن قربت الفنون أنه دانيال لأن دانيال كان قد أخذ ملك الفرس فأقام عنده مسجونا كما تقدم . وقد روى بإسناد صحيح إلى أبي العالمة أن طول انفه شبر . وعن أنس ابن مالك بإسناد جيد أن طول انفه ذراع فيحتمل على هذا أن يكون رجلا من الأنبياء الأقدمين قبل هذه المدد والله أعلم .

وقد قال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب احكام القبور حدثنا أبو بلال محمد بن الحارث بن عبد الله ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري حدثنا أبو محمد القاسم بن عبد الله عن أبي الأشعث الاحمري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دانيال دعا ربه عز وجل ان يدفنه امة محمد ففما افتتح أبو موسى الأشعري تستر وجدة في تابوت تضرب عروقه ووريدة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دل على دانيال فبشروه بالجنة فكان الذي دل عليه رجل يقال له حرقوص فكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه عمر أن ادفنه وابعث إلى حرقوص فإن النبي صلى الله عليه وسلم بشره بالجنة وهذا مرسل من هذا الوجه وفي كونه محفوظا نظر والله اعلم .

ثم قال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو بلال حدثنا قاسم بن عبد الله عن عنبسة بن سعيد وكان عالما قال وجد أبو موسى مع دانيال مصحفا وجرة فيها ودك ودرهم وخاتم فكتب أبو موسى بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر أما المصحف فابعث به إلينا وأما الودك فابعث إلينا منه وصر من قبلك من المسلمين يستشفون به واقسم الدرهم بينهم وأما الخاتم فقد قلنا كذا * وروى عن ابن أبي الدنيا من غير وجه ان أبا موسى لما وجدته وذكروا له انه دانيال التزمه وعاقبه وقبله . وكتب إلى عمر يذكر له امره وانه وجد عنده مالا موضوعا قريبا من عشرة آلاف درهم وكان من جاء اقترض منها فان ردها والامرض وان عنده ربة فامر عمر بان يفسل بماء وسدر ويكفن ويدفن ويخفي قبره فلا يعلم به احد وامر بالمال أن يرد إلى بيت المال وبالربعة فتحمل إليه ونقله خاتمه . وروى عن أبي موسى انه أمر اربعة من الاسراء فسكروا نهرا وحفروا في وسطه قبرا فدفنه فيه ثم قدم الاربعة الاسراء فضرب اعناقهم فلم يعلم موضع قبره غير أبي موسى الأشعري رضي الله عنه * وقال ابن أبي الدنيا حدثني ابراهيم بن عبد الله حدثنا احمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن ابيه قال رأيت في يد ابن بردة بن أبي موسى الأشعري خاتما نقش فيه اسدان بينهما رجل يلحسان ذلك الرجل قال أبو بردة هذا خاتم ذلك الرجل الميت الذي زعم اهل هذه البلدة أنه دانيال اخذه أبو موسى يوم دفنه . قال أبو بردة فسأل أبو موسى علماء تلك القرية عن نقش ذلك الخاتم فقالوا ان الملك الذي كان دانيال في سلطانه جاءه المنجمون واصحاب العلم فقالوا له انه يولد ليلة كذا وكذا غلام يعور ملكك ويفسده قال الملك والله لا يبقى تلك الليلة غلام الا قتله الا أنهم أخذوا دانيال فلقوه في اجمة الاسد فبات

الاسد ولبوته يلحسانه ولم يضراه فجاءت أمه فوجدتها يلحسانه فنجاه الله بذلك حتى بلغ ما بلغ
قال أبو بردة قال أبو موسى قال علماء تلك القرية فنقش دأبيل صورته وصورة الاسدين يلحسانه
في فص خاتمه لثلا ينسى نعمة الله عليه في ذلك . اسناد حسن .

عمارة بيت المقدس بعد خرابها واجتماع بني اسرائيل بعد نصرهم في بفسك للدرص

قال الله تعالى في كتابه المبين وهو أصدق القائلين (أو كما الذي مر على قرية وهي خاوية على
عروشها . قال اني يحيى هذه الله بعد موتها فامانه الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض
يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس
وانظر الى العظام كيف نشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم ان الله على كل شيء قدير) قال
هشام بن الكلبي ثم أوحى الله تعالى الى ارميا عليه السلام فيما بلغني اني عامر بيت المقدس فاخرج
اليها فانزلها فخرج حتى قدمها وهي خراب فقال في نفسه سبحان الله أمرني الله أن أنزل هذه البلدة
واخبرني انه عامرها فمتى يعمرها ومتى يحييها الله بعد موتها ثم وضع رأسه فنام ودمه حماره وسلة من
طعام فمكث في نومه سبعين سنة حتى هلك بخت نصر والملك الذي فوقه وهو لهراسب وكان ملكه
مائة وعشرين سنة وقام بعده ولده بشتاسب بن لهراسب وكان موت بخت نصر في دولته قبله عن بلاد
الشام انها خراب وان السباع قد كثرت في ارض فلسطين فلم يبق بها من الانس احد فتأدى في ارض
بابل في بني اسرائيل ان من شاء ان يرجع الى الشام فليرجع وملك عليهم رجلا من آل داود وامره ان
يعمر بيت المقدس ويبني مسجدها فرجعوا فعمروها وفتح الله لارميا عينه فنظر الى المدينة كيف تبني
وكيف تعمر ومكث في نومه ذلك حتى تمت له مائة سنة ثم بعثه الله وهو لا يظن انه نام اكثر من ساعة وقد
عهد المدينة خرابا فلما نظر اليها عامرة أهلة قال أعلم ان الله على كل شيء قدير . قال فأقام بنو اسرائيل
بها ورد الله عليهم امرهم فمكثوا كذلك حتى غلبت عليهم الروم في زمن ملوك الطوائف . ثم لم يكن
لهم جماعة ولا سلطان يعني بعد ظهور النصارى عليهم . هكذا حكاه ابن جرير في تليخه عنه . وذكر ابن
جرير ان لهراسب كان ملكا عادلا سائسا لملكته قد دانت له العباد والبلاد والملوك والقواد وانه كان
ذا رأى جيد في عمارة الامصار والانهار والمعامل . ثم لما ضعف عن تدير المملكة بعد مائة سنة ونيف
نزل عن الملك لولده بشتاسب فكان في زمانه ظهور دين الجوسية^(١) وذلك ان رجلا كان اسمه زردشت
(١) قوله وذلك ان رجلا كان اسمه زردشت الخ) هذه الحكاية خلاف الواقع . بل الواقع أن
زردشت هو ابراهيم الزردشت احد الانبياء الذين ظهروا في وادي نهر الأرس بققازيا المشار اليهم في

كان قد صحب ارميا عليه السلام فاغضبه فدعا عليه ارميا فبرص زردشت فذهب فلحق بارض
آذربيجان وصحب بشتاسب فلقنه دين المجوسية الذي اخترعه من تلقاء نفسه قبله منه بشتاسب وحمل
الناس عليه وقهرهم وقتل منهم خلقاً كثيراً من اباہ منهم * ثم كان بعد بشتاسب بهمن بن بشتاسب
وهو من ملوك الفرس المشهورين والابطال المذكورين وقد ناب بخت نصر لكل واحد من هؤلاء
الثلاثة وعمر دهرأ طويلاً قبجه الله * والمقصود ان هذا الذي ذكره ابن جرير من ان هذا المار على
هذه القرية هو ارميا عليه السلام * قال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد بن عمير وغيرها وهو قوی من
حيث السباق المتقدم وقد روى عن علي وعبد الله بن سلام وابن عباس والحسن وقتادة والسدي وسليمان
ابن بريدة وغيرهم انه عزيز . وهذا اشهر عند كثير من السلف والخلف والله اعلم .

ولهذه قصّة العزيز

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر هو عزيز بن جروة ويقال بن سوريق بن عديا بن أبوب بن
درزنان بن عري بن تقي بن اسبوع بن فنحاص بن العازر بن هارون بن عمران * ويقال عزيز بن سروخا
جاء في بعض الآثار ان قبره بدمشق . ثم ساق من طريق أبي القاسم البغوي عن داود بن عمرو عن
حبان بن علي عن محمد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس مرفوعاً لا أدري العين بيع أم لا ولا أدري
أكن عزيزاً أم لا ثم رواه من حديث مؤمل بن الحسن بن محمد بن اسحاق السجزي عن عبدالرزاق
عن معمر بن ابن أبي زؤيب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً نحوه . ثم روى من طريق
اسحاق بن بشر وهو متروك عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس ان عزيزاً كان ممن صباه
بخت نصر وهو غلام حدث فلما بلغ اربعين سنة اعطاه الله الحكمة قال ولم يكن أحد أحفظ ولا أعلم
بالتوراة منه قال وكان يذكركم مع الانبياء حتى محي الله اسمه من ذلك حين سأل ربه عن القدر وهذا ضعيف

قوله تعالى (وأصحاب الرس) فان الرس تخفيف ارس . وله الى الآن اتباع تعدد بالملايين في الهند ويران
وله كتاب باللغة الفارسية القديمة مشتمل على المبادئ والتعاليم والاحكام والبشارات بالامور الآتية على
نهج سائر الكتب . منها بشاراته بظهور الرسول عليه السلام بقوله سيظهر في العرب نبي عظيم وبعد
أن يمضي من ظهور شريعته الف سنة وكسور اذا جاء ثانياً لا يعرف أن هذه كانت شريعته اه ترجمته
بالغنى . ويقصد بذلك أن شريعته عليه السلام بمضى الزمان يدخل فيها من البدع والاهواء وما لم يكن منها
بميت اذا رآها بعد الف سنة لا يعرفها لكثرة ما دخل فيها من البدع . فانظر أنه لم يكتب بالبشارة بظهوره
بل أخبر ايضاً بما يقع في المستقبل في شريعته فهذا من جملة الأدلة على صدق نبوته كما لا يخفى على من
تتبع تواريخ الأديان والمذاهب اه (فرج الله زكي الكردي)

ومنقطع ومنكر والله أعلم .

وقال اسحاق بن بشر عن سعيد عن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن عبد الله بن سلام ان عزيزاً هو العبد الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه . وقال اسحاق بن بشر انبأنا سعيد بن بشر عن قتادة عن كعب وسعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن ومقاتل وجويبر عن الضحاك عن ابن عباس وعبد الله بن اسماعيل السدي عن أبيه عن مجاهد عن ابن عباس وادريس عن جده وهب بن منبه قال اسحاق كل هؤلاء حدثوني عن حديث عزيز وزاد بعضهم على بعض قالوا باسنادهم ان عزيزاً كان عبداً صالحاً حكماً خرج ذات يوم الى ضيعة له يتعاهدها فلما انصرف آتى الى خربة حين قامت الظهيرة واصابه الحر ودخل الخربة وهو على حمارة قنزل عن حمارة ومعه سلة فيها تين وسلة فيها عنب فنزل في ظل تلك الخربة واخرج قصعة معه فاعتصر من العنب الذي كان معه في القصعة ثم اخرج خبزاً يابساً معه فالتاه في تلك القصعة في العصر ليبتل لياً كاه ثم استلقى على قفاه واسند رجليه الى الحائط فنظر سقف تلك البيوت ورأى ما فيها وهي قائمة على عروشها وقد باد أهلها ورأى عظاما بالية فقال (أنى يحيى هذه الله بعد موتها) فلم يشك أن الله يحييها ولكن قالها تعجباً فبعث الله ملك الموت قبض روحه فلما تاه الله مائة عام . فلما انت عليه مائة عام وكانت فيما بين ذلك في بني اسرائيل أمور واحداث قال فبعث الله الى عزيز ملكاً فخلق قلبه ليعقل قلبه وعينه لينظر بهما فيعقل كيف يحيى الله الموتى . ثم ركب خلقه وهو ينظر ثم كسى عظامه اللحم والشعر والجلد ثم ففخ فيه الروح كل ذلك وهو يرى ويمتل فاستوى جالسا فقال له الملك كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم وذلك أنه كان لبث صدر النهار عند الظهيرة وبعث في آخر النهار والشمس لم تذب فقال أو بعض يوم ولم يتم لي يوم فقال له الملك بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك يعني الطعام الخبز اليابس وشرابه العصير الذي كان اعتصره في القصعة فاذاها على حالها لم يتغير العصير والخبز يابس فذلك قوله (لم يتسنه) يعني لم يتغير وكذلك التين والعنب غض لم يتغير شيء من حالهما فكانه انكر في قلبه فقال له الملك انكرت ما قلت لك انظر الى حمارة فنظر الى حمارة قد بليت عظامه وصارت نخرة فنادى الملك عظام الحمار فاجابت واقبلت من كل ناحية حتى ركب الملك وعزيز ينظر اليه ثم البسها العروق والمصب ثم كساها اللحم ثم انبت عليها الجلد والشعر ثم ففخ فيه الملك ققام الحمار رافعاً رأسه وأذنيه الى السماء ناهقاً يظن القيامة قد قامت فذلك قوله (وانظر الى حمارة ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف تنشزها ثم نكسوها لها) يعني وانظر الى عظام حمارة كيف يركب بعضها بعضها في أوصالها حتى اذا صارت عظاما مصوراً حماراً بلا لحم ثم انظر كيف نكسوها لها فلما تبين له قال اعلم أن الله على كل شيء قدير من احياء الموتى وغيره قال فركب حمارة حتى آتى محله فانكره الناس وانكر الناس وانكر منزله فانطلق على وهم منه حتى آتى منزله فاذا هو

بجوز عمياء مقعدة قد آتى عليها مائة وعشرون سنة كانت أمهلم فخرج عنهم عزيز وهي بنت عشرين سنة كانت عرفته وعقلته فلما أصابها الكبر أصابها الزمانة . فقال لها عزيز يا هذه اهذا منزل عزيز قالت نعم هذا منزل عزيز فبكت وقالت ما رأيت أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيزاً وقد نسيه الناس قال فاني انا عزيز كان الله امامني مائة سنة ثم بعثني قالت سبحان الله فان عزيزاً قد قدماه منذ مائة سنة فلم نسمع له بذكر قال فاني انا عزيز قالت فان عزيزاً رجل مستجاب الدعوة يدعو للريض ولصاحب البلاء بالمافية والشفاء فادع الله أن يرد على بصرى حتى اراك فان كنت عزيزاً عرفتك . قال فدعا ربه ومسح بيده على عينها فصحتا وأخذ بيدها وقال قومي باذن الله فاطلق الله رحمتها فقامت صحيحة كأنما نثت من عقاب فنظرت فقالت اشهد انك عزيز وانطلقت الى محلة بنى اسرائيل وهم في انديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانى عشر سنة وبنى بنيه شيوخ في المجلس فنادتهم فقالت هذا عزيز قد جاءكم فكذبوها فقالت انا فلانة مولاتكم دعالى ربه فرد على بصرى واطلق رجلى وزعم أن الله أماته مائة سنة ثم بعثه قال فهض الناس فاقبلوا اليه فنظروا اليه فقال ابنه كان لابي شامة سوداء بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هو عزيز فقالت بنو اسرائيل فانه لم يكن فينا احد حفظ التوراة فيما حدثنا غير عزيز وقد حرق بخت نصر التوراة ولم يبق منها شيء الا ما حفظت الرجال فاكتبها لنا وكان أبوه سروخا وقد دفن التوراة أيام بخت نصر في موضع يعرفه احد غير عزيز فانطلق بهم الى ذلك الموضع فحفره فاستخرج التوراة وكان قد عفن الورق ودرس الكتاب قال وجلس في ظل شجرة وبنو اسرائيل حوله فجدد لهم التوراة ونزل من السماء شهابان حتى دخلا جوفه فتذكر التوراة فجددها لبنى اسرائيل . فمن ثم قالت اليهود عزيز بن الله للذى كان من أمر الشهابين وتجديده التوراة وقيامه بامر بنى اسرائيل وكان جدد لهم التوراة بارض السواد بدير حزقييل . والقريه التي مات فيها يقال لها سايراباذ * قال ابن عباس فكان كما قال الله تعالى (ولنجعلك آية للناس) يعنى لبنى اسرائيل . وذلك انه كان يجلس مع بنيه وهم شيوخ وهو شاب لانه مات وهو ابن اربعين سنة فبعثه الله شاباً كهيئة يوم مات قال ابن عباس بعث بعد بخت نصر وكذلك قال الحسن وقد أنشد ابو حاتم السجستاني في معنى ما قاله

ابن عباس . واسودَّ رأسُ شابٍ من قبله ابنهُ
ومن قبله ابنُ ابنه فهو أكبرُ
يرى ابنه شيخاً يدبُّ على عصا
ولحيته سوداء والرأسُ أشقرُ
وما لابنه حيلٌ ولا فضلٌ قوَّةُ
يقومُ كما يمشي الصبيُّ فيعثرُ
بعد ابنه في الناس تسمين حُجةُ
وعشرين لا يجري ولا يتبخترُ
وعمرُ أبيه اربعونُ أمرها
ولان ابنه تسعون في الناس عبر
فما هو في المعقول ان كنت دارياً
وان كنت لا تدري فبالجهل تُعذرُ

فَضِيلَةُ نَبِيِّهِ

المشهور ان عزيزاً نبى من أنبياء بنى اسرائيل وانه كان فيما بين داود وسليمان وبين زكريا ويحيى وانه لما لم يبق في بنى اسرائيل من يحفظ التوراة الهمة الله حفظها فسردها على بنى اسرائيل كما قال وهب بن منبه أمر الله ملكاً فنزل بمفرقة من نور قذفها في عزيز ففسخ التوراة حرفاً بحرف حتى فرغ منها . وروى ابن عساكر عن ابن عباس انه سأل عبد الله بن سلام عن قول الله تعالى وقالت اليهود عزيز ابن الله لم قالوا ذلك فذكر له ابن سلام ما كان من كتبه لبنى اسرائيل التوراة من حفظه وقول بنى اسرائيل لم يستطع موسى أن يأتينا بالتوراة الا في كتاب وان عزيزاً قد جاءنا بها من غير كتاب فرماه طوائف منهم وقالوا عزيز ابن الله . ولهذا يقول كثير من العلماء ان تواتر التوراة اقطع في زمن العزيز . وهذا متجه جدا اذا كان العزيز غير نبى كما قاله عطاء بن أبي رباح والحسن البصرى وفيما رواه اسحاق ابن بشر عن مقاتل بن سليمان عن عطاء وعن عثمان بن عطاء الخراسانى عن أبيه ومقاتل عن عطاء بن ابي رباح قال كان في الفترة تسعة اشياء بنحت نصر وجنة صنعاء وجنة سبا وأصحاب الاخدود وامر حاصورا^(١) واصحاب الكهف واصحاب الفيل ومدينة انطاكية وامر تبع . وقال اسحاق بن بشر ابناً سعيد عن قتادة عن الحسن قال كان امر عزيز وبخت نصر في الفترة . وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله (ص) قال ان أولى الناس بابن مریم لانا إنه ليس بينى وبينه نبى . وقال وهب ابن منبه كان فيما بين سليمان وعيسى عليهما السلام . وقد روى ابن عساكر عن أنس بن مالك وعطاء بن السائب أن عزيزاً كان في زمن موسى بن عمران وانه استأذن عليه فلم يأذن له يعنى لما كان من سواآله عن القدر وانه انصرف وهو يقول مائة مائة موتة أهون من ذل ساعة وفي معنى قول عزيز مائة موتة أهون من ذل ساعة قول بعض الشعراء

قَدْ بَصُرَ الْحَرْثُ عَلَى السَّيْفِ وَيَأْنَفُ الصَّبْرُ عَلَى الْحَيْفِ
وَيُؤَرُّ الْمَوْتَ عَلَى حَالَةٍ يَعْجِزُ فِيهَا عَنْ قِرَى الضَّيْفِ

فاما ما روى ابن عساكر وغيره عن ابن عباس ونوف البكالى وسفيان الثورى وغيرهم من أنه سأل عن القدر فحجى اسمه من ذكر الانبياء فهو منكر وفي صحته نظر وكأنه مأخوذ عن الاسرائيليات وقد روى عبد الرزاق وقتيبة بن سعيد عن جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجونى عن نوف البكالى قال قال عزيز فيما يناجى ربه (يارب تخلق خلقاً فتفضل من تشاء وتهدى من تشاء) فقيل له أعرض عن هذا فماد قيل له لتعرض عن هذا أولاً محون اسمك من الانبياء ابنى لأسأل عما افعل وهم يسألون وهذا لا يقتضى وقوع ما توعد عليه لو عاد فما عجبا اسمه والله أعلم .

وقد روى الجماعة سوى الترمذى من حديث يونس بن يزيد عن الزهرى عن سعيد وابى سلمة

(١) هكذا في النسخة الحلبية . وفي النسخة المصرية (وأمر حاصورا)

عن أبي هريرة وكذلك رواه شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: «تزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة فامر بجبازه فأخرج من تحتها ثم أمر بها فأحرقت
بالنار فأوحى الله إليه مهلا نملة واحدة . فروى اسحاق بن بشر عن ابن جريج عن عبد الوهاب بن
مجاهد عن أبيه أنه عزير . وكذا روى عن ابن عباس والحسن البصري أنه عزير فالله أعلم .

قصّة زكريا ويحيى عليهما السلام

قال الله تعالى في كتابه العزيز بسم الله الرحمن الرحيم (كهيمص . ذكر رحمة ربك عبده زكريا . إذ نادى
ربه نداء خفياً . قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً . وانى
خفت الموالى من ورأى وكانت امرأتى عاقراً فهبلى من لدنك ولياً يرثى ويرث من آل يعقوب واجعله
رب رضىا . يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً . قال رب انى يكون لى غلام
وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً . قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من
قبل ولم تك شيئاً . قال رب اجعل لى آية قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويماً . فخرج على
قومه من المحراب فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشياً . يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً .
وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقياً . وبرا بوالديه ولم يكن جباراً عصياً . وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم
يبعث حياً) وقال تعالى (وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم
انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب . هنالك دعا زكريا ربه قال رب
هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء . فناده الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يشرك
بىحى مصداقاً بكلمة من الله وسيداً وحسوراً ونبياً من الصالحين . قال رب انى يكون لى غلام وقد
بلغنى الكبر وامراتى عاقراً قال كذلك الله يفعل مايشاء . قال رب اجعل لى آية . قال آيتك ان لا تكلم
الناس ثلاثة أيام إلا رموا واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والابكار) وقال تعالى فى سورة الانبياء
(وزكريا إذ نادى ربه رب لا تدرنى فرداً وانى خير الوارثين . فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له
زوجه انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين . وقال تعالى وزكريا
ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين) . قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى كتابه التاريخ المشهور
الحافل . زكريا بن برخيا ويقال زكريا بن دان يقال زكريا بن لدن بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن
دواد بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخيا بن بلعاطة بن نحدور بن شلوم بن بهفاشاط بن اينان بن
رجبام بن سليمان بن داود أبو يحيى النبى عليه السلام من نبي اسرائيل . دخل البثينة من أعمال دمشق
فى طلب ابنه يحيى . وقيل انه كان بدمشق حين قتل ابنه يحيى والله أعلم . وقد قيل غير ذلك فى نسبة

ويقال فيه زكريا بالمد وبالقص ويقال زكري ايضاً .

والمقصود ان الله تعالى أمر رسوله (ص) أن يقص على الناس خبر زكريا عليه السلام وما كان من أمره حين وهبه الله ولداً على الكبر وكانت امرأته عاقراً في حال شببتها وقد أسنت ايضاً حتى لا يئس احد من فضل الله ورحمته ولا يقنط من فضله تعالى وتقدس فقال تعالى (ذكر رحمت ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفياً) . قال قتادة عند تفسيرها ان الله يعلم القلب النقي ويسمع الصوت الخفي . وقال بعض السلف قام من الليل فنادى ربه مناداة اسرها عن كان حاضراً عنده مخافته فقال (يارب يارب فقال الله ليبيك ليبيك ليبيك) (قال رب انى وهن العظم منى) أى ضعف وخار من الكبر (واشتعل الرأس شيباً) استعارة من اشتعال النار في الحطب أى غلب على سواد الشعر شيبه كما قال ابن دريد في مقصورته .

أما ترى رأسي حاكى لونه طرة صبح نحت أذبال الدجا
واشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في جمر الغضا
وأض عود اللهو ييساً ذاوياً من بعد ماقد كان مجاج الثرى

يذكر ان الضعف قد استحوذ عليه باطنا وظاهراً وهكذا قال زكريا عليه السلام (انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً) وقوله (لم أكن بدعائك رب شقياً) أى ما عودتنى فيما أسألك الا الاجابة وكان الباعث له على هذه المسئلة انه لما كفل مريم بنت عمران بن مائان وكان كلما دخل عليها محرابها وجد عندها فاكهة في غير إوانها ولا في آوانها وهذه من كرامات الاولياء فلم أن الرازق للشئ في غير أوانه قادر على أن يرزقه ولداً وان كان قد طعن في سنه (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء) وقوله (وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقراً) قيل المراد بالموالى العصابة وكأنه خاف من تصرفهم بعده فى بنى اسرائيل بما لا يوافق شرع الله وطاعته فسأل وجود ولد من صلبه يكون برآ تقياً مرضياً ولهذا قال (هب لى من لدنك) أى من عندك بحولك وقوتك (ولياً يرثنى) أى فى النبوة والحكم فى بنى اسرائيل (ويرث من آل يعقوت واجعله رب رضياً) يعنى كما كان آباؤه واسلافه من ذرية يعقوب انبياء فاجعله مثلهم فى الكرامة التى أكرمهم بها من النبوة والوحي وليس المراد ههنا وراثه المال كما زعم ذلك من زعمه من الشيعة وواقفهم ابن جرير ههنا وحكاه عن ابي صالح من السلف لوجوه . احدها ما قدمنا عند قوله تعالى (وورث سليمان داود) أى فى النبوة والملك كما ذكرنا فى الحديث المتفق عليه بين العلماء امرؤى فى الصحاح والمسائيد والسنن وغيرها من طرق عن جماعة من الصحابة ان رسول الله (ص) قال لا نورث ما تركنا فهو صدقة فهذا نص على أن رسول الله (ص) لا يورث ولهذا منع الصديق ان يصرف ما كان يختص به فى حياته الى احد من وراثه الذين لولا هذا

النص لصرف اليهم وهم ابنته فاطمة وأزواجه التسع وعمه العباس رضى الله عنهم واحتج عليهم الصديق في منعه أيام هذا الحديث وقد واقفه على روايته عن رسول الله (ص) عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وأبو هريرة وآخرون رضى الله عنهم . الثاني ان الترمذى رواه بلفظ يعم سائر الانبياء نحن معاشر الانبياء لانورث وصححه . الثالث ان الدنيا كانت احقر عند الانبياء من أن يكثرزوا لها أو يلتفتوا اليها أو يهتمهم أمرها حتى يسألوا الاولاد ليحوزوها بدمهم فان من لا يصل الى قريب من منازلهم في الزهادة لا يهتم بهذا المقدار أن يسأل ولداً يكون وارثاً له فيها . الرابع أن زكريا عليه السلام كان نجاراً يعمل بيده ويأكل من كسبها كما كان داود عليه السلام يأكل من كسب يده والغالب ولاسيما من مثل حال الانبياء أنه لا يجهد نفسه في العمل اجهاداً يستفضل منه ما لا يكون ذخيرة له يخلفه من بعده وهذا أمر بين واضح لكل من تأمله وتدبره وتفهم ان شاء الله .

قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن يحيى بن هرون أنبأنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال كان زكريا نجاراً . وهكذا رواه مسلم وابن ماجه من غير وجه عن حماد بن سلمة به . وقوله (يا زكريا انا نبشرك بنلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً) . وهذا مفسر بقوله (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك يحيى مصدقا بكامة من الله وسيداً وحسوراً ونبياً من الصالحين) فلما بشر بالولد وتحقق البشارة شرع يستعلم على وجه التعجب وجود الولد والحالة هذه له (قال رب انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً) أى كيف يوجد ولد من شيخ كبير قبل كان عمره إذ ذاك سبعا وسبعين سنة والاشبه والله أعلم أنه كان أسن من ذلك (وكانت امرأتى عاقراً) يعنى وقد كانت امرأتى فى حال شببيتها عاقراً لانلد والله أعلم . كما قال الخليل (أبشرتمنى على أن مسنى الكبرفيم تبشرون) وقالت سارة (ياويلتى ألد وأنا عجوز وهذا بلى شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمرالله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد) وهكذا أجيب زكريا عليه السلام قال له الملك الذى يوحى اليه بامر ربه (كذلك قال ربك هو على هين) أى هذا سهل يسير عليه (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً) أى قدرته أوجدتك بعد ان لم تكن شيئاً مذكورا أفلا يوجد منك ولداً وان كنت شيخاً . وقال تعالى (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) ومعنى اصلاح زوجته انها كانت لا تحبض فحاضت . وقيل كان فى لسانها شيء أى بذاءة (قال رب اجعل لى آية) أى علامة على وقت تعلق منى المرأة بهذا الولد المبشر به (قال آيتك ان لاتكلم الناس ثلاث ليال سوياً) يقول علامة ذلك أن يعتربك سكت لا تنطق معه ثلاثة أيام الارمزا وانت فى ذلك سوى انطلق صحيح المزاج معتدل البنية وأمر

بكثره الذكر في هذه الحال بالقلب واستحضار ذلك بفؤاده بالعشى والابكار فلما بشر بهذه البشارة خرج مسروراً بها على قومه من محرابه (فأوحى اليهم أن سبحوه بكرة وعشيا) * والوحى ههنا هو الامر الخفي اما بكتابه كما قاله مجاهد والسدى أو اشارة كما قاله مجاهد أيضا ووهب وقتادة . قال مجاهد وعكرمة ووهب والسدى وقتادة اعتقل لسانه من غير مرض . وقال ابن زيد كان يقرأ ويسبح ولكن لا يستطيع كلام احد . وقوله (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً) ، يخبر تعالى عن وجود الولد وفق البشارة الالهية لأبيه زكريا عليه السلام وأن الله علمه الكتاب والحكمة وهو صغير في حال صباه * قال عبد الله بن المبارك قال معمر قال الصبيان ليحيى بن زكريا اذهب بنا نلعب فقال ما لعب خلقنا قال وذلك قوله (وآتيناه الحكم صبياً) وأما قوله (وحناناً من لدنا) فروى ابن جرير عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال لا أدري ما الحنان . وعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك (وحناناً من لدنا) أى رحمة من عندنا رحمتنا بها زكريا فوهبنا له هذا الولد * وعن عكرمة (وحناناً) أى محبة عليه ويحتمل أن يكون ذلك صفة لتحنن يحيى على الناس ولا سيما على أبويه وهو محبتهم والشقة عليهما وبره بهما . وأما الزكاة فهو طهارة الخلق وسلامته من النقائص والذائل . والتقوى طاعة الله بامتثال أوامره وترك زواجره ، ثم ذكر بره بوالديه وطاعته لهما أمراً ونهياً وترك عقوقهما قولاً وفعلًا فقال (وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً) ثم قال (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) هذه الأوقات الثلاثة أشد ماتكون على الانسان فانه ينتقل في كل منها من عالم إلى عالم آخر فيعقد الأول بعد ما كان الله زعفره ويصير إلى الآخر ولا يدري ما بين يديه ولهذا يستهل صارخاً إذا خرج من بين الاحشاء وفارق لينها وضمها وينتقل إلى هذه الدار ليكابدهمومها وغمها وكذلك إذا فارق هذه الدار وانتقل إلى عالم البرزخ بينها وبين دار القرار وصار بعد الدور والقصور إلى عرصة الاموات سكان القبور وانظر هناك النفخة في الصور ايوم البعث والنشور فمن مسرور ومحبور ومن محزون ومشبور وما بين جبير وكبير وفريق في الجنة وفريق في السعير . ولقد أحسن بعض الشعراء حيث يقول :

وَلَدَتِكَ أُمُّكَ بَاكِئًا مُسْتَصْرِخًا وَالنَّاسُ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ سُرُورًا

فاحرص لنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

ولما كانت هذه المواطن الثلاثة اشق ماتكون على ابن آدم سلم الله على يحيى في كل موطن منها فقال (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) وقال سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة أن الحسن قال إن يحيى وعيسى التقيا فقال له عيسى استغفر لى أنت خير منى فقال له الآخر استغفر لى أنت خير منى فقال له عيسى أنت خير منى سلمت على نفسى وسلم الله عليك فرف والله فضلها ، وأما قوله في الآية الاخرى (ومسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين) فقيل المراد بلحضور الذى لا يأتى النساء

وقيل غير ذلك وهو أشبه لقوله (هب لي من لدنك ذرية طيبة) وقد قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد ابنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال ما من أحد من ولد آدم إلا وقد اخطأ أو لم بخطيئة ليس بجي بن زكريا وما ينبغي لأحد يقول أنا خير من يوسف بن متى . علي بن زيد بن جدعان تكلم فيه غير واحد من الأئمة وهو منكر الحديث وقد رواه ابن خزيمة والدارقطني من طريق أبي عاصم العباداني عن علي بن زيد بن جدعان به مطولا ثم قال ابن خزيمة وليس على شرطنا . وقال ابن وهب حدثني ابن لهيعة عن عقيل عن ابن شهاب قال خرج رسول الله (ص) على أصحابه يوما وهم يتذاكرون فضل الانبياء فقال قائل (موسى كليم الله وقال قائل عيسى روح الله وكتبه وقال قائل ابراهيم خليل الله فقال ابن الشهيد ابن الشهيد يلبس الوبر وياكل الشجر مخافة الذنب قال ابن وهب يريد بجي بن زكريا . وقد رواه محمد بن اسحاق وهو مدلس عن يحيى بن سعيد الانصاري عن سعيد بن المسيب حدثني ابن العاص أنه سمع رسول الله (ص) يقول كل ابن آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب الا ما كان من يحيى بن زكريا . فهذا من رواية ابن اسحاق وهو من المدلسين رقد عن ههنا . ثم قال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة عن سعيد بن المسيب مرسلا . ثم رأيت ابن عساكر ساه من طريق أبي أسامة عن يحيى بن سعيد الانصاري ثم قدر رواه ابن عساكر من طريق ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني خطيب دمشق حدثنا محمد بن الأصبهاني حدثنا أبو خالد الاحمر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن عبدالله بن عمرو قال ما أحد الا يلقى الله بذنب الا يحيى بن زكريا . ثم تلا (وسيدا وحصورا) ثم رفع شيئا من الارض فقال ما كان معه الا مثل هذا ثم ذبح ذبحا وهذا موقوف من هذه الطريق وكونه موقوفا اصح من رفعه والله أعلم . واورده ابن عساكر من طرق عن معمر من ذلك ما اورده من حديث اسحاق بن بشر وهو ضعيف عن عثمان بن سباح عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ عن النبي (ص) بنحوه . وروى من طريق أبي داود الطيالسي وغيره عن الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعيم عن ابيه عن أبي سعيد قال قال رسول (ص) الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة الا بنى الخلالة يحيى وعيسى عليهما السلام . وقال أبو نعيم الحافظ الاصبهاني حدثنا اسحاق بن احمد حدثنا ابراهيم بن يوسف حدثنا احمد بن أبي الخوارى سمعت ابا سليمان يقول خرج عيسى بن مريم ويحيى ابن زكريا يتماشيان فسلم يحيى امرأة فقال له عيسى يا ابن خالة لقد اصببت اليوم خطيئة ما اظن أنه يغفر لك ابا قال وما هي يا ابن خالة قال امرأة صدمتها . قال والله ماشرت بها . قال سبحان الله بدت معي فان روحك قال مطلق بالمرش ولو ان قلبى الحمتن الى جبريل لظننت أنى ما عرفت الله طرفة عين . فيه غرابة وهو من الاسرائيليات • وقال اسرائيل عن ابي حصين عن خيشمة قال كان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابني خالة وكان عيسى يلبس الصوف وكان يحيى يلبس الوبر ولم يكن لواحد منهما دينار ولا درهم ولا

عبد ولا أمة ولا مأوى يا ويان اليه اين ماجنهما الليل أوبا فلما ارادا أن يتفرقا قال له يحيى اوصني قال لا
تغضب قال لا استطيع الا أن اغضب قال لا تقتن مالا قال أما هذه فعسى .

وقد اختلفت الرواية عن وهب بن منبه هل مات زكريا عليه السلام موتاً أو قتل قتلاً على روايتين
فروى عبد المنعم بن ادريس بن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه أنه قال هرب من قومه فدخل شجرة
فجاؤا فوضعوا المنشار عليها فلما وصل المنشار الى أضلاعه أن فأوحى الله اليه لئن لم يسكن أئنيك لا قلبين
الارض ومن عليها فسكن أئينه حتى قطع باثنتين . وقد روى هذا في حديث مرفوع سنورده بعد ان
شاء الله * وروى اسحق بن بشر عن ادريس بن سنان عن وهب أنه قال الذي انصدعت له الشجرة
هو شعيا فأما زكريا فمات موتاً فأنه اعلم . وقال الامام احمد حدثنا عفان أنبأنا أبو خلف موسى بن خلف
وكان يعد من البدلاء حدثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده ممطور عن الحارث الاشعري
أن النبي (ص) قال ان الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وان يأمر بني اسرائيل
أن يعملوا بهن وكاد أن يبطل فقال له عيسى عليه السلام إنا قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر
بني اسرائيل أن يعملوا بهن . فاما أن تبلغهن وإما أن ابلفهن فقال يا أخي إني اخشى إن سبقتني أن أعذب
أو يخسف بي قال فجمع يحيى بن اسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فعد على الشرف فحمد الله
واثنى عليه ثم قال إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم ان تعملوا بهن . واولهن أن
تعبدوا الله لا تشرکوا به شيئاً فان مثل ذلك مثل من اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل
يعمل ويؤدى غلته الى غير سيده فايكم يسره أن يكون عبده كذلك وأن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه
ولا تشرکوا به شيئاً وأمرکم بالصلاة فان الله ينصب وجهه قبل عبده مالم يلتفت فاذا صليتم فلا تلتفتوا •
وامرکم بالصيام فان مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجدرج المسك وان خلو
فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك * وامرکم بالصدقة فان مثل ذلك كمثل رجل اسره العدو فشدوا
بده الى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال هل لكم أن أفندي نفسي منكم فجعل يفتدى نفسه منهم بالتليل
والكثير حتى فك نفسه * وأمرکم بذكر الله عز وجل كثيرا فان مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا في
اثره فاتي حصناً حصيناً فتحصن فيه وأن العبد احصن ما يكون من الشيطان اذا كان في ذكر الله عز وجل
قال وقال رسول الله (ص) : وأنا أمرکم بخمس الله امرني بهن بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد
في سبيل الله فان من خرج عن الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا أن يرجع ومن دعا بدعوى
الجاهلية فهو من حثا جهنم قال يا رسول الله وان صام وصلى قال وان صام وصلى وزعم أنه مسلم ادعوا
المسلمين باسمائهم بما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله عز وجل •
وهكذا رواه أبو يعلى عن هذبة بن خالد عن ابان بن يزيد عن يحيى بن أبي كثير به . وكذلك رواه

الترمذی من حدیث ابي داود الطيالسي وموسى بن اسماعيل كلاهما عن ابان بن يزيد العطار به * ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن محمد بن شعيب بن سبور عن معاوية بن سلام عن اخيه زيد بن سلام عن ابي سلام عن الحارث الاشعري به . ورواه الحاكم من طريق مروان بن محمد الطاطري عن معاوية بن سلام عن اخيه به . ثم قال تفرد به مروان الطاطري عن معاوية بن سلام . قلت وليس كما قال ورواه الطبراني عن محمد بن عبدة عن ابي نوبة الربيع بن يافع عن معاوية بن سلام عن ابي سلام عن الحارث الاشعري فذكر نحوه فسقط ذكر زيد بن سلام عن ابي سلام عن الحارث الاشعري فذكر نحوه هذه الرواية ثم روى الحافظ بن عساكر من طريق عبد الله بن ابي جعفر الرازي عن ابيه عن الربيع بن انس قال ذكر لنا عن اصحاب رسول الله (ص) ، فيما سمعوا من علماء بني اسرائيل ان يحيى بن زكريا ارسل بخمس كلمات وذكروا نحوه ما تقدم . وقد ذكروا ان يحيى عليه السلام كان كثير الافراد من الناس انما كان يانس الى البراري وياكل من ورق الاشجار ويرد ماء الانهار ويتغذى بالجراد في بعض الاحيان ويقول من انعم منك يا يحيى * وروى ابن عساكر ان ابويه خرجا في تطلبه فوجداه عند بحيرة الاردن فلما اجتمعا به ابكاهما بكاء شديدا لما هو فيه من العبادة والخوف من الله عز وجل . وقال ابن وهب عن مالك عن حميد بن قيس عن مجاهد قال كان طعام يحيى بن زكريا العشب وانه كان ليبيكي من خشية الله حتى لو كان القار على عينيه لخرقه

وقال محمد بن يحيى الذهلي حدثنا ابو صالح حدثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب قال جلست يوما الى ابي ادريس انخولاني وهو يقص فقال الا اخبركم بمن كان اطيب الناس طعاما فلما رأى الناس قد نظروا اليه قال ان يحيى بن زكريا كان اطيب الناس طعاما انما كان يأكل مع الوحش كراهة ان يخالط الناس في معاشهم * وقال ابن المبارك عن وهيب بن الورد قال قد زكريا ابنه يحيى ثلاثة ايام فخرج يلتمسه في البرية فاذا هو قد احتفر قبرا واقام فيه يبكي على نفسه فقال يا بني انا اطلبك من ثلاثة ايام وانت في قبر قد احتفرته قائم تبكي فيه فقال يا ابت الست انت اخبرتني ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطع الا بدموع البكاين فقال له ابك يا بني فبكيا جميعا . وهكذا حكاها وهب بن منبه ومجاهد بنحوه وروى ابن عساكر عنه انه قال ان اهل الجنة لا ينامون للذة ما هم فيه من النعيم فكذا ينفى للصديقين ان لا يناموا لما في قلوبهم من نعيم المحبة لله عز وجل * ثم قال كم بين النعميين وكم بينهما وذكروا انه كان كثير البكاء حتى اثر البكاء في خديه من كثرة دموعه *

بيان سبقت يحيى عليه السلام

وذكروا في قتله اسبابا من أشهرها ان بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق كان يريد ان يتزوج ببعض محارمه او من لا يحل له تزويجها فهاه يحيى عليه السلام عن ذلك فبقي في نفسها منه . فلما كان بينها وبين الملك

ما يجب منها استوهبت منه دم يحيى فوهبه لها فبعثت اليه من قتله وجاء برأسه ودمه في طشت الى عندها
فيقال انها هلكت من فورها وساعها وقيل بل أحبته امرأة ذلك الملك وراسلته فابى عليها فلما يئست
منه تحيلت في أن استوهبت من الملك فتمنع عليها الملك ثم أجابها الى ذلك فبعث من قتله وأحضر اليها
رأسه ودمه في طشت . وقد ورد معناه في حديث رواه اسحاق بن بشر في كتابه المبتدا حيث قال أنبأنا
يعقوب الكوفي عن عمرو بن ميمون عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله (ص) ليلة أسرى به رأى
زكريا في السماء فسلم عليه وقال له يا أبا يحيى خبرني عن قتلك كيف كان ولم فتلك بنو اسرائيل . قال يا محمد
أخبرك أن يحيى كان خير أهل زمانه وكان أجملهم وأصبحهم وجها وكان كما قال الله تعالى (سيدا وحصورا)
وكان لا يحتاج الى النساء فهوته امرأة ملك بني اسرائيل وكانت بغية فأرسلت اليه وعصمه الله وامتنع
يحيى وأبى عليها فاجتمعت على قتل يحيى ولهم عيد يجتمعون في كل عام وكانت سنة الملك أن يوعده ولا
يخلف ولا يكذب . قال فخرج الملك الى العيد فقامت امرأته فشيخته وكان بها معجبا ولم تكن تفعله فيما
مضى فلما أن شيعته قال الملك سليني فما سألتني شيئا الا أعطيتك قالت أريد دم يحيى بن زكريا قال لها
سليني غيره قالت هو ذاك قال هو لك قال فبعثت جلاوزتها الى يحيى وهو في محرابه يصلى وأما الى
جانبه أصلى قال فذبح في طشت وحمل رأسه ودمه اليها . قال فقال رسول الله (ص) : فما بلغ من صبرك
قال ما افعلت من صلاتي قال فلما حمل رأسه اليها فوضع بين يديها فلما أمسوا خسف الله بالملك وأهل
بيته وحشمه فلما أصبحوا قالت بنو اسرائيل قد غضب إله زكريا زكريا فتعالوا حتى نقض للملكنا
فنقتل زكريا قال فخرجوا في طلب ليقتلوني وجاءني النذير فهربت منهم وابليس أمامهم يدلهم على فلما
تخوفت أن لا أعجزهم عرضت لي شجرة فنادتني وقالت الى الى وانصدعت لي ودخلت فيها . قال
وجاء ابليس حتى أخذ بطرف ردائي والتأمت الشجرة وبقي طرف ردائي خارجا من الشجرة وجاءت
بنو اسرائيل فقال ابليس أما رأيتموه دخل هذه الشجرة هذا طرف ردائه دخلها بسحره فقالوا نحرق
هذه الشجرة فقال ابليس شقوه بالمنشار شقا . قال فشقت مع الشجرة بالمنشار قال له النبي (ص) : هل وجدت
له مسا أو وجما قال لا إنما وجدت ذلك الشجرة التي جعل الله روحى فيها . هذا سياق غريب جدا
وحديث عجيب ورفعه منكر وفيه ما ينكر على كل حال ولم يرف في شيء من أحاديث الاسراء ذكر
زكريا عليه السلام الا في هذا الحديث وإنما المحفوظ في بعض الفاظ الصحيح في حديث الاسراء
فمرت بابني الخالة يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة على قول الجمهور كما هو ظاهر الحديث فان أم يحيى أشياع
بنت عمران أخت مريم بنت عمران . وقيل بل أشياع وهي امرأة زكريا أم يحيى هي أخت حنة امرأة عمران
أم مريم فيكون يحيى ابن خالة مريم فإله أعلم *

ثم اختلف في مقتل يحيى بن زكريا هل كان في المسجد الاقصى أم بنيره على قولين فقال الثوري

عن الاعمش عن شمر بن عطية قال قتل على الصخرة التي بييت المقدس سبعون نبيا منهم يحيى بن زكريا عليه السلام وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال قدم بخت نصر دمشق فاذا هو بدم يحيى بن زكريا يغلي فسأل عنه فاخبروه فقتل على دمه سبعين الفا فسكن. وهذا اسناد صحيح الى سعيد بن المسيب وهو يقتضى أنه قتل بدمشق وان قصة بخت نصر كانت بعد المسيح كما قاله عطاء والحسن البصرى فالله أعلم.

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق الوليد ابن مسلم عن زبدي بن واقد قال رأيت رأس يحيى ابن زكريا حين أرادوا بناء مسجد دمشق أخرج من تحت ركن من أركان القبلة الذي يلي المحراب مما يلي الشرق فكانت البشرية والشعر على حاله لم يتغير وفي رواية كأنما قتل الساعة. وذكر في بناء مسجد دمشق أنه جعل تحت العمود المعروف بعمود السكاسكة فالله أعلم.

(١) وقد روى الحافظ ابن عساكر في المستقصى في فضائل الاقصى من طريق العباس بن صبح عن مروان عن سعيد بن عبد العزيز عن قاسم مولى معاوية قال كان ملك هذه المدينة يعنى دمشق هداد ابن هداد وكان قد زوجه ابنة أخيه أربيل ملكة صيدا وقد كان من جملة أملاكها سوق الملوك بدمشق وهو الصاغة العتيقة قال وكان قد حلف بطلاقها ثلاثا. ثم انه اراد مراجعتها فاستفتى يحيى بن زكريا فقال لا تحل لك حتى تنكح زوجا غيرك فحقت عليه وسألت من الملك رأس يحيى بن زكريا وذلك باشارة أمها فابى عليها ثم أجابها الى ذلك وبث اليه وهو قائم يصلى بمسجد جيرون من أتاه برأسه في صينية فجعل الرأس يقول له لا تحل له لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره فاخذت المرأة الطبق فحمله على رأسها وأنت به أمها وهو يقول كذلك فلما تمثلت بين يدي أمها خسف بها الى قدميها ثم الى حقوبها وجعلت أمها تولول والجوارى يصرخن ويلطنن وجوههن ثم خسف بها الى منكبها فامرت أمها السيف أن يضرب عنقها لتسلي برأسها ففعل فلفظت الارض جثتها عند ذلك ووقعوا في الذل والفناء ولم يزل دم يحيى يفور حتى قدم بخت نصر قتل عليه خمسة وسبعين الفا قال سعيد بن عبد العزيز وهي دم كل نبي ولم يزل يفور حتى وقف عنده أرميا عليه السلام قال أيها الدم أفنيت بني اسرائيل فاسكن باذن الله فسكن فرفع السيف وهرب من هرب من أهل دمشق الى بيت المقدس فقبعهم اليها فقتل خلقا كثيرا لا يحصون كثرة وسبا منهم ثم رجع عنهم.

(١) من هنالى قصة عيسى ايس في النسختين المصريةين

قصة عيسى بن مريم عليه السلام وفضل الصدقة والسلام

قال الله تعالى في سورة آل عمران التي أنزل صدرها وهو ثلاث وثمانون آية منها في الرد على النصارى عليهم لعائن الله الذين زعموا ان لله ولدا تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . وكان قد قدم وقد نجران منهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعملوا يذكرون ما هم عليه من الباطل من التثليث في الاقانيم ويدعون بزعمهم ان الله ثالث ثلاثة وهم الذات المقدسة وعيسى ومريم على اختلاف فرقهم فانزل الله عز وجل صدر هذه السورة بين فيها ان عيسى عبد من عباد الله خلقه وصوره في الرحم كما صور غيره من المخلوقات وانه خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم وقال له كن فكان سبحانه وتعالى . وبين أصل ميلاد أمه مريم وكيف كان من امرها وكيف حملت بولدها عيسى وكذلك بسط ذلك في سورة مريم كما ستتكلم على ذلك كما بهون الله وحسن توفيقه وهدايته فقال تعالى وهو اصدق القائلين (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . إذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك انت السميع العليم . فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالأُنثى وانى سميتها مريم وانى اعيدتها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب)

يذكر تعالى انه اصطفى آدم عليه السلام والخلص من ذريته المتبعين شرعه الملازمين طاعته ثم خصص فقال وآل ابراهيم فدخل فيهم بنو اسماعيل وبنو اسحاق . ثم ذكر فضل هذا البيت الطاهر الطيب وهم آل عمران والمراد بعمران هذا والد مريم عليها السلام وقال محمد بن اسحاق وهو عمران بن باشم بن أمون ابن ميثا بن حزقيا بن احريق بن موثم بن عزازيا بن امصيا بن باوش بن احريه بن يازم بن يهفاشاط بن ايشا بن ايان بن رجبام بن سليمان بن داود وهو قال ابو القاسم بن عساكر مريم بنت عمران بن ماثان بن العازر بن ايود بن اخنوخ بن صادوق بن عيازوز بن الياقيم بن ايود بن زريابيل بن شالثال بن يوحينا بن برشا بن امون بن ميثا بن حزقا بن احاز بن موثم بن عزريا بن يورام بن يوشافاط ابن ايشا بن ايبا بن رجبام ابن سليمان بن داود عليه السلام وفيه مخالفة كما ذكره محمد بن اسحاق ولا خلاف انها من سلالة داود عليه السلام وكان ابوها عمران صاحب صلاة بنى اسرائيل في زمانه وكانت أمها وهى حنة بنت فاقد بن قبيل من العابدات وكان زكريا بنى ذلك الزمان زوج أخت مريم اشيع في قول الجمهور وقيل زوج خالتها اشيع فالله أعلم وقد ذكر محمد بن اسحاق وغيره ان ام مريم كانت لا تحبل فرأت يوما طائرا يزق فرخا له فاشتت

الولد فنذرت لله ان حملت لتجملن ولدها محرراً أى حبيساً في خدمة بيت المقدس قالوا فخاضت من فورها فلما طهرت واقبها بملها فحملت بمريم عليها السلام (فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله اعلم بما وضعت) وقرى بضم التاء (وليس الذكر كالأنثى) أى في خدمة بيت المقدس وكانوا في ذلك الزمان ينذرون لبيت المقدس خداماً من أولادهم وقولها (وانى سميتها مريم) استدلت به على تسمية المولود يوم يولد وكما ثبت في الصحيحين عن أنس في ذهابه باخيه الى رسول الله (ص) فحك اخاه وسماه عبد الله . وجاء في حديث الحسن عن سمرة مرفوعاً « كل غلام رهينة بمقيدته تذب عنه يوم سابعه ويسمى ويحلق رأسه » رواه احمد وأهل السنن وصححه الترمذى وجاء في بعض ألفاظه ويدي بدل ويسمى وصححه بعضهم والله أعلم . وقولها (وانى أعيدتها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) قد استجيب لها في هذا كما تقبل منها نذرها فقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (مامن مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان اياه إلا مريم وابنها) ثم يقول أبو هريرة واقروا ان شئتم (وانى أعيدتها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) أخرجه من حديث عبد الرزاق ورواه ابن جرير عن احمد بن الفرج عن بقية عن عبد الله بن الزبيدي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه . وقال احمد أيضاً حدثنا اسماعيل بن عمر حدثنا ابن أبي ذؤيب عن عجلان مولى المشعل عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (كل مولود من بني آدم يمسه الشيطان باصبعه إلا مريم بنت عمران وابنها عيسى) . تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب عن عمر بن الحارث عن أبي يونس عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه . وقال احمد حدثنا هشيم حدثنا حفص بن عيسرة عن العلاء عن ابيه عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال (كل انسان تلده أمه يلكزه الشيطان في حضينه إلا ما كان من مريم وابنها ألم تر إلى الصبي حين يسقط كيف يصرخ قالوا بلى يا رسول الله قال ذلك حين يلكزه الشيطان بحضينه وهذا على شرط مسلم ولم يخرج منه هذا الوجه ورواه قيس عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) (مامن مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى بن مريم ومريم) ثم قرأ رسول الله (ص) (وانى أعيدتها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) وكذا رواه محمد بن اسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة عن النبي (ص) باصل الحديث . وقال الامام احمد حدثنا عبد الملك حدثنا المغيرة هو ابن عبد الله الحزامي عن ابى الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه حين يولد إلا عيسى بن مريم ذهب يطعن فطمن في الحجاب) . وهذا على شرط الصحيحين ولم يخرجوه من هذا الوجه . وقوله (فتقبلها ربها بقبول حسن وابنتها نبأاً حسناً وكفلها زكريا) ذكر كثير من المفسرين أن أمها حين وضعتها لفنها في خروقتها ثم خرجت بها

الى المسجد فسلمتها الى العباد الذين هم مقيمون به وكانت ابنة امامهم وصاحب صلاتهم فتنازعوا فيها . والظاهر انها اتت سلمتها اليهم بعد رضاعها وكفالتها في صغرها . ثم لما دفنتها اليهم تنازعوا في أيهم يكفلها وكان زكريا نبهم في ذلك الزمان وقد أراد أن يستبد بها دونهم من أجل أن زوجته اختها أو خالتها على القولين فتاحوه في ذلك وطلبوا أن يقترح معهم فساعدته المقادير فخرجت قرعته غالبه لهم وذلك أن الخالة بمنزلة الأم . قال الله تعالى (وكفلها زكريا) أي بسبب غلبه لهم في القرعة كما قال تعالى (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) . قالوا وذلك أن كلا منهم ألقى قلبه معروفا به ثم حملوها ووضعوها في موضع وأمسوا غلاما لم يبلغ الحنث فأخرج واحدا منها وظهر قلم زكريا عليه السلام فطلبوا أن يقترحوا مرة ثانية وأن يكون ذلك بان يلقوا أقلامهم في النهر فايهم جرى قلبه على خلاف جريه في الماء فهو الغالب ففعلوا فكان قلم زكريا هو الذي جرى على خلاف جريه الماء وسارت أقلامهم مع الماء ثم طلبوا منه أن يقترحوا ثالثة فايهم جرى قلبه مع الماء ويكون بقية الاقلام قد انعكس سيرها صعدا فهو الغالب فكان زكريا هو الغالب لهم فكفلها إذ كان احق بها شرعا وقدرأ لوجوه عديدة . قال الله تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) قال المفسرون اتخذ لها زكريا مكانا شريفاً من المسجد لا يدخله سواه فكانت تعبد الله فيه وتقوم بما يجب عليها من سداة البيت اذا جاءت نوبتها وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها حتى صارت يضرب بها المثل بعبادتها في بني اسرائيل واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والصفات الشريفة حتى انه كان نبي الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقا غربياً في غير أوانه فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيسألها (أنى لك هذا فتقول هو من عند الله) أي رزق رزقنيه الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فعند ذلك وهناك طمع زكريا في وجود ولد من صلبه وان كان قد اسن وكبر (قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء) . قال بعضهم قال يا من يرزق مريم الثمر في غير أوانه هب لي ولداً وان كان في غير أوانه فكان من خبره وقضيته ما قدمنا ذكره في قصته . (إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين . ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون . إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون . ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل أنى قد

جسمك بآية من ربكم أنى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فافخ فيه فيكون طيراً بلذن الله وأبرى .
الأكه والأبرص وإيحي الموتى بلذن الله وأنبتكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لاية
لكم ان كنتم مؤمنين . ومصداقاً لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجسمك
باية من ربكم فاتموا الله وأطيعون . ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم

يذكر تعالى أن الملائكة بشرت مريم باصطفاء الله لها من بين سائر نساء عالمي زمانها بأن اختارها
لايجاد ولد منها من غير أب وبشرت بان يكون نبياً شريفاً (يكلم الناس فى المهد) أى فى صغره يدعوم
الى عبادة الله وحده لا شريك له وكذلك فى حال كهولته فدل على أنه يبلغ الكهولة ويدعو الى الله فيها
وأمرت بكثرة العبادة والتقوى والسجود والركوع لتكون أهلاً لهذه الكرامة ولتقوم بشكر هذه النعمة فيقال
إنها كانت تهوم فى الصلاة حتى قطرت قدماها رضى الله عنها ورحمها ورحم أمها وأباها فقول الملائكة
(يا مريم ان الله اصطفاك) أى اختارك واجتباك (وطهرك) أى من الاخلاق الرذيلة واعطاك الصفات الجميلة
(واصطفاك على نساء العالمين) . يحتمل أن يكون المراد عالمي زمانها كقوله لموسى انى اصطفيتك على
الناس وكقوله عن بنى اسرائيل (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) ومعلوم أن ابراهيم عليه السلام افضل
من موسى وان محمداً (س) افضل منهما وكذلك هذه الامة افضل من سائر الامم قبلها وأكثر
عدداً وافضل علماً وازكى عملاً من بنى اسرائيل وغيرهم . ويحتمل أن يكون قوله (واصطفاك على نساء
العالمين) محفوظ الصوم فتكون افضل نساء الدنيا ممن كان قبلها ووجد بعدها لانها إن كانت نية على
قول من يقول بنبوتها ونبوة سارة أم اسحاق ونبوة أم موسى محتجاً بكلام الملائكة والوحى الى أم
موسى كما يزعم ذلك ابن حزم وغيره فلا يمتنع على هذا أن يكون مريم افضل من سارة وأم موسى
لصوم قوله (واصطفاك على نساء العالمين) إذ لم يمارضه غيره والله أعلم هو أما قول الجمهور كما قد حكاه أبو
الحسن الاشعري وغيره عن أهل السنة والجماعة من أن النبوة مختصة بالرجال وليس فى النساء نية فيكون
أعلى مقامات مريم كما قال الله تعالى (ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل واهمه صديقة)
فلى هذا لا يمتنع أن تكون افضل الصديقات المشهورات ممن كان قبلها ومن يكون بعدها والله أعلم .
وقد جاء ذكرها مقروناً مع آسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد رضى الله عنهم
وأرضاهن .

وقد روى الامام احمد . والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عديدة عن هشام بن عروة
عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله (س) خير نسائها
مريم بنت عمران وخير نساءها خديجة بنت خويلد . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أن أبا نعيم عن
تادة عن انس قال قال رسول الله (س) (حبك من نساء العالمين باربع مريم بنت عمران وآسية

امراة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد) ورواه الترمذى عن ابى بكر بن زانجويه عن عبد الرزاق به وصححه ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن ابى جعفر الرازى وابن عساكر من طريق تميم بن زياد كلاهما عن ابى جعفر الرازى عن ثابت عن انس قال قال رسول الله (ص) خير نساء العالمين اربع (مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد رسول الله) وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن ابن المسيب قال كان ابو هريرة يحدث ان النبى (ص) قال خير نساء ركب الابل صالح نساء قريش احتاه على ولد في صغره وارعاه لزوج في ذات يده قال ابو هريرة ولم ترك مريم بعيراً قط . وقد رواه مسلم في صحيحه عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به . وقال احمد حدثنا زيد بن الجباب حدثنى موسى بن على سمعت ابى يقول سمعت ابا هريرة يقول قال رسول الله (ص) خير نساء ركب الابل نساء قريش احتاه على ولد في صغره وأرافه بزوج على قلة ذات يده قال ابو هريرة وقد علم رسول الله (ص) أن ابنة عمران لم ترك الابل تفرد به وهو على شرط الصحيح * ولهذا الحديث طرق اخر عن ابى هريرة * وقال ابو يعلى الموصلى حدثنا زهير حدثنا يونس بن محمد حدثنا داود بن ابى الفرات عن علباء بن احمر عن عكرمة عن ابن عباس قال خط رسول الله (ص) فى الارض اربع خطوط فقال اتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم فقال رسول الله (ص) افضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ورواه النسائى من طرق عن داود ابى هند . وقد رواه ابن عساكر من طريق ابى بكر عبد الله بن ابى داود سليمان بن الاشعث حدثنا يحيى بن حاتم العسكري نبأنا بشر بن مهران بن حمدان حدثنا محمد بن دينار عن داود بن بى هند عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص) حسبك منهن اربع سيدات نساء العالمين فاطمة بنت محمد وخديجة بنت خويلد وآسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران . وقال ابو القاسم البغوى حدثنا وهب بن منبه حدثنا خالد بن عبد الله الواسطى عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن عائشة انها قالت لفاطمة ارايت حين اكببت على رسول الله (ص) فبكيت ثم ضحكت قالت اخبرنى انه ميت من وجهه هذا فبكيت ثم اكببت عليه فاخبرنى انى أسرع أهله لحوقابه وانى سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران فضحكت واصل هذا الحديث فى الصحيح . وهذا اسناد على شرط مسلم وفيه انهما افضل الاربع المذكورات . وهكذا الحديث الذى رواه الامام احمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن يزيد هو ابن ابى زياد عن عبد الرحمن بن ابى نعيم عن ابى سعيد قال قال رسول الله (ص) فاطمة سيدة نساء أهل الجنة الا ما كان من مريم بنت عمران اسناد حسن وصححه الترمذى ولم يخرجوه وقد روى نحوه من حديث على بن ابى طالب ولا يمكن فى اسناده ضعف * والمقصود أن هذا يدل على ان مريم وفاطمة افضل هذه الاربع . ثم يحتمل الاستثناء أن تكون مريم افضل من فاطمة ويحتمل أن يكونا على السواء

في الفضيلة لكن ورد حديث ان صح عين الاحتمال الأول فقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر ابناً
 أبو الحسن بن الفراء وأبو غالب وأبو عبد الله ابناً قالوا ابناً أبو جعفر بن المسلمة ابناً أبو طاهر المخلص
 حدثنا أحمد بن سليمان حدثنا الزبير هو بن بكار حدثنا محمد بن الحسن عن عبد العزيز بن محمد عن موسى
 بن عقبة عن كريب عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص)، سيدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران ثم
 فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون فان كان هذا اللفظ محفوظاً بتم التي للترتيب فهو مبين لاحد
 الاحتمالين اللذين دل عليهما الاستثناء وتقدم على ما تقدم من الألفاظ التي وردت بواو العطف التي
 لا تقتضي الترتيب ولا تنفيه والله أعلم .

وقد روى هذا الحديث أبو حاتم الرازي عن داود الجعفي عن عبد العزيز بن محمد وهو الدرر الأوردى
 عن ابراهيم بن عقبة عن كريب عن ابن عباس مرفوعاً فذكره بواو العطف لا بتم الترتيبية فخالفه اسناداً
 ومتناً فالله أعلم . فاما الحديث الذي رواه ابن مردويه من حديث شعبة عن معاوية بن قررة عن أبيه قال
 قال رسول الله (ص)، كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا ثلاث مريم بنت عمران وآسية امرأة
 فرعون وخديجة بنت خويلد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . وهكذا الحديث
 الذي رواه الجماعة الا أبو داود من طرق عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمداني عن أبي موسى
 الأشعري قال قال رسول الله (ص)، كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون
 ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . فانه حديث صحيح كما ترى
 اتفق الشيخان على اخراجه وانفذه يقتضي حصر الكمال في النساء في مريم وآسية وامل المراد بذلك في
 زمانهما فان كلا منهما كفلت نبياً في حال صغره فآسية كفلت موسى الكليم ومريم كفلت ولدها عبد الله
 ورسوله فلا ينفى كمال غيرها في هذه الأمة كخديجة وفاطمة فخديجة خدمت رسول الله (ص)، قبل البعثة
 خمسة عشر سنة وبعدها ازيد من عشر سنين وكانت له وزير صدق بنفسها ومالها رضى الله عنها وارضاهها
 وأما فاطمة بنت رسول الله (ص)، فانها خصت بمزيد فضيلة على اخواتها لانها اصيبت برسول الله (ص)،
 وبقية اخواتها متن في حيات النبي (ص)، وأما عائشة فانها كانت أحب أزواج رسول الله (ص)، اليه ولم يتزوج
 بكر غيرها ولا يعرف في سائر النساء في هذه الامة بل ولا في غيرها أعلم منها ولا أهم وقد غار الله لها حين
 قال لها أهل الافك ما قالوا فانزل برائتها من فوق سبع سموات وقد عمرت بعد رسول الله (ص)، قريباً
 من خمسين سنة تبلغ عنه القران والسنة وتفتي المساهين وتصلح بين المختلفين وهي أشرف أمهات المؤمنين
 حتى خديجة بنت خويلد أم البنات والبنين في قول طائفة من العلماء السابقين واللاحقين والاحسن الوقوف
 فيها رضى الله عنهما وما ذاك الا لأن قوله (ص)، بفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام يحتمل
 أن يكون عاماً بالنسبة الى المذكورات وغيرهن ويحتمل أن يكون عاماً بالنسبة الى ما عدى المذكورات والله أعلم

والمقصود ههنا ذكر ما يتعلق بمريم بنت عمران عليها السلام فإن الله طهرها واصطفاناها على نساء عالمي زمانها ويجوز أن يكون تفضيلها على النساء مطلقاً كما قدمنا . وقد ورد في حديث أنها تكون من أزواج النبي (س) في الجنة هي وآسية بنت مزاحم . وقد ذكرنا في التفسير عن بعض السلف أنه قال ذلك واستأنس بقوله ثيبات وابكارا قال فالثيب آسية ومن الابكار مريم بنت عمران . وقد ذكرناه في آخر سورة التحريم فإله أعلم .

قال الطبراني حدثنا عبد الله بن ثعلبة حدثنا محمد بن سعد العوفي حدثنا أبي أن أبا عمى الحسين حدثنا يونس بن قبيح عن سعد بن جنادة هو العوفي قال قال رسول الله (س) . إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا إبراهيم بن عرعرة حدثنا عبد النور بن عبد الله حدثنا يونس بن شعيب عن أبي امامة قال قال رسول الله (س) . أشرفت أن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكلمت أخت موسى رواه ابن جعفر العقيلي من حديث عبد النور به وزاد قلت هنيأ لك يا رسول الله . ثم قال العقيلي وليس بمحفوظ . وقال الزبير بن بكار حدثني محمد بن الحسن عن يعلى بن المغيرة عن ابن أبي داود قال دخل رسول الله (س) . على خديجة وهي في مرضها الذي توفيت فيه فقال لها بالكروه مني ما أرى منك يا خديجة وقد يجعل الله في الكره خيراً كثيراً أما علمت أن الله قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلمت أخت موسى وآسية امرأة فرعون قالت وقد فعل الله بك ذلك يا رسول الله قال نعم قالت بالرفاء والبنين * وروى ابن عساكر من حديث محمد بن زكريا الغلابي حدثنا العباس بن بكار حدثنا أبو بكر الهزلي عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (س) . دخل على خديجة وهي في مرض الموت فقال يا خديجة إذا لقيت ضرائك فاقترهن مني السلام قالت يا رسول الله وهل تزوجت قبلي قال لا ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكلمت أخت موسى وروى ابن عساكر من طريق سويد بن سعيد حدثنا محمد بن صالح بن عمر عن الضحاك ومجاهد عن ابن عمر قال نزل جبريل إلى رسول الله (س) . بما أرسل به وجلس يحدث رسول الله (س) . إذ مرت خديجة فقال جبريل من هذه يا محمد قال هذه صديقة أمتي قال جبريل معي إليها رسالة من الرب عز وجل بقرئها السلام ويشرها بيت في الجنة من قصب بيد من اللهب لا نصب فيه ولا صخب قالت الله السلام ومنه السلام والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته على رسول الله ما ذلك البيت الذي من قصب قال لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم وهما من أزواجي يوم القيامة . وأصل السلام على خديجة من الله وبشارتها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب في الصحيح ولكن هذا السياق بهذه الزيادات غريب جدا . وكل من هذه الأحاديث في أسانيدنا خطر . وروى ابن عساكر من حديث أبي زرعة الدمشقي حدثنا عبد الله بن صالح

حدثني معاوية عن صفوان بن عمرو عن خالد بن معدان عن كعب الاحبار أن معاوية سأله عن الصخرة
 يعني صخرة بيت المقدس قال الصخرة على نخلة والنخلة على نهر من أنهار الجنة وتحت النخلة مريم
 بنت عمران وآسية بنت مزاحم ينظمان سموط أهل الجنة حتى تقوم الساعة. ثم رواه من طريق اسماعيل
 عن عياش عن ثعلبة بن مسلم عن مسعود عن عبد الرحمن عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت عن
 النبي ﷺ بمثله وهذا منكر من هذا الوجه بل هو موضوع قد رواه أبو زرعة عن عبد الله بن صالح
 عن معاوية عن مسعود بن عبد الرحمن عن ابن عابد أن معاوية سأل كعبا عن صخرة بيت المقدس
 فذكره قال الحافظ بن عساكر وكونه من كلام كعب الاحبار أشبه. قلت وكلام كعب الاحبار هذا إنما
 تلقاه من الاسرائيليات التي منها ما هو مكذوب مقنع وضعه بعض زنادقهم أوجه لهم وهذا منه والله أعلم *

سبلو العبر الرسول عيسى بن مريم البشير

قال الله تعالى (واذ كر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فانخذت من دونهم
 حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا. قالت انى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا. قال إنما أنا
 رسول ربك لا هب لك غلاما زكيا. قالت انى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغيا. قال كذلك قال
 ربك هو على هين ولنجله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا. فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها
 المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها ان لا تحزنى قد
 جعل ربك تحتك سريا. وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك ريبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا فاه
 ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا. فانت به قومها تحمله قالوا
 يا مريم لقد جئت شيئا فريا. يا أخت هرون ما كان أبوك أمرا سوء وما كانت أمك بغيا فاشارت اليه قالو
 كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا. وجعلنى مباركا ابنا كنت
 وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم
 أموت ويوم أبعث حيا. ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون. ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه
 اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربه وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم. فاختلف الاحزاب
 من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم .)

ذكر تعالى هذه القصة بعد قصة زكريا التي مى كالمقدمة لها والتوطئة قبلها كما ذكر فى سورة آل عمران
 قرن بينهما فى سياق واحد وكما قال فى سورة الانبياء (وزكريا اذ نادى ربه رب لا تدرنى فردا وانت خير
 الوارئين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا
 ورهبا وكانوا لنا خاشعين . والتي أحصنت فرجها فغفنا فيها من روحنا وجعلناها وابنا آية للعالمين)

وقد تقدم أن مريم لما جعلتها أمها محررة تخدم بيت المقدس وأنه كفلها زوج أختها أو خالتها نبي ذلك الزمان زكريا عليه السلام وأنه اتخذ لها محراباً وهو المكنى الشريف من المسجد لا يدخله أحد عليها سواه وإنما لما بلغت اجتهدت في العبادة فلم يكن في ذلك الزمان نظيرها في فنون العبادات وظهر عليها من الأحوال ما غبطها به زكريا عليه السلام وأنها خاطبتها الملائكة بالبشارة لها باصطفاء الله لها وبأنه سيهب لها ولداً زكياً يكون نبياً كريماً طاهراً . كما مؤيداً بالاعجازات فتعجبت من وجود ولد من غير والد لأنها لا زوج لها ولا هي ممن تزوج فأخبرتها الملائكة بأن الله قادر على ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون فاستكانت لذلك وأنابت وسامت لأمر الله وعلمت أن هذا فيه محنة عظيمة لها فإن الناس يتكلمون فيها بسببه لأنهم لا يعلمون حقيقة الأمر . وإنما ينظرون إلى ظاهر الحال من غير تدبر ولا تعقل وكانت إنما تخرج من المسجد في زمن حيضها أو لحاجة ضرورية لا بد منها من استقاء ماء أو تحصيل غذاء فبينما هي يوماً قد خرجت لبعض شؤونها (وانتبهت) أي انفردت وحدها شرق المسجد الأقصى إذ بعث الله إليها الروح الأمين جبريل عليه السلام (فتمثل لها بشراً سوياً) فلما رآته (قالت انى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) . قال أبو العالمة علمت أن التقى ذونهيبة وهذا يرد قول من زعم أنه كان في بنى إسرائيل رجل فاسق مشهور بالفسق اسمه تقى فان هذا قول باطل بلا دليل وهو من أسخف الأقوال (قال إنما أنا رسول ربك) أي خاطبها الملك قائلاً إنما أنا رسول ربك لست بيشر ولكنى ملك بعثنى الله إليك (ليهب لك غلاماً زكياً) أي ولداً زكياً (قالت انى يكون لى غلام) أي كيف يكون لى غلام أو يوجد لى ولد (ولم يمسنى بشر ولم أك بغياً) أي ولست ذات زوج وما أنا ممن يفعل الفاحشة (قال كذلك قال ربك هو على هين) أي فاجابها الملك عن تعجبها من وجود ولد منها والحالة هذه قائلاً (كذلك قال ربك) أي وعد أنه سيخلق منك غلاماً ولست بذات بعل ولا تكونين ممن تبغين (هو على هين) أي وهذا سهل عليه ويسير لديه فانه على ما يشاء قدير . وقوله (ولنجعله آية للناس) أي ولنجعل خلقه والحالة هذه دليلاً على كل قدرتنا على أنواع الخلق فانه تعالى خالق آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى . وقوله (ورحمة منا) أي نرحم به العباد بان يدعوهم إلى الله في صغره وكبره في طفولته وكمولته بأن يفردوا الله بالعبادة وحده لا شريك له وينزهوه عن اتخاذ الصاحبة والاولاد والشركاء والنظراء والاضداد والانداد . وقوله (وكان أمراً مقضياً) . يحتمل أن يكون هذا من تمام كلام جبريل معها يعنى ان هذا أمر قد قضاه الله وحتمه وقدره وقرره وهذا معنى قول محمد بن اسحاق واختاره ابن جرير ولم يحك سواه والله أعلم . ويحتمل أن يكون قوله (وكان أمراً مقضياً) كناية عن نفخ جبريل فيها كما قال تعالى (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) . فذكر غير واحد من السلف ان جبريل نفخ في جيب درعها فتزلت

النفخة الى فرجها فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع بعلمها. ومن قال انه نفخ في فيها أو ان الذي كان يخاطبها هو الروح الذي ولج فيها من فيها فقوله خلاف ما يفهم من سياقات هذه القصة في محالها من القرآن فان هذا السياق يدل على أن الذي أرسل اليها ملك من الملائكة وهو جبريل عليه السلام وانه إنما نفخ فيها ولم يواجهه الملك الفرج بل نفخ في جيبها فنزلت النفخة إلى فرجها فانسلكت فيه كما قال تعالى (فنفخنا فيه من روحنا) يدل على أن النفخة ولجت فيه لاني فيها كما روى عن أبي بن كعب ولا في صدرها كما رواه السدي باسناده عن بعض الصحابة ولهذا قال تعالى (فحملته) أي حات، ولدها (فانتبذت به مكاناً قصياً) وذلك لأن مريم عليها السلام لما حملت ضاقت به ذرعاً وعلت أن كثيراً من الناس سيكون منهم كلام في حقها فذكر غير واحد من السلف منهم وهب بن منبه انها لما ظهرت عليها مخايل الحمل كان أول من فطن لذلك رجل من عباد بني اسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب التجار وكان ابن خالها فجعل يتعجب من ذلك عجباً شديداً وذلك لما يعلم من دياتها ونزاهتها وعبادتها وهو مع ذلك يراها حبل و ليس لها زوج فعرض لها ذات يوم في الكلام فقال يا مريم هل يكون زرع من غير بذر قالت نعم فمن خلق الزرع الأول . ثم قال فهل يكون شجر من غير ماء ولا مطر قالت نعم فمن خلق الشجر الأول ثم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ان الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى قال لها فأخبريني خبرك فقالت إن الله بشرني (بكامة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجبها في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهدي وكهلا ومن الصالحين) و يروى مثل هذا عن زكريا عليه السلام أنه سأها فأجابته بمثل هذا والله أعلم *

وذكر السدي باسناده عن الصحابة أن مريم دخلت يوماً على أختها فقالت لها أختها اشعرت أني حبلي فقالت مريم وشعرت أيضاً أني حبلي فاعتنتتها وقالت لها أم يحيى اني أرى ماني بطني يسجد لما في بطنك وذلك قوله (مصداقاً بكلمة من الله) ومعنى السجود ههنا الخضوع والتعظيم كالسجود عند المواجهة للسلام كما كان في شرع من قبلنا وكما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم * وقال أبو التمام قال مالك بلغني أن عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا خالة وكان حملهما جميعاً معاً فبلغني أن أم يحيى قالت لمريم اني أرى ماني بطني يسجد لما في بطنك قال مالك أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام لأن الله تعالى جعله يحيى الموتى ويبرئ الأكمه والابرص. رواه ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد قل قالت مريم كنت إذا خلوت حدثني وكلني وإذا كنت بين الناس سبح في بطني *

ثم الظاهر أنها حملت به تسعة أشهر كما تحمل النساء ويضعن لميقات حملهن ووضعن إذ لو كان خلاف ذلك لذكر . وعن ابن عباس وعكرمة أنها حملت به ثمانية أشهر وعن ابن عباس ما هو إلا أن حملت به فوضعت قال بعضهم حملت به تسع ساعات واستأنسوا لذلك بقوله (فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً فأجاءها)

المخاض الى جذع النخلة) والصحيح أن تعيب كل شيء بحسبه لقوله (فتصبح الأرض مخضرة) وكقوله (فخلقنا النطفة علقمة فخلقنا الملقحة مضفة فخلقنا المضفة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) * ومعلوم أن بين كل حالين أربعين يوماً كما ثبت في الحديث المتفق عليه .

قال محمد بن اسحاق شاع واشتهر في بني اسرائيل أنها حامل فما دخل على أهل بيت ملاخل على آل بيت زكريا . قال وآتهم بعض الزفلاحة ييوسف الذي كان يتعبدها في المسجد وتوارت عنهم مريم واعتزلتهم وانتبذت . كما قاصيا وقوله (فأجاءها المخاض الى جذع النخلة) أى فاجأها واضطرها الطلق الى جذع النخلة وهو بنص الحديث الذى رواه النسائي باسناد لا بأس به عن أنس مرفوعاً والبيهقي باسناد وصححه عن شداد بن أوس مرفوعاً أيضاً بيت لحم الذى بنى عليه بعض ملوك الروم فيما بعد على ما سذكروه هذا البناء المشاهد الهائل (قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) فيه دليل على جواز تمنى الموت عند الفتن وذلك أنها علمت أن الناس يتهمونها ولا يصدقونها بل يكذبونها حين تأتيهم بظلام على يدها مع أنها قد كانت عندهم من العابدات الناسكات المجاورات فى المسجد المنقطعات اليه المعتكفات فيه ومن بيت النبوة والديانة فحملت بسبب ذلك من الهم ما تمننت ان لو كانت ماتت قبل هذا الحال أو كانت (نسياً منسياً) أى لم تخلق بالكلية . وقوله (فناداها من تحتها) وقرئ من تحتها على الخفض وفى المضر قولان أحدهما أنه جبريل قاله العوفى عن ابن عباس قال ولم يتكلم عيسى إلا بمحضرة القوم وهكذا قال سعيد بن جبير وعمرو بن ميمون والضحاك والسدى وقتادة . وقال مجاهد والحسن وابن زيد وسعيد بن جبير فى رواية هو ابنها عيسى واختاره ابن جرير . وقوله (أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سرياً) قيل النهر واليه ذهب الجمهور . وجاء فيه حديث رواه الطبرانى لكنه ضعيف واختاره ابن جرير وهو الصحيح وعن الحسن والريبع بن أنس وابن اسلم وغيرهم أنه ابنها والصحيح الأول لقوله (وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) فذكر الطعام والشراب ولهذا قال (فكلى واشربى وقرى عينا) . ثم قيل كان جذع النخلة يابساً وقيل كانت نخلة مشرة فالله أعلم . ويحتمل أنها كانت نخلة لكنها لم تكن مشرة إذ ذاك لأن ميلاده كان فى زمن الشتاء وليس ذاك وقت ثمر وقد يفهم ذلك من قوله تعالى على سبيل الامتثال (تساقط عليك رطباً جنياً) قال عمرو بن ميمون ليس شيء أجود للنساء من التمر والرطب ثم تلا هذه الآية . وقال ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا شيبان حدثنا مسرور بن سعيد التميمي حدثنا عبد الرحمن بن عمرو الانصارى عن عروة بن رويم عن على بن أبى طالب قال قال رسول الله (س) . (أكرموا عنكم النخلة فاتمها خلقت من الطين الذى خلق منه آدم وليس من الشجر شيء يلقح غيرها وقال رسول الله (س) . (أطمعوا نساءكم الولد الرطب فان لم يكن رطب فتمر وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها

مریم بنت عمران . وكذا رواه أبو يعلى في مسنده عن شيبان بن فروخ عن مسروق بن سعيد وفي رواية مسرور بن سعد . والصحيح مسرور بن سعيد التميمي أورد له ابن عدي هذا الحديث عن الأوزاعي به ثم قال وهو منكر الحديث ولم اسمع بذكره إلا في هذا الحديث . وقال ابن حبان يروى عن الأوزاعي المناكير الكثيرة التي لا يجوز الاحتجاج بمن يرويها . وقوله (فاما ترين من البشر أحدا يقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً) . وهذا من تمام كلام الذي ناداها من تحتها قال (كلني واشربي وقرى عينا فاما ترين من البشر أحداً) أي فان رأيت أحداً من الناس (قولي) له أي بلسان الحال والاشارة (إني نذرت للرحمن صوماً) أي صمتاً وكان من صومهم في شريعتهم ترك الكلام والطعام قاله قتادة والسدي وابن اسلم ويبدل على ذلك قوله (فلن أكلم اليوم إنسياً) فاما في شريعتنا فيكره للصائم صمت يوم إلى الليل وقوله تعالى (فانت به قومها تحمله قالوا يا مریم لقد جئت شيئاً فريباً . يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً) ذكر كثير من السلف ممن ينتقل عن أهل الكتاب أنهم لما افتقدوها من بين أظهرهم ذهبوا في طلبها فمروا على محلها والأنوار حولها فلما واجهوها وجدوا معها ولدها فقالوا لها (يا مریم لقد جئت شيئاً فريباً) أي امرأ عظيماً منكراً . وفي هذا الذي قالوه نظر مع أنه كلام ينقض أوله آخره وذلك لأن ظاهر سياق القرآن العظيم يدل على أنها حملت بنفسها وابت به قومها وهي تحمله * قال ابن عباس وذلك بعد ما نمت من نفاسها بعد أربعين يوماً *

والمقصود أنهم لما رأوها تحمل معها ولدها (قلوا يا مریم لقد جئت شيئاً فريباً) والفريه هي الفعلة المنكرة العظيمة من الفعال والمقال ثم قالوا لها (يا أخت هرون) قيل شبهوها بما يد من عباد زمانهم كانت تساميه في العبادة وكان اسمه هرون وقيل شبهوها بجرجل فاجر في زمانهم اسمه هرون . قاله سعيد بن جبیر وقيل أرادوا بهرون أخا موسى شبهوها به في العبادة . واخطأ محمد بن كعب القرظي في زعمه أنها أخت موسى وهرون نسباً فان بينهما من الدهور الطويلة ما لا يخفى على أدنى من عنده من العلم ما يردده عن هذا القول الفظيع وكأنه غره أن في التوراة أن مریم أخت موسى وهرون ضربت بالدفع يوم نجا الله موسى وقومه وأغرق فرعون وملائه فاعتقد أن هذه هي هذه وهذا في غاية البطلان والمخالفة للحديث الصحيح مع نص القرآن في قررناه في التفسير . وطولاً والله الحمد والمذه . وقد ورد الحديث الصحيح الدال على أنه قد كان لما أخ اسمه هرون وليس في ذكر قصة ولادتها وتحرير أمها لها ما يدل على أنها ليس لها أخ سواها والله أعلم . قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن ادريس سمعت أبي يذكره عن سماك بن شعقة ابن وائل عن المفيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله (ص) إلى نجران فقالوا أرأيت ما تقرؤن (يا أخت هرون) وموسى قبل عيسى بكذا وكذا قال فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله (ص) فقال (ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالانبياء والصالحين قبلهم) وكذا رواه مسلم والنسائي والترمذي من حديث

عبدالله بن إدريس وقال الترمذى حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديثه وفي رواية (ألا أخبرتهم أنهم كانوا يتسمون بأسماء صالحهم وأنبيائهم) وذكر قتادة وغيره أنهم كانوا يكثر من التسمية بهرون حتى قيل إنه حضر بعض جنازهم بشر كثير منهم ممن يسمى بهرون أربعمائة ألفاً قاله أعلمهم والمقصود أنهم قالوا (يا أخت هرون) ودل الحديث على أنها قد كان لها أخ نسي اسمه هرون وكان مشهوراً بالدين والصلاح والخير ولهذا قالوا (ما كان أبوك امراً سوء وما كانت أمك بغيّاً) أى است من بيت هذا شيمتهم ولا سجيبتهم لأخوك ولا أمك ولا أبوك فاتهموها بالفاحشة العظمى ورموها بالدهاية الدهياء فذكر ابن جرير في تاريخه أنهم اتهموا بها زكراً وأرادوا قتله ففر منهم فلحقوه وقد انشقت له الشجرة فدخلها وأمسك أبليس بطرف رداءه فنشروه فيها كما قدمنا، ومن المناقنين من اتهمها بابن خالما يوسف بن يعقوب النجار فدا ضاق الحال وانحصر المجال وامتنع المقال عظم التوكل على ذى الجلال ولم يبق إلا الاخلاص والاتكال (فأشارت إليه) أى خاطبوه وكاموه فان جوابكم عليه وما تبغون من الكلام لديه، فعندها (قالوا) من كان منهم جباراً شقياً (كيف نكلم من كان في المهد عبياً) أى كيف تحبيلنا في الجواب على صبي صغير لا يعقل الخطاب وهو مع ذلك رضيع في مهده ولا يميز بين محض وزبد وما هذا منك إلا على سبيل التهمك بنا والاستهزاء والتنقص لنا والازدراء إذ لا تردن علينا قولاً نطقاً بل تحبيلين في الجواب على من كان في المهد صبياً فعندها (قال إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً. وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً. والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً). هذا أول كلام تفوه به عيسى بن مريم فكان أول ما تكلم به أن (قال إني عبدالله) اعترف لربه تعالى بلعبودية وأن الله ربه فنزه جناب الله عن قول الظالمين في زعمهم انه ابن الله بل هو عبده ورسوله وابن أمته ثم براً أمه مما نسبها إليه الجاهلون وقد فوها به ورموها بسببه بقوله (آتاني الكتاب وجعلني نبياً) فان الله لا يعطى النبوة من هو كما زعموا لعنهم الله وقبحهم كما قال تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً) وذلك أن طائفة من اليهود في ذلك الزمان قالوا إنها حملت به من زنا في زمن الحيض لعنهم الله فبرأها الله من ذلك وأخبر عنها أنها صديقة واتخذ ولدها نبياً مرسلأ أحد أولى العزم الخمسة الكبار ولهذا قال (وجعلني مباركا أينما كنت) وذلك أنه حيث كان دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونزه جنابه عن النقص والعيب من اتخاذ الولد والصاحبة تعالى وتقدس (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً) وهذه وظيفة العبيد في التيام بحق العزيز الحميد بالصلاة والاحسان إلى الخليفة بالزكاة وهي تشمل على طهارة النفوس من الاحلاق الرذيلة وتطهير الأموال الجزيلة بالمعطي للمحاويج على اختلاف الاصناف وقرى الاضياف الغنمات على الزوجات والارقاء والقرابات وسائر وجوه الطاعات وأنواع القربات. ثم قال (وبراً بوالدتي

ولم يجعلني جباراً شقياً) أي وجعاني برأ بوالدتي وذلك أنه تأكد حقها عليه لتمحض جهنمها إذ لا والد له سواها فسبحان من خلق الخليفة وبرأها وأعطى كل نفس هداها . (ولم يجعلني جباراً شقياً) أي لست بفظ ولا غليظ ولا يصدر مني قول ولا فعل ينافي أمر الله وطاعته * (والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أمث حياً) . وهذه الأماكن الثلاثة التي تقدم الكلام عليها في قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام . ثم لما ذكر تعالى قصته على الجلية وبين أمره ووضعه وشرحه قال (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون . ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضي أمراً فاتماً يقول له كن فيكون) كما قال تعالى بعد ذكر قصته وما كان من أمره في آل عمران (ذلك نلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم * إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من الممترين * فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين * إن هذا هو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله هو العزيز الحكيم * فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين) * ولهذا لما قدم وفد نجران وكاثوا ستين راكباً يرجع أمرهم إلى أربعة عشر منهم ويؤول أمر الجميع إلى ثلاثة هم أشرافهم وساداتهم وهم العاقب والسيد وأبو حارثة بن علقمة فجعلوا يناظرون في أمر المسيح فأنزل الله صدر سورة آل عمران في ذلك وبين أمر المسيح وابتداء خلقه وخلق أمه من قبله وأمر رسوله بأن يباهلهم أن لم يستجيبوا له ويتبعوه فلما رأوا عينيها واذنيتها نكصوا وامتنعوا عن المباهلة وعدلوا إلى المسألة والموادعة وقالوا نائلهم وهو العاقب عبد المسيح يامعشر النصارى لقد علمتم أن محمداً نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم أنه مالا عن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وانها للاستئصال منكم ان فعلتم فان كنتم قد أيتتم الالف ينكم والاقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فطلبوا ذلك من رسول الله (ص) وسألوه أن يضرب عليهم جزية وأن يبعث معهم رجلاً أميناً فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح وقد بينا ذلك في تفسير آل عمران وسبأتي بسط هذه القضية في السيرة النبوية إن شاء الله تعالى وبه الثقة *

والمقصود أن الله تعالى بين أمر المسيح قال لرسوله (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) يعني من أنه عبد مخلوق من امرأة من عباد الله ولهذا قال (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضي أمراً فاتماً يقول له كن فيكون) أي لا يعجزه شيء ولا يكثره ولا يؤوده بل هو القدير الفعال لما يشاء (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وقوله (إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) هو من تمام كلام عيسى لم في المهد أخبرهم أن الله ربه وربهم وإلههم والمهم وأن هذا هو الصراط المستقيم . قال الله تعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم)

أى فاختلف أهل ذلك الزمان ومن بدم فيه فن قائل من اليهود إنه ولد زنية واستروا على كفرهم وعنادهم وقابلهم آخرون في الكفر قتالوا هو الله وقال آخرون هو ابن الله وقال المؤمنون هو عبد الله ورسوله وابن أمته وكنيته ألقاها إلى مريم ، وروح منه وهؤلاء هم الناجون المتأبون المؤيدون المنصورون ومن خالفهم في شيء من هذه القيود فهم الكافرون الضالون الجاهلون وقد توعدهم للملئ للعظيم الحكيم العظيم بقوله (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم)

قال البخارى حدثنا صدقة بن الفضل أنبأنا الوليد حدثنا الاوزاعى حدثنى عمير بن هانىء حدثنى جنادة بن أبى أمية عن عبادة بن الصامت عن النبى (ص) قال (من شهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكنيته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) قال الوليد حدثنى عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عمير عن جنادة وزاد من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء . وقد رواه مسلم عن داود بن رشيد عن الوليد عن جابر به ومن طريق أخرى عن الاوزاعى به •

باب بيان لق الله تعالى منزلة عن الولد

قال تعالى في آخر هذه السورة (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً ادأ) أى شيئاً عظيماً ومنكراً من القول وزوراً (تكاد السوات ينظرون منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدأ . أن دعوا للرحمن ولداً • وما ينبى للرحمن أن يتخذ ولداً • إن كل من فى السموات والارض إلا آتى الرحمن عبداً • لقد احصاهم وعدم عدأ • وكاهم آتية يوم القيامة فرداً) فبين أنه تعالى لا ينبى له الولد لانه خالق كل شيء ومالكه وكل شيء قدير اليه ، خاضع ذليل لديه وجميع سكان السموات والارض عبيده وهو ربهم لا إله الا هو ولا رب سواه كما قال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون • بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم • ذلكم الله ربكم لا إله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل • لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) • فبين أنه خالق كل شيء فكيف يكون له ولد والولد لا يكون إلا بين شيئين متناسبين والله تعالى لا نظير له ولا شبيه له ولا عديل له فلا صاحبة له فلا يكون له ولد كما قال تعالى (قل هو الله أحد • الله الصمد • لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) تقرر أنه الاحد الذى لا نظير له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله (السمد) وهو السيد الذى كل فى علمه وحكمته ورحمته وجميع صفاته (لم يلد) أى لم يوجد منه ولد

(ولم يولد) أى ولم يتولد عن شئ قبله (ولم يكن له كفواً أحد) أى وليس له عدل ولا مكافئ. ولا
 مساو قطع النظر المدانى الأعلى والمساوى فاتنى أن يكون له ولد إذ لا يكون الولد إلا متولداً بين
 شيئين متعادلين أو متقاربين تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً • وقال تبارك وتعالى وتقدس (يا أهل
 الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته
 أنزلنا إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد
 سبحانه أن يكون له ولد له مافى السموات ومافى الأرض وكفى بالله وكيلاً • لن يستنكف المسيح أن
 يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرم إليه جميعاً • فأما
 الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفهم أجورهم وبزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا
 فيعذبهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً).

ينهى تعالى أهل الكتاب ومن شابههم عن الغلو والاطراء فى الدين وهو مجاوزة الحد فالنصارى
 لعنهم الله غلوا وأطروا المسيح حتى جاوزوا الحد فكان الواجب عليهم أن يعتقدوا أنه عبد الله ورسوله
 وابن أمته العذراء البتول التى أحصنت فرجها فبعث الله الملك جبريل إليها فنفخ فيها عن أمر الله نفخة
 حملت منها بولدها عيسى عليه السلام والذى اتصل بها من الملك هى الروح المضافة إلى الله إضافة تشرىف
 وتكريم وهى مخلوقة من مخلوقات الله تعالى كما يقال بيت الله وناقة الله وعبد الله وكذا روح الله
 أضيفت إليه تشرىفاً لها وتكريماً. وسمى عيسى بها لانه كان بها من غير أب وهى الكلمة أيضاً التى
 عنها خلق وبسببها وجد كما قال تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن
 فيكون). وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل له مافى السموات والأرض كل له قانتون بديع
 السموات والأرض وإذا قضى أمراً فأتا بقول له كن فيكون). وقال تعالى (وقالت اليهود عزيز ابن
 الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بفواهم يضاؤون قول الذين كفروا من قبل قائلهم
 الله أنى يؤفكون). فأخبر تعالى أن اليهود والنصارى عليهم لعائن الله كل من الفريتين ادعوا على الله
 شططاً وزعموا أن له ولداً تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وأخبر أنهم ليس لهم مستند فيما زعموه ولا
 فيما انتفكوه الا مجرد القول ومثابهة من سبقهم إلى هذه المقالة الضالة تشابهت قلوبهم وذلك أن
 الفلاسفة عليهم لعنة الله زعموا أن العقل الاول صدر عن واجب الوجود الذى يهبون عنه بطة الملل
 والمبدأ الاول وانه صدر عن العقل الاول عقل ذن ونفس وفلك ثم صدر عن الثانى كذلك حتى تناهت
 العقول إلى عشرة والنفوس إلى تسعة والافلاك إلى تسعة باعتبارات فاسدة ذكروها واختيارات باردة
 أوردوها ولبسط الكلام معهم وبيان جهلهم وقلة عقولهم موضع آخر. وهكذا طوائف من مشركى العرب
 زعموا لجهلهم أن الملائكة بنات الله وانه صاهر سروات الجن فتولد منهما الملائكة تعالى الله عما

يقولون وتزوه عما يشركون كما قال تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن آتانا أشهدوا خلقهم
سنكتب شهادتهم ويسألون) وقال تعالى (فاستقمهم الربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة إنا
وهم شاهدون الا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين مالكم
كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين . فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين . وجعلوا بينه وبين
الجنة نسيا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون سبحانه الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين) . وقال تعالى
(وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرهون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم
وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك
نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) . وقال تعالى في أول سورة الكهف وهي مكية (الحمد لله الذي
أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قبيها لينذر بأسا شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصلوات أن لهم أجرا حسنا ما كثين فيه أبدا . وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا
لا ياهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا) . وقال تعالى (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه
هو الغنى له ما في السموات وما في الارض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون قل
إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم ألينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد
بما كانوا يكفرون) فهذه الايات المكيات الكريمات تشمل الرد على سائر فرق الكفرة من الفلاسنة
ومشركي العرب واليهود والنصارى الذين ادعوا وزعموا بلا علم أن الله ولدا سبحانه وتعالى عما يقول
الظالمون المعتدون علوا كبيرا .

ولما كانت النصارى عليهم لعنة الله المتتابعة الى يوم القيامة من أشهر من قال بهذه المقالة ذكروا
في القرآن كثيرا لارد عليهم وبيان تناقضهم وقلة علمهم وكثرة جهلهم وقد تنوعت اقوالهم في كفرهم
وذلك أن الباطل كثير التشعب والاختلاف والتناقض « وأما الحق فلا يختلف ولا يضطرب . قال الله
تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) . فدل على أن الحق يتحد ويتفق والباطل
يختلف ويضطرب . فطائفة من ضلالهم وجهلهم زعموا أن المسيح هو الله تعالى وطائفة قالوا هو ابن الله
عز الله وطائفة قالوا هو ثالث ثلاثة جل الله . قال الله تعالى في سورة المائدة (لقد كفر الذين قالوا إن
الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في
الارض جميعا والله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير) . فاختبر
تعالى عن كفرهم وجهلهم وبين أنه الخالق القادر على كل شيء المتصرف في كل شيء وأنه رب كل شيء
ومليك واليه . وقال في أواخرها (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح
يجئ اسرايل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين

من أنصار . لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله الا إله واحد وان لم يتهموا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم . أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم . ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يا كلان الطمام افطر كيف نبين لهم الايات ثم انظر أنى يؤفكون) حكم تعالى بكفرهم شرعا وقدراً فاخبر أن هذا صدر منهم مع أن الرسول اليهم هو عيسى بن مريم قد بين لهم أنه عبد مروب مخلوق مصور في الرحم داع الى عبادة الله وحده لا شريك له وتوعدهم على خلاف ذلك بالنار وعدم الفوز بدار القرار والخزى في الدار الاخرة والهوان والعار ولهذا قال (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) ثم قال (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله الا إله واحد) قال ابن جرير وغيره المراد بذلك قولهم بالاقانيم الثلاثة . أقتوم الاب وأقتوم الابن وأقتوم الكلمة المنبثقة من الاب الى الابن على اختلافهم في ذلك ما بين الملكية واليعقوية والنسطورية عليهم لعائن الله كما سنبين كيفية اختلافهم في ذلك ومجامعهم الثلاثة في زمن قسطنطين بن قسطنس وذلك بعد المسيح بثلاثمائة سنة وقبل البعثة المحمدية بثلاثمائة سنة ولهذا قال تعالى (وما من إله الا إله واحد) أى وما من إله الا الله وحده لا شريك له ولا نظير له ولا كفوء له ولا صاحبة له ولا ولد ثم توعدهم وتهددهم فقال (وان لم يتهموا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم) ثم دعاهم برحمته ولطفه الى التوبة والاستغفار من هذه الامور الكبار والبعظائم التي توجب النار فقال (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) ثم بين حال المسيح وامه وانه عبد رسول وأمه صديقة أى ليست بفاجرة كما بقوله اليهود لعنهم الله وفيه دليل على أنها ليست بنبية كما زعمه طائفة من عدائنا وقوله (كانا يا كلان الطمام) كناية عن خروجه منهما كما يخرج من غيرهما اى ومن كان بهذه المثابة كيف يكون لها تعالى الله عن قولهم وجهلهم علوا كبيرا * وقال السدى وغيره المراد بقوله لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة زعمهم في عيسى وأمه أنهما الالهان مع الله يعنى كما بين تعالى كفرهم في ذلك بقوله في آخر هذه السورة الكريمة (واذا قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذونى وأمى المين من دون الله . قال سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد . ان تعذبهم فأنهم عبادك وان تغفر لهم فأنك أنت العزيز الحكيم) . يخبر تعالى أنه يسأل عيسى بن مريم يوم القيامة على سبيل الاكرام له والتفريع والتوبيخ لعابديه ممن كذب عليه وافترى وزعم أنه ابن الله أو أنه الله أو أنه شريكه تعالى الله عما يقولون فيسأله وهو يعلم أنه لم يقع منه ما يسأله عنه ولكن لتوبيخ من كذب عليه فيقول له (أنت قلت للناس اتخذونى وأمى المين من دون الله قال سبحانه) أى تعاليت أن يكون معك شريك

(ما يكون لي أن أقول وليس لي بحق) أي ايس هذا يستحقه أحد سواك (وان كنت قد عدت عليه
تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك أنت علام الغيوب) . وهذا تأدب عظيم في الخطاب والجواب
(ما قلت لهم إلا ما أمرتني به) حين أرسلتني اليهم وأنزلت على الكتاب الذي كان يتلى عليهم ثم نسر
ما قل لهم بقوله (أن أعبدوا الله ربي وربكم) أي خالقي وخالقكم ورازقي ورازقكم (وكنت عليهم
شهيذاً ملائمة فيهم فلما توفيتني) أي رفعتني اليك حين أرادوا قتلي وصلبي فرحتني وخلصتني منهم
والقيت شبهي على أحدهم حتى اتفقوا منه فلما كان ذلك (كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء
شاهد) . ثم قال علي وجه التفويض الى الرب عز وجل والتبري من أهل النصرانية (إن تعذبهم فاعذبهم
عبادك) أي وهم يستحقون ذلك (وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) . وهذا التفويض والاسناد
الى المشيئة بالشرط لا يقتضي وقوع ذلك ولهذا قال (فانك أنت العزيز الحكيم) ولم يقل الغفور الرحيم
وتد ذكرنا في التفسير مارواه الامام احمد عن أبي ذر ان رسول الله (ص) قام بهذه الآية الكريمة
ليلة حتى أصبح (إن تعذبهم فاعذبهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) وقال إني سألت
ربي عز وجل الشفاعة لامتي فأعطانيها وهي نائلة إن شاء الله تعالى لمن لا يشرك بالله شيئاً . وقال (وما
خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين . لو أردنا أن نتخذ لهم الآخذنا من لدنا إن كنا فاعلين بل نكذب
بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون . وله من في السموات والارض ومن
عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون) وقال تعالى (لو
أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار . خلق السموات والارض
بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى الا هو
العزيز الغفار) . وقال تعالى قل إن كان للرحمن ولد فانا أول العابدين سبحانه رب السموات والارض
رب العرش عما يصفون) وقال تعالى (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك
ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا) وقال تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفواً أحد) وثبت في الصحيح عن رسول الله (ص) أنه قال يقول الله تعالى (شئتني ابن آدم
ولم يكن له ذلك يزعم أن لي ولدا وأنا الاحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد) وفي
الصحيح أيضا عن رسول الله (ص) أنه قال لا أحد أصبر على اتى سمع من الله إنهم يجلون له ولدا
وهو يرزقهم ويمافهم ولكن ثبت في الصحيح أيضا عن رسول الله (ص) أنه قال ان الله يبلى للظالم
حتى اذا أخذه لم يفله) ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه اليه شديد)
وعكذا قوله تعالى (وكان من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها والى المصير) وقال تعالى (ننتهم
قليلاً ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) وقال تعالى (قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون

متاغ في الدنيا ثم اليها مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقال تعالى (فهل للكافرين
أهلهم دويدا) *

عن عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما السلام وبيان برواها في الحديث الذي رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قد تقدم أنه ولد بيت لحم قريبا من بيت المقدس وزعم وهب بن منبه أنه ولد بمصر وإن مريم
سافرت هي ويوسف بن يعقوب النجار وهي راكبة على حمار ليس بينهما وبين الاكف شيء وهذا
لا يصح والحديث الذي تقدم ذكره دليل على أن مولده كان بيت لحم كما ذكرنا ومهما عارضه فباطل
وذكر وهب بن منبه أنه لما ولد خرت الاصنام يومئذ في مشارق الارض ومقاربها وإن الشياطين
حارت في سبب ذلك حتى كشف لهم ابيس الكبير امر عيسى فوجدوه في حجر امه والملائكة محدة
به وانه ظهر نجم عظيم في السماء وأن ملك الفرس اشفق من ظهوره فقال الكهنة عن ذلك فقالوا هذا
لمولد عظيم في الارض فيبعث رساله ومعهم ذهب ومرولبان هدية الى عيسى فنادوا الشام سألهم ملكها
عما أقدمهم فذكروا له ذلك فقال عن ذلك الوقت فاذا قد ولد فيه عيسى بن مريم بيت المقدس واشهر
أمره بسبب كلامه في المهدي فارسلهم اليه بما معهم وأرسل معهم من يعرفه ليلتوصل الى قتله اذا افسر فوا
عنه فلما وصلوا الى مريم بالهدايا ورجعوا قيل لها ان رسل ملك الشام انما جاؤا ليقتلوا ولدك فاحتضنته
فذهبت به الى مصر فقامت به حتى بلغ عمره اثنتي عشرة سنة وظهرت عليه كرامات ومعجزات في
حال صغره * فذكر منها أن الدهقان الذي تزولوا عنده افتقد مالا من داره وكانت داره لا يسكنها الا المنقرء
والضعفاء والمحاويج فلم يدر من أخذه وعز ذلك على مريم عليها السلام وشق على الناس وعلى رب المنزل
وأعيام أمرها فلما رأى عيسى عليه السلام ذلك عمد الى رجل اعمى وآخر مقعد من جملة من هو منقطع
اليه فقال للاعمى إحمل هذا المقعد واتبض به فقال إني لأستطيع ذلك فقال لي كما فعلت أنت وهو حين
أخذ تما هذا المال من تلك الكوة من للدار فلما قل ذلك صدقاني قال وأتيا بالمال فعظم عيسى في أعين
الناس وهو صغير جدا

ومن ذلك أن ابن الدهقان عمل ضيافة للناس بسبب ظهور أولاده فلما اجتمع الناس وأطعمهم
ثم أراد أن يسقيهم شرابا يعني خمرأ كما كانوا يصنعون في ذلك الزمان لم يجد في جراره شيئا فشق ذلك
عليه فلما رأى عيسى ذلك منه قام فجعل يمر على تلك الجرار ويمر يمد على أفواهها فلا يفعل بجرة منها
ذلك إلا امتلأت شرابا من خيار الشراب * فمجب الناس من ذلك جدا وعظموده وعرضه اعلمه

وعلى أمه مالا جزيلاً فلم يقبله وارثاً قاصدين بيت المقدس والله أعلم •

وقال اسحاق بن بشر أنبأنا عثمان بن ساج وغيره عن موسى بن وردان عن أبي نضرة عن أبي سعيد وعن مكحول عن أبي هريرة قال إن عيسى بن مريم أول ما أطلق الله لسانه بهد الكلام الذي تكلم به وهو طفل فحمد الله تمجيداً لم تسمع الآذان بمثله لم يدع شمساً ولا قرناً ولا جبلاً ولا نهراً ولا عيناً إلا ذكره في تمجيدته فقال (اللهم أنت القريب في علوك المتعال في دنوك الرفيع على كل شيء من خلقك . أنت الذي خلقت سبباً في الهواء بكلماتك مستويات طباقاً اجبن وهن دخان من فرقك فأتين طائفات لأمرك فيهن ملائكتك يسبحون قدسك لتقديسك وجعلت فيهن نوراً على سواد الظلام وضياء من ضوء الشمس بالتهار وجعلت فيهن الرعد المسبح بالحمد فبمرتك يجلو ضوء ظلمتك وجعلت فيهن مصابيح يهتدى بهن في الظلمات الخيران فتباركت اللهم في مفطور سمواتك وفيما دحوت من أرضك دحوتها على الماء فسمكتها على تيار الموج الغامر فأذلتها اذلال التظاهر فذل لطاعتك صعبها واستحي لامرك أمرها وخضعت لعزتك أمواجها ففجرت فيها بعد البحور الانهار ومن بعد الانهار الجداول الضغار ومن بعد الجداول ينابيع العيون الغزار . ثم أخرجت منها الانهار والاشجار والثمار ثم جعلت على ظهرها الجبال فوئدتها أو تادا على ظهر الماء فطاعت أطوادها وجدودها فتباركت اللهم فمن يبلغ بفضته فتك آمن يبلغ بصفته صفتك تفسر السحاب وتفك الرقاب وتقضي الحق وأنت خير الفاصلين لا إله إلا أنت سبحانك أمرت أن نستغفرك من كل ذنب لا إله إلا أنت سبحانك سترت السموات عن الناس لا إله إلا أنت سبحانك إنما يفشاك من عبادك إلا كياس نشهد أنك لست باله استحدثناك ولارب يبيد ذكره ولا كان معك شركاء فندعوهم ونذكرك ولا أعانك على خلقنا أحد فنشك فيك نشهد أنك أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لك كفواً أحد)

وقال اسحاق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس إن عيسى بن مريم أمسك عن الكلام بعد أن كلمهم طفلاً حتى بلغ ما يبلغ الغلمان ثم انطقه الله بعد ذلك الحكمة والبيان فأكثر اليهود فيه وفي أمه من القول وكانوا يسمونه ابن البغية وذلك قوله تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيماً) قال فلما بلغ سبع سنين أسلمته أمه في الكتاب فجعل لا يعلم المعلم شيئاً إلا بدره إليه فعلمه أباجاد فقال عيسى ما أبوجاد فقال المعلم لأدري فقال عيسى كيف تعلمني مالا تدري فقال المعلم إذا فعلني فقال له عيسى قم من مجلسك فقام فجلس عيسى محله فقال سلمني فقال المعلم ما أبوجاد فقال عيسى (الالف آلاء الله . والباء بهاء الله والجيم بهجة الله وجماله) فحجب المعلم من ذلك فكان أول من فسر أباجاد . ثم ذكر أن عثمان سأل رسول الله (س) عن ذلك فاجابه على كل كلمة بحديث طويل موضوع

لا يسأل ولا يتأدى وهكذا روى ابن عدى من حديث اسماعيل بن عياش عن اسمعيل بن يحيى عن ابن أبي مليكة عن حده عن ابن مسعود وعن مسعر بن كدام عن عطية عن أبي سعيد رفع الحديث في دخول عيسى الى الكتاب وتطعيمه المعلم معنى حروف أبي جاد وهو مطول لا يفرح به * ثم قال ابن عدى وهذا الحديث باطل بهذا الاسناد لا يرويه غير اسمعيل وروى ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة قال كان عبد الله بن عمر يقول (كان عيسى بن مريم وهو غلام يلعب مع الصبيان فكان يقول لاحد من يريد أن أخبرك ماخبات لك أمك فيقول نعم فيقول خبات لك كذا وكذا فيذهب الغلام منهم الى أمه فيقول لها أطمعيني ماخبات لي فتقول وأى شئ خبات لك فيقول كذا وكذا فتقول له من أخبرك فيقول عيسى بن مريم فقالوا والله لئن تركتم هؤلاء الصبيان مع ابن مريم ليفسدنهم تجمعونهم في بيت وأغلقوا عليهم فخرج عيسى بلمسهم فلم يجدهم فسمع ضوضاءهم في بيت فسأل عنهم فقالوا إنما هؤلاء قردة وخنازير قال اللهم كذلك فكانوا كذلك رواه ابن عساکر.

وقال اسحق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال وكان عيسى يرى العجائب في صباه الهاما من الله ففشا ذلك في اليهود وترعرع عيسى فهمت به بنو اسرائيل فخافت أمه عليه فوحي الله الى أمه أن تنطلق به الى أرض مصر فذلك قوله تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين) *

وقد اختلف السلف والمفسرون في المراد بهذه الربوة التي ذكر الله من صفتها أنها ذات قرار ومعين وهذه صفة غريبة الشكل وهي أنها ربوة وهو المكان المرتفع من الأرض الذي أعلاه مستو يقر عليه وارتفاعه متنوع ومع علوه فيه عيون الماء معين وهو الجارى السارح على وجه الأرض قبيل المراد المكان الذي ولدت فيه المسيح وهو نخلة بيت المقدس ولهذا (ناداها من تحتها الا تمزني قد جعل ربك تحتك سرى) وهو النهر الصغير في قول جمهور السلف * وعن ابن عباس باسناد جيد أنها أنهار دمشق فلعله أراد تشبيه ذلك المكان بأنهار دمشق * وقيل ذلك بمصر كما زعمه من زعمه من أهل الكتاب ومن تلقاه عنهم والله أعلم . وقيل هي الرملة . وقال اسحق بن بشر قال لنا ادريس عن جده وهب بن منبه قال إن عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة أمر الله أن يرجع من بلاد مصر الى بيت ايليا قال قدم عليه يوسف بن خال أمه فحملها على حمار حتى جاء بهما الى ايليا وأقام بها حتى أحدث الله له الانجيل وعلمه التوراة وأعطاه احياء الموتى وبراء الأستقام والعلم بالغيوب مما يدخرون في بيوتهم وتحدث الناس بقدمه وفضعوا لما كان يأتي من العجائب فحملوا يعجبون منه فدعاهم الى الله ففشا فيهم أمره .

بيان نزول الكتب للربيعه وموافقها

قال أبو زرعة الدمشقي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن طه عن قال (أنزلت التوراة على موسى في ست ليل خلون من شهر رمضان * ونزل الزبور على داود في اثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان . وذلك بعد التوراة بربعمائة سنة واثنتين وثمانين سنة . وأنزل الانجيل على عيسى بن مريم في ثمانية عشرة ليلة خلت من رمضان بعد الزبور بلف عام وخمسين عاما وأنزل الفرقان على محمد (ص) في أربع وعشرين من شهر رمضان وقد ذكرنا في التفسير عند قوله (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) الاحاديث الواردة في ذلك وفيها أن الانجيل أنزل على عيسى بن مريم عليه السلام في ثمانى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان *

وذكر ابن جرير في تاريخه أنه أنزل عليه وهو ابن ثلاثين سنة ومكث حتى رفع الى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى . وقال اسحاق بن بشر وأبنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وماتل عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة قال أوحى الله عز وجل الى عيسى بن مريم (يا عيسى جسد في أمرى ولا تهين واسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول انك من غير فحل وأنا خلقتك آية للعالمين ائبى فاعبد وعلى فتوكل خذ الكتاب بقوة فسر لاهل السريانية بلغ من بين يديك إني انا الحق الحى القائم الذى لا ازول صدقوا النبي الامى العربى صاحب الجبل والتاج (وهى العمامة) والمدرعة والنعلين والحرارة (وهى القضيب) الانجيل العيين الصلت الجبين الواضح الخدين الجهد الرأس الكت اللحية المقرون الحاجبين الاتقى الأنف المفلج الثنايا البادى المنفحة التى كان عتته ابريق فضة وكان الذهب يجرى في تراقيه له شعرات من لبته الى مرته تجرى كلقضيب ليس على بطنه ولا على صدره شعر غيره شت الكف وأقدم إذا التفت التفت جميعاً وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صلب عركه في وجهه كالؤلؤ وريح المسك تنفخ منه ولم ير قبله ولا بعده مثله ، الحس القامة الطيب الريح نكاح النساء ذا النذل القليل انما نسله من مباركة لها بيت يبنى في الجنة من قصب لاصب فيه ولا صخب تكفله يا عيسى في آخر الزمان كما كفل زكريا أمك له منها فرخان مستشهدان وله عندي منزلة ليست لأحد من البشر . كلامه القرآن ودينه الاسلام وانا السلام طوبى لمن أدرك زمانه وشهد أيامه وسمع كلامه *

بيان شجرة طوبى ما هي

قال عيسى يارب وما طوبى قال (غرس شجرة أنا غرسها يدي فمر للجنان كلها أصلها من رضوان وماؤها من تسنيم وبردها برد الكافور وطعمها طعم الزنبيل وريحها ريح المسك من شرب منه شربة لم

يظناً بمدى أبدأ) قال عيسى يارب اسقني منها قال (حرام على النبيين أن يشربوا منها حتى يشرب ذلك النبي وحرام على الأمم أن يشربوا منها حتى يشرب منها أمة ذلك النبي) قال يا عيسى أرفك إلى قال رب ولم ترفني قال (أرفك ثم اهبطك في آخر الزمان لتري من أمة ذلك النبي العجايب وتبينهم على قتال للمين الدجال أهبطك في وقت صلاة ثم لا تصلي بهم لأنها مرحومة ولا نبي بمد فيهم) وقال هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه أن عيسى قال يارب ابني عن هذه الامة المرحومة قال أمة أحمد هم علماء حكماء كأنهم انبياء يرضون مني بالقليل من العطاء وأرني منهم باليسير من العمل وأدخلهم الجنة بلا إله إلا الله . يا عيسى هم أكثر سكان الجنة لأنه لم تذل السن قوم قط بلا إله إلا الله كما ذلت النتمهم ولم تذل رقاب قوم قط بالسجود كما ذلت به رقابهم) رواه ابن عساكر وروى ابن عساكر من طريق عبد الله بن بديل العميلي عن عبد الله بن عوسجة قال أوحى الله إلى عيسى ابن مريم (أتزني من نفسك كهيك واجلني ذخرًا لك في معادك وتقرب إلى بالتواقل أحبك ولا تول غيري فأخذك اصبر على البلاء وارض بالقضاء وكن لمسرتي فيك فان مسرتي أن أطاع فلا أعصى وكن مني قريباً وأحى ذكرى بلسانك ولكن مودتي في صدرك تيقظ من ساعات الغفلة واحكم في لطيف الفطنة وكن لي راغباً راهباً وأمت قلبك في الخشية لي وراع الليل لحق مسرتي واطم نهارك ليوم اري عندي نفس في الخيرات جهتك واعترف بلخير حيث توجهت وقم في الخلائق بنصيحتي واحكم في عبادي بدلي قد أتزت عليك شفاء وسواس الصدور من مرض النسيان وجلاء الابصار من غشاء الكلال ولا تكن حلساً كأنك مقبوض وأنت حي تنفس * يا عيسى بن مريم ما آمنت بي خليفة إلا خشيت ولا خشيت لي إلا رجيت ثوابي فأشهدك أنها امنة من عقابي ما لم تغير أو تبدل سنتي * يا عيسى ابن مريم البكر البتول ابك على نفسك أيام الحياة بكاء من ودع الأهل وقلال الدنيا وترك اللذات لاهلها وارتفعت رغبته فيما عند إلهه وكن في ذلك تلين الكلام وتفتي السلام وكن يقظان إذا نامت عيون الابرار حذار ماهوات من أمر المعاد وزلازل شدايد الاهوال قبل أن لا ينفع أهل ولا مال واكمل عينك بلول الحزن إذا ضحك البطالون وكن في ذاك صابراً محتسباً وطوبى لك ان نلك ما وعدت الصابرين رج من الدنيا بالله يوم يوم وذوق مذاقة ما قد حرب منك أين طعمه وما لم يأتك كيف لذته فوح من الدنيا ببلنة وليكفك منها الخشن الجثيب قد رأيت الى ما يصير اعمل على حساب فانك مسؤل لو رأت عينك ما أعدت لا ولياً الصالحين ذاب قلبك وزهقت نفسك *

وقال أبو داود في كتاب القدر حدثنا محمد بن يحيى بن فارس حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن ابن طاووس عن أبيه قال لقي عيسى بن مريم ابليس فقال أما علمت أنه لن يصيبك إلا ما كتب لك قال ابليس فترق بندوة هنا الجبل فتري منه فانظر هل تمش أم لا قال ابن طاووس

عن أبيه . فقال عيسى أما علمت أن الله قال (لا يجربني عبدى فاني أفضل ماشئت) وقال الزهري إن العبد لا يتلى ربه ولكن الله يتلى عبده . قال أبو داود حدثنا أحمد بن عبدة أن أناسفان عن عمرو عن طاووس قال أتى الشيطان عيسى بن مريم فقال أليس تزعم أنك صادق فأت هوة فأتق نفسك قال ويك أليس قال يا ابن آدم لا تسألني هلاك نفسك فاني أفضل ما اشاء * وحدثنا أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا حسين بن طلحة سمعت خالد بن يزيد قال تعبد الشيطان مع عيسى عشر سنين أو سنتين اقام يوماً على شفير جبل فقال الشيطان ارأيت ان القيت نفسي هل يصيبني إلا ما كتب لي قال اني لست بالذي ابتلي ربي ولكن ربي إذا شاء ابتلاني وعرفه أنه الشيطان فقارقه . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا شرحبيل بن يوسف حدثنا علي بن ثابت عن الخطاب بن القاسم عن أبي عثمان قال كان عيسى عليه السلام يصلي على رأس جبل فأتاه ابليس فقال أنت الذي تزعم أن كل شيء بقضاء وقدر قال نعم قال أتق نفسك من هذا الجبل وقل قدر على فقال بالعين الله يختبر العباد وليس العباد يختبرون الله عز وجل . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا الفضل بن موسى البصري حدثنا ابراهيم بن بشار سمعت سفیان بن عيينة يقول لقي عيسى بن مريم ابليس فقال له ابليس يا عيسى بن مريم الذي بلغ من عظم ربوبيتك انك تكلمت في الهد صبيهاً . ولم يتكلم فيه أحد قبلك قال بل الربوبية لله الذي انطقني ثم يميتني ثم يحييني قال فأت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تحي الموتى قال بل الربوبية لله الذي يحي ويميت من أحييت ثم يحييه قال والله إنك لاله في السماء والآه في الارض قال فصكه جبريل صكة بجناحه فما بناها دون قرون الشمس ثم صكه اخرى بجناحه فما بناها دون العين الحامية ثم صكه اخرى فادخله بحار السابعة فاساخه وفي رواية فاسلكه فيها حتى وجد طعم الحماة فخرج منها وهو يقول ما لقي احد من احد ما لقيت منك يا ابن مريم * وقد روى نحو هذا بأبسط منه من وجه آخر فقال الحافظ أبو بكر الخطيب اخبرني ابو الحسن بن رزقويه انبأنا ابو بكر احمد بن سبدي حدثنا ابو محمد الحسن بن علي القطان حدثنا اسماعيل ابن عيسى العطار انبأنا علي بن عاصم حدثني ابو سلمة سويد عن بعض أصحابه قال صلى عيسى بيت المقدس فانصرف فلما كان ببعض العقبة عرض له ابليس فاحتبه فجعل يمرض عليه ويكلمه و يقول له انه لا ينبغي لك ان تكون عبداً فاكثر عليه وجعل عيسى يحرص على ان يتخلص منه فجعل لا يتخلص منه فقال له فيما يقول لا ينبغي لك يا عيسى ان تكون عبداً قال فاستغاث عيسى بربه فاقبل جبريل وميكائيل فلما رآهما ابليس كف فلما استقر معه على العقبة اكتنفا عيسى وضرب جبريل ابليس بجناحه فقتل في بطن الوادي قال فعاد ابليس معه وعلم أنهما لم يؤصرا بنير ذلك فقال لعيسى قد اخبرتك انه لا ينبغي ان تكون عبداً ان غضبك ليس بنضب هبد وقد رأيت ما لقيت منك حين غضبت ولكن ادعوك لامر هو لك أمر الشياطين فليطيعوك فاذا رأى البشر أن الشياطين اطاعوك عبدوك اما اني لا اقول ان تكون

إله ليس معه إله ولكن الله يكون إلهاً في السماء وتكون أنت إلهاً في الأرض فلما سمع عيسى ذلك منه استغاث بربه وصرخ صرخة شديدة فإذا اسرافيل قد هبط فنظر إليه جبريل وميكائيل فكف ابليس فلما استقر معهم ضرب اسرافيل ابليس بجناحه فصك به عين الشمس ثم ضرب به ضربة أخرى فأقبل ابليس يهوى ومر عيسى وهو بمكانه فقال يا عيسى لقد لقيت فيك اليوم تعباً شديداً فرمى به في عين الشمس فوجد سبعة أملاك عند العين الحامية قال فظنوه فجعل كلما صرخ غطوه في تلك الحماة قال والله ما عاد إليه بعد . قال وحدثنا اسماعيل العطار حدثنا أبو حذيفة قال واجتمع إليه شياطينه فقالوا سيدنا قد لقيت تعباً قال إن هذا عبده مصوم ليس لي عليه من سبيل وسأضل به بشراً كثيراً واثبت فيهم أهواء مختلفة واجعلهم شبيهاً ويحبلونه وأمه الهين من دون الله قال وأنزل الله فيما أيده عيسى وعصمه من إبليس قرآناً ناطقاً بذكر نعمته على عيسى فقال (يا عيسى بن مريم اذ كر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس) يعني اذ قويتك بروح القدس يعني جبريل ! تكلم الناس في المهدي وكهلا واذا علمت الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل واذا تخلق من الطين كهيئة الطير) الآية كلها واذا جعلت المساكين لك بطانة وصحابة واعواناً ترضى بهم وصحابة واعواناً يرضون بك هادياً وقائداً إلى الجنة فذلك فاعلم خلقان عظيمان من تعينيهما فقد تعينى بازكى الخلائق وارضاهما عندي وسيقول لك بنو إسرائيل صمنا فلم يتقبل صيامنا وصلينا فلم يقبل صلاتنا وتصدقنا فلم يقبل صدقاتنا وبكينا بمثل حنين الجمال فلم يرحم بكاؤنا قتل لهم ولم ذلك وما الذي يمنعني إن ذات يدي قلت أوليس خزائن السموات والأرض يدي افق منها كيف أشاء وان البخل لا يعتريني أولست أجود من سأل واوسع من أعطى أو ازرحتي ضاقت وانما يتراحم المتراحومون بفضل رحمتي ولو لأن هؤلاء القوم يا عيسى بن مريم عدوا أنفسهم بالحكمة التي تورث في قلوبهم ما استأثروا به الدنيا أثره على الآخرة لعرفوا من أين أتوا واذا لا يقنوا ان أنفسهم هي أعدى الأعداء لهم وكيف أقبل صيامهم وهم يتقوون عليه بالاطعمة الحرام وكيف أقبل صلاتهم وقلوبهم تركز إلى الذين يحاربوني ويستحلون محارمي وكيف أقبل صدقاتهم وهم ينصبون الناس عليها فيأخذونها من غير حلها * يا عيسى انما أحزى عليها أهلها وكيف أرحم بكاهم وأيديهم تقطر من دماء الأنبياء ازددت عليهم غضبا * يا عيسى وقضيت يوم خلقت السموات والأرض أنه من عبدني وقال فيكما بقولي أن أجعلهم جيرانك في الدار ورفقائك في المنازل وشركاءك في الكرامة وقضيت يوم خلقت السموات والأرض أنه من اتخذك وامك الهين من دون الله أن أجعلهم في الدرك الأسفل من النار وقضيت يوم خلقت السموات والأرض أني مثبت هذا الأمر على يدي عبدي محمد وأختم به الأنبياء والرسل ومولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يزر بالفحش ولا قوال بلخنا أسدده لكل أمر جميل واهب له كل خلق كريم واجعل التقوى ضميره والحكم معقوله والوفاء طبيعته والعدل سيرته والحق شريعته والاسلام ملته اسمه أحمد أهدي به بعد

الضلالة وأعلم به بعد الجهالة واغنى به بعد العائلة وارفع به بعد الضيعة أهدي به وافتح به بين آذان صم وقلوب غاف وأهواء مختلفة متفرقة أجمل أمته خير أمة أخرجت للناس يأصرون بالمعروف وينهون عن المنكر إخلاص الاسمى وتصديقاً لما جاءت به الرسل المهم انتسبح والتقدیس والتهليل في مساجدهم ومجالسهم وبيوتهم ومنقلبهم ومشواهم يصلون لي قياماً وتموداً وركعاً وسجوداً ويقاثلون في سبيل صفوفاً وزحواً قرباتهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم وقرباتهم في بطونهم رهبان بالليل ليوث في النهار ذلك فضلي أوتيته من اشاء وانا ذو الفضل العظيم .

وسند كرم ما يصدق كثيراً من هذا السياق ما سنورد من سورتي المائدة والصف إن شاء الله وبه الثقة وقد روى أبو حذيفة اسحق بن بشر باسانيد عن كعب الاحبار ووهب بن منبه وابن عباس وسدان الفارسي دخل حديث بعضهم في بعض قالوا لما بعث عيسى بن مريم وجاءهم بالبينات جعل المناقون والكافرون من بني اسرائيل يعجبون منه ويسهزون به فيقولون ما أكل فلان البارحة وما ادخر في منزله فيخيرهم فيزداد المؤمنون ايماناً والكافرون والمناقون شكاً وكفراً وكان عيسى مع ذلك ليس له منزل بأوى اليه انما يسبح في الارض ليس له قرار ولا موضع يعرف به فكان أول ما أحيا من الموتى أنه مر ذات يوم على امرأة قاعدة عند قبر وهي تبكي فقال لها مالك أيتها المرأة قتلت ماتت ابنة لي لم يكن لي ولد غيرها واني عاهدت ربي أن لا أبرح من موضعي هذا حتى أذوق مذاقت من الموت أو يحييها الله لي فانظر اليها فقال لها عيسى أرأيت إن نظرت اليها أراجمة أنت قلت نعم قالوا فصلي ركعتين ثم جاء عند القبر فنادى يا فلانة قومي بأذن الرحمن فاخرجي قال فتحرك القبر ثم نادى الثانية فانصدع القبر بأذن الله ثم نادى الثالثة فخرجت وهي تنفض رأسها من التراب قتال لها عيسى ما أبطأ بك عنى فقالت لما جاء تنى الصبيحة الاولى بعث الله لي ملكاً فركب خلقي ثم جاء تنى الصبيحة الثانية فرجع الى روعي ثم جاء تنى الصبيحة الثالثة فحفت أنها صبيحة القيامة فشاب رأسي وحاجبى واشغار عيني من مخافة القيمة ثم أقبلت على أمها فقالت بأمام ما حلك على ان أذوق كرب الموت مرتين بأمام أصبري واحتسبي فلا حاجة لي في الدنيا ياروح الله وكلمته سل ربي أن يردني الى الآخرة وان يهون على كرب الموت فدعا ربه فقبضها اليه واستوت عليها الارض فبلغ ذلك اليهود فازدادوا عليه غضبا

وقد منا في عقيب قصة نوح أن بنى اسرائيل سأله أن يحيي لهم سام بن نوح فدعا الله عز وجل وصلى الله فأحياد الله لهم فخدمهم عن السفينة وأمرها ثم دعا فماد تراباً . وقد روى السدي عن أبي صالح وأبي مالك عن ابن عباس في خبر ذكره وفيه أن ملكاً من ملوك بني اسرائيل مات وحمل على سريره فجاء عيسى عليه السلام فدعا الله عز وجل فأحياد الله عز وجل فرأى الناس أمراً هائلاً ومنظراً عجيباً قال الله تعالى وهو اصدق القائلين (اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذ كر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك

روح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذا علمت الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذا تخلق من الطين كهيئة الطير بذتى فتفتخ فيها فتكون طيراً بذتى وتبرىء الاكاه والابرس بلذتى واذا تخرج الموتى بلذتى واذا كفتت بنى اسرائيل عنك اذ جثتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين واذا اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) يذكره تعالى بتعته عليه واحسانه اليه فى خلقه اياه من غير آب بل من أم بلا ذكر وجعله له آية للناس ودلالة على كمال قدرته تعالى ثم ارسله بعد هذا كله (وعلى والدتك) فى اصطفاؤها واختيارها لهذه النعمة العظيمة واقامة البرهان على براءتها مما نسبها اليه الجاهلون ولهذا قال (اذا ايدتك بروح القدس) وهو جبريل بالقاء روحه الى أمه وقرنه معه فى حال رسالته ومدافسته عنه لمن كفر به (تكلم الناس فى المهد وكهلا) أى تدعو الناس الى الله فى حال صغرك فى مهدك وفى كهولتك (واذا علمت الكتاب والحكمة) أى الخط والفهم نص عليه بعض السلف (والتوراة والانجيل) وقوله (واذا تخلق من الطين كهيئة الطير بذتى) أى تصوره وتشكله من الطين على هيئته عن أمر الله له بذلك (فتفتخ فيه فتكون طيراً بذتى) أى بامرى يؤكد تعالى بذكر الاذن له فى ذلك لرفع التوهم وقوله (وتبرىء الاكاه) قل بعض السلف وهو الذى يولد أعمى ولا سبيل لاحد من الحكماء الى مداواته (والابرس) هو الذى لا طب فيه بل قد مرض بالبرص وصار داؤه عضالاً (واذا تخرج الموتى) أى من قبورهم احياء بذتى وقد تقدم ما فيه دلالة على وقوع ذلك مرارا متعددة ما فيه كفاية . وقوله (واذا كفتت بنى اسرائيل عنك اذ جثتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين) وذلك حين ارادوا صلبه فرفعه الله اليه واخذته من بين أظهرهم صيانة لجناحه الكريم عن الاذى وسلامة له من الردى وقوله (واذا اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) قيل المراد بهذا الوسى وحى الهام أى ارشدهم الله اليه ودلهم عليه كما قال (واوحى ربك الى النحل وأوحينا الى أم موسى ان أرضعيه فاذا خفت عليه فالتيه فى اليم) وقيل المراد وحى بواسطة الرسول وتوفيق فى قلوبهم لقبول الحق ولهذا استجابوا قائلين (آمنا واشهد باننا مسلمون)

وهذا من جملة نعم الله على عبده ورسوله عيسى بن مريم ان جعل له أنصارا واعوانا ينصرونه ويدعون معه الى عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى لعبده محمد (س) (هو الذى أيدك بتصره وبالؤمنين بالف بين قلوبهم لو أنفتت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم إله عزيز حكيم) وقال تعالى (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جثتكم بأية من ربكم انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً بلذن الله وابرىء الاكاه والابرس واحيى الموتى بلذن الله وانبتكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى

ذلك لا آية لكم إن كنتم مؤمنين ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم
وجئكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما أحس
عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد أنا مسلمون
ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين . ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين .

كانت معجزة كل نبي في زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان فذكروا أن موسى عليه السلام كانت
معجزته مما يناسب أهل زمانه وكانوا سحرة أذكيا فبعث آيات بهرت الابصار وخضعت لها الرقاب
ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر وما ينهي إليه وعانوا ما عانوا من الأمر الباهر الهائل الذي لا يمكن
صدوره إلا عن أيده الله وأجرى الخارق على يديه تصديقه أسعوا سراعا ولم يتلغوا وهكذا عيسى
ابن مريم بعث في زمن الطبائعية الحكاء فارسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها واني لحكيم
إبراء الاكاه الذي هو أسوأ حالا من الاعمي والابرص والمجدوم ومن به مرض مزمن وكيف يتوصل
أحد من الخلق إلى ان يقيم الميت من قبره هذا مما يعلم كل أحد معجزة دالة على صدق من قامت به
وعلى قدرة من أرسله وهكذا محمد (ص) وعليهم أجمعين بعث في زمن الفصحاء البلغاء فاتزل الله عليه
القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فلفظه معجز تحدى به
الانس والجن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة وقطع عليهم بأنهم لا يقدرون لا في الحال
ولا في الاستقبال فان لم يفعلوا ولن يفعلوا وما ذاك إلا لانه كلام الخالق عز وجل والله تعالى لا يشبهه شيء
لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

والمقصود ان عيسى عليه السلام لما أقام عليهم الحجج والبراهين استمرأ كثيرهم على كفرهم وضلالهم
وعنادهم وطفيتهم فاتدب له من بينهم طائفة صالحة فكانوا له انصاراً واعواناً قاموا بمتابعتهم ونصرته
ومناصحتهم وذلك حين هم به بنو اسرائيل ووشوا به إلى بعض ملوك ذلك الزمان فمزموه على قتله وصلبه
فاقتله الله منهم ورفعهم إليه من بين أظهرهم والقي شبهه على أحد أصحابه فاخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يعتقدونه
عيسى وهم في ذلك غالطون وللحق مكابرون وسلم لهم كثير من النصاري ما دعوه وكلا الفريقين في ذلك
مخطئون قال تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) وقال تعالى (وإذ قال عيسى بن مريم يا بني
اسرائيل إني رسول الله اليكم بمصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد
فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين . ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى للاسلام والله
لا يهدي القوم الظالمين يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) إلى أن قال
بعد ذلك (يا أيها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال
الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فإبدا الذين آمنوا على عدوهم

بببب

فأصبحوا ظاهرين) فيسبى عليه السلام هو خاتم انبياء بني اسرائيل وقد قام فيهم خطيباً فبشرهم بخاتم الانبياء الآتى بعده ونوه باسمه وذكر لهم صفته ليعرفوه ويتابعوه اذا شاهدوه اقامة للحجة عليهم واحساناً من الله اليهم كما قال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه أولئك هم المفلحون)

قال محمد بن اسحاق حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله (س) انهم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى ورأت أمى حين حملت بى كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام . وقد روى عن العرابض بن سارية وأبى امامة عن النبي (س) نحو هذا وفيه دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى وذلك ان ابراهيم لما بنى الكعبة قال (ربنا وابث فيهم رسولا منهم الآية) ولما انتهت النبوة فى بنى اسرائيل الى عيسى قام فيهم خطيباً فآخبرهم أن النبوة قد اقطعت عنهم وانها بعده فى النبي العربى الامى خاتم الانبياء على الاطلاق احمد وهو محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الذى هو من سلالة اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهم السلام قال الله تعالى (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) يحتمل عود الضمير الى عيسى عليه السلام ويحتمل عوده الى محمد (س) ثم حرض تعالى عباده المؤمنين على نصرته الاسلام واهله ونصرته نبيه ومؤازرته ومباوئته على اقامة الدين ونشر الدعوة فقال (يا أيها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصارى الى الله أى من يساعدنى فى الدعوة الى الله) قال الحواريون نحن انصار الله وكان ذلك فى قرية يقال لها الناصرة فسماوا بذلك النصارى قال الله تعالى (فامنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة) يعنى لما دعا عيسى بنى اسرائيل وغيرهم الى الله تعالى منهم من آمن ومنهم من كفر وكان ممن آمن به أهل انطاكية بكاملهم فيما ذكره غير واحد من أهل السير والتواريخ والتفسير بمثل اليهم رسلا ثلاثة أحدهم شمعون الصفا فآمنوا واستجابوا وليس هؤلاء هم المذكورون فى سورة يس لما تقدم تقريره فى قصة أصحاب القرية وكفر آخرون من بنى اسرائيل وهم جمهور اليهود فايد الله من آمن به على من كفر فيما بعد واصبحوا ظاهرين عليهم قاهرين لهم كما قال تعالى (اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافك الى ومطرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة الآية) فكل من كان اليه أقرب كان عالياً فمن دونه ولما كان قول المسلمين فيه هو الحق الذى لا شك فيه من أنه عبد الله ورسوله كانوا ظاهرين على النصارى الذين غلوا فيه واطروه وانزلوه فوق ما انزله الله به ولما كان النصارى أقرب فى الجملة مما ذهب اليه اليهود عليهم لعائن الله كان النصارى قاهرين لليهود فى أزمان الفترة الى زمن الاسلام واهله .

ذكر خبر المائدة

قال الله تعالى (اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وأطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا واية منك وارزقنا وانت خير الرازقين . قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين) قد ذكرنا في التفسير الآمل الواردة في نزول المائدة عن ابن عباس وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر وغيرهم من السلف ومضمون ذلك أن عيسى عليه السلام امر الحواريين بصيام ثلاثين يوماً فلما أتموها سألوا من عيسى انزال مائدة من السماء عليهم لئلا كانوا منها وتطمئن بذلك قلوبهم ان الله قد تقبل صيامهم واجابهم الى طلبتهم وتكون لهم عيداً يفترون عليها يوم فطرم وتكون كافية لأولهم وآخرهم لئلا يفتروهم فوذهبهم عيسى في ذلك وخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها فأبوا عليه الا أن يسأل لهم ذلك من ربه عزوجل فلما لم يقبلوا عن ذلك قام الى مصلاه ولبس مسحاً من شعر وصف بين قدميه وأطرق راسه وأسبل عينيه بالبكاء وتضرع الى الله في الدعاء والسؤال أن يجابوا الى ما طلبوا فأنزل الله تعالى المائدة من السماء والناس ينظرون اليها تنحدر بين غمامتين وجعلت تدنو قليلاً قليلاً وكلمت سأل عيسى ربه عزوجل أن يجعلها رحمة لا نقمة وان يجعلها بركة وسلامة فلم تنزل تدنو حتى استقرت بين يدي عيسى عليه السلام وهي مغطاة بمنديل فقام عيسى بكشف عنها وهو يقول (بسم الله خير الرازقين) فاذا عليها سبعة من الحيتان وسبعة أرغفة . ويقال وخل . ويقال ودرمان وثمار ولها رائحة عظيمة جدا قال الله لها كوني فكانت ثم أمرهم بالاكل منها فقالوا لا نأكل حتى نأكل فقال إنكم الذين ابتدأتم السؤال لها فأبوا أن يأكلوا منها ابتداء فامر الفقراء والمحاويج والمرضى والزمنى وكانوا اقرباً من الف وثلاثمائة فأكلوا منها فبرأ كل من به عاهة أو آفة أو مرض مزمن فندم الناس على ترك الاكل منها لما رأوا من اصلاح حال أولئك . ثم قيل إنها كانت تنزل كل يوم مرة فيأكل الناس منها يأكل آخرهم كما يأكل أولهم حتى قيل إنها كان يأكل منها نحو سبعة آلاف . ثم كانت تنزل يوماً بعد يوم كما كانت ناقة صالح يشربون لبنها يوماً بعد يوم . ثم أمر الله عيسى أن يقصرها على الفقراء أو المحاويج دون الاغنياء فشق ذلك على كثير من الناس وتكلم منافقوهم في ذلك فرفضت بالكلية ومسح الذين تكلموا في ذلك خنازير .

وقد روى ابن ابي حاتم وابن جرير جميعاً حدثنا الحسن بن قزعة الباهلي حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن خلاص عن عمار بن ياسر عن النبي (ص) قال نزلت المائدة من السماء خبز ولحم وأمروا أن لا يبخنوا ولا يدخروا ولا يرفعوا القد فخاثوا وادخروا ورفضوا فمسحوا قروداً

وحنازير ثم رواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن خلاس عن عمار موقوفا وهذا أصح وكذا رواه من طريق سماك عن رجل من بني عجل عن عمار موقوفا وهو الصواب والله أعلم. وخالس عن عمار منقطع فلو صح هذا الحديث مرفوعا لكان فيصلا في هذه القصة فان العلماء اختلفوا في المائدة هل نزلت أم لا فالجمهور أنها نزلت كما دلت عليه هذه الآثار كما هو المفهوم من ظاهر سياق القرآن ولا سيما قوله (إني منزلها عليكم) كما قرره ابن جرير والله أعلم. وقد روى ابن جرير بإسناد صحيح إلى مجاهد وإلى الحسن بن أبي الحسن البصري أنهما قالاً لم تنزل وإنما أبو انزولها حين قال (من يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين). ولهذا قيل ان التصاري لا يعرفون خير المائدة وليس مذكورا في كتابهم مع أن خبرها مما يتوفر للدواعي على قلبه والله أعلم. وقد تفصينا الكلام على ذلك في التفسير فليكتب من هناك * ومن أراد مراجعته فلينظره من ثم والله الحمد والمنة

فَضِيلَةُ

قال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا رجل سقط اسمه حدثنا حجاج بن محمد حدثنا أبو هلال محمد بن سليمان عن بكر بن عبد الله المزني قال فقد الحواريون نبهم عيسى فقيل لهم توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه فلما انتهوا إلى البحر إذا هر يمشي على الماء يرفعه الموج مرة ويضعه أخرى وعليه كساء مرتد بنصفه ومؤثر بنصفه حتى انتهى إليهم فقال له بعضهم قال أبو هلال ظنت أنه من أفاضلهم ألا أجي إليك يا بني الله قال بلى قال فوضع إحدى رجليه على الماء ثم ذهب ليضع الأخرى فقال أوه غرقت يا بني الله فقال أرني يدك يا قصير الإيمان لو أن لابن آدم من اليقين قدر شعيرة مشى على الماء. ورواه أبو سعيد ابن الأعرابي عن إبراهيم بن أبي الجحيم عن سليمان بن حرب عن أبي هلال عن بكر بنحوه. ثم قال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن سفيان حدثنا إبراهيم بن الأشعث عن الفضيل بن عياض قال قيل لعيسى بن مريم يا عيسى بأي شيء تمشي على الماء قال بالإيمان واليقين. قالوا فإنا آمننا كما آمنت وأيقنا كما أيقنت قال فامشوا إذا قال فمشوا معه في الموج ففرقوا فقال لهم عيسى مالكم فقالوا خفنا الموج قال ألا ختم رب الموج قال فأخرجهم ثم ضرب يده إلى الأرض فقبض بها ثم بسطها فإذا في إحدى يديه ذهب وفي الأخرى مدر أو حصي فقال أيهما أحلى في قلوبكم قالوا هذا الذهب قال فإني عندهما سواء وقد مناني قصة يحيى بن زكريا عن بعض السلف أن عيسى عليه السلام كان يلبس الشعر ويأكل من ورق الشجر ولا يأوى إلى منزل ولا أهل ولا مال ولا يدخر شيئا لغد. قال بعضهم كان يأكل من غزل أمه صلوات الله وسلامه عليه.

وروى ابن عساکر عن الشعبي أنه قال كان عيسى عليه السلام إذا ذكر عنده الساعة صاح ويقول لا ينبغي لابن مريم أن تذكر عنده الساعة ويسكت وعن عبد الملك ابن سعيد بن بحر أن عيسى كان

إذا سمع الموعدة صرح صراخ الشكلى . وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر حدثنا جعفر بن بلقان أن عيسى كان يقول (اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد غيري وأصبحت مرتهاً بعلى فلا فقير أقر مني اللهم لا تشمت بي عدوى ولا تسؤني صديقي ولا تجعل مصيبتى في ديني ولا تسلط على من لا يرحمني) . وقال الفضيل بن عياض عن يونس بن عبيد كان عيسى يقول لا نصيب حقيقة الايمان حتى لا نبالي من أكل الدنيا . قال الفضيل وكان عيسى يقول فكرت في الخلق فوجدت من لم يخلق اغبط عندي ممن خلق . وقال اسحاق بن بشر عن هشام ابن حسان عن الحسن قال إن عيسى رأس الزاهدين يوم القيامة . قال وان الفرارين بذنوبهم يحشرون يوم القيامة مع عيسى قال وبينما عيسى يوما نائم على حجر قد توسده وقد وجد لذة النوم إذ مر به ابليس فقال (يا عيسى أأنت تزعم أنك لا تريد شيئاً من عرض الدنيا فهذا الحجر من عرض الدنيا فقال فأخذ الحجر ورمى به اليه وقال هذا لك مع الدنيا . وقال معتمر بن سليمان خرج عيسى على أصحابه وعليه جبة صوف وكساء وتبان حافياً با كياً شعماً مصفر اللون من الجوع يابس الشفتين من العطش فقال السلام عليكم يا بني اسرائيل أنا الذي انزلت الدنيا منزلتها باذن الله ولا عجب ولا فخر أتدرون أين بيتي قالوا أين بيتك يا روح الله قال بيتي المساجد وطبى الماء وإدامى الجوع وسراجى القمر بالليل وصلاتى فى الشتاء مشارق الشمس وريحانى بقول الأرض ولباسى الصون وشعارى خوف رب العزة وجلساتى الزمنى والمساكين أصبح وليس لى شئ وأمسى وليس لى شئ وأنا طيب النفس غير مكترث فمن أغنى منى وأربح رواه بن عساكر (١) وروى فى ترجمة محمد بن الوليد بن ابان بن حبان أبى الحسن العقيلي المصرى حدثنا هانىء بن المتوكل الاسكندراني عن حيوة بن شريح حدثني الوليد ابن أبى الوليد عن سفي بن نافع عن ابى هريرة عن النبي (ص) قال أوحى الله تعالى إلى عيسى أن يا عيسى انتقل من مكان الى مكان لثلاث تعرف فتؤذى فوعزنى وجلالى لأزوجنك ألف حوراء ولا ولن عليك أربعاء عام . وهذا حديث غريب رفعه وقد يكون موقوفاً من رواية سفي بن نافع عن كعب الاحبار أو غيره من الاسرائيليين والله أعلم . وقال عبد الله بن المبارك عن سفيان بن عيينة عن خلف بن حوشب قال قال عيسى للحواريين كما ترك لكم الملوك الحكمة فكذلك فاتركوا لهم الدنيا . وقال قتادة قال عيسى عليه السلام سلوني فاني لئن القاب وانى صغير عند نفسي وقال اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال قال عيسى للحواريين كماوا خبز الشعير واشربوا الماء القراح واخرجوا من الدنيا سالمين آمنين بحق ما أقول لكم أن حلاوة الدنيا مرارة الآخرة وأن مرارة الدنيا حلاوة الآخرة وأن عباد الله ليسوا بالمتنعمين بحق ما أقول لكم ان شركم عالم يؤثر هواد على غيره يود أن الناس كلهم مثله .

❦❦❦

وردى نحوه عن أبي هريرة وقال أبو مصعب عن مالك أنه بلغه أن عيسى كان يقول (يا بني إسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير وإياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره) وقال ابن وهب عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال كان عيسى يقول اعبروا الدنيا ولا تعبروها وكان يقول حب الدنيا رأس كل خطيئة والنظر يزرع في القلب الشهوة • وحكى وهيب بن الورد مثله وزاد ورب شهوة أورت أهلها حرنا طويلا وعن عيسى عليه السلام (يا ابن آدم الضيف اتق الله حيث ما كنت وكن في الدنيا ضيفا واتخذ المساجد بيتا وعلم عينك البكاء وجسدك الصبر وقلبك التفكر ولا تهتم برزق غد فاتها خطيئة) وعنه عليه السلام أنه قال كما أنه لا يستطيع أحدكم أن يتخذ على موج البحر دارا فلا يتخذ الدنيا قرارا وفي هذا يقول سابق البربري •

لَكُمْ بَيْوتٌ بِمَسْتَنِّ السُّيُوفِ وَهَلْ • يُنْفَى عَلَى الْمَاوِيَةِ أَنَّهُ مَدْرٌ

وقال سفیان الثوري قال عيسى بن مريم (لا يستقيم حب الدنيا وحب الآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء). وقال ابراهيم الحربي عن داود بن رشيد عن أبي عبد الله الصوفي قال قال عيسى (طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله) وعن عيسى عليه السلام (ان الشيطان مع الدنيا وفكره من المال وتزينه مع الهوى واستمكانه عند الشهوات) وقال الاعمش عن خيشمة كان عيسى يضع الطعام لأصحابه ويقوم عليهم ويقول هكذا فاصنعوا بالقرى وبه قالت امرأة لعيسى عليه السلام طوبى لحجر حملك ولثدى أرضعك. فقال: طوبى لمن قرأ كتاب الله واتبعه. وعنه طوبى لمن بكى من ذكر خطيئته وحفظ لسانه ووسعه يته. وعنه طوبى لعين نامت ولم تحدث نفسها بالمعصية وانتهت إلى غير أم • وعن مالك بن دينار قال مر عيسى وأصحابه بجيفة فقالوا ما أنتن ربمها فقال ما أبيض أسنانها لينها هم عن الضيبة. وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن زكريا بن عدي قال قال عيسى بن مريم يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا. قال زكريا وفي ذلك يقول الشاعر.

أرى رجالاً بأدنى الدين قد قنعوا • ولا أراهم رَضُوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما • استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال أبو مصعب عن مالك قال عيسى بن مريم عليه السلام (لا تكثروا الحديث بغير ذكر الله فتفسو قلوبكم فان القلب القاسى بعيد من الله ولكن لا تعلمون. ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب وانظروا فيها كأنكم عبيد فانما الناس رجالان معاني ومبتلى فازحموا أهل البلاد واحمدوا الله على العافية) وقال الثوري سمعت أبي يقول عن ابراهيم التيمي قال قال عيسى لأصحابه (بحق أقول لكم من طلب الفردوس فخبز الشعير والنوم في المزابل مع الكلاب كثير). وقال

مالك بن دينار قال عيسى إن أكل الشعير مع الرماد والنوم على المزابل مع الكلاب قليل في طلب الفردوس . وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سفیان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد قال قال عيسى عملوا لله ولا تعملوا لبطونكم انظروا إلى هذه الطير تغدو وتروح لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها فان قلم نحن اعظم بطوناً من الطير فانظروا إلى هذه الأبقير من الوحوش والحمر فاتها تغدو وتروح لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها . وقال صفوان بن عمرو عن شرح بن عبد الله عن يزيد بن ميسرة قال قال الحواريون للمسيح يا مسيح الله انظر إلى مسجد الله ما أحسنه قال آمين آمين بحق ما أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجراً قائماً إلا اهلكه بذنوب أهله ان الله لا يصنع بالذهب ولا بالفضة ولا بهذه الاحجار التي تعجبكم شيئاً ان أحب إلى الله منها القلوب الصالحة وبها يعمر الله الارض وبها يخرب الله الارض إذا كانت على غير ذلك . وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تلخيصه أخبرنا أبو منصور أحمد ابن محمد الصوفي أخبرتنا عائشة بنت الحسن بن ابراهيم الوركانية قالت حدثنا أبو محمد عبد الله بن عمر بن عبد الله بن الهيثم أملاء حدثنا الوليد بن ابان أملاء حدثنا أحمد بن جعفر الرازي حدثنا سهيل بن ابراهيم الحنظلي حدثنا عبد الوهاب بن عبد العزيز عن المعتز عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي (ص) قال مر عيسى عليه السلام على مدينة خربة فأعجبه البنيان فقال أي رب مر هذه المدينة أن تجيئني فأوحى الله إلى المدينة أيها المدينة الخربة جاوبني عيسى قال فنادت المدينة عيسى حبيبي وما تريد مني قال ما فعل أشجارك وما فعل أنهارك وما فعل قصورك وأين سكانك؟ قالت حبيبي جاء وعد ربك الحق فيست أشجارى ونشفت أنهارى وخربت قصورى ومات سكانى . قال فأين أموالهم فقالت جمعوها من الحلال والحرام موضوعة في بطنى . لله ميراث السموات والارض . قال فنادى عيسى عليه السلام (فضجبت من ثلاث أنسى طالب الدنيا والموت يطلبه وبأى القصور والتبر منزله ومن يضحك ملء فيه والنار أمامه ابن آدم لا بالكثير تشبع ولا بالقليل تقنع تجمع مالك لمن لا يحمذك وتقدم على رب لا يهينرك إنما أنت عبد بطنك وشهوتك وإنما تملأ بطنك إذا دخلت قبرك وانت يا ابن آدم ترى حشد مالك في ميزان غيرك) هذا حديث غريب جداً وفيه موعظة حسنة فكتبناه لذلك .

وقال سفیان الثورى عن أبيه عن ابراهيم التيمي قال قال عيسى عليه السلام يا مشر الحواريين اجلوا كنوزكم في السماء فان قلب الرجل حيث كنزه وقال ثور بن يزيد عن عبد العزيز بن ظبيان قال قال عيسى بن مريم من قلم وعلم وعمل دعى عظيماً في ملكوت السماء . وقال أبو كريب روى أن عيسى عليه السلام قال لا خير في علم لا يبرمك الوادى ويبرمك النادى . وروى ابن عساكر باسناد غريب عن ابن عباس مرفوعاً أن عيسى قام في نبي اسرائيل فقال (يا مشر الحواريين لا تمدثوا بلحمكم غير أهلها فتظلموها ولا تمنموها أهلها فتظلموم والأمر ثلاثة . أمر تبين رشده فاتبوه وأمر تبين غيه

فاجنبوه وأمر اخلف عليكم فيه فردوا عليه إلى الله عز وجل). وقال عبد الرزاق أنبأنا مسر عن رجل عن عكرمة قال قال عيسى (لا تطرحوا اللؤلؤ إلى الخنزير فإن الخنزير لا يصنع باللؤلؤ شيئاً ولا تقطوا الحكمة من لا يريد بها فإن الحكمة خير من اللؤلؤ ومن لا يريد بها شر من الخنزير). وكذا حكى وهب وغيره عنه وعن أنه قال لأصحابه (أنتم ملح الأرض فإذا قدم فلا دواء لكم وإن فيكم خصلتين من الجهل الضحك من غير عجب والصبحة من غير سهر) وعن أنه قيل له من أشد الناس فتنة قال زلة العالم فإن العالم إذا زل يزل بزئته عالم كثير. وعن أنه قال (يا علماء السوء جئتم الدنيا على رؤسكم والآخره تحت أقدامكم قولكم شفاء وعلمكم داء مثاكم مثل شجرة الدفلى تعجب من رآها وتقتل من أكلها) وقال وهب قال عيسى (يا علماء السوء جلستم على أبواب الجنة فلا تدخلوها ولا تدون المساكين يدخلونها إن شر الناس عند الله عالم يطلب الدنيا بطله. وقال مكحول (التقى يحيى وعيسى فصاحه عيسى وهو يضحك فقال له يحيى يا ابن خالة مالي أراك ضاحكاً كأنك قدأمنت) فقال له عيسى (مالي أراك عاباً كأنك قد يئست) فأوحى الله اليهما (ان أجبكما إلى أشكنا بصاحبه) وقال وهب بن منبه وقف عيسى هو وأصحابه على قبر وصاحبه يدلى فيه فجعلوا يذكرون القبر وضيقه فقال (قد كنتم فيما هو أضييق منه من أرحام امهاتكم فإذا احب الله أن يوسع وسع) وقال أبو عمر الضير بلغني أن عيسى كان إذا ذكر الموت يقطر جلده دماً. والاطر في مثل هذا كثيرة جداً. وقد أورد الحافظ بن عساكر منها طرفاً صالحاً اقتصرنا منها على هذا القدر والله الموفق للصواب *

رفع عيسى عليه السلام إلى السماء

﴿ في حفظ الرب وبيان كذب اليهود والنصارى في دعوى الصلب ﴾

قال الله تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين). إذ قال الله باعيسى إني متوفيك ورافك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) وقال تعالى (فبا قضهم ميثاقهم وكفرهم بآيت الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً. وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيماً. وقولهم اتا قلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قلوه وما صلوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قلوه يقينا بل ربه الله اليه وكان الله عزيزاً حكماً. وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) فأخبر تعالى أنه رفته إلى السماء بعد ما وقاه بالنوم على الصحيح المقطوع به وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان *

قال الحسن البصرى ومحمد بن اسحاق كان اسمه داود بن نورا فأمر بقتله وصلبه فخصروه في دار بيت المقدس وذلك عشية الجمعة ليلة السبت فلما حان وقت دخولهم ألقى شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده ورفع عيسى من روزنة ذلك البيت الى السماء وأهل البيت ينظرون ودخل الشرط فوجدوا ذلك الشاب الذى ألقى عليه شبهه فأخذوه ظانين أنه عيسى فصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه اهانة له وسلم لليهود عامة النصارى الذين لم يشاهدوا ما كان من أمر عيسى أنه صلب وضلوا بسبب ذلك ضللاً مبيناً كثيراً فاحشاً بعيداً وأخبر تعالى بقوله (وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) اى بعد نزوله الى الارض في آخر الزمان قبل قيام الساعة فانه ينزل ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ولا يقبل إلا الاسلام كما بينا ذلك بما ورد فيه من الاحاديث عند تفسير هذه الآية الكريمة من سورة النساء وكما سنورد ذلك مستقصى في كتاب الفتن والملاحم عند أخبار المسيح الدجال فنذكر ما ورد في نزول المسيح المهدي عليه السلام من ذى الجلال لقتل المسيح الدجال الكذاب الداعى الى الضلال وهذا ذكر ما ورد في الآثار في صفة رفعه الى السماء * قال ابن ابي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما اراد الله ان يرفع عيسى الى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً منهم من الحواريين يعنى فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال ان منكم من يكفر بي اثني عشرة مرة بعد ان آمن بي ثم قال أيكم يلقي عليه شبهى فيقتل مكافى فيكون معى في درجتى فقام شاب من احدتهم سناً فقال له اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال اجلس . ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا فقال أنت هر ذاك فالتقى عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روزنة في البيت الى السماء . قال وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه قتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثني عشرة مرة بعد ان آمن به وافترقوا ثلاث فرق فقال طائفة كان الله فينا ما شاء ثم صعد الى السماء وهؤلاء البعوثية وقالت فرقة كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله اليه وهؤلاء النسطورية وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ثم رفعه الله اليه وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوه فلم يزل الاسلام طامساً حتى بمث الله محمداً (ص) . قال ابن عباس وذلك قوله تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس على شرط مسلم ورواه النسائي عن ابي كريب عن ابي معاوية به نحوه ورواه ابن جرير عن مسلم بن جنادة عن ابي معاوية وهكذا ذكر غير واحد من السلف ومن ذكر ذلك مطولاً محمد بن اسحق بن يسار قال وجعل عيسى عليه السلام يدعو الله عز وجل أن يؤخر اجله يعنى ليبلغ الرسالة ويكمل الدعوة ويكثر الناس اللخول في دين الله قبل وكان عنده من الحواريين اثني عشر رجلاً بطرس ويعقوب بن زبدا ويحنس اخو يعقوب واندراس وفليس وابرثلما ومتى وتوماس ويعقوب بن

حلقيا وتداوس وفتابا ويودس كريا يوطا وهذا هو الذي دل اليهود على عيسى * قال ابن اسحق وكان فيهم رجل اخر اسمه سرجس كتمته النصارى وهو الذي التى شبه المسيح عليه فصلب عنه قال وبعض النصارى يزعم ان الذي صلب عن المسيح والتى عليه شبهه هو يودس بن كريا يوطا والله اعلم . وقال الضحاك عن ابن عباس استخلف عيسى شمعون وقتلت اليهود يودس الذي التى عليه الشبه وقال احمد بن مروان حدثنا محمد بن الجهم قال سمعت الفراء يقول في قوله (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) قال ان عيسى غاب عن خالته زمانا فاتاها فقام رأس الجالوت اليهودى فضرب على عيسى حتى اجتمعوا على باب داره فكسروا الباب ودخل رأس جالوت ليأخذ عيسى فطمس الله عينيه عن عيسى ثم خرج الى أصحابه فقال لم أراه ومعه سيف مسلول فقالوا أنت عيسى وألقى الله شبه عيسى عليه فاخذوه قتلوه وصلبوه فقال جل ذكره (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن هرون بن عنبرة عن وهب بن منبه قال أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحوارين في بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا ببرزن الينا عيسى أولتقتلنكم جميعاً فقال عيسى لأصحابه من يشتري منكم نفسه اليوم بالجنة فقال رجل أنا فخرج اليهم فقال أنا عيسى وقد صوره الله على صورة عيسى فاخذوه قتلوه وصلبوه فمن شبه لهم وظنوا أنهم قد قتلوا عيسى فظنت النصارى مثل ذلك انه عيسى ورفع الله عيسى من يومه ذلك

قال ابن جرير وحدثنا المثني حدثنا اسحاق حدثنا اسماعيل بن عبد الكريم حدثني عبد الصمد بن معقل انه سمع وهباً يقول ان عيسى بن مريم لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحوارين وصنع لهم طعاماً فقال احضروني الليلة فان لي اليكم حاجة فلما اجتمعوا اليه من الليل عشاءم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يفسل ايديهم ويوضئهم بيده ويمسح ايديهم بتيابه فتعاضموا ذلك وتكارهوه فقال ألا من رد على شيئا الليلة مما أصنع فليس مني ولا أنا منه فأقروه حتى اذا فرغ من ذلك قال أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي فليكن لكم بي أسوة فانكم ترون أني خيركم فلا يتعظم بكم على بعض ولا يبذل بكم بعض نفسه كما بذلت نفسي لكم وأما حاجتي التي استعنتكم عليها فتدعون الله وتجتهدون في الدعاء ان يؤخر أجلي فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله أما تصبرون لي ليلة واحدة تصبوني فيها فقالوا والله ما ندرى مالنا والله لقد كنا نسرف فنكثر السر وما نطبق الليلة سمرا وما نريد دعاء الا حيل بيننا وبينه فقال يذهب بالراعي وتفرق الغنم وجعل يأتي بكلام نحو هذا ينعي به نفسه . ثم قال الحق ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصبح الديك ثلاث مرات وليبيعني أحدكم بدرهم يسيرة وليأكلن ثمنى فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحوارين فقالوا هذا من

صحابه فوجد وقال ما أنا بصاحبه فتركوه . ثم أخذه آخرون فوجد كذلك ثم سمع صوت ديك فبكي وأحزنه . فلما أصبح أتى أحد الخواريين إلى اليهود فقال ما تجعلون لي إن دللتكم على المسيح فجلوا له ثلاثين درهماً فأخذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فأخذوه واستوثقوا منه وربطوه بليل وجملوا يهودونه ويقولون أنت كنت نجي الموتى وتبهر الشيطان وتبهر المجنون أفلا تتجى فك من هذا الجبل ويصقون عليه ويقولون عليه الشوك حتى أتوا به الخشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها فرفضه الله إليه وصلبوا ما شبه لهم فكث سباً . ثم إن أمه والمرأة التي كان يداويها عيسى فبأها الله من الجنون جاء ما تبكيان حيث كان المصلوب فجاءها عيسى فقال على م تبكيان قلنا عليك فقال إني قد رفضني الله إليه ولم يصبني إلا خير وإن هذا شئ شبه لهم فأمر الخواريين أن يلقوني إلى مكان كذا وكذا فلقوه إلى ذلك المكان أحد عشر وقد الذي كان باعه ودل عليه اليهود فأنه أصحبه قالوا إنه ندم على ما صنع فاختنق وقتل نفسه فقال لو لب لتاب الله عليه * ثم سألم عن غلام يتبعهم يقال له يحيى فقال هو معكم فانظروا فانه سيصبح كل انسان منكم يحدث بلغة قوم فليندرم وليدعهم * وهذا اسناد غريب عجيب وهو أصح مما ذكره النصارى من أن المسيح جاء إلى مريم وهي جالسة تبكي عند جذعه فأراها مكان المسامير من جسده وأخبرها أن روحه رفضت وأن جسده صلب وهذا بهت وكذب واختلاق وتحرif وتبديل وزيادة باطلة في الإنجيل على خلاف الحق ومقتضى النقل .

وحكى الحافظ بن عساكر من طريق يحيى بن حبيب فيما بلغه أن مريم سألت من بيت الملك بمد ماصلب المصلوب بسبعة أيام وهي تحب أنه ابنها أن ينزل جسده فأجابهم إلى ذلك ودفن هناك قالت مريم لأم يحيى ألا تذهبين بنا تزور قبر المسيح فذهبتا فلما دنا من القبر قالت مريم لأم يحيى ألا تسترين قالت ومن استر قالت من هذا الرجل الذي هو عند القبر قالت أم يحيى إني لا أرى أحدا فرجت مريم أن يكون جبريل وكانت قد بمد عهدا به فاستوقفت أم يحيى وذهبت نحو القبر فلما دنت من القبر قال لها جبريل وعرفته يا مريم أين تريدن قالت أزور قبر المسيح فأسلم عليه وأحدث عهداً به فقال يا مريم إن هذا ليس المسيح إن الله قد رفع المسيح وطهره من الذين كفروا ولكن هذا الفتى الذي التقى شبهه عليه وصلب وقتل مكانه . وعلامة ذلك أن أهله قد صدوه فلا يدرون ما فعل به فهم يكون عليه فلذا كان يوم كذا وكذا فأت غيضة كذا وكذا فانك تلقين المسيح قل فرجت إلى أختها وصعد جبريل فأخبرتها عن جبريل وما قال لها من أمر الغيضة . فلما كان ذلك اليوم ذهبت فوجدت عيسى في الغيضة فلما رآها أسرع إليها وأكب عليها فقبل رأسها وجعل يدعو لها كما كان يفعل وقال يا أمه إن القوم لم يقتلوني ولكن الله رفضني إليه وأذن لي في لقائك والموت يأتيك قريباً فاصبري واذكري الله كثيراً ثم صعد عيسى فلم تلقه إلا تلك المرة حتى ماتت . قال وبلغني أن مريم بقيت بمد

عيسى خمس سنين وماتت ولها ثلاث وخمسون سنة رضى الله عنها وأرضاها .

وقال الحسن البصرى كان عمر عيسى عليه السلام يوم رفع أرباباً وثلاثين سنة وفي الحديث (إن أهل الجنة يدخلونها جرداً مردأً مكطين أبناء ثلاث وثلاثين) . وفي الحديث الآخر على ميلاد عيسى وحسن يوسف وكذا قال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أنه قال رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة *

فأما الحديث الذى رواه الحاكم فى مستدركه ويعقوب بن سفيان الفسوى فى تلميحه عن سعيد بن أبى مریم عن نافع بن يزيد عن عمارة بن غزيرة عن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان أن أمه فاطمة بنت الحسين حدثته أن عائشة كانت تقول أخبرتنى فاطمة أن رسول الله (س) أخبرها أنه لم يكن نبى كمن بعده نبى إلا عاش الذى بعده نصف عمر الذى كان قبله وأنه أخبرنى أن عيسى بن مریم عاش عشرين ومائة سنة فلا أراى إلا ذاهب على رأس ستين * هذا لفظ الفسوى فهو حديث غريب .

قال الحافظ بن عساكر والصحيح أن عيسى لم يبلغ هذا العمر وإنما أراد به مدة مقامه فى أمته كما روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال قالت فاطمة قال لى رسول الله (س) أن عيسى بن مریم مكث فى بنى إسرائيل أربعين سنة وهذا منقطع . وقال جرير والثورى عن الأعمش أن إبراهيم مكث عيسى فى قومه أربعين عاماً وروى عن أمير المؤمنين على أن عيسى عليه السلام رفع ليلة الثانى والعشرين من رمضان وتلك الليلة فى مثلها توفى على بعد طعنه بخمسة أيام وقد روى الضحاك عن ابن عباس أن عيسى لما رفع إلى السماء جاءته سحابة فدنّت منه حتى جلس عليها وجاءته مریم فودعته وبكت ثم رفع وهى تنظر والتقى إليها عيسى برداً له وقال هذا علامة ما بينى وبينك يوم القيامة والتقى عمّامة على شمعون وجعلت أمه تودعه باصبعها تشير بها إليه حتى غاب عنها وكانت تحبه جداً لأنه توفى عليها حبه من جهتي الوالدين إذ لا أب له وكانت لا تفارقه سراً ولا حضراً . قال بعض الشعراء

وكنث أرى كالموت من بين ساعة فكيف بين كان مواعده الحشر

وذكر اسحاق بن بشر عن مجاهد بن جبير أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل الذى شبه لهم وهم يحسبونه المسيح وسلم لهم أكثر النصارى بجهلهم ذلك تسلطوا على أصحابه بالقتل والضرب والحبس فبلغ أمرهم إلى صاحب الروم وهو ملك دمشق فى ذلك الزمان قبيل له إن اليهود قد تسلطوا على أصحاب رجل كان يذكر لهم أنه رسول الله وكان يحيى الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص ويصل العجائب فدوا عليه قتلوه وأهاتوا أصحابه وجسومهم فبث فجئ بهم وفيهم يحيى بن زكريا وشمعون وجماعة فسألهم عن أمر المسيح فاخبروه عنه فبايمهم فى دينهم وأعلى كلمهم وظهر الحق على اليهود وعلت كلمة النصارى عليهم وبث إلى المصلوب فوضع عن جذعه وجئ بلبضع التى صلب عليه ذلك الرجل فمظاه

فمن ثم عظمت النصراني الصليب ومن هاهنا دخل دين النصرانية في الروم وفي هذا نظر من وجوه .
أحدها ان يحيى بن زكريا نبي لا يقر على أن المصلوب عيسى فانه معصوم يعلم ما وقع على جهة الحق .
الثاني أن الروم لم يدخلوا في دين المسيح إلا بعد ثلثمائة سنة وذلك في زمان قسطنطين بن قسطن بناني
المدينة المنسوبة اليه على ما سنذكره . الثالث أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل ثم القوه بنخشته جعلوا
مكانه مطراً للقيامه والنجاسة وجيف الميتات والقاذورات فلم يزل كذلك حتى كان في زمان قسطنطين
المذكور فعمدت أمه هيلانة الحراية الفندقانية فاستخرجته من هنالك معتقدة أنه المسيح ووجدوا الخشبة
التي صلب عليها المصلوب فذكروا أنه ما مسها ذو عاهة الاعوفى فأنه أعلم أكان هذا أم لا وهل كان
هذا لان ذلك الرجل الذي بذل نفسه كان رجلاً صالحاً أو كان هذا محنة وفتنة لأمة النصراني في ذلك
اليوم حتى عظموا تلك الخشبة وغشوها بالذهب واللاكي ومن ثم اتخذوا الصلبانات وتبركوا بشكلها
وقبلوها . وأمرت أم الملك هيلانة فازيلت تلك القيامه وبني مكانها كنيسة هائلة مزخرفة بأنواع الزينة
فهي هذه المشهورة اليوم بيلد بيت المقدس التي يقال لها القيامه باعتبار ما كان عندها ويسمونها القيامه
يعنون التي يقوم جسد المسيح منها . ثم أمرت هيلانة بأن توضع قيامه البلد وكناسته وقذوراته على
الصخرة التي هي قبلة اليهود فلم يزل كذلك حتى فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس فكفس عنها القيامه
بردائه وطهرها من الاخبث والانجاس ولم يضع المسجد وراهها ولكن أمامها حيث صلى رسول الله
(ص) ليلة الاسراء بالانبياء وهو الاقصى .

صفة عيسى عليه السلام وسمائه وفضائله

قال الله تعالى (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة) قيل سمي
المسيح لمسحه الارض وهو سياحته فيها وفراره بدينه من الفتن في ذلك الزمان لشدة تكذيب اليهوده
وافترائهم عليه وعلى أمه عليهما السلام . وقيل لانه كان ممسوح القدمين . وقال تعالى (وقفينا على آثارهم
برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الأنجيل فيه هدى ونور) وقال تعالى (وآتيناه عيسى بن مريم
البيانات وأيدناه بروح القدس) والآيات في ذلك كثيرة جداً وقد تقدم ما ثبت في الصحيحين (ما من مولود إلا
والشيطان يطعن في خاصرته حين يولد فيستهل صارخاً إلا مريم وإبناها ذهب يطعن فطن في الحجاب)
وتقدم حديث عمير بن هانيء عن جنادة عن عبادة عن رسول الله (ص) أنه قال (من شهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكنته التي القاها الى
مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) رواه البخاري (وهذا
لفظه ومسلم)

وروى البخارى ومسلم من حديث الشعبي عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال قال رسول الله
(ص): إذا أدب الرجل أمته فأحسن تأديبها وعلما فأحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها كان له أجران
وإذا آمن ببيسى بن مريم ثم آمن بي فله أجران والعبد إذا اتقى ربه وأطاع مواليه فله أجران) هذا
لفظ البخارى . وقال البخارى حدثنا ابراهيم بن موسى أنبأنا هشام عن معمر (ح) وحدثني محمود حدثنا
عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهرى أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال النبي (ص): (ليلة
أسرى بي لقيت موسى قال فنعته فاذا رجل حسبه قال مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة
قال ولقيت عيسى فنعته النبي (ص): فقال ربعة أحرر كأنما خرج من ديماس يعنى الحمام ورأيت ابراهيم
وأنا أشبه ولده به الحديث) وقد تقدم فى قصتى ابراهيم وموسى ثم قال حدثنا محمد بن كثير أنبأنا اسراييل
عن عثمان بن المغيرة عن مجاهد عن بن عمر قال قال النبي (ص): (رأيت عيسى وموسى و ابراهيم . فأما
عيسى فأحرر جعد عريض الصدر . وأما موسى فأدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط تفرد به البخارى .
وحدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا أبو ضمرة حدثنا موسى بن عقبة عن نافع قال قال عبد الله بن عمر ذكر
النبي (ص): يوماً بين ظهرانى الناس المسيح الدجال فقال ان الله ليس بأعور إلا أن المسيح الدجال أعور
العين اليمنى كان عينه عنبة طافية وأراني الليلة عند الكعبة فى المنام فاذا رجل آدم كأحسن ما يرى من
آدم الرجال تضرب لفته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعاً يديه على منكبيه رجلين وهو يطوف
بالبيت فقلت من هذا فقالوا المسيح بن مريم . ثم رأيت رجلاً وراءه جعد قطط أعور عين اليمنى كاشبه
من رأيت بابن قطن واضعاً يده على منكبيه رجل يطوف بالبيت فقلت من هذا فقالوا المسيح الدجال .
ورواه مسلم من حديث موسى بن عقبة . ثم قال البخارى تابعه عبد الله بن نافع ثم ساقه من طريق الزهرى
عن سالم بن عمر قال الزهرى وابن قطن رجل من خزاعة هلك فى الجاهلية . فبين صلوات الله وسلامه
عليه صفة المسيح المهدي ومسيح الضلالة ليعرف هذا إذا نزل فيؤمن به المؤمنون ويعرف الآخر
فيحذره الموحدون . وقال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن همام بن
منبه عن أبي هريرة عن النبي (ص): قال (رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق فقال له أسرت قال كلا
والذى لا إله إلا هو فقال عيسى آمنت بالله وكذبت عيني) وكذا رواه محمد بن رافع عن عبد الرزاق
وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن حميد الطويل عن الحسن وغيره عن أبي هريرة قال ولا
أعلمه إلا عن النبي (ص): قال (رأى عيسى رجلاً يسرق فقال يا فلان أسرت فقال لا والله ما سرت
فقال آمنت بالله وكذبت بصرى) . وهذا يدل على سجية طاهرة حيث قدم حلف ذلك الرجل فظن
أن أحداً لا يحلف بعظمة الله كاذباً على ما شاهدته منه عياناً قبل عذره ورجع على نفسه فقال آمنت بالله
أى صدقت وكذبت بصرى لأجل حلفك . وقال البخارى حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن

المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله (س)، (تحشرون حفاة عراة غرلا . ثم قرأ (كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين) فأول الخلق يكسى ابراهيم ثم يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال فأقول أصحابي فيقال انهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم (و كنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد * إن تعذبهم فاعذبهم عبادك . وإن تغفر لهم فإنت العزير الحكيم) تفرد به دون مسلم من هذا الوجه . وقال أيضا حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدى حدثنا سفیان سمعت الزهري يقول أخبرني عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس سمع عمر يقول على المنبر سمعت رسول الله (س) يقول (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم قائما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله *)

وقال البخاري حدثنا ابراهيم حدثنا جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي (س) قال (لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة عيسى وكان في بني اسرائيل رجل يقال له جريج يصلي إذ جاءته أمه فدعته فقال أجيبها أو أصلي فقالت اللهم لا تمته حتى تربه وجوه المومسات وكان جريج في صومعة فرضت له امرأة وكلمته فأبى فأتت راعياً فأمكنته من نفسها فولدت غلاماً ثقيل لها من قالت من جريج فاتوه وكسروا صومعته فأنزلوه وسبوه فتوضأ وصلى ثم آتى الغلام فقال من أبوك يا غلام قال فلان الراعي قالوا أنبئ صومعتك من ذهب قال لا إلا من طين . وكانت امرأة ترضع ابناً لها في بني اسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابني مثله فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال اللهم لا تجعلني مثله . ثم أقبل على ثديها يمصه . قال أبو هريرة كآتى أنظر إلى النبي (س) يمص أصبعه ثم مر بأمة فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فترك ثديها فقال . اللهم اجعلني مثلها فقالت لم ذلك قال الراكب جبار من الجبابرة وهذه الأمة يقولون سرقت وزنت ولم تفعل * وقال البخاري حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري أخبرني أبو سلمة أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله (س) يقول (أنا أولى الناس بابن مريم والانبيا . أولاد علات ليس بيني وبينه نبي تفرد به البخاري من هذا الوجه . ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي داود الحفري ^(١) عن الثوري عن أبي الزناد عن أبي سلمة عن أبي هريرة وقال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفیان هو الثوري عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله (س) (أنا أولى الناس بعيسى عليه السلام والانبيا . اخوة أولاد علات وليس بيني وبين عيسى نبي . وهذا أسناد صحيح على شرطهما ولم يخرجه من هذا الوجه وأخرجه أحمد عن عبد الرزاق عن مسر عن همام عن أبي هريرة عن النبي (س) بنحوه وأخرجه ابن حبان من حديث عبد الرزاق نحوه . وقال أحمد

(١) هو عمر بن سعد

حدثنا يحيى عن ابن أبي عروبة حدثنا قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة عن النبي (س) قال (الانبياء اخوة لمالات . ودينهم واحد وأمهاتهم شتى . وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وإنه نزل فلذا رأيتموه فأعرفوه فانه رجل مربع الى الحمرة والبياض سبط كأن رأسه يطر وان لم يصبه بل بين منحصرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويمطل الملل حتى يهلك في زمانه كلها غير الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب وتقع الأمانة في الارض حتى ترتع الابل مع الأسد جميعا والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضاً فيمكث ماشاء الله أن يمكث ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه . ثم رواه احمد عن عفان عن همام عن قتادة عن عبد الرحمن عن أبي هريرة فذكر نحوه وقال فيمكث أربعين سنة . ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون . ورواه أبو داود عن هدية بن خالد عن همام بن يحيى به نحوه . وروى هشام بن عروة عن صالح مولى أبي هريرة عنه أن رسول الله (س) قال (فيمكث في الأرض أربعين سنة . وسيأتي بيان نزوله عليه السلام في آخر الزمان في كتاب الملاحم كما بسطنا ذلك أيضاً في التفسير عند قوله تعالى في سورة النساء (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) وقوله (وانه لعلم للساعة الآية) وانه ينزل على المنارة البيضاء بدمشق وقد أقيمت صلاة الصبح فيقول له امام المسلمين تقدم ياروح الله فصل فيقول لا بعضكم على بعض أمراء مكرمة الله هذه الأمة . وفي رواية فيقول له عيسى انما أقيمت الصلاة لك فيصلى خلفه . ثم يركب ومعه المسلمون في طاب المسيح الدجال فيلحقه عند باب لد فيقتله بيده الكريمة . وذكرنا أنه قوى الرجاء حين بنيت هذه المنارة الشرقية بدمشق التي هي من حجارة بيض وقد بنيت أيضاً من اموال النصارى حين حرقوا التي هدمت وما حولها فينزل عليها عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ولا يقبل من أحد إلا الاسلام وأنه يخرج من فج الروحاء حاجاً أو معتمراً أو لثنتهما ويقم أربعين سنة ثم يموت فيدفن فيما قبل في الحجرة النبوية عند رسول الله (س) وصاحبيه . وقد ورد في ذلك حديث ذكره ابن عساكر في آخر ترجمة المسيح عليه السلام في كتابه عن عائشة مرفوعاً أنه يدفن مع رسول الله (س) وأبي بكر وعمر في الحجرة النبوية ولكن لا يصح اسناده وقال أبو عيسى الترمذي حدثنا زيد بن اخزم الطائي حدثنا أبو قتيبة مسلم بن قتيبة حدثني أبو مودود المدني حدثنا عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم عليهم السلام يدفن معه . قال أبو مودود وقد بقي من البيت موضع قبر . ثم قال الترمذي هذا حديث حسن كذا قال . والصواب الضحاك بن عثمان المدني . وقال البخاري هذا الحديث لا يصح عندي ولا يتابع عليه وروى البخاري عن يحيى بن حماد عن أبي عروبة عن عامر الأحول عن أبي عثمان التهمدي عن سلمان قال قال الفترة ما بين عيسى ومحمد (س) ستمائة سنة وعن قتادة خمسمائة

وستون سنة . وقيل خمسمائة وأربعون سنة وعن الضحاك أربعمائة وبضع وثلاثون سنة . والمشهور ستمائة سنة * ومنهم من يقول ستمائة وعشرون سنة بالقمرية لتكون ستمائة بالشمسية والله أعلم *

وقال ابن حبان في صحيحه (ذكر المدة التي بقيت فيها أمة عيسى على هديه) حدثنا أبو يعلى حدثنا أبو همام حدثنا الوليد بن مسلم عن الهيثم بن حميد عن الوضئ بن عطاء عن نصر بن علقمة عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء قال قال رسول الله (س) : (لقد قبض الله داود من بين أصحابه فما فتنوا ولا بدلوا ولقد مكث أصحاب المسيح على سنته وهديه مائتي سنة) . وهذا حديث شريف جداً وإن صححه ابن حبان . وذكر ابن جرير عن محمد بن اسحاق أن عيسى عليه السلام قبل أن يرفع وصي الحواريين بان يدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وعين كل واحد منهم إلى طائفة من الناس في إقليم من الأقاليم من الشام والمشرق وبلاد المغرب فذكروا أنه أصبح كل إنسان منهم يتكلم بلغة الذين أرسله المسيح إليهم . وذكر غير واحد أن الأنجيل نقله عنه أربعة لوقا ومتى ومرقس ويوحنا وبين هذه الأنجيل الأربعة تفاوت كثير بالنسبة إلى كل نسخة ونسخة وزيادات كثيرة ونقص بالنسبة إلى الأخرى وهؤلاء الأربعة منهم اثنان ممن أدرك المسيح ورآه وهما متى ويوحنا ومنهم اثنين من أصحاب أصحابه (١) وهما مرقس ولوقا وكان ممن آمن بالمسيح وصدقه من أهل دمشق رجل يقال له ضينا وكان مختفياً في مغارة داخل الباب الشرقي قريباً من الكنيسة المصلبة خوفاً من بولس اليهودي وكان ظالماً غاشماً مبغضاً للمسيح ولما جاء به . وكان قد حلق رأس ابن أخيه حين آمن بالمسيح وطاق به في البلد * ثم رجمه حتى مات رحمه الله * ولما سمع بولص أن المسيح عليه السلام قد توجه نحو دمشق جهز بغاله وخرج ليقتله فلتقاه عند كوكبا فلما واجه أصحاب المسيح جاء إليه ملك فضرب وجهه بطرف جناحه فأعماه . فلما رأى ذلك وقع

(١) من هنا إلى قوله (كتاب اخبار الماضين الخ) لم يوجد بالنسختين الموجودتين بال مكتبة المصرية ووجد بها بدله هذه العبارة . وهي وقد أنشد الشيخ شهاب الدين القرافي في كتابه الرد على النصارى لبعضهم يرد عليهم في قولهم بصلب المسيح وتسليمهم ذلك لليهود مع دعواهم أنه ابن الله تعالى الله عز قولهم علواً كبيراً •

عجباً للمسيح بين النصارى * وإلى الله ولداً نسبه
أسلموه إلى اليهود وقالوا * لهم بعد قتله صلبوه
فإن كان ما تقولون حقاً * وصحيحاً فإين كان أبوه
حين خلى ابنه رهين الأعادي * أترام أرضوه أم أغضبوه
فلئن كان راضياً بأذامهم * فاعذرهم لأنهم واقفوه
ولئن كان سائحاً فتركوه * واعبدوهم لأنهم غلبوه

في فمه تصديق المسيح فجاء اليه واعتذر مما صنع وآمن به وقبل منه وسأله أن يمسح عينيه ليرد الله عليه
بصره فقال اذهب الى ضينا عندك بدمشق في طرف السوق المستطيل من المشرق فهو يدعوك فجاء اليه
فدعا فرد عليه بصره وحسن ايمان بولص بالمسيح عليه السلام أنه عبد الله ورسوله وبنيت له كنيسة باسمه
فهي كنيسة بولص المشهورة بدمشق من زمن فتحها الصحابة رضی الله عنهم حتى خربت في الزمان
الذي سنورده إن شاء الله تعالى .

فَضَائِلُ

اختلف أصحاب المسيح عليه السلام بدرفعه الى السماء فيه على أقوال كما قاله ابن عباس وغيره
من أئمة السلف كما أوردناه عند قوله (فأيدنا الذين آمنوا على عدوم فأصبحوا ظاهرين) قال ابن عباس
 وغيره قال قائلون منهم كان فينا عبد الله ورسوله فرجع الى السماء وقال آخرون هو الله وقال آخرون هو
 ابن الله فالأول هو الحق والقولان الآخران كفر عظيم كما قال (فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين
 كفروا من مشهد يوم عظيم) وقد اختلفوا في قتل الأنجيل على أربعة أقاويل ما بين زيادة ونقصان
 وتحرير وتبديل ثم بعد المسيح بثلاثة مائة سنة حدثت فيه الطامة العظمى والبلية الكبرى . اختلف البتاركة
 الاربعة وجميع الاساقفة والقساوسة والشمامسة والراهبين في المسيح على أقوال متعددة لا تنحصر ولا
 تنضب واجتمعوا ونحوا كوا إلى الملك قسطنطين بنى القسطنطينية وهم المجمع الاول فصار الملك إلى قول
 أكثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقالات فسموا الملائكة ودحض من عداهم وأبعدهم وتفردت
 الفرقة التابعة لعبد الله بن اديوس الذي ثبت على أن عيسى عبد من عباد الله ورسول من رسله فسكنوا
 البرارى والبوادي وبنوا الصوامع والديارات والقلايات وقنعوا بالعيش الزهيد ولم يخالطوا أولئك الملل
 والنحل وبنيت الملائكة الكنائس الهائلة عمدوا إلى ما كان من بناء اليونان فحولوا محاريبها الى الشرق وقد
 كانت إلى الشمال الى الجدى *

بَيَانُ بِنَاءِ بَيْتِ لَحْمٍ وَالْقِمَامَةِ

وبنى الملك قسطنطين بيت لحم على محل مولد المسيح وبنيت أمه هيلانة القمامة . معنى على قبر
 المصلوب وهم يسلون لليهود أنه المسيح . وقد كفرت هؤلاء وهؤلاء ووضعوا القوانين والأحكام . ومنها
 مخالف للعتيقة التي هي التوراة وأحلوا أشياء هي حرام بنص التوراة ومن ذلك الخنزير وصلوا إلى الشرق
 ولم يكن المسيح صلى إلا الى صخرة بيت المقدس وكذلك جميع الانبياء بعد موسى . ومحمد خاتم النبيين
 صلى اليها بعد هجرته الى المدينة سنة عشر أو سبعة عشر شهراً ثم حول الى الكعبة التي بناها ابراهيم
 الخليل . وصوروا الكنائس ولم تكن مصورة قبل ذلك ووضعوا العقيدة التي يحفظها أطفالهم ونسألم

ورجالهم التي يسمونها بالامانة . وهي في الحقيقة أكبر الكفر والحياة وجميع الملكية والنسبورية أصحاب
 نسطورس أهل المجمع الثاني واليعقوبية أصحاب يعقوب البرادعي أصحاب المجمع الثالث يعتقدون هذه
 العقيدة ويختلفون في تفسيرها وهأنا أحكيها وحاكي الكفر ليس بكافر لاث على ما فيها ركة الالفاظ
 وكثرة الكفر والخلال المفضى بصاحبه الى النار ذات الشواظ فيقولون تؤمن بالله واحد ضابط الكل
 خالق السموات والارض كل ما يرى وكل ما لا يرى ورب واحد يسوع المسيح بن الله الوحيد المولود من
 الاب قبل الدهور نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو للاب في الجوهر الذي كان
 به كل شيء من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجد من روح القدس ومن
 مريم العذراء وتانس وطلب على عهد ملاطس النبطي وتالم وقبر وقام في اليوم الثالث كما في الكتب
 وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الاب وأيضاً فسيأتي بجسده ليدبر الاحياء والاموات الذي لافناه
 للملكه وروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب مع الابن مسجود له وبمجد الناطق
 في الانبياء كذسبة واحدة جامعة مقدسة يهولية واعترف بعمودية واحدة لمغفرة الخطايا وأنه حي قيامة
 الموتى وحياة الدهر العتيد كونه آمين

كتاب اخبار الحسين

من بني اسرائيل وغيرهم الى آخر زمن الفترة سوى أيام العرب وجاهليتهم فانا سنورد ذلك بعد
 فراغنا من هذا الفصل إن شاء الله تعالى قال الله تعالى (كذلك قص عليك من أنباء ما قد سبق وقد
 آتيناك من لدنا ذكراً) . وقال (نحن قص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وان
 كنت من قبله لمن الغافلين) .

خبر ذي القرنين

قال الله تعالى (ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً . انا مكنا له في الارض
 وآيناه من كل شيء سبباً فاتبع سبباً . حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تقرب في عين حمئة ووجد
 عندها قوما . قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا . قل أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد
 إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً . واما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وستقول له من أمرنا يسراً . ثم
 أتبع سبباً . حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً . كذلك وقد أخطنا
 بما لديه خبراً . ثم أتبع سبباً . حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونها قوماً لا يكادون يفقهون قولاً .
 قالوا يا ذا القرنين إن بأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم
 سداً . قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى

بين الصدفين قال افنخوا حتى إذا جملة فلما قال آتوني أفرغ عليه قطرا . فما استطاعوا أن يظهره وم استطاعوا له قبا . قال هذا رحمة من ربي فلذا جاء وعد ربي جملة دكاه وكان وعد ربي حقا . ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالمدل وأنه بلغ المشارق والمغارب وملك الاقاليم وقهر اهلها وسار فيهم بالمدلة التامة والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط . والصحيح أنه كان ملكا من الملوك الماديين وقيل كان نبيا . وقيل رسولا . وأغرب من قال ملكا من الملائكة . وقد حكى هذا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فانه سمع رجلا يقول لا آخر إذا القرنين فقال له ما كفناكم أن تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة ذكره السهيلي . وقد روى وكيع عن اسراييل عن جابر عن مجاهد عن عبد الله ابن عمرو قال كان ذو القرنين نبيا . وروى الحافظ بن عساكر من حديث أبي محمد بن أبي نصر عن أبي اسحاق بن ابراهيم بن محمد بن أبي ذؤيب حدثنا محمد بن حماد أنبأنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذؤيب عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله (س) : (لا أدري أتبع كان لعينا أم لا ولا أدري الحدود كفارات لاهلها أم لا ولا أدري ذو القرنين كان نبيا أم لا) . وهذا غريب من هذا الوجه . وقال اسحاق بن بشر عن عثمان بن الساج عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال كان ذو القرنين ملكا صالحا رضى الله عمله وأثنى عليه في كتابه وكان منصورا وكان الخضر وزيره . وذاكر أن الخضر عليه السلام كان على مقدمة جيشه وكان عنده بمنزلة المشاور الذي هو من الملك بمنزلة الوزير في اصلاح الناس اليوم . وقد ذكر الازرق وغيره أن ذا القرنين أسلم على يدي ابراهيم الخليل وطاف معه بالكعبة المكرمة هو واسماعيل عليه السلام ^(١) وروى عن عبيد بن عمير وابنه عبد الله وغيرها أن ذا القرنين حج ماشيا وأن ابراهيم لما سمع بدومه تلقاه ودعا له ورضاه وأن الله سخر لذي القرنين السحاب بحمله حيث أراد والله أعلم *

واختلفوا في السبب الذي سمي به ذا القرنين قيل لانه كان له في رأسه شبه القرنين . قال وهب بن منبه كان له قرنان من نحاس في رأسه وهذا ضعيف وقال بعض أهل الكتاب لانه ملك فارس والروم وقيل لانه بلغ قرني الشمس غربا وشرقا . وملك ما بينهما من الأرض وهذا أشبه من غيره وهو قول الزهري وقال ^(٢) الحسن البصري كانت له غدیرتان من شعر بطافهما فسمى ذا القرنين وقال اسحاق ابن بشر عن عبد الله بن زياد بن سمان عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال دعا ملكا جبارا إلى الله فضربه على قرنه فكسره ورضه . ثم دعاه فذق قرنه الثاني فكسره فسمى ذا القرنين وروى الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن ذي القرنين فقال

(١) من هنا الى قوله قال وهب بن منبه الخ لم يوجد بالنسختين المصريتين .

(٢) من هنا الى قوله وروى الثوري لم يوجد بهما أيضا

كان عبداً ناصحاً لله فناصره دعا قومه إلى الله فضر به على قرنه ذات فأحياء الله فدعا قومه إلى الله فضر به على قرنه الآخر فمات فسي ذا القرنين . وهكذا رواه شعبة القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل عن علي به * وفي بعض الروايات عن أبي الطفيل عن علي قال لم يكن نبياً ولا رسولا ولا ملكاً ولكن كان عبداً صالحاً .

وقد اختلف في اسمه فروى الزبير بن بكار عن ابن عباس كان اسمه عبد الله بن الضحاك بن معد وقيل مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الأزدي بن عون^(١) بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن قحطان .

وقد جاء في حديث أنه كان من حمير وأمه رومية وأنه كان يقال له ابن الفيلسوف لعقله . وقد أنشد بعض الحميريين^(٢) في ذلك شعراً يفتخر بكونه أحد أجداده فقال :

قد كان ذو القرنين جدِّي^(٣) مسلماً ملكاً تدين له الملوك وتمسح^(٤)

(١) كذا في العيني على البخاري بالمعين المهلة والنون وهو خطأ والصواب غوث بالعين المعجمة والثاء المثلثة كما في أنساب السمعاني . (٢) قوله بعض الحميريين هو تبع على ما في العرائس للثعلبي وهو تبع أبو كرب كما في التيجان في ملوك حمير والشعر من قصيدة هي احد وخمسون بيتاً

(٣) قوله جده جدى كذا في التيجان ورواه صاحب العرائس في قصص الانبياء والفخر الرازي في تفسيره قبلي . (٤) قوله ملكاً تدين له الملوك وتمسح كذا بالأصل بالشين المعجمة بعد الحاء المهلة ورواية العرائس وتسجد بالجيم بعد السين المهلة وعلى كلتا الروايتين يكون في البيت عيب من عيوب القوافي وهو الاكفاء وهو اختلاف القوافي بالضم والكسر فان الشعر مكسور الروي وهو الدال قال الشاعر في أول القصيدة

نحن الملوك ذوو الملا والسود
نحن الحماة بنو الهام الامجد
سميت أسعد والسعود طوالع
لا بد أن ترقى النحوس لأسعد
أفبعداً وائل والمقعقع بسده
ترجو الخلود وأنت غير مخلد

إلى آخره وأنشد الفخر الرازي في تفسيره هذا الشعر هكذا

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً
ملكاً علا في الارض غير مفند
بلغ المشارق والمغارب يتهنى
اسباب ملك من كريم سيد

وعليه فلا إكفاء واقتصر في العرائس على الايات الثلاثة وترك البيت الأخير هنا وأنشدها كما أنشدها المؤرخ هنا غير أنه قال قبلي بدل جدى وقال تسجد بدل تمسح كما علمت والشعر في التيجان هكذا وليس فيه البيت الاخير أيضاً مع ذكره القصيدة كلها قال الشاعر في مكة

بلغ المشارق والمغرب يتفي
 فرأى مغيب الشمس عند غروبها
 من بعده بليس كانت عمتي
 من بعد بلقيس كانت عمتي
 اسباب أمر من حكيم مرشد
 في عين ذي خلب وثأط حرم
 ملكهم حتى أتاه الهدد

قال السهيلي وقيل كان اسمه مرزبان بن مرزبة . ذكره ابن هشام ^(١) وذكر في موضع آخر أن اسمه الصعب بن ذي مرثد وهو أول التباينة وهو الذي حكم لابراهيم في بئر السبع . وقيل إنه أفريدون ابن أسفيان الذي قتل الضحاك وفي خطبة قس يا معشر اياد بن الصعب ذو القرنين ملك الخاقين وأذل الثقلين وعمر الفين . ثم كان ذلك كالحظة عين ثم انشد ابن هشام للاعشى .

والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً بالجنود في جدث أشم مقياً

وذكر الدارقطني وابن ما كولا أن اسمه هرمس ^(٢) ويقال هرويس بن قيطون بن رومي بن لنطي ابن كشلوخين بن يونان بن يافث بن نوح فآله أعلم . وقال اسحق بن بشر عن سعيد بن بشير عن قتادة قال اسكندر هو ذو القرنين وأبوه أول القياصرة وكان من ولد سام بن نوح عليه السلام . فلما ذو القرنين الثاني فهو اسكندر بن فيلبس بن مصرم بن هرمس بن ميطون بن رومي بن لنطي بن يونان بن يافث ابن يوثه بن شرخون بن رومة بن شرفط بن توفيل بن رومي بن الاصفر بن يقز بن العيص بن اسحق ابن ابراهيم الخليل كذا نسبة الحافظ ابن عساكر في تاريخه . المقدوني اليوناني المصري بائي اسكندرية الذي يؤرخ بأيامه الروم وكان متأخراً عن الاول بدهر طويل كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة وكان ارطاطاليس الفيلسوف وزيره وهو الذي قتل دارا بن دارا وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم .

وأقام ذو القرنين فيها حجة
 إذ كان ذو القرنين جدي مسلماً
 طاف المشارق والمغرب عالماً
 ورأى سير الشمس عند غروبها
 فلق أذل الصعب صعب زمانه
 وأناط قوة عزه بالفرقد
 خوفا يطوف على اللظى المتوقد
 فمتى تراه له المقاول تسجد
 يبغى علوماً من كريم مرشد
 في عين ذي خلب وثأط حرم
 وأناط قوة عزه بالفرقد

ثم قال في التيجان قال معاوية يا ابن عباس فما الخلب والثأط والحرم مد قال الخلب الجمأة والثأط ما تحتها من الطين والحرم ما تحتها من الحمى والحجر .

(١) قوله ذكره ابن هشام أي في السيرة وقوله وذكر في موضع آخر أي في التيجان في ملوك حمير روايته عن وهب بن منبه اه محمود الامام .

(٢) والذي في العرائس عن اكثر أهل السير هو الاسكندر بن فيابش بن بطريوس بن هرمس ابن هردوس بن منطون بن رومي بن لطين بن يونان بن يافث . اه محمود الامام

وانما نهنا عليه لان كثيرا من الناس يمتدونها وان المذكور في القرآن هو الذي كان ارطاطا ليس وزيره فبقي بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض طويل كثير فان الاول كان عبدا مؤمنا صالحا وملك عادلا وكان وزيره الخضر وقد كان نبيا على ما قررناه قبل هذا . واما الثاني فكان مشركا وكان وزيره فيلسوفا وقد كان بين زمانيهما ازيد من الف سنة . فان هذا من هذا لا يتوین ولا يشتهان إلا على غيري لا يعرف حقائق الامور • قوله تعالى (ويسألونك عن ذي القرنين) كان سببه ان قرينتا سألا اليهود عن شيء يمتحنون به علم رسول الله (ص) فقالوا لهم سلوه عن رجل طواف في الأرض وعن فية خرجوا لا يدري ما فعلوا فانزل الله تعالى قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين . ولهذا قال (قل سأتلوا عليكم منه ذكرا) أي من خبره وشأنه (ذكرا) أي خبرا نفعاً كلفياً في تعريف امره وشرح حاله فقال (إنا مكننا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سيباً) أي وسعنا مملكته في البلاد وأعطيناه من آلات المملكة ما يستعين به على تحصيل ما يجارله من المهمات العظيمة والمقاصد الجسيمة . قال قتيبة عن أبي عوانة عن سماك عن حبيب بن حماد قال كنت عند علي بن أبي طالب وسأله رجل عن ذي القرنين كيف بلغ المشرق والمغرب فقال له (سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له في النور) وقال أزيدك فسكت الرجل وسكت علي رضي الله عنه . وعن أبي اسحاق السبيعي عن عمرو بن عبد الله الوادعي سمعت معاوية يقول : ملك الأرض أربعة . سليمان بن داود النبي عليهما السلام . وذو القرنين ورجل من أهل حلوان . ورجل آخر . فقيل له الخضر قال لا • وقال الزبير بن بكار حدثني ابراهيم بن المنذر عن محمد بن الضحاك عن أبيه عن سفيان الثوري قال بلغني أنه ملك الأرض كلها أربعة (مؤمنان وكافران سليمان النبي وذو القرنين ونمرود وبخت نصر) وهكذا قال سعيد بن بشر سواء وقال اسحاق بن بشر عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن قال (كان ذو القرنين ملك بعد النمرود وكان من قصته أنه كان رجلاً مسلماً صالحاً آتى المشرق والمغرب مد الله له في الاجل ونصره حتى قهر البلاد واحتوى على الاموال وفتح المدائن وقتل الرجال وجال في البلاد والقلاع فسار حتى آتى المشرق والمغرب فذلك قول الله (ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا) أي خبراً (إنا مكننا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سيباً) أي علماً بطلب اسباب المنازل • قال اسحاق وزعم مقاتل أنه كان يفتح المدائن ويجمع السكنوز فمن اتبعه على دينه وتابعه عليه وإلا قتله . وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وعكرمة وعبيد بن يعلى والسدي وقاتة والضحاك (وآتيناه من كل شيء سيباً) يعني علماً وقال قتادة ومطر الوراق معالم الأرض ومنازلها واعلامها وآثارها وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني تعلم اللسانة كان لا يفزو قوماً إلا حدثهم بلغتهم والصحيح أنه يعم كل سبب يتوصل به الى نيل مقصوده في المملكة وغيرها فانه كان يأخذ من كل إقليم من الامتعة

والمطاعم والازاد ما يكفيه ويمينه على اهل الاقليم الآخر •

وذكر بعض أهل الكتاب أنه مكث ألفاً وستمائة سنة بجوب الأرض ويدعو أهلها إلى عبادة الله وحده لا شريك له وفي كل هذه المدة نظر والله أعلم . وقد روى البيهقي وابن عساكر حديثاً متعلقاً بقوله (وآتيناه من كل شيء سيباً) مطولاً جداً وهو منكر جداً . وفي اسناده محمد بن يونس الكديمي وهو منهم فلماذا لم نكتبه لسقوطه عندنا والله أعلم وقوله (فأتبع سيباً) أي طريقاً (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) يعني من الأرض انتهى إلى حيث لا يمكن أحداً أن يجاوزه ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له أوقيانوس الذي فيه الجزائر المسماة بالخالدات التي هي مبدأ الأطوال على أحد قولي أربلب الهيئة والثاني من ساحل هذا البحر كما قدمنا . وعنده شاهد مغيب الشمس فيما رآه بالنسبة إلى مشاهدته (تغرب في عين حمئة) والمراد بها البحر في نظره فان من كان في البحر أو على ساحله يرى الشمس كأنها تطلع من البحر وتغرب فيه ولهذا قال (وجدها) أي في نظره ولم يقل فاذا هي تغرب في عين حمئة أي ذات حمأة . قال كعب الأحبار وهو الطين الأسود . وقرأه بعضهم حامية . قيل يرجع إلى الأول . وقيل من الحرارة وذلك من شدة المقابلة لوهج ضوء الشمس وشاعها . وقد روى الإمام أحمد عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب حدثني مولى لعبد الله بن عمرو عن عبد الله . قال نظر رسول الله (ص) إلى الشمس حين غابت فقال (في نار الله الحامية لولا ما يزرعها من أمر الله لاحت ما على الأرض) فيه غرابة وفيه رجل مبهم لم يسم ورفعه فيه نظر وقد يكون موقوفاً من كلام عبد الله بن عمرو فانه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب المتقدمين فكان يحدث منها والله أعلم * ومن زعم من القصاص أن ذا القرنين جاوز مغرب الشمس وصار يمشي بجيوشه في ظلمات مدداً طويلة فقد أخطأوا بعد النجعة . وقال ما يخالف العقل والنقل .

بَيَانُ طَلَبِ ذِي الْقَرْنَيْنِ عَيْنَ الْحَيَاةِ

وقد ذكر ابن عساكر من طريق وكيع عن أبيه عن معتمر بن سليمان عن أبي جعفر الباقر عن أبيه زين العابدين خيراً مطولاً جداً فيه أن ذا القرنين كان له صاحب من الملائكة يقال له رنقيل فسأله ذو القرنين هل تعلم في الأرض عيناً يقال لها عين الحياة فذكر له صفة مكانها فذهب ذو القرنين في طلبها وجعل الخضر على مقدمته فاتمى الخضر إليها في واد في أرض الظلمات فشرب منها ولم يهتد ذو القرنين إليها . وذكر اجتماع ذي القرنين ببعض الملائكة في قصر هناك وأنه أعطاه حجراً فلما رجع إلى جيشه سأل العلماء عنه فوضعوه في كفة ميزان وجملوا في مقابله ألف حجر مثله فوزنها حتى سأل الخضر فوضع قبالة حجراً وجمل عليه حفنة من تراب فرجع به . وقال هذا مثل ابن آدم لا يشبع حتى يوارى

والتراب فسجد له العلماء تكريماً له واعظاماً والله اعلم * ثم ذكر تعالى أنه حكم في أهل تلك الناحية (قلنا إذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً . قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً) أى فيجتمع عليه عذاب الدنيا والآخرة وبدأ بعذاب الدنيا لأنه أضر عند الكافر (وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً) فبدأ بالأم وهو ثواب الآخرة وعطف عليه الاحسان منه إليه وهذا هو المدل والعلم والايمان قال الله تعالى (ثم أتبع سيباً) أى سلك طريقاً راجعاً من المغرب الى المشرق فيقال إنه رجع في ثنتي عشر سنة (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً) أى ليس لهم بيوت ولا اكنان يستترون بها من حر الشمس . قال كثير من العلماء ولكن كانوا يأوون إذا اشتد عليهم الحر الى اسراب قد اتخذوها في الارض شبه القبور قال الله تعالى (كذلك وقد احطنا بما لديه خيراً) أى ونحن نعلم ما هو عليه ونحفظه ونكأؤه بمراسنتنا في مسيره ذلك كله من مغارب الارض الى مشارقها .

وقد روى عن عبيد بن عمير وابنه عبد الله وغيرها من السلف أن ذرا القرنين حج ماشياً فلما سمع ابراهيم الخليل بقدمه تلاقدا فلما اجتمعا دعاه الخليل ووصاه بوصايا ويقال انه جرى بفرس ليركبها فقال لا أركب في بلد فيه الخليل فسخر الله له السحاب وبشر ابراهيم بذلك فكانت تحمله إذا أراد . وقوله تعالى (ثم أتبع سيباً . حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً) يعنى عشياً . يقال انهم هم الترك ابناء عم يأجوج ومأجوج فذكروا له أن هاتين القبيلتين قد تعدوا عليهم وأفسدوا في بلادهم وقطعوا السبل عليهم وبدلوا له حملاً وهو الخراج على أن يقيم بينهم وبينهم حاجزاً يمنعهم من الوصول اليهم فامتنع من أخذ الخراج اكتفاء بما أعطاه الله من الاموال الجزيلة (قل ما مكنتي فيه ربي خيراً) ثم طلب منهم أن يجمعوا له رجالاً وآلات ليبنى بينهم وبينهم سداً وهو الردم بين الجبلين وكانوا لا يستطيعون الخروج اليهم إلا من بينهما وبقية ذلك بحار مفرقة وجبال شاهقة فبناء كما قال تعالى من الحديد والقطر وهو النحاس المذاب . وقيل الرصاص والصحيح الاول فجعل بدل اللبن حديداً وبدل الطين نحاساً ولهذا قال تعالى (فما استطاعوا أن يظهروه) أى يعلوا عليه بسلاط ولا غيرها (وما استطاعوا له نقباً) أى بماول ولا فؤوس ولا غيرها فقابل الاسهل بالاسهل والاشد بالاشد (قال هذا رحمة من ربي) أى قدر الله وجوده ليكون رحمة منه بعباده أن يمنع بسببه عدوان هؤلاء القوم على من جاورهم في تلك المحلة (فاذا جاء وعد ربي) أى الوقت الذي قدر خروجهم على الناس في آخر الزمان (جعله دكاً) أى مساوياً للارض ولا بد من كون هذا ولهذا قال (وكان وعد ربي حقاً) كما قال تعالى (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون . واقرب الوعد الحق الآية) ولذا قال همنا (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) يعنى يوم فتح السد على الصحيح (ونفخ في

الصور فجمعناهم جمعاً) وقد أوردنا الاحاديث المروية في خروج بأجوج ومأجوج في التفسير وسنوردها ان شاء الله في كتاب الفتن والملاحم من كتابنا هذا إذا انتهينا اليه بحول الله وقوته وحسن توفيقه ومعوته وهدايته .

قال أبو داود الطيالسي عن الثوري بلغنا أن أول من صافح ذو القرنين . وروى عن كعب الاحبار انه قال لمعاوية إن ذا القرنين لما حضرته الوفاة أوصى أمه إذا هو مات أن تصنع طعاماً وتجمع نساء أهل المدينة وتضعه بين أيديهن وتأذن لمن فيه إلا من كانت تملكى فلا تأكل منه شيئاً فلما فعلت ذلك لم تضع واحدة منهن يدها فيه فقالت لمن سبحان الله كل من تملكى قلن أي والله ما منا إلا من ائسكت فكان ذلك تسلياً لأمه . وذكر اسحاق بن بشر عن عبد الله بن زياد عن بعض أهل الكتاب وصية ذى القرنين وموعظة أمه موعظة بليغة طويلة فيها حكم وأمور نافعة وأنه مات وعمره ثلاثة آلاف سنة وهذا غريب .

قال ابن عساكر وبلغني من وجه آخر أنه عاش ستاً وثلاثين سنة . وقيل كان عمره ثنتين وثلاثين سنة . وكان بعد داود بسبعائة سنة وأربعين سنة . وكان بعد آدم بخمسة آلاف ومائة واحدى وثمانين سنة . وكان ملكه ست عشرة سنة . وهذا الذي ذكره انما ينطبق على اسكندر الثانى لا الأول وقد خلط في أول الترجمة وآخرها بينهما والصواب التفرقة كما ذكرنا اقتداءً بجماعة من الحفاظ والله أعلم *
ومن جعلها واحداً الامام عبد الملك بن هشام راوى السيرة وقد أنكر ذلك عليه الحافظ أبو القاسم السهيلي رحمه الله انكاراً بليغاً ورد قوله رداً شديداً وفرق بينهما تفريقاً جيداً كما قدمنا قال ولعل جماعة من الملوك المتقدمين تسموا بذى القرنين تشبهاً بالاول والله اعلم *

فكر ربي يا مجوج ومأجوج

وصفاتهم وما ورد من أخبارهم وصفة السد

هم من ذرية آدم بلا خلاف فعلمه ثم الدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين من طريق الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله (س) يقول الله تعالى يوم القيامة يا آدم قم فابث بئس النار من ذريتك فيقول يارب وما بئس النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة فينشد يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد * قالوا يا رسول الله أين ذلك الواحد فقال رسول الله (س) (إ) ابشروا فان منكم واحداً ومن بأجوج ومأجوج ألفاً) وفي رواية فقال ابشروا فان فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه أي غلبتاه كثرة وهذا يدل على كثرتهم وانهم اضعاف الناس مراراً عديدة . ثم هم من ذرية نوح لان

الله تعالى أخبر أنه استجاب لعبد نوح في دعائه على أهل الأرض بقوله (رب لا تدعني على الأرض من الكافرين دياراً) وقال تعالى (فأميين وأصحاب السفينة) وقال (وجعلنا ذريته هم الباقين) وتقدم في الحديث المروي في المسند والسنن أن نوحاً ولد له ثلاثة وهم سام وحام ويافث فسام أبو العرب وحام أبو السودان ويافث أبو الترك فأجوج وماجوج طائفة من الترك وهم مثل المغول وهم أشد بأساً وأكثر فساداً من هؤلاء. ونسبهم إليهم كنسبة هؤلاء إلى غيرهم. وقد قيل إن الترك إنما سموا بذلك حين بنى ذو القرنين السد والجأ بأجوج وماجوج إلى ما وراءه فبقيت منهم طائفة لم يكن عندهم كفسادهم فتركوا من ورائه * فلماذا قيل لهم الترك.

ومن زعم أن يأجوج وماجوج خلقوا من نطفة آدم حين احتلم فاختلطت بتراب فخلقوا من ذلك وإنهم ليسوا من حواء فهو قول حكاه الشيخ أبو زكريا النواوي في شرح مسلم وغيره وضمفوه وهو جدير بذلك إذ لا دليل عليه بل هو مخالف لما ذكرناه من أن جميع الناس اليوم من ذرية نوح بنص القرآن * وهكذا من زعم أنهم على أشكال مختلفة وأطوال متباينة جداً. فمنهم من هو كالنخلة السحوق. ومنهم من هو غاية في القصر. ومنهم من يفترش أذناً من أذنيه ويتغطى بالأخرى فكل هذه أقوال بلا دليل ورجم بالغيب بغير برهان. والصحيح أنهم من بني آدم وعلى أشكالهم وصفاتهم. وقد قال النبي (ص) (إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً) ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن. وهذا فيصل في هذا الباب وغيره. وما قيل من أن أحدهم لا يموت حتى يرى من ذريته ألفاً فإن صح في خبر قلنا به والا فلا نرده إذ يحتمله العقل والنقل أيضاً قد يرشد إليه والله أعلم. بل قد ورد حديث مصرح بذلك أن صح قال الطبراني حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس الأصبهاني حدثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا المغيرة عن مسلم عن أبي إسحاق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو عن النبي (ص) قال (إن يأجوج وماجوج من ولد آدم ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معاشهم ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً. وإن من ورائهم ثلاث أمم (تأويل وتلريس ومنسك). وهو حديث غريب جداً وأسناده ضعيف. وفيه زكارة شديدة * وأما الحديث الذي ذكره بن جرير في تاريخه أن رسول الله (ص) ذهب إليهم ليلة الأسراء فدعاهم إلى الله فامتنعوا من إجابته ومتابته وأنه دعا تلك الأمم التي هناك (تلريس وتأويل ومنسك) فاجابوه فهو حديث موضوع اختلقه أبو نعيم عمرو بن الصبيح أحد الكذابين الكبار الذين اعترفوا بوضع الحديث والله أعلم.

فإن قيل فكيف دل الحديث المتفق عليه أنهم فداه المؤمنين يوم القيامة وأنهم في النار ولم يبعث إليهم رسل. وقد قال الله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فالجواب أنهم لا يذبون إلا بعد قيام الحجة عليهم والاعذار إليهم كما قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فإن كانوا في زمن

التي قبل بث محمد (س)، قد أتتهم رسل منهم قد قامت على أولئك الحجة وان لم يكن قد بث الله اليهم رسلا فهم في حكم أهل الفترة . ومن لم تبلغه الدعوة وقد دل الحديث المروي من طرق عن جماعة من الصحابة عن رسول الله (س)، (ان من كان كذلك يتمحن في عرصات القيامة فمن أجلب الداعي دخل الجنة ومن أبي دخل النار) وقد أوردنا الحديث بطرقه وألفاظه وكلام الائمة عليه عند قوله (وما كنا معذبين حتى نبث رسولا) وقد حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري اجماعاً عن أهل السنة والجماعة وامتاحتهم لا يقتضى نجاتهم ولا ينافى الأخبار عنهم بأنهم من أهل النار لأن الله يطلع رسوله (س) على ما يشاء من أمر الغيب وقد اطله على أن هؤلاء من أهل الشقاء وأن سبحانه تآبى قبول الحق والاقبال لهم لا يبيحون الداعي الى يوم القيامة فيعلم من هذا أنهم كانوا أشد تكديماً للحق في الدنيا لو بلغهم فيها لأن في عرصات القيامة يتفاد خلق من كان مكذباً في الدنيا فايقاع الايمان هناك لما يشاهد من الأحوال أولى واحرى منه في الدنيا والله أعلم . كما قال تعالى (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا فنمل صالحاً إماماً وقتون) وقال تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) • وأما الحديث الذي فيه أن رسول الله (س) دعاهم ليلة الاسراء فلم يجيبوا فاه حديث منكر بل موضوع وضعه عمرو بن الصبح .

وأما السد فقد تقدم أن ذا القرنين بناه من الحديد والنحاس وسار به الجبال الصم الشامخات الطوال فلا يعرف على وجه الارض بناء أجل منه ولا أنفع للخلق منه في أمر دنياهم . قال البخارى وقال رجل للنبي (س) رأيت السد قال وكيف رأيت قال مثل البرد المحبر فقال رأيت هكذا . ذكره البخارى مطلقاً بصيغة الجزم وأره مسنداً من وجه متصل أرتضيه غير أن ابن جرير رواه في تفسيره مرسلًا فقال حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن رجلاً قال (يا رسول الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال افتهلى قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيت .

وقد ذكر أن الخليفة الواصل بمث رسلا من جهته وكتب لهم كتباً الى الملوك يوصلونهم من بلاد الى بلاد حتى ينهوا الى السد فيكشفوا عن خبره وينظروا كيف بناه ذو القرنين على أى صفة فلما رجعوا أخبروا عن صفته وأن فيه باباً عظيماً وعليه أقفال وأنه بناء محكم شاهق منيف جداً وأن بقية اللبن الحديد والآلات في برج هناك وذكروا أنه لا يزال هناك حرس لتلك الملوك المناخمة لتلك البلاد ومحله في شرقي الارض في جهة الشمال في زاوية الارض الشرقية الشمالية ويقال ان بلادهم متسعة جداً وانهم يقتاتون باصناف من المايش من حراثة وزراعة واصطياد من البر ومن البحر وهم أمم وخلق لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم . فان قيل فما الجمع بين قوله تعالى (فما استطاعوا أن يظروه وما استطاعوا له قبا) وبين الحديث الذي رواه البخارى ومسلم عن زينب بنت جحش أم المؤمنين رضى الله عنها قالت استيقظ رسول الله (س)

من نوم محرماً وجهه وهو يقول (لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم
يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق تسعين) قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثرت
الخبث . وأخرجاه في الصحيحين من حديث وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة قال قال
رسول الله (ص) (فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وعقد تسعين) . فالجواب أما على قول
من ذهب الى أن هذا إشارة إلى فتح ابواب الشر والفتن وان هذا استعارة مخضفة وضرب مثل فلا
اشكال . واما على قول من جعل ذلك اخباراً عن امر محسوس كما هو الظاهر المتبادر فلا اشكال أيضاً
لان قوله (فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً) أى فى ذلك الزمان لأن هذه صيغة خبر
ماض فلا يبنى وقوعه فيما يستقبل باذن الله لهم فى ذلك قدراً وتسلطهم عليه بالتدرج قليلاً قليلاً حتى يتم
الاجل وينتضى الامر المقدور فيخرجون كما قال الله تعالى (وهم من كل حذب ينزلون) ولكن الحديث
الآخر اشكل من هذا وهو ما رواه الامام أحمد فى مسنده قائلاً حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبى عروبة
عن قتادة حدثنا أبو رافع عن أبى هريرة عن رسول الله (ص) قال (ان يأجوج ومأجوج ليحفرون
السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً فيعودون
اليه كاشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون
شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرون غداً إن شاء الله ويستثنى فيعودون اليه وهو كهيئة يوم
تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فيستقون المياه وتتحصن الناس فى حصونهم فيرمون بسهامهم الى
السماء فترجع وعلبها كهيئة الدم فيقولون قهرنا أهل الارض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نفاقاً فى
اقفائهم فيقتلهم بها . قال رسول الله (ص) (والذى نفس محمد بيده إن دواب الارض لتسمن وتشكر
شكراً من لحومهم ودمائهم) ورواه احمد أيضاً عن حسن بن موسى عن سفيان عن قتادة به وهكذا رواه
ابن ماجه من حديث سعيد عن قتادة الا أنه قال حديث أبو رافع ورواه الترمذى من حديث أبى
عوانة عن قتادة به . ثم قال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه فقد أخبر فى هذا الحديث أنهم كل
يوم يلحسونه حتى يكادوا يندرون شعاع الشمس من ورائه لرقته فان لم يكن رفع هذا الحديث محفوظاً
وانما هو مأخوذ عن كعب الاحبار كما قاله بعضهم فقد استرحنا من المؤنة وان كان محفوظاً فيكون
محمولاً على أن ضيعهم هذا يكون فى آخر الزمان عند اقتراب خروجهم كما هو المروى عن كعب الاحبار
أو يكون المراد بقوله (وما استطاعوا) أى نافذاً منه فلا يبنى أن يلحسوه ولا ينفذوه والله أعلم
وعلى هذا فيمكن الجمع بين هذا وبين ما فى الصحيحين عن أبى هريرة فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج
مثل هذه وعقد تسعين أى فتح فتحاً نافذاً فيه والله أعلم •

قصة أصحاب الكهف

قال الله تعالى (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا إذ أوى الفتية إلى الكهف قالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشداً فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً ثم بشناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً. نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى. وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً. هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهاة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا. واذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً. وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً وتحسبهم أبقاظاً وهم رقود وقلوبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملت منهم رعباً. وكذلك بشناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم. قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابشوا احدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً. انهم ان يظهروا عليكم يرموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا. وكذلك أعتزنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وان الساعة لأريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً. سيقولون ثلاثة رابهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب. ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم. قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مرآة ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً. ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً. ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسماً. قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصره وسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً)

كان سبب نزول قصة أصحاب الكهف وخبر ذي القرنين ما ذكره محمد بن اسحاق في السيرة وغيره ان قريشاً بشوا إلى اليهود يسألونهم عن اشياء يمتحنون بها رسول الله (ص)، ويسألونه عنها ليختبروا ما يجيب به فيها فقالوا سلوه عن أقوام ذهبوا في الدهر فلا يدري ما صنعوا وعن رجل طواف في الأرض وعن الروح فأنزل الله تعالى (ويسألونك عن الروح. ويسألونك عن ذي القرنين) وقال هبنا (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أي ليسوا بمعجب عظيم بالنسبة إلى ما اطلعناك عليه من الاخبار العظيمة والآيات الباهرة والمعجائب الفريية. والكهف هو الغار في الجبل. قال شعيب الجباني

واسم كهفهم حيزم وأما الرقيم فن ابن عباس أنه قال لا أدري ما المراد به . وقيل هو الكتاب المرقوم فيه
اسماؤهم وما جرى لهم كتب من بدم اختاره ابن جرير وغيره . وقيل هو اسم الجبل الذي فيه كهفهم .
قال ابن عباس وشعيب الجبائي واسمه بناجلوس . وقيل هو اسم واد عند كهفهم وقيل اسم قرية هنالك
والله أعلم

قال شعيب الجبائي واسم كابهم حمران واعتناء اليهود بأمرهم ومعرفة خبرهم يدل على أن زمانهم
متقدم على ما ذكره بعض المفسرين انهم كانوا بعد المسيح وانهم كانوا نصارى . والظاهر من السياق أن
قومهم كانوا مشركين يعبدون الأصنام . قل كثير من المفسرين والمؤرخين وغيرهم كانوا في زمن
ملك يقال له دقيانوس وكانوا من ابناء الاكابر . وقيل من ابناء الملوك واتفق اجتماعهم في يوم عيد لقومهم
فأروا ما يتعاطاه قومهم من السجود للأصنام والتعظيم للآلوان فنظروا بين البصيرة وكشف الله عن
قلوبهم حجاب الغفلة والهمهم رشدهم ففعلوا أن قومهم ليدوا على شيء فخرجوا عن دينهم واتموا الى
عبادة الله وحده لا شريك له . ويقال إن كل واحد منهم لما أوقع الله في نفسه ما هداه اليه من التوحيد
أنحاز عن الناس واتفق اجتماع هؤلاء الفتية في مكان واحد كما صح في البخاري (الارواح جنود مجنونة
فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) فكل منهم سأل الآخر عن امره وعن شأنه فاخبره
ما هو عليه واتفقوا على الانحياز عن قومهم والتبري منهم والخروج من بين أظهرهم والفرار بدينهم
منهم وهو المشروع حال الفتن وظهور الشرور . قال الله تعالى (نحن قص عليك نبأهم بالحق انهم
فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو
من دونه الها لقد قلنا اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين) أي
بدليل ظاهر على ما ذهبوا اليه وصاروا من الامر عليه (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزتموم وما
يعبدون الا الله) أي واذ فارقتهم في دينهم وتبرأتم مما يعبدون من دون الله وذلك لانهم كانوا يشركون
مع الله كما قال الخليل (انني براء مما تعبدون إلا الذي فطرنى فانه سيهدين) وهكذا هؤلاء الفتية قال بعضهم
اذ قد فارقتهم قومكم في دينهم فاعتزلوهم بابدانكم لتسلموا منهم أن يوصلوا اليكم سرا (فأروا الى الكهف
ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرققا) أي يسبل عليكم سترة وتكونوا تحت حفظه
وكنفه ويجعل عاقبة أمركم الى خير كما جاء في الحديث (اللهم أحسن عاقبتنا في الامور كلها وأجرنا
من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة) ثم ذكر تعالى صفة النار الذي آووا اليه وانبأه موجه الى
نحو الشمال واعماقه الى جهة القبلة وذلك افصح الاماكن أن يكون المسكن قلبيا وبابه نحو الشمال فقال (وترى
الشمس اذا طلعت تراور) وقرى تزور (عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال) فاخبر
ان الشمس يعني في زمن الصيف وأشبابه تشرق أول طلوعها في النار في جانبه الغربي ثم تشرع في

الخروج منه قليلاً قليلاً وهو ازورارها ذات اليمين فترفع في جو السماء وتمتلص عن باب الفارم اذا تضيفت لغروب تشرع في الدخول فيه من جهته الشرقية قليلاً قليلاً الى حين الغروب كما هو المشاهد بمثل هذا المكان والحكمة في دخول الشمس اليه في بعض الاحيان أن لا يفسد هواؤه (وهم في نجوة منه ذلك من آيات الله) أي بقاؤهم على هذه الصفة دهرًا طويلاً من السنين لا ياكلون ولا يشربون ولا تتنذى اجسادهم في هذه المدة الطويلة من آيات الله وبرهان قدرته العظيمة (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً وتحسبهم أبقاظاً وهم رقود) قال بعضهم لان اعينهم مفتوحة لئلا تفسد بطول الغمض (وقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قيل في كل عام يتحولون مرة من جنب الى جنب ويحتمل أكثر من ذلك فانه أعلم (وكلبهم باسط ذراعيه بالصيد) قال شعيب الجبائي اسم كلبهم حمران وقال غيره الوصيد اسكفة الباب. والمراد أن كلبهم الذي كان معهم وصحبهم حال افرادهم من قومهم لزمهم ولم يدخل معهم في الكهف بل ربض على بابه ووضع يديه على الوصيد وهذا من جملة أدبه ومن جملة ما اكرموا به فان الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولما كانت التبعية مؤثرة حتى كان في كلب هؤلاء صار باقياً معهم ببقائهم لأن من أحب قومًا سمد بهم فاذا كان هذا في حق كلب فما ظنك بمن تبع أهل الخير وهو أهل للاكرام. وقد ذكر كثير من القصص والمفسرين لهذا الكلب نبأ وخبراً طويلاً أكثره متلقى من الاسرائيليات وكثير منها كذب وما لا فائدة فيه كاختلافهم في اسمه ولونه.

واما اختلاف العلماء في محلة هذا الكهف فقال كثيرون هو بارض ايلة. وقيل بارض نينوى. وقيل بالبلقاء وقيل ببلاد الروم وهو اشبه والله أعلم. ولما ذكر الله تعالى ما هو الانفع من خبرهم والاهم من أمرهم ووصف حالهم حتى كأن السامع راء والخبر مشاهد لصفة كهفهم وكيفيتهم في ذلك الكهف وتقلبهم من جنب الى جنب وان كلبهم باسط ذراعيه بالصيد. قال (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملت منهم رعباً) أي لما عليهم من المهابة والجلالة في أمرهم الذي صاروا اليه ولعل الخطاب ههنا لجنس الانسان المخاطب لا بخصوصية الرسول (ص) كقوله (فما يكذبك بعد بالدين) أي أيها الانسان وذلك لان طبيعة البشرية تفر من رؤية الاشياء المهيبة غالباً ولهذا قال (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملت منهم رعباً) ودل على أن الخبر ليس كالمعينة كما جاء في الحديث لان الخبر قد حصل ولم يحصل الفرار ولا الرعب. ثم ذكر تعالى انه بهم من رقدتهم بعد نومهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين فلما استيقظوا قال بعضهم لبعض كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة) أي بدراهمكم هذه يعني التي معهم الى المدينة ويقال كان اسمها دفسوس (فلينظر ايها أركى طعاماً) أي أطيب مالا (فليأتكم برزق منه) أي بطعام تا كلونه وهذا من زهدهم

وورعهم (وليتلطف) أى فى دخوله اليها (ولا يشمرن بكم أحدا انهم ان يظهروا عليكم يرجوكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا) أى ان عدتم فى ملتهم بعد اذ ائذكم الله منها وهذا كله لظنهم انهم رقدوا يوماً أو بعض يوم أو أكثر من ذلك ولم يحسبوا انهم قدرقدوا أزيد من ثلثمائة سنة وقد تبدلت الدول أطوارا عديدة وتغيرت البلاد ومن عليها وذهب أولئك القرن الذين كانوا فيهم وجاء غيرهم وذهبوا وجاء غيرهم ولهذا لما خرج أحدهم وهو تيدوسيس (١) فيما قيل وجاء الى المدينة متنكرا لئلا يعرفه أحد من قومه فيما يحسبه تنكرت له البلاد واستنكره من يراه من اهلها واستغربوا شكله وصفته ودراهمه فيقال انهم حملوه الى متواليهم وخافوا من أمره أن يكون جاسوساً أو تكون له صولة يخشون من مضرتها فيقال انه هرب منهم ويقال بل أخبرهم خبره ومن معه وما كان من أمرهم فانطلقوا معه ليريهم مكانهم فلما قربوا من الكهف دخل الى اخوانه فاخبرهم حقيقة أمرهم ومقدار ما رقدوا فلعوا أن هذا أمر قدره الله فيقال انهم استمروا راقدين ويقال بل ماتوا بعد ذلك .

وأما أهل البلدة فيقال انهم لم يهتدوا الى موضعهم من الفاروعى الله عليهم أمرهم ويقال لم يستطيعوا دخوله حسا (٢) ويقال مهابة لهم .

واختلفوا فى أمرهم فقائلون يقولون (ابنوا عليهم بنياناً) أى سدوا عليهم باب الكهف لئلا يخرجوا أو لئلا يصل اليهم ما يؤذيهم وآخرون وهم الغالبون على أمرهم قالوا (لنتخذن عليهم مسجداً) أى معبداً يكون مباركا لمجاورته هؤلاء الصالحين . وهذا كان شائعاً فيمن كان قبلنا فلما فى شرعنا فقد ثبت فى الصحيحين عن رسول الله (ص) أنه قال (لئن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبورا نبياهم مساجد) يحذر ما فعلوا وأما قوله (و كذلك أئثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها) فعنى أئثرنا أطلعنا على أمرهم الناس . قال كثير من المفسرين ليعلم الناس أن المعاد حق وان الساعة لا ريب فيها اذا عدوا أن هؤلاء القوم رقدوا أزيد من ثلثمائة سنة ثم قاموا كما كانوا من غير تغير منهم فان من أبقاهم كما هم قادر على إعادة الابدان وان أكتها الديدان وعلى إحياء الاموات وان صارت اجسامهم وعظامهم رقانا وهذا مما لا يشك فيه المؤمنون (إنما أمره اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون) . هذا ويحتمل عود الضمير فى قوله ليعلموا الى أصحاب الكهف إذ علمهم بذلك من أنفسهم ابلغ من علم غيرهم بهم ويحتمل أن يعود على الجميع والله أعلم . ثم قال تعالى (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) فذكر اختلاف الناس فى كيتهم فحكى ثلاثة أقوال وضعف الاولين وقرر الثالث فدل على انه الحق اذ لو قيل غير ذلك لحكاه ولو لم يكن هذا الثالث هو الصحيح

(١) كذا بالاصول والذى فى ابن جرير أن اسمه يملينا وان تيدوسيس فهو اسم الملك الذى كان

(٢) كذا بالاصول ولعله جينا

على المدينة حين قيامهم

لوهاه فدل على ماقلناه ولما كان النزاع في مثل هذا لا طائل نحتة ولا جدوى عنده أرشد نبيه (ص) الى
الادب في مثل هذا الحال اذا اختلف الناس فيه أن يقول الله أعلم . ولهذا قال (قل ربى أعلم بعديهم) وقوله
(ما يعلمهم إلا قليل) أى من الناس فلا تمار فيهم إلا صراء ظاهراً) أى سهلاً ولا تتكلف اعمال الجدال
في مثل هذا الحال ولا تستفت في أمرهم احداً من الرجال ولهذا أبهم تعالى عديهم في أول القصة فقال
(إنهم فتية آمنوا بربهم) ولو كان في تعين عديهم كبير فائدة لذكرها عالم الغيب والشهادة وقوله تعالى
(ولا تقولن لشيء أنى فاعل ذلك غداً إلا ان يشاء الله) واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى
لاقرب من هذا رشداً) ادب عظيم ارشده الله تعالى اليه وحث خلقه عليه وهو ما اذا قال احدهم انى سأفعل
في المستقبل كذا فيشرع له ان يقول ان شاء الله ليكون ذلك تحقيقاً لعزمه لان العبد لا يعلم ما فى غد ولا
يدرى اهنا الذى عزم عليه مقدر ام لا وليس هذا الاستثناء تعليقاً وانما هو الحقيقى ولهذا قال ابن
عباس يصح الى سنة ولكن قد يكون في بعض المحال لهذا ولهذا كما تقدم في قصة سليمان عليه السلام حين قال
لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تلد كل واحدة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله فقيل له قل ان شاء الله فلم
يقبل فطاف فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف انسان قال رسول الله (ص) . والذى نفسى بيده لو
قال ان شاء الله لم يحنث وكان دركاً لحاجته . وقوله (واذكر ربك اذا نسيت) وذلك لان النسيان قد
يكون من الشيطان فذكر الله يطرده عن القلب فيذكر ما كان قد نسيه . وقوله (وقل عسى أن يهدين
ربى لأقرب من هذا رشداً) أى اذا اشتبه أمر واشكل حال والتبس أقوال الناس في شيء فارغب
الى الله يسره لك ويسهله عليك ثم قال (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسماً) . لما كان في
الاخبار بطول مدة لبثهم فائدة عظيمة ذكرها تعالى وهذه التسع المزيده بالقرية وهى لتكميل ثلاثمائة
شمسية فان كل مائة قرية تنقص عن الشمسية ثلاث سنين (قال الله أعلم بما لبثوا) أى اذا سئلت عن مثل
هذا وليس عندك في ذلك هل فرد الامر في ذلك الى الله عز وجل (له غيب السموات والارض)
أى هو العالم بالغيب فلا يظلم عليه إلا من شاء من خلقه أبصر به واسمع) يعنى أنه يضع الاشياء في محالها
بإملاءه التام بخلقها وبما يستحقونه ثم قال (ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحداً) أى ربك المنفرد
بالملك والمنصرف وحده لا شريك له .

قصة الرجلين المؤمن والكافر

قال الله تعالى في سورة الكهف بمد قصة أهل الكهف (واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما
جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً كانوا الجنتين أنت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وجرنا
خلالها نهراً وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً ودخل جنته

وهو ظالم لنفسه قال مأظن أن تبيد هذه أبدا . وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً (إلى قوله (هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقاباً) . قال بعض الناس هذا مثل مضروب ولا يلزم أن يكون واقماً والجمهور أنه أمر قد وقع وقوله (واضرب لهم مثلاً) يعني لكفار قريش في عدم اجتماعهم بالضعفاء والفقراء وازدراؤهم بهم وافتخارهم عليهم كما قال تعالى (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون) كما قدمنا الكلام على قصتهم قبل قصة موسى عليه السلام والمشهور أن هذين كانا رجلين مصطحبين وكان أحدهما مؤمناً والآخر كافراً ويقال إنه كان لكل منهما مال فافق المؤمن ماله في طاعة الله ومرضاه ابتغاء وجهه * وأما الكافر فآه اتخذ له بساتين وهما الجنتان المذكورتان في الآية على الصفة والنعته المذكور. فهما اعناب ونخيل تحف تلك الاعناب والزروع في ذلك والانهار سارحة ههنا وههنا للسقي والتنزه وقد استوتقت فهما الثمار واضطربت فهما الانهار وابتهجت الزروع والثمار وافتخر مالهما على صاحبه المؤمن الفقير قائلاً له (أنا اكثر منك مالا وأعز نفراً) أي أوسع جناها. ومراده انه خير منه ومعناه ماذا أغنى عنك اتفاقك ما كنت تملكه في الوجه الذي صرفته فيه كان الأولى بك أن تفعل كما فعلت لتكون مثلي فافتخر على صاحبه (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه) أي وهو على غير طريقة مرضية قال (مأظن أن تبيد هذه أبدا) وذلك لما رأى من اتساع أرضها وكثرة ماؤها وحسن نبات أشجارها ولو قد بادت كل واحدة من هذه الأشجار لاستخلف مكانها أحسن منها وزروعها دائرة لكثرة مياهها . ثم قال (وما أظن الساعة قائمة) فوثق بزهره الحياة الدنيا الفانية وكذب بوجود الآخرة الباقية الدائمة . ثم قال (ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً) أي ولئن كان ثم آخرة ومعاد فلا جدن هناك خيراً من هذا وذلك لانه اغتر بدنياه واعتقد أن الله لم يعطه ذلك فيها إلا لجه له وحظوته عنده كما قال العاص بن وائل فيما قص الله من خبره وخبر خباب بن الارت في قوله (أفرايت الذي كفر بآياتنا) وقال (لا وتين مالا وولدا . أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً) وقال تعالى اخباراً عن الانسان إذا أنعم الله عليه (ليقولن هذالى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لى عنده للحسنى) قال الله تعالى (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ) وقال قارون (إنما أوتيته على علم عندى) أي لعلم الله بى آتى أستحته قال الله تعالى (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمماً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) وقد قدمنا الكلام على قصته فى اثناء قصة موسى . وقال تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالى تهربكم عندنا لئنى إلا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون) . وقال تعالى (أيجيبون إنما نمدم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون) . ولما اغتر هذا الجاهل بما خول به فى الدنيا فوجد الآخرة وادعى أنها ان وجدت ليجدن عنده به خيراً مما هو فيه وسمعه صاحبه يقول ذلك قال له

(وهو يماوره) أي يجادله (أكفرت بلذي خلقك من تراب ثم من فطنة ثم سواك رجلاً) أي أجدت
المعاد وأنت تعلم أن الله خلقك من تراب . ثم من فطنة ثم صورك أطواراً حتى صرت رجلاً سوياً سميماً
بصيراً تعلم وتبطن وتفههم فكيف أنكرت المعاد والله قادر على البداءة (لكننا هو الله ربى) أي لكن أنا
أقول بخلاف ما قلت وأعتقد خلاف معتقدك (هو الله ربى ولا أشرك ربى أحداً) أي لا أعبد سواه واعتقد
أنه يبعث الاجساد بعد فنائها ويميد الاموات ويجمع العظام الرفات وأعلم أن الله لا شريك له في خلقه ولا
في ملكه ولا إله غيره ثم أرشده إلى ما كان الأولى به أن يسلكه عند دخول جنته فقال (ولولا إذ دخلت
جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) ولهذا يستحب لكل من أعجبه شيء من ماله أو أهله أو حاله أن
يقول كذلك وقد ورد فيه حديث مرفوع في صحته نظر * قال أبو يعلى الموصلى حدثنا جراح بن مخلد حدثنا
عمرو بن يوسف حدثنا عيسى بن عون حدثنا عبد الملك بن زرارة عن أنس قال قال رسول الله (ص)
(ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله) فيرى فيه أنه دون
الموت وكان يتناول هذه الآية (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) قال الحافظ
أبو الفتح الأزدى عيسى بن عون عن عبد الملك بن زرارة عن أنس لا يصح ثم قال المؤمن للكافر
(فسي ربى أن يؤتينا خيراً من جنتك) أي في الدار الآخرة (ويرسل عليها حساباً من السماء) قال
ابن عباس والضحاك وقناة أي عذاباً من السماء . والظاهر أنه المطر المزعج الباهر الذي يقتلع زروعها
وأشجارها فتصبح صعيداً زلقاً) وهو التراب الأملس الذي لا نبات فيه (أو يصبح ماؤها غوراً)
وهو ضد المعين السارح (فإن تستطيع له طلباً) يعني فلا تقدر على استرجاعه قال الله تعالى (وأحيط بشره)
أي جاءه أمر أحاط بجميع حواصله وخرب جنته ودمرها (فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي
خاوية على عروشها) أي خربت بالكسبية فلا عودة لها وذلك ضد ما كان عليه أهل حيث قال (وما أظن
أن تبيد هذه أبداً) وندم على ما كان سلف منه من القول (الذي كفر بسببه بالله العظيم فهو يقول بالينى لم
أشرك ربى أحداً) . قال الله تعالى (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً هنالك)
أي لم يكن أحد يتدارك ما فرط من أمره وما كان له قدرة في نفسه على شيء من ذلك كما قال تعالى (فأله
من قوة ولا ناصر) وقوله (الولاية لله الحق) ومنهم من يبتدىء بقوله (هنالك الولاية لله الحق) وهو
حسن أيضاً لقوله (الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً) فالحكم الذي لا يرد ولا
يمانع ولا يغال في تلك الحال وفي كل حال لله الحق . ومنهم من رفع الحق جعله صفة للولاية وهما
متلازمان وقوله (هو خير ثواباً وخير عقاباً) أي معاملته خير لصاحبها ثواباً وهو الجزاء وخير عقاباً وهو
العاقبة في الدنيا والآخرة . وهذه القصة تضمنت أنه لا ينبغي لأحد أن يركن إلى الحياة الدنيا ولا يفتن

❦❦❦

بها ولا يثق بها بل يجعل طاعة الله والتوكل عليه في كل حال نصب عينيه. وليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه. وفيها أن من قدم شيئاً على طاعة الله والافتقار في سبيله عذب به وربما سلب منه معاملة له بتقيض قصده. وفيها أن الواجب قبول نصيحة الأخ المشفق وإن مخالفته وبال ودمار على من رد النصيحة الصحيحة. وفيها أن الندامة لا تنفع إذا حان القدر وفقد الأمر الحتم بالله المستعان وعليه التكلان *

قصّة أصحاب الجنة

قال الله تعالى ﴿إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرنهم مصبحين. ولا يستثنون. فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون. فأصبحت كالصريم. فتنادوا مصبحين. أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين. فانطلقوا وهم يتخافتون. أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين. وغدوا على حرد قادرين. فلما رأوها قالوا إنا لضالون. بل نحن محرومون. قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون. قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون * قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين * عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون * كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون). وهذا مثل ضربه الله لكفار قريش فيما أنعم به عليهم من إرسال الرسول العظيم الكريم اليهم قبالوه بالكذب والمخالفة كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبئس القرار). قال ابن عباس هم كفار قريش ف ضرب تعالى لهم مثلاً بأصحاب الجنة المشتملة على أنواع الزروع والثمار التي قد انتهت واستحقت أن تجد وهو الصرام ولهذا قال (إذ أقسموا) فيما بينهم (ليصرنهم) أي ليجدنهم وهو الاستغلال (مصبحين) أي وقت الصبح حيث لا يرام فقبر ولا محتاج فيعطوه شيئاً فحلفوا على ذلك ولم يستثنوا في يمينهم فعجزهم الله وسلط عليها الآفة التي أحرقتها وهي السفة التي اجتاحتها ولم تبق بها شيئاً ينتفع به ولهذا قال (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم. أن كالليل الأسود المنصرم من الضياء وهذه معاملة بتقيض المقصود (فتنادوا مصبحين) أي فاستيقظوا من نومهم فنادى بعضهم بعضاً قائلين (اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين) أي باكروا إلى بستانكم فاصرموه قبل أن يرتفع النهار ويكثر السؤال (فانطلقوا وهم يتخافتون) أي يتحدثون فيما بينهم خفية قائلين (لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) أي اتفقوا على هذا واشتوروا عليه (وغدوا على حرد قادرين) أي انطلقوا مجدين في ذلك قادرين عليه مضميرين على هذه النية الفاسدة. وقال عكرمة والشعبي (وغدوا على حرد) أي غضب على المساكين وأبعد السدى في قوله أن اسم حرثهم حرد (فلما رأوها) أي وصلوا إليها ونظروا ما حل بها وما قد ضارت إليه من الصفة المنكرة بعد تلك النضرة والحسن والبهجة فاقبلت بسبب النية الفاسدة فعند ذلك (قالوا إنا لضالون) أي قد نهينا عنها وملكنا غير طريقها ثم قالوا (بل نحن محرومون) أي بل عوقبنا بسبب سوء قصدنا وحرماننا بركة حرثنا (قال أوسطهم). قال ابن عباس

ومجاهد وغير واحد هو أعدلهم وخيرهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) قيل تستثنون قاله مجاهد والسدي وابن جرير وقيل تقولون خيراً بدل ما قلتم من الشر (قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين . فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون . قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين) . فندموا حيث لا ينفع الندم واعترفوا بالذنب بعد العقوبة وذلك حيث لا ينجع وقد قيل ان هؤلاء كانوا اخرة وقد ورثوا هذه الجنة من أبيهم وكان يتصدق منها كثيراً فلما صار أمرها اليهم استهجنوا أمر أبيهم وأرادوا استغلالها من غير أن يعطوا الفقراء شيئاً فعاقبهم الله أشد العقوبة ولهذا أمر الله تعالى بالصدقة من الثمار وحث على ذلك يوم الجداد كما قال تعالى (كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده) ثم قيل كانوا من أهل اليمن من قرية يقال لها ضروان . وقيل من أهل الحبشة والله أعلم قال الله تعالى (كذلك العذاب) أي هكذا نذب من خالف أمرنا ولم يعطف على المحايج من خلقنا (ولعذاب الآخرة أكبر) أي أعظم وأحكم من عذاب الدنيا (لو كانوا يعلمون) . وقصة هؤلاء شبيه بقوله تعالى (ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) قيل هذا مثل مضروب لأهل مكة وقيل هم أهل مكة أنفسهم ضربهم مثلاً لأنفسهم ولا ينافي ذلك والله أعلم اهـ

قصة أصحاب ايلة الزبير اعدوا في سبهم

قال الله تعالى في سورة الاعراف (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيمهم حيتانهم يوم سبئهم شرعاً ويوم لا يسبئون لا تأتيمهم كذلك نبؤهم بما كانوا يفسقون . واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة الى ربكم ولعلمهم يتقون . فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون . فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) وقال تعالى في سورة البقرة (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت قلنا لهم كونوا قردة خاسئين . فجعلناهم نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين) وقال تعالى في سورة النساء (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً) . قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم هم أهل ايلة . زاد ابن عباس بين مدين والطور . قالوا وكانوا منسكين بدين التوراة في تحريم السبت في ذلك الزمان فكانت الحيتان قد الفت منهم السكينة في مثل هذا اليوم وذلك أنه كان يحرم عليهم الاصطياد فيه وكذلك جميع الصنائع والتجارات والمكاسب فكانت الحيتان في مثل يوم السبت يكثر غشيانها لمخلمهم من البحر فتأني من ههنا وههنا ظاهرة آمنة مسترسلة فلا يهيجونها ولا يذعرونها (ويوم لا يسبئون لا تأتيمهم) وذلك لأنهم كانوا يصطادونها فيما عدا السبت

قال الله تعالى (كذلك نلوم) أى نختبرهم بكثرة الحيتان فى يوم السبت (بما كانوا يفسقون) أى بسبب فسقهم المتقدم فلما رأوا ذلك احتالوا على اصطيادها فى يوم السبت بأن نصبوا الجبال والشباك والشصوص وحفروا الحفر التى يجرى معها الماء الى مصانع قد أعدوها إذا دخلها السمك لا يستطيع أن يخرج منها ففعلوا ذلك فى يوم الجمعة فإذا جاءت الحيتان مسترسلة يوم السبت علقبت بهذه المصايد فإذا خرج سببهم أخذوها فغضب الله عليهم ولعنهم لما احتالوا على خلاف أمره وانتهكوا محارمه بالحيل التى هى ظاهرة للناظر وهى فى الباطن مخالفة محضة فلما فعل ذلك طائفة منهم افترق الذين لم يفعلوا فرقتين . فرقة أنكروا عليهم صنيعهم هذا واحتياهم على مخالفة الله وشرعه فى ذلك الزمان . وفرقة أخرى لم يفعلوا ولم ينهوا بل أنكروا على الذين نهوا وقالوا (لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً) يقولون ما الفائدة فى نهيتكم هؤلاء وقد استحقوا العقوبة لا محالة فأجابتهم الطائفة المنكرة بان قالوا (معذرة إلى ربكم) أى فيما أمرنا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فنقوم به خوفاً من عذابه (ولعلهم يتقون) أى ولعل هؤلاء يتركون ما هم عليه من هذا الصنيع فيقيمهم الله عذابه ويعفو عنهم إذا هم رجعوا واستمعوا . قال الله تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به) أى لم يلتفتوا الى من نهاهم عن هذا الصنيع الشنيع الفظيع (انجبتنا الذين ينهون عن سوء) وهم الفرقة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر (وأخذنا الذين ظلموا) وهم المرتكبون الفاحشة (بعذاب بئس) وهو الشديد المؤلم الموجه (بما كانوا يفسقون) . ثم فسر العذاب الذى أصابهم بقوله (فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) . وسند ذكر ماورد من الآيات فى ذلك . والمقصود هنا أن الله اخبر أنه أهلك الظالمين ونجى المؤمنين المنكرين وسكت عن الساكتين . وقد اختلف فيهم العلماء على قولين فقيل إنهم من الناجين وقيل إنهم من الهالكين والصحيح الأول عند المحققين وهو الذى رجع إليه ابن عباس أمام المفسرين وذلك عن مناظرة مولاة عكرمة فكساه من أجل ذلك حلة سفية تكريمة . قلت وإنما لم يذكرها مع الناجين لأنهم وان كرهوا بيواطهم تلك الفاحشة إلا أنهم كان ينبغى لهم أن يحملوا ظواهرهم بالعمل المأمور به من الانكار القولى الذى هو أوسط المراتب الثلاث التى أعلاها الانكار باليد ذات البنان وبمدها الانكار القولى باللسان وثالثها الانكار بالجنان فلما لم يذكرها نجوا مع الناجين إذ لم يفعلوا الفاحشة بل أنكروها . وقد روى عبد الرزاق عن ابن جريج عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس وحكى مالك عن ابن رومان وشيبان عن قتادة وعطاء الخراسانى ما ضمنوه أن الذين ارتكبوا هذا الصنيع اعتزلهم بقية أهل البلد ونهائم من نهائم فلم يقبلوا فكانوا يبيتون وحدهم ويفلقون بينهم وبينهم أبواباً حاجزاً لما كانوا يترقبون من هلاكهم فاصبحوا ذات يوم وأبواب نلجيتهم مغلقة لم يفتحوها وارتفع النهار واشتد الضحاء فأمر بقية أهل البلد رجلاً أن يصعد على سلم ويتصرف عليهم من فوقهم فلما أشرف عليهم إذا هم قردة لها أذنان يتماوون ويتعادون ففتحوا عليهم الأبواب

فجملت القردة تعرف قرابتهم ولا يعرفهم قرابتهم فجعلوا يلوذون بهم ويقول لهم الناهون ألم نهكم عن صنعكم فتشير القردة برؤسها أن نعم . ثم بكى عبد الله بن عباس وقال إنا لنرى منكرات كثيرة ولا ننكرها ولا نقول فيها شيئاً . وقال العوفي عن ابن عباس صار شباب القرية قردة وشيوخها خنازير . وروى ابن أبي حاتم من طريق مجاهد عن ابن عباس أنهم لم يعيشوا إلا فواقاً ثم هلكوا ما كان لهم نسل وقال الضحاك عن ابن عباس أنه لم يمض مسخ قط فوق ثلاثة أيام ولم يأكل هؤلاء ولم يشربوا ولم ينسلوا وقد استقصينا الآثر في ذلك في تفسير سورة البقرة والاعراف . والله الحمد والمنة . وقد روى ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة وخنازير وإنما هو مثل ضربه الله (كمثل الحمار يحمل أسفارا) وهذا صحيح إليه وغريب منه جداً ومخالف لظاهر القرآن ولما نص عليه غير واحد من السلف والخلف والله أعلم * ❦ قصة أصحاب القرية ❦ (إذ جاءها المرسلون) تقدم ذكرها قبل قصة موسى عليه السلام ❦ قصة ساء ❦ سيأتي ذكرها في أيام العرب إن شاء الله تعالى وبه الثقة * ❦ قصة قارون وقصة بلعام ❦ تقدمتا في قصة موسى وهكذا (قصة الخضر) و (قصة فرعون والسحرة) كلها في ضمن قصة موسى و (قصة البقرة) تقدمت في قصة موسى وقصة (الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت) في قصة حزقييل وقصة (الملائم من بني إسرائيل من بعد موسى) في قصة شمويل وقصة (الذي مر على قرية) في قصة عزير *

❦ قصص لقيمان ❦

قال تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد .) وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم . ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون . يا بني إنما إن تلك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأتى بها الله إن الله لطيف خبير . يا بني أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور . ولا تصغر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختار فخور . واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحجر) . هو لقمان بن عنتاب بن سدون . ويقال لقمان بن ثاران حكاه السهيلي عن ابن جرير والقتبي . قال السهيلي وكان نوبيا من أهل أيلة . قلت وكان رجلاً صالحاً ذا عبادة وعبارة وحكمة عظيمة . ويقال كان قاضياً في زمن داود عليه السلام فله أعلم . وقال سنين الثوري عن الأشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال كان

عبدًا حبشيًا نجارًا . وقال قتادة عن عبد الله بن الزبير قلت لجابر بن عبد الله ما انتهى اليكم في شأن لقمان قال كان قصيرا لافطس من النبوة . وقال يحيى بن سعيد الانصارى عن سعيد بن المسيب قال كان لقمان من سودان مصر ذو مشافر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة . وقال الأوزاعي حدثني عبد الرحمن بن حرملة قال جاء أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد لا تحزن من أجل أنك أسود فانه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا ذا مشافر . وقال الاعمش عن مجاهد كان لقمان عبدًا أسود عظيم الشفتين مشتق القدمين وفي رواية مصفح القدمين . وقال عمر بن قيس كان عبدًا أسود غليظ الشفتين مصفح القدمين فاتاه رجل وهو في مجلس أناس يتحدثون فقال له ألسنت الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا قال نعم قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني رواه ابن جرير عن ابن حميد عن الحكم عنه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الرحمن ابن أبي يزيد بن جابر قال إن الله رفع لقمان الحكيم لحكمته فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال ألسنت عبد بن فلان الذي كنت ترعى غنمي بالأمس قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال قدر الله واداء الأمانة وصدق الحديث وترك ما لا يعنيني وقال ابن وهب أخبرني عبد الله بن عياش الفتياني عن عمر مولى عفرة قال وقف رجل على لقمان الحكيم فقال أنت لقمان أنت عبد بنى النحاس قال نعم قال فأنت راعي الغنم الأسود قال أما سوادى فظاهر فما الذى يعجبك من أمرى قال وطء الناس بساطك وغشيم بابك ورضاهم بقولك قال يا ابن أخي إن صنعت ما أقول لك كنت كذلك قال ما هو قال لقمان غضى بصرى وكفى لسانى وعفة مطمى وحفظى فرجى وقيامى بعدنى ووفائى بهدى وتكرمتى ضيفى وحفظى جارى وتركى ما لا يعنينى فذاك الذى صيرنى كما ترى وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن فضيل حدثنا عمرو بن واقد عن عبدة ابن رباح عن ربيعة عن أبي الدرداء أنه قال يوما وذكر لقمان الحكيم فقال ما أوتى عن أهل ولا مال ولا حسب ولا خصال ولكنه كان رجلا ضمامة سكينًا طويل التفكير عميق النظر لم ينم نهاراً قط ولم يره أحد يمزق ولا يتنحج ولا يبول ولا يتغوط ولا يغتسل ولا يعبت ولا يضحك وكان لا يعيد منطلقاً نطقه إلا أن يقول حكمة يستعيدها إياه أحد وكان قد تزوج وولد له أولاد فأتوا فلم يبك عليهم وكان يفتش السلطان ويأتى الحكام لينظر ويتفكر ويتمبر فبذلك أوتى ما أوتى * ومنهم من زعم أنه عرضت عليه النبوة فخاف أن لا يقوم بعبائنها فاختار الحكمة لأنها أسهل عليه وفي هذا نظر والله أعلم . وهذا مروى عن قتادة كما سنذكره . وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق وكيع عن اسراييل عن جابر الجعفي عن عكرمة أنه قال كان لقمان نبياً وهذا ضعيف لحال الجعفي .

ببب

والمشهور عن الجمهور أنه كان حكيماً ولياً ولم يكن نبياً وقد ذكره الله تعالى في القرآن قائمى عليه وحكى من كلامه فيما وعظ به ولده الذى هو أحب الخلق اليه وهو أشفق الناس عليه فكان من أول ما وعظ به أن قال (يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك اظلم عظيم) . فهاه عنه وحذره منه . وقد قال البخارى حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب رسول الله (ص) وقالوا أينالم يلبس ايمانه بظلم فقال رسول الله (ص) إنه ليس بذلك ألم تسمع الى قول لقمان (يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) رواه مسلم من حديث سليمان بن مهران الاعمش به ثم اعترض تعالى بالوصية بالوالدين وبيان حقهما على الولد وتأكده وأمر بالاحسان اليهما حتى ولو كانا مشركين ولكن لا يطاعان على الدخول فى دينهما الى أن قال مخبراً عن لقمان فيما وعظ به ولده (يا بنى أنها ان تك مثقال حبة من خردل فتسكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله إن الله لطيف خبير) ينهاه عن ظلم الناس ولو بحجة خردل فان الله يسأل عنها ويحضرها حوزة الحساب ويضعها فى الميزان كما قال تعالى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) وقال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) وأخبره أن هذا الظلم لو كان فى الحفارة كالخردلة ولو كان فى جوف صخرة صماء لا باب لها ولا كوة أولو كانت ساقطة فى شىء من ظلمات الارض أو السموات فى اتساعها وامتداد أرجائها لعلم الله مكانها (إن الله لطيف خبير) أى علمه دقيق فلا يخفى عليه الدر مما تراى للنواظر أو توارى كما قال تعالى (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين) وقال (وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين) وقال (عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصفر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين) وقد زعم السدى فى خبره عن الصحابة أن المراد بهذه الصخرة الصخرة التى تحت الارضين السبع وهكذا حكى عن عطية العوفى وأبى مالك والثورى والمنهال بن عمر وغيرهم وفى صحة هذا القول من أصله نظر . ثم ان فى هذا هو المراد نظر آخر فان هذه الآية نكرة غير معرفة فلو كان المراد بها ما قالوه لقال فتسكن فى الصخرة وانما المراد فتسكن فى صخرة أى صخرة كانت كما قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله (ص) قال لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كئنا ما كان ثم قال (يا بنى أقم الصلاة) أى أدها بجميع واجباتها من حدودها وأوقاتها وركوعها وسجودها وطأنتها وخشوعها وما شرع فيها واجتنب ما ينهى عنه فيها . ثم قال (وامر بالمعروف وانه عن المنكر) أى ببجهدك وطاقتك أى ان استطعت باليد وبالبدن والا فبلسانك فان لم تستطع فبقلبك ثم أمره بالصبر فقال (واصبر على ما أصابك) وذلك ان

الآسر بالمعروف والناهي عن المنكر في مظنة أن يعادى وينال منه ولكن له العاقبة ولهذا أمره بالصبر على ذلك ومعلوم أن عاقبة الصبر الفرج وقوله (ان ذلك من عزم الأمور) التي لا بد منها ولا محيد عنها . وقوله (ولا تصعر خدك للناس) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة والضحاك يزيد بن الاصم وأبو الجوزاء وغير واحد معناه لا تتكبر على الناس وتميل خدك حال كلامك لهم وكلامهم لك على وجه التكبر عليهم والازدراء لهم . قال أهل اللغة وأصل الصعر داء يأخذه الأبل في أعناقها فتلتوى رؤسها فشبه به الرجل المتكبر الذي يميل وجهه إذا كالم الناس أو كما هو على وجه التعظيم عليهم قال أبو طالب في شعره

وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نُهْرُ ظُلَامَةً إِذَا مَا تَنَوَّضُورِ الْخُدُودِ تُقِيمُهَا

وقال عمرو بن حبي التغلبي وكُنَّا إِذَا الْجِبَارُ صَمَّرَ خَدَّهُ أَقْمَنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّمَا

وقوله (ولا تمس في الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور) ينهاه عن التبختر في المشية على وجه العظمة والفخر على الناس كما قال تعالى (ولا تمس في الأرض مرحا انك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) . يعني لست بسرعة مشيك تقطع البلاد في مشيتك هذه ولست بدقك الأرض برحلك تحرق الأرض بوطنك عليها ولست بتشاخحك وتماظمك وترفعك تبلغ الجبال طولا فاتمده على نفسك فلست تعدو قدرك . وقد ثبت في الحديث بينا رجل يمشى في برديه يتبختر فيهما اذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وفي الحديث الآخر (اياك واسبال الازار قائمها من الخيلة لا يجبهها الله) كما قال في هذه الآية (ان الله لا يحب كل مختال فخور) ولما نهاه عن الاختيال في المشي أمره بالقصد فيه فانه لا بد له أن يمشى فنهاه عن الشر وأمره بالخير فقال واقصد في مشيك أي لا تتباطأ مفرطاً ولا تسرع اسرعا مفرطاً ولكن بين ذلك قواما كما قال تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) ثم قال (وأغضض من صوتك) يعني اذا تكلمت لا تتكاف رفع صوتك فان أرفع الاصوات وأنكرها صوت الحير . وقد ثبت في الصحيحين الامر بالاستمادة عند سماع صوت الحير بالليل فانها رأت شيطاناً ولهذا نهى عن رفع الصوت حيث لا حاجة اليه ولا سيما عند العطاس فيستحب خفض الصوت وتخمين الوجه كما ثبت به الحديث من صنيع رسول الله ص . فلما رفع الصوت بلاذان وعند الدعاء الى الفة للقتال وعند الاهلاك ونحو ذلك فذلك مشروع فهذا مما قصه الله تعالى عن ائمان عليه السلام في القرآن من الحكم والوصايا النافعة للجامعة للخير المانعة من الشر وقد وردت آثار كثيرة في أخباره ومواعظه وقد كان له كتاب يؤثر عنه يسمى بحكمة لقمان ونحن نذكر من ذلك ما تيسر إن شاء الله تعالى .

قال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحاق أنبأنا ابن المبارك أنبأنا سفيان أخبرني نبيك بن يجمع الضبي

عن قرظة عن ابن عمر قال أخبرنا رسول الله (ص)، قال إن لقمان الحكيم كان يقول إن الله إذا استودع شيئاً حفظه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن موسى بن سليمان عن القاسم بن مخيمرة أن رسول الله (ص)، قال قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني إياك والتقنع فانه مخونة بالليل مذمة بالنهار وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عماره حدثنا ضمرة حدثنا السري بن يحيى قال لقمان لابنه (يا بني إن الحكمة أجلت المساكين مجالس الملوك) وحدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا عبد الرحمن المسعودي عن عون بن عبد الله قال قال لقمان لابنه يا بني إذا أتيت ندى قوم فادمهم بسهم الاسلام يعني السلام ثم اجلس بناحيهم فلا تنطق حتى تراهم قد نظفوا فان أفاضوا في ذكر الله فاجل سهمك معهم وان أفاضوا في غير ذلك فحول عنهم الى غيرهم وحدثنا أبي حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا ضمرة عن حفص بن عمر قال وضع لقمان جراباً من خردل الى جانبه وجعل يعظ ابنه وعظة ويخرج خردلة حتى فسد الخردل فقال يا بني لقد وعظتك وعظة لو وعظها جبل تفقدت قال فتفطر ابنه. وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عبد الباقي المصيصي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الحراني حدثنا عثمان ابن عبد الرحمن الطرائفي عن ابن سفيان المقدسي عن خليفة بن سلام عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص)، (اتخذوا السودان فان ثلاثة منهم من أهل الجنة لقمان الحكيم والنجاشي وبلال المؤذن قال الطبراني يعني الحبشي وهذا حديث غريب منكر وقد ذكر له الامام أحمد في كتاب الزاهد ترجمة ذكر فيها فوائد مهمة جمعة فقال حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن رجل عن مجاهد (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قال الفقه والاصابة في غير نبوة. وكذا روى عن وهب بن منبه وحدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال كان لقمان عبداً حبشياً وحدثنا اسود حدثنا حماد عن علي بن يزيد عن سعيد بن المسيب أن لقمان كان خياطاً وحدثنا سياد حدثنا جعفر حدثنا مالك يعني بن دينار قال قال لقمان لابنه يا بني اتخذ طاعة الله تجارة تأتلك الأرباح من غير بضاعة. وحدثنا يزيد حدثنا أبو الأشهب عن محمد بن واسع قال كان لقمان يقول لابنه يا بني اتق الله ولا ترى الناس أنك تخشى الله ليكرموك بذلك وقلبك فاجر. وحدثنا يزيد بن هرون وو كيع قال حدثنا أبو الأشهب عن خالد الربيعي قال كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً فقال له سيده اذبح لي شاة فذبح له شاة فقال اتقني يا طبيب مضغتين فيها فأتاه باللسان والقلب فقال اما كان فيها شيء أطيب من هذين قال لا قال فسكت عنه ماسكت ثم قال له اذبح لي شاة فذبح له شاة فقال له وأتق أخبثها مضغتين فرمى باللسان والقلب فقال أمرتك أن تأتيني بأطيبها مضغتين فأتيتني باللسان والقلب وأمرتك أن تلقي أخبثها مضغتين فألقيت اللسان والقلب فقال له إنه ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا. وحدثنا داود بن رشيد حدثنا ابن المبارك حدثنا معمر عن أبي عثمان رجل من أهل البصرة يقال له الجعد أبو عثمان قال قال لقمان لابنه لا ترغب في ود الجاهل

فيري أنك ترضى عمله ولا تهاون بمقت الحكيم فيزهده فيك . وحدثنا داود بن أسيد حدثنا اسماعيل ابن عياش عن ضمضم ابن زرعة عن شريح بن عبيد الخنزي عن عبد الله بن زيد قال قال لقمان ألا أن يد الله على أفواه الحكماء لا يتكلم أحدهم إلا ما هيا الله له . وحدثنا عبد الرزاق سمعت بن جريج قال كنت أقنع رأسي بالليل فقال لي عمر أما علمت أن لقمان قال القناع بالنهار مذلة معذرة أو قال معجزة بالليل فلم تقنع رأسك بالليل قال قلت له إن لقمان لم يكن عليه دين . وحدثني حسن بن الجنيد حدثنا سفيان قال لقمان لابنه يا بني ما ندمت على السكوت قط وان كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب . وحدثنا عبد الصمد ووكيم قالا حدثنا أبو الاشهب عن قتادة أن لقمان قال لابنه يا بني اعتزل الشر يمتزك فإن الشر للشر خلق . وحدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال مكتوب في الحكمة يا بني إياك والرغب فان الرغب كل الرغب يبعد القريب من القريب ويزيل الحكم كما يزيل الطرب . يا بني إياك وشدة الغضب فان شدة الغضب ممحقة لقواد الحكيم . قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة عن عبيد بن عمير قال قال لقمان لابنه وهو يعظه (يا بني اختر المجالس على عينك فاذا رأيت المجلس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم فانك إن تك عالماً ينفعك علمك وإن تك غيباً يلعوك وإن يطلع الله عليهم برحمة تصيبك معهم . يا بني لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر الله فيه فانك إن تك عالماً لا ينفعك علمك وإن تك غيباً يزيدوك غيباً وإن يطلع الله إليهم بعد ذلك بسخط يصيبك معهم يا بني لا تنبطوا أمراء رحب الذراعين يسفك دماء المؤمنين فان له عند الله قاتلاً لا يموت . وحدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال مكتوب في الحكمة (بنى لتكن كلتك طيبة وليكن وجهك بسطاً تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء) وقال مكتوب في الحكمة أو في التوراة (الرفق رأس الحكمة) وقال مكتوب في التوراة كما ترحمون ترحمون وقال مكتوب في الحكمة (كما ترزحون تمصدون) وقال مكتوب في الحكمة أحب خليك أو خليل أريك . وحدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة قال (قيل للقمان أي الناس أصبر قال صبر لا يتبعه أذى . قيل فأى الناس أعلم قال من ازداد من علم الناس إلى علمه . قيل فأى الناس خير قال الفنى . قيل الفنى من المال قال لا ولكن الفنى الذى إذا التمس عنده خير وجد والا أغنى نفسه عن الناس .

وحدثنا سفيان هو ابن عيينة قال قيل للقمان أي الناس شر قال الذى لا يبالي أن يراه الناس مسيطراً . وحدثنا أبو الصمد عن مالك بن دينار قال وجدت في بعض الحكمة يمدد الله عظام الذين يتكلمون باهواء الناس ووجدت فيها لا خير لك في أن تعلم ما لم تعلم وما تعمل بما قد علمت فان مثل ذلك مثل رجل احتطب حطباً فحزم حزمة ثم ذهب يحملها فعبز عنها فضم إليه أخرى . وقال عبد الله بن أحمد حدثنا الحكم بن أبي زهير وهو الحكم بن موسى حدثنا الفرغ بن فضالة عن أبي سعيد قال قال لقمان لابنه

(يأبى لا يأكل طعامك إلا الاقبياء وشاور في أسرك العلماء . وهذا مجموع ما ذكره الامام أحمد في هذه المواضع وقد قدمنا من الاكثر كثيراً لم يروها كما أنه ذكر أشياء ليست عندنا والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا العباس بن الوليد حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال خير الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة تلى النبوة قال فأتاه جبريل وهو قائم فدر عليه الحكمة قال فأصبح ينطق بها . قال سعد سمعت قتادة يقول قيل للقمان كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك فقال إنه لو أرسل إلى بالنبوة عزيمة لرجوت فيه الفوز منه ولكنك أرجو أن أقوم بها ولكن خيرني فحفت أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب إلى . وهذا فيه نظر لأن سعيد بن بشير عن قتادة قد تكلموا فيه والذي رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قال يعني الفقه والاسلام ولم يكن نبياً ولم يوح اليه . وهكذا نص على هذا غير واحد من السلف منهم مجاهد وسعيد بن المسيب وابن عباس والله أعلم *

قصص اصحاب اللعن

قال الله تعالى (والسما ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود. اذم عليها قومود. وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود. وما نعموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) . قد تكلمنا على ذلك مستقصى في تفسير هذه السورة والله الحمد . وقد زعم محمد بن اسحاق أنهم كانوا بعد مبعث المسيح وخالفه غيره فزعموا أنهم كانوا قبله . وقد ذكر غير واحد أن هذا الصنيع مكرر في العالم مراراً في حق المؤمنين من الجبارين الكافرين ولكن هؤلاء المذكورون في القرآن قد ورد فيهم حديث مرفوع واثر أورده ابن اسحاق وهما متعارضان وها نحن نوردنا لتقف عليهما . قال الامام أحمد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله (ص) قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال لملك اني قد كبرت سنن وحضر أجلى فادفع إلى غلاماً فلأعلمه السحر فدفن إليه غلاماً فكان يعلمه السحر وكان بين الملك وبين الساحر راهب فأتى الملام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال ما حبسك وإذا أتى أهله ضربه وقالوا ما حبسك فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا أراد الساحر أن يضربك قتل حبسني أهلي وإذا أراد أهلك أن يضربوك قتل حبسني الساحر قال فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا قال اليوم أعلم أمر الساحر أحب إلى الله أم أمر الراهب قال فأخذ حجراً فقال اللهم إن كان أمر الراهب

أحب اليك وأرضي من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس ورمهاها تقتلها ومضى فأخبر الراهب بذلك فقال أي بني أنت أفضل مني وإنك ستبلى فإن ابتليت فلا تدل على فكان الغلام يبرئ الأكمة والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم الله على يديه وكان جليس الملك فسمى فسمع به فآله بهدايا كثيرة فقال اشفي ولك ما هبنا اجمع فقال ما أنا اشفي أحدا إنما يشفي الله عز وجل فإن آمنت به ودعوت الله شفاك فأمن فدعا الله فشفاه. ثم أتى الملك فجلس معه نحو ما كان يجلس فقال له الملك يا فلان من رد عليك بصرك فقال ربي قال أنا قال لا ربي وربك الله قال ولك رب غيري قال نعم ربي وربك الله فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فأتى به فقال أي بني بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمة والأبرص وهذه الادواء قال ما أشفي أنا أحداً إنما يشفي الله عز وجل قال أنا قال لا قال أولئك رب غيري قال ربي وربك الله قال فاخذه أيضاً بالمذاب ولم يزل به حتى دل على الراهب فأتى الراهب فقال ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شفاه وقال للاعشى ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شفاه وقال للغلام ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا وقال إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه والا فدهدوه فذهبوا به فلما علوا الجبل قال اللهم أكنفيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فدهدوهوا أجمعون وجاء الغلام يتلصص حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله فبعث به مع نفر في قرقرة فقال إذا لجمتم البحر فان رجع عن دينه والا فاغرقوه في البحر فلبججوا به البحر فقال الغلام (اللهم أكنفيهم بما شئت ففرقوا أجمعون وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله ثم قال للملك انك لست بقاتلي حتى قتل ما أمرك به فإن أنت قتل ما أمرك به قتلتي والا فانك لا تستطيع قتلي قل وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصليني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي. ثم قل بسم الله رب الغلام فانك اذا قتل ذلك قتلتي قتل ووضعت السهم في كبد القوس ثم رماه وقال بسم الله رب الغلام فوق السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام قيل للملك أرايت ما كنت تحذر قد والله نزل بك قد آمن الناس كلهم قامر باقواء السكك فخر قبيها الاخايد وأضمرت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه والا فاقحموه فيها وقال فكاتبوا يتعاضون فيها ويتواقفون فجاءت امرأة ابن لها ترصه فكاتبها تعاضت أن تهم في النار فقال الصبي اصبري يا أمه فانك على الحق كذا رواه الامام احمد ورواه مسلم والنسائي من حديث حماد بن سلمة زاد النسائي وحماد بن زيد كلاهما عن ثابت بن ورواه الترمذي من طريق عبد الرزاق عن ممر عن ثابت بإسناده نحوه وجرده ابراهه كما بعطنا ذلك في التفسير وقد أورد محمد بن اسحاق هذه القصة على وجه آخر فقال حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب وحدثني أيضا بعض أهل نجران عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يبدون الاوثان وكان في

قرية من قراها قرياً من نجران (ونجران هي القرية العظيمة التي إليها جماع أهل تلك البلاد) ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فيموت ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابن منبه قالوا رجل نزلنا فابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر فبث التامر ابنه عبد الله بن التامر مع غلمان أهل نجران فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم فوحده الله وعبدته وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا قه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم وكان يعلمه فكتمه إياه وقال له يا ابن أخي إنك لن تحمله أخشى ضعفك عنه والتامر لا يظن إلا أن ابنه عبد الله يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضعفه فيه عمد إلى قداح فجمعها ثم لم يبق لله أسما يعلمه إلا كتبه في قدح لكل اسم قدح حتى إذا أحصاها أو قد تراءى ثم جعل يقذفها قدحاً قدحاً حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدره فوثب القدر حتى خرج منها لم تضره شيئاً فأخذه ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذي قد كتبه فقال وما هو قال كذا وكذا قال وكيف علمته فأخبره بما صنع قال أي ابن أخي قد أصبته فأمسك على نفسك وما أظن أن تفعل فجعل عبد الله بن التامر إذا دخل نجران لم يلق أحداً به ضر إلا قال يا عبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني وأدعو الله لك فيعافيك عما أنت فيه من البلاء ودعا له فعوفي حتى رفع شأنه إلى ملك نجران فدعاه فقال أفسدت على أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي لا مثلن بك قال لا تقدر على ذلك فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع إلى الأرض مابه بأس وجعل يبعث به إلى مياه بنجران بحور لا يلقى فيها شيء إلا هلك فيلقى به فيها فيخرج ليس به بأس فلما غلبه قال له عبد الله بن التامر والله لا تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به فانك إن فعلت سلطت على قتلتي قال فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن التامر ثم ضربه بمصافي يده فشبجه شجرة غير كبيرة قتله وهلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن التامر وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحكمه ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحزاب فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران قال ابن اسحاق فهذا حديث محمد بن كعب وبعض أهل نجران عن عبد الله بن التامر قاله أعلم أي ذلك كان قال فسار إليهم ذو نواس بجندته فدعاهم إلى اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاختروا القتل فخذوا الأخدود وحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم قتل منهم قرياً من عشرين الفا فني ذى نواس وجندته أنزل الله على رسوله (قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود الآيات) وهذا يقتضي أن هذه القصة غير ما وقع في سياق مسلم وقد زعم بعضهم أن الأخدود وقع في العالم كثيراً كما قال ابن أبي حاتم. حدثنا أبو العيمان أن أبا ناصفوان عن عبد الرحمن ابن جبير قال كانت الأخدود في اليمن زمان تبع وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى

قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد وأخذ أتوا التي فيه النصراني الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد وفي العراق في أرض بابل في زمان بخت نصر حين صنم الصنم وأمر الناس فسجدوا له فامتنع دانيال وصاحباؤه عزريا ومشاييل فأوقد لهم أتونا والتي فيها الحطب والنار ثم القاها فيه فجعلها الله عليهم برداً وسلاماً وأهدم منها والتي فيها الذين بنوا عليه وهم تسعة رهط فاكلتهم النار وقال اسباط عن السدي في قوله (قتل أصحاب الاخدود) قال كان الاخدود ثلاثة خد بالشام وخذ بالعراق وخذ باليمن رواه بن أبي حاتم . وقد استقصيت ذكر أصحاب الأخدود والكلام على تفسيرها في سورة البروج والله الحمد والمنة *

بَيَانُ لَهْفَةِ فِي الرَّوَدِ عَنْ رِخْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ

قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا همام حدثنا زيد بن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) قال (حدثوا عني ولا تكذبوا علي ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج) . وقال أيضاً حدثنا عفان حدثنا همام أن ابناً زيدا بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) قال (لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن فمن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحاه وقال حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج حدثوا عني ولا تكذبوا علي قال ومن كذب علي قال همام احسبه قال متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) وهكذا رواه مسلم والنسائي من حديث همام ورواه أبو عوانة الاسفرايني عن أبي داود السجستاني عن هبة عن همام عن زيد بن أسلم به ثم قال قال أبو داود اخطأ فيه همام وهو من قول أبي سعيد كذا قال وقد رواه الترمذي عن سفيان عن وكيع عن سفيان بن عيينة عن زيد بن أسلم ببعضه مرفوعاً قاله أعلم قال الامام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم أن ابناً الاوزاعي حدثنا حسان بن عطية حدثني أبو كبشة السلولي أن عبد الله بن عمرو بن العاص حدثه أنه سمع رسول الله (ص) يعني يقول بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . ورواه أحمد أيضاً عن عبد الله بن نمير وعبد الرزاق كلاهما عن الاوزاعي به وهكذا رواه البخاري عن أبي عاصم النبيل عن الاوزاعي به وكذا رواه الترمذي عن بندار عن أبي عاصم ثم رواه عن محمد بن يحيى الذهلي عن محمد بن يوسف العرياني عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية وقال حسن صحيح وقال أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المثنى أبو موسى حدثنا هشام بن معاوية حدثنا أبي عن قتادة عن أبي حسان عن عبد الله بن عمرو قال كان نبي الله (ص) يحدثنا عامة ليلة عن بني اسرائيل حتى أصبح ماقوم فيها الا لمعظم صلاة ورواه ابو داود عن محمد بن مثنى ثم قال البزار حدثنا محمد بن مثنى حدثنا عفان حدثنا ابو هلال عن قتادة عن ابى حسان عن عمران بن حسين قال كان رسول الله (ص) يحدثنا

عامة ليلة عن بني اسرائيل لا يقوم الا لمعظم صلات قال البزار وهشام احفظ من أبي هلال يعني أن الصواب عن عبد الله بن عمرو لا عن عمران بن حصين والله أعلم . وقال الامام أحمد حدثنا يحيى هو القطان عن محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة عن النبي (س) قال حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج اسناد صحيح ولم يخرجوه . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا وكيع حدثنا ربيع بن سعد الجمعي عن عبد الرحمن ابن سابط عن جابر قال قال رسول الله (س) ، حدثوا عن بني اسرائيل فانه قد كان فيهم الاعاجيب ثم أنشأ يحدث (س) : قال خرجت طائفة من بني اسرائيل حتى أتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لوصلينا ركعتين ودعونا لله عز وجل فيخرج لنا رجلا قد مات نسائله يحدثنا عن الموت ففعلوا فينا هم كذلك اذا أطلع رجل رأسه من قبر من تلك القبور بين عينيه أثر السجود فقال ياهؤلاء ما أردتم الى فقد مت منذ مائة عام فما سكنت عنى حرارة الموت حتى الآن فادعوا الله أن يعيدنى كما كنت وهذا حديث عريب اذا قرر جواز الرواية عنهم فهو محمول على ما يمكن أن يكون صحيحا فاما ما يعلم أو يظن بطلانه لمخالفته الحق الذى بايدنا عن المعصوم فذاك متروك مردود لا يرجع عليه ثم مع هذا كاه لا يلزم من جواز روايته أن تعتقد صحته لما رواه البخارى قائلا حدثنا محمد بن يسار حدثنا عثمان بن عمر حدثنا على بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويمسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله (س) : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل اليكم وإلها وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) تفرد به البخارى من هذا الوجه . وروى الامام أحمد من طريق الزهرى عن أبي نملة الانصارى عن أبيه أنه كان جالسا عند رسول الله (س) فقال اذا جاء رجل من اليهود فقال يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة فقال رسول الله (س) : الله أعلم فقال اليهودى أنا أشهد أنها تتكلم فقال رسول الله (س) : (اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورساله فان كان حقا لم تكذبوهم وان كان باطلا لم تصدقوهم) تفرد به أحمد وقال الامام أحمد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا هشيم أنبأنا مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي (س) ، بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي (س) قال ففضب وقال امهوكون فيها يا ابن الخطاب والذى نفسى به لقد جئتكم به بيضاء قية لا تسألون عن شئ فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو باطل فتصدقوا به والذى نفسى به لو أن موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعنى . تفرد به أحمد واسناده على شرط مسلم فهذه الاحاديث دليل على أنهم قد بدلوا ما بأيديهم من الكتب السماوية وحرفوها واولوها ووضعوها على غير مواضعها ولا سيما ما يدونه من العربات التى لم يحيطوا بها علما وهى بلغتهم فكيف يعبرون عنها بتدويرها ولاجل هذا وقع فى تعريبهم خطأ كبير ووم كثير مع ما لهم من المقاصد الفاسدة والآراء الباردة وهذا يتحققه من نظر فى

كتبهم التي بأيديهم وتأمل ما فيها من سوء التعبير وقبيح التبديل والتغيير وبالله المستعان وهو نعم المولى ونعم النصير . وهذه التوراة التي يبدونها ويخفون منها كثيرا فيما ذكروه فيها تحريف وتبديل وتغيير وسوء تعبير يعلم من نظر فيها وتأمل ما قالوه وما أبدوه وما أخفوه وكيف يسوغون عبارة فاسدة البناء والتركيب باطلة من حيث معناها وألفاظها . وهذا كعب الاحبار من أجود من يتقل عنهم وقد أسلم في زمن عمر وكان يتقل شيئا عن أهل الكتاب فكان عمر رضى الله عنه يستحسن بعض ما يتقله لما يصدقه من الحق وتأليفا لقلبه فتوسع كثير من الناس في أخذ ما عنده وبالغ أيضا هو في قل تلك الأشياء التي كثير منها ما يساوى مداده . ومنها ما هو باطل لا محالة . ومنها ما هو صحيح لما يشهد له الحق الذي بأيدينا . وقد قال البخارى وقل أبو اليان حدثنا شعيب عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة . وذكر كعب الاحبار فقال ان كان من اصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب يعنى من غير قصد منه . وروى البخارى من حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أنه قال . كيف يسألون أهل الكتاب عن شئ وكتابكم الذى أنزل الله على رسوله أحدث الكتب بالله تقرأونه محضا لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا الا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذى أنزل عليكم وروى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود أنه قال لا تسألوا أهل الكتاب عن شئ فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا إما ان تكذبوا بحق أو تصدقوا باطل والله أعلم *

قصة جريج (أحد رعايا بني اسرائيل)

قال الامام أحمد حدثنا وهب بن جرير حدثني أبي سمعت محمد بن سيرين يحدث عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) . لم ينكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم قال وكان في بني اسرائيل رجل عابد يقال له جريج فابتنى صومعة وتعبد فيها قال فذكر بنو اسرائيل عبادة جريج فقالت بنى منهم لن شتم لافتنه قالوا قد شئنا ذلك قال فاتته فتمرضت له فلم يلتفت اليها فامكنت نفسها من راع كان يهودى غنمه الى أصل صومعة جريج فحملت فولدت غلاما قالوا ممن قالت من جريج فاتوه فاستنزوه فشتموه وضربوه وهدموا صومعته فقال ما شأنكم قالوا انك زينت بهذه البغي فولدت غلاما قال وأين هو قالوا هو هذا قال فقام فصلى ودعا ثم انصرف الى الغلام فطعنه باصبعه فقال بالله يا غلام من أبوك قال انا ابن الراعى فوثبوا الى جريج فجلوا يقبلونه وقالوا بنى صومعتك من ذهب قال لا حاجة لي في ذلك ابنوها من طين كما كانت قال وبينما امرأة في حجرها ابن لها ترضعه اذ مر بها راكب ذو شارة قالت

اللهم اجعل ابني مثل هذا قال فترك نديها وأقبل على الراكب فقال اللهم لا تجعلني مثله قال ثم عاد الى نديها فصه . قال أبو هريرة فكأنني أنظر الى رسول الله (ص) يحكي صنيع الصبي ووضع اصبعه في فيه يمصها . ثم مرت بأمة تضرب قالت اللهم لا تجعل ابني مثلها قال فترك نديها وأقبل على الامة قال اللهم اجلني مثلها قال فذاك حين تراجع الحديث قالت خلقي مر الراكب ذو الشارة قتل اللهم اجعل ابني مثله قتل اللهم لا تجعلني مثله ومررت بهذه الامة قتل اللهم لا تجعل ابني مثلها قتل اللهم اجلني مثلها قال يا أمتاه ان الراكب ذو الشارة جبار من الجبابرة وان هذه الامة يقولون زنت ولم تزن وسرقت ولم تسرق وهي تقول حسبي الله وهكذا رواه البخاري في أحاديث الانبياء وفي المظالم عن مسلم بن ابراهيم ومسلم في كتاب الادب عن زهير بن حرب عن يزيد بن هرون كلاهما عن جرير بن حازم به طريق أخرى وسياق آخر .

قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال عن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال كان جريج يتعبد في صومته قال فأتته أمه فقالت يا جريج أنا أمك وكنتي قال وكان أبو هريرة يصف كيف كان رسول الله (ص) وضع يده على حاجبه الايمن قال وصادفته يصلي قال يارب أمي وصلاتي فاختر صلته فرجعت ثم أتته فصادفته يصلي فقالت يا جريج أنا أمك فكنتي قال يارب أمي وصلاتي فاختر صلته فقالت اللهم هذا جريج وانه ابني واني كلمته فإني أن يكلمني اللهم فلا تمته حتى تريحه المومسات . ولو دعت عليه أن يفتن لافتن قال وكان راع يأوي إلى ديره فخرجت امرأة فوق عليها الراعي فولدت غلاماً قبيل ممن هذا فقالت هو من صاحب الدير فأقبلوا بنؤسهم ومساحيهم وأقبلوا إلى الدير فنادوه فلم يكلمهم فأقبلوا يهدمون ديره فنزل اليهم فقالوا حل هذه المرأة قال أراه تبسم قال ثم مسح رأس الصبي فقال من أبوك قال راعي الضأن قالوا يا جريج نبني ما هدمنا من ديرك بالذهب والفضة قال لا ولكن اعيدوه كما كان ففعلوا ورواه مسلم في الاستيذان عن شيبان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة به .

سياق آخر قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أنبأنا ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال (كان في بني اسرائيل رجل يقال له جريج كان يتعبد في صومته فأتته أمه ذات يوم فنادته فقالت أي جريج أي بني أشرف على أكلك أنا أمك أشرف على فقال أي ربي صلتي وأمي فأقبل على صلته ثم عادت فنادته مراراً فقالت أي جريج أي بني أشرف على فقال أي ربي صلتي وأمي فأقبل على صلته فقالت اللهم لا تمته حتى تريحه المومسة وكانت راعية ترعى غنماً لأهلها ثم تأوي إلى ظل صومته فأصاب فحشة فحلت فاخذت . وكان من زنى منهم قتل قالوا ممن قالت من جريج صاحب الصومعة فجاؤا بالنؤس والمرور قالوا أي جريج أي مراني انزل فإني وأقبل على صلته يصلي فأخذوا في هدم صومته

فلما رأى ذلك نزل فجعلوا في عنقه وعتقها حبلاً فجعلوا يطوفون بهما في الناس فوضع أصبعه على بطنها فقال اي غلام من أبوك فقال أبو فلان راعى الضأن قبلوه وقالوا إن شئت بيننا لك صومعتك من ذهب وفضة قال أعيدوها كما كانت وهذا سياق غريب واسناده على شرط مسلم ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه .

فهؤلاء ثلاثة تكلموا في المهدي عيسى بن مريم عليه السلام وقد تقدم الكلام على قصته وصاحب جريج بن البني من الراعي كما سمعت واسمه يابوس كما ورد مصرحاً به في صحيح البخاري والثالث ابن المرأة التي كانت ترضعه فتمنت له أن يكون كصاحب الشارة الحسنة فتمنى أن يكون كذلك الأمة المتهمومة بما هي بريئة منه وهي تقول حسبى الله ونعم الوكيل كما تقدم في رواية محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعاً . وقد رواه الامام أحمد عن هوزة عن عوف الاعرابي عن خلاس عن أبي هريرة عن النبي (س) بقصة هذا الغلام الرضيع وهو اسناد حسن .

وقال البخاري حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن الاعرج حدثه أنه سمع أبا هريرة أنه سمع رسول الله (س) قال بينما امرأة ترضع ابنها إذ مر بها راكب وهي ترضعه فقالت اللهم لا تمت ابني حتى يكون مثل هذا فقال اللهم لا تجعلني مثله ثم رجع في الثدى ومر بأمرأة تجر ويلب بها فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فقال اللهم اجعلني مثلها فقال أما الراكب فانه كافر . وأما المرأة فانه يقولون إنها تزني وتقول حسبى الله ويقولون تسرق وتقول حسبى الله . وقد ورد في من تكلم في المهدي أيضاً شاهد يوسف كما تقدم وابن ماشطة آل فرعون والله أعلم *

قصة برحيسا

وهي عكس قضية جريج فان جريجاً عصم وذلك فتن . قال ابن جرير حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي أنبأنا أبي عن أبيه عن جده عن الاعمش عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية (كثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى بريء منك انى أخاف الله رب العالمين . فكان عاقبتهم أنهما في النار خالد بن فيها وذلك جزاء الظالمين) . قال ابن مسعود وكانت امرأة ترضع الغنم وكان لها اخوة أربعة وكانت تأوى بالليل إلى صومعة راهب قال فنزل الراهب ففجر بها فحملت فأنه الشيطان فقال له اقتلها ثم ادقها فانك رجل تصدق ويسمع قولك فقتلها ثم دقها قال فأتى الشيطان اخوتها في المنام فقال لهم ان الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم فلما أحبلها قتلها ثم دقها في مكان كذا وكذا . فلما أصبحوا قال رجل منهم والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما درى اقصها عليكم أم أترك قالوا لا بل قصها علينا قال قصها فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت

ذلك قالوا فوالله ما هذا إلا لشيء فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب فأتوه فأنزلوه . ثم انطلقوا به فاتاه الشيطان فقال انى أنا أوقمتك في هذا ولن ينجيك منه غيرى فاسجد لى سجدة واحدة وانجيك مما أوقمتك فيه قال فسجد له فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ قتل . وهكذا روى عن ابن عباس وطاوس ومقاتل ابن حيان نحو ذلك .

وقد روى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بسياق آخر فقال ابن جرير حدثنا خلاد بن أسلم حدثنا النضر بن شميل أنبأنا شعبة عن أبى اسحاق سمعت عبد الله بن نهيك سمعت علياً يقول ان راهباً تعبد ستين سنة وان الشيطان أراد فاعياه فعمد الى امرأة فأجنها ولها اخوة فقال لاختوها عليكم بهذا القس فداوئها قال فجأوا بها اليه فداواها وكانت عنده فيبنا هو يوماعندها إذ أعجبته فاتاه فحملت فعمد اليها فقتلها فجاء إخوتها فقال الشيطان للراهب انا صاحبك انك اعيتتني انا صفت هذا بك فاطعنى أنجك مما صنعت بك اسجد لى سجدة فسجد له قال انى برى منك انى أخاف الله رب العالمين فذلك قوله (كمثل الشيطان اذ قال للانسان ا كفر فلما كفر قال انى برى منك انى أخاف الله رب العالمين)

قصة الثلاثة الذين أوردوا الفار فاطموا عليهم

فتوسلوا الى الله تعالى بصالح اعمالهم ففرج عنهم . قال الامام البخارى حدثنا اسماعيل بن خليل أخبرنا على بن مسهر عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون اذ اصابهم مطر فأرّوا الى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض انه والله ياهؤلاء لا ينجيكم الا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم انه قد صدق فيه فقال واحد منهم (اللهم ان كنت تعلم انه كان لى أجير عمل لى على فرق من أرز فذهب وتركه وانى عمدت الى ذاك الفرق فزرعته فصار من أمره انى اشتريت منه بقرأً وانه انانى يطلب اجره فقلت اعمد الى تلك البقر فسقها فقال لى انمالي عندك فرق من ارز فقلت له اعمد الى تلك البقر فانها من ذلك الفرق فساقها فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا) فانساخت عنهم الصخرة * فقال الاخر (اللهم ان كنت تعلم كان لى ابوان شيخان كبيران وكنت آتيهما كل ليلة بابن غنم لى فابطأت عنهما ليلة فجمت وقد رقدا وأهلى وعيالى يتضاغون من الجوع وكنت لا استقيم حتى يشرب أبواى فكرهت أن اوقفهما وكرهت ان ادعما فيستكنا الشربتهما فلم ازل انتظر حتى طلوع الفجر فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء * فقال الاخر اللهم ان كنت تعلم انه كانت لى ابنة عم من احب الناس الى وانى راودتها عن نفسها فأبت الا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فاتيتها بها فدفعتمها اليها فامكنتنى من نفسها فلما عمدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فجمت وتركت المائة دينار فان كنت

تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فرج الله عنهم فخرجوا ، رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر به وقد رواه الامام احمد منفردا به عن مروان بن معاوية عن عمرو بن حمزة بن عبد الله بن عمر عن سالم عن ابيه عن النبي (ص) بنحوه . ورواه الامام احمد من حديث وهب بن منبه عن النعمان بن بشير عن النبي (ص) بنحوه من هذا السياق وفيه زيادات ورواه البزار من طريق ابى اسحاق عن رجل من بجيله عن النعمان بن بشير مرفوعا مثله ورواه البزار في مسنده من حديث ابى حنث عن علي بن ابي طالب عن النبي (ص) بنحوه

خبر السدنة للعمى والابصر والافرع

روى البخارى ومسلم من غير وجه عن همام بن يحيى عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة حدثني عبد الرحمن بن ابي عمرة ان ابا هريرة حدثه انه سمع رسول الله (ص) يقول ان ثلاثة في بنى اسرائيل ابرص واعمى واقرع بدا الله ان يتليهم فبعث الله اليهم ملكا فأتى الابرص فقال له أى شىء أحب اليك فقال لون حسن وجلد حسن قد قدرنى الناس قال فمسحه فذهب عنه فاعطى لونا حسنا وجلدا حسنا. فقال اى المال أحب اليك قال الابل او قال البقر (هوشك في ذلك ان الابرص والاقرع قال احدهما الابل وقال الاخر البقر) فاعطى ناقة عشراء فقال يبارك لك فيها. قال واتى الاقرع فقال له اى المال أحب اليك قال شعر حسن ويذهب عنى هذا قد قدرنى الناس فمسحه فذهب واعطى شعرا حسنا قال فالى المال أحب اليك قال البقر فاعطاه بقرة حاملا وقال يبارك لك فيها قال واتى الأعمى فقال أى شىء أحب اليك قال يرد الله الى بصرى فابصر به الناس قال فمسحه فرد الله اليه بصره قال فالى المال أحب اليك قال الغنم فاعطاه شاة والدا فاتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الابل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم ثم انه ابنى الابرص في صورته وهيئته فقال رجل مسكين تقطعت بى الجبال في سفرى فلا بلاغ اليوم الا بالله ثم بك أسألك بالذى اعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بغيرا اتبلغ عليه في سفرى فقال له ان الحقوق كثيرة فقال له كأتى اعرفك الم تكن ابرص بقدرك الناس فقيرا فاعطاك الله عز وجل فقال لقد ورثت لسكابر عن كابر فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت واتى الاقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا فرد عليه مثل ملرد عليه هذا فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت. واتى الاعمى في صورته فقال رجل مسكين وابن سيدل وتقطعت بى الجبال في سفرى فلا بلاغ اليوم الا بالله ثم بك اسألك بالذى رد عليك بصرك شاة اتبلغ بها في سفرى فقال قد كنت اعمى فرد الله الى بصرى وفقيرا فقد اغثنانى فخذ ماشئت فوالله لا أجهدك اليوم بشىء اخذته الله عز وجل فقال أمسك مالك فانما ابتليتم قد رضى الله عنك وسخط على صاحبك هذا لفظ البخارى في احاديث بنى اسرائيل

حديث النبي السلف من صاحب الف دينار فأولها

قال الامام احمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا ليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) انه ذكر أن رجلا من بني اسرائيل سأل بعض بني اسرائيل أن يسلفه الف دينار قال اتنى بشهداء اشهدم قال كفى بالله شهيدا قال اتنى بكفيل قال كفى بالله كفيفا قال صدقت فدفعها اليه الى اجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يقدم عليه للاجل الذي اجله فلم يجد مركبا فاخذ خشبة فنقرها وادخل فيها الف دينار وصحيفة معها الى صاحبها ثم زجج موضعها ثم اتى بها البحر ثم قال اللهم انك قد علمت اني استسلفت فلانا الف دينار فسألني كفيفا قلت كفى بالله كفيفا فرضى بذلك وسألني شهيدا قلت كفى بالله شهيدا فرضى بذلك واني قد جهدت ان أجد مركبا أبث اليه بالذي أعطاني فلم أجد مركبا واني استودعتكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يطلب مركبا الى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبا يجيء بماله فاذا بالخشبة التي فيها المال فاخذها لاهله حظبا فلما كسرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه فاتاه بالف دينار وقال والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لا آتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي آتيت فيه قال هل كنت بئس الى شيء قال الم اخبرك اني لم أجد مركبا قبل هذا الذي جئت فيه قال فان الله ادى عنك الذي بئس به في الخشبة فانصرف بالفك راشدا . هكذا رواه الامام احمد مسندا وقد علقه البخاري في غير موضع من صحيحه بصيغة الجزم عن الليث بن سعد واسنده في بعضها عن عبدالله بن صالح كاتب الليث عنه والعجب من الحافظ ابي بكر البزار كيف رواه في مسنده عن الحسن بن مدرك عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن عمر بن سلمة عن ابيه عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه ثم قال لا يروى الا من هذا الوجه بهذا الاسناد

قصة اقرى كسبه بهرة الفضة في الصدقة والامانة

قال البخاري حدثنا اسحاق بن نصر أخبرنا عبدالرزاق عن معمر بن همام بن منبه عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) اشترى رجل من رجل عقارا له فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب فقال له الذي اشترى العقار خذ ذهبك مني انما اشتريت منك الارض ولم اتبع منك الذهب وقال الذي له الارض انما بتك الارض وما فيها فتحاكما الى رجل فقال الذي تحاكما اليه الكاويلد قال احدهما لي غلام وقال الآخر لي جارية قال انكحوا الغلام الجارية وانفقوا على انفسهما منه وتصدق هكذا روى البخاري هذا الحديث في اخبار بني اسرائيل واخرجه مسلم عن محمد بن رافع عن عبدالرزاق به وقد

روى ان هذه القصة وقعت في زمن ذى القرنين . وقد كان قبل بنى اسرائيل بدهور متطاولة والله اعلم
قال اسحاق بن بشر في كتابه المبتدأ عن سعيد بن ابى عروبة عن قتادة عن الحسن ان ذا القرنين
كان يتعمد امور ملوكه وعماله بنفسه وكان لا يطلع على احد منهم خيانة الا انكر ذلك عليه وكان لا يقبل
ذلك حتى يطلع هو بنفسه . قال فبينما هو يسير متنكراً في بعض المدائن فجلس الى قاض من قضاتهم اباما
لا يختلف اليه احد في خصومة فلما أن طال ذلك بذى القرنين ولم يطلع على شىء من أمر ذلك القاضى وهم
بالانصراف اذا هو برجلين قد اختصما اليه فادعى احدهما فقال أيها القاضى انى اشتريت من هذا داراً
عمرتها ووجدت فيها كنزا وانى دعوته الى أخذه فابى على وقال له القاضى ماتقول قال مادفنت وماعلمت
به فليس هو لى ولا أقبضه منه قال المدعى أيها القاضى مر من يقبضه فتضمه حيث احببت فقال القاضى
تفر من الشر وتدخلنى فيه ما أنصفتنى وماأظن هذا فى قضاء الملك فقال القاضى هل لك امرأ نصف
مما دعوتماى اليه قال نعم قال للمدعى لك ابن قال نعم وقال للآخر لك ابنة قال نعم قال اذهباً فزوج
ابنتك من ابن هذا وجهزهما من هذا المال وادفعا فضل ما بقى اليهما يعيشان به فتكونا ملياً بخيره وشره
فمجب ذو القرنين حين سمع ذلك ثم قال للقاضى ماظننت ان فى الارض احداً يفعل مثل هذا أو قاضٍ
يقضى بمثل هذا فقال القاضى وهو لا يعرفه وهل احد يفعل غير هذا قال ذو القرنين نعم قال القاضى
فهل يتطرون فى بلادهم فمجب ذو القرنين من ذلك وقال بمثل هذا قامت السموات والارض

قصة القرى

قال البخارى حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن أبى عدى عن شعبة عن قتادة عن أبى الصديق
الناجى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى (ص) قال كان فى بنى اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين
انساناً ثم خرج يسأل فأتى راهباً فسأله فقال هل من توبة قال لا فقتله فجعل يسأل فقال له رجل ائت قرية كذا
وكذا فادركه الموت فناء يصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله الى
هذه ان تقربى واوحى الى هذه ان تباعدى وقال قيسوا ما بينهما فوجدانى هذه اقرب بشبر فغفر له هكذا
رواه ههنا مختصراً وقد رواد مسلم عن بنى عدي بنى من حديث شعبة ومن وجه آخر عن قتادة به مطولاً

حديث آخر

قال البخارى حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا ابو الزناد عن الاعرج عن أبى سلمة عن أبى
هريرة قال صلى رسول الله (ص) صلاة الصبح ثم اقبل على الناس فقال بينما رجل يسوق بقرة إذ
ركبها فضربها فقالت انما لم تخلق لهذا انما خلقتنا للحرث فقال الناس سبحان الله بقرة تكلم فقال فأتى أو
من بهذا أنا وأبو بكر وعمر وماهما تم (قال) وبينما رجل فى غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلب

حتى كأنه استنقذها منه فقال له الذئب (١) هذا استنقذتها مني فمن لها يوم السبع يوم لاراعى لها غيرى
 قال الناس سبحان الله ذئب يتكلم قال فاني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وماها ثم (قال) وحدثنا
 علي قال حدثنا سفیان عن مسعر عن سعد بن ابراهيم عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي (ص) بمثله .
 وقد أسنده البخارى في المزارعة عن علي بن المدينى ومسلم عن محمد بن عباد كلاهما عن سفیان بن عيينة
 وأخرجاه من طريق شعبة كلاهما عن مسعر به . وقال الترمذى حسن صحيح وأخرج مسلم الطريق الأول
 من حديث سفیان بن عيينة وسفیان الثورى كلاهما عن أبي الزناد .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا ابراهيم عن سعد عن أبيه
 عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (إنه كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وإنه ان
 كان في أمتي هذه منهم فانه عمر بن الخطاب) لم يخرج مسلم من هذا الوجه وقد روى عن ابراهيم بن
 سعد عن أبي سلمة عن عائشة رضی الله عنها .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن ابن شهاب عن حميد بن
 عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفیان عام حج على المنبر فتناول قصة من شعر كانت في يدي حرسى
 فقال يا أهل المدينة أين علماءكم سمعت رسول الله (ص) ينهى عن مثل هذه ويقول إنما هلكت بنو
 اسرائيل حين أخذها نساؤهم . وهكذا رواه مسلم وأبو داود عن حديث مالك وكذا رواه معمر ويونس
 وسفیان بن عيينة عن الزهري بنحوه وقال الترمذى حديث صحيح . وقال البخارى حدثنا آدم حدثنا
 شعبة حدثنا عمرو بن مرة قال سمعت سعيد بن المسيب قال قدم معاوية بن أبي سفیان المدينة آخر قدمة
 قدمها فخطبنا فأخرج من كفه كبة شعر وقال ماكنت أرى أحداً يفعل هذا غير اليهود ان النبي (ص)
 سماه الزور يعني الوصال في الشعر تابعه غندر عن شعبة والعجب أن مسلماً رواه من غير وجه عن غندر
 عن شعبة ومن حديث قتادة عن سعيد بن المسيب به .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا سعيد بن تليد حدثنا ابن وهب قال أخبرني جرير بن
 حازم عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) بينما كلب يطيف
 بركة كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بنى اسرائيل فنزعت موقها فسقته فغفر لها با . ورواه
 مسلم عن أبي الطاهر بن السرح عن ابن وهب به .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا عبد الله بن اسماء حدثنا جويرية عن نافع عن عبد الله بن عمر
 أن رسول الله (ص) قال عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار فلا هي أظلمت ولا سقتها
 إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض . وكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن اسماء به .

(١) قوله هذا أى باهذا

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عثمان بن عمر حدثنا المستر بن الريان حدثنا أبو نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله (ص) قال كان في بني اسرائيل امرأة قصيرة فصنعت رجلين من خشب فكانت تمشي بين امرأتين قصيرتين واتخذت خاتماً من ذهب وحشت تحت فسه أطيب الطيب والمسك فكانت إذا مرت بالمجلس حر كته فنفع ريحه رواه مسلم من حديث المستر وخليد بن جعفر كلاهما عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعاً قريباً منه وقال الترمذي حديث صحيح .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا آدم حدثنا شعبة عن منصور سمعت ربي بن حراش يحدث عن ابن مسعود قال قال النبي (ص) إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) تفرد به البخاري دون مسلم وقد رواه بعضهم عن ربي بن حراش عن حذيفة مرفوعاً وموقوفاً أيضاً والله أعلم .

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الحميد يعني بن بهرام حدثنا شهر بن حوشب قال قال أبو هريرة قال قال رسول الله بينما رجل وامرأة له في السلف الخالي لا يقدران على شيء فجاء الرجل من سفره فدخل على امرأته جائئاً قد أصابته سغبة شديدة فقال لامرأته عندك شيء قالت نعم ابشر أنك رزق الله فاستحمتها فقال ويحك ابتغي ان كان عندك شيء قالت نعم هنيئة نرجو رحمة الله حتى إذا طال عليه المطال قال ويحك قومي فابتغي ان كان عندك شيء فأتيتني به فأتى قد بلغت الجهد وجهدت فقالت نعم الآن ينضج التنور فلا تعجل فلما أن صكت عنها ساعة وتحيئت أيضاً أن يقول لها قالت من عند نفسها لو قت فنظرت الى تنوري فقامت فوجدت تنورها ملآن من جنوب الغنم ورحاها تضج فقامت إلى الرحي ففضتها واستخرجت مافي تنورها من جنوب الغنم قال أبو هريرة فوالذي نفس أبي القاسم بيده عن قول محمد (ص) لو أخذت مافي رحيها ولم تنفضها لطحنت إلى يوم القيامة . وقال أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا أبو بكر عن هشام عن محمد عن أبي هريرة قال دخل رجل على أهله فلما رأى ملبهم من الحاجة خرج إلى البيرة فلما رأته امرأته مالتى قامت إلى الرحي فوضعتها وإلى التنور فسجرتة ثم قالت اللهم ارزقنا فنظرت فإذا الجفنة قد امتلأت قال وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئاً قال فرجع الزوج قال أصبتم بعد شيئاً قالت امرأته نعم من ربنا فرفعتها إلى الرحي ثم قامت فذكر ذلك للنبي (ص) قال (أما أنه لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة) قال شهدت النبي (ص) وهو يقول (والله لأن يأتي أحدكم بحزمة حطب ثم يحمله فيديه فيستغف منه خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله .

قصة الملك والنايب

قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا المسعودي عن سماك بن حرب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال بينما رجل فيمن كان قبلكم كان في مملكته خنكر فلم أن ذلك منقطع عنه

وأن ما هو فيه قد شغله عن عبادة ربه فانساب ذات ليلة من قصره وأصبح في مملكة غيره وأتى ساحل البحر فكان به يضرب اللبن بالآجر فيأكل ويتصدق بالفضل ولم يزل كذلك حتى رقى أمره إلى ملكهم فأرسل إليه فآبى أن يأتيه فركب إليه الملك فلما رآه ولى هارباً فرخص في أثره فلم يدركه فناداه يا عبد الله انه ليس عليك منى بأس قمام حتى أدركه فقال له من أنت رحمتك الله فقال أنا فلان بن فلان صاحب مملكة كذا وكذا ففكرت في أمرى فعلمت انما أنا فيه منقطع وأنه قد شغاني عن عبادة ربي عز وجل فتركته وجئت ههنا أعبد ربي فقال له ما أنت بأحوج لما صنعت منى قل قزل عن دابته فسيبها وتبعه فكانا جميعاً يعبدان الله عز وجل فدعوا الله أن يميتهما جميعاً فماتا . قال عبد الله فلو كنت برملية مصر لأريتكم قبورهما بائمت الذي نعت لنا رسول الله (ص).

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن عتبة بن عبد الغافر عن أبي سعيد عن النبي (ص) . إن رجلاً كان قبلكم رغبه الله مالا فقال لبنيه لما حضر أي أب كنت لكم قالوا خير أب قال فاني لم أعمل خيراً قط فاذا مت فاحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في يوم عاصف ففعلوا فجمه الله عز وجل فقال ما حملك فقال مخافتك فتلقاه برحمته ورواه في مواضع أخر ومسلم من طرق عن قتادة به . ثم رواه البخاري ومسلم من حديث ربيع بن حراش عن حذيفة عن النبي (ص) بنحوه ومن حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا ابراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة عن النبي (ص) . قال كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا قال فأتى الله فتجاوز عنه وقد رواه في مواضع أخر ومسلم من طريق الزهري به .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثني مالك عن محمد بن المنكدر عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد ماذا سمعت من رسول الله (ص) . في الطاعون قال أسامة قال رسول الله (ص) . الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني اسرائيل وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه . قال أبو النضر لا يخرجكم الا فراراً منه ورواه مسلم من حديث مالك ومن طرق أخر عن عامر بن سعد به حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا داود بن أبي الفرات حدثنا عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر عن عائشة قالت سألت رسول الله (ص) . عن الطاعون أخبرني أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء من عباده وأن الله جملة رحمة للمؤمنين ليس من أحد يقع الطاعون فيه مكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لن يصيبه الا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد تفرد به البخاري عن مسلم من هذا الوجه .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن قريشاً أهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله (ص)، فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله (ص)، فكلامه أسامة فقال أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فخطب ثم قال إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وأخرجته بقية الجماعة من طرق عن الليث بن سعد به .

﴿ حديث آخر ﴾ وقال البخارى حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عبد الملك بن ميسرة سمعت النزال بن سبرة الهلالي عن ابن مسعود قال سمعت رجلاً قرأ وسمعت رسول الله (ص) يقرأ خلفها فحمت به إلى رسول الله (ص) فأخبرته فعرفت في وجهه الكراهية وقال كلا كما محسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا . تفرد به البخارى دون مسلم .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا ابراهيم عن صالح عن ابن شهاب قال قال أبو سادة بن عبد الرحمن إن أبا هريرة قال إن رسول الله (ص) قال إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم تفرد به دون مسلم وفي سنن أبي داود صلوا في نعالكم خالفوا اليهود .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن طاووس عن ابن عباس سمعت عمر يقول قتل الله فلاناً ألم يعلم أن رسول الله (ص) قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملواها . فباعوها رواه مسلم من حديث ابن عيينة . ومن حديث عمرو بن دينار به ثم قال البخارى تابعه جابر وأبو هريرة عن النبي (ص) . ولهذا الحديث طرق كثيرة وسيأتي في باب الحيل من كتاب الأحكام إن شاء الله وبه الثقة .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا عمران بن ميسرة حدثنا عبد الوارث حدثنا خالد عن أبي قلابة عن أنس بن مالك . قال ذكروا النار والناقوس فذكروا اليهود والنصارى فأمر بلال أن يشفع الاذان وأن يوتر الإقامة وأخرجته بقية الجماعة من حديث أبي قلابة عبد الله بن زيد الجرمي به . والمقصود من هذا مخالفة أهل الكتاب في جميع شعارهم فإن رسول الله (ص) لما قدم المدينة كان المسلمون يتحجبون وقت الصلاة بغير دعوة إليها . ثم أمر من ينادى فيهم وقت الصلاة (الصلاة جامعة) ثم أرادوا أن يدعوا إليها بشئ يعرفه الناس فقال قائلون نضرب بالناقوس وقال آخر نوري نارا فكرهوا ذلك لمشابهة أهل الكتاب فأرى عبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصارى في منامه الاذان فقصها على رسول الله (ص) . فأمر بلالاً فنادى كما هو مبسوط في موضعه من باب الاذان في كتاب الاحكام .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا بشر بن محمد أنبأنا عبد الله أنبأنا معمر ويونس عن

الزهري أخبرني عبید الله بن عبد الله أن عائشة وابن عباس قالوا لما نزل برسول الله (ص) طفق يطرح خيصة على وجهه فاذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا وهكذا رواه في غير موضع ومسلم من طرق عن الزهري به .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا سعيد بن أبي مرزوق حدثنا أبو غسان قال حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد أن النبي (ص) قال لتتبعن سنن من قبلكم شيراً بشيراً وذراً بذراً حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه فقلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال النبي (ص) فمن وهكذا رواه مسلم من حديث زيد بن أسلم به .

والمقصود من هذا الاخبار عما يقع من الأقوال والأفعال المنهى عنها شرعاً مما يشابه أهل الكتاب قبلنا أن الله ورسوله ينهيان عن مشابهتهم في أقوالهم وأفعالهم حتى ولو كان قصد المؤمن خيراً لكنه تشبه فعله في الظاهر فعلهم وكانه في الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها لثلاث تشابه المشركين الذين يسجدون للشمس حينئذ وإن كان المؤمن لا يخطر بباله شيء من ذلك بالكليّة وهكذا قوله تعالى . (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم) . فكان الكفار يقولون للنبي (ص) في كلامهم معه راعنا أي انظر إلينا يبصرنا واسمع كلامنا ويقصدون بقولهم راعنا من الرعونة فهي المؤمنون أن يقولوا ذلك وإن كان لا يخطر ببال أحد منهم هذا أبداً . فقد روى الامام أحمد والترمذي من حديث عبید الله بن عمر عن النبي (ص) أنه قال بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه بقوم فهو منهم فليس للمسلم أن يتشبه بهم لاني أعيادهم ولا مواسمهم ولا في عباداتهم لأن الله تعالى شرف هذه الأمة بخاتم الأنبياء الذي شرع له الدين العظيم القويم الشامل الكامل الذي لو كان موسى بن عمران الذي أنزلت عليه التوراة وعيسى بن مريم الذي أنزل عليه الإنجيل حين لم يكن لها شرع متبع بل لو كانا موجودين بل وكل الأنبياء لما ساغ لواحد منهم أن يكون على غير هذه الشريعة المطهرة المشرفة المكرمة المهظمة فاذا كان الله تعالى قد من علينا بأن جعلنا من أتباع محمد (ص) فكيف يليق بنا أن تشبه بقوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل قد بدلوا دينهم وحرفوه وأولوه حتى صار كأنه غير ما شرع لهم أولاً . ثم هو بعد ذلك كاه منسوخ والتمسك بالمنسوخ حرام لا يقبل الله منه قليلاً ولا كثيراً ولا فرق بينه وبين الذي لم يشرع بالكليّة والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله (ص) قال إنما أجلكم في أجل من خلا من قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس

وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا فأنتم الذين تعملون من صلاة العصر إلى المغرب على قيراطين قيراطين الا لكم الأجر مرتين فغضب اليهود والنصارى فقالوا نحن أكثر عملاً وأقل عطاء قال الله تعالى (هل ظلمتكم من حكم شيئاً فقالوا لا قال فانه فضلي أوتيته من أشاء) وهذا الحديث فيه دليل على أن مدة هذه الأمة قصيرة بالنسبة إلى ماضى من مدد الأمم قبلها لقوله إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم قبلكم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس فلما مضى لا يعلمه إلا الله كما أن الآتى لا يعلمه إلا هو ولكنه قصير بالنسبة إلى ماضى ولا اطلاع لأحد على تحديد ما بقى إلا الله عز وجل كما قال الله تعالى (لا يجلبها لوقتها إلا هو) وقال (يسألونك عن الساعة أيا نمرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها) . وما تذكره بعض الناس من الحديث المشهور عند العامة من أنه عليه السلام لا يؤلف تحت الأرض فليس له أصل في كتب الحديث وورد فيه حديث أن الدنيا جمعة من جمع الآخرة وفي صحته نظر . والمراد من هذا التشبيه بالعمال تفاوت أجورهم وأن ذلك ليس منوطاً بكثرة العمل وقلته بل بأمور أخر معتبرة عند الله تعالى وكم من عمل قليل أجدى مالا يجديه العمل الكثير هذه ليلة القدر العمل فيها أفضل من عبادة الف شهر سواها وهؤلاء أصحاب محمد (ص) أنفقوا في أوقات لو أنفق غيرهم من الذهب مثل أحد ما بلغ من أحدهم ولا نصيفه من عمر وهذا رسول الله (ص) بعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره وقبضه وهو ابن ثلاث وستين على المشهور وقد برز في هذه المدة التي هي ثلاث وعشرون سنة في العلوم النافعة والأعمال الصالحة على سائر الأنبياء قبله حتى على نوح الذي لبث في قومه الف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ويعمل بطاعة الله ليلاً ونهاراً صباحاً ومساءً صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء أجمعين فهذه الأمة انما شرفت وتضاعف ثوابها ببركة سيادة نبيها وشرفه وعظمته كما قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتسكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم * لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرن على شئ من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم) *

فَضْلُكَ

وأخبار بني اسرائيل كثيرة جداً في الكتاب والسنة النبوية ولو ذهبنا تتقصى ذلك لطال الكتاب ولكن ذكرنا ما ذكره الامام أبو عبد الله البخارى في هذا الكتاب فقيه مقنع وكفاية وهو تذكرة وانموذج

لهذا الباب والله أعلم * وأما الاخبار الاسرائيلية فيما يذكره كثير من المفسرين والمؤرخين فكثيرة جداً ومنها ما هو صحيح موافق لما وقع وكثير منها بل أكثرها مما يذكره القصاص مكذوب مفترى وضعه زنادقهم وضلالهم وهي ثلاثة أقسام منها ما هو صحيح لموافقته ما قصه الله في كتابه أو أخبر به رسول الله (ص) ومنها ما هو معلوم البطلان لمخالفته كتاب الله وسنة رسوله ومنها ما يمتثل الصدق والكذب فهذا الذي أمرنا بالتوقف فيه فلا نصدقه ولا نكذبه كما ثبت في الصحيح إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم. وتجاوز روايته مع هذا الحديث المتقدم (وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج)

تحريف أهل الكتاب وتبديلهم روايتهم

أما اليهود فقد أنزل الله عليهم التوراة على يدى موسى بن عمران عليه السلام وكانت كما قال الله تعالى (ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن وتفصيلاً لكل شئ) وقال تعالى (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً) وقال تعالى (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياءً وذكرى للمتقين) وقال تعالى (وآتيناها الكتاب المستبين وهديناها الصراط المستقيم) وقال تعالى (أنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشوني ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) فكانوا يحكمون بها وهم متمسكون بها برهة من الزمان ثم شرعوا في تحريفها وتبديلها وتغييرها وتأويلها وابداء ما ليس منها كما قال الله تعالى (وان منهم لفريقاً يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هم من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) فأخبر تعالى أنهم يفسرونها ويتأولونها ويضعونها على غير ما وضعتها وهذا مالا خلاف فيه بين العلماء وهو أنهم يتصرفون في معانيها ويحملونها على غير المراد كما بدلوا حكم الرجم بالجلد والتحميم مع بقاء لفظ الرجم فيها وكما أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد مع أنهم مأمورون بإقامة الحد والقطع على الشريف والوضيع. فأما تبديل الفاظها فقال قائلون بأنها جميعها بدلت وقال آخرون لم تبدل واحتجوا بقوله تعالى (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) وقوله (الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل بأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات الاية) وقوله (قل فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) وبقصة الرجم فانهم كما ثبت فى الصحيحين عن ابن عمر بن مسعود عن البراء بن عازب وجابر بن عبد الله وفى السنن عن أبى هريرة

وغيره لما نحاكوا إلى رسول الله (ص) في قصة اليهودي واليهودية الذين زنيا قال لهم ما تجدون في
 التوراة في شان الرجم فقالوا فضحهم ويجلدون فأمرهم رسول الله (ص) باحضار التوراة فلما جاؤا
 بها وجعلوا يقرؤنها ويكتمون آية الرجم التي فيها ووضع عبد الله بن صور يايده على آية الرجم وقرأ
 ما قبلها وما بعدها فقال له رسول الله (ص) ارفع يدك يا أعور فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فأمر رسول
 الله (ص) برجمها وقال (اللهم اني أول من أحيا أمرك اذ أماتوه) وعند أبي داود أنهم لما جاؤا بها نزع
 الوسادة من تحته فوضعها تحتها وقال امنت بك وبمن اتزلك وذكر بعضهم انه قام لها ولم اقف على
 اسناده والله اعلم . وهذا كله يشكل على ما يقوله كثير من المتكلمين وغيرهم ان التوراة اقطع تواترها
 في زمن بخت نصر ولم يبق من يحفظها الا العزيز ثم العزيز ان كان نبياً فهو معصوم والتواتر الى المعصوم
 يكفي اللهم الا أن يقال انها لم تتواتر اليه لكن بعده زكريا ويحيى وعيسى وكاهن كانوا متمسكين بالتوراة
 فلم تكن صحيحة معمولا بها لما اعتمدوا عليها وهم انبياء معصومون . ثم قد قال الله تعالى فيما انزل على
 رسوله محمد خاتم الانبياء صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الانبياء منكر ا على اليهود في قصد الفاسد
 اذ عدلوا عما يعتقدون صحته عندهم وانهم أمورون به حتما الى التحاكم الى رسول الله (ص) وهم يعاندون
 ما جاء به لكن لما كان في زعمهم ما قد يوافقهم على ما ابتدئوه من الجلد والتحميم المصادم لما امر الله به
 حتما وقلوا ان حكمكم بالجلد والتحميم فاقبلوه وتكونون قد اعتذرتم بحكم نبي لكم عند الله يوم القيمة
 وان لم يحكم لكم بهذا بل بالرجم فاحذروا ان تقبلوا منه فانكر الله تعالى عليهم في هذا القصد الفاسد الذي
 انما حملهم عليه الغرض الفاسد ومواقفة الهوى لا الدين الحق فقال (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها
 حكم الله تم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمتؤمنين انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون
 الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله الية) ولهذا حكم بالرجم
 قال اللهم اني اول من احيا امرك اذ أماتوه وسألهم ما حملهم على هذا ولم تركوا امر الله الذي بأيديهم
 فقالوا ان الزنا قد كثر في اشرافنا ولم يمكننا ان نقيمه عليهم وكنا نرجم من زنى من ضعفائنا قتلنا نالوا
 الى امر نصف فعله مع الشريف والوضيع فاصطلحنا على الجلد والتحميم فهنا من جملة تخریفهم وتبديلهم
 وتغييرهم وتأويلهم الباطل وهذا انما فعلوه في المعاني مع بقاء لفظ الرجم في كتابهم كادل عليه الحديث المتفق
 عليه فلماذا قال من قال هذا من الناس انه لم يقع تبديلهم الا في المعاني وان الالفاظ باقية وهي حجة عليهم
 اذ لو أقاموا ما في كتابهم جميعه لقادم ذلك الى اتباع الحق ومتابعة الرسول محمد (ص) كما قال الله تعالى
 (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم
 عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم
 الية) وقال تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن

نحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة الآية) وقال تعالى (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم الآية) وهذا المذهب وهو القول بأن التبديل إنما وقع في معانيها لافي الفاظها حكاه البخاري عن ابن عباس في آخر كتابه الصحيح وقرر عليه ولم يردده وحكاه العلامة فخر الدين الرازي في تفسيره عن اكثر المتكلمين .

ليس للجنب مس التوراة

وذهب قهاء الحنفية إلى أنه لا يجوز للجنب مس التوراة وهو محدث وحكه الحنطى في فتاويه عن بعض أصحاب الشافعي وهو غريب جداً . وذهب آخرون من العلماء إلى التوسط في هذين القولين منهم شيخنا الامام العلامة أبو العباس بن تيمية رحمه الله قال أما من ذهب إلى أنها كلها مبدلة من أولها إلى آخرها ولم يبق منها حرف إلا بدلوه فهذا بعيد وكذا من قال لم يبدل شيء منها بالكلية بعيد أيضاً والحق أنه دخلها تبديل وتغيير وتصرفوا في بعض الفاظها بالزيادة والنقص كما تصرفوا في معانيها وهذا معلوم عند التأمل ولبسطه موضع آخر والله أعلم كما في قوله في قصة الذبيح اذبح ابنك وحيدك وفي نسخة برك اسحاق فلفظة اسحاق مقحمة مزيدة بلا مسرية لأن الوحيد وهو البكر اسماعيل لأنه ولد قبل اسحاق بأربع عشر سنة فكيف يكون الوحيد البكر اسحاق . وإنما حملهم على ذلك حسد العرب أن يكون اسماعيل غير الذبيح فأرادوا أن يذهبوا بهذه الفضيلة لهم فزادوا ذلك في كتاب الله افتراء على الله وعلى رسوله (ص) . وقد اغتر بهذه الزيادة خلق كثير من السلف والخلف ووافقهم على أن الذبيح اسحاق والصحيح الذبيح اسماعيل كما قدمنا والله أعلم وهكذا في توراة السامرة في المشر الكلمات زيادة الأمر بالتوجه إلى الظور في الصلاة وليس ذلك في سائر نسخ اليهود والنصارى .

وهكذا يوجد في الزبور المأثور عن داود عليه السلام مختلفاً كثيراً وفيه أشياء مزيدة ملحقة فيه وليست منه والله أعلم . قلت وأما ما بأيديهم من التوراة المربة فلا يشك عاقل في تبديلها وتحريف كثير من الفاظها وتغيير القصص والالفاظ والزيادات والنقص البين الواضح وفيها من الكذب البين والخطأ الفاحش شيء كثير جداً فأما ما يتلونه بلسانهم ويكتبونه بأقلامهم فلا اطلاع لنا عليه والمظنون بهم أنهم كذبة خونة يكثرون الفرية على الله ورسوله وكتبه .

وأما النصارى فأنجيلهم الأربعة من طريق مرقس ولوقا ومتى ويوحنا أشد اختلافاً واكثر زيادة وقصاً وأخس تفاوتاً من التوراة وقد خالفوا أحكام التوراة والانجيل في غير ما شيء قد شرعوه لأنفسهم فمن ذلك صلاتهم إلى الشرق وليست منصوباً عليها ولا مأموراً بها في شيء من الانجيل الأربعة وهكذا تصويروهم كنائسهم وتركهم الختان ونقلهم صيامهم إلى زمن الربيع وزيادته إلى خمسين يوماً وأكلهم

الخنزير ووضعهم الأمانة الكبيرة وإنما هي الحياة الحتمية والرهبانية وهي ترك التزويج لمن أراد التعبد
وتحريره عليه وكتبهم القوانين التي وضعها لهم الاساقفة الثلاثمائة والثمانمائة عشر فكل هذه الاشياء ابتدعوها
ورضعوها في أيام قسطنطين بن قسطن بن قسطنطينية وكان زمنه بعد المسيح بثلاثمائة سنة وكان أبوه
أحد ملوك الروم وتزوج أمه هيلانة في بعض أسفاره للصيد من بلاد حران وكانت نصرانية على دين
الرهايين المتقدمين فلما ولد لها منه قسطنطين المذكور تعلم الفلسفة وبهر فيها وصار فيه ميل بعض الشيء
إلى النصرانية التي أمه عليها فعظم التأمين بها بعض الشيء وهو على اعتقاد الفلاسفة فلما مات أبوه
واستقل هو في المملكة سار في رعيته سيرة عادلة فأحبه الناس وساد فيهم وغلب على ملك الشام بأسره
مع الجزيرة وعظم شأنه وكان أول القياصرة * ثم اتفق اختلاف في زمانه بين النصارى ومنازعة بين
بترك الاسكندرية اكسندروس وبين رجل من علمائهم يقال له عبد الله بن أريوس فذهب اكسندروس
إلى أن عيسى بن الله تعالى الله عن قوله وذهب ابن أريوس الى أن عيسى عبد الله ورسوله واتبعه
على هذا طائفة من النصارى واتفق الأكثرون الأخرسون على قول بتركهم ومنع ابن أريوس من
دخول الكنيسة هو وأصحابه فذهب يستعدى على اكسندروس وأصحابه الى ملك قسطنطين فسأله
الملك عن مقالته ففرض عليه عبد الله بن أريوس ما يقول في المسيح من أنه عبد الله ورسوله واحتج على
ذلك فقال اليه وجنح إلى قوله فقال له قائلون فينبغي أن تبعث إلى خصمه فتسمع كلامه فأمر الملك باحضاره
وطلب من سائر الأقاليم كل أسقف وكل من عنده في دين النصرانية وجمع البتاركة الاربعة من
القدس وانطاكية ورومية والاسكندرية فيقال إنهم اجتمعوا في مدة سنة وشهرين مايزيد على التي أسقف
فجمعهم في مجلس واحد وهو المجمع الاول من مجامعهم الثلاثة المشهورة وهم مختلفون اختلافاً متبايناً
منتشراً جداً . فمنهم الشردمة على المقالة التي لا يوافقهم أحد من الباقيين عليها فهؤلاء خمسون على مقالة .
وهؤلاء ثمانون على مقالة أخرى . وهؤلاء عشرة على مقالة وأربعمون على أخرى ومائة على مقالة ومائتان على
مقالة وطائفة على مقالة ابن أريوس وجماعة على مقالة أخرى فلما تفاقم أمرهم وانتشر اختلافهم حار فيهم
الملك قسطنطين مع أنه سمى الظن بما عدا دين الصابئين من اسلافه اليونانيين فعهد إلى أكثر جماعتهم
على مقالة من مقالاتهم فوجدهم ثلثمائة وثمانية عشر أسقفاً قد اجتمعوا على مقالة اكسندروس ولم يجد
طائفة بلغت عدتهم فقال هؤلاء أولى بنصر قولهم لأنهم أكثر الفرق فاجتمع بهم خصوصاً ووضع سيفه
وخاتمه اليهم وقال اني رأيتكم أكثر الفرق قد اجتمعتم على مقالكم هذه فاما انصرها واذهب اليها فاجدوا
له وطلب منهم أن يضعوا له كتاباً في الاحكام وأن تكون الصلاة إلى الشرق لأنها مطلع الكواكب
النيرة وأن يصوروا في كنائسهم صوراً لها جثت فصالحوه على أن تكون في الحيطان فلما توافقوا على
ذلك أخذ في نصرهم واظهار كتبهم واقامة مقالتهم وابعاد من خالفهم وتضعيف رأيه وقوله فظهر أصحابه

بجانه على مخالفتهم واتصروا عليهم وأمر ببناء الكنائس على دينهم وهم الملكية نسبة إلى دين الملك
 قبي في أيام قسطنطين بالشام وغيرها في المدائن والقرى أزيد من اثنتي عشر ألف كنيسة واعتنى الملك
 ببناء بيت لحم يعني على مكان مولد المسيح وبنيت أمه هيلانة قامة بيت المقدس على مكان المصلوب
 الذي زعمت اليهود والنصارى بجهلهم وقلة علمهم أنه المسيح عليه الصلاة والسلام ويقال إنه قتل من أعداء
 أولئك وخذ لهم الأخاديد في الارض وأجج فيها النار وأحرقهم بها كما ذكرناه في سورة البروج وعظم
 دين النصرانية وظهر أمره جداً بسبب الملك قسطنطين وقد أفسده عليهم فساداً لا إصلاح له ولا نجاح
 معه ولا فلاح عنده وكثرت أعيادهم بسبب عظمتهم وكثرت كنائسهم على أسماء عبادهم وتفاقم
 كفرهم وغلظت مصيبتهم ونخلد ضلالهم وعظم وبالهم ولم يهد الله قلوبهم ولا أصلح بالهم بل صرف
 قلوبهم عن الحق وأمال عن الاستقامة ثم اجتمعوا بعد ذلك مجمعين في قضية النسطورية واليعقوبية وكل
 فرقة من هؤلاء تكفر الأخرى وتعتقد تخليدهم في نار جهنم ولا يرى مجامعتهم في المعابد والكنائس وكلهم
 يقول بالاقانيم الثلاثة أقنوم الاب وأقنوم الابن وأقنوم الحكمة ولكن بينهم اختلاف في الحلول
 والاتحاد فيما بين اللاهوت والناسوت هل تدرعه أو حل فيه أو اتحاد به واختلافهم في ذلك شديد
 وكفرهم بسببه غليظ وكلمهم على الباطل إلا من قال من الاربوسية أصحاب عبد الله بن أريوس إن
 المسيح عبد الله ورسوله وابن أمته وكنيته ألقاها إلى مريم وروح منه كما يقول المسلمون فيه سواء ولكن
 لما استقر أمر الاربوسية على هذه المقالة تسلط عليهم الفرق الثلاثة بالابعاد والطرده حتى قتلوا فلا يعرف
 اليوم منهم أحد فيما يعلم والله أعلم .

كتاب الجامع للخيار للنبيا والمقربين

قال الله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كالم الله ورفع بعضهم درجات
 وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس الآية) وقال تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى
 نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب
 ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم
 عليك وكلم الله موسى تكليماً . رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان
 الله عزيزاً حكيماً) . وقد روى ابن حبان في صحيحه وابن مردويه في تفسيره وغيرها من طريق
 ابراهيم بن هشام عن يحيى بن محمد الضماني الشامي وقد تكلموا فيه حدثني أبي عن جدي عن أبي ادريس عن
 أبي ذر قال (قلت يا رسول الله كم الأنبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً قلت يا رسول الله كم
 الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر قلت يا رسول الله من كان أولهم قال آدم قلت يا رسول الله

نبي مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه قبلاً ثم قال يا أبا ذر أربعة مريانيون آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس وهو أول من خط بالقلم وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونيك يا أبا ذر وأول نبي من بني اسرائيل موسى وآخرهم عيسى وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك). وقد أورد هذا الحديث أبو الفرج بن الجوزي في الموضوعات وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر فقال حدثنا محمد بن عوف حدثنا أبو المغيرة حدثنا معان بن رفاعة عن علي بن زيد عن القائم عن أبي امامة قال قلت لرسول الله كم الانبياء (قال مائة الف وأربعة وعشرون الفاً الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً). وهذا أيضاً من هذا الوجه ضعيف فيه ثلاثة من الضعفاء معان وشيخه وشيخ شيخه وقد قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أحمد بن اسحاق أبو عبد الله الجوهري البصري حدثنا مكى بن ابراهيم حدثنا موسى بن عبيدة اليزيدي عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص). (بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف إلى بني اسرائيل وأربعة آلاف إلى سائر الناس) موسى وشيخه ضعيفان أيضاً وقال أبو يعلى أيضاً حدثنا أبو الربيع حدثنا محمد بن ثابت العبدى حدثنا معبد بن خالد الانصارى عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص). (كان فيمن خلا من اخواني من الانبياء ثمانية آلاف نبي ثم كان عيسى ثم كنت أنا. يزيد الرقاشي ضعيف. وقد رواه الحافظ أبو بكر الاسماعيلي عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا أحمد بن طارق حدثنا مسلم بن خالد حدثنا زياد بن سعد عن محمد بن المنكدر عن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص). (بعثت على اثني عشر ألف نبي منهم أربعة آلاف من بني اسرائيل وهذا اسناد لا بأس به لكنني لأعرف حال أحمد بن طارق هذا والله أعلم.

﴿ حديث آخر ﴾ قال عبد الله بن الامام أحمد وجدت في كتاب أبي بخطه حدثني عبد المتعالى ابن عبد الوهاب حدثنا يحيى بن سعيد الاموى حدثنا مجالد عن أبي الوداك قال قال أبو سعيد هل تقر الخوارج بالدجال قال قلت لا فقال قال رسول الله (ص). (إني خاتم الف نبي أو أكثر وما بعث الله نبياً يتبع إلا وحذر أمته منه واتى قد بين لي فيه ما لم يبين لاحد منهم وأنه أعور وأن ربكم ليس بأعور وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى كأنها نخامة في حائط مجصص وعينه اليسرى كأنها كوكب درى معه من كل لسان ومعه صورة الجنة خضراء يجرى فيها الماء وصورة النار سوداء تدخن) وهذا حديث غريب وقد روى عن جابر بن عبد الله فقال الحافظ أبو بكر الزار حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا مجالد عن الشعبي عن جابر قال قال رسول الله (ص). (إني خاتم الف نبي أو أكثر وانه ليس منهم نبي إلا وقد أنذر قومه الدجال وانه قد تبين لي فيه ما لم يبين لاحد منهم وانه أعور وان ربكم ليس بأعور. وهذا اسناد حسن وهو محمول على ذكر عدد من أنذر قومه الدجال من الانبياء لكن في الحديث

الآخر ما من نبي إلا وقد أُنذِر أُمته الدجال فالله أعلم .

وقال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن فرات قال سمعت أبا حازم قال قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمته يحدث عن النبي (ص) قال (كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء كلها هلك نبي خلفه نبي وانه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال فوايديمة الأول فالأول أعطوهم حقهم فان الله سائلهم عما استرعاهم . وكذا رواه مسلم عن بنديار ومن وجه آخر عن فرات به نحوه .

وقال البخاري حدثنا عمرو بن حفص حدثنا أبي حدثني الأعمش حدثني شقيق قال قال عبد الله هو ابن مسعود كآني أنظر إلى رسول الله (ص) يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون رواه مسلم من حديث الأعمش به نحوه . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن زيد بن أسلم عن رجل عن أبي سعيد الخدري قال وضع رجل يده ليعني على النبي (ص) فقال والله ما أطيق أن أضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي (ص) (إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء كما يضاعف لنا الاجر ان كان النبي من الأنبياء ليتلى بالقلم حتى يقتله وان كان النبي من الأنبياء ليتلى بالقر حتى يأخذ العباء فيجوبها وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء) هكذا رواه الامام أحمد من طريق زيد بن أسلم عن رجل عن أبي سعيد وقد رواه ابن ماجه عن دحيم عن ابن أبي فديك عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد فذكره . وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان بن عاصم بن أبي النجود عن مصعب بن سعد عن أبيه قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء . ثم الصالحون . ثم الأمثل فالأمثل من الناس يتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابة زيد في بلائه وان كان في دينه رقة خفف عليه ولا يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عاصم بن أبي النجود . وقال الترمذي حسن صحيح وتقدم في الحديث (نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد وأمهاتنا شتى) والمعنى أن شرائعهم وان اختلفت في الفروع ونسخ بعضها بعضاً حتى انتهى الجميع إلى ما شرع الله لمحمد (ص) وعليهم أجمعين الا أن كل نبي بعثه الله فانما دينه الاسلام وهو التوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له كما قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة الآية) . فأولاد العلات أن يكون الاب واحداً والامهات متفرقات فالاب بمنزلة الدين وهو التوحيد والامهات بمنزلة الشرائع في اختلاف أحكامها قال تعالى (لكل

جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقال (لكل أمة جعلنا منسكاً م ناسكوه) وقال (ولكل وجهة هو موليها) على أحد القولين في تفسيرها .
والمقصود أن الشرائع وان تنوعت في أوقاتها إلا أن الجميع آمرة بعبادة الله وحده لا شريك له وهو دين الاسلام الذي شرعه الله لجميع الانبياء وهو الدين الذي لا يقبل الله غيره يوم القيامة كما قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وقال تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال تعالى (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا الآية) . فدين الاسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له وهو الاخلاص له وحده دون مساواه والاحسان أن يكون على الوجه المشروع في ذلك الوقت المأمور به ولهذا لا يقبل الله من أحد عملاً بعد أن بعث محمداً (ص) على ما شرعه له كما قال تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً) وقال تعالى (وأوحى إلى هذا القرآن لا نذركم به ومن بلغ) وقال تعالى (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) . وقال رسول الله (ص) (بعثت إلى الأحمر والأسود) . قيل أراد العرب والعجم .
وقيل الانس والجن وقال (ص) (والذي نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتكم) والاحاديث في هذا كثيرة جداً * والمقصود أن اخوة العلات أن يكونوا من أب واحد وأمهاتهم شتى مأخوذ من شرب العلل بعد النهل * وأما اخوة الاخياف فعكس هذا أن تكون أمهم واحدة من آباء شتى . وأخوة الاعيان فهم الاشقاء من أب واحد وأم واحدة والله سبحانه وتعالى أعلم . وفي الحديث الآخر نحن معاشر الانبياء لانورث ما تركنا فهو صدقة وهذا من خصائص الانبياء انهم لا يورثون وما ذاك إلا لان الدنيا أحقر عندهم من أن تكون مخلفة عنهم ولان توكلهم على الله عز وجل في ذراريتهم أعظم وأشد وآكد من أن يحتاجوا معه إلى أن يتركوا لورثتهم من بدم مالا يستأثرون به عن الناس بل يكون جميع ما تركوه صدقة لفقراء الناس ومحاويجهم وذو خلتهم . وسنذكر جميع ما يختص بالانبياء عليهم السلام مع خصائص نبينا (ص) وعليهم أجمعين في أول كتاب النكاح من كتاب الاحكام الكبير حيث ذكره الأئمة من المصنفين اقتداءً بالامام أبي عبد الله الشافعي رحمة الله عليه وعليهم أجمعين . وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن أن عبد رب الكعبة قال انتهيت إلى عبد الله بن عمرو وهو جالس في ظل الكعبة فسمعتة يقول بينا نحن مع رسول الله (ص) في سفر إذ نزل منزلاً فمنا من يضرب خيابه ومنا من هو في جشده ومنا من يتفضل إذ نادى مناديه الصلاة جامعة قال فاجتمعنا قال فقام رسول الله (ص) فخطبنا فقال (إله لم يكن نبى قبلى إلا دل

أمته على خير ما يعلمه لهم وحذرهم ما يعلمه شرأ لهم وان أمتكم هذه جعلت عاقبتها في أولها وان آخرها سيصيبها بلاء شديد وأمور ينكرونها نجى فتن يريق بعضها بعضها نجى الفتنه فيقول المؤمن هذه مهلكتى . ثم تنكشف . ثم نجى الفتنه فيقول المؤمن هذه . ثم تنكشف فمن سره منكم أن يزحزح عن النار وأن يدخل الجنة فلندركه موته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يجب أن يؤتى اليه ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطمه ما استطاع فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر . قال فأدخلت رأسي من بين الناس قتلت أئذك بالله أنت سمعت هذا من رسول الله (ص) قال فأشار بيده إلى أذنيه وقال سمعته أذناي ووعاه قلبي قال قتلت هذا ابن عمك يعني معاوية بأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل وأن نقتل أنفسنا وقد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) قال فجمع يديه فوضعهما على جبهته ثم نكس هنيهة . ثم رفع رأسه فقال أطمه في طاعة الله واعصه في معصية الله) ورواه أحمد أيضا عن وكيم عن الأعمش به وقال فيه أباها الناس انه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على ما يعلمه خيرا لهم وينذره ما يعلمه شرأ لهم وذكر تمامه بنحوه . وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن الأعمش به ورواه مسلم أيضا من حديث الشعبي عن عبدالرحمن بن عبد رب السكبة عن عبدالله بن عمر عن النبي (ص) بنحوه (١)

آخر الجزء الثامن من خط المصنف رحمه الله تعالى يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أخبار العرب وكان الفراغ من تمة هذا المجلد في سابع عشر شوال سنة سهر رعره من الهجرة النبويه على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بدمشق المحروسة على يد أقر عباد الله وأحوجهم إلى رحمته وعفوه وغفرانه ولطفه وكرمه اسماعيل الدرعي الشافعي الانصاري غفر الله تعالى له وختم له بخير ولا حباه ولاخوانه ولما يخه ولجميع المسلمين والصلاة والسلام على محمد خير خلقه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين .

(١) حاشية هكذا شكل أصل النسخة الحلبية أثبتناه كما هو .

ذكر أخبار العرب

قيل إن جميع العرب ينتسبون إلى اسماعيل بن إبراهيم عليها السلام والتحية والاكرام • والصحيح المشهور أن العرب العاربة قبل اسماعيل وقد قدمنا أن العرب العاربة منهم عاد وثمود وطسم وجديس واميم وجرم والماليق وامم آخرون لا يعلمهم إلا الله كانوا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام وفي زمانه أيضاً . فالعرب المستعربة وهم عرب الحجاز فمن ذرية اسماعيل بن إبراهيم عليها السلام . وأما عرب اليمن وهم حمير فالشهور أنهم من قحطان واسمه مهزوم قاله ابن ماكولا وذكروا أنهم كانوا أربعة أخوة قحطان وقاحط ومقحط وفالغ وقحطان بن هود . وقيل هو هود . وقيل هود أخوه وقيل من ذريته وقيل إن قحطان من سلالة اسماعيل حكاه ابن اسحاق وغيره فقال بعضهم هو قحطان بن تيمن بن قيذر بن اسماعيل . وقيل غير ذلك في نسبة إلى اسماعيل والله أعلم

وقد ترجم البخاري في صحيحه على ذلك فقال (باب نسبة اليمن إلى اسماعيل عليه السلام) حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن يزيد بن أبي عبيد حدثنا سلمة رضي الله عنه قال خرج رسول الله (ص) على قوم من اسلم يتناضلون بالسيوف فقال ارموا بني اسماعيل وأنا مع بني فلان لأحد الفريقين فأمسكوا بأيديهم فقال مالكم قلوباً وكيف ترمي وأنت مع بني فلان فقال ارموا وأنا معكم كلكم . إنفرد به البخاري وفي بعض الفاظهم ارموا بني اسماعيل فإن أباكم كان رامياً ارموا وأنا مع ابن الأدرع فأمسك القوم فقال ارموا وأنا معكم كلكم • قال البخاري وأسلم بن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة يعني وخزاعة فرقة ممن كان تمزق من قبائل سبأ حين أرسل الله عليهم سبيل العرم . كما سيأتي بيانه وكانت الأوس والخزرج منهم وقد قال لهم عليه الصلاة والسلام ارموا بني اسماعيل فدل على أنهم من سلالة وتأوله آخرون على أن المراد بذلك جنس العرب لكنه تأويل بعيد إذ هو خلاف الظاهر بلا دليل لكن الجمهور على أن العرب القحطانية من عرب اليمن وغيرهم ليسوا من سلالة اسماعيل وعندهم أن جميع العرب ينقسمون إلى قسمين قحطانية وعدنانية فالقحطانية شعبان سبأ وحضرموت والعدنانية شعبان أيضاً ربيعة ومضرا بناتزار بن معد بن عدنان والشعب الخامس وهم قضاة مختلف فيهم قبيل إنهم عدنانيون قال ابن عبد البر وعليه الاكثرون ويروى هذا عن ابن عباس وابن عمر وجبير بن مطعم وهو اختيار الزبير بن بكار وعمه مصعب الزبيري وابن هشام وقد ورد في حديث قضاة بن معد ولكنه لا يصح قاله ابن عبد البر وغيره ويقال إنهم لن يزالوا في جاهليتهم وصدر من الاسلام ينتسبون إلى عدنان فلما كان في زمن خالد بن يزيد بن معاوية وكانوا أخواله انتسبوا إلى قحطان فقال في ذلك أعشى بن ثعلبة في قصيدته له :

أبلغ قضاة في القرطاس إنهم * لولا خلافت آل الله ما عتقوا
 قالت قضاة إنا من ذوي يمن * والله يعلم ما برّوا وما صدقوا
 قد ادّعوا والدآ ما نال أمّهم * قد يعلمون ولكن ذلك الفرق

وقد ذكر أبو عمرو السهيلي أيضاً من شعر العرب ما فيه إبداع في تفسير قضاة في اتسابهم إلى
 اليمن والله أعلم والقول الثاني أنهم من قحطان وهو قول ابن اسحاق والكلبي وطائفة من أهل النسب.
 قال ابن اسحاق وهو قضاة بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد قال
 بعض شعرائهم وهو عمرو بن مرة صحابي له حديثان :

يا أيها الداعي ادعنا وأبشر * وكن قضاةً ولا تنزّر
 نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر * قضاة بن مالك بن حمير
 النسب المعروف غير المنكر * في الحجر المنقوش تحت المنبر

قال بعض أهل النسب هو قضاة بن مالك بن عمر بن مرة بن زيد بن حمير وقال ابن لهيعة عن
 معروف بن سويد عن أبي عثابة (١) محمد بن موسى عن عقبة بن عامر قال قلت لرسول الله أما نحن
 من معد قال لا قلت فمن نحن قال أنتم قضاة بن مالك بن حمير قال أبو عمر بن عبد البر ولا يختلفون
 أن جهينة بن زيد بن أسود بن أسلم بن عمران بن إلخاف بن قضاة قبيلة عقبة بن عامر الجهني فعلى
 هذا قضاة في اليمن في حمير بن سبأ وقد جمع بعضهم بين هذين القولين بما ذكره الزبير بن بكار وغيره
 من أن قضاة امرأة من جرم تزوجها مالك بن حمير فولدت له قضاة ثم خلف عليها معد بن عدنان
 وابنها صغير وزعم بعضهم أنه كان حملاً فنسب إلى زوج أمه كما كانت عادة كثير منهم ينسبون الرجل
 إلى زوج أمه والله أعلم *

وقال محمد بن سلام البصرى النسابة : العرب ثلاثة جرائيم العدنانية والقحطانية وقضاة . قيل له
 فأيهما أكثر العدنانية أو القحطانية فقال ما شئت قضاة أن تيامنت فالقحطانية أكثر وان تعددت فالعدنانية
 أكثر وهذا يدل على أنهم يتلومون في نسبهم فان صح حديث ابن لهيعة المقدم فهو دليل على أنهم من
 القحطانية والله أعلم . وقد قال الله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل
 لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) قال علماء النسب يقال شعوب . ثم قبائل ثم عمار . ثم بطون . ثم
 أفخاذ . ثم فصائل . ثم عشائر . والعشيرة أقرب الناس إلى الرجل وليس بعدها شيء . ولابد أولاً بذكر

(١) قوله أبي عثابة كذا بالأصل بياء بعد الألف وليس من الرجال من تكنى بهذه الكنية
 والموجود أبو عثابة بنون بعد الألف المأفري المصري واسمه حتى بن يومن بن حجيل بن جريج وهو
 الراوى عن عقبة بن عامر وعمار بن

القحطانية ثم نذكر بعدهم عرب الحجاز وهم العدنانية وما كان من أمر الجاهلية ليكون ذلك متصلاً بسيرة رسول الله (ص) إن شاء الله تعالى وبه الثقة *

وقد قال البخاري ﴿باب ذكر قحطان﴾ حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن أبي المغيث عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بمصاه وكذا رواه مسلم عن قتيبة عن الدراوردي عن ثور بن زيد به * قال السهيلي وقحطان أول من قيل له أبيت الامن وأول من قيل له أنعم صباحاً . وقال الامام أحمد حدثنا أبو المغيرة عن جرير حدثني راشد بن سعد المقراني عن أبي حنيفة عن ذى فخر أن رسول الله (ص) قال (كان هذا الأمر في حمير فنزعه الله منهم فجعله في قريش (وسى ع ودال ي هم) قال عبد الله كان هذا في كتاب أبي وحيث حدثنا به تكلم به على الاستواء يعني وسيعود اليهم .

قِصَّةُ سَبَأَ

قال الله تعالى (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خبط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين . فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظاهرنا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومرزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور)
قال علماء النسب منهم محمد بن اسحاق اسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا وكان أول من سبى من العرب فسمى سبأ لذلك وكان يقال له الرائش لأنه كان يعطى الناس الاموال من متاعه . قال السهيلي ويقال إنه أول من تتوج وذكر بعضهم أنه كان مسلماً وكان له شعر بشر فيه بوجود رسول الله (ص) فمن ذلك قوله

مِيسَلِكُ	بَعْدَنَا	مَلِكًا	عَظِيمًا
وَيَمْلِكُ	بِمَدِّهِ	مِنْهُمْ	مَلُوكٌ
وَيَمْلِكُ	بِمَدِّهِ	مِنَّا	مَلُوكٌ
وَيَمْلِكُ	بِمَدِّهِ	قَحْطَانِ	نَبِيِّ
يُسَمَّى	أَحْمَدًا	يَا بَيْتَ	أَبِي
فَأَعْضُدُهُ	وَأُحِبُّوهُ	بِنَهْرِي	
مَتَى	يُظْهِرُ	فَكُونُوا	نَاصِرِيهِ
نَبِيِّ	لَا يَرْخُصُ	فِي	الْحَرَامِ
يَدِينُونَ	الْعِبَادَ	بِفَيْرِ	ذَامِ
يَصِيرُ	الْمَلِكُ	فِينَا	بِاقْتِسَامِ
تَقِي	جَبِينَهُ	خَيْرَ	الْأَنَامِ
أَعْمَرَ	بِمَدِّهِ	مَبْعَثُهُ	بِعَامِ
بِكَلِّ	مَدَجِّجٍ	وَبِكَلِّ	رَامِ
وَمَنْ	يَلْقَاهُ	يُلْقِهِ	سَلَامِي

حكاہ ابن دحیة فی کتابہ التنویر فی مولد البشیر النذیر

وقال الامام احمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن دعدة سمعت عبد الله بن العباس يقول إن رجلاً سأل النبي (ص) عن سبأ ما هو أرجل أم امرأة أم أرض قل بل هو رجل ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة . فأما اليمانيون فمذحج وكندة والازد والأشعريون وأنمار وحير . وأما الشامية فلخم وجذا وعاملة وغسان وقد ذكرنا في التفسير أن فروة بن مسيك الفطيفي هو السائل عن ذلك كما استقصينا طرق هذا الحديث وألفاظه هناك والله الحمد .

والمقصود أن سبأ يجمع هذه القبائل كلها وقد كان فيهم التبابعة بأرض اليمن واحدم تبع وكان ملوكهم تيجان يلبسونها وقت الحكم كما كانت الأكلسة ملوك الفرس يفعلون ذلك وكانت العرب تسمى كل من ملك اليمن مع الشعر وحضرموت تبعاً كما يسمون من ملك الشام مع الجزيرة قيصر ومن ملك الفرس كسرى ومن ملك مصر فرعون ومن ملك الحبشة النجاشي ومن ملك الهند بطليموس وقد كان من جملة ملوك حير بأرض اليمن بلقيس وقد قدمنا قصتها مع سليمان عليه السلام وقد كانوا في غبطة عظيمة وأرزاق دارة وثمار وزروع كثيرة وكانوا مع ذلك على الاستقامة والسادا وطريق الرشاد فلما بدلوا نعمة الله كفراً أحلوا قومهم دار البوار .

قال محمد بن اسحاق عن وهب بن منبه أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبياً وزعم السدي أنه أرسل إليهم اثني عشر ألف نبى فالله أعلم . والمقصود أنهم لما عدلوا عن الهدى إلى الضلال وسجدوا للشمس من دون الله وكان ذلك في زمان بلقيس وقبلها أيضاً واستمر ذلك فيهم حتى أرسل الله عليهم سيل العرم كما قال تعالى (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل حط وأثل وشى من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور)

ذكر غير واحد من علماء السلف والخلف من المفسرين وغيرهم أن سد مأرب كان صنعتها ان المياه تجري من بين جبلين فعمدوا في قديم الزمان فسدوا ما بينهما ببناء محكم جداً حتى ارتفع الماء فخكم على اعلى الجبلين وغرسوا فيها البساتين والاشجار المثمرة الأنيقة وزرعوا الزروع الكثيرة ويقال كان أول من بناه سبأ بن يعرب وسلط اليه سبعمين واديا ينفذ اليه وجعل له ثلاثين فرضة يخرج منها الماء ومات ولم يكمل بناؤه فكلته حير بعده وكان اتساعه فرسخاً في فرسخ وكانوا في غبطة عظيمة وعيش رغيد وأيام طيبة حتى ذكر قتادة وغيره أن المرأة كانت ترم بالمثل على رأسها فتمتلئ من الثمار ما يتساقط فيه من فضجه وكثرته وذكروا أنه لم يكن في بلادهم شئ من البراغيث ولا الدواب الموزية لصحة هوائهم وطيب فنائهم كما قال تعالى (لقد كان لسبأ في سكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) وتعالى (وإذا تاذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)

فما عبدوا غير الله ويطروا نعمته وسألوا بسد تقارب ما بين قرام وطيب ما بينها من البساتين وان
الطرقات سألوا أن يباعد بين أسفارهم وأن يكون سفرهم في مشاق وتعب وطلبوا أن يبدلوا بالخير شراً
كما سأل بنو إسرائيل بدل المن والسلوى البقول والقثاء والفوم والعدس والبصل فلبوا تلك النعمة
العظيمة والحسنة العميمة بتخريب البلاد والشنات على وجوه العباد كما قال تعالى (فأعرضوا فأرسلنا عليهم
سيل العرم) قال غير واحد أرسل الله على أصل السد الفار وهو الجرذ ويقال الخلد فلما فطنوا لذلك
أرصدوا عندها السنانير فلم تغن شيئاً إذ قد حم القدر ولم ينفع الخذر كلا لا وزر فلما تحكم في أصله الفساد
سقط وانهار فسلك الماء القرار فقطعت تلك الجداول والأنهار واقطعت تلك الثمار ومادت تلك
الزروع والأشجار وتبدلوا بعدها بردى الأشجار والأثمار كما قال العزيز الجبار (وبدلناهم بجنتهم
جنتين ذواتي أكل حط وأثل) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد هو الأراك وثمره البربر وأثل وهو
الطرفاء . وقيل يشبهه وهو حطب لا ثمر له (وشيء من سدر قليل) وذلك لأنه لما كان يثمر النبق كان قليلاً
مع أنه ذو شوك كثير وثمره بالنسبة إليه كما يقال في المثل لحم جبل غث على رأس جبل وعرا لسهل
ويرتقى ولا سمين فينتقى ولهذا قل تعالى (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور) أي إنما
نعاقب هذه العقوبة الشديدة من كفر بنا وكذب رسلنا وخالف أمرنا وانتهك محارمنا وقال تعالى
(فجعلناهم أحاديث وهم زقنهم كل همزق) وذلك أنهم لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم احتاجوا أن
يرتجوا منها وينتقلوا عنها ففرقوا في غور البلاد ونجدها أيدي سبأ شذر مذر فنزلت طوائف منهم الحجاز
ومنهم خزاعة نزولاً ظاهر مكة وكان من أمرهم ما سنذكره ومنهم المدينة المنورة اليوم فكانوا أول من
سكنها ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير فخالفوا الأوس
والخزرج وأقاموا عندهم وكان من أمرهم ما سنذكره ونزلت طائفة أخرى منهم الشام وهم الذين تنصروا
فيما بعد وهم غسان وعاملة وبهراء ونلم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسنذكرهم عند ذكر فتوح
الشام في زمن الشيخين رضي الله عنهما .

قال محمد بن اسحاق حدثني أبو عبيدة قال قال الأعشى بن قيس بن ثعلبة وهو ميمون بن قيس .

وفي ذلك للمؤتسي أسوة ومأرم عني عليها العرم
رُخام بنته لهم حمير إذا جاء موازه لم يرم
فأروى الزرع وأعناها على سعة ماءهم إذ قسم
فصاروا أيادي لا يقديرو ن على شرب طفل إذا ما قطع

وقد ذكر محمد بن اسحاق في كتاب السيرة أن أول من خرج من اليمن قبل سيل العرم عمرو بن عامر
اللخمي ونلم هو ابن عدي بن الحارث بن مرة بن ازد بن زيد بن ميم بن عمرو بن عريب بن يشجب

ابن زيد بن كلان بن سبأ. ويقال نخم بن عدى بن عمرو بن سبأ قاله ابن هشام. قال ابن اسحاق وكان سبب خروجه من اليمن فيما حدثني أبو زيد الانصاري أنه رأى جرذا يحفر في سد مأرب الذي كان يجبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاؤوا من أرضهم فلم أنه لا بقاء للسد على ذلك فاعتزم على النقلة عن اليمن فكاد قومه فاسرا صغر ولده إذا أغلظ عليه ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه ففعل ابنه ما أمره به فقال عمرو لا أقيم يبلد لطم وجهي فيه أصغر ولدي وعرض أمواله فقال أشرف من أشرف اليمن اغتصموا غضبة عمرو فاشترؤا منه أمواله وانتقل في ولده وولد ولده وقالت الأزد لا نتخلف عن عمرو بن عامر فباعوا أموالهم وخرجوا معه فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين برتادون البلدان فخاربتهم عك فكانت حربهم سجلا في ذلك قال عباس بن مرداس.

وعك بن عدنان الذين تلببوا بنسأ حتى طردوا كل مطرد

قال فارتحلوا عنهم فتفرقوا في البلاد فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام ونزل الاوس والخزرج يثرب ونزلت خزاعة مرآ ونزلت أزد السراة السراة ونزلت أزد عمان عمان ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه وفي ذلك أنزل الله هذه الآيات وقد روى عن السدي قريب من هذا وعن محمد بن اسحاق في روايته أن عمرو بن عامر كان كاهنا وقال غيره كانت امرأته طريفة بنت الخير الحميرية كاهنة فاخبرت بقرب هلاك بلادهم وكانهم رأوا شاهد ذلك في الفأر الذي سلط على سدوم ففعلوا ما فعلوا والله أعلم. وقد ذكرت قصته مطولة عن عكرمة فيما رواه ابن أبي حاتم في التفسير.

قصة أزد

وليس جميع سبأ خرجوا من اليمن لما أصيبوا بسيل العرم بل أقام أكثرهم بها وذهب أهل مأرب الذين كان لهم السد فتفرقوا في البلاد وهو مقتضى الحديث المتقدم عن ابن عباس أن جميع قبائل سبأ لم يخرجوا من اليمن بل انما تشاء منهم أربعة وبقي باليمن ستة وهم مذحج وكندة وأنمار والاشعريون وأنمار هو أبو خثعم وبجيلة وحمير فهؤلاء ست قبائل من سبأ أقاموا باليمن واستمر فيهم الملك والتبابعة حتى سلمهم ذلك ملك الحبشة بالجيش الذي بعثه صحبة أميريه أبرهة وإرباط نحواً من سبعمائة سنة ثم استرجعه سيف ابن ذى يزن الحميري. وكان ذلك قبل مولد رسول الله (ص) بقليل كما سنذكره مفصلاً قريباً ان شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ثم أرسل رسول الله (ص) إلى أهل اليمن علياً وخالد بن الوليد ثم أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل وكانوا يدعون إلى الله تعالى ويدينون لهم الحجج ثم تغلب على اليمن الأسود العنسي وأخرج نواب رسول الله (ص) منها فلما قتل الأسود استقرت اليد الإسلامية عليها في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه كما سنبين ذلك بعد البعثة ان شاء الله تعالى.

قِصَّةُ رَيْبِعَةَ بِنْتِ نَصْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَمَارِ

المتقدم ذكره اللخمي كذا ذكره ابن اسحاق وقال السهيلي ونسب اليمن قول نصر بن ربيعة ابن نصر بن الحارث بن نمارة بن نلحم وقال الزبير بن بكار ربيعة بن نصر بن مالك بن شعوذ بن مالك بن عجم بن عمرو بن نمارة بن نلحم ونلحم أخو جذام وسمى نلحا لانه نلحم اخاه أي لطمه أي لطمه فعضه الآخر في يده فجدما فسمى جذاما وكان ربيعة أحد ملوك حمير التبابعة وخبره مع شق وسطيح الكاهنين وابتذارها بوجود رسول الله (ص) أما سطيح فاسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن غسان وأما شق فهو ابن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قيس بن عبقر بن أنمار بن تزار ومنهم من يقول أنمار بن أراش بن لحيان بن عمرو بن الفوث بن نابت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ويقال إن سطيجا كان لأعضائه له وإنما كان مثل السطيجة ووجهه في صدره وكان اذا غضب اتفخ وجلس وكان شق نصف انسان ويقال ان خالد بن عبد الله بن القسري كان سلاطه وذكرا السهيلي أنهما ولدا في يوم واحد وكان ذلك يوم ماتت طريفة بنت الخير الحميرية ويقال انها تفلت في فم كل منهما فورث الكهانة عنها وهي امرأة عمرو بن عامر المتقدم ذكره والله أعلم قال محمد بن اسحاق وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين اضفاف ملوك التبابعة فرأى رؤيا هائلة هالته وفضع بها فلم يدع كاهنًا ولا ساحرًا ولا عاتنا ولا منجما من أهل مملكته إلا جمعه إليه فقال لهم إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها فأخبروني بها بتأويلها فقالوا اقصصها علينا نخبرك بتأويلها فقال اني ان أخبرتكم بها لم أطمئن الى خبركم بتأويلها لانه لا يعرف تأويلها الا من عرفها قبل ان أخبره بها فقال له رجل منهم فان كان الملك يريد هذا فليبعث الى شق وسطيح فانه ليس أحد أعلم منهما فهما يخبرانه بما سأله فبعث اليهما فقدم اليه سطيح قبل شق فقال له إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها فأخبرني بها فانك ان أصبتها أصبت تأويلها فقال أفل رأيت حمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما اخطأت منها شيئا يا سطيح فما عندك في تأويلها قال أحلف بما بين الحرتين من حنث تهبطن أرضكم الحبش فليملكن ما بين آيين الى جرش فقال له الملك يا سطيح ان هذا لنا لغائظ موجه فتى هو كائن أفي زماتي أم بعده فقال لا وايبك بل بعده بحين. أكثر من ستين أو سبعين. بمضين من السنين قال أفيدوم ذلك من سلطانهم أم ينقطع قال بل ينقطع لبضم وسبعين من السنين ثم يقتلون ويخرجون منها هارين قال ومن بلى ذلك من قتلهم واخراجهم قال يليهم أرم ذى يزن. يخرج عليهم من عدن. فلا يترك منهم احداً باليمن. قال أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبي زكي. يأتيه الوحي من قبل العلى قال ومن هذا النبي قال رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر. يكون الملك في قومه الى آخر الدهر. قال وهل

لدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون. يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال أحق ما تخبرني قال نعم . والشفق والنسق والفلق إذا اتسق إن ما أنباتك بهلق. قال ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح وكتبه ما قال سطيح لينظر أيتقان أم يختلفان قال نعم رأيت حممة خرجت من ظلمة. فوقت بين روضة وأكمة. فأكلت منها كل ذات نسمة. فلما قال له ذلك عرف أنهما قد اتقيا وأن قولها واحد إلا ان سطيحاً قد وقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة. وقال شق وقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة فقال له الملك ما أخطأت يا شق منها شيئاً فما عندك في تأويلها فقال أحلف بما بين الحرتين من انسان. لينزان أرضكم السودان فليغلبن على كل طفلة البنان وليلدكن ما بين أين الى نجران فقال له الملك وأبيك يا شق إن هذا لنا لغائظ موجه فتى هو كائن أفي زمانى أم بعده قال لا بل بعده بزمان. ثم يستنقدكم منهم عظيم ذوشان. ويندبهم أشد الهوان. قال ومن هذا العظيم الشأن قال غلام ليس بدنى ولا مدن يخرج عليهم من بيت ذى بزن. قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والمدل من أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه الى يوم الفصل قال وما يوم الفصل قال يوم يجزى فيه الولات يدعى فيه من السماء بدعولت تسمع منها الاحياء والاموات ويجمع الناس فيه للميقات يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات . قال أحق ما تقول قال أى ورب السماء والارض. وما بينهما من رفع وخفض. ان ما أنباتك به لحق ما فيه أمض . قال ابن اسحق فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالوا فجهز بنيه وأهل بيته الى العراق وكتب لهم الى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ فأسكنهم الحيرة قال ابن اسحق فمن بقية ولد ربيعة بن نصر النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر يعنى الذى كان نائباً على الحيرة لملوك الاكسرة وكانت العرب تغد اليه وتمتدحه وهذا الذى قاله محمد بن اسحاق من أن النعمان بن المنذر من سلالة ربيعة بن نصر قاله أكثر الناس . وقد روى ابن اسحاق ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما جرى بسيف النعمان بن المنذر سأل جبير بن مطعم عنه ممن كان فقال من اشلاء قنص بن معد بن عدنان قال ابن اسحاق فأنه أعلم أى ذلك كان

قصة تبع ربي كرب مع أهل المدينة

(وكيف أراد غزو البيت الحرام ثم شرفه وعظمه وكساه الحلل فكان أول من كساه)

قال ابن اسحاق فلما هلك ربيعة بن نصر رجع ملك اليمن كله الى حسان بن تيمان اسعد أبي كرب وتيمان اسعد تبع الآخر ابن كماليكرب بن زيد وزيد تبع الأول بن عمرو ذى الاذعار بن أبرهة ذى المنار بن الرائس بن عدى بن صيفى بن سبأ الاصغر بن كعب كهف الظلم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الضوث بن قطن بن عريب بن زهير

ابن أنس بن الهميسع بن العربمصح والعربمصح هو حمير بن سبأ الأكبر بن يعرب بن يشجب بن قحطان.
قال عبد الملك بن هشام سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . قال ابن اسحاق وتبان أسعد أبو كرب
هو الذي قدم المدينة وساق الخبرين من اليهود الى اليمن وعمر البيت الحرام وكساه وكان ملكه قبل
ملك ربيعة بن نصر وكان قد جعل طريقه حين رجع من غزوة بلاد المشرق على المدينة وكان قد مر
بها في بدائه فلم يهيج أهلها وخلف بين أظهرهم ابناً له فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع لآخراها واستئصال
أهلها وقطع نخلها فجمع له هذا الحى من الانصار ورئيسهم عمرو بن طلحة أخو بني النجار ثم أحد بني
عمرو بن مبدول واسم مبدول عامر بن مالك بن النجار واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن
الخزرج بن حارثة بن ثعلبة عمرو بن عامر

وقال ابن هشام عمرو بن طلحة هو عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن النجار وطلحة امه
وهي بنت عامر بن زريق الخزرجية .

قال ابن اسحاق وقد كان رجل من بني عدى بن النجار يقال له أحمر عدا على رجل من اصحاب
تبع وجده يجد عذقه فضر به بمنجله فقتله وقال انما التمر لمن أوره فزاد ذلك تبعاً عليهم فاقتلوا
فتزعم الانصار انهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فيعجبه ذلك منهم ويقول والله ان قومنا لكم
وحكى ابن اسحاق عن الانصار ان تبعاً انما كان حنقه على اليهود انهم منعوه منه .

قال السهيلي ويقال انه انما جاء لنصرة الانصار أبناء عمه على اليهود الذين تزلوا عندهم في المدينة
على شروط فلم يفوا بها واستظالوا عليهم والله أعلم .

قال ابن اسحاق فبينما تبع على ذلك من قتالهم اذ جاءه حبران من أجبسار اليهود من بني قريظة
علمان راسخان حين سمعا بما يريد من اهلاك المدينة وأهلها فقالوا له أيها الملك لا تفعل فانك إن آيت
إلا ما تريد حيل بينك وبينها ولم تأمن عليك جل العقوبة فقال لهما ولم ذلك قالا هي مهاجر نبي يخرج
من هذا الحرم من قريش في اخر الزمان تكون داره وقراره فتنهاى ورأى أن لهما علماً وأعجبه
ما سمع منها فانصرف عن المدينة وأتبعهما على دينهما . قال ابن اسحاق وكان تبع وقومه أصحاب
أوثان يعبدونها فتوجه إلى مكة وهي طريقه الى اليمن حتى اذا كان بين عسفان وامج أتاه نفر من هذيل
ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فقالوا له أيها الملك ألا ندلك على بيت مال
داثراً غفلة الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة قال بلى قالوا بيت بمكة يعبد
أهله ويصلون عنده وانما أراد الهذليون هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك من أراد من الملوك وبني عنده
فدا أجمع لما قالوا أرسل إلى الخبرين فسألها عن ذلك فقالا له ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك ما نعلم
يتأ الله عز وجل اتخذ في الارض لنفسه غيره ولئن فعلت مادعوك اليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعاً قال

فاذا تأمراني أن أصنع إذا انا قدمت عليه قالا تصنع عنده ما يصنع أهله تطوف به وتمظمه وتكرمه ويحلق رأسك عنده وتذال له حتى يخرج من عنده قال فما يمنعكما أنما من ذلك قالا أما والله إنه لبيت أينا إبراهيم عليه السلام وأنه لكما أخبرناك ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله وبالدماء التي يهريقون عنده وهم نجس أهل شرك أو كما قالا له فعرف نصحبها وصدق حديثها وقرب النفر من هذيل قطع أيديهم وأرجلهم ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام فيما يذكرون ينحربها للناس ويطعم أهلها ويستقيهم العسل وأرى في المنام أن يكسوا البيت فكساء الخصف ثم أرى في المنام أن يكسوه أحسن من ذلك فكساء المعافر ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساء الملاء والوصائل وكان تبع فيما يزعمون أول من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرم وأمرم بطهيره وأن لا يقربوه دماً ولا ميتة ولا مثلاً وهي المحايض وجعل له باباً ومفتاحاً ففي ذلك قالت سبيعة بنت الأحب تذكر ابنها خالد به عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وتنهاه عن البغي بمكة وتذكر له ما كان من أمر تبع فيها .

أبني لا تظلم به
واحفظ محارمها ؛
أبني من يظلم به
أبني يضرب وجهه
أبني قد جربتها
الله آمنها وما
والله آمن طيرها
ولقد غزاها تبع
وأذن ربي ملكه
يمشي إليها حافياً
ويظل يطعم أهلها
يستقيهم العسل المصق
والفيل أهلك جيشه
والملك في أقصى البلا
فاسمع إذا حدثت وأفهم
كفة لا الصغير ولا الكبير
في ولا يفرئك الغرور
بكة ينق أطراف الشرور
ويبلغ بخديه السعير
فوجدت ظالمها يبور
بنيته برمصتها قصور
والعصم تامن في تبير
فكسا بنيتها الحبير
فيها فأوفى بالنذور
بنيتها ألفا بصير
لحم المهاري والجزور
والرحيض من الشعير
يرمون فيها بالصخور
دوفي الأعاجم والخزور
كيف عاقبة الأمور

قال ابن اسحاق ثم خرج تبع متوجها الى اليمن بمن معه من الجنود وبالخبيرين حتى اذا دخل اليمن

دعا قومه الى الدخول فيما دخل فيه فأبوا عليه حتى يحاكموه الى النار التي كانت باليمن قال ابن اسحاق حدثني أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي قال سمعت ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث أن نبأ لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا لا تدخلها علينا وقد غارت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه خير من دينكم قالوا تحسنا كئنا الى النار قال نعم قال وكانت باليمن فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأخذ الظالم ولا تضر المظلوم فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديها حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه نخرجت النار اليهم فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها فزجرهم من حضرم من الناس وأمروهم بالصبر لها فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الأوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما تفرق جباههما ولم تضرهما فاصفقت عند ذلك حمير على دينها فمن هنالك كان أصل اليهودية باليمن .

قال ابن اسحاق وقد حدثني محدث أن الخبرين ومن خرج من حمير انما اتبعوا النار ليردوها وقالوا من ردها فهو أولى بالحق فدنا منها رجال حمير بأوثانهم ليردوها فدنت منهم لنا كلهم فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها فدنا منها الخبران بعد ذلك وجعلوا يتلوان التوراة وهي تنقص عنهما حتى رداها لي مخرجها الذي خرجت منه فاصفقت عند ذلك حمير على دينها والله أعلم أي ذلك كان . قال ابن اسحاق وكان رثام يبتأ لهم يعظمونه وينحرون عنده ويكلمون فيه اذ كانوا على شركهم فقال الخبران لتبع انما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا وبينه قال فشاؤنا كما به فاستخرجنا منه فيما يزعم أهل اليمن كتاباً أسود فذبحاه ثم هدمنا ذلك البيت فبقاياها اليوم كما ذكر لي بها آثار الدماء التي كانت تهراق عليه وقد ذكرنا في التفسير الحديث الذي ورد عن النبي (ص) (لا تسبوا تبعاً فانه قد كان أسلم) قال السهيلي وروى معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال (لا تسبوا أسعد الحميري فانه أول من كسى الكعبة) .

قال السهيلي وقد قال تبع حين اخبره الخبران عن رسول الله (ص) : شعراً

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم

فلو صد عمري الى عمره لسكرت وزيراً له وابن عم

وجاهدت بالسيف أعداءه وفرجت عن صدره كل هم

قال ولم يزل هذا الشعر تتوارثه الانصار ويحفظونه بينهم وكان عند أبي أيوب الانصاري رضى الله عنه وأرضاه قال السهيلي وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب القبور أن قبراً حفر بصنماء فوجد فيه اسرأنان معهما لوح من فضة مكتوب بالذهب وفيه هذا قبر ليس وحي ابنتي تبع ماتا وهما تشهدان

ألا آله إلا الله وحده لا شريك له وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما .

ثم صار الملك فيما بعد الى حسان بن تبان أسعد وهو أخو اليمامة الزرقاء التي صلبت على باب مدينة جو فسميت من يومئذ اليمامة . قال ابن اسحاق فلما ملك ابنه حسان بن أبي كرب تبان أسعد سار بأهل اليمن يريد أن يطاه بهم أرض العرب وأرض الاعاجم حتى اذا كانوا ببعض أرض العراق كرهت حمير وقبائل اليمن السير معه وأرادوا الرجعة الى بلادهم وأهلهم فكاهوا أخاه يقال له عمرو وكان معه في جيشه فقالوا له أقتل أخاك حسان ونملكك علينا وترجع بنا الى بلادنا فأجابهم فاجتمعوا على ذلك إلا ذارعين الحميري فانه نهي عمراً عن ذلك فلم يقبل منه فكتب ذو رعين رقعة فيها هذان البيتان :

ألا من يشتري سَهراً بنوم سعيد من بيت قُرب عَيْن
فأما حمير غدرت وخانت فعدرة الآله لذي رُعين

ثم استودعها عمراً . فلما قتل عمرو أخاه حسان ورجع الى اليمن منع منه النوم وسلط عليه السهر فسأل الاطباء والحذاق من السكبان والعرافين عما به فقيل له انه والله ما قتل رجل أخاه قط أو ذا رحم بغيراً إلا ذهب نومه وسلط عليه السهر فعند ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه فلما خلاص إلى ذي رعين قال له إن لي عندك براءة قال وما هي قل الكتاب الذي دفعته إليك فأخرجه فاذا فيه البيتان فتركه ورأى أنه قد نصحه وهلك عمرو فمرج أمر حمير عند ذلك وتفرقوا

وثوب الخنيفة في كسائر عبيد اليمن

وقد ملكها سبعمائة وعشرين سنة . قال ابن اسحاق فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت الملك يقال له الخنيفة بنوف ذو شناتر فقتل خيارهم وعبث بيوت أهل المداينة منهم وكان مع ذلك أمراً فاسقاً يعمل عمل قوم لوط فكان يرسل الى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه في مشربة له قد صنعها لذلك لئلا يملك بعد ذلك ثم يطالع من شربته تلك الى حرسه ومن حضر من جنده قد أخذ مسواكاً فجعله في فيه ليعلمهم أنه قد فرغ منه حتى يمض إلى زرعة ذي نواس بن تبان أسعد أخى حسان وكان صبياً صغيراً حين قتل أخوه حسان ثم شب غلاماً جميلاً وسيماً ذاهية وعقل فلما أتاه رسوله عرف ما يريد منه فأخذ سكيناً جديداً لطيفاً فخبأه بين قدميه وناله ثم أتاه فلما خلاصه وثب اليه فوابه ذو نواس فوجاه حتى قتله ثم حز رأسه فوضعه في الكوة التي كان يشرف منها ووضع مسواكه في فيه ثم خرج على الناس فقالوا له ذا نواس أرطب أم يباس فقال سل نهماس استرطبان ذو نواس استرطبان لا باس (٢) فنظروا الى الكوة

(١) قوله الخنيفة بالذون وهو كذلك في سيرة ابن هشام

(٢) قال ابو ذر الخثمي قالوا في تفسير استرطبان ان معناه اخذته النار بالفارسية اهوقال السهيلي وقوله

فاذا رأس الخنيفة مقطوع فخرجوا في أثر ذى نواس حتى أدركوه فقالوا ما يذبحي أن يملكنا غيرك إذ أرحتنا من هذا الخبيث فملكوه عليهم واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن فكان آخر ملوك حمير وتسمى يوسف فأقام في ملكه زماناً، وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام على الأنجيل أهل فضل واستقامة من أهل دينهم لهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر. ثم ذكر ابن اسحاق سبب دخول أهل نجران في دين النصارى وان ذلك كان على يد رجل يقال له فيميون كان من عباد النصارى بأطراف الشام وكان محاب الدعوة وصحبه رجل يقال له صالح فكان يتبدلان يوم الأحد ويعمل فيميون بقية الجمعة في البناء وكان يدعو للمرضى والزمنى وأهل العاهات فيشفون ثم استأسره وصاحبه بعض الاعراب فباعوها بنجران فكان الذى اشترى فيميون يراه اذا قام في مصلاه بالبيت الذى هو فيه في الليل يتملى عليه البيت نوراً فأعجبه ذلك من أمره وكان أهل نجران يمدون نخلة طويلة يعلقون عليها حلل نساءهم ويمكفون عندها فقال فيميون لسيدة أرايت ان دعوت الله على هذه الشجرة فهلكت أنعمون أن الذى أنتم عليه باطل . قال نعم فجمع له أهل نجران وقام فيميون الى مصلاه فدعا الله عليها فأرسل الله عليها قاصفاً فجمعها من أصلها ورمها الى الأرض فاتبه أهل نجران على دين النصرانية وحملهم على شريعة الأنجيل حتى حدثت فيهم الاحداث التى دخلت على أهل دينهم بكل أرض فمن هنالك كانت النصرانية بنجران من أرض العرب ثم ذكر ابن اسحاق قصة عبد الله بن الثامر حين تنصر على يد فيميون وكيف قتله واصحابه ذو نواس وخدمهم الاخدود . وقال ابن هشام وهو الحفر المستطيل في الارض مثل الخندق وأجج فيه النار وحرقتهم بها وقتل آخرين حتى قتل قريباً من عشرين ألفاً كما قدمنا ذلك مبسوطاً في أخبار بنى إسرائيل وكما هو مستقصى في تفسير سورة (والسما ذات البروج) من كتابنا التفسير والله الحمد .

خروج الملوك باليمن من عجم الى الحبشة (سورة)

كما أخبر بذلك شق وسطيح الكاهنان وذلك انه لم ينج من أهل نجران إلا رجل واحد يقال استرطبان الى آخر الكلام مشكل يفسره ما ذكره ابو الفرج في الاغانى قال كان الغلام اذا خرج من عند الخنيفة وقد لاط به قطعوا مشافر ناقته وذنبها وصاحوا به ارطب ام يياس فلما خرج ذو نواس من عنده وركب ناقته له يقال لها السراب قالوا . ذا نواس . ارطب ام يياس . فقال . ستعلم الاحراس است ذى نواس . است رطب ام يياس . فهذا اللفظ مفهوم والذى وقع في الاصل يريد سيرة ابن هشام هذا معناه ولفظه قريب من هذا

له دوس ذو ثعلبان على فرس له، فسلك الرمل فاجزم فمضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصر ملك الروم فاستنصره على ذي نواس وجنوده واخبره بما بلغ منهم، وذلك لأنه نصراني على دينهم. فقال له بدت بلادك منا ولكن سأكتب لك الى ملك الحبشة فانه على هذا الدين وهو أقرب الى بلادك. فكتب اليه يأمره بنصره والطلب بثاره. فقدم دوس على النجاشي بكتاب قيصر فبث معه سبعين ألفاً من الحبشة وامر عليهم رجلاً منهم يقال له ارباط ومعه في جنده ابرهة الاشرم فركب ارباط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس وسار اليه ذو نواس في حمير ومن اطاعه من قبائل اليمن. فلما التقوا انهزم ذو نواس واصحابه فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجه فرسه في البحر ثم ضربه فدخل فيه فخاض به فصاح البحر حتى افضى به الى غمره فادخله فيها فكان آخر العهد به ودخل ارباط اليمن وملكها وقد ذكر ابن اسحاق هاهنا اشعاراً للعرب فيما وقع من هذه الكائنة الغريبة وفيها فصاحة وحلاوة وبلاغة وطلاوة ولكن تركنا ايرادها خشية الاطالة وخوف الملالة وبالله المستعان

فروج ابرهة الاشرم على ارباط والنجدل فما

قال ابن اسحاق فاقام ارباط بارض اليمن سنين في سلطانه ذلك ثم نازعه ابرهة حتى تفرقت الحبشة عليهما. فانهز الى كل منهما طائفة ثم سار أحدهما الى الآخر. فلما تقارب الناس أرسل ابرهة الى ارباط انك لن تصنع بان تلتقى الحبشة بعضها ببعض حتى تغنيها شيئاً شيئاً، فبرز لي وبرز لك فاينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده، فارسل إليه ارباط انصفت فخرج إليه ابرهة وكان رجلاً قصيراً لحياً وكان ذا دين في النصرانية وخرج إليه ارباط وكان رجلاً جميلاً عظيماً طويلاً وفي يده حربة له. وخلف ابرهة غلام يقال له عنودة يمنع ظهره. فرفع ارباط الحربة فضرب ابرهة يريد يافوخه. فوقعت الحربة على جهة ابرهة فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفته فبذلك سمي ابرهة الأشرم. وحمل عنودة على ارباط من خلف ابرهة فقتله وانصرف جند ارباط إلى ابرهة. فاجتمعت عليه الحبشة باليمن وودى ابرهة ارباط. فلما بلغ ذلك النجاشي ملك الحبشة الذي بشهم إلى اليمن غضب غضباً شديداً على ابرهة وقال عدا على أميرى فقتله بغير أمرى ثم حلف لا يدع ابرهة حتى يبطأ بلاده ويمجز ناصيته فخلق ابرهة رأسه وملاً جراباً من تراب اليمن ثم بث به الى النجاشي ثم كتب اليه: أيها الملك إنما كان ارباط عبدك وأنا عبدك فاختلنا في أمرك وكل طاعتك إلا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة واضبط لها وأسوس منه. وقد حقت رأسي كله حين بلغني قسم الملك وبثت إليه بجراب تراب من أرضي ليضعه تحت قدمه فيبصر قسمه في. فلما انتهى ذلك الى النجاشي رضى عنه وكتب إليه أن أثبت بارض اليمن حتى يأتيك أمرى فاقام ابرهة باليمن

سبب قصر أبرهة بالخيال ملكة بنجر واللعبة

(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل *
 ثم مهيمهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف ما كول)

قبل أول من ذل الفيلة إفريدون بن أثفيان الذي قتل الضحاك قاله الطبري وهو أول من اتخذ
 للخيال السرج . وأما أول من سخر الخيل وركبها فظهورث وهو الملك الثالث من ملوك الدنيا ويقال
 إن أول من ركبها اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ويحتمل أنه أول من ركبها من العرب والله تعالى أعلم
 ويقال إن الفيل مع عظمة خلقه يفرق من الهر . وقد احتال بعض أمراء الحروب في قتال المنود
 باحضار سنابير الى حومة الوغى فنفرت الفيلة

قال ابن اسحاق ثم إن أبرهة بنى القليس بصنعاء كنيسة لم ير مثلاً في زمانها بشيء من الارض
 وكتب الى النجاشي إني قد بنيت لك كنيسة لم يكن مثلاً ملك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف
 إليها حج العرب

فذكر السهيلي أن أبرهة استدل أهل اليمن في بناء هذه الكنيسة الخسبية وسخرم فيها أنواعاً من
 السخر . وكان من تأخر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده لا محالة . وجعل ينقل إليها من قصر
 بلقيس رخاماً واحجاراً وأمتعة عظيمة وركب فيها صلباناً من ذهب وفضة . وجعل فيها منابر من عاج
 وابنوس وجعل ارتفاعها عظيماً جداً واتساعها باهراً فلما هلك بعد ذلك أبرهة وتفرقت الحبشة كان من
 يتعرض لاخذ شيء من بنائها وامتمتها اصابته الجن بسوء . وذلك لأنها كانت مبنية على اسم صنمين -
 كيب وامرأته - وكان طول كل منهما ستون ذراعاً . فتركها أهل اليمن على حالها . فلم تزل كذلك
 الى زمن السفاح أول خلفاء بني العباس فبعث إليها جماعة من أهل العزم والحزم والعلم فتقضوها حجراً
 حجراً ودرست آثارها إلى يومنا هذا

قال ابن إسحاق فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة الى النجاشي غضب رجل من النساء من كنانة
 الذين ينسبون شهر الحرام الى الحل بمكة أيام الموسم كما قررنا ذلك عند قوله (إنما النسيء زيادة في الكفر
 الآية) قال ابن إسحاق فخرج الكناني حتى أتى القليس فقدم فيه أي أحدث حيث لا يراه أحد ثم
 خرج فلحق بأرضه فأخبر أبرهة بذلك . فقال من صنع هذا . فقيل له صنع رجل من أهل هذا البيت الذي
 تحببه العرب بمكة لما سمع بقولك أنك تريد أن تصرف حج العرب إلى بيتك هذا فنضب فجاء فقدم فيها
 أي أنه ليس لذلك باهل . فنضب أبرهة عند ذلك وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه . ثم أمر الحبشة

قهيأت ونجهزت. ثم سار وخرج معه بالنيل وسمعت بذلك العرب فاعظموه وفضعوا به ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام . فخرج إليه رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر . فدعا قومه ومن اجابه من سائر العرب الى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام ومايريده من هدمه واخراجه . فاجابه من اجابه الى ذلك . ثم عرض له قتاله . فهزم ذو نفر واصحابه وأخذ له ذو نفر فأتى به أسيراً . فلما أراد قتله قال له ذو نفر ياأيها الملك لا تقتلني فانه عسى أن يكون بقاى معك خيراً لك من القتل . فتركه من القتل وجبسه عنده في وثاق وكان أبرهة رجلاً حليماً ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ماخرج له حتى إذا كان بارض خثعم عرض له نضيل بن حبيب الخثمي في قبيلتي خثعم وهما شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ له نضيل أسيراً فأتى به فلما هم بقتله قال له نضيل أيها الملك لا تقتلني فأتى دليلك بأرض العرب وهاتان يداى لك على قبيلتي خثعم - شهران وناهس - بالسمع والطاعة . فحلى سبيله وخرج به معه يده . حتى إذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قتيب في رجال قتيب فقالوا له أيها الملك إنما نحن عبيدك - سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف . وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم

قال ابن اسحاق واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة . قال فبعثوا معه أبارغال يده على الطريق الى مكة . فخرج أبرهة ومعه ابورغال حتى أتزله بالمغس . فلما أتزله به مات ابورغال هنالك فرجت قبره العرب فهو القبر الذي يرحم الناس بالمغس وقد تقدم في قصة ثمود أن أبارغال كان رجلاً منهم وكان يمتنع بالحرم فلما خرج منه أصابه حجر فقتله وان رسول الله ص . قال لاصحابه « وآية ذلك أنه دفن معه غصنان من ذهب » فخرروا فوجدوها قال وهو أبو قتيب

قلت والجمع بين هذا وبين ما ذكر ابن اسحاق أن أبارغال هذا المتأخر وافق اسمه اسم جده الاعلى ورجه الناس كما رجوا قبر الأول أيضاً والله أعلم . وقد قال جرير:

إذا مات الفرزدقَ فارجموه كرجمكم لتسبر أبي زغال

الظاهر أنه الثاني

قال ابن اسحاق فلما نزل أبرهة بالمغس بعث رجلاً من الحبشة يقال له الاسود بن مفضود على خيل له حتى انتهى الى مكة . فساق اليه أموال تهامة من قريش وغيرهم . واصاب فيها مائتي بعير لبعيد المطلب ابن هاشم - وهو يومئذ كبير قريش وسيدها - فهمت قريش وكنانة وهذيل وغيرهم بذلك الحرم بقتاله . ثم عرفوا أنه لا طاقة لهم به فتركوا ذلك . وبعث أبرهة حناطة الحميري الى مكة وقال له سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفهم ، ثم قل له ان الملك يقول إنى لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فان لم امرضوا

لنا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم، فان هو لم يرد حربى فأتنى به فلما دخل حنطة مكة سأل عن سيد قريش وشرينها قبيل له عبدالمطلب بن هاشم . فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة . فقال له عبد المطلب والله ما تريد حربه ومالنا بذلك من مائة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام . أو كما قال . فان يمنه منه فهو حرمة وبيته وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه . فقال له حنطة فانطلق معى اليه فانه قد أمرنى أن آتبه بك . فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذى نضر وكان له صديقاً . حتى دخل عليه وهو فى محبسه فقال له ياذا نضر هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نضر وما غناء رجل أسير يبدى ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً؟ ما عندى غناء فى شيء مما نزل بك إلا أن أنيساً سائس الفيل صديق لى . فسأرسل اليه وأوصيه بك وأعظم غلبه حثك واماله أن يستأذن لك على الملك فنكلمه بما بدا لك وبشفع لك عنده بخير ان قدر على ذلك . فقال حسبي . فبعث ذو نضر الى أنيس فقال له ان عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين مكة يطعم الناس بالسهل والوحوش فى رؤوس الجبال وقد أصاب له الملك مائتى بئر فاستأذن له عليه وافضه عنده بما استطعت . قال افعل . فكلتم أنيس أبرهة فقال له أيها الملك هذا سيد قريش يبابك يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة وهو الذى يطعم الناس بالسهل والوحوش فى رؤوس الجبال فأتذن له عليك فليكلمك فى حاجته فأتذن له أبرهة قال وكان عبدالمطلب أوسم الناس وأعظمهم وأجملهم فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه عن أن يجلسه نحوه وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه . فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جانبه ثم قال لترجمانه قل له حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتى أن يرد على الملك مائتى بئر أصابها لى فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني . أتكلمنى فى مائتى بئر أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لأهدمه لاتكلمنى فيه؟ فقال له عبدالمطلب إني أنا رب الابل وإن للبيت راسمينه . قال ما كان ليمتنع منى . قال أنت وذاك . فرد على عبدالمطلب إبله

قال ابن اسحاق ويقال إنه كان قد دخل مع عبدالمطلب على أبرهة يمر بن نفاثة بن عدى بن الدليل ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة سيد بنى بكر وخويلد بن وائلة سيد هذيل فعرضوا على أبرهة ملك أموال نهماء على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم ذلك فله أعلم أكان ذلك أم لا فلما انصرفوا عنه انصرف عبدالمطلب الى قريش فاخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز فى رؤوس الجبال . ثم قام عبد المطلب فاخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده . وقال عبدالمطلب - وهو آخذ بحلقة باب الكعبة - :

لَا مُمْ إِنْ الْعَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَمَنْعَ رِحَالِكَ

لا يَنْبَغُ صَلِيْبُهُمْ وَمَحَالْمُ غَدُوًّا مِحَالِكُ
ان كُنْتَ تَرَكَهُمْ وَقَبْلَ لَتْنَا فَأَمْرٌ مَابِدَالِكُ

قال ابن هشام هذا ما صح له منها . وقال ابن اسحاق ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شرف الجبال يتحرزون فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل . فلما أصبح أبرهة نهياً لدخول مكة وهياً فيه وعى جيشه ، وكان اسم الفيل محموداً . فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل ابن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال أبرك محمود وارجع راشداً من حيث أتيت . فاذك في بلد الله الحرام وأرسل أذنه . فبرك الفيل

قال السهيلي أي سقط إلى الأرض وليس من شأن الفيلة أن تبرك وقد قيل إن منها ما يبرك كالبعير فالله أعلم وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل . وضربوا الفيل ليقوم فإني فضربوا رأسه بالطبرزين ليقوم فإني فادخلوا محاجن لهم في سراقه فبزغوه بها ليقوم فإني فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول . ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك . ووجهوه إلى مكة فبرك . وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطايف والبلسان^(١) مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحداً إلا هلك وليس كلهم أصابت وخرجوا هارين يتندرون الطريق التي منها جاءوا . ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن فقال نفيل في ذلك :

أَلَا جِيئْتَ عَنَّا بِأَرْدِينَا نَعْمَنَا مَعَ الْإِصْبَاحِ عَيْنَا
رَدِينَةُ لَوْ رَأَيْتَ فَلَا تَرِبَهُ لَدَى جَنْبِ الْمَحْصَبِ مَا رَأَيْنَا
إِذَا لَمَذَّرْتَنِي وَجِئْتَ أَمْرِي وَلَمْ تَلْمِي عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَا
جِئْتَ اللَّهُ إِذْ أَبْصَرْتُ طَيْرًا وَخِئْتُ حَجَارَةً تَلْقَى عَلَيْنَا
وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ فَيْلٍ كَأَنَّ عَلِيَّ لِلْحَبْشَانِ دَيْنَا

قال ابن إسحاق فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك على كل منهل . وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط أمثلة أمثلة كلما سقطت أمثلة أمثلة منه مدة تمت قبحا ودما حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر . فمات حتى انصدع صدره عن قلبه فيها بزعمون

قال ابن اسحاق حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث أن أول مارؤيت الحصبية والجدري بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول مارؤى بها سرائر الشجر الحرمل والحنظل والعشر ذلك العام قال ابن إسحاق فلما بهت الله محمداً (س) . كان مما يمدد الله على قريش من نعمته عليهم وفضله

(١) كذا في الأصل ولعله مصحح عن البلشون فإنه يشبه الخطايف

مارد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال تعالى (ألم نريك فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل
 كيدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيراً أبابيل . ترهيمهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف ما كول)
 ثم شرع ابن إسحاق وابن هشام يتكلمان على تفسير هذه السورة والتي بمدها وقد بسطنا القول
 في ذلك في كتابنا التفسير بما فيه كفاية إن شاء الله تعالى وله الحمد والمنة

قال ابن هشام الأبايل الجماعات ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه . قال وأما السجيل فآخبرني يونس
 النحوى وأبو عبيدة أنه عند العرب الشديد الصلب . قال وزعم بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية
 جعلتهما العرب كلمة واحدة وإنما معنج وجل^(١) فالسج الحجر والجل الطين . يقول الحجرارة من هذين
 الجنسين الحجر والطين . قال والمصف ورق الزرع الذي لم يقصب . وقال الكسائي سمعت بعض النحويين
 يقول واحد الأبايل ايل وقال كثيرون من السلف الأبايل الفرق من الطير التي يتبع بعضها بعضاً من
 ههنا وههنا . وعن ابن عباس كان لها خرطوم كخرطوم الطير واكف كالكلاب وعن عكرمة كانت
 رؤوسها كرووس السباع خرجت عليهم من البحر وكانت خضراً . وقال عبيد بن عمير كانت سوداً بخرية
 في مناقيرها واكفها الحجرارة . وعن ابن عباس كانت أشكها كعقواء مغرب وعن ابن عباس كان أصفر
 حجر منها كراس الانسان ومنها ماهو كالابل . وهكذا ذكره يونس بن بكير عن ابن إسحاق . وقيل كانت
 صفراً والله أعلم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن
 الأعمش عن أبي سفيان عن عبيد بن عمير قال لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيراً
 أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار حجرين في رجله وحجراً في منقاره
 قال فجاءت حتى صفت على رؤوسهم . ثم صاحت وألقت ما في رجليها ومناقيرها . فما يقع حجر على
 رأس رجل الاخرج من دبره . ولا يقع على شئ من جسده الا خرج من الجانب الآخر . وبعث
 الله ريحاً شديدة فضربت الحجرارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعاً

وقد تقدم أن ابن إسحاق قال وليس كلهم أصابته الحجرارة يعني بل رجع منهم راجعون إلى اليمن
 حتى أخبروا أهلهم بما حل بقومهم من النكال وذكروا أن ابرهة رجع وهو يتساقط أمثلة أمثلة فلما وصل
 إلى اليمن انصدع صدره فمات لعنه الله . وروى ابن إسحاق قال حدثني عبد الله بن أبي بكر عن سمرة
 عن عائشة قالت لقد رأيت قائد الفيل ومائمه بمكة اعميين مقعدين يستطمان . وتقدم أن سائس الفيل
 كان اسمه أنيسا فلما قاتده فلم يسم والله أعلم .

وذكر النقاش في تفسيره أن السيل احتمل جثهم فألقاها في البحر . قال السهيلي وكانت قصة الفيل

(١) أصله (سنك وكل) ولما لم تلتفظ العرب بالكاف بدلوا بالميم فقالوا سنج وجل وركبوها

كلمة واحدة فهي مستعربة اهـ

أول الحرم من سنة ست وثمانين وثمانمائة^(١) من تاريخ ذي القرنين .

قلت وفي عامها ولد رسول الله (ص) على المشهور . وقيل كان قبل مولده بسنين كما سندر إن شاء الله تعالى وبه التقه .

ثم ذكر ابن اسحاق ما قاله العرب من الأشعار في هذه الكائنة العظيمة التي نصر الله فيها بيته الحرام الذي يريد أن يشرفه ويعظمه ويطهره ويوقره بيعة محمد (ص) وما يشرع له من الدين القويم الذي أحد أركانه الصلاة بل عماد دينه وسيجبل قبلته إلى هذه الكعبة المطهرة ولم يكن ما فعله بأصحاب القبيل نصره لقريش إذ ذاك على التصاري الذين هم الحبشة : فان الحبشة إذ ذاك كانوا أقرب لها من مشركي قريش وإنما كان النصر للبيت الحرام وارهاسا وتوطئة لبيعة محمد (ص) فمن ذلك ما قاله عبد الله بن الزبير السهمي

تَنكَلُوا^(٢) عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ إِنهَا كَانَتْ قَدِيمًا لَا بُرَامَ حَرِيمِهَا
لَمْ تُخَلَقِ الشَّعْرَى لِيَأْتِي حُرْمَتِ إِذْ لَا عَزِيزَ مِنَ الْأَنَامِ يَرُومِهَا
سَائِلَ أَمِيرِ الْخَبَشِ عَنْهَا مَا رَأَى فَلَسَوْفَ يُنْبِي الْجَاهِلِينَ عَلَيْهَا
سَتُونَ أَلْفًا لَمْ يُؤْبُوا أَرْضَهُمْ بَلْ لَمْ يَعْشُ بَعْدَ الْآيَابِ سَقِيمِهَا
كَانَتْ بِهَا عَادٌ وَجَرَّمُ قَبْلَهُمْ وَاللَّهُ مِنْ فَوْقِ الْعِبَادِ بَقِيمِهَا

ومن ذلك قول أبي قيس بن الاسلت الانصاري المدني :

وَمَنْ صُنِعَ يَوْمَ قَبِيلِ الْجُبُو شِ إِذْ كَلَّمَ بِعُثُو رَزَمِ
مَحَاجِئِهِمْ تَحْتَ أَقْرَابِهِ وَقَدْ شَرَّمُوا أَقْفَهُ فَانْحَرَمِ
وَقَدْ جَلُّوا سَوْطَهُ مُغُولًا إِذَا بِمَمَّوهِ قَفَاهُ كَلَمِ
فَوَلَّى وَأَدْبَرَ أَدْرَاجَهُ وَقَدْ بَاءَ بِالظُّلْمِ مَنْ كَانَ فَمِ
فَأَرْسَلَ مِنْ فَوْقِهِمْ حَاصِبًا فَلْفَهْمُ مِثْلُ لَفِّ الْقَزَمِ
تَحَضُّ عَلَى الصَّبْرِ أَجْبَارُهُمْ وَقَدْ تَأَجَّرُوا كَثُوجَ الْغَنَمِ

ومن ذلك قول أبي الصلت ربيعة بن أبي ربيعة وهب بن علاج الثقفي قال ابن هشام ويروي لامية

ابن أبي الصلت :

إِنْ آيَاتِ رَبَّنَا تَأْتَتْ مَا يُمَارِي فِيهِنَّ إِلَّا الْكُفُورُ
خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَكُلٌّ مُسْتَبِينٌ حَسَابُهُ مَقْدُورُ

(١) كذا بالأصل والذي في السهيلي سنة اثنتين وثمانين الخ اه .

(٢) قوله تنكلوا كذا بالأصل وفي سيرة ابن هشام المطبوعة باللام . لكن في تفسير غريبها للخشي تنكبوا بالياء . قال أي ارجوا خوفا منها . تقول نكبت فلانا عن الشيء إذا صرفته عنه صرفهية وخوف

ثم يجلو النهار رب رحيم
 حبس الفيل بالمفس حتى
 صار يجبو كأنه معقور
 لازماً حلقة الجران كما
 د من صخر ككب محذور
 حوله من ملوك كندة أبطا
 ل ملاويث في الحروب صقور
 خلفوه ثم ابدعوا جميعاً
 كلهم عظم ساقه مكسور
 كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الخليفة بور

ومن ذلك قول أبي قيس بن الاسل أيضاً :

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا
 فعندكم منه بلاء مصدق
 كتيبته بالسهل تمشي ورجله
 فلما أتاكم نصر ذي العرش ردم
 فولوا سراعاً هارين ولم يؤب
 باركان هذا البيت بين الاخاشب
 غداة أبي يكسوم هادي الكتائب
 على القاذفات في رؤس المناقب
 جنود المليك بين صاف وحاصب
 إلى أهله ملجئ غير عصائب

ومن ذلك قول عبيد الله بن قيس الرقيات في عظمة البيت وحمايته بهلاك من أراده بسوء :

كاده الأشرم الذي جاء بالفي
 واستهلت عليهم الطير بالجنة
 ذلك من يفره من الناس بر
 جمع وهو قل من الجيوش ذميم
 ل فولى وجيشه مهزوم
 دل حتى كأنه مرجوم

قال ابن اسحاق وغيره فلما هلك ابرهة ملك الحبشة بده ابنه يكسوم . ثم من بده أخوه مسروق
 ابن ابرهة وهو آخر ملوكهم . وهو الذي انتزع سيف بن ذي يزن الحميري الملك من يده بالجيوش الذين
 قدم بهم من عند كسرى أنوشروان كما سيأتي بيانه

وكانت قصة الفيل في الحرم سنة ست وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذي القرنين وهو الثاني اسكندر
 ابن فابس المقدوني الذي يؤرخ له الروم ولما هلك ابرهة وابناه وزال ملك الحبشة عن اليمن هجر
 القليس الذي كان بناه ابرهة وأراد صرف حج العرب اليه لجهله وقلة عقله . وأصبح يباباً لا أنيس به .
 وكان قد بناه على صنمين وهما كيب وامرأته وكانا من خشب طول كل منهما ستون ذراعاً في السماء وكانا
 مصحوبين من الجن ولهذا كان لا يتعرض أحد إلى أخذ شيء من بناء القليس وأمتعته الا أصابوه بسوء .
 فلم يزل كذلك الى أيام السفاح أول خلفاء بني العباس فذكر له أمره وما فيه من الامتعة والرخام الذي
 كان ابرهة قله اليه من صرح بقميس الذي كان باليمن فبعث اليه من خربه حجراً حجراً وأخذ جميع ما
 فيه من الامتعة والحواصل هكذا ذكره السهيلي والله أعلم .

فروع الملك وعمر الحبشة ورجوعه إلى سيف بن ذي يزن

قال محمد بن اسحاق رحمه الله : فلما هلك ابرهة ملك الحبشة يكسوم بن ابرهة وبه كان يكفى فلما هلك يكسوم ملك اليمن من الحبشة أخوه مسروق بن ابرهة . قل : فلما طال البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذي يزن الحميري وهو سيف بن ذي يزن بن ذى أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو ابن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطان بن عريب بن زهير بن أيمن ابن الهبيس بن العرنجج ، وهو حمير بن سبأ - وكان سيف يكنى أبا مرة - حتى قدم على قيصر ملك الروم فشكى إليه ما هو فيه وسأله أن يخرجهم عنه ويلبهم هو ويخرج اليهم من شاء من الروم فيكون له ملك اليمن فلم يشكه . فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق ، فشكا إليه أمر الحبشة فقال له النعمان إن لي على كسرى وفادة في كل عام فاقم عندي حتى يكون ذلك ففعل ثم خرج معه فأدخله على كسرى وكان كسرى يجلس في ايوان مجلسه الذي فيه تاجه وكان تاجه مثل القنقل^(١) العظيم فيما يزعمون يضرب فيه الياقوت والزبرجد واللؤلؤ بالذهب والفضة معلقا بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في مجلسه ذلك ، وكانت عنقه لا تحمل تاجه إنما يستر عليه بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك ثم يدخل رأسه في تاجه فاذا استوى في مجلسه كشف عنه الثياب فلا يراه أحد لم يره قبل ذلك الا برك هببة له . فلما دخل عليه طأطأ رأسه فقال الملك : إن هذا الأحق يدخل على من هذا الباب الطويل ثم يطأطأ رأسه . فقيل ذلك لسيف فقال إنما فعات هذا لعمري لأنه يضيق عنه كل شيء . ثم قال : أيها الملك غلبتنا على بلادنا الا غربة . قال كسرى أي الا غربة الحبشة أم السند قال بل الحبشة فجتنتك لتنصرني ويكون ملك بلادك فقال له كسرى بعدت بلادك مع قلة خيرها فلم أكن لأورط جيشا من فارس بارض العرب لا حاجة لي بذلك ، ثم أجازته بمشرة آلاف درهم واف وكساه كسوة حسنة فلما قبض ذلك منه سيف خرج فجعل ينثر تلك الورق للناس ، فبلغ ذلك الملك فقال إن لهذا لشأنا ثم بعث إليه فقال عمدت إلى حياء الملك تنثره للناس قال وما أصنع بحباك ما جبال أرضي التي جئت منها الا ذهب وفضة برغبه فيها ، فجمع كسرى مرارته فقال لهم ما ترون في أمر هذا الرجل وما جاء له . فقال قائل : أيها الملك إن في سجونك رجلا قد حبستهم للقنقل فلو أنك بمشهم معه فان يملكوا كان ذلك الذي أردت بهم وإن ظفروا كان ملكا أزددته ، فبعث معه كسرى من كان في

(١) القنقل : هو مكبال يسم ثلاثة وثلاثين مناً .

سجونه وكانوا ثمانمائة رجل واستعمل عليهم وهرز وكان ذا سن فيهم وأفضلهم حساباً وبيتاً فخرجوا في ثمان سفائن ففرقت سفينتان ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن فجمع سيف إلى وهرز من استطاع من قومه وقال له رجلى ورجلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً فقال له وهرز أنصفت وخرج إليه مسروق ابن أبرهة ملك اليمن وجمع إليه جنده فأرسل اليهم وهرز ابنا له ليقاتلهم فيختبر قتالهم ، فقتل ابن وهرز فزاده ذلك حنقا عليهم فلما تواقف الناس على مصافهم . قال : وهرز أروني ملكهم فقالوا له أترى رجلا على الفيل عاقداً تاجه على رأسه بين عينيه ياقوتة حمراء . قال : نعم . قالوا ذلك ملكهم فقال اتركوه قال فوقفوا طويلاً ثم قال علام هو؟ قالوا قد نحول على الفرس . قال اتركوه فتركوه طويلاً ثم قال علام هو؟ قالوا على البغلة قال وهرز : بنت الحمار ذل وذل ملكه ، إني سأرميه فان رأيتم أصحابه لم يتحركوا فأنبتوا حتى أودنكم فاني قد أخطأت الرجل وإن رأيتم القوم قد استداروا به ولائوا فقد أصبت الرجل فاحلوا عليهم . ثم وتر قومه وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره من شدتها وأمر بحاجبيه فصبا له ثم رماه فصك الياقوتة التي بين عينيه وتفلقت النشابة في رأسه حتى خرجت من قفاه ، ونكس عن دابته واستدارت الحبشة ولائت به ، وحملت عليهم الفرس فانهزموا فقتلوا وهربوا في كل وجه ، وأقبل وهرز ليدخل صنعاء حتى إذا أتى بابها قال لا تدخل رأيتي منكسة أبداً اهدموا هذا الباب فهدم ، ثم دخلها ناصباً رأته فقال سيف بن ذي يزن الحميري :

يظن الناس بالملك ن أنهما قد التاما
ومن يسمع بلائهما فان الخطب قد تقما
قتلنا القبل مسروقا وروينا الكتيب دما
وإن القيل قيل لنا س وهرز مقسم قسما
يدوق مشعشأ حتى نفى السبي والنما

ووفدت العرب من الحجاز وغيرها على سيف يهنتونه بعود الملك اليه وامتدحوه . فكان من جملة من وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم ، فبشره سيف برسول الله (ص) ، وأخبره بما يعلم من أمره وسياق ذلك مفصلاً في باب البشارات به عليه الصلاة والسلام .

قال ابن اسحاق: وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة التقي قال ابن هشام ويروي لامية بن أبي الصلت :

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن ديم في البحر للأعداء أحوالا
بم قيصراً لما حان رحله فلم يجد عنده بمض الذي سالا
ثم اتنى نحو كسرى بعد عاشره من السنين يهين النفس والمالا
حتى أتى يبي الأحرار يحملهم إنك همري لقد أسرعت قلالا

لله دَرَمٌ من عَصْبَةٍ خَرَجُوا ما إِنْ أَرَى لَهْمٌ فِي النَّاسِ أَمْثالاً
 غَلَباً مَرَازِبُهُ بِيضاً أَسَاوِرَةً أَسَدًا تُرَبِّبُ فِي الْغِيضَاتِ أَشْبالاً
 بِرُمُونٍ عَنِ سُدْفٍ كَأَنَّهَا غِبَطٌ زَنْخَرٌ يُعَجِّلُ المَرِيحَ إِعْجالاً
 أَرْسَلْتُ أَسَدًا عَلَى صَوْدِ الكَلابِ فَقَدَ أَنْصَحِي شَرِيدُهُمْ فِي الأَرْضِ فُلألاً
 فَاشْرَبْتُ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مَرْتَقاً فِي رَأْسِ غَمْدانِ دارِ مَنْكَ مَحْلالاً
 وَاشْرَبْتُ هَنِيئاً فَقَدْ شالَتْ نَعامُهُمْ وَأَسْبَلِ اليَوْمَ فِي بُرْدِيكَ إِسْبالاً
 تِلْكَ المِكارِمُ لِأَقْبانٍ مِنْ ابْنِ شَيْبِيا بِمِاءٍ فَماداً بَعْدُ أُوْبالاً

يقال - إن غمدان - قصر باليمن بناه يعرب بن قحطان وملكه بعده واحتله وائلة بن حمير بن سبأ
 ويقال كان ارتفاعه عشرين طبقة فأنه أعلم .

قال ابن اسحاق : وقال عدى بن زيد الحميري وكان أحد بني تميم :

ما بَعَدَ صِنعاً كان يَمُرُّها ولاة مَلِكِ جَزَلٍ مَواهِبِها
 رَفِمْها مِنْ بَنِي لَدِي قَزَعِها مَرزَنٍ وَتَندي مَسْكَاً مَحارِبِها
 مَحْفُوقَةٌ بِالْجِبالِ دُونَ عَرىها كائِدِ ما يَرْتَقِي غَوارِبِها
 يَأْنَسُ فِيها صَوْتُ النِّهامِ إِذا جَوابِها بِالعِشِيِّ قاصِبِها
 ساقَتْ لِبِها الأَسبابُ جَنْدِ بَنِيها أَحْرارِ فَرَسانِها مَواكِبِها
 وَفَوَزَتْ بِالْبِغالِ تَوَسَّقِها تَفِرُ وَتَسعى بِها تَوالِبِها
 حَتى يَراها الأَقوالُ مِنْ طَرفِها نَقَلَ مَحْضَرَةً كِتابِها
 يَوْمَ ينادون آلَ بَرَبَرٍ وَالِيبِكا سَومَ لا يَفْلحن هارِبِها
 فَكانَ يَوماً باقِي الحَدِيثِ وَرِزا لَتُ أُمَّةٌ ثابِتٌ مَراتِبِها
 وَبَدَلِ المِيجِ بِالزِرافَةِ وَالِيا يامِ حَونَ جَمٍّ عِجابِها
 بَعْدَ بَنِي تَبَعٍ نِخاوِرَةَ قَدِ اظْطانَتْ بِها مَرازِبِها

قال ابن هشام : وهذا الذي عنى سطیح بقوله يليه ارم ذى بزى يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك
 منهم أحداً باليمن . والذي عنى شق بقوله : غلام ليس بدنى ولا مدن يخرج من بيت ذى بزى .
 قال ابن اسحاق : وأقام وهرز والفرس باليمن فن بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناء الذين باليمن
 اليوم . وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها ارباط إلى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة وأخرجت
 الحبشة اثنتين وسبعين سنة توارث ذلك منهم أربعة : ارباط ثم أبرهة ثم يكسوم بن أبرهة ثم مسروق
 ابن أبرهة .

سائر أسرار الفرس باليمن

قال ابن هشام: ثم مات وهرز فامر كسرى ابنة المرزبان بن وهرز على اليمن ثم مات المرزبان فامر كسرى ابنه التينجان ثم مات فامر ابن التينجان ، ثم عزله عن اليمن وامر عليها باذان وفي زمنه بعث رسول الله (ص). قال ابن هشام فبلغني عن الزهري انه قال كتب كسرى الى باذان انه بلغني أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي فسر اليه فاستتبه فان تلبى والافابت إلى برأسه ، فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله (ص) فكتب اليه رسول الله (ص) ان الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا وكذا من شهر كذا ، فلما أتى باذان الكتاب وقف لينظر وقال ان كان نبياً فسيكون ما قال قتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله (ص) . قال ابن هشام : على يدي ابنة شيرويه . قلت : وقال بعضهم بنوه تماثلوا على قتله ، وكسرى هذا هو ابرويز بن هرم بن أنو شروان بن قباز ، وهو الذي غلب الروم في قوله تعالى : (ألم تغلبت الروم في أدنى الأرض) كما سيأتي بيانه . قال : السهيلي وكان قتله ليلة الثلاثاء لعشر خلون من جمادى الأولى سنة تسع من الهجرة . وكان والله أعلم لما كتب إليه رسول الله (ص) يدعو إلى الاسلام فغضب ومزق كتابه ، كتب الى نائبه باليمن يقول له ما قال . وفي بعض الروايات أن رسول الله (ص) قال لرسول باذان إن ربي قد قتل الليلة ربك فكان كما قال رسول الله (ص) قتل تلك الليلة بمينها ، قتله بنوه لظلمه بعد عدله بعد ما خلعه وولوا ابنة شيرويه فلم يعش بعد قتله أباه الا ستة أشهر أو دونها . وفي هذا يقول خالد بن حق الشيباني :

وكسرى إذ تقسمه بنوه بأسيافٍ كما اقتسم اللحم
تمخضت المنون له بيوم ألا ولكلٍ حاملةٍ تمام

قال الزهري : فلما بلغ ذلك باذان بعث باسلامه واسلام من معه من الفرس الى رسول الله (ص) فقالت الرسل : الى من نحن يا رسول الله . قال أنتم منا وإلينا أهل البيت . قال : الزهري ومن ثم قال رسول الله (ص) . سلمان منا أهل البيت . قلت والظاهر أن هذا كان بعد ما هاجر رسول الله (ص) إلى المدينة ولهذا بعث الامراء الى اليمن لتعليم الناس الخير ودعوتهم الى الله عز وجل ، فبعث أولا خالد بن الوليد وعلي بن أبي طالب ، ثم ابهما أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل . ودانت اليمن واهلها للاسلام ومات باذان فقام بعده ولده شهر بن باذان ، وهو الذي قتله الاسود العنسي حين تنبأ وأخذ زوجته كما سيأتي بيانه واجلى عن اليمن نواب رسول الله (ص) . فلما قتل الاسود عادت اليد الاسلامية عليها . وقال ابن هشام : وهذا هو الذي عفى به سطيح بقوله . نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلى . والذي عفى شق بقوله بل ينقطع برسول مرسل ، يأتي بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه

الى يوم الفصل .

قال ابن إسحاق : وكان في حجر باليمن فيما يزعمون كتاب بالزبور كتب بالزمان الاول : لمن ملك دمار الحمير الاخير ، لمن ملك دمار للحبشة الاشرار . لمن ملك دمار لفارس الاحرار ، لمن ملك دمار لقريش التجار . وقد نظم بعض الشعراء هذا المعنى فيما ذكره المسعودي :

حين شدت دمار قيل لمن اذ : مت فقالت لحمير الاخير

ثم سبيلت من بعد ذلك قالا : مت انا للحبش اخبث الاشرار

ثم قالوا من بعد ذلك لمن اذ : مت فقالت لفارس الاحرار

ثم قالوا من بعد ذلك لمن اذ : مت فقالت الى قريش التجار

ويقال ان هذا الكلام الذي ذكره محمد بن إسحاق ، وجد مكتوبا عند قبر هود عليه السلام حين كشفت الرياح عن قبره بأرض اليمن وذلك قبل زمن بقرنيس يسير في أيام مالك بن ذى المنار أخى عمرو ذى الازعار بن ذى المنار ويقال كان مكتوبا على قبر هود أيضاً وهو من كلامه عليه السلام حكاه السهيلي والله أعلم .

قصة الساطرون صاحب الحضرة

وقد ذكر قصته هاهنا عبد الملك بن هشام لاجل ما قاله بعض علماء النسب : ان النعمان بن المنذر الذي تقدم ذكره في ورود سيف بن ذى يزن عليه وسؤاله في مساعدته في رد ملك اليمن اليه إنه من سلالة الساطرون صاحب الحضرة وقد قدمنا عن ابن إسحاق ان النعمان بن المنذر من ذرية ربيعة بن نصر وانه روى عن جبير بن مطعم انه من أشلاء قيس بن معد بن عدنان فهذه ثلاثة أقوال في نسبه فاستطرد ابن هشام في ذكر صاحب الحضرة . والحضرة حصن عظيم بناه هذا الملك وهو الساطرون على حافة الفرات وهو منيف مرتفع البناء ، واسع الرحبة والفناء ، دوره بقدر مدينة عظيمة وهو في غاية الاحكام والبهاء والحسن والسناء ، واليه يجي ماحوله من الاقطار والارحاء . واسم الساطرون الضيزن ابن معاوية بن عبيد بن أجرم من بني سليح بن حلوان بن الحاف بن قضاة كذا نسبه ابن الكلابي . وقال : غيره كان من الجرافة وكان أحد ملوك الطوائف وكان يقدمهم إذا اجتمعوا للحرب عدو من غيرهم وكان حصنه بين دجلة والفرات .

قال ابن هشام : وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا الساطرون ملك الحضرة وقال غير ابن هشام : انما الذي غزا صاحب الحضرة سابور بن أردشير بن بابك أول ملوك بني ساسان اذل ملوك الطوائف ورد الملك الى الأكتاسرة . واما سابور ذو الأكتاف بن هرمز فبعد ذلك بدهر طويل والله

أعلم ذكره السهيلي .

قال ابن هشام : فحصره سنتين وقال غيره أربع سنين ، وذلك لأنه كان أغار على بلاد سابور في غيبته بارض العراق فاشرفت بنت الساطرون وكان اسمها النضيرة فنظرت الى سابور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من ذهب مكال بالزبرجد والياقوت والؤلؤ وكان جميلا ، فدمست اليه أتزوجني ان فتحت لك باب الحضرة . فقال : نعم ! فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر وكان لا يبيت الا سكران فاخذت مفاتيح باب الحضرة من تحت رأسه وبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب ويقال بل دلتم على نهر يدخل منه الماء متسع فوجدوا منه الى الحضرة ، ويقال بل دلتم على طلسم كان في الحضرة وكان في علمهم أنه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء وتغضب رجلاها ببيض جارية بكر ذرقاء ثم ترسل فاذا وقعت على سور الحضرة سقط ذلك الطلسم فيفتح الباب ففعل ذلك فافتتح الباب ، فدخل سابور فقتل ساطرون واستباح الحضرة وخر به وسار بها معه فتزوجها فينا هي نائمة على فراشها ليلا إذ جعلت تملل لا تنام فدعا لها بالشمع ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس . فقال لها سابور أهذا الذي اسهرك اقلت نعم ؟ قال فما كان أبوك يصنع بك قالت : كان يفرش لي الديباج ويابسني الحرير ويطعمني المنخ ويستقيني الخمر . قال : أفكان جزاءك ما صنعت به . أنت الى بذلك امرع ، فربطت قرون رأسها بذب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها ففيه يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة :

ألم ترَ للحضرة إذ أهله	بنعمي وهل خالد من نعم ^(١)
أقام به شاهبور الجنو	دحولين تضرب فيه القدم
فلما دعا ربه دعوة	أثلب اليه فلم ينتقم
فهل زاده ربه قوة	ومثل مجاوره لم يقم
وكان دعا قومه دعوة	هلوا إلى أمرهم قد صرم
فموتوا كراماً بأسيا فكم	أرى الموت بجيشه من جشم

وقال عدي بن زيد في ذلك :

والحضر صابت عليه داهية	من فوقه أيد مناكبها
ريية لم توق والداه	لحينها إذ أضع راقبها
اذ غبته صباه صافية	والخر وهل بهم شاربها
فأسمت أهلها بليتها	تظن أن الرئيس خاطبها

(١) كذا في سيرة ابن هشام والذي في معجم البلدان وهل خالد من سلم اه

فكانَ حظَّ العروسِ اذْجُثرا
وخرَّبَ الحضْرَ واستبيحَ وقد
صبحَ دماءَ نَجْرِي سبائِها
أحرقَ في خدرِها مشاجِبِها

وقال عدي بن زيد أيضا :

أينها الثامت المهيّر بالدم
أم لديك العهد الوثيق من الأ
من رأيت المنون خلدن أم
اين كسرى كسرى الملوك أنو
وبنو الاصفرا الكرام ملوك ال
واخو الحضرا اذ بناوا اذ دجا
شاده مرمرًا وجله كا
لم يهيه ريب المنون فبا
وتذكر رب الخورنق إذ
سره ماله وكثرة ما به
فارعوى قلبه وقال وما رغب
ثم اضحوا كأنهم ورق ج

قلت : ورب الخورنق الذي ذكره في شعره رجل من الملوك المتقدمين وعظه بعض علماء زمانه في أمره الذي كان قد أسرف فيه وعتا وتمرد فيه واتبع نفسه هواها ولم يراقب فيها مولاها فوعظه بمن سلف قبله من الملوك والدول وكيف بادوا ولم يبق منهم أحد وأنه ما صار إليه عن غيره الا وهو متقل عنه إلى من بعده ، فأخذته موعظته وبلغت منه كل مبلغ فارعوى لنفسه ، وفكر في يومه وأمه ، وخاف من ضيق رمة . فتاب وأناب وتزع عما كان فيه وترك الملك ولبس ذى القراء وساح في الفلوات وحظى بالخلوات وخرج عما كان الناس فيه من اتباع الشهوات وعصيان رب السموات وقد ذكر قصته مبسوطه الشيخ الامام موفق بن قدامة المقدسى رحمه الله في كتاب التوايين وكذلك أوردتها باسناد متين الحافظ أبو القاسم السهيلي في كتاب الروض الأنف المرتب أحسن ترتيب وأوضح تبين .

خبر ملوك الطوائف

وأما صاحب الحضرة وهو ساطرون فقد تقدم أنه كان مقدما على سائر ملوك الطوائف وكان من زمن اسكندر بن قليس المقدونى اليونانى وذلك لانه لما غلب على ملك الفرس دارا بن دارا وأذل

مملكته وخرّب بلاده واستباح بيضة قومه ونهب حواصله ومزق شمل الفرس شذر مندر عزم أن لا يجتمع لهم بعد ذلك شمل ولا يلتئم لهم أمر فجعل يقر كل ملك على طائفة من الناس في أقاليم من أقاليم الأرض ما بين عربها وأعاجمها فاستمر كل ملك منهم يحمي حوزته ويحفظ حصته ويستغل محله فإذا هلك قام ولده من بعده أو أحد قومه فاستمر الأمر كذلك قريبا من خمسمائة سنة حتى كان ازدشير بن بابك من بني ساسان بن بهمن بن أسفنديار بن يشتاسب بن لهراسب فأعاد ملكهم إلى ما كان عليه ورجعت الممالك رمتها إليه وأزال ممالك مملوك الطوائف ولم يبق منهم تلد ولا طارف وكان تأخر عليه حصار صاحب الحضرة الذي كان أكبرهم وأشدهم وأعظمهم إذ كان رئيسهم ومقدمهم فلما مات ازدشير تصدى له ولده سابور فحاصره حتى أخذه كما تقدم والله سبحانه وتعالى أعلم.

ذكر نبي اسماعيل وما كان من الأمور الخفية التي زمان النبوة

تقدم ذكر اسماعيل نفسه عليه السلام مع ذكر الأنبياء وكيف كان من أمره حين احتمله أبوه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مع أمه هاجر فاسكنها بوادي مكة بين جبال فاران حيث لا أنيس به ولا حيس وكان اسماعيل رضيعا ثم ذهب وتركها هناك عن أمر الله له بذلك ليس عند أمه سوى جراب فيه تمر وكاه فيه ماء فلما نفذ ذلك أنبع الله لهاجر زهزم التي هي طعام طعم وشفاء سقم كما تقدم بيانه في حديث ابن عباس الطويل الذي رواه البخاري رحمه الله. ثم نزلت جرم وهم طائفة من العرب العاربة من أمم العرب الأقدمين عند هاجر بمكة على أن ليس لهم في الماء شيء إلا ما يشربون منه وينتفعون به فاستأنست هاجر بهم وجعل الخليل عليه السلام يطالع أمرهم في كل حين يقال انه كان يركب البراق من بلاد بيت المقدس في ذهابه وإيابه ثم لما ترعرع الغلام وشب وبلغ مع أبيه السعي كانت قصة الذبيح كما تقدم بيان أن الذبيح هو اسماعيل على الصحيح ثم لما كبر تزوج من جرم امرأة ثم فارقها وتزوج غيرها وتزوج بالسيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وجاءته بالبنين الاثني عشر كما تقدم ذكرهم وهم: نابت وقيدر. ومنشا. ومسمع. وماشي. ودما. وأذر. ويطور. ونيشي. وطيا. وقيدما^(١) هكذا ذكره محمد

(١) كذا في الاصل احدى عشر. قال ابن جرير الطبري: وقد ينطق باسماء أولاد اسماعيل بنبر الالفاظ التي ذكرت عن ابن اسحاق وقد ضبطهم زميلنا الفاضل محب الدين افندي الخطيب في كتابه اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب بعد بحثه عن ذلك في مختلف المصادر هكذا. نابت، قيدار، يطور، تبا، دومة، مسمع، قدمة، ادب، ايل، نفيس، ميسام، الميسع، حداد.

ابن اسحاق وغيره عن كتب أهل الكتاب وله ابنة واحدة اسمها نسمة وهي التي زوجها من ابن أخيه العيص بن اسحاق بن ابراهيم فولد له منها الروم وفارس والاشبان أيضا في أحد القولين .

ثم جميع عرب الحجاز على اختلاف قبائلهم يرجعون في أنسابهم الى رلييه نابت وقيدر ، وكان الرئيس بعده والقائم بالامور الحاكم في مكة والناظر في أمر البيت وزمزم نابت بن اسماعيل وهو ابن أخت الجرهميين ، ثم تغلبت جرم على البيت طعما في بني أختهم فحكوا بمكة وما والاها عوضا عن بني اسماعيل مدة طويلة فكان أول من صار اليه أمر البيت بعد نابت مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب ابن عيبر^(١) بن بنت بن جرم ، وجرم بن قحطان ويقال جرم بن يقطن بن عيبر بن شالخ بن ارفخشذ ابن سام بن نوح الجرهمي . وكان نازلا بأعلى مكة بقميقعان وكان السميدع سيد قطوراء نازلا بقومه في أسفل مكة وكل منهما يشر من سر به مجتازا الى مكة . ثم وقع بين جرم وقطوراء فقتلوا فقتل السميدع واستوثق الأمر لمضاض وهو الحاكم بمكة والبيت لا ينازعه في ذلك ولد اسماعيل مع كثرتهم وشرفهم وانتارهم بمكة وبغيرها وذلك لخواتمهم له ولعظمة البيت الحرام . ثم صار الملك بعده الى ابنه الحارث ثم الى عمرو بن الحارث ثم بنت جرم بمكة واكثر فيها الفساد والحدوا بالمسجد الحرام حتى ذكر أن رجلا منهم يقال له اساف بن بنى وامرأة يقال لها نائلة بنت وائل اجتمعا في الكعبة فكان منه اليها الفاحشة فمسخهما الله حجرتين فنصبهما الناس قريبا من البيت ليعتبرا بهما فلما طال المطال بعد ذلك بمدد عبدا من دون الله في زمن خزاعة كما سيأتي بيانه في موضعه . فكانا صنمين منصوبين يقال لهما إساف ونائلة . فلما كثرت جرم البغي بالبلد الحرام تملأت عليهم خزاعة الذين كانوا نزلوا حول الحرم وكانوا من ذرية عمرو بن عامر الذي خرج من اليمن لاجل ما توقع من سيل العرم كما تقدم . وقيل ان خزاعة من بني اسماعيل فالله أعلم .

والمقصود أنهم اجتمعوا لجرهم وآذنوم بالحرب واقتلوا واعتزل بنو اسماعيل كلا الفريقين فغلبت خزاعة وهم بنو بكر بن عبد مناة وغبشان واجلوم عن البيت فعمد عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي وهو سيدم الى غزالي الكعبة وهما من ذهب وحجر الركن وهو الحجر الأسود والى سيوف محلاة واشياء اخر فدقها في زمزم وعلم زمزم وارتمل بقومه فرجعوا الى اليمن . وفي ذلك يقول عمرو بن الحارث ابن مضاض :

وفائلة والدمع سكب مبادر وقد شرقت بالدمع منها المحاجر
كان لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسر بمكة سامر
قلت لها والقلب مني كأنما يلجلججه بين الجناحين طائر

(١) وفي السهيلي : ابن هي في المكانيين .

بل نحن كنا أهلها فأزالنا
 وكنا ولاية البيت من بعدنا
 ونحن ولينا البيت من بعدنا
 ملكنا فبرزنا فأعظم بملكنا
 ألم تنكحوا من خير شخص علمته
 فإن تفتي الدنيا علينا بحالها
 فأخرجنا منها المليك بقدره
 أقول إذا نام الخليل ولم أتم
 وبذلت منها أو جهاً لا أحبها
 وصرنا أحاديثاً وكنا بقبطة
 فسحت دموع العين تبكي لبلدة
 وتبكي لبيت ليس يؤذي حمامه
 وفيه وحوش لا ترام أبسة
 صروف القبلي والجدود العواثر
 فطوف بذاك البيت والخير ظاهر
 بزّ فما يحظى لدينا المشاكر
 فليس لحبي غيرنا ثم فخر
 فابناؤه منا ونحن الأصاهر
 فإن لها حالاً وفيها التاجر
 كذلك بالناس تجري المقادر
 إذا العرش لا يعد سهيل وعامر
 قبائل منها حمير ويحابر
 بذلك عصتنا السنون القوار
 بها حرم أمر وفيها المشاعر
 يظل به أمناً وفيه المصافر
 إذا خرجت منه فليست تغادر

قال ابن اسحاق: وقال عمرو بن الحارث بن مضاض أيضا يذكر نبي بكر وغبشان الذين خلفوا

بدم بمكة:

يا أيها الناس سيروا إن قصاركم
 حثوا المطي وأزخوا من أزمته
 كنا أئلساً كما كنتم ففيرا
 دهر فأنتم كما صرنا تصيرونا
 أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
 قبل الممات وقضوا ما قضونا

قال ابن هشام: هذا ما صح له منها وحدثني بعض أهل العلم بلشعر أن هذه الأبيات أول شعر قيل في العرب وأنها وجدت مكتوبة في حجر بلهين ولم يسم قائلها وذكر السهيلي لهذه الأبيات أخوة وحكى عندها حكاية مسجبة وانشادات معربة. قال: وزاد أبو الوليد الأزرقي في كتابه فضائل مكة على هذه الأبيات المذكورة المنسوبة إلى عمرو بن الحارث بن مضاض:

قد مال دهر علينا ثم أهلكنا
 واستخبروا في صنيع الناس قبلكم
 كنا زماناً ملوك الناس قبلكم
 بمسكروا في حرام الله مسكونا
 بالبني فينا وبز الناس نلسونا
 كما استبان طريق عنده الهونا

قصة خزيمة وعمر بن لحي وجماعة العرب لله

قال ابن اسحاق: ثم أن غبشان من خزاعة وليت البيت دون بني بكر بن عبد مناة، وكان الذي يليه منهم عمرو بن الحارث النبشاني وقريش إذ ذاك حلول وصرم وبيوت متفرقون في قومهم من بني كنانة. قالوا: وإنما سميت خزاعة خزاعة لأنهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام فزلوا بمر الظهران فأقاموا به. قال عون بن أيوب الأنصاري ثم الخزرجي في ذلك:

فلما هبطنا بطناً من نخزعت خزاعة منا في حلول كراكر
حمت كل وادٍ من بهامة واحتمت بضم القنا والمرهقات البواتر

وقال أبو المطهر اسماعيل بن رافع الأنصاري الأوسي:

فلما هبطنا بطن مكة أحتت خزاعة دار الآكل المتحامل
فلت أكاريسا وشقت قنابلاً على كل حي بين نجد وساحل
فواجرها عن بطن مكة واحتبوا بزخزاعي شديد الكواهل

فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كبراً عن كبر حتى كان آخرهم حليل بن حبشية بن سلول ابن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي الذي تزوج قصي بن كلاب ابنته حي فولدت له بنو الأربعة عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبدا، ثم صار أمر البيت اليه كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة. واستمرت خزاعة على ولاية البيت نحواً من ثلاثمائة سنة وقيل خمسمائة سنة والله أعلم. وكانوا سوس^(١) في ولايتهم وذلك لأن في زمانهم كان أول عبادة الأوثان بلحجاز وذلك بسبب رئيسهم عمرو بن لحي لعنه الله فانه أول من دعاهم إلى ذلك وكان ذا مل جزيل جداً. يقال: أنه فقاً أعين عشرين بعيراً وذلك عبارة عن أنه ملك عشرين ألف بعير وكان من عادة العرب أن من ملك ألف بعير فقاً عين واحد منها لانه يدفع بذلك العين عنها. ومن ذكر ذلك الأزرقي وذكر السهيلي: أنه ربما ذبح أيام الحجيج عشرة آلاف بدنة وكبي عشرة آلاف حلة في كل سنة يطعم العرب ويجيب لهم الحيس بالسمن والعسل ويبت لهم السويق. قالوا: وكان قوله وفعله فيهم كالشرع المتبع لشرفه فيهم ومحلته عندهم وكرمه عليهم.

قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره

(١) كذا بالأصل ولعلها: وكانوا قوم سوء في ولايتهم.

فلما قدم مآب من أرض البلقاء وبها يومئذ العمايق وهم ولد عملاق ويقال ولد عمليق بن لاوذ بن سام ابن نوح رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتطرنا ونستنصرها فتنصرنا. فقال: لهم ألا تعطوني منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه. فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه قال ابن اسحاق: ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني اسماعيل عليه السلام أنه كان لا يظن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد الا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم، فحيث ما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم حتى خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه.

وفي الصحيح عن أبي رجاء العطاردي. قال: كنا في الجاهلية إذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من التراب وجئنا بالشاة فخلبناها عليه ثم طفنا بها.

قال ابن اسحاق: واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم عليه السلام يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفات والمزدلفة وهدى البدن والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه ما ليس منه. فكانت كنانة وقريش إذا هلوا قالوا: لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك، الا شريكا هو لك، تملكه وما ملك. فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده. يقول الله تعالى لمحمد (ص): (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أي ما يوحدونني لمعرفة حتى الا جعلوا معي شريكاً من خلقي.

وقد ذكر السهيلي وغيره: أن أول من لبى هذه التلبية عمرو بن لحي وأن ابليس تبسدى له في صورة شيخ فجعل يلقنه ذلك فيسمع منه ويقول كما يقول واتبعه العرب في ذلك.

وثبت في الصحيح أن رسول الله (ص) كان إذا سمعهم يقولون لبيك لا شريك لك يقول: قد قداى حسب حسب. وقد قال البخاري ثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا يحيى بن آدم ثنا اسراييل عن أبي حفص عن أبي هريرة عن النبي (ص). قال: إن أول من سب السوايب وعبد الأصنام، أبو خزاعة عمرو ابن عامر وإني رأيتهم يجر امعاءه في النار. تفرد به احمد من هذا الوجه. وهذا يقتضى أن عمرو بن لحي هو أبو خزاعة الذي تنسب اليه القبيلة بكاملها كما زعمه بعضهم من أهل النسب فيما حكاه ابن اسحاق وغيره ولو تركنا مجرد هذا لكان ظاهراً في ذلك بل كالنص ولكن قد جاء ما يخالفه من بعض الوجوه فقال البخاري وقال أبو البمان: أخبرنا شعيب عن الزهري. قال سمعت سعيد بن المسيب قال: البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحملها أحد من الناس - والسائبة - التي كانوا يسيبونها لآلهم لا يحمل عليها

شيء . قال وقال أبو هريرة . قال النبي (س) : رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار . كان أول من سيب السوائب . وهكذا رواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث صالح بن كيسان عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة به . ثم قال البخاري ورواه ابن الهاد عن الزهري قال الحاكم أراد البخاري رواه ابن الهاد عن عبد الوهاب بن بخت عن الزهري كذا قال .

وقد رواه احمد عن عمرو بن سلمة الخزاعي عن الليث بن سعد عن يزيد بن الهاد عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة سمعت رسول الله (س) يقول : رأيت عمرو بن عامر يجر قصبه في النار ، وكان أول من سيب السوائب وبحر البحيرة . ولم يذكر بينهما عبد الوهاب بن بخت كما قال الحاكم فله أعلم . وقال أحمد أيضاً حدثنا عبد الرازق حدثنا معمر عن الزهري عن أبي هريرة قال قال رسول الله (س) : رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار ، وهو أول من سيب السوائب . وهذا منقطع من هذا الوجه . والصحيح الزهري عن سعيد عنه كما تقدم وقوله في هذا الحديث والذي قبله الخزاعي يدل على أنه ليس والد القبيلة بل منتسب إليها مع ما وقع في الرواية من قوله أبو خزاعة تصحيف من الراوي من أخو خزاعة أو أنه كان يكنى بأبي خزاعة ولا يكون ذلك من باب الاخبار بأنه أبو خزاعة كما هم والله أعلم وقال محمد بن اسحاق : حدثني محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول سمعت رسول الله (س) يقول : لا لكم بن الجون الخزاعي يا أكم رأيت عمرو بن لحي ابن قعدة بن خندف يجر قصبة في النار فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به ولا بك منه . فقال أكم : عسى أن يضرنى شبهه يا رسول الله قال : لا انك مؤمن وهو كافر ، انه كان أول من غير دين اسماعيل فنصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحى الحامى . ليس في الكتب من هذا الوجه وقد رواه ابن جرير عن هناد بن عبدة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي (س) بنحوه أو مثله وليس في الكتب أيضاً . وقال البخاري حدثني محمد بن أبي يعقوب أبو عبد الله الكرماني حدثنا حسان بن ابراهيم حدثنا يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله (س) : رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً ورأيت عمراً يجر قصبه وهو أول من سيب السوائب . تفرد به البخاري . وروى الطبراني من طريق صالح عن ابن عباس مرفوعاً في ذلك . والمقصود أن عمرو بن لحي لعنه الله كان قد ابتدع لهم أشياء في الدين غير بها دين الخليل فاتبعه العرب في ذلك فضلوا بذلك صلاحاً بعيداً بيناً فظليماً شنيعاً وقد انكر الله تعالى عليهم في كتابه العزيز في غير ما آيه منه فقال تعالى : (ولا تقولوا لم تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) الآية . وقال تعالى : (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثروا لا يقولون) وقد تكلمنا على هذا كاه مبسوطاً وبيننا اختلاف السلف في تفسير ذلك فمن أراد فليأخذ

من ثم والله الحمد والمنة . وقال تعالى : (ويجعلون لسانا لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم والله لتستثنى عما كنتم تفترون) . وقال تعالى : (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ما به يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ليردوهم وليأبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون) (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون) . (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميثمة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليهم . قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) .

باب جهل العرب . وقال البخارى فى صحيحه .

حدثنا أبو النعمان حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قل إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقراً ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) وقد ذكرنا تفسير هذه الآية وما كانوا ابتدعوه من الشرائع الباطلة الفاسدة التي ظنها كبيرهم عمرو بن لحي قبحة الله مصلحة ورحمة بالدواب والبهائم وهو كاذب مفتر في ذلك ومع هذا الجهل والضلال اتبعه هؤلاء الجهلة الطغام فيه بل قد تابوه فيما هو اطم من ذلك واعظم بكثير وهو عبادة الاوثان مع الله عز وجل وبدلوا ما كان الله يبعث به ابراهيم خليله من الدين القويم والصراط المستقيم من توحيد عبادة الله وحده لا شريك له وتحريم الشرك وغيره وشعائر الحج ومعالم الدين بغير علم ولا برهان ولا دليل صحيح ولا ضعيف واتبعوا في ذلك من كان قبلهم من الأمم المشركين وشابهوا قوم نوح وكانوا أول من أشرك بالله وعبد الأصنام ولهذا بعث الله اليهم نوحاً وكان أول رسول بعث ينهى عن عبادة الأصنام كما تقدم بيانه في قصة نوح (وقالوا لا تدرن آلهنكم ولا تدرن ود ولا سواعاً ولا يعوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً) الآية قال ابن عباس كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم فلما طال عليهم الأمد وبدوم وقد بينا كيفية ما كان من أمرهم في عبادتهم بما أغنى عن اعادته ههنا .

قال ابن اسحاق وغيره : ثم صارت هذه الأصنام في العرب بعد تبديلهم دين اسماعيل فكان ود لبني كلب بن مرة بن قنبل بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . وكان منصوباً بدومة الجندل

وكان سواع لبني هذيل بن الياس بن مدركة بن مضر. وكان منصوباً بمكان يقال له رهاط. وكان يثوث
ابني أضم من طي ولاهل جرش من مذحج وكان منصوباً بجرش. وكان يعوق منصوباً بارض همدان
من اليمن لبني خيوان بطن من همدان. وكان نسر منصوباً بارض حمير لقبيلة يقال لهم ذوالكلاع.

قال ابن اسحاق: وكان لخلولان بارضهم صنم يقال له عم أنس يقسمون له من أنعامهم وحروثهم
قسماً بينه وبين الله فيما يزعمون فمادخل في حق عم أنس من حق الله الذي قسموه له تركوه له ومادخل في
حق الله من حق عم أنس ردوه عليه وفيهم أنزل الله (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيباً)
قال: وكان لبني ملكان بن كذابة بن خزيمة بن مدركة صنم يقال له سعد صخرة بفلاة من أرضهم طويلة
فاقبل رجل منهم بابل له مؤبلة ليقتفها عليه الناس بركنه فيما يزعم فلما رآه الأبل وكانت مرعية لا تركب
وكان الصنم يهراق عليه الدماء ففرت منه فذهبت في كل وجه وغضب ربها واخذ حجراً فرماه به ثم قال
لا برك الله فيك ففرت على ابلي ثم خرج في طلبها فلما اجتمعت له قال:

أتينا الى سعدٍ ليجمع شملنا فشتتنا سعدٌ فلا نحن من سعد
وهل سعدٌ الا صخرةً بتنوفةٍ من الأرض لا يدعولني ولا رُشد

قال ابن اسحاق: وكان في دوس صنم لعمر بن حمزة الدوسي. قال وكانت قریش قد اتخذت
صنماً على بئر في جوف الكعبة يقال له هبل وقد تقدم فيما ذكره ابن هشام انه أول صنم نصبه عمرو بن
لحي لعنه الله.

قال ابن اسحاق: واتخذوا إسافاً وثائلةً على موضع زمزم ينحرون عندهما ثم ذكر أنهما كانا رجلاً
وامرأة فوق عليهما في الكعبة فسخهما الله حجراً. ثم قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن
عمرو بن حزم عن عمرة أنها قالت سمعت عائشة تقول: ما زلنا نسمع أن إسافاً وثائلةً كانا رجلاً وامرأة
من جرم أحدنا في الكعبة فسخهما الله عز وجل حجراً والله أعلم. وقد قيل إن الله لم يمهلهما حتى
فجرا فيها بل مسخهما قبل ذلك فمعد ذلك نصبا عند الصفا والمروة فلما كان عمرو بن لحي قلبهما فوضعهما
على زمزم وطاف الناس بهما وفي ذلك يقول أبو طالب:

وحيث يُفبخُ الأشعرون، ركبهم بمفضي السيول من أسافٍ وثائل

وقد ذكر الواقدي: أن رسول الله (ص) لما أمر بكسر ثائلة يوم الفتح خرجت منها سوداء شمطاء
تخمش وجهها وتدعو بلويل والثبور. وقد ذكر السهيلي: أن أجا وسلمى وهما جبلان بارض الحجاز انما
سميا بلحم رجل اسمه أجا بن عبد الحى فجر بسلمى بنت حام فصلبا في هذين الجبلين فرفا بهما قال: وكان
بين أجا وسلمى صنم لطي يقال له قلس.

قال ابن اسحاق: واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يبدونه فاذا أراد الرجل منهم صفراً تمسح به

حين يركب فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه الى سفره . واذا قدم من سفره تمسح به فكان ذلك
أول ما يبدأ به قبل ان يدخل على أهله . قال فلما بعث الله محمداً (ص) بالتوحيد قالت قريش (أَجْعَلِ
الآلهة إلهاً واحداً ان هذا لشيءٌ عجاب) .

قال ابن اسحاق : وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة
لها سدة وحجاب ، وتهدى لها كما تهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها . وهي مع ذلك
تعرف فضل الكعبة عليها لأنها بناء ابراهيم الخليل عليه السلام ومسجده . وكانت لقريش وبني كنانة
العزى بنخلة وكانت سدنتها وحجابها بنو شيبان من سليم خلفاء بنو هاشم وقد خربها خالد بن الوليد
زمن الفتح كما سيأتي . قال : وكانت اللات لتقيف بالطائف وكانت سدنتها وحجابها بنو معتب من
ثقيف وخربها اوسفيان والمغيرة بن شعبة بعد مجيء أهل الطائف كما سيأتي . قال : وكانت مناة للاوس
والخزرج ومن دان بدينهم من أهل المدينة على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد وقد خربها أبو
سفيان أيضاً وقيل على بن أبي طالب كما سيأتي . قال : وكان ذو الخليفة لدوس وخشم وبجيلة ومن كان
ببلادهم من العرب بنبالة وكان يقال له الكعبة البمانية ، وليت مكة الكعبة الشامية وقد خربه جرير بن
عبد الله البجلي كما سيأتي قال . وكان قلس لطي ومن يليها بجبلي طي بين اجا وسلمى ، وهما جبلان
مشهوران كما تقدم . قال : وكان رآم بيتا لحمير وأهل اليمن كما تقدم ذكره في قصة تبع أحد ملوك حمير
وقصة الحبرين حين خرباه وقتل منه كلباً أسود . قال : وكانت رضاء بيتاً لبني ربيعة بن كعب بن سعد
ابن زيد مناة بن تميم ولها يقول المستوغر واسمه كعب بن ربيعة بن كعب :

ولقد شددت على رضاء شدةً فتركها قفراً بقاع اسحا
واعان عبد الله في مكروها وبمثل عبد الله أغشى المحرما

ويقال إن المستوغر هذا عاش ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة وكان أطول مضر كلها عمراً وهو الذي يقول :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مئينا
مائة حدثها بعدها مائتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بقي الا كما قد فاتنا يوم يمرّ وليلة نحدونا

قال ابن هشام : وروى هذه الآيات لزهير بن جناب بن هبل . قال السهيلي : ومن المصريين الذين
جازوا المائتين والثلاثمائة زهير هذا وعبيد بن شرية ودغفل بن حنظلة النسابة والربيع بن ضبع الفزاري
وذو الأصبع المدواني ونصر بن دهمان بن أشجع بن ربث بن غطفان ، وكان قد أسود شعره بعد
ايضاؤه وتقوم ظهره بعد اعوجاجه . قال : وكان ذ الكعبات لبكر وتقلب بن وائل وأباد بسنداد وله
يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة :

بين الخورنق والسدير وبارق
وأول هذه القصيدة :

ولقد علمت وأن تطاول بي المدى
ماذا أوئل بعد آل محرق
زلوا بأقررة يسيل عليهم
أرض الخورنق والسدير وبارق
جرت الرياح على محل ديارهم
وأرى النسيم وكما يلهي به
أن السيل سبيل ذي الأعراد
تركوا منازلهم وبعد إيلاد
ماه الفرات يجيء من أطواد
والبيت ذوالكعبات من سنداد
فكأنما كانوا على ميعاد
يوماً يصير إلى يلى ونهاد

قال السهيلي : الخورنق قصر بناه النعمان الأكبر لسابور ليكون ولده فيه عنده ، وبناه رجل يقال له سمار في عشرين سنة ولم يُر بناء أعجب منه فغشى النعمان أن يبني لغيره مثله فأتاه من أعلاه قتله ففى ذلك يقول الشاعر :

جزائي جزاء الله شرَّ جزائه
سوى رصفه البنيان عشرين حجةً
فلما انتهى البنيان يوماً تمامه
رمى بسمارٍ على حُق رأسه
جزاء سمارٍ وما كان ذا ذنب
يعدّ عليه بالقراميد والسكب
وأض كمثل الطود والباذخ الصعب
وذاك لعمرك الله من أقبح الخطب

قال السهيلي : أنشده الجاحظ في كتاب الحيوان والسمار من أسماء القمر والمقصود أن هذه البيوت كلها هدمت . لما جاء الإسلام جهز رسول الله (س) إلى كل بيت من هذه سرايا تخربه وإلى تلك الأصنام من كسرها حتى لم يبق للكعبة ما يضاهاها وعبد الله وحده لا شريك له كما سيأتي بيانه وتفصيله في مواضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

خبر عذراء حبر عريث الجمار

لا خلاف أن عدنان من سلالة اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام واختلفوا في عدة الآباء بينه وبين اسماعيل على أقوال كثيرة فأكثر ما قيل أربعون أباً وهو الموجود عند أهل الكتاب أخذوه من كتاب رخيا كاتب أرميا بن حلقيا على ما سنذكره وقيل بينهما ثلاثون وقيل عشرون وقيل خمسة عشر وقيل عشرة وقيل تسعة وقيل سبعة وقيل إن أقل ما قيل في ذلك أربعة لما رواه موسى بن يعقوب عن عبد الله بن وهب بن زمة الزهري عن عمته عن أم سلمة عن النبي (س) أنه قال معد بن عدنان

ابن أدد بن زند بن اليرى بن اعراق الثرى. قالت: أم سلمة فزند هو الهيمس واليرى هو ثابت واعراق الثرى هو اسماعيل لأنه ابن ابراهيم و ابراهيم لم تأكاه النار كما أن النار لا تأكل الثرى قال الدارقطني لا يعرف زندا الا في هذا الحديث وزند بن الجون وهو أبو دلامة الشاعر

قال الحافظ أبو القاسم السهيلي وغيره من الأئمة : مدة ما بين عدنان إلى زمن اسماعيل أكثر من أن يكون بينهما أربعة آباء أو عشرة أو عشرون وذلك أن معد بن عدنان كان عمره زمن بخت نصر ثنتي عشرة سنة . وقد ذكر أبو جعفر الطبرى وغيره أن الله تعالى أوحى في ذلك الزمان إلى أرميا بن حلقيا أن اذهب إلى بخت نصر فأعلمه أنى قد سلطته على العرب وأمر الله أرميا أن يحمل معه معد بن عدنان على البراق كي لا تصيبه النعمة فيهم فأتى مستخرج من صلبه نبياً كريماً أختم به الرسل ففعل أرميا ذلك واحتمل معدا على البراق إلى أرض الشام فنشأ مع بنى اسرائيل ممن بقى منهم بعد خراب بيت المقدس وتزوج هناك امرأة اسمها معانة بنت جوشن من بنى دب بن جرم قبل أن يرجع إلى بلاده ثم عاد بعد أن هدأت الفتن وتمحضت جزيرة العرب وكان رخيا كاتب أرميا قد كتب نسبه في كتاب عنده ليكون في خزانه أرميا فيحفظ نسب معد كذلك والله أعلم . ولهذا كره مالك رحمه الله رفع النسب إلى ما بعد عدنان .

قال السهيلي : وإنما تكلمنا في رفع هذه الانساب على مذهب من يرى ذلك ولم يكرهه كابن اسحاق والبخارى والزبير بن بكار والطبرى وغيرهم من العلماء ، وأما مالك رحمه الله فقد سئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فذكره ذلك ، وقال له من أين له علم ذلك قبيل له فلى اسماعيل فانكر ذلك أيضاً وقال ومن يخبره به وكره أيضاً أن يرفع في نسب الأقباء مثل أن يقال ابراهيم بن فلان بن فلان هكذا ذكره المعيطى في كتابه .

قال : وقول مالك هذا نحو مما روى عن عروة بن الزبير أنه قل ما وجدنا أحداً يعرف ما بين عدنان واسماعيل ، وعن ابن عباس أنه قل بين عدنان واسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون وروى عن ابن عباس أيضاً أنه كان إذا بلغ عدنان يقول كذب النسابون مرتين أو ثلاثاً والأصح عن ابن مسعود مثله . وقال عمر بن الخطاب إنما تنسب الى عدنان ، وقال أبو عمر بن عبد البر في كتابه الانباه في معرفة قبائل الرواه روى ابن لهيعة عن أبي الأسود أنه سمع عروة بن الزبير يقول ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء عدنان ولا ما وراء قحطان الا نخرصا ، وقال أبو لاسود: سمعت أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة وكان من أعلم قريش بأشعارهم وانسابهم يقول ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء معد بن عدنان في شعر شاعر ولا علم عالم قال أبو عمر: وكان قوم من السلف منهم عبد الله بن مسعود وعمر بن الخطاب بن مسعود والأزدى ومحمد بن كعب القرظي إذا تلوا (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) قالوا كذب النسابون .

قال أبو عمر رحمه الله : والمعنى عندنا في هذا غير ما ذهبوا والمراد أن من ادعى احصاء بني آدم فاتهم لا يعلمهم الا الله الذي خلقهم وأما انساب العرب فن أهل العلم بأبائهم وانسابها قد وعوا وحفظوا جاهلها وأمهاً قبائلهم واختلفوا في بعض فروع ذلك .

قال أبو عمر : والذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان قالوا عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور ابن تيرح بن يعرب بن يشجب بن ثابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام وهكذا ذكره محمد بن اسحاق بن يسار في السيرة .

قال ابن هشام : ويقال عدنان بن أدي بن عدنان بن أد بن أدد ثم ساق أبو عمر بقية النسب إلى آدم كما قدمناه في قصة الخليل عليه السلام . وأما الانساب إلى عدنان من سائر قبائل العرب فمحافظة شهيرة جداً لا يتأري فيها اثنان والنسب النبوي اليه أظهر وأوضح من فلق الصبح وقد ورد حديث مرفوع بالنص عليه كما مسنوده في موضعه بعد الكلام على قبائل العرب وذكر انسابها وانتظامها في سلك النسب الشريف والأصل المنيف إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم . وما أحسن ما نظم النسب النبوي الامام أبو العباس عبد الله بن محمد الناشي في قصيدته المشهورة المنسوبة اليه وهي قوله :

مدحت رسول الله أنبي بمدحه	وفور حظوظي من كريم المآرب
مدحت امرء آفاق ^(١) المديح موحداً	بأوصافه عن مُبعدٍ ومقارب
نبتاً تسامى في المشارق نوره	فلاحت هواديه لأهل المغارب
أتنا به الأنبا قبل مجيئه	وشاعت به الأخبار في كل جانب
وأصبحت الكهان تهتف باسمه	وتنفي به رجم الظنون الكواذب
وأنطقت الأصنام فطقاً تبرأت	الى الله فيه من مقال الأكاذب
وقالت لأهل الكفر قولاً مبيتاً	أناكم نبي من لؤي بن غالب
ورام استراق السمع جن فزبلت	مقاعدهم منها رجوم الكواكب
هدانا الى مالم نكن نهتدي له	لطول المعى من واضحاب المذاهب
وجاء بآيات تبين أنها	دلائل جبار مثيب معاقب
فنها انشقاق البدر حين تعتمت	شعوب الضيامن در من الاخشاب
ومنها نبوع الماء بين بنانه	وقد عديم الوراد قرب المشارب
فروى به جماً غفيراً وأسهمت	باعناقير طوحاً ا كفت المذائب

(١) في نسخة الانباء المطبوعة : فات

وبشر طفت بالماء من مس سهره
 وضرع صراه فاستدز ولم يكن
 ونطق فصيح من ذراع مبيته
 وإخباره بالأمر من قبل كرهه
 ومن تلك الآيات وحي أني به
 تقاءرت الافكار عنه فلم يطع
 حوى كل علم واحتوى كل حكمة
 أنا به لا عن روية مرتني
 يواتيه طوراً في إجابة سائله
 وإتيان برهان وفرض شرائع
 وتصريف أمثال وتثبيت حجة
 وفي مجمع النادي وفي حومة الوغى
 فيأتي على ماشئت من طرقاته
 يصدق منه البعض بعضاً كأنما
 وعجز الوردى عن ان يجهوا بمثل ما
 نأني بعبد الله أكرم والبر
 وشيبة ذي الحمد الذي فخرت به
 ومن كان يستنقى الغمام بوجهه
 وهاشم الباني مشيد افتخاره
 وعبد مناف وهو علم قومه اش
 وإن قصياً من كريم غرابه
 به جمع الله القبائل بعدما
 وحل كلاب من ذرى المجد معقلاً
 ومرة لم يحلل سريرة عزمه
 وكعب علا عن طالب المجد كعبه
 وألوى لؤي بالعداة فطوعت
 وفي غالب بأس أني البأس دونهم
 ومن قبل لم تسمع بمذقة شراب
 به ذرة تصني الى كفت حالب
 لكيدر عدو للعداوة ناصب
 وعند واديه بما في العواقب
 قريب المائي مستجم العجائب
 بليغاً ولم يخاطر على قلب خاطب
 وفات سرام المستمر الموارب
 ولاصحف مستمل ولاوصف كاتب
 وإفناء مستفت وزوعظ مخاطب
 وقص أحاديث ونص ما رب
 وتعريف ذي جحد وتوقيف كاذب
 وعند حدوث المعضلات الغرائب
 قويم المعاني مستدر الضرائب
 يلاحظ معناه بين المراقب
 وصفناه معلوم بطول التجارب
 تبلج منه عن كريم المناسب
 قريش على أهل العلى والمناصب
 ويصدر عن آرائه في النوائب
 بفر المساعي وامتنان المواهب
 تطايط الأمانى واحتكام الرغائب
 لني منهل لم يدن من كف قاضب
 تقسمها نهب الا كفت السواب
 تقاصر عنه كل دان وغائب
 سفاه سفية أو محوبة حائب
 فنال بأدنى السمي أعلا المراتب
 له همم الشم الانوف الأغال
 يدافع عنهم كل قرن مغالب

وكانت لفهر في قريش خطابة
 وما زال منهم مالك خير مالك
 وللنضر طول يقهر الطرف دونه
 لعمري لقد أبدى كنانة قبله
 ومن قبله أبقى خزيمة حمده
 ومدركه لم يدرك الناس مثله
 وإلياس كان اليأس منه مقارناً
 وفي مضر يستجمع الفخر كله
 وحل نزار من رياسة أهله
 وكان معدة عدة لوليه
 وما زال عدنان إذا عدت فضله
 وأد تادى الفضل منه بناية
 وفي أدم حلم تزين بالهجا
 وما زال يستعلي هميسع بالعلي
 ونبت بنته دوحمة العز وآتقى
 وجيزت لقيدار سباحة حاتم
 هموا نسل اسماعيل صادق وعده
 وكان خليل الله أكرم من عنت
 وقارح مازالت له أزيحية
 وناحور نحمار العدي حفظت له
 وأشرع في الهيجا ضيف غابة
 وأرغوناب في الحروب محكم
 وما قالع في فضله تلو قومه
 وشالغ وارغشند وسام سميت بهم
 وما زال نوح عند ذي المرش فاضلاً
 وملك أبوه كان في الروع راثماً
 ومن قبل ملك لم يزل متوشلخ

يموذ بها عند اشتجار الحطاب
 وأكرم مصحوب وأكرم صاحب
 بحيث النقي ضوء النجوم الثواقب
 محاسن تآبي إن تطوع لغالب
 تليد تراث عن حميد الأقراب
 أعت وأعلى عن دني المكاسب
 لأعدائه قبل اعتداد الكتاب
 إذا اعتركت يوماً زحوف المقاب
 محلاً تسمى عن عيون الرواقب
 إذا خاف من كيد العدو المحارب
 توحد فيه عن قرين وصاحب
 وأرث حواه عن قروم اشايب
 إذا الحلم أزهاه قطوب الحواجب
 ويتبع آمال البعير المراغب
 معاقله في مشخر الأهاضب
 وحكمة لغاب وهمة حاجب
 فما بده في الفخر مسعى لذهاب
 له الأرض من ماش عليهم اوراكب
 تبين منه عن حميد المضارب
 ما أثر لما يحصها عد حاسب
 يقد الطلي بالمرهفات القواضب
 ضنين على نفس المشح المغالب
 ولا عابر من دونهم في المراقب
 سجايا حمهم كل زار وعائب
 يمدده في المصطفين الاطائب
 جريثاً على نفس الكمي المضارب
 يذود العدي بالذائدات الشواذب

وكانت لادريس النبي منازل
 وبارد بجره عند آل سراته
 وكانت لمهلايل فهم فضائل
 وقينان من قبل ائمتي محمد قومه
 وكان أنوش ناش للمجد نفسه
 ومازال شيت بالفضائل فاضلاً
 وكلهم من نور آدم أقبسوا
 وكان رسول الله أكرم منجب
 مقابلة أبوه أمهاته
 عليه سلام الله في كل شارق
 من الله لم تهرن بهمة راغب
 أبي الخزايا مستدق المآرب
 مهذبة من فاحشات المثالب
 وفاد بشأو الفضل وخذ الرائب
 وترها عن سرديات المطالب
 شريفاً بريئاً من ذميم المعائب
 وعن عوده أجنوا ثمار المناقب
 جرى في ظهور الطيبين المناجب
 مبراة من فاضحات المثالب
 الأخ لنا ضوءاً وفي كل غارب

هكذا أورد القصيدة الشيخ أبو عمر بن عبد البر وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني في تهذيبه
 من شعر الاستاذ أبي العباس عبد الله بن محمد الناشي المعروف بابن شرشير أصله من الأنبار ورد بغداد
 ثم ارتحل الى مصر فأقام بها حتى مات سنة ثلاث وتسعين ومائتين وكان متكلماً معتزلياً يحكي عنه الشيخ
 أبو الحسن الأشعري في كتابه المقالات فيما يحكي عن المعتزلة وكان شاعراً مطبقاً حتى أن من جملة
 اقتداره على الشعر كان يعا كس الشعراء في المصاني فينظم في مخالفتهم ويبتكر ما لا يطبقونه من المصاني
 البديعة والالفاظ البليغة حتى نسبة بعضهم إلى التهموس والاختيلاط وذكر الخطيب البغدادي أن له
 قصيدة على قافية واحدة قريباً من أربعة آلاف بيت ذكرها الناجم وأرخ وفاته كما ذكرنا
 قلت: وهذه القصيدة تدل على فضيلته وبراعته وفصاحته وبلاغته وعلوه وفهمه وحفظه وحسن انظفه
 واطلاعه واضطلاعه واقتداره على نظم هذا النسب الشريف في سلك شعره وغوصه على هذه المصاني
 التي هي جواهر نفيسة من قاموس بجره فرحه الله وأتابه وأحسن مصيره وإياه.

أصول النسب عبر الجواز الى عربنا

وذلك لأن عدنان ولد له ولدان معد وعك . قال السهيلي: واطدنان أيضاً ابن اسمه الحارث وآخر
 يقال له المذهب . قال وقد ذكر أيضاً في بنيه الضحاك . وقيل إن الضحاك ابن لمدا لا ابن عدنان .
 قال وقيل إن عدنان الذي تعرف به مدينة عدن وكذلك أمين كاتا ابنين لعدنان حكاة الطبري قزوج
 عك في الأشعريين وسكن في بلادهم من اليمن فصارت لقبهم واحدة فزعم بعض أهل اليمن أنهم منهم
 فيقولون عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزدي بن يثوث ويقال عك بن عدنان بن القديب بن عبد الله

ابن الاسد ويقال الريث بدل الذيب والصحيح ما ذكرنا من أنهم من عدنان . قال عباس بن مرداس
وعك بن عدنان الذين تلبسوا بفتان حتى طردوا كل مطرد

وأما مد فولد له أربعة تزار وقضاة وقص وإياد وكان قضاة بكرة وبه كان يكنى وقد قدمنا
الخلاف في قضاة ولكن هذا هو الصحيح عند ابن اسحاق وغيره والله أعلم .

وأما قص فيقال أنهم هلكوا ولم يبق لهم بقية إلا أن النعمان بن المنذر الذي كان نائباً لكسرى
على الحيرة كان من سلالة على قول طائفة من السلف وقيل بل كان من حمير كما تقدم والله أعلم .

وأما تزار فولد له ربيعة ومضر وانمار قال ابن هشام وإياد بن تزار كما قال الشاعر :

وَقُتِرَ حُنُّ أَوْجِهَهُمْ مِنْ إِيَادِ بْنِ تَزَارِ بْنِ مَعَدِّ

قل وإياد ومضر شقيقان أمهما سودة بنت عك بن عدنان وأم ربيعة وانمار شقيقة بنت عك بن
عدنان . ويقال جمعة بنت عك بن عدنان : قال ابن اسحاق فلما انمار فهو والد خثعم وبجيلة قبيلة جرير
ابن عبدالله البجلي قل وقد تيامنت فلحقت بلين . قل ابن هشام : وأهل اليمن يقولون انمار بن أراش
ابن حليان بن عمرو بن العوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ قلت والحديث المتقدم في ذكر
سبأ يدل على هذا والله أعلم .

قالوا: وكان مضر أول من حدا وذلك لأنه كان حسن الصوت فسقط يوماً عن بعيره فوثبت يده
فجعل يقول وإيدياه وإيدياه فاعتقت الابل لذلك . قل ابن اسحاق : فولد مضر بن تزار رجلين الياس
وعيلان وولد لالياس مدركة وطابخة وقعة وأمهم خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاة . قال ابن
اسحاق وكان اسم مدركة عامراً واسم طابخة عمراً ولكن اصطاد صيداً فبينما يطبخانه إذ فرت
الابل فذهب عامر في طلبها حتى أدركها وجلس الآخر يطبخ فلهما راحا على أيهما ذكر له ذلك
فقال لعامر أنت مدركة وقال لعمرو أنت طابخة قال وأما قعة فيزعم نساب مضران خزاعة من ولد عمرو
ابن لحي بن قعة بن الياس قلت والظاهر أنه منهم لا والدهم وأنهم من حمير كما تقدم والله أعلم .

قل ابن اسحاق : فولد مدركة خزيمه وهذيل وأمها امرأة من قضاة وولد خزيمه كنانة وأسدا
وأسدة والهون وزاد أبو جعفر الطبري (١) في أبناء كنانة على هؤلاء الأربعة عامراً والحارث والنضير

(١) قوله وزاد أبو جعفر الطبري الخ كذا بالأصول وهي عبارة مخجلة لأن التعبير بزاد يقتضى
أن هذا لمزيد ولد لمدركة وهو يناقض قوله في أبناء كنانة واليك عبارة أبي جعفر الطبري اسم نصر
قيس وأمها برّة بنت مرت بن أد بن طابخة واخوته لأبيه وأمهم نضير ومالك ومليكان وعامر والحارث
وعمر ووسد وعوف وغنم ومخرمة وجرول وغزوان وحدال وأخوهم من أبيهم هبد مناة وأمهم فكهية
وقيل فسكة وهي الزفراء بنت هني بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة ولعله سقط من النسخ

وغنما وسعداً وعوفاً وجرولاً والحدال وغزوان . قال وولد كنانة النضر ومالكاً وعبد مناة ومالكاً

قريش نسباً واستفاقاً وفضلاً وهم بنو النضر بن كنانة

قال ابن اسحاق : وأم النضر برة بنت مرة بن أد بن طابخة وماتر بنيه لامرأة أخرى وخالفه ابن هشام فجعل برة بنت مرآم النضر ومالك ومالك . وأم عبد مناة هالة بنت سويد بن الغطريف من من أزد شنوءة . قال ابن هشام : النضر هو قريش فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي . وقال ويقال فهر بن مالك هو قريش فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي . وهذان القولان قد حكاهما غير واحد من أئمة النسب كالشيخ أبي عمر بن عبد البر والزيبر بن بكار ومصعب وغير واحد . قال أبو عبيد وابن عبد البر : والذي عليه الأكثر أن كنانة النضر بن كنانة لحديث الأسمد بن قيس قلت وهو الذي نص عليه هشام بن محمد بن السائب الكلابي وأبو عبيدة معمر بن المثنى وهو جادة مذهب الشافعي رضي الله عنه . ثم اختار أبو عمر أنه فهر بن مالك واحتج بأنه ليس أحد اليوم ممن ينتسب إلى قريش إلا وهو يرجع في نسبه إلى فهر بن مالك ثم حكى اختيار هذا القول عن الزيبر بن بكار ومصعب الزبيري وعلي بن كيسان قال واليه المرجع في هذا الشأن وقد قال الزيبر بن بكار وقد أجمع نساب قريش وغيرهم أن قريشاً إنما تفرقت من فهر بن مالك والذي عليه من أدركت من نساب قريش أن ولد فهر بن مالك قرشي وإن من جاوز فهر بن مالك بنسبه فليس من قريش ثم نصر هذا القول نصراً عزيزاً ونحاهم له بأنه ونحوه أعلم بالنسب قومهم وأحفظ لما آثرهم وقد روى البخاري من حديث كليب بن وائل قال قلت لربيبة النبي (ص) يعني زينب في حديث ذكره أخبريني عن النبي (ص) أكان من مضر قالت فمن كان إلا من مضر من بني النضر بن كنانة . وقال الطبراني ثنا إبراهيم بن نائلة الاصبهاني حدثنا اسماعيل بن عمرو البجلي ثنا الحسن بن صالح عن أبيه عن الجشيش^(١) الكندي قال جاء قوم من كندة إلى رسول الله (ص) فقالوا أنت منا وادعوه فقال لا ، نحن بنو النضر بن كنانة لا نقف أمنا ولا ننتفي من ايئنا .

وقال الامام أبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد ثنا أبي ثنا الكلابي عن أبي صالح عن ابن عباس

ما حكاه ابن هشام في سيرته ونصه قال ابن اسحاق فولد كنانة بن خزيمية أربعة نفر النضر بن كنانة ومالك بن كنانة وعبد مناة بن كنانة ومالك بن كنانة . وبه يظهر قوله وزاد أبو جعفر الخ ولعل قوله فيما بعد وولد كنانة الخ مؤخر من تقديم من الناسخ عن محمود الامام .

(١) كذا أورده هنا وفي أسد الغابة : ان ذلك غلط وإنما هو جشيش

قال جاء رجل من كندة يقال له الجشيش الى النبي (ص) فقال يا رسول الله إنا نزعم ان عبد مناف منا فاعرض عنه ثم عاد فقال مثل ذلك ثم أعرض عنه ثم عاد فقال مثل ذلك فقال النبي (ص) نحن بنو النضر بن كنانة لا نقف أمنا ولا ننتفي من أيينا فقال الاشعث ألا كنت سكت من المرة الاولى فابطل ذلك قولهم على لسان نبيه (ص) وهذا غريب أيضا من هذا الوجه والسكبي ضعيف والله أعلم .

وقد قال الامام احمد حدثنا بهز وعفان قلا ثنا حماد بن سلمة . قال ثني عقيل بن أبي طلحة وقال عفان عقيل بن طلحة السلمي عن مسلم بن الهيصم عن الاشعث بن قيس أنه قال أتيت رسول الله (ص) في وفد كندة . قال عفان لا يروني أفضلهم قال فقلت يا رسول الله إنا نزعم أنكم منا قال فقال رسول الله (ص) نحن بنو النضر بن كنانة لا نقف أمنا ولا ننتفي من أيينا . قال فقال الاشعث بن قيس فوالله لا أسمع أحداً نفي قريشاً من النضر بن كنانة إلا جلده الحد . وهكذا رواه ابن ماجه من طرق عن حماد ابن سلمة به وهذا إسناد جيد قوى وهو فيصل في هذه المسألة فلا التفت الى قول من خالفه والله أعلم والله الحمد والمنة . وقد قال جرير بن عطية التيمي يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان :

فما الأم التي ولت قريشاً بمقرقة النجار ولا عقيم
وما قرم بأحجب من أيكم ولا خال بأكرم من تميم

قال ابن هشام : يعني أم النضر بن كنانة وهي برة بنت مرة أخت تميم بن مر .

وأما اشتقاق قريش فقيل من القرش وهو التجمع بعد التفرق وذلك في زمن قصي بن كلاب فانهم كانوا متفرقين فجمعهم بالحرم كما سيأتي بيانه وقد قال حذافة بن غانم العدوي :

أبوكم قصي كان يدعى مجعاً به جمع الله القبائل من فهر

وقال بعضهم : كان قصي يقال له قريش قيل من التجمع والقرش التجمع كما قال أبو خلدة اليشكري :

اخوة قرشوا الذنوب علينا في حديث من دهرنا وقديم

وقيل سميت قريش من القرش وهو التكسب والتجارة حكاه ابن هشام رحمه الله . وقال الجوهري القرش الكسب والجمع وقد قرش يقرش قال الفراء وبه سميت قريش وهي قبيلة وأبوم النضر بن كنانة فـال من كان من ولده فهو قرشي دون ولد كنانة فما فوقه . وقيل من التفتيش قال هشام بن السكبي كان النضر بن كنانة تسمى قريشاً لأنه كان يقرش عن خلة الناس وحاجتهم فيسدنما بماله والتقرش هو التفتيش وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيردونهم بما ييلفهم بلادم فسموا بذلك من فعلهم وقرشهم قريشاً وقد قال الحارث بن حلزة في بيان أن القرش التفتيش :

أيها الناطق المقرش عما عند عمرو فهل له إبقاء

حكى ذلك الزبير بن بكار وقيل قريش تصغير قرش وهو دابة في البحر قال بعض الشعراء :

وقريش هي التي تسكن البعد ر بها سميت قريش قريشا

قال البيهقي: أخبرنا أبو نصر بن تمادة أنا أبو الحسن علي بن عيسى الماليني حدثنا محمد بن الحسن بن الخليل النسوي أن أبا كريب حدثهم حدثنا وكيع بن الجراح عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي ركانة العاصري أن معاوية قال لابن عباس فلم سميت قريش قريشا؟ فقال لدابة تكون في البحر تكون أعظم دوابه فيقال لها القرش لا تمر بشيء من الفئ والسمين إلا أكلته. قال فأنتدني في ذلك شيئاً فأنتده شعر الجمحي إذ يقول:

وقريش هي التي تسكن البعد ر بها سميت قريش قريشا
تأكل الفئ والسمين ولا تتركن لذي الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حتى قريش يا كلون البلاد أكل كيشا
ولهم آخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والخوشا

وقيل سموا بقريش بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة وكان دليل بني النضر وصاحب ميرتهم فكانت العرب تقول قد جاءت غير قريش قالوا وابن بدر بن قريش هو الذي حفر البئر المنسوبة إليه التي كانت عندها الوقعة العظمى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله أعلم.

ويقال في النسبة إلى قريش قرشي وقريشي قال الجوهري وهو القياس. قال الشاعر:

لكل قريشي عليه مهابة سريعا إلى داعي النداء والتكرم

قل فاذا أردت بقريش الحى صرفته وإن أردت القبيلة منعته قال الشاعر في ترك الصرف:

* وكفى قريش المضلات وسادها (١) *

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي عمر والاوزاعي قل حدثني شداد أبو عمار حدثني وائلة ابن الاسقع قل قال رسول الله (ص): «إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشما من قريش واصطفاني من بني هاشم». قال أبو عمر بن عبد البر يقال بنو عبد المطلب فصيلة رسول الله (ص): وبنو هاشم فخذة وبنو عبد مناف بطنة وقريش عمارته وبنو كنانة قبيلته ومضر شعبه صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين.

ثم قال ابن اسحاق: فولد النضر بن كنانة مالكاً ومخلداً قال ابن هشام والصلوات وأهمهم جميعا مات سعد بن الظرب المدواني. قال كثير بن عبيد الرحمن وهو كثير عزة أحد بني ملبح بن عمرو من خزاعة:

(١) البيت لعدي بن الرقاع يمدح الوليد بن عبد الملك على ما في اللسان وأوله: غلب المساميح

الوليد سماحة عن محمود الامام.

أليس أبي بالصلت أم ليس إخوتي لكن هجان من بني النضر أزهر
رأيت ثياب المصب مختلط السدى بنا وبهم والحضرمي المحصرا
فان لم تكونوا من بني النضر فاركوا أراك بأذنب الفواج أخضرا

قال ابن هشام : وبنو مليح بن عمرو يعزون إلى الصلت بن النضر .

قال ابن اسحاق : فولد مالك بن النضر فهر بن مالك وأمه جندلة بنت الحارث بن مضاض الاصر
وولد فهر غلبا ومحاربا والحارث وأسدأ وأمهم ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة .

قال ابن هشام : وأختهم لأبيهم جندلة بنت فهر . قال ابن اسحاق : فولد غالب بن فهر لؤي بن
غلب وتيم بن غالب وهم الذين يقال لهم بنو الأدرم وأمه سلمى بنت عمرو الخزاعي . قال ابن هشام
وقيس بن غالب وأمه سلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعي وهي أم لؤي قال ابن اسحاق فولد لؤي بن
غالب أربعة نفر كعبا وعامراً وسامة وعوفاً . قال ابن هشام ويقال والحارث وهم جشم بن الحارث في
هزان من ربيعة وسعد بن لؤي وهما بنانة في شيبان بن ثعلبة وبنانة حاضنة لهم وخزيمة بن لؤي وهم
عابذة في شيبان بن ثعلبة .

ثم ذكر ابن اسحاق خبر سامة بن لؤي وأنه خرج إلى عمان فكان بها وذلك لثنان كان بينه وبين
أخيه عامر فأخافه عامر ففرج عنه هاربا إلى عمان وأنه مات بها غريباً وذلك أنه كان برعى (١) ناقته
فلقت حية بمشفرها فوقعت لثقتها ثم نهشت الحية سامة حتى قتلته فيقال إنه كتب بأصبعه على الأرض :

عَيْنُ فابكي لسامة بن لؤي علقت ما بسامة الالاقه
لا أرى مثل سامة بن لؤي يوم حلوا به قتيلاً لناقه
بلغنا عامراً وكعباً رسولاً أن نفسي اليهما مشتاقه
إن تكن في عمان داري فاني غالباً خرجت من غير فاقه
رب كأس هرقت يا ابن لؤي حذر الموت لم تكن مهراقه
رمت دفع الختوف يا ابن لؤي ما لمن رام ذلك بالختف طاقه
وخروس السرى تركت ردياً بعد جدد وحدة ورشاقه

قال ابن هشام : وبأنه في أن بعض ولده أتى رسول الله (ص) فانتسب إلى سامة بن لؤي فقال له

رسول الله (ص) : « الشاعر فقال له بعض أصحابه كأنك يا رسول الله أردت قوله ؟ »

رب كأس هرقت يا ابن لؤي حذر الموت لم تكن مهراقه

(١) كذا بالاصول والذي في ابن اسحاق يينا هو يسير على ناقته إذ وضعت رأسها ترتع فاخذت

حياة بمشفرها فهصرتها حتى وقتت الناقة

قال أجل : وذكر السهيلي عن بعضهم أنه لم يعقب . وقال الزبير ولد أسامة بن لؤي غالبا والنبيت والخبارث قالوا وكانت له ذرية بالعراق يبغضون عليا ومنهم علي بن الجعد كان يشتم أباه لكونه سماه عليا ومن بني سامة بن لؤي محمد بن عرعة بن اليزيد شيخ البخاري .

وقال ابن اسحاق : وأما عوف بن لؤي فإنه خرج فيما يزعمون في ركب من قريش حتى إذا كان بارض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان أبلي به فانطلق من كان معه من قومه فأتاه ثعلبة بن سعد وهو أخوه في نسب بني ذبيان فحبسه وزوجه والناطه وآخاه فشاع نسبه في ذبيان وثعلبة فيما يزعمون .

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين أن عمر بن الخطاب قال لو كنت مدعيًا حيا من العرب أو ملحقهم بنا لادعيت بني مرة بن عوف إنا لنعرف منهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع يعني عوف بن لؤي .

قال ابن اسحاق : وحدثني من لا أتهم أن عمر بن الخطاب قال لرجال منهم من بني مرة إن شتمت أن ترجعوا إلى نسبكم فارجموا إليه . قال ابن اسحاق : وكان القوم أشرفا في غطفان هم ساداتهم وقادتهم قوم لهم صيت في غطفان وقيس كلها فاقاموا على نسبهم قالوا وكانوا يقولون إذا ذكر لهم نسبهم ما ننكره وما نبحده وإنه لأحب النسب البنا ثم ذكر أشعارهم في اتناهم إلى لؤي قال ابن اسحاق : وفيهم كان البسل وهو تحريم ثمانية أشهر لهم من كل سنة من بين العرب وكانت العرب تعرف لهم ذلك ويأمنونهم فيها ويؤمنونهم أيضا قلت : وكانت ربيعة ومضر إنما يحرمون أربعة أشهر من السنة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم واختلفت ربيعة ومضر في الرابع وهو رجب فقالت : مضر هو الذي بين جمادى وشعبان وقالت ربيعة هو الذي بين شعبان وشوال وقد ثبت في الصحيحين عن أبي بكر أن رسول الله (ص) قال في خطبة حجة الوداع : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » فنص على ترجيح قول مضر لا ربيعة وقد قال الله عز وجل « إن عدة الشهور عند الله اثني عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم » فهذا رد على بني عوف بن لؤي في جعلهم الأشهر الحرم ثمانية فزادوا على حكم الله وأدخلوا فيه ما ليس منه وقوله في الحديث ثلاث متواليات رد على أهل النسبي الذين كانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر . وقوله فيه ورجب مضر رد على ربيعة . قال ابن اسحاق : فولد كعب بن لؤي ثلاثة ، مرة ، وعديا ، وهصبيا وولد مرة ، ثلاثة أيضا كلاب بن مرة ، وتيم بن مرة ، ويقظة بن مرة من أمهات ثلاث . قال وولد كلاب رجلين قصي بن كلاب وزهرة بن كلاب وأمهما فاطمة بنت سعد بن سيل أحد الجدرة من جملة الأسد من اليمن حلفاء بني الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وفي أبيها يقول الشاعر :

ما نرى في الناس شخفاً واحداً من علمناه كسعد بن سبل
 فارساً أضبط فيه عسرة وإذا ما راقف القرن نزل
 فارساً يستدرج الخيل كما استدرج الحر القطاميّ الحجل

قال السهيلي : سبل اسمه خير بن جمالة وهو أول من طليت (١) له السيوف بالذهب والفضة .
 قال ابن اسحاق : وإنما سمو الجدرة لأن عامر بن عمرو بن خزيمية بن جشمية تزوج بنت الحارث بن
 مضاض الجرهمي وكانت جرم إذ ذاك ولاية البيت فبنى للكعبة جداراً فسمى عامر بذلك الجادر فقيل
 لولده الجدرة لذلك .

خبر قصى بن كلاب وارتجاع ولداه البيت القريش والتملح والبرك من خزاعة

وذلك أنه لما مات أبوه كلاب تزوج أمه ربيعة بن حرام من عذرة وخرج بها وبه الى بلاده ثم
 قدم قصى مكة وهو شاب فتزوج حبي ابنة رئيس خزاعة حليل بن حبشية (٢) . فلما خزاعة فزعم أن
 حليلاً أوصى الى قصى بولاية البيت لما رأى من كثرة نسله من ابنته وقال أنت أحق بذلك مني . قال

(١) عبارة السهيلي وهو أول من حلى السيوف الخ :

(٢) عبارة ابن اسحاق هكذا : فولدت له عبدالدار وعبد مناف وعبد العزى وعبدالمنا فانتشر ولد
 قصى وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل فرأى قصى أنه أولى بالكعبة وبأمر مكة من خزاعة وبني بكر
 وان قريشا قرعة اسماعيل بن ابراهيم وصريح ولده فكلم رجالات من قريش وبني كنانة ودعاهم الى
 اخراج خزاعة وبني بكر من مكة فأجابوه فلما أجابه قومه الى ما دعاهم اليه كتب الى أخيه من أمه رزاح
 ابن ربيعة يدعوه الى نصرته والقيام معه فخرج رزاح بن ربيعة ومعه أخوته حن بن ربيعة ومحمود بن ربيعة
 وجلهمة بن ربيعة وهم لغير أمه فاطمة فيمن تبعهم من قضاة في حاج العرب وهم مجمعون لنصرة قصى
 وخزاعة فزعم أن حليل بن حبشية أوصى بذلك قصباً وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر
 وقال أنت أولى بالكعبة وبالقيام عليها وبأمر مكة من خزاعة فعند ذلك طلب قصى ما طلب ولم نسمع
 ذلك من غيره فأنه أعلم أي ذلك كان اه عبارة بن اسحاق وبها يتبين لك ما في عبارة ابن كثير من
 الخطأ

ابن اسحاق : ولم نسمع ذلك إلا منهم وأما غيرهم فاتهم يزعمون أنه استغاث بأخوته من أمه وكان رئيسهم رزاح بن ربيعة وأخوته وبني كنانة وقضاة ومن حول مكة من قريش وغيرهم فجلام عن البيت واستقل هو بولاية البيت لأن اجازة الحجيج كانت الى صوفة وهم بنو القوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر فكان الناس لا يرمون الجمار حتى يرموا ولا ينفرون من منى حتى ينفروا فلم يزل كذلك فيهم حتى إقرضوا فودتهم ذلك بالله مدد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم فكان أولهم صفوان بن الحارث ابن شحنة بن عطار بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وكان ذلك في بيته حتى قام على آخرم الاسلام وهو كرب بن صفوان . وكانت الاجازة من المزدلفة في عدوان حتى قام الاسلام على آخرم وهو أبو سيارة عميلة بن الأعزل وقبل اسمه الماص واسم الأعزل خالد وكان يميز بالناس على أنان له عوراء مكث يدفع عليها في الموقف أربعين سنة وهو أول من جعل الدية مائة وأول من كان يقول أشرق نير كما نغير حكاة السهيلي .

وكان عامر بن الظرب المدونى لا يكون بين العرب نثرة الا تحاكوا اليه فيرضون بما يقضى به فتحاكوا اليه مرة في ميراث خنثى فبات ليلته ساهرا يتروى ماذا يحكم به فرأته جارية له كانت ترى عليه غنمه اسمها سخيلة فقالت له مالك لا ابلك الليلة ساهراً فذكر لها ما هو مفكر فيه وقال لعلها يكون عندها في ذلك شئ فقالت اتبع القضاء المبال فقال فرجتها والله يا سخيلة وحكم بذلك .

قال السهيلي : وهذا الحكم من باب الاستدلال بالامارات والعلامات وله أصل في الشرع قال الله تعالى (وجاءوا على قيصه بدم كذب) حيث لا أثر لانياب الذئب فيه وقال تعالى (إن كان قيصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قيصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) . وفي الحديث أنظروها فان جاءت به أوراق جمداً جالياً فهو الذي رميت به . قال ابن اسحاق : وكان النسبي في بني قميم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر . قال ابن اسحاق : وكان أول من نسا الشهور على العرب القلمس وهو حذيفة بن عبد بن قميم ابن عدى ثم قام بعده ابنه عباد ثم قلع بن عباد ثم أمية بن قلع ثم عوف بن أمية ثم كان آخرم أبو ثمامة جنادة بن عوف بن قلع بن عباد بن حذيفة وهو القلمس فعلى أبي ثمامة قام الاسلام وكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فخطبهم فحرم الاشهر الحرم فاذا أراد أن يحل منها شيئاً أحل الحرم وجعل مكانه صفراً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيقول : (اللهم إني أحلت أحد الصفرين الصفر الأول وانسأت الآخر للعام المقبل) فتبعه العرب في ذلك ففى ذلك يقول عمير بن قيس أحد بني فراس بن غنم ابن مالك بن كنانة ويعرف عمير بن قيس هذا بمجدل الطمان :

لقد علمتُ معداً أن قومي كرامُ الناس . أن لهم كراماً

فأي الناس قاتونا بوترٍ وأي الناس لم فلك لجاما
ألسنا الناسين على ممدٍ شهوز الجلل نجعلها حراما

وكان قصي في قومه سيدا رئيسا مطاعا معظما والمقصود أنه جمع قريشا من متفرقات مواضعهم من جزيرة العرب واستعان بمن اطاعه من أحياء العرب على حرب خزاعة واجلائهم عن البيت وتسليمه الى قصي فكان بينهم قتال كثيرة ودماء غزيرة ثم تداعوا الى التحكيم فتحاكموا الى عوف بن كعب ابن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة فحكم بان قصيا أولى بلبيت من خزاعة وان كل دم أصابه قصي من خزاعة ونبي بكر موضوع بشدخه تحت قدميه وأن ما أصابته خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة فيه الدية مؤداة وأن يخلى بين قصي وبين مكة والسكبة فسمى يعمر يومئذ الشداخ . قال ابن اسحاق : فولى قصي البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم الى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه الا أنه أقر العرب على ما كانوا عليه لانه يرى ذلك ديننا في نفسه لا يبغي تغييره فأقر آل صفوان وعدوان والنساء ومرة بن عوف على ما كانوا عليه حتى جاء الاسلام فهدم الله به ذلك كله قال فكان قصي أول بني كعب أصاب ملكا أطاع له به قومه وكانت اليه الحجابة والسقاية والرذاة والندوة واللواء فغاز شرف مكة كله وقطع مكة رباعا بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة . قلت : فرجع الحق الى نصابه ، ورد شاردا العدل بعد إياه ، واستقرت قريش الدار ، وقضت من خزاعة المراد والاطوار ، ونسبت بينهم العتيق القديم لكن بما أحدثت خزاعة من عبادة الاوثان ونصبها إياها حول السكبة ونحرم لها وتضرعهم عندها واستنصارهم بها وطلبهم الرزق منها وأنزل قصي قبائل قريش أباطح مكة وأنزل طائفة منهم ظواهرها فكان يقال قريش البطاح وقريش الظواهر . فكانت قصي بن كلاب جميع الرئاسة من حجابة البيت وسدائه واللواء وبني داراً لازاحة الظلمات وفصل الخصومات سماها دار الندوة اذا أعضلت قضية اجتمع الرؤساء من كل قبيلة فاشتوروا فيها وفصلوها ولا يقعد عقد لواء ولا عقد نكاح الا بها ولا تبلغ جارية أن تدرع فتدرع الا بها وكان باب هذه الدار الى المسجد الحرام ثم صارت هذه الدار فيما بعد الى حكيم بن حزام بعد بني عبد الدار فباعها في زمن معاوية بمائة ألف درهم فلامه على بيعها معاوية ، وقال بمت شرف قومك بمائة ألف ؟ قال انما الشرف اليوم بالتقوى والله لقد ابتعتها في الجاهلية بزق خمرها وأنا قد بتها بمائة ألف وأشهدكم أن ثمنها صدقة في سبيل الله فأينا المغبون ذكره الدارقطني في أسماء رجال الموطأ وكانت اليه سقاية الحجيج فلا يشربون الا من ماء حياضه وكانت زمزم إذ ذاك مطموسة من زمن جرم قد تناسوا أمرها من تقدم عهدا ولا يهتدون الى موضعها قال الواقدي : وكان قصي أول من أحدث وقيد النار بالمزدلفة ليهتدى اليها من يأتي من عرفات . والرفادة وهي إطعام الحجيج أيام الموسم الى أن يخرجوا راجعين الى بلادهم .

قال ابن اسحاق : وذلك أن قصيا فرضه عليهم فقال لهم يا مشر قريش إنكم جيران الله وأهل مكة وأهل الحرم وأن الحجاج ضيف الله زوار بيته وهم أحق بالضيافة فاجملوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدروا عنكم ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك في كل عام من أموالهم خرجا فينفقونه اليه فيصنعه طعاما للناس أيام منى فخرى ذلك من أمره في الجاهلية حتى قام الاسلام ثم جرى في الاسلام الى يومك هذا فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينتفضي الحج .

قلت : ثم اقطع هذا بعد ابن اسحاق ثم أمر باخراج طائفة من بيت المال فيصرف في حمل زاد وماء لا بناء السبيل القاصدين الى الحج وهذا صنيع حسن من وجوه يطول ذكرها ولكن الواجب أن يكون ذلك من خالص بيت المال من أحل ما فيه والاولى أن يكون من جوالي الذمة لانهم لا يحجون البيت العتيق وقد جاء في الحديث * من استطاع الحج فلم يهجم فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا .

وقال قائلهم في مدح قصي وشرفه في قومه :

قصي لعمرى كان يدعى مجعاً به جمع الله القبائل من ربه
هو املوا البطحاء مجداً وسؤدداً وهم كطردوا عنا غواة بني بكر

قال ابن اسحاق : ولما فرغ قصي من حربه انصرف أخوه رزاح بن ربيعة الى بلاده بمن معه واخوته من أبيه الثلاثة وهم حن ومحمود وجلهمة . قال رزاح في اجابته قصيا :

ولما أتى من قصي رسولاً فقال الرسول أجبوا الخليل
نهضنا اليه قعود الجيا د ونطرح عنا الملول الثقيل
نسير بها الليل حتى الصبا ح ونسكي النهار لثلاث زولا
فهن سراع كورد القطا بيبين بنا من قصي رسولا
جمعنا من السر من اشمنين (١) ومن كل حي جمعنا قبلا
فيالك حلبة ما ليلة تزيد على الالف سيبا
فلا مررن على عسجر وأسملن من مستناخ سيبلا
وجاوزن بالركن من ورقا ن وجاوزن بالعرج حيا حلولا
مررن على الحلي ما ذقنه وعالجن من مر ليل طويلا
ندني من العوذ أفلاها ارادة أن يشرقن الصبلا
فدا انهبنا الى مكة أبخنا الرجال قبلا قبلا
فاورم قم حد السيو فوفي كل أوب خلسنا المقولا

(١) في السهلي : الاشمنان جيلان . ويقال اسم قبيلتين .

نخبزم (١) بصلاب النسو رخبز القوي العزيز الذليلا
 قتلنا خزاعة في دارها وبكراً قتلنا وجيلاً فجيلاً
 فنيانم من بلاد الملي ككلا يحملون أرضاً سهولا
 فاصبح سيئهم في الحدب يدومن كل حي شفقنا الظليلا

قال ابن إسحاق : فلما رجع رزاح الى بلاده نشره الله ونشر حنا ، فها قبيلة عذرة الى اليوم .
 قال ابن اسحاق : وقال قصي بن كلاب في ذلك :

أنا ابن العاصم بن لؤي بمكة منزلي وبها ربيت
 الى البطحاء قد علمت معداً ومروئها رضيت بها رضيت
 فلست لصلاب أن لم تأتل بها أولاد قيذر والنبيت
 رزاح فاصري وبه أسامي فلست أخاف ضياً ما حيت

وقد ذكر الأُموي عن الأشرم عن أبي عبيدة عن محمد بن حفص : أن رزاحا انما قدم بعدما نفي قصي
 خزاعة والله أعلم .

فَضِيحَةُ بَنِي كَلَابِ

ثم لما كبر قصي فوض أمر هذه الوظائف التي كانت اليه من رئاسات قريش وشرفها من الرفاة
 والسقاية والحجابة واللواء والندوة الى ابنه عبد الدار وكان أكبر ولده . وانما خصصه بها كلها لأن بقية
 أخوته عبد مناف وعبد الشمس وعبد كاتوا قد شرفوا في زمن أبيهم وبلغوا في قوتهم شرفاً كبيراً فأحب
 قصي أن يلحق بهم عبد الدار في السؤدد فخصصه بذلك فكان أخوته لا ينازعونه في ذلك فلما اتقروا
 تشاجر أبناؤهم في ذلك وقالوا انما خصص قصي عبد الدار بذلك لياحقه باخوته فنحن نستحق ما كان
 آباؤنا يستحقونه وقال بنو عبد الدار هذا أمر جعله لنا قصي فنحن أحق به واختلفوا اختلافاً كثيراً
 واتقسمت بطون قريش فرقتين فرقة بايعت عبد الدار وحالفتهم وفرقة بايعت بني عبد مناف وحالفهم
 على ذلك ووضعوا أيديهم عند الحالف في جفنة فيها طيب ثم لما قاموا مسحوا أيديهم بركان الكعبة فسموا
 حلف المطيبين . وكان منهم من قبائل قريش بنو أسد بن عبد العزى بن قصي وبنو زهرة وبنو تيم وبنو
 الحارث بن فهر وكان مع بني عبد الدار بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جحج وبنو عدي واعتزلت بنو عامر
 ابن لؤي ومحارب بن فهر الجميع فلم يكونوا مع واحد منهما ثم اصطاحوا واتفقوا على أن تكون الرفاة
 والسقاية لبني عبد مناف وان تستقر الحجابة واللواء والندوة في بني عبد الدار فانبرم الأمر على
 ذلك واستمر .

(١) قوله نخبزم . قال السهيلي : أي نسوقهم سوقاً شديداً .

وحكى الاموى عن الاشرم عن ابي عبيدة قال: وزعم قوم من خزاعة أن قصيا لما تزوج حبي بنت حليل وقل حليل عن ولاية البيت جعلها الى ابنته حبي واستناب عنها ابا غبشان سليم بن عمرو بن لؤى ابن ملكان بن قصي بن حارثة بن عمرو بن عامر فاشترى قصي ولاية البيت منه بزق خمر وقرود فكان يقال (أخسر من صفقة ابي غبشان) ولما رأت خزاعة ذلك اشتدوا على قصي فاستنصر أخاه ققدم بمن معه وكان ما كان ثم فوض قصي هذه الجهات التي كانت اليه من السدانة والحجابة واللواء والندوة والرفادة والسقاية الى ابنه عبد الدار كما سيأتى تفصيله وايضاحه وافر الاجازة من مزدلفة في بني عدوان وافر النسيء في قميم وافر الاجازة وهو النفر في صوفة كما تقدم بيان ذلك كله مما كانت بأيديهم قبل ذلك.

قال ابن إسحاق: فولد قصي أربعة نفر وامرأتين عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى وعبدنا وتخير وبرة، وأمهم كلهم حبي بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي وهو آخر من ولي البيت من خزاعة ومن يده أخذ البيت قصي بن كلاب. قال ابن هشام: فولد عبد مناف بن قصي أربعة نفر هاشمًا وعبد شمس والمطلب وأمهم عاتكة بنت مرة بن هلال ونوفل بن عبد مناف وأمه واقدة بنت عمرو المازنية. قال ابن هشام: وولد لعبد مناف أيضا أبو عمرو وتماضر وقلابة وحية وربطة وأم الاخيم وأم سفيان. قال ابن هشام: وولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة عبد المطلب واسدًا وأباصيفي وفضلة والشفا وخالدة وضميفة ورقية وحية فأم عبد المطلب ورقية سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خدش ابن عامر بن غنم بن عدى بن النجار من المدينة وذكر أمهات الباقيين قال وولد عبد المطلب عشرة نفر وست نسوة وهم العباس وحمة وعبد الله وأبو طالب واسمه عبد مناف لاعمران والزبير والحارث وكان بكر أبيه وبه كان يكنى وجعل ومنهم من يقول جعل وكان يلقب بالقيداني لكثرة خيره والمقوم وضرار وأبو لهب واسمه عبد العزى وصفية وأم حكيم البيضاء وعاتكة وأميمة وأروى وبرة وذكر أمهاتهم الى أن قال وأم عبدالله وأبي طالب والزبير وجميع النساء الاصفية فاطمة بنت عمرو بن عائد بن عمران ابن مخزوم بن بقطنة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان قال فولد عبدالله محمداً رسول الله (س) سيد ولد آدم وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ثم ذكر أمهاتها فاغرق الى أن قال فهو أشرف ولد آدم حسباً وفضلهم نسباً من قبل أبيه وأمه صلوات الله وسلامه عليه دائماً الى يوم الدين. وقد تقدم حديث الاوزاعي عن شداد أبي عمار عن وائلة بن الاسقع قال قال رسول الله (س) إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى هاشمًا من قريش واصطفاني من بني هاشم رواه مسلم وسيأتى بيان مولده الكريم وما ورد فيه من الاخبار والاكثار وسنورد عند

سرد النسب الشريف فوائد اخر ليست هاهنا ان شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان .

ذكر عمل من الله عز وجل في راحة

قد تقدم ما كان من أخذ جرم ولاية البيت من بنى اسماعيل طعموا فيهم لأنهم أبناء بناتهم وما كان من توب خزاعة على جرم وانتزاعهم ولاية البيت منهم ثم ما كان من رجوع ذلك الى قصي وبنيه واستمرار ذلك في أيديهم إلى أن بعث الله رسوله (ص) فاقرك تلك الوظائف على ما كانت عليه .

ذكر جماعة مشهورين في راحة

خير خالد بن سنان العبسي الذي كان في زمن الفترة وقد زعم بعضهم أنه كان نبياً والله أعلم قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن زهير التستري حدثنا يحيى بن المعلى بن منصور الرازي حدثنا محمد بن الصلت حدثنا قيس بن الربيع عن سالم الأقطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: قال: جاءت بنت خالد بن سنان إلى النبي (ص) فبسط لها ثوبه وقال بنت نبي ضيعه قومه . وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار عن يحيى بن المعلى بن منصور عن محمد بن الصلت عن قيس عن سالم عن سعيد عن ابن عباس. قال ذكر خالد بن سنان عند رسول الله (ص) فقال ذلك نبي ضيعه قومه . ثم قال ولا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه وكان قيس بن الربيع ثقة في نفسه إلا أنه كان رديء الحفظ وكان له ابن يدخل في أحاديثه ما ليس منها والله أعلم .

قال البزار: وقد رواه الثوري عن سالم الأقطس عن سعيد بن جبير مرسلًا وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا المعلى بن مهدي الموصلي قال حدثنا أبو عوانة عن أبي بن يوسف عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً من عبس يقال له خالد بن سنان قال لقومه: إني أظن منكم نار الحرتين فقال له رجل من قومه (١) والله يا خالد ما قلت لنا قط الا حقا فما شأنك وشأن نار الحرتين تزعم أنك تطفئها فخرج خالد ومعه أناس من (٢) قومه فيهم عمارة بن زياد فأتوها فاذا هي تخرج من شق جبل فخط لهم خالد خطة فأجلسهم فيها فقال إن أبغأت عليكم فلا تدعوني باسمي فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا فاستقبلها خالد فجعل يضربها بصاه وهو يقول: بدا بدا بدا كل هدى زعم ابن ربيعة المغزي أني لا أخرج منها وثيابي بيدي حتى دخل معها الشق فأبغأ عليهم فقال لهم عمارة بن زياد والله إن صاحبكم لو كان حياً لقد خرج اليكم بسد قالوا فدعوه باسمه . قال قالوا إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه فدعوه باسمه فخرج وهو أخذ برأسه فقال ألم أنبئكم أن تدعوني باسمي قد والله قتلتموني فادفونوني فلذا مرت بكم الحمر فيها حمار أبتز فأنبشوني فانكم تبتدونني حياً فدفنوه فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتز قتلنا أنبشوه فانه أمرنا

(١) هو عمارة بن زياد كما صرح به الحاكم في المستدرک ١٥٠ (٢) عدتهم ثلاثون .

أن تنبشه فقال لهم عمارة لا تنبشوه لا والله لا تحدث مضر أنا تنبش موتانا وقد كان قال لهم خالد إن في
 عكن امرأته لوحين فان أشكل عليكم أمر فانظروا فيها فانكم ستجدون ما تسألون عنه قال ولا يمسها
 حائض فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فاخرجتهما اليهم وهي حائض فذهب ما كان فيهما من علم .
 قال أبو يونس : قال ميمك بن حرب سئل عنه النبي (ص) ، فقال : ذاك نبي اضاعه قومه قال : أبو
 يونس : قال ميمك بن حرب إن ابن خالد بن سنان أتى النبي (ص) ، فقال : مرحباً بابن أخي فهذا السياق
 موقوف على ابن عباس وليس فيه أنه كان نبياً والمرسلات التي فيها أنه نبي لا يحتج بها هاهنا والأشبه
 أنه كان رجلاً صالحاً له أحوال وكرامات فانه إن كان في زمن الفترة فقد ثبت في صحيح البخاري عن
 رسول الله (ص) ، أنه قال : إن أولى الناس بعيسى بن مريم أنا لأنه ليس بيني وبينه نبي . وان كان قبلها
 فلا يمكن أن يكون نبياً لأن الله تعالى قال (لتندر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) وقد قال غير واحد
 من العلماء إن الله تعالى لم يبعث بعد اسماعيل نبياً في العرب إلا محمداً (ص) ، خاتم الأنبياء الذي دعا به
 إبراهيم الخليل بآتي الكعبة المسكومة التي جعلها الله قبلة لاهل الارض شرعاً وبشرت به الانبياء لقومهم
 حتى كان آخر من بشر به عيسى بن مريم عليه السلام وبهذا المسلك بعينه يرد ما ذكره السهيلي وغيره
 من إرسال نبي من العرب يقال له شعيب بن ذي مهزم بن شعيب بن صفوان صاحب مدين وبعث الى
 العرب أيضا حنظلة بن صفوان فكذبوها فسلط الله على العرب بخت نصر فنال منهم من القتل والسبي
 نحو ما نال من بني إسرائيل وذلك في زمن معد بن عدنان والظاهر أن هؤلاء كانوا قوما صالحين يدعون
 إلى الخير والله أعلم . وقد تقدم ذكر عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف في أخبار خزاعة بعد جرم .

حاتم الطائي أمير حمود والجاهلية

وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدى بن أحزم بن أبي أحزم^(١)
 واسمه هرومة بن ربيعة بن جرول بن نعل بن عمرو بن الغوث بن طيء أبو سفانة الطائي والد عدى بن حاتم
 الصحابي كان جواداً ممدحاً في الجاهلية وكذلك كان ابنه في الاسلام وكانت لحاتم ما أثر وأمر عجيبة وأخبار
 مستغربة في كرمه يطول ذكرها ولكن لم يكن يقصد بها وجه الله والدار الآخرة وإنما كان قصده السمعة
 والذكر قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا عبيد بن واقد القيسي حدثنا أبو نصر
 هو الناجي عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال ذكر حاتم عند النبي (ص) ، فقال ذاك أراد أمراً فأدركه
 (حديث غريب) قال الدارقطني تفرد به عبيد بن واقد عن أبي نصر الناجي ويقال إن اسمه حماد
 قال ابن عساکر : وقد فرق أبو أحمد الحاكم بين أبي نصر الناجي وبين أبي نصر حماد ولم يسم الناجي

(١) كذا بالاصول وبلوغ الارب للآلوسي .

ووقع في بعض روايات الحافظ ابن عساكر عن أبي نصر شيبه الناجي والله أعلم
وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن اسماعيل حدثنا سفيان عن سماك بن حرب عن مري بن قطري
عن عدى بن حاتم قال قلت لرسول الله (ص): ان أبي كان يصل الرحم ويفعل ويفعل فهل له في
ذلك معنى من أجر قال ان أبك طلب شيئاً فاصابه . وهكذا رواه أبو يعلى عن القواريري عن غندر عن
شعبة عن سماك به . وقال : ان أبك أراد أمراً فادركه يعني الذكر وهكذا رواه أبو القاسم البغوي عن علي بن
الجعد عن شعبة به سواء وقد ثبت في الصحيح في الثلاثة الذين تسع بهم جهنم منهم الرجل الذي ينفق
ليقال إنه كريم فيكون جزاؤه أن يقال ذلك في الدنيا وكذا في العالم والمجاهد وفي الحديث الآخر في
الصحيح أنهم سألوا رسول الله (ص) عن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة
قالوا له كان يقرى الضيف ويعتق ويتمصدق فهل ينفعه ذلك فقال انه لم يقل يوماً من الدهر رب اغفر لي
خطيئتي يوم الدين هذا وقد كان من الاجواد المشهورين ايضاً المطعمين في السنين المحلة والاقوات
المرملة . وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثني أبو بكر محمد بن عبد الله بن يوسف العمالي
حدثنا أبو سعيد عبيد بن كثير بن عبد الواحد الكوفي حدثنا ضرار بن صرد حدثنا عاصم بن حميد عن
أبي حمزة الثمالي عن عبد الرحمن بن جندب عن كميل بن زياد النخعي قال قال علي بن أبي طالب: يا سبحان
الله ما أزهّد كثيراً من الناس في خير عجباً لرجل يبيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً
ولو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً لكان ينبغي له أن يسارع في مكارم الاخلاق فانها تدل على سبيل
النجاح . فقام اليه رجل وقال: فذاك أنبأني يا أمير المؤمنين أممته من رسول الله (ص) . قال نعم! وما هو
خير منه لما أتى بسبايا طيء . وقعت جارية حمراء لساء زلفاء عيطاء شفاء الأنف معتدلة التامة والهامية
درماء الكمين خدلجة الساقين لفاء الفخذين خميصة الخصرين ضامرة الكشحين مصقولة المتنين . قال
فما رأيته أعجبت بها وقلت لأطلبن الى رسول الله (ص) فيجعلها في فئتي فلما تكلمت أنسيت جمالها
لما رأيت من فصاحتها فقالت يا محمد ان رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فاني ابنة سيد
قومي وان أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويقرى الضيف ويطعم الطعام
ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط وأنا ابنة حاتم طيء . فقال النبي (ص): يا جارية هذه صفة المؤمنين
حقاً لو كان أبوك مؤمناً لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباهم كان يحب مكارم الاخلاق والله تعالى يحب مكارم
الاخلاق . فقام أبو بردة بن ينار فقال يا رسول الله ، والله يحب مكارم الاخلاق؟ فقال رسول الله (ص) .
والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني عمر بن بكر عن أبي عبد الرحمن الطائي - هو القاسم بن عدى -
عن عثمان بن عركي بن حليس الطائي عن أبيه عن جده وكان أخا عدى بن حاتم لأمه قال قيل لنوار امرأة

حاتم حدثنا عن حاتم قالت كل أمره كان عجيباً أصابتنا سنة تحصت كل شيء فاقشرت لها الأرض واغبرت لها السماء وضنت المراضع على أولادها وراحت الأبل حدبا حدابير ماتبض بقطرة وحلقت المال وأنا لقي ليلة صبر بيده ما بين الطرفين إذ تضاعى الأصيبة من الجوع عبد الله وعدي وسفانة فوا لله إن وجدنا شيئاً نطلبهم به فقام إلى أحد الصبيان فحمله وقت إلى الصبية فطامها فوا لله إن سكنا إلا بعد هدأة من الليل ثم عدنا إلى الصبي الآخر فطامناه حتى سكت وما كاد ثم افترشنا قطيفة لنا شامية ذات خل فاضجنا الصبيان عليها ونمت أنا وهو في حجرة والصبيان بيننا ثم أقبل علي يعلو لأنام وعرفت ما يريد فتناومت فقال مالك أنمت فسكت فقال ما أراها إلا قد نامت وما بي نوم فلما أدلهم الليل وتهورت النجوم وهدأت الأصوات وسكنت الرجل إذ جانب البيت قد رفع فقال من هذا؟ فولي حتى قلت إذا قد اسحرنا أو كدنا عاد فقال من هذا؟ قالت جارتك فلانة يا أبا عدي ما وجدت على أحد معولا غيرك أيتك من عند أصيبة يتعاونون عواء الذئب من الجوع قال أعجلهم على قالت النوار فوثبت قلت ماذا صنعت أضطجع والله لقد تضاعى أصيبتك فما وجدت ما تعلمهم فكيف بهذه وبولدها فقال أمسكتي فوا لله لأشبعنك إن شاء الله قالت فاقبلت نحمل اثنين وتمشي جنبتيها أربعة كأنها نعامه حولها رملها فقام إلى فرسه فوجأ بجرته في لفته ثم قدح زنده وأورى ناره ثم جاء بمدية فكشط عن جلده ثم دفع المدية إلى المرأة ثم قال دونك ثم قال ابني صبيانك فيمثمهم ثم قال سوءة أبا كاون شيئاً دون أهل الصرم فجعل يطوف فيهم حتى هبوا واقبلوا عليه والتفع في ثوبه ثم اضطجع فلجبة ينظر إلينا والله ما ذاق مزعة وأنه لا حوجهم إليه فاصبحنا وما على الأرض منه إلا عظم وحافر .

وقال الدار قطنى : حدثني القاضي أبو عبد الله المحاملى حدثنا عبد الله بن أبي سعد وحدثنا عثيم بن ثوبة بن حاتم الطائى عن أبيه عن جده قال قالت امرأة حاتم يا أبا سفانة اشتمى إن آكل أنا وانت طعاما وحدثنا ليس عليه أحد فامرها فحوت خيمتها من الجماعة على فرسخ وأمر بالطعام فهى وهى سرخاة ستورها عليه وعليها فلما قارب نضج الطعام كشف عن رأسه ثم قال :

فلا تطبخني قدري وسترك دونها علي اذت ما تطبخين حرام
ولكن بهذا اليقاع فلو قدري بجزل إذا أوقدت لا بضرام

قال ثم كشف الستور وقدم الطعام ودعى الناس فاكلوا فقال ما اتهمت لى ما قلت فاجابها فأتى لا تطارغنى نفسى ونفسى أكرم على من أن يثنى على هذا وقد سبق لى السخاء ثم أنشأ يقول :

أمارسُ نفسى البخل حتى أعزها واركُ نفس الجود ما أستثيرها
ولا تشكبنى جارتى غير أنها إذا غاب عنها بلها لا أزورها
سيلفها خيرى ويرجع بلها إليها ولم تقصر عليها ستورها

ومن شعر حاتم:

إذا مابت اشرب فوق ربي
إذا مابت اختل عرس جاري
أفضح جارتني وأخون جاري

لسكر في الشراب فلا رويت
ليخفي الظلام فلا خفيت
فلا والله أفضل ما حيت

ومن شعره أيضاً:

ماض جاراً لي أجاوره
أغضي إذا ما جارتني برزت

أن لا يكون ربابه ستر
حتى يوارني جارتني الخدر

ومن شعر حاتم أيضاً:

وما من شيمتي شم ابن عمي
وكلمة حاسد من غير جرم
وعابوها علي فلم تعبني
وذي وجهين يلقاني طليقاً
ظفرت بييه فكففت عنه

وما أنا مخلف من برنجيني
سمعت وقت مري فاقذيني
ولم يمرق لها يوماً جيبني
وليس إذا تغيب أتسبني
محافظة على حسبي وديني

ومن شعره:

سلي البائس المورور يا أم مالك
أبسط وجهي إنه أول التي

إذا ما أتاني بين ناري ومجزري
وابذل معروفني له دون منكرني

وقال أيضاً:

وانك ان أعطيت بطنك سؤله
و فرجك نالا منتهى الدم أجمما

وقال القاضي أبو الفرج المعافى بن زكرياء الجريري حدثنا الحسين بن القاسم السكوكي حدثنا

أبو العباس المبرد أخبرني الثوري عن أبي عبيدة . قال لما بلغ حاتم طي قول المتأس:

قليل المال تصلحه فيبقى
و حفظ المال خير من فناه

ولا يبقى الكثير على الفساد
وعسف في البلاد بغير زاد

قال ماله قطع الله لسانه حمل الناس على البخل فها قال :

فلا الجود يقي المال قبل فناه
فلا تلمس مالا بيش مقتر

ولا البخل في مال الشحيح يزيد
لكل غير رزق يعود جديد

ألم تر أن المال غاب ورائح
وان الذي يعطيك غير بيد

قال القاضي أبو الفرج ولقد أجسن في قوله : وان الذي يعطيك غير بيد . ولو كان مسلماً لرجى

له الخير في معاده وقد قال الله في كتابه: (واسألوا الله من فضله). وقال تعالى: (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعاني). وعن الواضح بن مبد الطائي قال: وفد حاتم الطائي على النعمان ابن المنذر فاكرمه وادناه ثم زوده عند انصرافه جملين ذهباً وورقا غير ما عطاء من طرائف بلده فرحل، فلما أشرف على أهله تلقته أعاريب طي. فقالت: يا حاتم أتيت من عند الملك واتيتمنا من عند أهاليها بالقر فقال: حاتم هم فخذوا ما بين يدي فتوزعوه فوثبوا الى ما بين يديه من حباء النعمان فاقسموه. فخرجت الى حاتم طريفة جاريتة فقالت له اتق الله وأبق على نفسك، فابذع هو لاء ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بغيراً. فانشأ يقول:

قالت طريفة ما تبقى دراهمنا وما بنا سرف فيها ولا خرق
إن يفن ما عندنا فالله يرزقنا ممن سوانا ولسنا نحن نرتق
ما يالف الدرهم الكاري خرقنا الا يمر عليها ثم ينطلق
إنا إذا اجتمع يوماً دراهمنا ظلت الى سبل المعروف تستبق

وقال أبو بكر بن عياش: قيل لحاتم هل في العرب أجود منك. فقال: كل العرب أجود مني ثم انشأ يحدث. قال: نزلت على غلام من العرب يتيم ذلت ليلة وكانت له مائة من الغنم فذبح لى شاة منها واتانى بها فلما قرب الى دماغها قلت: ما أطيب هذا الدماغ قال فذهب فلم يزل يأتيني منه حتى قلت قد اكتفيت، فلما أصبحت إذا هو قد ذبح المائة شاة وبقى لاشيء له؟ فقيل فما صنعت به فقال: ومتى أبلغ شكره ولو صنعت به كل شيء. قال: على كل حال فقال أعطيته مائة ناقة من خيار ابي. وقال محمد بن جعفر الخرائطي في كتاب مكارم الاخلاق حدثنا العباس بن الفضل الربيعي حدثنا إسحاق بن ابراهيم حدثني حماد الراوية ومشيخة من مشيخة طي. قالوا: كانت عنزة^(١) بنت عفيف بن عمرو بن امرى القيس أم حاتم طي لا تمسك شيئاً سخاء وجوداً، وكان اخوتها يمنعونها فتأبى وكانت امرأة مومرة فخبسوها في بيت سنة يطعمونها قوتها نعلها تكف عما تصنع. ثم اخرجوها بعد سنة وقد ظنوا أنها قد تركت ذلك الخلق فدفنوا اليها صرمة من مالها وقالوا استمتعي بها، فأتتها امرأة من هوازن وكانت تفشاها فسألها فقالت: دونك هذه الصرمة فقد والله مسني من الجوع ما آليت ان لا أمتع سائلاً ثم أنشأت تقول:

لعمري لقدما بعثني الجوع عضة فآليت ان لا أمتع الدهر جائماً
فولا لهذا اللامي اليوم أعوي وان أنت لم تفعل فعض الأصابا
فماذا عسا كم ان تقولوا لأختكم سوى عدلكم أو عدل من كان مانماً
وماذا ترون اليوم إلا طبيعةً فكيف بتركي يا ابن امي الطبايماً

(١) كذا في الاصل. وفي مكارم الاخلاق للخرائطي: غنية بنت عفيف.

وقال الهيثم بن عدى عن ملحان بن عركى بن عدى بن حاتم عن أبيه عن جده . قال : شهدت حاتماً يكيد بنفسه فقال لى أى بنى إني أعهد من نفسى ثلاث خصال والله ما خاللت جارة لريبة قط . ولا أوتمنت على أمانة إلا أديتها ، ولا أوتي أحد من قبلى بسوء . وقال أبو بكر الخرائطى : حدثنا على بن حرب حدثنا عبد الرحمن بن يحيى العدوى حدثنا هشام بن محمد بن السائب الكلابى عن أبي مسكين - يعنى جعفر بن الحر بن الوليد - عن الحرر مولى أبى هريرة قال : مرر من عبد القيس بقبر حاتم طي . فتزولوا قريباً منه فقام اليه بعضهم يقال له أبو الخبيرى فجعل يركض قبره برجله . ويقول : يا أبا جهم أقرنا فقال له بعض أصحابه : ما تخاطب من رمة وقد بليت واجنهم الليل فناموا فقام صاحب القول فزعاً يقول يا قوم عليكم بمطيمكم فان حاتماً أتانى فى النوم وانشدنى شعراً وقد حفظته يقول :

أبا الخبيرى وانت امرؤ ظلوم العشرة شتامها
أتيت بصحبك تبغى القرى لدى حفرة قد صدت هامها
أتبغى لى الذنب عند الميـد تـ وحولك طيى وانعامها
وإنا لنشبع أضـيافنا وتانى المطيى فمنامها

قال وإذا ناقة صاحب القول تكوس عقيراً فنحروها وقاموا يشترون ويأكلون . وقالوا والله لقد أضافنا حاتم حياً وميتاً . قال : واصبح القوم واردفوا صاحبهم وساروا فاذا رجل ينوه بهم راكبا جملاً ويقود آخر . فقال : ايكم أبو الخبيرى قال أنا قال إن حاتماً أتانى فى النوم فاخبرنى أنه قرى أصحابك نأتك وامرنى أن أحلك وهذا بغير فخذة ودفه اليه .

شيء من أخبار عبد الله بن جهم

هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة سيد بنى تيم وهو ابن عم والد أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وكان من الكرماء الاجواد فى الجاهلية المطمئنين للمستنين وكان فى بدء امره فقيراً مملقاً وكان شريراً يكثر من الجنائيات حتى أبغضه قومه وعشيرته وأهله وقبيلته وأبغضوه حتى أبوه فخرج ذات يوم فى شعاب مكة حائراً باثراً فرأى شقاً فى جبل فظن أن يكون به شيئاً يؤذى فقصده لعله يموت فيستريح مما هو فيه فلما اقترب منه اذا ثعبان يخرج اليه ويثب عليه فجعل يحيد عنه ويثب فلا يعنى شيئاً فلما دنا منه إذا هو من ذهب وله عينان هما ياقوتتان فكسره وأخذه ودخل النار فاذا فيه قبور لرجال من ملوك جرم ومنهم الحارث بن مضاى الذى طالت غيبته فلا يدري أين ذهب ووجد عند رؤسهم لوحاً من ذهب فيه تاريخ وفاتهم ومدد ولايتهم وإذا عندهم من الجواهر والآلى والذهب والفضة شئ كثير فاخذ منه حاجته ثم خرج وعلم باب النار ثم انصرف الى قومه فاعطاهم حتى أحبوه وسادهم وجعل يطعم الناس وكلما قل ما فى يده ذهب الى ذلك النار فاخذ حاجته ثم رجع فمن ذكر هذا

عبد الملك بن هشام في كتاب التيجان وذكره أحمد بن عمر في كتاب ري العاطش وانس الواحش وكانت له جفنة يأكل منها الراكب على بئره ووقع فيها صغير ففرق وذكر ابن قتيبة وغيره أن رسول الله (ص) قال لقد كنت استظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمي أي وقت الظهيرة . وفي حديث مقتل أبي جهل أن رسول الله (ص) قال لاصحابه تطلبوه بين القتلى وتعرفوه بشجة في ركبته فاني تراحت أنا وهو على مادة لابن جدعان فدفعته فسقط على ركبته فاهشمت فأرها باق في ركبته فوجدوه كذلك . وذكروا أنه كان يطعم النمر والسويق ويسقي اللبن حتى سمع قول أمية بن أبي الصلت :

ولقد رأيتُ الفاعلين وِفعلهم
فرايتُ أكرمهم بني الدبان
البريبيك بالشهادِ طعامهم
لا ما بعلنا بنو جدعان

فارسل ابن جدعان الى الشام النقي بئير تحمل البر والشهد والبمن وجعل مناديا ينادي كل ليلة على ظهر الكعبة أن هلموا الى جفنة ابن جدعان . فقال أمية في ذلك :

له داعٍ بمكة مشمعلٌ
وأخراً فوق كعبتها ينادي
الى رده من الشيزي ملاء
لباب البريبيك بالشهاد

ومع هذا كله فقد ثبت في الصحيح لمسلم أن عائشة قالت: يارسول الله ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة . فقال: لا إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين .

امرؤ القيس بن عمرو الكنزي صاحب إحدى المعلقات

وهي آخرهن وأشهرهن التي أولها :

* قفانك من ذكري حبيب ومنزل *

قال الامام أحمد: حدثنا هشام حدثنا أبو الجهم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص): امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء الى النار وقد روى هذا الحديث عن هشام جماعة كثيرون منهم بشر بن الحكم ، والحسن بن عرفة، وعبد الله بن هارون أمير المؤمنين المأمون أخو الامين ويحيى بن معين، واخرجه ابن عدي من طريق عبدالرزاق عن الزهري به وهذا منقطع وردى من وجه آخر عن أبي هريرة ولا يصح من غير هذا الوجه

وقال الحافظ ابن عساكر: هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يعرب بن ثور بن سرتع بن معاوية بن كندة . أبو يزيد ويقال أبو وهب

ويقال أبو الحارث الكندي . كان بأعمال دمشق وقد ذكر مواضع منها في شعره فمن ذلك قوله :

قَتَانِيكَ مِنْ ذِكْرِي حَيْبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوِيِّ بَيْنَ الدَّخُولِ فَخَوَّمَلِ
فَتَوَضَّحَ فَاَلْمَقْرَاءَةَ لَمْ يَفُتْ رَسْمُهَا لَمَانَسَجَتْهَا مِنْ جَنْوَبٍ وَشَمَالِ

قال وهذه مواضع معروفة بحوران . ثم روى من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلابي حدثني فروة بن سعيد بن عفيف بن معدى كرب عن أبيه عن جده . قال : بينما نحن عند رسول الله (ص) إذ أقبل وفد من اليمن قالوا يا رسول الله لقد أحيانا الله بينين من شعر امرئ القيس . قال : وكيف ذلك؟ قالوا أقبلنا نريدك حتى إذا كنا ببعض الطريق أخطأنا الطريق فمكثنا ثلاثا لا قدر على الماء فتفرقنا إلى أصول طلح وسمر ليموت كل رجل منا في ظل شجرة فبينما نحن بأخر رمق إذا راكب يوضع على بعير فلما رآه بهضنا قال والراكب يسمع :

وَلَمَّارَاتُ أَنْتِ الشَّرِيمَةَ هَمَّهَا وَأَنْ الْبِيَاضُ مِنْ فَرَانِصِهَا دَامِي
تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ الَّتِي عِنْدَ ضَارِحٍ يُفِيءُ عَلَيْهَا الظَّلَّ عَرْمَضُهَا طَائِي

قال الراكب : ومن يقول هذا الشعر وقد رأى ما بنا من الجهد؟ قال قلنا امرؤ القيس بن حُجر قال والله ما كتب هذا ضارح عندهم فنظرنا فإذا بيننا وبين الماء نحو من خمسين ذراعا فخبونا إليه على الراكب فإذا هو كما قال امرؤ القيس عليه المرض يفيء عليه الظل فقال رسول الله (ص) : «ذاك رجل مذكور في الدنيا منسى في الآخرة ، شريف في الدنيا حامل في الآخرة ، يده لواء الشعراء يقودهم إلى النار» . وذكر الكلابي : أن امرأ القيس أقبل براياته يريد قتال بني أسد حين قتلوا أباه فمر بقبالة وبها ذو الخلصة وهو صنم وكانت العرب تستقسم عنده فاستقسم فخرج القدح الناهي ثم الثانية ثم الثالثة كذلك فكسر القدح وضرب بها وجه ذي الخلصة وقال عضضت بإيرايك لو كان أبوك المقتول لما عوقفتني . ثم اغار على بني أسد قتلهم قتلا ذريعا قال ابن الكلابي : فلم يستقسم عند ذي الخلصة حتى جاء الإسلام وذكر بعضهم أنه امتدح قيصر ملك الروم يستنجد في بعض الحروب ويسترفده فلم يجد ما يؤمله عنده فهجاه بعد ذلك فيقال إنه سقاه سما قتلته فلجأه الموت إلى جنب قبر امرأة عند جبل يقال له عيب فكتب هناك :

أَجَارَتْنَا إِنْ الْمَزَارَ قَرِيبُ وَإِنِّي مَقِيمٌ مَا أَقَامَ عَيْبُ

أَجَارَتْنَا إِنْ غَرِيبَانِ هَهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ

وذكروا أن الملققات السبع كانت معلقة بالكعبة ، وذلك أن العرب كانوا إذا عمل أحدهم قصيدة عرضها على قريش فإن أجازوها علقوها على الكعبة تظيما لشأنها فاجتمع من ذلك هذه الملققات السبع فلا ولي لامرئ القيس بن حجر الكندي كما تقدم وأولها :

قنابك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحول
 والثانية للنابغة الذبياني: واسمه زياد بن معاوية ويقال زياد بن عمرو بن معاوية بن ضباب بن جابر
 ابن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض وأولها:
 يادار ميةً بالملياء فالتسند أقوت وطال عليها سالف الأبد
 والثالثة لزهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني وأولها:
 أمن أم أوفى دمنة لم تسكلم بمحوماته الدراج فالتسليم
 والرابعة لطرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن
 صعب بن علي بن بكر بن وائل وأولها:

تلحولة أطلال يبرقة تهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
 والخامسة لعنزة بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن غالب بن قطيمة
 ابن عيس العبسي وأولها:

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توم
 والسادسة لعلمة بن عبدة بن النعمان بن قيس أحد بني تميم وأولها:
 طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب
 والسابعة - ومنهم من لا يثبتها في المعلقات وهو قول الاصمعي وغيره - وهي للبيد بن ربيعة بن
 مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن
 عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر وأولها:

عفت الديار محلها فمقامها ربحي تأبد غولها فرجامها
 فاما القصيدة التي لا يعرف قائلها فيما ذكره أبو عبدة والاصمعي والمبرد وغيرهم فهي قوله:
 هل بالطلول لسائل ردّ أم هل لها بتكلم عهد
 وهي مطولة وفيها معاني حسنة كثيرة .

الخيار أخته بن أبي الصلت التقي

قال الخافض ابن عاكر: هو أمية بن أبي الصلت عبدالله بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة بن عزة
 ابن عوف بن تقيف بن منبه بن بكر بن هوازن أبو عثمان ويقال أبو الحكم التقي شاعر جاهلي قدم

دمشق قبل الاسلام وقيل انه كان مستقيماً^(١) وانه كان في أول أمره على الايمان ثم زاغ عنه وانه هو الذي أراد الله تعالى بقوله (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين). قال الزبير بن بكار: فولدت رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف أمية الشاعر ابن أبي الصلت واسم أبي الصلت ربيعة بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن ثقيف وقال غيره كان أبوه من الشعراء المشهورين بالطائف وكان أمية أشعرهم.

وقال عبد الرزاق قال الثوري: أخبرني حبيب بن أبي ثابت أن عبد الله بن عمرو قال في قوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) هو أمية بن أبي الصلت وكذا رواه أبو بكر بن مردويه عن أبي بكر الشافعي عن معاذ بن المنثري عن مسدد عن أبي عوانة عن عبد الملك بن عمير عن نافع بن عاصم بن مسعود. قال: اني لفي حلقة فيها عبد الله بن عمرو فقرأ رجل من القوم الآية التي في الاعراف (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) فقال هل تدرون من هو؟ فقال بعضهم: هو صيفي بن الراهب. وقال آخر: بل هو بلعم رجل من بني اسرائيل فقال لا اقال فمن؟ قال هو أمية بن أبي الصلت وهكذا قال أبو صالح والكاتب وحكاه قتادة عن بعضهم. وقال الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا عبد الله بن شبيب الربيعي حدثنا محمد بن مسلمة بن هشام الخزومي حدثنا اسماعيل ابن الطريح بن اسماعيل الثقفي حدثني أبي عن أبيه عن مروان بن الحكم عن معاوية بن أبي سفيان عن أبيه. قال: خرجت أنا وأميه بن أبي الصلت الثقفي نجاراً الى الشام فكلمنا نزلنا منزلاً أخذ أمية سفرًا له يقرؤه علينا فكنا كذلك حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فجاؤه واكرموه واهدوا له وذهب معهم الى بيوتهم ثم رجع في وسط النهار فطرح ثوبيه واخذ ثوبين له أسودين فلبسهما وقال لي هل لك يا أبا سفيان في عالم من علماء النصارى اليه يتناهى علم الكتاب تسأله. قلت: لا إرب لي فيه والله لئن حدثني بما أحب لا أتق به ولئن حدثني بما أكره لا جدن منه. قال فذهب وخالفه شيخ من النصارى فدخل على فقال ما يمنعك أن تذهب الى هذا الشيخ قلت لست على دينه قال وإن فانك تسمع منه عجباً وتراه. ثم قال لي أتقني أنت قلت لا ولكن قرشي؟ قال فما يمنعك من الشيخ فوالله انه ليحبكم ويوصي بكم. قال فخرج من عندنا ومكث أمية عندهم حتى جاءنا بعد هدأة من الليل فطرح ثوبيه ثم انجدل على فراشه فوالله ما نام ولا قام حتى أصبح ككثيراً حزينا ساقطاً غبوقه على صبوحة ما يكلمنا ولا نكلمه. ثم قال: ألا ترحل. قلت وهل بك من رحيل؟ قال نعم! فرحلتنا فسرنا بذلك ليلتين ثم قال في الليلة الثالثة الا تحدث يا أبا سفيان قلت وهل بك من حديث والله ما رأيت^(٢) مثل الذي رجعت به من عند صاحبك قال أما ان ذلك لشيء لست فيه انما ذلك لشيء

(١) الذي في ابن عساكر وقيل انه كان نبيا .

(٢) لفظ ما رأيت) ليست موجودة في تاريخ ابن عساكر .

وجلت منه من منقلبي قلت وهل لك من منقلب . قال : أى والله لا موتن ثم لا حين قال قلت هل أنت قابل أمانتي قال على ماذا قلت على أنك لا تبعث ولا تحاسب قال فضحك ثم قال : بلى والله يا أباسفيان لنبعثن ثم لنحاسبن وليدخلن فريق الجنة وفريق النار . قلت : ففى أيهما أنت أخبرك صاحبك قال لا علم لصاحبى بذلك لافى ولا فى نفسه قال فكنا فى ذلك ليلتين يعجب منى وأضحك منه حتى قدمنا غرطة دمشق فبعنا متاعنا واقنا بها شهرين فارتحلنا حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فلما رأوه جاؤه واهدوا له وذهب بهم إلى بيوتهم^(١) فما جاء إلا بعد منتصف النهار فلبس ثوبيه وذهب إليهم حتى جاء بسد هداية من الليل فطرح ثوبيه ورعى بنفسه على فراشه فوالله ما نام ولا قام وأصبح حزينا كئيبا لا يكلمنا ولا نكلمه . ثم قال : الا ترحل قلت بلى ان شئت فرحنا كذلك من به وحزنه ليالى^(٢) . ثم قال لى : يا أباسفيان هل لك فى المسير لتتقدم أصحابنا قلت هل لك فيه قال نعم ! فسرنا حتى برزنا من أصحابنا ساعة ثم قال : هيا صخر . فقلت : ماتتاه ؟ قال حدثنى عن عتبة بن ربيعة اجتنب المظالم والمحارم قلت : إى والله قال : ويصل الرحم ويأمر بصلتها . قلت إى والله ! قال وكريم الطرفين وسط فى العشرة قلت نعم ! قال فهل تعلم قرشياً اشرف منه ؟ قلت لا والله لا أعلم قال امحوج هو قلت لا بل هو ذو مال كثير قال وكم أتى عليه من السن فقلت قد زاد على المائة قال فالشرف والسن والمال أزرين به قلت ولم ذاك يزرى به لا والله بل يزيد خيراً قل هو ذاك . هل لك فى البيت قلت لى فيه قال فاضطجعنا حتى مر التقل قل فسرنا حتى نزلنا فى المنزل وبتنا به ثم ارتحلنا منه فلما كان الليل قل لى يا أباسفيان قلت ماتتاه قل هل لك فى مثل البارحة قلت هل لك فيه قال : نعم فسرنا على ناقتين بخيتيتين حتى إذا برزنا قال : هيا صخر هيه عن عتبة بن ربيعة قل قلت هيبا فيه قال اجتنب المحارم والمظالم ويصل الرحم ويأمر بصلتها قلت إى والله انه ليفضل قل وذو مال قلت وذو مال قل أعلم قرشياً أسود منه قلت : لا والله ما أعلم ؟ قال كم أتى له من السن قلت قد زاد على المائة قال فان السن والشرف والمال أزرين به قلت كلا والله ما ازرى به ذلك وانت قاتل شيتا فقله . قال لا تذكر حديثى يأتى منه ما هوأت ثم قل فان الذى رأيت أصابنى أنى جئت هذا العالم فسألته عن أشياء ثم قلت أخبرنى عن هذا النبى الذى ينتظر قال هو رجل من العرب قلت قد علمت أنه من العرب فمن أى العرب هو قال من أهل بيت تحبجه العرب قلت وفينا بيت تحبجه العرب قال هو من اخوانكم من قريش فاصابنى والله شئ ما اصابنى مثله قط وخرج من يدى فوز الدنيا والآخرة وكنت أرجو ان أكون إياه قلت فاذا كان ما كان فصنف لى قل رجل شاب حين دخل فى الكهولة . بدؤ أمره يجتنب المظالم والمحارم ويصل الرحم ويأمر بصلتها وهو محوج كريم الطرفين متوسط فى العشرة أكثر جنده من الملائكة قلت وما آية ذلك قال قد رجفت الشام منذ هلك عيسى بن مريم عليه السلام ثمانين رجفة كلها

(١) فى ابن عساكر الى بيوتهم (٢) كذا فى الاصل : ولماها : فرحنا كذلك وهو فى به الخ .

فيها مصيبة وبقية درجة عامة فيها مصائب . قال أبو سفيان : قلت هذا والله الباطل اتن بمث الله رسولا لا يأخذه إلا مسنا شريفا . قال أمية : والقي حظوت به ان هذا لكذبا يا أبا سفيان تقول إن قول النصراني حق . هل لك في الميت ؟ قلت نعم لي فيه قل فبتنا حتى جاءنا الثقل ثم خرجنا حتى إذا كان بيننا وبين مكة مرحلتان ليلتان (١) أدركنا راكب من خلفنا فسألناه فإذا هو يقول أصابت أهل الشام بدمكم رجفة دمرت أهلها وأصابهم فيها مصائب عظيمة . قال أبو سفيان فأقبل على أمية فقال كيف ترى قول النصراني يا أبا سفيان قلت أرى وانظر والله ان ما حدثك به صاحبك حق قال أبو سفيان قدمنا مكة فقضيت ما كان معي ثم انطلقت حتى جئت اليمن تاجراً فكنت بها خمسة أشهر ثم قدمت مكة فبينما انا في منزلي جاءني الناس يسلمون علي ويسألون عن بضائعهم حتى جاءني محمد بن عبد الله وهند عندي تلاعب صيانتها فلم علي ورحب بي وسألني عن سفري ومقامي ولم يسألني عن بضاعته ثم قام . قلت : لهند والله ان هذا ليعجنني ما من احد من قريش له معي بضاعة الا وقد سألتني عنها وما سألتني هذا عن بضاعته . قالت لي هند : أو ما علمت شأنه قلت وأنا فزع ما شأنه قالت يزعم أنه رسول الله فوقدتنى وتذكرت قول النصراني فرجفت حتى قالت لي هند مالك ؟ فانتبهت قلت إن هذا هو الباطل هو أعقل من أن يقول هذا قالت بلى والله انه ليقولن ذلك ويدعو اليه وان له لصحابة على دينه قلت هذا هو الباطل قال وخرجت فبينما انا أطوف بالبيت إذ بي قد لقيته قلت له ان بضاعتك قد بلغت كذا وكذا وكان فيها خير فأرسل من يأخذها ولست آخذ منك فيها ما آخذ من قومي فإني على . وقال اذن لا آخذها قلت فأرسل فخذها وانا آخذ منك مثل ما آخذ من قومي فأرسل الى بضاعته فأخذها واخذت منه ما كنت آخذ من غيره . قال أبو سفيان : فلم أنشب أن خرجت الى اليمن ثم قدمت الطائف فنزلت على أمية بن أبي الصلت فقال لي يا أبا سفيان ما نشاء هل تذكر قول النصراني قلت أذكره وقد كان قال : ومن ؟ قلت محمد بن عبد الله قال ابن عبد المطلب قلت ابن عبد المطلب ثم قصصت عليه خبر هند قال فله يعلم ؟ واخذ يتصب عرقا . ثم قال : والله يا أبا سفيان لعله . إن صفته لمي ولئن ظهر وأنا حتى لا طلبين من الله عز وجل في نصره عندي قول : ومضيت الى اليمن فلم أنشب ان جاءني هنالك استهلاله وأقبلت حتى نزلت على أمية ابن أبي الصلت بالطائف قلت يا أبا عثمان قد كان من أمر الرجل ما قد بلغك وسمعته فقال قد كان لمعري قلت فإن أنت منه يا أبا عثمان فقال والله ما كنت لأومن برسول من غير ثقيف ابدا قال أبو سفيان فجلت الى مكة فوالله ما أبا يعيد حتى جئت مكة فوجدت أصحابه يضربون ويحترقون قال أبو سفيان فجلت أقول فإن جنده من الملائكة قال فدخلى ما يدخل الناس من النفاة وقد رواه الحافظ البيهقي في كتاب الدلائل من حديث اسماعيل بن طريج به ولكن سياق الطبراني الذي أورده انه اتم واطول والله أعلم .

(١) عبارة ابن عساكر وبين المدينة ١٠ هـ .

وقال الطبراني: حدثنا بكر بن احمد بن نفيلى حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثنا مجاشع بن عمرو الاسدي حدثنا ليث بن سعد عن أبي الاسود محمد بن عبد الرحمن عن عروة بن الزبير عن معاوية بن أبي سفيان عن أبي سفيان بن حرب أن أمية بن أبي الصلت كان بغزة أو بيلياء فلما قفلنا قال لي أمية يا أبا سفيان هل لك أن تتقدم على الرقة فتحدث قلت نعم قال ففعلنا فقال لي يا أبا سفيان إيه عن عتبة بن ربيعة قلت: كريم الطرفين ويجنب المحارم والمظالم قلت نعم قال وشريف مسن قلت وشريف مسن قال السن والشرف ازرباه فقلت له كذبت ما ازداد سنا الا ازداد شرفا قال يا أبا سفيان انها كلمة ما سمعت احداً يقولها منذ تبصرت فلا تعجل علي حتى أخبرك قال قلت هات قال انى كنت اجد في كتيبي نبيا يبعث من حرتنا هذه فكنت أظن بل كنت لا اشك انى أنا هو فلما دارست اهل العلم اذا هو من بنى عبد مناف فنظرت في بنى عبد مناف فلم أجد احدا يصلح لهذا الامر غير عتبة بن ربيعة فلما أخبرتنى بسنه عرفت انه ليس به حين جاوز الاربعين ولم يوح اليه قال ابو سفيان فضرب الدهر ضربه فوحي الى رسول الله ص: وخرجت في ركب من قريش اريد اليمن في تجارة فمررت بامية فقلت له كالمستهزىء به يا أمية قد خرج النبي الذي كنت تمنعه قال أما انه حق فاتبعه قلت ما يمنعك من اتباعه قال ما يمنعني إلا الاستحياء من نساء ثقيف انى كنت احدهن انى هو ثم يرينى تابعا للام من بنى عبد مناف ثم قال أمية كأنى بك يا ابا سفيان قد خالفته ثم قد ربطت كما يربط الجدوى حتى يؤتى بك اليه فيحكم فيك بما يريد .

وقال عبد الرازق: اخبرنا معمر عن الكلابي قال بينا أمية راقد ومعه ابنتان له اذ فرغت احدهما فصاحت عليه فقال لها ما شأنك قالت رأيت نسرين كسطا سقف البيت فنزل احدهما اليك فشق بطنك والآخر واقف على ظهر البيت فناده فقال أوعى قال نعم قال اذكى قال لا فقال ذاك خير اريد بأبيكما فلم يفعله وقد روى من وجه آخر بسياق آخر فقال اسحاق بن بشر عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب وعثمان بن عبد الرحمن عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال قدمت الفارعة أخت أمية بن أبي الصلت على رسول الله ص. بعد فتح مكة (١) وكانت ذات لب وعقل وجمال وكان رسول الله ص. بها معجبا فقال لها ذات يوم يا فارعة هل يحفظين من شعر أخيك شيئا فقالت نعم و اعجب من ذلك ما قد رأيت قالت كان أخى في سفر فلما انصرف بدأنى فدخل على فرقد على سريري وأنا أخلق ادبما في يدي إذ أقبل طائران أبيضان أو كالطيرين أبيضين فوقع على السكوة احدهما ودخل الآخر فوقع عليه فشق الواقع عليه ما بين قصه الى عاتقه ثم ادخل يده في جوفه فاخرج قلبه فوضعه في كفه ثم شمه فقال له الطائر الآخر أوعى قال وعى قال اذكى قال أبى ثم رد القلب الى مكانه فالتأم الجرح اسرع من طرفة عين ثم ذهب فلما رأيت ذلك

(١) الذى فى اسد الغابة والاصابة والاستيعاب بعد فتح الطائف.

دنوت منه فركته قلت هل نجد شيئاً. قال : لا إلا توهيناً في جسدي - وقد كنت ارتعبت مما رأيت -
 قال مالي أراكي مرئعة . قالت فاخبرته انظر فقال خير أريد بي ثم صرف عني ثم انشأ يقول:

باتت همومي تسري طوارقها أكف عيني والدمع سابقها
 بما أتاني من اليقين ولم أوت برأة بقص ناطقها^(١)
 أم من تظني عليه واقدة الذا ر محيط بهم مرادقها
 أم أسكن الجنة التي وعد السابرار مصفوفة نمارقها
 لا يستوي المنزلان ثم ولا الأعمال لانستوي طرائقها
 هما فريقان فرقة تدخل الجنة فحفت بهم حدائقها
 وفرقة منهم قد أدخلت الذار فسائتهم مرادقها
 تماهدت هذه القلوب اذا همت بخير عاقت عوائقها
 وصدّها للشقاء عن طلب الجنة دنيا الله ماحقها
 عبداً دعا نفسه فعاتبها يعلم أن البصير رامقها
 مارغب النفس في الحياة وان يحيى قليلاً فالموت لاحقها
 يوشك من فر من منيته يوماً على غرة بواققها
 ان لم تمت غبطة تمت هرماً للموت كأس والمرء ذاتهها

قال ثم انصرف الى رحله فلم يلبث الا سيراً حتى طعن في حيارته^(١) فاتانى الخبر فانصرفت اليه فوجدته
 منعوشاً قد سجي عليه دنوت منه فشق شهقة وشق بصره ونظر نحو السقف ورفع صوته . وقال : ليبيكا
 ليبيكا ها أنا ذا لديك ، لا ذومال فيفديني ولا ذو أهل فتحميني . ثم أغنى عليه اذ شق شهقة فقامت قد
 هلك الرجل . فشق بصره نحو السقف ورفع صوته . فقال : ليبيكا ليبيكا ها أنا ذا لديك ، لا ذو برأة
 فاعتذر ، ولا ذو عشيرة فاتصر . ثم أغنى عليه اذ شق شهقة وشق بصره ونظر نحو السقف . فقال :
 ليبيكا ليبيكا ها أنا ذا لديك ، بالنعم محفود وبالذنب محفود ، ثم أغنى عليه اذ شق شهقة . فقال : ليبيكا
 ليبيكا ها أنا ذا لديك

إن تفر اللهم تفرجما وأي عبدك لا أماً

ثم أغنى عليه اذ شق شهقة قال:

كل عيش وان تطاول دهرأ صائر مرة^(٢) الى أن يزولا
 ليتني كنت قبل ماقد بدالي في قلال الجبال أرى الوعولا

(١-١) كذا في النسختين ولم يظهر لنا المعنى ، (٢) في شعراء النصرانية : انتهى امره الى ان يزولا

قالت : ثم مات . فقال رسول الله (ص) : يا فارعة إن مثل أخيك كمثل الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها الآية وقد تكلم الخطابى على غريب هذا الحديث . وروى الحافظ ابن عساكر عن الزهري انه قال قال أمية ابن أبي الصلت :

ألا رسول لنا منا يخبّرنا ما بعد غابتنا من رأس مجراننا (١)

قل ثم خرج أمية بن أبي الصلت الى البحرين وتبدأ رسول الله (ص) . واقام أمية ببحرين ثمانى سنين ثم قدم الطائف فقال لهم : ما يقول محمد بن عبد الله قالوا يزعم انه نبي هو الذى كنت تمنى . قال : فخرج حتى قدم عليه مكة فلقبه . فقال : يا ابن عبد المطلب ما هذا الذى تقول قال أقول : إني رسول الله وان لا إله الا هو . قال : انى أريد أن أكلمك فمدنى غداً قال فموعدك غدا قال فتحب ان آتيك وحدى أو فى جماعة من أصحابى وتأتينى وحدك أو فى جماعة من أصحابك فقال رسول الله (ص) : أى ذلك شئت قال فاني آتيك فى جماعة فأت فى جماعة قال فلما كان الغد غدا أمية فى جماعة من قريش قال وغدا رسول الله (ص) معه نفر من أصحابه حتى جلسوا فى ظل الكعبة . قال : فبدأ أمية فخطب ثم سجع ثم أنشد الشعر حتى اذا فرغ الشعر قال أجبنى يا ابن عبد المطلب . فقال رسول الله (ص) : (بسم الله الرحمن الرحيم . يسن والقرآن الحكيم) حتى اذا فرغ منها وثب أمية يجر رجليه قال فتبعته قريش يقولون ما تقول بالأمية قال اشهد انه على الحق . فقالوا : هل تتبعه قال حتى أنظر فى أمره قال ثم خرج أمية الى الشام و قدم رسول الله (ص) المدينة فلما قتل أهل بدر قدم أمية من الشام حتى نزل بدرآ ثم رحل يريد رسول الله (ص) فقال قائل : يا أبا الصلت ما تريد ؟ قال أريد محمداً قال وما تصنع ؟ قال أومن به والتقى اليه مقاليد هذا الأمر قال : أتدرى من فى القلب ؟ قال لا قال : فيه عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وهما ابنا خالك . وأمه ربيعة بنت عبد شمس . قال فجذع أذنى ناقته وقطع ذنبا ثم وقف على القلب يقول :

ما ذا بيدى فالمقن قلى من سرابى ججاج

القصيدة إلى آخرها كما سيأتى ذكرها بتامها فى قصة بدر ان شاء الله . ثم رجع الى مكة والطائف وترك الاسلام . ثم ذكر قصة الطيرين وقصة وفاته كما تقدم وانشد شعره عند الوفاة :

كل عيش وان تطاول ذهرا صائر مرة الى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدالى فى قلال الجبال أرعى الوعولا
فاجعل الموت نصب عينيك واحذر غولة الدهر انت للدهر غولا
نائلاً ظفرها القساور والصدعان والطفل فى المنار الشكلا
وبنات النياق واليعفر النافروالعوهج البرام الضئلا

(١) فى شعراء النصرانية : ألا نبي لنا منا فيخبّرنا ما بعد غابتنا من رأس مجراننا

قوله: القصور جمع قسورة وهو الأسد. والصدعان ثيران الوحش واحدها صدع. والطفل الشكل من حمرة العين، والبغاث الرخم، والنياف الجبال، واليمفر الظبي، والموهج ولد النعامة. يعني أن الموت لا ينجو منه الوحوش في البراري ولا الرخم الساكنة في رؤس الجبال ولا يترك صغيرا لصغره ولا كبيرا لكبيره. وقد تكلم الخطابي وغيره على غريب هذه الأحاديث. وقد ذكر السهيلي في كتابه التعريف والاعلام: أن أمية بن أبي الصلت أول من قال باسمك اللهم، وذكر عند ذلك قصة غريبة وهو أنهم خرجوا في جماعة من قريش في سفر فيهم حرب بن أمية والد أبي سفيان قال فرأوا في مسيرهم بحية قتلوها فلما امسوا جاءتهم امرأة من الجان فعاتبتهم في قتل تلك الحية وهما قضيب فضربت به الأرض ضربة ففرت الأبل عن آخرها فذهبت وشردت كل مذهب وقاموا فلم يزالوا في طلبها حتى ردها فلما اجتمعوا جاءتهم أيضا فضربت الأرض بتضيقها ففرت الأبل فذهبوا في طلبها فلما أعيام ذلك قالوا والله هل عندك لما نحن فيه من مخرج فقال لا والله ولكن سأنظر في ذلك قال فساروا في تلك الليلة لطلبهم يجدون أحدا يسألونه عما قد حل بهم من العناء إذا نار تلوح على بعد فجاؤها فإذا شيخ على باب خيمة بوقد نارا وإذا هو من الجان في غاية الضلالة والدمامة فسلموا عليه فسألهم عما هم فيه فقال إذا جاءتك قمل بسمك اللهم فاتها تهرب فلما اجتمعوا وجاءتهم الثالثة والرابعة قال في وجهها أمية بسمك اللهم فشردت ولم يقر لها قرار لكن عدت الجن على حرب بن أمية فقتلوه بتلك الحية فقبروا أصحابه هناك حيث لا جار ولا دار ففي ذلك يقول الجان:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

وذكر بعضهم: انه كان يتفرس في بعض الاحيان في لغات الحيوانات فكان يمر في السفر على الطير فيقول لا صحابه: إن هذا يقول كذا وكذا فيقولون لا نعم صدق ما يقول حتى مروا على قطع غنم قد انقطعت منه شاة ومها ولدها فلنفتت اليه ففتت كأنها تستحته. فقال: اندرون ما تقول له قالوا لا قال انها تقول أسرع بنا لا يجيء الذئب فأكلك كما أكل الذئب أخاك عام أول فأسرعوا حتى سألوا الراعي هل أكل له الذئب عام أول حملا بتلك البقعة فقال نعم. قال: وما يومنا على بعير عليه امرأة راكبة وهو يرفع رأسه اليها ويرغو. فقال: انه يقول لها انك رحلتيني وفي الحداجة مخيط فانزلوا تلك المرأة وحلوا ذلك الرجل فاذا فيه مخيط كما قال

وذكر ابن السكيت: ان أمية بن أبي الصلت بينما هو يشرب يوما إذ نمب غراب. فقال: له بفيك التراب مرتين. فقيل له ما يقول؟ فقال: انه يقول إنك تشرب هذا الكأس الذي في يدك ثم تموت. ثم نمب الغراب فقال انه يقول وآية ذلك أني أنزل على هذه المذبة فأكل منها فيعاق عظم في حلق فأموت. ثم نزل الغراب على تلك المذبة فأكل شيئا فعلق في حلقه عظم فمات. فقال: أمية أما هذا فقد صدق في

نفسه ولكن سأنظر هل صدق في أم لا ثم شرب ذلك الكأس الذي في يده ثم اتكأ فمات . وقد ثبت في الصحيح من حديث ابن مهدي عن الثوري عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : إن أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم

فقال الامام أحمد : حدثنا روح حدثنا زكرياء بن إسحاق حدثنا إبراهيم بن ميسرة انه سمع عمرو بن الشريد يقول قال الشريد كنت ردفا لرسول الله (ص) . فقال لي : أممك من شعرا أمية بن أبي الصلت شيء ؟ قلت نعم ! قال فأنشدني فأنشدته بيتا فلم يزل يقول لي كلما أنشدته بيتا ايه حتى أنشدته مائة بيت قال ثم سكت النبي (ص) . وسكت وهكذا رواه مسلم من حديث سفیان بن عيينة عن أبي تميم بن ميسرة به . ومن غير وجه عن عمرو بن الشريد عن أبيه الشريد بن سويد الثقفي عن النبي (ص) . وفي بعض الروايات يقال رسول الله ان كاد يسلم . وقال بجبي بن محمد بن صاعد حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا أبو أسامة حدثنا حاتم بن أبي صفرة عن سماك بن حرب عن عمرو بن نافع عن الشريد الهمداني واخواله تقيف قال خرجنا مع رسول الله (ص) . في حجة الوداع فبينما أنا أمشي ذات يوم اذا وقع ناقة خلفي فاذا رسول الله (ص) . فقال الشريد فقلت نعم : قال الا أحملك قلت بلى وما من إعياء ولكني اردت البركة في ركوبتي مع رسول الله (ص) . فاناخ فحملني فقال : أممك من شعرا أمية بن أبي الصلت ؟ قلت نعم ! قال هات فأنشدته قال أظنه قال مائة بيت فقال عند الله علم أمية بن أبي الصلت ثم قل ابن صاعد هذا حديث غريب فلما الذي يروي أن رسول الله (ص) قال في أمية آمن شعره وكفر قلبه فلا أعرفه والله أعلم وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد - هو أبو بكر بن أبي شيبة - حدثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن اسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس : أن رسول الله (ص) صدق أمية في شيء من شعره قال :

زحل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخري وليث مرصد
والشمس تبدو كل آخر ليلة حمرأه يصبح لونها يتورد
نأبي فما نطلع لنا في رساها إلا معذبة وإلا تجلد

فقال رسول الله (ص) صدق . وفي رواية أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس انه قال : إن الشمس لا تطلع حتى ينخسها سبعون ألف ملك يقول لها اطلعي اطلعي فتقول لا أطلع على قوم يعبدونني من دون الله فاذا همت بالطلع أنماها شيطان يريد أن يثبطها فتطلع بين قرنيه ونحره فاذا تضيفت للغروب عزمته عز وجل فيأتيها شيطان يريد أن يثبطها عن السجود فتغرب من قرنيه ونحره . أورده ابن عساكر مطولا . ومن شعره في حلة العرش :

فمن حامل إحدى قوائم عرشه ولولا إله الخلق كلوا وأبدوا
قيام على الأقدام عاوناً تحنه فرائضهم من شدة الخوف ترعد
رواه ابن عساكر وروى عن الأصمعي انه كان ينشد من شعر أمية :

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيرا
بالبناء الأعلى الذي سبق الذ سامن وسوى فوق السماء سريرا
شرجعاً^(١) يناله بصر العيون ترى دونه الملائك صوراً

ثم يقول الأصمعي: الملائك جمع ملك والصور جمع أصور وهو المائل المنقور هؤلاء حملة العرش.
ومن شعر أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان النبي

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياة
وعلك بالحقوق وانت فرع لك الحسب المهذب والسناه
كريم لا يغيره صباح عن الخلق الجليل ولا مساء
يباري الريح مكرمةً وجوداً إذا ما الكاب أحجره الشتاء
وارضك أرض مكرمة بنتها بنوتيم وانت لها سماء
إذا أفنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الشتاء

وله فيه مدائح أخر. وقد كان عبد الله بن جدعان هذا من الكرماء الاجواد المدحيين المشهورين
وكان له جفنة يأكل الراكب منها وهو على بعيره من عرض حاقها وكثرة طعامها، وكان يملأها لباب
البر يلبك بالشهد والسمن، وكان يعتق الرقاب ويعين على النوايب وقد سألت عائشة النبي ص، أينفعه
ذلك؟ فقال انه لم يقل يوماً من الدهر (رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين) ومن شعر أمية البديع:

لا ينكثون الأرض عند سؤا لهم كتطلب العلات بالعيضان
بل يسفرون وجوههم فترى لها عند السؤال كأحسن الألوان
وإذا المقل أقام وسط رحا لهم ردوه رب صواهلهم وقيان
وإذا دعوتهم لكل ملته سدوا شعاع الشمس بالفرسان

آخر ترجمة أمية بن أبي الصلت.

بحير الذهب

الذي توهم في رسول الله ص النبوة وهو مع عمه أبي طالب حين قدم الشام في تجار من أهل
مكة وعمره إذ ذاك اثني عشرة سنة فرأى الغمامة تظله من بينهم، فصنع لهم طعاماً ضيافة واستدعاهم كما

(١) الشرجع: الطويل.

سيأتي بيان ذلك في السيرة وقد روى الترمذي في ذلك حديثاً بسطنا الكلام عليه هناك وقد أورد له الحافظ ابن عساكر شواهد وسائغات في ترجمة بحيرا ولم يورد ما رواه الترمذي وهذا عجب وذكر ابن عساكر ان بحيرا كان يسكن قرية يقال لها الكفر^(١) بينها وبين بصرى ستة أميال وهي التي يقال لها (دير بحيرا) قال ويقال: انه كان يسكن قرية يقال لها منفعة بالبقاء وراء زيرا والله أعلم.

ذكر قس بن ساعدة للديلمي

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتاب هواتف الجان: حدثنا داود القنطري حدثنا عبد الله بن صالح حدثني أبو عبد الله المشرق عن أبي الحارث الوراق عن ثور بن يزيد عن مودق العجلي عن عبادة بن الصامت . قال : لما قدم وفد اباد على النبي (ص) قال : يا معشر وفد اباد ما فعل قس بن ساعدة الايادي . قالوا : هلك يا رسول الله . قال : لقد شهدته يوماً بسوق عكاظ على جبل أحمري يتكلم بكلام معجب موقوف لا أجدرني أحفظه . فقام اليه اعرابي من أقاصي القوم فقال : أنا أحفظه يا رسول الله . قل : فسر النبي (ص) بذلك قال : فكان سوق عكاظ على جبل أحمري وهو يقول : يا معشر الناس اجتمعوا فكل من فات فات، وكل شيء آت آت، ليل داج ، وسما ذات أبراج ، وبحر عجاج ، نجوم تزهو ، وجبال مرسية ، وأنهار مجرية ، ان في السماء نظيرا ، وان في الارض لعبرا ، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرضوا بالاقامة فأقاموا ، أم تركوا فناموا . أقسم قس بالله قسماً لا ريب فيه . ان لله ديناً هو أرضى من دينكم هذا ثم أنشأ يقول :

في الذاهبين الأولي ن من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً للعوت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها بمضي الاصغر والأكبر
لا من مضى يأتي اليك ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محال له حيث صار القوم صائر

وهذا اسناد غريب من هذا الوجه وقد رواه الطبراني من وجه آخر فقال في كتابه المعجم الكبير: حدثنا محمد بن السري بن مهران بن النقاد البغدادي حدثنا محمد بن حسان السهمي حدثنا محمد بن الحجاج عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس. قال : قدم وفد عبد القيس على النبي (ص) فقال : أيكم

(١) كذا في الأصلين . وفي معجم البلدان : كفرية من قرى الشام . ولم نذكر على (المنفعة ، وزيرا) في معجم الأمكنة .

يعرف القس بن ساعدة الايادي. قولوا: كلنا يعرفه يا رسول الله. قال: فما فعل؟ قالوا هلك قال فما أنفاه
بمكاظ في الشهر الحرام وهو على جبل أحر وهو يخطب الناس وهو يقول: يا أيها الناس اجتمعوا
واستمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. إن في السماء ظهيراً، وإن في
الأرض لغيراً، مهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تمور، وبحار لا تنور. وأقسم قس قسماً حقاً
لئن كان في الأمر رضى ليكون بده منقط. إن لله لدينا هو أحب إليه من دينكم الذي أتم عليه. ما لي
أرى الناس يذهبون ولا يرجعون. أرضوا بالمقام فأقاموا. أم تركوا فناموا. ثم قال رسول الله (س):
أفيكم من يروى شعره؟ فأنشده بعضهم:

في الذاهين الأولي ن من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد الموت ليس لنا مصادر
ورأيت قومي نحوها يسى الأصغر والأكبر
لا يرجع الماضي إلى ولا من الباقي غابر
أيقنت أنى لا محال حيث صار القوم صائر

وهكذا أورده الحافظ البيهقي في كتابه دلائل النبوة من طريق محمد بن حسان السلمي به. وهكذا
رويناه في الجزء الذي جمعه الاستاذ أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه في أخبار قس قال حدثنا
عبد الكريم بن الهيثم الديرعاني عن قول أبي سعيد بن شبيب عن محمد بن الحجاج عن إبراهيم الواسطي تزيل
بغداد ويعرف بصاحب الفريسة. وقد كذبه يحيى بن معين وأبو حاتم الرازي والدارقطني وأتباعه غير
واحد منهم ابن عدني بوضع الحديث وقد رواه البزار وأبو نعيم من حديث محمد بن الحجاج هذا ورواه
ابن درستويه وأبو نعيم من طريق الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس وهذه الطريق أمثل من التي
قبلها وفيه إن أبا بكر هو الذي أورد القصة بكل ما نظمها ونثرها بين يدي رسول الله (س): ورواه
الحافظ أبو نعيم من حديث أحمد بن موسى بن اسحاق الخطمي. حدثنا علي بن الحسين بن محمد الخزمي
حدثنا أبو حاتم السجستاني حدثنا وهب بن جرير عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب
عن ابن عباس. قال قدم وفد بكر بن وائل على رسول الله (س). فقال لهم: ما فعل حليف لكم يقال
له قس بن ساعدة الايادي وذكر القصة مطولة. وأخبرنا الشيخ المسند الرحلة أحمد بن أبي طالب
الحجاري إجازة إن لم يكن سمعاً قال أجاز لنا جعفر بن علي الهمداني قال أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن
محمد بن أحمد بن إبراهيم السلفي سمعاً وقرأت علي شيخنا الحافظ أبي عبد الله الذهبي أخبرنا أبو علي
الحسن بن علي بن أبي بكر الخلال سمعاً قال أنا جعفر بن علي سمعاً قال أنا السلفي سمعاً أنا أبو عبد الله
محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي أنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن عيسى السعدي أنا أبو التمام عبيد الله

ابن احمد بن علي المقرئ حدثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي قال حدثنا اسماعيل بن ابراهيم بن احمد السعدي - قاضي فارس - حدثنا أبو داود سليمان بن سيف بن يحيى بن درهم الطائي من أهل حران حدثنا أبو عمرو سعيد بن يربع عن محمد بن اسحاق حدثني بعض أصحابنا من أهل العلم عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه قال : كان الجارود بن المعلی بن حنش بن معلی العبدي نصرانياً حسن المعرفة بتفسير الكتب وتأويلها عالماً بسير الفرس وأقاربها بصيراً بالفلسفة والطب ظاهر الدهاء والأدب كامل الجمال ذا ثروة ومال وانه قدم على النبي (ص) وافداً في رجال من عبدالقيس ذوى اراء واسنان وفصاحة وبيان وحجج وبرهان فلما قدم على النبي (ص) وقف بين يديه وأشار اليه وأثنأ يقول :

يا نبي الهدى أنتك رجالٌ قطعت فدفداً وآلا فآلا
 وطوت نحوك الصحاح نهوى لا تمم الكلال فيك كلالا
 كل بهما قصر الطرف عنها أرقلتها قلاصنا ارقالا
 وطوتها التناق يجمع فيها بكاة كأنجم تتللا
 تبغني دفع بأس يوم عظيم هائل أوجع القلوب وهالا
 ومزادا لمحشر الخلق طراً وفراقاً لمن تمادى ضلالا
 نحو نور من الاله وبرها نـ وبرونمة أن تنالا
 خصك الله يا ابن آمنة انه يربها اذا نت سجلا سجلا
 فاجل الحظ منك يا حجة الا جزيلاً لاحظ خلف أحالا

قال فادناه النبي (ص) وقرب مجلسه وقال له . يا جارود لقد تأخر الموعود بك وبقومك . فقال الجارود : فذاك أبي وأمي أما من تأخر عنك فقد فاته حظه وتلك أعظم حوبة واغلظ عقوبة وما كنت فيمن رآك أو سمع بك فمداك واتبع سواك واني الآن على دين قد علمت به قد جعلت لها أنا تاركه لدينك أفذلك مما يمحص الذنوب والمآثم والحوب؟ ويرضى الرب عن المربوب فقال له رسول الله (ص) : أنا ضامن لك ذلك واخلص الآن لله بالواحدنية ودع عنك دين النصرانية . فقال الجارود : فذاك أبي وأمي مديك فانا اشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد انك محمد عبده ورسوله . قال : فاسلم واسلم معه اناس من قومه فسر النبي (ص) باسلامهم ، واظهر من اكرامهم ماسروا به وابتهجوا به . ثم اقبل عليهم رسول الله (ص) فقال : أفیکم من يعرف قس بن ساعدة الايادي فقال الجارود فذاك أبي وأمي كلنا نعرفه واني من بينهم لعالم بخبره واقف على أمره كان قس يارسول الله سبطا من أصباط العرب عمر ستمائة سنة تقفر منها خمسة أعمار في البراري والقفار يضح بالتسبيح على مثال المسيح لا يقره قرار ولا تكنه دار ولا يستمتع به جار . كان يلبس الامساح ويفوق السباح ، ولا يقتر من رهبانته يتحسى في سياحته يرض النعام

ويأنس بالهوام ، ويستمتع بالظلام ، يبصر فيمتر ، ويفكر فيمتر ، فصار لذلك واحداً تضرب بحكته
الامثال ، وتكشف به الاهوال . أدرك رأس الحواريين سمان ، وهو أول رجل تاله من العرب ووحده ،
وأقر وتمبده ، وأيقن بالبعث والحساب ، وحذر سوء المآب ، وأمر بالعمل قبل الفوت ، ووعظ بالموت وسلم
بالقضا ، على السخط والرضا ، وزار القبور ، وذكر النشور ، وندب بالاشعار ، وفكر في الاقدار ، وأبأ
عن السماء والنماء ، وذكر النجوم وكشف الماء ، ووصف البحار ، وعرف الآثار ، وأخطب راجياً ، ووعظ
دائماً ، وحذر من الكرب ، ومن شدة الغضب ، ورسّل الرسائل ، وذكر كل هائل ، وأرغم في خطبه ،
وبين في كتبه ، وخوف الدهر ، وحذر الأزر ، وعظم الأمر ، وجنب الكفر ، وشوق الى الحنيفية ، ودعا
الى اللاهوتية . وهو القائل في يوم عكاظ : شرق وغرب ، ويتم وحرز ، وسلم وحرز ، ويابس ورطب ،
واجاج وعذب ، وشموس واقمار ، ورباح وأمطار ، وليل ونهار ، وأنث وذكور ، وبرار وبحور ،
وحب ونبات ، وآباء وأمهات ، وجمع واشتات ، وآيات في إثرها آيات ، ونور وظلام ، ويسر واعدام ،
ورب واصنام ، اتمدضل الانام ، نشوت مولود ، وواد مفقود ، وتربية محصود ، وفقير وغني ، ومحسن
ومسيء ، تبا لأرباب الغفلة ، ليصلحن العامل عمله ، وليفقدن الآمل امه ، كلاب هوإله واحد ، ليس
بمولود ولاوالد ، أعاد وابدى ، وأمات وأحيا ، وخلق الذكر والأُنثى ، رب الآخرة والاولى . أما بعد :
فيا مشر إباد ، ابن تمود وعاد ؟ وابن الآباء والأجداد ؟ وابن العليل والمواد ؟ كل له معاد يقسم قس
رب العباد ، وساطح المهاد ، لتحشرن على الانفراد ، في يوم التناد ، إذا نفخ في الصور ، وقر في
الناقور ، واشرقت الأرض ، ووعظ الواعظ ، فاتبذ القناط وابصر اللاخط ، فويل لمن صدف عن
الحق الاشهر ، والنور الازهر ، والمرض الاكبر ، في يوم الفصل ، وميزان العدل ، إذا حكم القدير ،
وشهد النذير ، وبعد النصير ، وظهر التقصير ، ففريق في الجنة وفريق في السـمير . وهو القائل :

ذكَرَ الْقَلْبُ مِنْ جَوَاهِ أَدْكَارُ
وَلَيْسَالِ خِلَافِنَ نَهَارُ
وَسَجَالُ هَوَاطِلٍ مِنْ غَمَامُ
ثُرْنُ مَاءٍ وَفِي جَوَاهِنَ نَارُ
ضَوْهَهَا يَطْمَسُ الْعَيُونَ وَأَرَعَا
دَشْدَادُ فِي الْخَلَاقِينَ تَطَارُ
وَقَصُورُ مَشِيدَةِ حَوْتِ الْخَدِ
يِرْ وَآخِرَى خَلَّتْ بَيْنَ قَفَارُ
وَجِبَالُ شَوَامِخِ رَاسِيَاتِ
وَبِحَارُ مِيَاهِنَ غَزَارُ
وَنَجْمُومُ تَلُوحُ فِي ظِلْمِ اللَّيْلِ
لِنَرَاهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَدَارُ
فَمِ شَمْسُ يَجْثَا قَرِ اللَّيْلِ
لِوَكُلِّ مُتَابِعِ مَوَارُ
وَصَفِيرُ وَأَشْمَطُ وَكَبِيرُ
كَلِمَةٍ فِي الصَّعِيدِ يَوْمَا مَرَارُ
وَكَبِيرُ مِمَّا يَقْصُرُ عَنْهُ
حَدْسُهُ الْخَاطِرُ الَّذِي لَا يَحَارُ

فلذی قد ذكرت دل علی الا ۴ فوسماً لها هدی و اعتبار

قال فقال رسول الله (ص): «هما تبيت فلت انساء بوق عكاظ، واقفاً على جبل احمر يخطب الناس: اجتمعوا فاسمعوا، واذا سمعتم ففوا، واذا وعيتم فانتفعوا، وقولوا واذا قلم فاصدقوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، مطر ونبات، واحياء وأموات، ليل داج، وسما ذات أبراج، ونجوم تزهو، وبهار تزخر، وضوء وظلام، وليل وأيام، وبر وآثام، إن في السماء خبراً، وإن في الأرض عبراً، يحار فيهن البصرا، مهاد، وضوع، وسقف مرفوح، ونجوم تغور، وبحار لا تغور، ومنايا دوان، ودهر خوان، كحد النسطاس، ووزن القسطاس. اقسم قس قسما، لا كاذباً فيه ولا آثماً، ان كان في هذا الأمر رضی، ليكونن من خط. ثم قال: أيها الناس ان الله دينا هو أحب اليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه وهذا زمانه واوانه. ثم قال مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، ارضوا بلقما فاقاموا؟ أم تركوا فناموا. والتفت رسول الله (ص): الى بعض أصحابه فقال: أيكم بروى شعره لنا؟ فقال أبو بكر الصديق: فذاك أبي وأمي أنا شاهد له في ذلك اليوم حيث يقول:

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضي الأصغر والأكبر
لا يرجع الماضي السوي ولا من الباقي غير
أيقنت أنني لا محالاً حيث صار القوم صائر

قال: فقام الى رسول الله (ص)، شيخ من عبد القيس عظيم الهامة، طويل القامة، بيد مابين المنكبين فقال: فذاك أبي وأمي وأنا رأيت من قس عجبا. فقال له رسول الله (ص): ما الذي رأيت يا أخا بني عبد القيس؟ فقال: خرجت في شبيبي أربع بعيراني ندعني أقفوا أثره في تناثف قفاف ذات ضغائيس وعرصات جنبات بين صدور جذعان، وغير حوذان، ومهمه ظلمان، ورصيع لبهقان، فبينما أنا في تلك العلوات أجول ببسبها وارنق فدفعها إذا أنا بهضبة في نثراتها أراك كباث مخضوضلة واغصانها متهدلة كأن بربرها حب الفلفل وبواسق اقحوان، وإذا بعين خرازة وروضة مدهامة، وشجرة عارمة، وإذا أنا بقس بن ساعدة في أصل تلك الشجرة ويده قضيب. فدنوت منا وقلت له: أنعم صباحاً فقال: وانت فنعم صباحك! وقد وردت العين سباع كثيرة فكان كلما ذهب سبع منها يشرب من العين قبل صاحبه ضربه قس بالفضيب الذي بيده. وقال: اصبر حتى يشرب الذي قبلك فدعرت من ذلك ذعراً شديداً، ونظر الى قال لا تخف. وإذا بقبرين بينهما مسجد فقلت ما هذان؟ القبران؟ قال قبرا أخوين كانا يعبدان الله عز وجل بهذا الموضع فانا مقيم بين قبريهما عبد الله حتى الحق بهما. فقلت له: أفلا تلحق بقومك فتكون معهم في خيرهم وتباينهم على

شرم فقال لي: ثكلتك أمك أو ما علمت أن ولد اسماعيل تركوا دين أبيهم واتبعوا الأضداد وعظموها
الانداد ثم أقبل على القبرين وأنشأ يقول:

خيلتُ هباً طالما قد رقدتُما أجدُ كما لا تقضيان كراً كما
أرى النومَ بين الجلدِ والمَظمِ منكما كأنَّ الذي بقي العقارَ سقاً كما
أمن طولِ نومٍ لا تُجيبان داعياً كأنَّ الذي بقي العقارَ سقاً كما
ألم قلما أني بنجرانَ مفرداً ومالي فيه من حبيبٍ سوا كما
مقيمٌ على قبري كما لستُ بارحاً إيابَ الليالي أو يجيبُ صداً كما
أأبكيكما طولَ الحياةِ وما الذي يردُّ على ذي لوعةٍ أن بكاءً كما
فلو جملتُ نفسَ لنفسي أمرى هندیً لجدتُ بنفسي أن تكونَ فداً كما
كأنكما والموتَ أقربَ غايَةً بروحي في قبري كما قد أناءاً كما

قال قال رسول الله (ص): رحم الله قساً أما إنه سيبعث يوم القيامة أمة واحدة . وهذا الحديث
غريب جداً من هذا الوجه وهو مرسل إلا أن يكون الحسن سمعه من الجارود والله أعلم .

وقد رواه البيهقي: والحافظ أبو القاسم ابن عساكر من وجه آخر من حديث محمد بن عيسى بن محمد
ابن سعيد القرشي الاخباري ثنا أبي ثنا علي بن سليمان بن علي عن علي بن عبد الله عن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما . قال: قدم الجارود بن عبد الله^(١) فذكر مثله أو نحوه مطولاً بزيادات كثيرة: في نظمه
ونثره ، وفيه ما ذكره عن الذي ضل بعيره فذهب في طلبه قال فبت في واد لا آمن فيه جتفي: ولا أركن
إلى غير صفي ، أرقب الكوكب ، وأرق الغيب ، حتى إذا الليل عسعس ، وكاد الصبح أن يتنفس ،
هتف بي هاتف يقول :

يا أيها الراقدُ في الليلِ الأجمِ قد بعثَ اللهُ نبياً في الحرمِ
من هاشمِ أهلِ الوفاءِ والكرمِ يجلو دجياتِ الدياجي والبهيمِ
قال فادرت طرفي فما رأيت له شخصاً ولا سمعت له فخصاً ، قال فأنشأت أقول :
يا أيها الهاتفُ في داجي الظلمِ أهلاً وسهلاً بك من طيفِ ألمِ
بين مداك اللهُ في لحنِ الكلامِ ماذا الذي تدعو إليه يُغتمِ

قال فإذا أنا بنحنحة وقائلاً يقول: ظهر النور، وبطل الزور، وبعث الله محمداً بالجبور، صاحب النجيب
الاحمر، والتاج والمنفر، والوجه الازهر، والحاجب الاقمر، والطرف الاحور، صاحب قول شهادة
أن لا اله الا الله وذلك محمد المبعوث إلى الاسود والايض أهل المدر والوير ثم أنشأ يقول:

(١) تقدم: انه الجارود بن المولى واختلف في اسم أبيه كما في أسد الغابة وليس في آياته عبد الله فاینظر

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبثاً
لم يُخلِّنا يوماً سُدى من بعد عيسى واكثر
أرسلنا فينا أحداً خيراً نبيّاً قد بُعث
صلى عليه الله ما حج له ركبٌ وحش

وفيه من إنشاء قس بن ساعدة :

يا ناعي الموت والملحود في جدثٍ عليهم من بقايا قولهم خرق
دعهم فإن لهم يوماً يصاح بهم فهم إذا انتبهوا من نومهم أرقوا
حتى يعودوا بحالٍ غير حالهم خالقاً جديداً كما من قبله خلَقوا
منهم عُرّة ومنهم في ثيابهم منها الجديد ومنها المنهج الخلق

ثم رواد البيهقي عن محمد بن عبد الله بن يوسف بن احمد الاسبهاني. حدثنا أبو بكر احمد بن سعيد
ابن فرضخ الاخيمي بمكة ثنا القاسم بن عبد الله بن مهدي ثنا أبو عبيد الله سعيد بن عبد الرحمن
الخرزومي ثنا سفيان بن عيينة عن أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . فذكر القصة وذكر
الانشاد قال فوجد واعند رأسه صحيفة فيها :

يا ناعي الموت والاموات في جدثٍ عليهم من بقايا نومهم خرق
دعهم فإن لهم يوماً يصاح بهم كما تنبهه من نوماته الصعق
منهم عرّة وموتى في ثيابهم منها الجديد ومنها الازرق الخلق

فقال رسول الله ص.: والذى بعثني بالحق لتد آمن قس بالبعث. واصله مشهور وهذه الطرق على
ضعفها كالتماضدة على اثبات أصل القصة وقد تكلم أبو محمد بن درستوية على غريب ما وقع في هذا
الحديث واكثره ظاهر إن شاء الله تعالى وما كان فيه غرابة شديدة نبهنا عليه في الحواشي^(۱)

وقال البيهقي: أنا أبو سعيد بن محمد بن احمد الشعبي ثنا أبو عمرو بن أبي طاهر الحمد آبادي لفظاً
ثنا أبو لبابة محمد بن المهدي الاموردي^(۲) ثنا أبي ثنا سعيد بن هبيرة ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن انس
ابن مالك قال قدم وفد اباد على النبي ص. فقال: ما فعل قس بن ساعدة اقلوا هلك. قال اما اني سمعت
منه كلاماً ارى اني احفظه فقال بعض القوم نحن نحفظه يا رسول الله قال هاتوا: فقال قائلهم اني واقف بسوق
عكظ فقال: يا أيها الناس استمعوا واسمعوا وعوا، كل من عاش مات، وكل من مات فات، وكل ما هو آت
آت، ليل داج، وسماء ذات ابراج، ونجوم تزهرة، وبحار تزخر، وجبال مرسية وانهار مجرية إن في السماء
نخيرا، وإن في الارض امبرا، ارى الناس يموتون ولا يرجعون ارضوا بالاقامة فاقموا، أم تركو فناموا، أقسم

(۱) لم تصل اليها هذه الحواشي التي نبه عليها المصنف في النسخ التي بأيدينا . (۲) كذا في الاصلين

قس قسما بالله لا آثم فيه ، إن الله ديناً هو أَرْضَى مما أنتم عليه ثم أنشأ يقول :
 في الذاهبين الاوا بين من القرون لنا بصائر
 لما رأيت مصارعاً للقوم ليس لها مصادر
 ورأيت قومي نحوها بمضى الاكابر والاصاغر
 أيقنت انى لا محالة حيث صار القوم صائر

ثم ساقه البيهقي من طرق أخر قد نبهنا عليها فيما تقدم ثم قال بعد ذلك كله وقد روى هذا الحديث عن الكاكي عن أبي صالح عن ابن عباس بزيادة ونقصان . وروى من وجه آخر عن الحسن البصرى منقطعاً وروى مختصراً من حديث سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة . قلت : وعبادة بن الصامت كما تقدم وعبد الله بن مسعود كما رواه أبو نعيم في كتاب الدلائل عن عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي عن أبي الوليد طريف بن عبيد الله مولى علي بن أبي طالب بالموصل عن يحيى بن عبد الحميد الحماني عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود فذكره . وروى أبو نعيم أيضاً حديث عبادة المتقدم وسعد بن أبي وقاص . ثم قال البيهقي وإذا روى الحديث من أوجه أخر وان كان بعضها ضعيفاً دل على أن للحديث أصلاً والله أعلم

زبير بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه

هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرظ بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى القرشي المدوي . وكان الخطاب والد عمر بن الخطاب عمه وأخاه لأمه . وذلك لأن عمرو ابن نفيل كان قد خلف على امرأة أبيه بعد أبيه وكان لها من نفيل أخوه الخطاب قاله الزبير بن بكار ومحمد ابن اسحاق . وكان زيد بن عمرو قد ترك عبادة الاوثان وفارق دينهم وكان لا يأكل الا ما ذبح على اسم الله وحده قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره الى الكعبة يقول يا معشر قريش والذي نفس زيد بيده ما اصبح احد منكم على دين ابراهيم غيري . ثم يقول : اللهم انى لو أعلم أحب الوجوه اليك عبدتك به ولكنى لا أعلم ثم يسجد على راحته وكذا رواه أبو اسامة عن هشام به وزاد وكان يصل الى الكعبة ويقول إلهى إله ابراهيم ، ودينى دين ابراهيم . وكان يجي المؤودة ويقول للرجل اذا اراد ان يقتل ابنته لا تقتلها ادفمها الى اكفها فاذا ترعرعت فان شئت فخذها وان شئت فادفمها . أخرجه النسائي من طريق أبي اسامة وعلقه البخارى فقال : وقل الليث كتب الى هشام بن عروة عن أبيه به وقال يونس ابن بكير عن محمد بن اسحاق : وقد كان نفر من قريش زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل بن أسد بن

عبدالمزى وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبدالمزى وعبدالله بن جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن
 برة بن كبير بن غنم بن دودان بن اسعد بن اسد بن خزيمه . وأمه أميمة بنت عبدالمطلب . واخته زينب
 بنت جحش التي تزوجها رسول الله (ص) . بعد مولاه زيد بن حارثة كما سيأتي بيانه . حضروا قريشاً عند
 وثن لهم كانوا يذبحون عنده لعيد من أعيادهم ، فلما اجتمعوا خلا بعض أولئك النفر الى بعض وقالوا تصادقوا
 وابتكم بعضهم على بعض . فقال قائلهم تعلمن والله ما قومكم على شيء لقد أخطوا دين ابراهيم وخالفوه ما وثن
 يعبد ؟ لا يضر ولا ينفع فابتغوا لانفسكم فخرجوا يطلبون ويسيرون في الارض يلتمسون أهل كتاب من
 اليهود والنصارى والممال كلها . الحنيفية دين ابراهيم ، فلما وردة بن نوفل فتنصر واستحکم في النصرانية
 وابتغى الكتب من أهلها حتى علم علماً كثيراً من أهل الكتاب ولم يكن فيهم أحد اسماً وأعدل ثباتاً من
 زيد بن عمرو بن نفيل اعتزل الأوثان وفارق الأديان من اليهود والنصارى والممال كلها إلا دين الحنيفية
 دين ابراهيم يوحد الله ويخلع من دونه ولا يأكل ذبائح قومه فاذا هم بالفراق لما هم فيه . قال : وكان الخطاب
 قد آذاه أذى كثيراً حتى خرج منه إلى أعلى مكة ووكّل به الخطاب شباباً من قريش وسفهاء من سفهائهم
 فقال لا تركوه بدخل فكان لا يدخلها إلا سرّاً منهم فاذا عدوا به اخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد
 عاينهم دينهم أو يتابعه أحد إلى ما هو عليه . وقال موسى بن عقبة سمعت من أرضي يحدث عن زيد بن
 عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء ماء وأنبت لها
 من الأرض لم تذبحوها على غير اسم الله . انكاراً لذلك واعتظاما له ؟ وقال يونس عن ابن اسحاق وقد
 كان زيد بن عمرو بن نفيل قد عزم على الخروج من مكة فضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين
 ابراهيم وكانت امرأته صفية بنت الحضرمي كلما أبصرته قد نهض للخروج وأراده آذنت الخطاب بن
 نفيل فخرج زيد إلى الشام يلتمس وطلب في أهل الكتاب الأول دين ابراهيم ويسأل عنه ولم يزل في
 ذلك فيما يزعمون حتى أتى الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل حتى أتى الشام فجال فيها حتى أتى راهباً بيعة
 من أرض البلقاء كان ينتهى اليه علم النصرانية فيما يزعمون فسأله عن الحنيفية دين ابراهيم فقال له الراهب
 إنك لتسأل عن دين ما أنت بواجب من يملك عليه اليوم ، لقد درس من علمه وذهب من كان يعرفه ،
 ولكنك قد أظلمت خروج نبي وهذا زمانه . وقد كان شام اليهودية والنصرانية فلم يرض شيئاً منها فخرج
 سرّياً حين قال له الراهب ما قال يريد مكة حتى إذا كان بارض نخم عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة يرثيه :

رشدت وأنمت ابن عمرو وإنما
 تجنبت تنوراً من النار حاميا
 بدينك رباً ليس ربك كئله
 وترك أوثن الطواغي كاهيا
 وقد تدرك الانسان رحمة ربه
 ولو كان تحت الأرض ستينا واديا^(١)

(١) كذا في الحلية ، وفي الازهرية (سنين)

وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة : حدثنا احمد بن طارق الوابشي ثنا عمرو بن عطية عن أبيه عن ابن عمر عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه كان يتأله في الجاهلية فانطلق حتى أتى رجلا من اليهود فقال له أحب أن تدخلني ملك في دينك . فقال له اليهودي لا أدخلك في ديني حتى تبوء بنصيبك من غضب الله . فقال من غضب الله أفر . فانطلق حتى أتى نصرانياً فقال له أحب أن تدخلني ملك في دينك ، فقال لست أدخلك في ديني حتى تبوء بنصيبك من الضلالة . فقال من الضلالة أفر . قال له النصراني فإني أدلك على دين ان تبعته اهتديت . قال أي دين ؟ قال دين ابراهيم قال فقال اللهم إني أشهدك أني على دين ابراهيم عليه أحيى وعليه أموت . قال فذكر شأنه للنبي (ص) . قال : هو أمة وحده يوم القيامة . وقد روى موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر نحو هذا وقال محمد بن سعد حدثنا علي بن محمد بن عبد الله بن سيف اقرشي عن اسماعيل عن مجاهد عن الشعبي عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال قال زيد بن عمرو بن نفيل : شامت اليهودية والنصرانية فكرهتهما فكنت بالشام وما والاها حتى أتيت راهبا في صومعة فذكرت له اغترابي عن قومي وكراهتي عبادة الأوثان واليهودية والنصرانية . فقال له : أراك تريد دين ابراهيم يا أخا أهل مكة لتطلب ديننا ما يوجد اليوم (احديدين) به وهو دين أبيك ابراهيم كان حنيفا لم يكن يهوديا ولا نصرانيا كان يصلي ويسجد إلى هذا البيت الذي يبلدك فالحق ببلدك فان الله يبعث من قومك في بلدك من يأتي بدين ابراهيم الحنيفية وهو اكرم الخلق على الله . وقال يونس عن ابن اسحاق حدثني بعض آل زيد بن عمرو بن نفيل : إن زيدا كان إذا دخل الكعبة قل لييك حقا حقا ، تعبداً ورقا ، عدت بما عاذ به ابراهيم وهو قائم ، إذ قال الهى اننى لك عان راغم ، هما نجشتمنى فإني جاشم ، البرأبني لا انحال ، ليس مهجر كمن قال . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا المسعودي عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل العدوي عن أبيه عن جده أن زيد بن عمرو وورقة بن نوفل خرجا يلتزمان الدين حتى اتھيا إلى راهب بالموصل ، فقال لزيد بن عمرو من أين أقبلت يا صاحب البعير ؟ فقال من بنية ابراهيم ، فقال وما تلتس قل ألتس الدين قل ارجع فانه يوشك أن يظهر في أرضك . قال

فأما ورقة فتنصر وأما أنا فمزمت على النصرانية فلم يوافقني فرجع وهو يقول :

لييك حقا حقا تعبداً ورقا البرأبني لا انحال فهل مهجر كمن قال (١)

آمنت بما آمن به ابراهيم وهو يقول : اننى لك عان راغم ، هما نجشتمنى فإني جاشم ، ثم يخر فيسجد قال وجاء ابنه يعني سعيد بن زيد أحد العشرة رضى الله عنه فقال : يا رسول الله إن أبي كما رأيت وكما بلغك فاستنفر له ، قال نعم فانه يبعث يوم القيامة أمة واحدة . قال وأتى زيد بن عمرو بن زيد على رسول الله (ص) ومعه زيد بن حارثة وهما يأكلان من سفره لهما ، فدعوا لهما فقال زيد بن عمرو : يا ابن

(١) في هامش الخلية : المهجر من الهجر وهي شدة الحر . وقال : من القبولة .

أخى أنا لا آكل مما ذبح على النصب. وقال محمد بن سعد حدثنا محمد بن عمرو حدثني أبو بكر بن أبي سبرة عن موسى بن ميسرة عن ابن أبي مليكة عن حجر بن أبي أهاب. قال: رأيت زيد بن عمرو وأنا عند صنم بوانة بعد ما رجعت من الشام وهو يراقب الشمس فإذا زالت استقبل للكعبة فصلى ركعة سجدة ثم يقول هذه قبلة إبراهيم وإسماعيل لا أعبد حجراً ولا أصلي له ولا آكل ما ذبح له ولا استقسم الأضلام وإنما أصلي لهذا البيت حتى أموت. وكان يحج فيقف بعرفة، وكان يلبي فيقول: لبيك لا شريك لك ولا ند لك ثم يدفع من عرفة ماشياً وهو يقول لبيك متعبداً مرقوقاً.

وقال الواقدي: حدثني علي بن عيسى الحكمي عن أبيه عن عامر بن ربيعة قال سمعت زيد بن عمرو ابن نفيل يقول: أنا أتظر نبياً من ولد إسماعيل ثم من بني عبد المطلب ولا أراني أدركه وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبي فإن طالت بك مدة فرأيت فآقرته مني السلام وسأخبرك ما منته حتى لا يخفى عليك قلت: هلم اقل: هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بكثير الشعر ولا بقليله وليست تفارق عينه حمرة وخاتم النبوة بين كتفيه واسمه أحمد وهذا البلد مولده ومبعثه ثم يخرج قومه منها ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمره، فإياك أن تخدع عنه فإني طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم فكان من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون هذا الدين وراءك وينعتونه مثل مانعته لك ويقولون لم يبق نبي غيره. قال عامر بن ربيعة: فلما أسلمت أخبرت رسول الله (ص) قول زيد بن عمرو وأقرانه منه السلام فرد عليه السلام وترحم عليه وقال قد رأيت في الجنة يسحب ذبولا

وقال البخاري في صحيحه: ذكر زيد بن عمرو بن نفيل. حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا فضيل بن سليمان حدثنا موسى بن عقبة حدثني سالم عن عبد الله بن عمر بن النبي (ص) لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل أن ينزل على النبي (ص) الوحي فقدمت إلى النبي (ص) سفرة فإني أن يأكل منها. ثم قال زيد إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه وإن زيد بن عمرو يعيب على قريش ذنابهم ويقول الشاة خلقها الله وانزل لها من السماء ماء وانبت لها من الأرض ثم يذبحونها على غير اسم الله انكاراً لذلك واعظاماً له.

قال موسى بن عقبة: وحدثني سالم بن عبد الله ولا أعلمه إلا يحدث به عن ابن عمر أن زيد بن عمرو ابن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فأتى عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال إني لعل أن أدب دينكم فأخبرني، فقال إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله قال زيد وما أفر إلا من غضب الله تعالى ولا أحمل من غضب الله شيئاً ولا استطيعه فهل تداني على غيره؟ قال ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً قال زيد وما الحنيف؟ قال دين إبراهيم عليه السلام لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله فخرج زيد فلقى عالماً من النصارى فذكر مثله فقال لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من

على غيره قال ما أعلمه الا أن تكون حنيفاً قال وما الحنيف ؟ قال دين ابراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله فلما رأى زيد قولهم في ابراهيم خرج فلما برز رفع يديه فقال اللهم إني أشهدك اني على دين ابراهيم . قال وقال الليث : كتب الى هشام بن عروة عن أبيه عن اسماء بنت أبي بكر قالت رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره الى الكعبة يقول يامعشر قريش والله ما منكم على دين ابراهيم غيري وكان يجبي المؤودة يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنه لا تقتلها أنا أ كفيك مؤنتها فبأخذها فإذا ترعرت قال لا بها إن شئت دفعها اليك وان شئت كفيك مؤنتها انتهى ما ذكره البخاري

وهذا الحديث الاخير قد أسنده الحافظ ابن عساكر من طريق أبي بكر بن أبي داود عن عيسى ابن حماد عن الليث عن هشام عن أبيه عن اسماء فذكر نحوه . وقال عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام ابن عروة عن أبيه عن اسماء قالت سمعت زيد بن عمرو بن نفيل وهو مسند ظهره الى الكعبة يقول : يامعشر قريش إياكم والزنا فانه يورث الفقر . وقد ساق ابن عساكرها هنا أحاديث غريبة جداً وفي بعضها نكارة شديدة . ثم أورد من طرق متعددة عن رسول الله (ص) انه قال : يبعث يوم القيامة أمة واحدة . فمن ذلك ما رواه محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار حدثنا يحيى بن سعيد الأموي عن مجاهد عن الشعبي عن جابر قال سئل رسول الله (ص) عن زيد بن عمرو بن نفيل انه كان يستقبل القبلة في الجاهلية ويقول الهى ابراهيم ودينى دين ابراهيم ويسجد . فقال رسول الله (ص) يحشر ذاك أمة وحده بينى وبين عيسى بن مريم . اسناده جيد حسن . وقال الواقدي : حدثني موسى بن شيبة عن خارجة ابن عبد الله بن كعب بن مالك قال سمعت سعيد بن المسيب يذكر زيد بن عمرو بن نفيل فقال توفي وقريش تبنى الكعبة قبل أن ينزل الوحي على رسول الله (ص) بخمس سنين ، ولقد نزل به وانه ليقول انا على دين ابراهيم فاسلم ابنه سعيد بن زيد واتبع رسول الله (ص) ، وأتى عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد رسول الله (ص) ، فسألاه عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال : غفر الله له ورحمه فانه مات على دين ابراهيم قال فكان المسلمون بعد ذلك اليوم لا يذكره ذا كرمهم الا ترحم عليه واستغفر له ، ثم يقول سعيد بن المسيب رحمه الله وغفر له . وقال محمد بن سعد عن الواقدي حدثني زكريا بن يحيى السعدي عن أبيه قال مات زيد بن عمرو بن نفيل بمكة ودفن باصل حراء ، وقد تقدم انه مات بارض البلقاء من الشام لما عدا عليه قوم من بني نهم فقتلوه بمكان يقال له ميفعة والله أعلم .

وقال الباغندي عن أبي سعيد الأشج عن أبي معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) : دخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل دوختين . وهذا اسناد جيد وليس هو في شيء من الكتب . ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله ما قدمناه في بدء الخلق من تلك القصيدة الى الله أهدي مدحتي وثنائيا وقولاً رضياً لايني الدهر باقيا

الى الملك الأعلى الذي ليس فوقه إله ولا رب يكون مدانيا
وقد قيل إنها لامية بن أبي الصلت والله أعلم . ومن شعره في التوحيد ما حكاه محمد بن اسحاق
والزبير بن بكار وغيرهما :

وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرًا تقالا
دحاها فلما استوت شدتها سواء وأرسي عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذابًا زلالا (١)
إذا هي سبقت الى بلدة أطاعت فصبت عليها سبجالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الريح تُصرف حالًا فخالا
وقال محمد بن اسحاق حدثني هشام بن عروة قال روى أبي أن زيد بن عمرو قال :

أربُّ واحدٌ أم ألف ربِّ عزلت اللات والعزى جميعاً
أدين إذا تقسمت الامور فلا العزى أدين ولا ابنتها
كذلك يفعل الجلد الصبور ولا غنماً أدين وكان رباً
ولا صنعني بني عمرو أزود عجت وفي الليالي معجبات
لنا في الدهر إذ حلبي يسير بأن الله قد أفنى رجالا
وفي الأيام يعرفها البصير وابقى آخرين ببر قوم
كثيراً كان شأنهم الفجور وبيننا المرء يعثر ثاب يوماً
فيربل (٢) منهم الطفل الصغير ولكن أعبد الرحمن ربي
كما يتروح الغصن التضير فتقوى الله ربكم احفظوها
ليغفر ذنبي الرب الغفور ترى الأبرار دارهم جنات
متى ما تحفظوها لا تبوروا وخزي في الحياة وإن يموتوا
والكفار حامية سير

هذا تمام ما ذكره محمد بن اسحاق من هذه القصيدة . وقد رواه أبو القاسم البغوي عن مصعب بن
عبدالله عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال هشام بن عروة عن أبيه عن اسماء
بنت أبي بكر قالت قال زيد بن عمرو بن نبل :

عزلك الجرب والجيسان عني كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتها ولا صنعني بني طهم أدير
(١) هذا البيت عن المصرية (٣) كذا فيربل بمعنى ينور . وهي رواية ابن هشام .

ولا غنا أدبٌ وكان رباً
أرباً واحداً أم ألف رب
لم تعلم بأن الله أفسى
وابقى آخرين ير قوم
ويتنا المرء يمشر قلب يوماً
لنا في الدهر إذ حلبي صغير
أدين إذا تقسمت الأمور
رجالا كان شأنهم الفجور
فيروبو منهم الطفل الصغير
كما يتروح الغصن النضير

قالت قال ورقة بن نوفل :

رشدت وأنعمت ابن عمرو وانما
لدينيك رباً ليس ربا كئله
أقول إذا أهبطت أرضاً مخوفةً
حنانك ان الجن كانت رجاءهم
لتدركن المرء رحمة ربه
أدين لرب يستجيب ولا أرى
أقول إذا صليت في كل يمة
تجبت تنوراً من النار حاميا
وتركك جنان الجبال كما هيا
حنانك لا تظهر علي الأعدايا
وانت إلهي ربنا ورجائيا
وان كان تحت الأرض سبعين واديا
أدين لمن لا يسمع الدهر واعييا
تباركت قدا كثرت باسمك داعيا

تقدم أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام هو وورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث وعبيد الله ابن جحش فتنصروا إلا زيداً فإنه لم يدخل في شيء من الأديان بل بقي على فطرته من عبادة الله وحده لا شريك له متبعاً ما أمكنه من دين إبراهيم على ما ذكرناه . وأما ورقة بن نوفل فسيأتي خبره في أول المبعث . وأما عثمان بن الحويرث فقام بالشام حتى مات فيها عند قيصر . وله خبر عجيب ذكره الأموي ومختصره أنه لما قدم على قيصر فشكى إليه ما لقي من قومه كتب له إلى ابن جفنة ملك عرب الشام ليجهز معه جيشاً لحرب قريش فعزم على ذلك فسكرت إليه الأعراب تنهاه عن ذلك لما رأوا من عظمة مكة وكيف فعل الله بأصحاب الفيل ، فكساه ابن جفنة قيصاً مصبوغاً مسموماً فمات من سمه فراه زيد بن عمرو بن نفيل بشر ذكره الأموي تركناه اختصاراً وكانت وفاته قبل المبعث بثلاث سنين أو نحوها والله سبحانه وتعالى أعلم .

شيء من الحوادث في زمن الفجرة

فمن ذلك ببيان للكعبة

وقد قيل : إن أول من بناه آدم وجاء في ذلك حديث مرفوع عن عبد الله بن عمرو وفي سند بن لميعة وهو ضعيف ، وأقوى الأقوال أن أول من بناه الخليل عليه السلام . كما تقدم وكذلك رواه

ساک بن حزب عن خالد بن عرورة عن علی بن ابی طالب قال : ثم تهدم فبنته العالقة ثم تهدم فبنته جرم
ثم تهدم فبنته قریش . قلت : سیاتی بناء قریش له وذلك قبل المبعث بخمس سنین وقيل بخمس عشرة
سنة وقال الزهري كان رسول الله (ص) قد بلغ الحلم . وسیاتی ذلك کاه فی موضعه إن شاء الله وبه الثقة

کعب بن لؤی

روی أبو نعیم من طریق محمد بن الحسن بن زبالة عن محمد بن طلحة التیمی عن محمد بن ابراهیم بن
الحارث عن أنس سلة . قال : کان کعب بن لؤی یجمع قومه يوم الجمعة وكانت قریش تسمیه العروبة فیخطبهم
فیقول : أما بعد فاسمعوا وتعلموا ، وافهموا واعلموا ، لیل صاج ، ونهار ضاح ، والأرض مهاد ، والسماء
بناء ، والجبال أوتاد ، والنجوم اعلام ، والأولون کالأخیرین ، والأثنی والذکر [والروح وما یهبج
الی بلی] فصلوا أرحامکم ، واحفظوا أصهارکم ، وثمروا أموالکم . فهل رأیت من هالك رجع ؟ أو میت
نشر ؟ الدار أمامکم ، والظن غیر ما تقولون ، حرمکم زینوه وعظموه ، وتمسکوا به فسیاتی له نبأ عظیم ؛
وسیخرج منه نبی کریم ، ثم یقول :

نهارٌ ولیلٌ کلُّ يومٍ بمحادثٍ سواءٌ علينا لیلها ونهارها
یؤوبان بالأحداث حتی تأوَّبا وبالنعَمِ الضافی علينا ستورها
على غفلةٍ یأتی النبیُّ محمد فیخبر أخباراً صدوقٌ خیرها

ثم یقول : والله لو کنت فیها ذا سمع وبصر ، وید ورجل ، لتنصبت فیها تنصب الجبل ، ولأرقت بها
إرقال العجل . ثم یقول :

بالبیِّنِ شاهداً نجواءٌ دعونه حین العشیرة تبغی الحقَّ خذلانا

قال وكان بین موت کعب بن لؤی ومبعث رسول الله (ص) خمسمائة عام وستون سنة .

تجذیر حضرت زمر

على بدی عبدالمطلب بن هاشم التي كان قد درس رسمها بعد طم جرم لها الى زمانه
قال محمد بن اسحاق : ثم إن عبد المطلب بینما هو نائم فی الحجر وكان أول ما ابتدئ به عبد المطلب
من حفرها كما حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري عن مرثد بن عبد الله المزني عن عبد الله بن رزين
الفاقي أنه سمع علي بن أبي طالب يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها . قال قال عبد المطلب
إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال لي احفر طيبة . قل قلت وما طيبة ؟ قال ثم ذهب عني قال فلما كان
الغد رجعت إلى مضجعي فذهت فجاءني فقال احفر برة . قال قلت وما برة ؟ قال ثم ذهب عني فلما كان الغد

رجعت إلى مضجعي فتمت فجاءني فقال احفر المذنونة قال قلت وما المذنونة ؟ قال ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فتمت فيه فجاءني قال احفر زمزم . قال قلت وما زمزم ؟ قال : لا تنزف أبداً ولا تزم ، تسقى الحجيج الأعمى ، وهي بين الفرث والدم ، عند نقرة الغراب الأعصم ، عند قرية النمل . قال : فلما بين لي شأنها ودل على موضعها وعرف أنه قد صدق غدا بمعوله ومعه ابنة الحارث بن عبدالمطلب وليس له يومئذ ولد غير فخفر فلما بدا لعبدالمطلب الطمي كبر فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته . فقاموا إليه فقالوا : يا عبدالمطلب انما بئر ابينا اسماعيل وإن لنا فيها حقاً فأشر كنا معك فيها . قل : ما أنا بفاعل إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فأنصفنا فانا غير تاركك حتى نخاصمك فيها . قال : فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكم اليه قالوا كاهنة بنى سعد بن هذيم قال : نعم وكانت باشراف الشام فركب عبدالمطلب ومعه نفر من بنى أمية وركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا والأرض إذ ذاك مفاوز حتى إذا كانوا ببعضها نفذ ماء عبدالمطلب وأصحابه فطشوا حتى استيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم فأبوا عليهم وقالوا إنا بمغارة وإنا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فقال عبدالمطلب إني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما لكم الآن من القوة فكلمات رجل دفعه أصحابه في حفرة ثم واروه حتى يكون آخرهم رجلاً واحداً فضيعة رجل واحد أسير من ضيعة ركب جميعه . فقالوا : نعم أمرت به فخفر كل رجل لنفسه حفرة ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشى ثم إن عبدالمطلب قال لأصحابه أقمينا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض لا نبتغي لأنفسنا لعجز نفسي أن برزقنا ماء ببعض البلاد فارتحلوا حتى إذا بمث عبدالمطلب راحلته انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبدالمطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستسقوا حتى ملؤا أسقيتهم ثم دعا قبائل قريش وهم ينتظرون اليهم في جميع هذه الأحوال فقال هدوا إلى الماء فقد سقانا الله فجاؤا فشربوا واستقوا كلهم ثم قالوا قد والله قضى لك علينا والله ما نخاصمك في زمزم أبداً إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم فارجع إلى شقايك راشداً فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلصوا بينه وبين زمزم

قال ابن اسحاق فهذا ما بلغني عن علي بن أبي طالب في زمزم قال ابن اسحاق وقد سمعت من يحدث عن عبدالمطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم :

ثم ادع بالماء الروى غير الكبر يسقى حجيج الله في كل مبر

ليس يخاف منه شيء ما عمر

قال فخرج عبدالمطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال تعلموا أني قد أمرت أن أحفر زمزم قالوا فهل بينك ابن هي ؟ قال : لا قالوا فارجع إلى مضجعتك الذي رأيت فيه ما رأيت فان يك حقاً من الله

يبين لك وإن يك من الشيطان فلن يعود اليك فرجع ونام فأتى قبيل له :

احفر زمزم . إنك إن حفرتها لن تندم . وهي تراث من أيك الأ عظم . لا تغزف أبداً ولا تنزم .
تسقى الحجاج الأ عظم . مثل نعام جافل لم يقسم . بنذر فيها نادر بمنعم . تكون ميراثاً وعقداً محكم . ليست
لبعض ما قد تعلم . وهي بين الغرث والدم .

قال ابن اسحاق : فزعموا أن عبد المطلب حين قيل له ذلك قال وأين هي ؟ قيل له عند قرية النمل
حيث ينقر الغراب غداً . فأنه أعلم أي ذلك كان . قال فغداً عبد لمطلب ومعه ابنة الحارث وليس له يومئذ
ولد غيره . زاد الاموي ومولاه أصرم فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنيين أساف
ونائلة اللذين كانت قريش تنحدر عندهما فجاء بالمول وقام ليحفر حيث أمر فقامت اليه قريش وقالت والله
لا نتركك تحفر بين وثنيينا اللذين ننحدر عندهما فقال عبد المطلب لابنه الحارث : زدني حتى تحفر فوالله
لا مضين لما أمرت به فلما عرفوا أنه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفروا عنه فلم يحفر إلا يسيراً حتى
بدا له الطوى فكبر وعرف أنه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالتين من ذهب اللتين كانت
جرم قد دفنتهم . ووجد فيها أسيفا قلبية وأدرعا . فقالت له قريش : يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك
وحق قال لا ولكن هلم إلى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف نصنع قال اجعل
للسمية قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا
شيء له . قالوا : أنصفت فجعل للسمية قدحين أصفرين وله أسودين ولهم أبيضين ثم أعطوا القداح للذي
يضرب عند هبل وهبل أكبر أصنامهم ولهذا قال أبو سفيان يوم أحد : أعل هبل . يني هذا الصنم .
وقام عبد المطلب يدعو الله . وذكر يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق أن عبد المطلب جعل يقول :

اللهم أنت الملك المحمود ربي أنت المبدئ المعيد
وممك الراسية الجمود من عندك الطارف والتلبد
إن شئت أهدمت كما تريد لموضع الحلية والحديد
فبين اليوم لما تريد إني نذرت العاهد المهودا
أجمله رب لي فلا أعو

قال وضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزاليين للكمبة ، وخرج الأسودان على الأسياف
والأدراع لعبد المطلب ، وتخلف قدحاً قريش . فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للكمبة ، وضرب في
الباب الغزاليين من ذهب فكان أول ذهب حلية للكمبة فيما يزعمون . ثم ان عبد المطلب أقام سقاية زمزم
للحاج وذكر ابن اسحاق وغيره أن مكة كان فيها أبار كثيرة قبل ظهور زمزم في زمن عبد المطلب ثم
عددها ابن اسحاق وسماها وذكر أنها من مكة وحافريها إلى أن قال ففتت زمزم على البطار كلها

وانصرف الناس كلهم اليها لمكانها من المسجد الحرام وفضلها على ما سواها من المياه ولانها بئر اسماعيل
ابن ابراهيم واقتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب وقد ثبت في صحيح مسلم في
حديث اسلام أبي ذر ان رسول الله (ص) قال في زمزم : انها لطعام طعم . وشفاء سقم . وقال الامام أحمد
حدثنا عبد الله بن الوليد عن عبد الله بن المؤمل عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله
(ص) : ماء زمزم لما شرب منه . وقد رواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن المؤمل وقد تكلموا فيه
ولفظه ماء زمزم لما شرب له . ورواه سويد بن سعيد عن عبد الله بن المبارك عن عبد الرحمن بن أبي الموالي
عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي (ص) قال : ماء زمزم لما شرب له . ولكن سويد بن سعيد
ضعيف والمحفوظ عن ابن المبارك عن عبد الله بن المؤمل كما تقدم وقد رواه الحاكم عن ابن عباس
مرفوعا ماء زمزم لما شرب له وفيه نظر والله أعلم . وهكذا روى ابن ماجه أيضا والحاكم عن ابن عباس
انه قال لرجل اذا شربت من زمزم فاستقبل الكعبة واذكرا اسم الله وتنفس ثلاثا وتضع منها فاذا فرغت
فاحمد الله فان رسول الله (ص) قال : إن آية ما بيننا وبين المنافقين لا يتضلعون من ماء زمزم . وقد ذكر
عن عبد المطلب انه قال : اللهم اني لا احلها لمقتل وهي لشارب حل وبل . وقد ذكره بعض الفقهاء
عن العباس بن عبد المطلب ، والصحيح انه عن عبد المطلب نفسه فانه هو الذي جدد حفر زمزم كما قدمنا
والله أعلم . وقد قال الاموي في مغازيه : حدثنا أبو عبيد أخبرني يحيى بن سعيد عن عبد الرحمن بن
حرمة سمعت سعيد بن المسيب يحدث أن عبد المطلب بن هاشم حين احتفر زمزم . قال : لا احلها لمقتل
وهي لشارب حل وبل . وذلك انه جعل لها حوضين حوضاً للشرب ، وحوضاً للوضوء . فعند ذلك قال :
لا احلها لمقتل لينزه المسجد عن ان يقتل فيه . قال أبو عبيد قال الاصمعي : قوله وبل اتباع قال أبو عبيد
والاتباع لا يكون بواو العطف وانما هو كما قال معتمر بن سليمان ان بل بلفظة حمير مباح ثم قال أبو عبيد
حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود انه سمع رداً انه سمع العباس يقول : لا احلها لمقتل وهي
لشارب حل وبل . وحدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن عبد الرحمن بن علقمة انه سمع ابن
عباس يقول ذلك وهذا صحيح اليهما ، وكأنهما بهولان ذلك في أيامهما على سبيل التبديع والاعلام بما
اشترطه عبد المطاب عند حفره لها فلا ينافي ما تقدم والله أعلم . وقد كانت السقاية الى عبد المطاب أيام
حياته ثم صارت الى ابنة أبي طالب مدة ثم انفق انه املق في بعض السنين فاستدان من أخيه العباس
عشرة آلاف الى الموسم الآخر وصرفها أبو طالب في الحجيج في عامه فيما يتعلق بالسقاية فلما كان العام
المقبل لم يكن مع أبي طالب شيء فقال لأخيه العباس اسلفني أربعة عشر ألفا أيضا الى العام المقبل أعطيك
جميع مالك فقال له العباس : بشرط ان لم تعطني تترك السقاية لي ا كفاكها فقال : نعم فلما جاء العام الآخر
لم يكن مع أبي طالب ما يعطى العباس فترك له السقاية فصارت اليه ثم من بعده صارت الى عبد الله ولده

ثم الى علي بن عبد الله بن عباس ثم الى داود بن علي ثم الى سليمان بن علي ثم الى عيسى بن علي ثم أخذها المنصور واستتاب عليها مولاه أبارزين ذكره الاموي .

نذر عبد المطلب وجم ولده

قال ابن اسحاق : وكان عبد المطلب فيما يزعمون نذر حين اتى من قريش مالتى عند حفر زمزم لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعه ليدبحن أحدهم لله عند الكعبة . فلما تكامل بنوه عشرة وعرف انهم سيمنعونه وهم . الحارث . والزبير . وحجل . وضرار . والمقوم . وأبولهب . والعباس . وحمزة . وأبوطالب . وعبد الله . جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفا . لله عز وجل بذلك فاطأوه وقلوا كيف نصنع ؟ قال ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه ثم اتونى ففعلوا ثم أتوه ، فدخل بهم على هبل فى جوف الكعبة وكانت تلك البئر هى التى يجمع فيها ما يهدى للكعبة . وكان عند هبل قدح سبعة وهى الازلام التى يتحاكون اليها إذا أعضل عليهم أمر من عقل أو نسب أو امر من الأمور جاؤه فاستقسموا بها فما أمرتهم به أو نهتهم عنه امتثلوه . والمقصود ان عبد المطلب لما جاء يستقسم بالقدح عند هبل خرج القدح على ابنه عبد الله وكان اصفر ولده واحبهم اليه ، فاخذ عبد المطلب بيد ابنه عبد الله واخذ الشفرة ثم اقبل به الى اساف ونائلة ليدبجه فقامت اليه قريش من اندبته فقالوا : ما تريد يا عبد المطلب ؟ قال اذبحه فقالت له قريش وبنوه أخوة عبد الله والله لا تذبحه أبداً حتى تعذر فيه لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يجيى . بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا . وذكر يونس بن بكير عن ابن اسحاق ان العباس هو الذى اجتذب عبد الله من تحت رجل ابيه حين وضعها عليه ليدبجه فيقال انه شج وجهه شجاً لم يزل فى وجهه الى أن مات ثم اشارت قريش على عبد المطلب أن يذهب الى الحجاز فان بها عرافة لها تابع فيسألها عن ذلك ثم أنت على رأس امرك ان امرتك يذبحه فاذبحه وان امرتك بأمر لك وله فيه مخرج قبلته فانطلقوا حتى أتوا المدينة فوجدوا العرافة وهى سجاج فيما ذكره يونس بن بكير عن ابن اسحاق بخير فركبوا حتى جاؤا فسألوها وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه فقالت لهم ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعي فأسأله فرجعوا من عندها فلما خرجوا قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءنى الخبر ، كم الدبة فيكم ؟ قالوا عشر من الابل وكانت كذلك قالت فارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرا من الابل ثم اضربوا عليها وعليه بالقدح فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم وان خرجت على الابل فانحروها عنه فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم فخرجوا حتى قدموا مكة فلما اجتمعوا على ذلك الامر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشراً من الابل ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشراً ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشراً فلم

يزالوا يزيدون عشراً عشراً ويخرج القدرح على عبد الله حتى بلغت الابل مائة . ثم ضربوا فخرج القدرح على الابل فقالت عند ذلك قريش لعبد المطلب وهو قائم عند هبل يدعو الله قد انتهى رضى ربك يا عبد المطلب . فمندها زعموا انه قال لا حتى اضرب عليها بالقدرح ثلاث مرات فضربوا ثلاثا وبتع القدرح فيها على الابل فنحرت ثم تركت لا يصد عنها انسان ولا يمنع . قال ابن هشام ويقال ولا سبع وقد روى انه لما بلغت الابل مائة خرج على عبد الله أيضا فزادوا مائة أخرى حتى بلغت مائتين فخرج القدرح على عبد الله فزادوا مائة أخرى فصارت الابل ثلاثمائة . ثم ضربوا فخرج القدرح على الابل فنحرها عند ذلك عبد المطلب والصحيح الاول والله أعلم . وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن وهب عن يونس بن يزيد عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب أن ابن عباس سألته امرأة أنها نذرت ذبح ولدها عند الكعبة فامرها بذبح مائة من الابل وذكر لها هذه القصة عن عبد المطلب . وسألت عبد الله بن عمر فلم يقمها بشيء بل توقف . فبلغ ذلك مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة فقال انهما لم يصيبا الفتيا ثم امر المرأة أن تعمل ما استطاعت من خير ونهاها عن ذبح ولدها ولم يأمرها بذبح الابل ، واخذ الناس بقول مروان بذلك والله أعلم .

زوجه عبد المطلب ربة جبريل بن أمية بنت هب الزهرية

قال ابن اسحاق : ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد ابنة عبد الله فر به - فيما يزعمون - على امرأة من بني أسد بن عبد العزى بن قصي وهي أم قتال أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهي عند الكعبة فنظرت إلى وجهه فقالت أين تذهب يا عبد الله ؟ قال مع أبي قالت لك مثل الأبل التي نحرت عنك وقع على الآن . قال أنا مع أبي ولا أستطيع خلفه ولا فراقه فخرج به عبد المطلب حتى أتى وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وهو يومئذ سيد بني زهرة سناً وشرقاً فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهي يومئذ سيدة نساء قومها فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه فوقع عليها فحمت منه برسول الله (ص) ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها مالك لا تعرضين على اليوم ما كنت عرضت بالأمس ؟ قالت له فارقك النور الذي كان معك بالأمس فليس لي بك حاجة . وكانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل - وكان قد تنصر واتبع الكتب - أنه كائن في هذه الأمة نبي فطمعت أن يكون منها فجعله الله تعالى في أشرف عنصر وأكرم محد وأطيب أصل كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) وسنذكر المولد مفصلاً وبما قالت أم قتال بنت نوفل من الشعر تتأصف على ما فاتها من الأمر الذي رامته وذلك فيما رواه

البيهقي من طريق يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق رحمه الله :
 عليك بال زهرة حيث كانوا وآمنة التي حملت غلاما
 ترى المهدي حين نزا عليها ونورا قد تقدمه اماما
 [إلى أن قالت] :

فكل الخلق يرجوه جميعاً يسود الناس مهتدياً اماما
 براه الله من نور صفاه فأذهب نوره عنا الظلاما
 وذلك صنع ربك إذ جاء إذا ماسار يوماً أو أقاما
 فيهدي أهل مكة بعد كفرٍ ويفرض بعد ذلكم الصياما

وقال أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي : حدثنا علي بن حرب حدثنا محمد بن عمارة القرشي
 حدثنا مسلم بن خالد الزنجي حدثنا ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : لما انطلق
 عبد المطاب بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من أهل تبالة منهودة قد قرأت الكتب ، يقال
 لها فاطمة بنت مر الخنسية فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت يا فتى هل لك أن تقع على الآن
 وأعطيك مائة من الابل ؟ فقال عبد الله :

أما الحرام فإلماث دونه والحل لا جيل فاستبينه
 فكيف بالأمر الذي تبغينه يحمي الكرم عرضه ودينه (١)

ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فأقام عندها ثلاثاً . ثم إن فضه
 دعته إلى ما دعتة إليه الكاهنة فأماها فقالت : ما صنعت بعدى ؟ فأخبرها . فقالت والله ما أنا بصاحبة
 ريبة ولكن رأيت في وجهك نورا فأردت أن يكون في . وأبي الله إلا أن يجعله حيث أراد . ثم أنشأت
 فاطمة تقول :

إني رأيت مخيلةً لمت فتلاأت بحنانم (٢) القطر
 فلما نمت نورا يضي له ما حوله كإضاءة البدر
 ورجوتها فخراً أبواً به ما كل قاذح زنده يوري
 فله ما زهرية سلبت ثوبيك ما استلبت وما تدر

وقالت فاطمة أيضاً :

بنی هاشم قد غادرت من أخيك أمينة إذ للباہ يعتركان

(١) زدنا هذه الشطرة من الروض الانف للسهيلي . وليس في المصرية جميع البيت . ولا ما بعده إلى
 قوله : زهرة . (٢) في الاصل بنخيام . وصححناه من السهيلي والحنائم السحاب السود كما في القاموس .

كما غادر المصباحُ عند خُوده فتائلٌ قد مِثَّتْ له بدهان
وما كل ما يحوي الفتى من ولاده بحزمٍ ولا مائةٍ لتواني
فأجله إذا طالبتِ أمراً فانه سيكفيك جَدانٍ يمتلجان
سيكفيك إما يدٌ مُقلَّعةٌ وإما يدٌ بسوطةٍ بينان^(١)
ولما حوت منه أمينة ما حوت حوت منه فخراً ما لذلك ثان

وروى الامام أبو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة من طريق يعقوب بن محمد الزهري عن عبد المزيز بن عمران عن عبد الله بن جعفر عن ابن عون عن المسور بن مخرمة عن ابن عباس قال إن عبد المطلب قدم اليمن في رحلة الشتاء فنزل على حبر من اليهود قال فقال لي رجل من أهل الديور - يعني أهل الكتاب يا عبد المطلب أأذن لي أن انظر إلى بمضك؟ قال نعم إذا لم يكن عودة . قال ففتح إحدى منخري فنظر فيه ثم نظر في الآخر فقال أشهد أن في إحدى يديك ملكاً وفي الأخرى نبوة وإنا نجد ذلك في بني زهرة فكيف ذلك؟ قلت لا أدري قال هل لك من شاعة؟ قلت وما الشاعة؟ قال زوجة . قلت أما اليوم فلا قال فإذا رجعت فتزوج فيهم . فرجع عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فولدت حمزة وصبية ثم تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب فولدت رسول الله (ص) . قالت قريش حين تزوج عبد الله بآمنة فلج أي فاز وغلب عبد الله على أبيه عبد المطلب .



(١) كذا في الحلبية . وفي المصرية منقولة والاقطال التنحية والاستنفاض كما في القاموس .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

کتاب سیرة رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم

قال الله تعالى: (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) ولما سأل هرقل ملك الروم لابي سفيان تلك الاسئلة عن صفاته عليه الصلاة والسلام قال كيف نسبه فيكم؟ قال هو فينا ذو نسب قال كذلك الرسل تبعث في انساب قومها يعني في اكرمها احسابا واكثرها قبيلة صلوات الله عليهم اجمعين .
فهو سيد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والاخرة . أبو القاسم . وأبو ابراهيم . محمد . واحمد . والملاحى الذى يمحى به الكفر . والمعاقب الذى ما بعده نبى . والحاشر الذى يحشر الناس على قدميه . والمقفى . ونبى الرحمة . ونبى التوبة . ونبى الملحمة . وخاتم النبيين . والفاتح . وطه . ويس . وعبد الله .
قال البيهقى : وزاد بعض العلماء فقال سماه الله فى القرآن رسولا . نبيا . أمينا . شاهداً . مبشراً . نذيراً ، وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً . ورؤفاً رحيماً . ومذكراً . وجعله رحمة ونعمة وهادياً .
وسنورد الاحاديث المروية فى اسمائه عليه الصلاة والسلام فى باب نهقه بعد فراغ السيرة . فانه قد وردت احاديث كثيرة فى ذلك اعتنى بجمعها الحافظان الكبيران أبو بكر البيهقى وأبو القاسم بن عساكر وافرد الناس فى ذلك مؤلفات حتى رام بعضهم أن يجمع له عليه الصلاة والسلام ألف اسم . واما الفقيه الكبير أبو بكر بن العربى المالكي شارح الترمذى بكتابه الذى سماه الاحوذى فانه ذكر من ذلك أربعة وستين اسماً والله أعلم .

وهو ابن عبد الله وكان اصفر ولد أبيه عبد المطلب وهو الذبيح الثانى المسمى بمائة من الابل كما تقدم قال الزهرى : وكان اجمل رجال قريش وهو أخو الحارث والزبير وحمة وضرار وأبى طالب - واسمه عبد مناف - وأبى لهب - واسمه عبد العزى - والمقوم - واسمه عبد الكعبة - وقيل هما اثنان وحجل واسمه المغيرة والغيداق وهو كبير الجود - واسمه نوفل - ويقال انه حجل . فمؤلاه اعمامه عليه الصلاة

والسلام . وعماته ست وهن أروى . وبرة . وأميمة . وصفية . وعانسكة . وام حكيم - وهي البيضاء -
وستكلم على كل منهم فيما بعد ان شاء الله تعالى . كلهم أولاد عبد المطلب - واسمه شيبه - يقال لشيبه
كانت في رأسه ويقال له شيبه الحمد لجوده . وانما قيل له عبد المطلب لان أباه هاشما لما سر بالمدينة في
تجارته الى الشام نزل على عمرو بن زيد بن لبيد بن حرام بن خدش بن خندف بن عدى بن النجار
الخرزجي النجاري وكان سيد قومه فاعجبته ابنته سلمى فخطبها الى أبيها فزوجها منه واشترط عليه مقامها
عنده وقيل بل اشترط عليه أن لا تلد إلا عنده بالمدينة فلما رجع من الشام بنى بها واخذها معه الى مكة
فلما خرج في تجارة أخذها معه وهي حبلى فتركها بالمدينة ودخل الشام فمات بغزة ووضعت سلمى ولدها
فسمته شيبه فاقام عند اخواله بنى عدى بن النجار سبع سنين ثم جاء عمه المطلب بن عبد مناف فاخذه
خفية من أمه فذهب به الى مكة . فلما رآه الناس ورأوه على الراحلة قالوا من هذا معك ؟ فقال عدى
ثم جاؤا فهنؤه به وجلوا يقولون له عبد المطلب لذلك فغاب عليه وساد في قريش سيادة عظيمة وذهب
بشرفهم ورأسهم . فكان جماع أمرهم عليه وكانت اليه السقاية والرفادة بعد المطلب وهو الذي جدد
حفر زمزم بعد ما كانت مطمومة من عهد جزم وهو أول من طلى الكعبة بذهب في أبوابها من تينك
القرالين اللتين من ذهب وجدها في زمزم مع تلك الاسياف القلعية قال ابن هشام : وعبد المطلب أخو
أسد وفضلة وأبي صيفي وحية وخالدة ورقية والشفاء وضييفة . كلهم أولاد هاشم واسمه عمرو وانما سمي
هاشما لهشمه الثريد مع اللحم لقومه في سنى المحل كما قال مطرود بن كعب الخزاعي في قصيدته وقيل
لازبمى والد عبد الله :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُسْتِنون عافُ
سُنَّتْ اليه الرحلتان كلاهما سَفَرُ الشتاء وِرِحْلَةُ الأَصِيافِ

وذلك لانه أول من سن رحلتي الشتاء والصيف وكان أكبر ولد أبيه . وحكى ابن جرير انه كان توأم
أخيه عبد شمس وان هاشما خرج برجله ملتصقة برأس عبد شمس فما تخلصت حتى سال بينهما دم فقال
الناس بذلك يكون بين أولادها حروب فكانت وقعة بنى العباس مع بنى أمية بن عبد شمس سنة ثلاث
وثلاثين ومائة من الهجرة . وشقيقهم الثالث المطلب وكان المطلب أصغر ولد أبيه وأمهم عاتكة بنت مرة
ابن هلال . ورابعهم نوفل من أم أخرى وهي واقدة بنت عمرو المازنية وكانوا قد سادوا قومهم بعد أبيهم
وصارت اليهم الرياسة وكان يقال لهم المحيرون وذلك لانهم أخذوا قومهم قريش الأمان من ملوك
الأقاليم ليدخلوا في التجارات الى بلادهم فكان هاشم قد أخذ أمانا من ملوك الشام والروم وغسان
واخذ لهم عبد شمس من النجاشي الأكبر ملك الحبشة ، واخذ لهم نوفل من الأكامرة ، واخذ لهم المطلب
أمانا من ملوك حمير . ولهم يقول الشاعر :

يا أيها الرجل المحول رحله إلا نزلت بأكل عبد مناف

وكان الى هاشم السقاية والرفادة بعد أبيه ، واليه والى أخيه المطلب نسب ذوى القربى ، وقد كانوا شيئاً واحداً فى حالتى الجاهلية والاسلام لم يفترقوا ، ودخلوا معهم فى الشعب ، وانخلت عنهم بنو عبد شمس ونوفل . ولهذا يقول أبو طالب فى قصيدته :

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً عُقوبة شرٍ عاجلاً غير آجل

ولا يعرف بنو أب تباينوا فى الوفاة مثلهم ، فان هاشم مات بغزة من أرض الشام ، وعبد شمس مات بمكة ، ونوفل مات بسلامان من أرض العراق ، ومات المطلب - وكان يقال له القمر لحسنه - برمان من طريق اليمن . فهؤلاء الاخوة الأربعة المشاهير وهم هاشم ، وعبد شمس ، ونوفل ، والمطلب . ولهم أخ خامس ليس بمشهور وهو أبو عمرو واسمه عبد ، وأصل اسمه عبد قصى . فقال الناس عبد بن قصى درج ولا عقب له . قاله الزبير بن بكار وغيره . واخوات ست وهن ، تماضر ، وحية ، وريطة ، وقلابة ، وام الاختم ، وام سفيان . كل هؤلاء أولاد عبد مناف ومناف اسم صنم وأصل اسم عبد مناف المغيرة . وكان قد رأس فى زمن والده ، وذهب به الشرف كل مذهب . وهو أخو عبد الدار الذى كان أكبر ولد ابيه واليه أوصى بالمنصب كما تقدم . وعبد العزى وعبد وبرة ونخمر وامهم كلهم حبي بنت حليل بن حبشى بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى وأبوها آخر ملوك خزاعة وولاة البيت منهم ، وكلهم أولاد قصى واسمه زيد . وانما سمي بذلك لأن أمه تزوجت بعد أبيه بريعة بن حزام بن عذرة فسافر بها الى بلاده وابنها صغير فسمى قصياً لذلك . ثم عاد الى مكة وهو كبير ولم يمت قريش وجمعها من متفرقات البلاد ، وازاح يد خزاعة عن البيت ، واجلاهم عن مكة ورجع الحق الى نصابه وصار رئيس قريش على الاطلاق وكانت اليه الوفاة والسقاية - وهوسنها - والسدانة والحجابة واللواء وداره دار الندوة كما تقدم بسط ذلك كله - ولهذا قال الشاعر :

قُصَيٌّ ، لِعَمْرِي كَانَ يُدْعَى نَجْمًا بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ رَهْرٍ

وهو أخو زهرة كلاهما ابنا كلاب أخى تيم وبنظة أبى مخزوم ثلاثهم ابنا مرة أخى عدى وهصيص وهم أبناء كعب وهو الذى كان يخطب قومه كل جمعة ويبشروهم بمبعث رسول الله (ص) ، وينشد فى ذلك اشعاراً كما قدمنا ، وهو أخو عامر وسامة وخزيمة وسعد والحارث وعوف سبعة أبناء لوى أخى تيم الأدرم وهما ابنا غالب أخى الحارث ومحارب ثلاثهم ابنا فهر ، وهو أخو الحارث وكلاهما ابن مالك . وهو أخو الصلت ويخلد ، وهم بنو النضر الذى اليه جماع قريش على الصحيح كما قدمنا الدليل عليه ، وهو أخو مالك ومالك وعبد مناة وغيرهم كلهم أولاد كنانة أخى أسد واسدة والهون أولاد خزيمة ، وهو أخو هذيل وهما ابنا مدركة - واسمه عمرو وأخو طابخة واسمه عامر وقعة ثلاثهم أبناء الياس

وأخي الياس هو غيلان والد قيس كلها وهما ولدا مضر أخي ربيعة . ويقال لهما الصريحان من ولد اسماعيل
واخراهما أنمار وإبلا تيامنا، اربتهم ابنا نزار أخي قضاة - في قول طائفة ممن ذهب الى أن قضاة
حجازية عدنانية - وقد تقدم يانه كلاهما ابنا معد بن عدنان .

وهذا النسب بهذه الصفة لا خلاف فيه بين العلماء فجميع قبائل عرب الحجاز ينتهون الى هذا النسب
ولهذا قال ابن عباس وغيره في قوله تعالى . (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) لم يكن
بطن من بطون قريش الا ورسول الله (ص) . نسب يتصل بهم . وصدق ابن عباس رضي الله عنه فيما
قال وازيد مما قال ، وذلك أن جميع قبائل العرب العدنانية تنتهي اليه بالآباء . وكثير منهم بالامهات أيضاً
كما ذكره محمد بن اسحاق وغيره في أمهاته وأمهات آباءه وأمهاتهم ما يطول ذكره . وقد حرره ابن
اسحاق رحمه الله والحافظ ابن عساكر وقد ذكرنا في ترجمة عدنان نسبه وما قيل فيه وانه من ولد
اسماعيل لا محالة وان اختلف في كم بينهما أباء على أقوال قد بسطناها فيما تقدم والله أعلم .
وقد ذكرنا بقية النسب من عدنان الى آدم وأوردنا قصيدة أبي العباس الناشي المتضمنة ذلك ،
كل ذلك في أخبار عرب الحجاز والله الحمد .

وقد تكلم الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في أول تاريخه على ذلك كلاماً مبسوطاً جيداً محرراً
نافعاً . وقد ورد حديث في انتسابه عليه السلام الى عدنان وهو على المنبر ولكن الله أعلم بصحته كما قال
الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص المقرئ - بغداد - حدثنا أبو عيسى
بكار بن احمد بن بكار حدثنا أبو جعفر احمد بن موسى بن سعد - املأ سنة ست وتسعين ومائتين -
حدثنا أبو جعفر محمد بن ابان القلانسي حدثنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن ربيعة القدامي حدثنا مالك بن
أنس عن الزهري عن أنس وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام . قال : بلغ النبي (ص) أن
رجالا من كندة يزعمون أنهم منه وانه منهم فقال « انما كان يقول ذلك العباس وأبوسفیان بن حرب فيأمننا
بذلك . وإنالن ننتفي من آباءنا ، نحن بنو النضر بن كنانة : قال وخطب النبي (ص) فقال « أنا محمد بن
عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب
ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار وما افترق الناس
فرقتين إلا جعلني الله في خيرها فاخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية . وخرجت من
نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت الى أبي وأمي ، فانا خيركم فسا ، وخيركم آباء » وهذا
حديث غريب جدا من حديث مالك . تفرد به القدامي وهو ضعيف . ولكن سند كره له شواهد من
وجوه آخر . فمن ذلك قوله « خرجت من نكاح لامن سفاح » قال عبد الرزاق أخبرنا ابن عيينة عن
جعفر بن محمد عن أبيه أبي جعفر الباقر في قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) قال لم يصبه شيء

نسبهم
أوردنا

من ولادة الجاهلية قال وقال رسول الله (ص) « إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح » وهذا مرسل جيد . وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن اسحاق الصنعاني عن يحيى بن أبي بكير عن عبد الغفار بن القاسم عن جعفر بن محمد عن أبيه . قال قال رسول الله (ص) : « ان الله أخرجني من النكاح ولم يخرجني من السفاح » وقد رواه ابن عدى موصولا فقال حدثنا أحمد بن حفص حدثنا محمد بن أبي عمرو المدني المكي حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين قال اشهد على أبي حدثني عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب أن النبي (ص) قال : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء » هذا غريب من هذا الوجه ولا يكاد يصح . وقال هشيم حدثنا المديني عن أبي الحويرث عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) : « ما ولدني من نكاح أهل الجاهلية شيء ، ما ولدني إلا نكاح كنيكاح الاسلام » وهذا أيضا غريب أورده الحافظ ابن عساكر ثم اسنده من حديث أبي هريرة وفي اسناده ضعف والله أعلم . وقال محمد بن سعد أخبرنا محمد بن عمر حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم عن عمه الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) : « ولدت من نكاح غير سفاح » ثم أورد ابن عساكر من حديث أبي عاصم عن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (وتقبلت في الساجدين) قال من نبى الى نبى حتى اخرجت نبياً . ورواه عن عطاء . وقال محمد بن سعد أخبرنا هشام بن محمد الكلابي عن أبيه قال كتبت للنبي (ص) خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحاً ولا شيئاً مما كان من أمر الجاهلية . وثبت في صحيح البخاري من حديث عمرو بن أبي عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : « بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرنا حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه » وفي صحيح مسلم من حديث الاوزاعي عن شداد أبي عمار عن وائلة بن الاسقع ان رسول الله (ص) قال : « ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من بني اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم » وقال الامام احمد . حدثنا ابو نعيم عن سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن المطلب بن أبي وداعة قال قال العباس بلغه (ص) . بعض ما يقول الناس « فصعد المنبر فقال : من أنا ؟ » قالوا أنت رسول الله قال « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، ان الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً . فاتا خيركم بيتاً وخيركم نفساً » صلوات الله وسلامه عليه دائماً أبداً الى يوم الدين . وقال يعقوب بن سفيان حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسماعيل بن أبي خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله ان قريشا اذا التقوا لقي بعضهم بعضاً بالبشاشة ، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها . . فنضب

رسول الله (ص) عند ذلك غضبا شديدا ثم قال: «والذي نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم الله ورسوله» قلت يا رسول الله ان قريشاً جلسوا فنذاكروا احسابهم فجلوا مثلك كمثل نخلة في كبة من الارض . قال رسول الله (ص) : «ان الله يوم خلق الخلق جعلني في خيرهم ، ثم لما فرقهم [قبائل] جعلني في خيرهم قبيلة . ثم حين جعل البيوت جعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً .»

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عن ابن فضيل عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن ربيعة ابن الحارث قال بلغ النبي (ص) فذكره بنحو ما تقدم ولم يذكر العباس . وقال يعقوب بن سفيان حدثني يحيى بن عبد الحميد حدثني قيس بن عبد الله عن الاعمش عن عليبة بن ربيعي عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) : «ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً ، فذلك قوله وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، فانا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ، ثم جعل القسمين اثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً ، فذلك قوله وأصحاب الميمنة والسابقون السابقون فانا من السابقين ، وأنا خير السابقين ، ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة فذلك قوله وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله اعلم خبير وأنا اتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً وذلك قوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، فانا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب» . وهذا الحديث فيه غرابة ومنكارة . وروى الحاكم والبيهقي من حديث محمد بن ذكوان خال ولد حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن ابن عمر قال : إنا لنعوذ بفناء النبي (ص) . أذمرت به امرأة ، فقال بعض القوم هذه ابنة رسول الله (ص) . قال أبو سفيان : مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط التنن . فانطلقت المرأة فاخبرت النبي (ص) . فجاء رسول الله (ص) : يعرف في وجهه الغضب . قال : « ما بال أقوال تبلغني عن أقوام إن الله خلق السماوات سبعا فاختار العلياء منها فأسكنها من شاء من خلقه ، ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم ، واختار من بني آدم العرب ، واختار من العرب مضر ، واختار من مضر قريشاً ، واختار من قريش بني هاشم ، واختارني من بني هاشم فانا خيار من خيار ، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم » هذا أيضاً حديث غريب . وثبت في الصحيح أن رسول الله (ص) قال : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر » وروى الحاكم والبيهقي أيضاً من حديث موسى بن عبيدة حدثنا عمرو بن عبد الله بن نوفل عن الزهري عن أبي أسامة أو أبي سدة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله (ص) : « لا قال لي جبريل قلبت الارض من مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ، وقلبت الارض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم » قال الحافظ البيهقي وهذه الاحاديث وإن كان في روايتها من لا يحتج به فبعضها يؤكد بعضاً ومعنى جميعها يرجع الى حديث وائلة بن الاسقع والله أعلم

قلت وفي هذا المعنى يقول أبو طالب يمتدح النبي (ص):

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لمفخرٍ فبعد منافٍ سرُّها وصيمنتها
فإن حصلتْ أشرافُ عبدٍ منافعها ففي هاشمٍ أشرافها وقديمتها
وإن فخرتْ يوماً فأنتم محمداً هو المصطفى من سرُّها وكرمها
تداعتْ قريشٌ غنماً وسمينها علينا فلم تظفر وطاشتْ خلومها
وكنا قديماً لا قرّاً ظلامه إذا ما ثنوا صغراً الخلود قيمها
ونحى جماها كل يوم كربهة ونضرب عن أجحارها من برومها
بنا الشمس العود الذواء وإتما بأكنافنا تنسدى وتمنى أرومها

وقال أبو السكك زكريا بن يحيى الطائي في الجزء المنسوب إليه المشهور: حدثني عمر بن أبي زحر بن حصين عن جده حميد بن منهب قال قال جدي خريم بن أوس هاجرت إلى رسول الله (ص) فقدمت عليه منصرفاً من تبوك ، فسلمت فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك ، فقال رسول الله (ص) قل لا يفضض الله فاك فانشأ يقول:

من قبلها طببت في الظلال وفي مستودع حيث ينخسف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر أذ ت ولا مضممة ولا علو
بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسراً وأهله الفرق
تنقل من صلب إلى رجم إذا مضى عالم بدأ طبق
حتى احتوى بيتك المهيم من خندف عليها تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرق الآ رض وضامت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي ال نور وسبل الرشاد نخرق

وقد روى هذا الشعر لحسان بن ثابت فروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر من طريق أبي الحسن ابن أبي الحديد أخبرنا محمد بن أبي نصر أنا عبد السلام بن محمد بن أحمد القرشي حدثنا أبو حصين محمد ابن اسماعيل بن محمد التميمي حدثنا محمد بن عبد الله الزاهد الخراساني حدثني اسحاق بن ابراهيم بن سنان حدثنا سلام بن سليمان أبو العباس المكفوف المدائني حدثنا ورقاء بن عمر عن ابن أبي نجيح عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس قال سألت رسول الله (ص) فقلت فداك أبي وأمي أين كنت وآدم في الجنة؟ قل فتبسم حتى بدت نواجذه ثم قال: «كنت في صلبه وركب بي السفينة في صلب أبي نوح وقذف بي في صلب أبي ابراهيم لم يلق أبواي على سفاح قط لم يزل الله ينقلني من الأصاب الحبيسة إلى الأرحام الطاهرة صفتي مهدي لا ينشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما وقد أخذ الله بالنبوة ميثاقى وبالإسلام عهدي

ونشر في التوراة والأنجيل ذكرى وبين كل نبى صفتى تشرق الارض بنورى والغيام بوجهى وعلنى كتابه وزادنى [شرقاً] فى سماائه وشق لى اسماً من أسمائه فذوالعرش محمود وأنا محمد واحد ووعدنى أن يجبونى بالحوض والكوز وأن يجعلى أول شافع وأول مشفع ثم أخرجنى من خير قرن لامتى ، وم الحادون يأمررون بالمعروف وينهون عن المنكر » قال ابن عباس فقال حسان بن ثابت فى النبى (س) :

قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع يوم ينصف الورق
ثم صكنت البلاد لا بشر اذ ت ولا نطفة ولا علق
مطهر تركب السفين وقد أجم نسرأ وأهله الفرق
تنقل من صلب إى رحم إذا مضى طبق بدا طبق

فقال النبى (س) : « یرحم الله حسانا » فقال على بن أبى طالب وجبت الجنة لحسان ورب الكعبة ثم قال الحافظ ابن عساكر هذا حديث غريب جداً قلت : بل منكر جداً والمحفوظ أن هذه الآيات للعباس رضى الله عنه ثم أوردها من حديث أبى السكن زكريا بن يحيى الطائى كما تقدم قلت : ومن الناس من يزعم أنها للعباس بن مرداس السلمى قاله أعلم :

تنبيه . قال القاضى عياض - فى كتابه الشفاء - وأما احمد الذى أتى فى الكتب وبشرت به الانبياء فمنع الله بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله ، حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك . وكذلك محمد لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبل وجوده وميلاده أن نبياً يبعث اسمه محمد . فسعى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو (والله أعلم حيث يجعل رسالته) وم : محمد بن احيحة بن الجلاح الأوسى . ومحمد بن سلمة الأنصارى . ومحمد بن البراء الكندى . ومحمد بن سفيان بن مجاشع . ومحمد بن حمران الجعفى . ومحمد بن خزاعى السلمى لا سبع لهم . ويقال إن أول من سمي محمداً محمد بن سفيان بن مجاشع . واليمن تقول بل محمد بن ليحمد من الأزدي . ثم إن الله حمى كل من تسمى به أن يدعى النبوة أو يدعيها له أحد ، أو يظهر عابه سبب يشكل أحداً فى أمره حتى تحققت الشبهة له (س) لم ينازع فيهما . هذا لفظه .

باب مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولد صلوات الله عليه وسلامه يوم الاثنين . لما رواه مسلم فى صحيحه من حديث غيلان بن جرير بن عبد الله بن معبد الزماني عن أبى قتادة أن اعرابياً قال يا رسول الله ، ما تقول فى صوم يوم الاثنين فقال « ذلك يوم ولدت فيه وانزل على فيه » . وقال الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن

خالد بن أبي عمران عن حنشر الصنعاني عن ابن عباس قال: ولد رسول الله (ص) يوم الاثنين، واستنبي يوم الاثنين، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، وقدم المدينة يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين. تفرد به أحمد ورواه عمرو بن بكير عن ابن لهيعة وزاد نزلت سورة المائدة يوم الاثنين (اليوم أكلت لكم دينكم). وهكذا رواه بعضهم عن موسى بن داود به وزاد أيضاً وكانت وقعة بدر يوم الاثنين. ومن قال هذا يزيد بن حبيب وهذا منكر جداً. قال ابن عساكر والمحفوظ أن بدرًا ونزول (اليوم أكلت لكم دينكم) يوم الجمعة وصدق ابن عساكر. وروى عبد الله بن عمر عن كريب عن ابن عباس ولد رسول الله (ص) يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين. وهكذا روى من غير هذا الوجه عن ابن عباس أنه ولد يوم الاثنين. وهذا مالا خلاف فيه أنه ولد يوم الاثنين. وأبدل خطأ من قال ولد يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من ربيع الأول قله الحافظ ابن دحية فيما قرأه في كتاب أعلام الروي بأعلام الهدى لبعض الشيعة. ثم شرح ابن دحية في تضعيفه وهو جدير بالتضعيف إذ هو خلاف النص. ثم الجمهور على أن ذلك كان في شهر ربيع الأول فقيل للبتين خلنا منه قاله ابن عبد البر في الاستيعاب ورواه الواقدي عن أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن المدني. وقيل لثمان خلون منه حكاه الحميدي عن ابن حزم. ورواه مالك وعقيل ويونس بن يزيد وغيرهم عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم وقل ابن عبد البر عن أصحاب التاريخ أنهم صححوه وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الخوارزمي ورجحه الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه التنوير في مولد البشير النذير وقيل ل عشر خلون منه قله ابن دحية في كتابه ورواه ابن عساكر عن أبي جعفر الباقر ورواه مجالد عن الشعبي كما مر. وقيل لثنتي عشرة خلت منه نص عليه ابن اسحاق ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عفان عن سعيد بن مينا عن جابر وابن عباس إنهما قالوا: ولد رسول الله (ص) عام الفيل يوم الاثنين الثامن عشر^(١) من شهر ربيع الأول وفيه بث وفيه عرج به إلى السماء وفيه هاجر وفيه مات. وهذا هو المشهور عند الجمهور والله أعلم. وقيل لسبعة عشر خلت منه كما قله ابن دحية عن بعض الشيعة. وقيل لثمان بقين منه قله ابن دحية من خط الوزير أبي رافع بن الحافظ أبي محمد بن حزم عن أبيه والصحيح عن ابن حزم الأول أنه لثمان مضي من منه كما قله عنه الحميدي وهو أثبت. والقول الثاني أنه ولد في رمضان قله ابن عبد البر عن الزبير بن بكار وهو قول غريب جداً وكان مستنده أنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه في رمضان بلا خلاف وذلك على رأس أربعين سنة من عمره فيكون مولده في رمضان وهذا فيه نظر والله أعلم. وقد روى خيثمة بن سليمان الحافظ عن خلف بن محمد كردوس الواسطي عن المعلى بن عبد الرحمن عن عبد الحميد بن جعفر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن

(١) بهامش المصرية: قال مؤلفه: كذا رأيت به الثامن عشر. وصوابه الثاني عشر

ابن عباس قال ولد رسول الله (ص) يوم الاثنين في ربيع الاول وانزلت عليه النبوة يوم الاثنين في اول شهر ربيع الاول وانزلت عليه البقرة يوم الاثنين في ربيع الاول . وهذا غريب جداً رواه ابن عساكر . قال الزبير بن بكار حملت به أمه في أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجرة الوسطى . وولد بمكة بالدار المعروفة بمحمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان . ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عثمان بن عتبة بن مكرم عن المسيب بن شريك عن شعيب بن شعيب عن ابيه عن جده قال حمل رسول الله (ص) في يوم عاشوراء في المحرم وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة اصحاب الفيل . وذكر غيره ان الخيزران وهي أم هارون الرشيد لما حجت امرت ببناء هذه الدار مسجداً . فهو يعرف بها اليوم . وذكر السهيلي أن مولده عليه الصلاة والسلام كان في العشرين من نيسان . وهذا أعـدل الزمان والفصول وذلك لسنة اثنتين وثمانين وثمانمائة لذي القرنين فيما ذكر أصحاب الزيج . وزعموا ان الطالع كان لعشرين درجة من الجدى وكان المشتري وزحل مقترنين في ثلاث درج من العقرب وهي درجة وسط السماء . وكان موافقاً من البروج الحمل وكان ذلك عند طلوع القمر اول الابل نقله كاه ابن دحية والله أعلم .

قال ابن اسحاق : وكان مولد عليه الصلاة والسلام عام الفيل وهذا هو المشهور عن الجمهور . قال ابراهيم بن المنذر الحزامي : وهو الذي لا يشك فيه أحد من علمائنا انه عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل وبعث على رأس أربعين سنة من الفيل . وقد رواه البيهقي من حديث أبي اسحاق السبيعي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس . قال : ولد رسول الله (ص) عام الفيل وقال محمد بن اسحاق حدثني المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخزومة عن ابيه عن جده قيس بن مخزومة قال ولدت انا ورسول الله (ص) عام الفيل ، كنا لدين . قال وسأل عثمان رضي الله عنه قباث بن اشيم أخا بني يعمر بن ليث أنت أكبر أم رسول الله (ص) ؟ فقال : رسول الله (ص) ، أكبر مني وانا اقدم منه في الميلاد . ورأيت خزق الفيل اخضر محيلاً . ورواه الترمذي والحاكم من حديث محمد بن اسحاق به .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله (ص) عام عكاظ ابن عشرين سنة . وقال ابن اسحاق : كان الفجار بعد الفيل بعشرين سنة ، وكان بناء الكعبة بعد الفجار بخمسة عشر سنة ، والمبعث بعد بنائها بخمسة سنين . وقال محمد بن جبيرة بن مطعم : كانت عكاظ بعد الفيل بخمسة عشرة سنة ، وبناء الكعبة بعد عكاظ بعشرين سنين ، والمبعث بعد بنائها بخمسة عشرة سنة . وروى الحافظ البيهقي من حديث عبد العزيز بن أبي ثابت المدني حدثنا الزبير بن موسى عن أبي الحويرث قال سمعت عبد الملك بن مروان يقول لقباث بن اشيم الكنانى ثم اللبى : يا قباث أنت أكبر أم رسول الله

(ص) قال: رسول الله (ص) أكبر مني، وأنا اسن . ولد رسول الله (ص) عام الفيل، ووقفت بي أمي على روث الفيل محيلا اعقله . وتنبأ رسول الله (ص) على رأس أربعين سنة . وقال يعقوب بن مفيان حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا نعيم بنى ابن ميسرة - عن بعضهم عن سويد بن غفلة انه قال انا ائدة رسول الله (ص) ولدت عام الفيل . قال البيهقي وقد روى عن سويد بن غفلة انه قال انا أصغر من رسول الله (ص) بنتين . قال يعقوب وحدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا عبد العزيز بن ابي ثابت حدثني عبد الله بن عثمان بن ابي سليمان النوفلي عن أبيه عن محمد بن جبير بن مطعم . قال ولد رسول الله (ص) عام الفيل، وكانت بعده عكاظ بخمس عشرة سنة، وبنى البيت على رأس خمس وعشرين سنة من الفيل، وتنبأ رسول الله (ص) على رأس أربعين سنة من الفيل .

والمقصود أن رسول الله (ص) ولد عام الفيل على قول الجمهور قبيل بعه بشهر، وقيل بأربعين يوما، وقيل بخمسين يوما - وهو أشهر - وعن أبي جعفر الباقر كان قدوم الفيل للنصف من المحرم، ومولد رسول الله (ص) بعده بخمس وخمسين ليلة، وقال آخرون بل كان عام الفيل قبل مولد رسول الله (ص) بمشرف سنين . قاله ابن أزي . وقيل بثلاث وعشرين سنة رواه شعيب بن شعيب عن أبيه عن جده كما تقدم وقيل بعد الفيل بثلاثين سنة . قاله موسى بن عتبة عن الزهري رحمه الله . واختاره موسى بن عتبة أيضا رحمه الله . وقال أبو زكريا المجلاني : بعد الفيل بأربعين عاما، رواه ابن عساكر وهذا غريب جدا، واغرب منه ما قال خليفة بن خياط حدثني شعيب بن حبان عن عبد الواحد بن أبي عمرو عن السكابي عن أبي صالح عن ابن عباس، قال : ولد رسول الله (ص) قبل الفيل بخمس عشرة سنة وهذا حديث غريب ومنكر وضعيف أيضا، قال خليفة بن خياط والمجتمع عليه انه عليه السلام ولد عام الفيل .

صفة مولده الشريف عليه الصلوة والسلام

قد تقدم ان عبد المطلب لما ذبح تلك الابل المائة عن ولده عبد الله حين كان نذر ذبحه فسله الله تعالى لما كان قدر في الازل من ظهور النبي الامي (ص) خاتم الرسل وسيد ولد آدم من صلبه، فذهب كما تقدم فزوجه اشرف عقيلة في قريش آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة الزهرية، فحين دخل بها وافضى اليها حملت برسول الله (ص)، وقد كانت أم قتال رقيقة بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل توهمت ما كان بين عيني عبد الله قبل أن يجامع آمنة من النور، فودت أن يكون ذلك متصلا بها لما كانت تسمع من اخيها من البشارات بوجود محمد (ص)، وانه قد أوف زمانه فعرضت نفسها عليه . قال بعضهم ليزوجها وهو أظهر والله اعلم، فامتنع عليها فلما انتقل ذلك النور الباهر إلى آمنة بمواقته

أياها كأنه تقدم على ما كانت عرضت عليه . فتمرض لها لتعاوده . فقالت لا حاجة لي بك وتأسفت
اعلى ما فاتها من ذلك وأنشدت في ذلك ما قدمناه من الشعر الفصيح البليغ . وهذه الصيانة لعبد الله
ليست له وإنما هي لرسول الله (ص) ، فانه كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقد تقدم
الحديث المروي من طريق جيد أنه قال عليه الصلاة والسلام : « ولدت من نكاح لا من سفاح »
والمقصود أن أمه حين حملت به توفي أبوه عبد الله وهو حمل في بطن أمه على المشهور . قال محمد
ابن سعد حدثنا محمد بن عمر - هو الواقدي - حدثنا موسى بن عبيدة البزدي . وحدثنا سعيد بن أبي
زيد عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة . قال : خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى
غزة في غير من غيران قريش يحملونه تجارات ، ففرغوا من تجارتهم ثم انصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله
ابن عبد المطلب يومئذ مريض ، فقال أتخلف عند أخوالي بني عدى بن النجار ، فأقام عندهم مريضاً
شهرًا ومضى أصحابه فقدموا مكة فأنهم عبد المطلب عن ابنه عبد الله فقالوا خلفناه عند أخواله بني
عدى بن النجار وهو مريض . فبعث إليه عبد المطلب أكبر ولده الحارث . فوجده قد توفي ودفن في
دار النسابة فرجع إلى أبيه فاخبره ، فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً ، ورسول
الله (ص) يومئذ حمل . ولعبد الله بن عبد المطلب يوم توفي خمس وعشرون سنة .
قال الواقدي : هذا هو أثبت الاقارب في وفاة عبد الله وسنه عندنا . قال الواقدي : وحدثني معمر
عن الزهري أن عبد المطلب بعث عبد الله إلى المدينة يمتار لهم تمرًا فمات . قال محمد بن سعد وقد انبأنا
هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه وعن عوانة بن الحكم . قالا : توفي عبد الله بن عبد المطلب
بعد ما أتى على رسول الله (ص) ثمانية وعشرين شهرًا ، وقيل سبعة أشهر . وقال محمد بن سعد :
والأول أثبت أنه توفي ورسول الله (ص) حمل . وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن حسن عن
عبد السلام عن ابن خربوذ . قال : توفي عبد الله بالمدينة ورسول الله (ص) ابن شهرين ، وماتت
أمه وهو ابن أربع سنين ، ومات جده وهو ابن ثمان سنين ، فأوصى به إلى عمه أبي طالب . والذي
رجحه الواقدي وكتبه الحافظ محمد بن سعد أنه عليه الصلاة والسلام توفي أبوه وهو جنين في بطن أمه
وهذا أبلغ اليم وأعلى مراتبه . وقد تقدم في الحديث « ورؤيا أمي الذي رأته حين حمل بي كأنه خرج
منها نور أضاءت له قصور الشام » وقال محمد بن اسحاق فكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله
(ص) تحلث أنها أتت حين حملت برسول الله (ص) ، فقيل لها إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا
وقم إلى الأرض فقولي : أعينه بالواحد ، من شر كل حاسد ، من كل بر عاهد^(١) وكل عبد رائد ، يذود
عني ذائد ، فانه عند الحميد الماجد ، حتى أراه قد أتى المشاهد . وآية ذلك أنه يخرج معه نور يملأ قعر
بصري من أرض الشام ، فإذا وقع فسميه محمدًا . فان اسمه في التوراة احمد يحمده أهل السماء وأهل

(١) كذا في الاصلين ولم تقف عليه ولم يظهر لنا معناه .

الارض، واسمه في الانجيل احمد بحمده أهل السماء وأهل الارض ، واسمه في القرآن محمد . وهذا وذاك يقتضى أنها رأت حين حملت به عليه السلام كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام . ثم لما وضعته رأت عياناً تأويل ذلك كما رآته قبل ذلك ها هنا والله أعلم .

وقال محمد بن سعد : أنبأنا محمد بن عمر - هو الواقدي - حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهري . وقال الواقدي : حدثنا موسى بن عبدة عن أخيه ومحمد بن كعب القرظي . وحدثني عبد الله بن جعفر الزهري عن عمته أم بكر بنت المسود عن أبيها . وحدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم المزني وزياد ابن حشرج عن أبي وجزة . وحدثنا معمر عن أبي نجيح عن مجاهد . وحدثنا طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس : دخل حديث بعضهم في حديث بعض . أن آمنة بنت وهب قالت لقد علقت به - تعنى رسول الله (ص) - فما وجدت له مشقة حتى وضعته ، فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق الى المغرب ، ثم وقع الى الارض معتمداً على يديه ، ثم أخذ قبضة من التراب قبضها ورفع رأسه الى السماء . وقال بعضهم وقع جائباً على ركبتيه ، وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رؤيت أعناق الابل بصرى ، رافعاً رأسه الى السماء . وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا محمد بن اسماعيل أنبأنا محمد بن اسحاق حدثنا يونس بن مبشر بن الحسن حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثنا عبد العزيز بن عمران حدثنا عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان ابن جبير بن مطعم عن أبيه عن ابن أبي سويد الثقفي عن عثمان بن أبي العاص حدثني أمي أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله (ص) ليلة ولادته ، قالت فما شيء أنظره في البيت إلا نور وإني أنظر الى النجوم تدنو حتى إني لأقول ليقمن علي .

وذكر القاضي عياض عن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف أنها كانت قابلته وأنها أخبرت به حين سقط على يديها واستهل سمعت قائلاً يقول برحمتك الله ، وإنه سقط منه نور رؤيت منه قصور الروم . قال محمد بن اسحاق : فلما وضعته بعثت إلى عبد المطلب جاريتها - وقد هلك أبوه وهي حبلى ويقال إن عبد الله هلك والنبي (ص) ابن ثمانية وعشرين شهراً فأنه أعلم أي ذلك كان - فقالت قد ولد لك غلام فانظر اليه ، فلما جاءها أخبرته وحدثته بما كانت رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أمرت أن تسميه . فاخذه عبد المطلب فادخله على هبل في جوف الكعبة ، فقام عبد المطلب يدعو ويشكر الله عز وجل ويقول :

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأرداني
قد ساد في المسهد على الغلمان أعينده بالبيت ذي الأركان
حتى يكون بُلغة الفتيان حتى أراه بالغ البنيان

أعيده من كل ذي شأن من حاسدٍ مضطرب العنان
 ذي همّةٍ ليس له عينان حتى أراه رافعَ اللسان (١)
 أنت الذي سميت في القرآن في كتبٍ ثابتة المثاني
 * احمد مكتوب على اللسان *

وقال البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو بكر محمد بن احمد بن حاتم الدرابودي (٢) - بمرور -
 حدثنا أبو عبد الله البوشنجي حدثنا أبو أيوب سليمان بن سلمة الخبازي حدثنا يونس بن عطاء بن عثمان
 ابن ربيعة بن زياد بن الحارث الصدائي - بمصر - حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن
 أبيه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه . قال : ولد رسول الله (ص) . مختونا مسرورا ، قال فأعجب جده
 عبد المطلب وحظي عنده . وقال : ليكون لابني هذا شأن فكان له شأن . وهذا الحديث في صحته نظر
 وقد رواه الحافظ ابن عساكر من حديث سفیان بن محمد المصيصي عن هشيم عن يونس بن عبيد عن
 الحسن بن أنس . قال قال رسول الله (ص) : من كرامتي على الله أني ولدت مختونا ولم ير صواتي أحد
 ثم أورده من طريق الحسن بن عرفة عن هشيم به . ثم أورده من طريق محمد بن محمد بن سليمان - هو
 الباغندي - حدثنا عبد الرحمن بن أيوب الحمصي حدثنا موسى بن أبي موسى المقدسي حدثني خالد بن
 سلمة عن زافع عن ابن عمر . قال : ولد رسول الله (ص) مسرورا مختونا . وقال أبو نعيم : حدثنا أبو أحمد
 محمد بن احمد الفطري حدثنا الحسين بن أحمد بن عبد الله المالكي حدثنا سليمان بن سلمة الخبازي
 حدثنا يونس بن عطاء حدثنا الحكم بن أبان حدثنا عكرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس . قال : ولد
 رسول الله (ص) . مختونا مسرورا ، فأعجب ذلك جده عبد المطلب وحظي عنده ، وقال ليكون لابني
 هذا شأن ، فكان له شأن . وقد ادعى بعضهم صحته لما ورد له من الطرق حتى زعم بعضهم أنه متواتر
 وفي هذا كاه نظر ، ومعنى مختونا أي مقطوع الختان ، ومسرورا أي مقطوع السرة من بطن أمه . وقد
 روى الحافظ ابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن عيينة البصري حدثنا علي بن محمد المدائني السلمي
 حدثنا سلمة بن محارب بن مسلم بن زياد عن أبيه عن أبي بكر أن جبريل ختن النبي (ص) حين طهر قلبه
 وهذا غريب جدا . وقد روى أن جده عبد المطلب ختنه وعمل له دعوة جمع قريشا عليها والله أعلم .

وقال البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأني محمد بن كامل القاضي - شفاها - أن محمد بن اسماعيل
 حدثه - يعني السلمي - حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن أبي الحكم التنوخي .
 قال : كان المولود اذا ولد في قريش دفعوه الى نسوة من قريش الى الصبيح يكفأن عليه برمة ، فلما ولد

(١) كذا في الاصلين . وفي السهيلي : رافع اللسان : ولعلها : حتى أرى منه رفيع الشأن .

(٢) كذا في المصرية . وفي الحلبيّة: الدرايردي .

رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعه عبد المطلب الى نوة فكفان عليه برمة ، فلما أصبحن أتيتن فوجدن البرمة قد انفلقت عنه باثنتين ووجدنه مفتوح العينين شاخصاً يبصره الى السماء . فأتاهن عبد المطلب قلن له ما رأينا مولوداً مثله ، وجدناه قد انفلقت عنه البرمة ، ووجدناه مفتوحاً عينيه شاخصاً يبصره الى السماء . فقال احفظنه فاني أرجو أن يكون له شأن ، أو أن يصيب خيراً ، فلما كان اليوم السابع ذبح عنه ودعا له قريباً فلما أكلوا قالوا يا عبد المطلب أرأيت ابنتك هذا الذي أكرمتنا على وجهها سميتها ؟ قال سميتها محمداً ، قالوا فما رغبت به عن أسماء أهل بيته ؟ قال أردت أن يحمده الله في السماء وخلقته في الأرض قال أهل اللغة : كل جامع لصفات الخير يسمى محمداً كما قال بعضهم :

إليك - آيت اللعن - أعلمت نافتى الى المساجد القرم الكريم المحمداً

وقال بعض العلماء : أذمهم الله عز وجل أن سموا محمداً لما فيه من الصفات الحميدة ايلتقى الاسم والفعل ، ويتطابق الاسم والمسمى في الصورة والمعنى ، كما قال عنه أبو طالب وروى لسان :
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد
وسند كر أسماءه عليه الصلاة والسلام وشماله وهي صفاته الظاهرة وأخلاقه الطاهرة ودلائل نبوته وفضائل منزلته في آخر السيرة إن شاء الله .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد ابن شيبان الرملي حدثنا أحمد بن إبراهيم الجبلي حدثنا الهيثم بن جميل حدثنا زهير عن محارب بن دثار عن عمرو بن يثرب عن العباس بن عبد المطلب قال قلت : يا رسول الله ! دعاني الى الدخول في دينك أمارت لنبوتك ، رأيتك في المهدي تناغى القمر وتشير اليه باصبعك ، فحيث اشرت اليه بال قال : « إني كنت أحدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء ، واسمع وجبته حين يسجد تحت العرش » . ثم قال فردد به اللبى وهو مجهول .

فَضِيحَاتُكَ

﴿ فيما وقع من الآيات ليلة مولده عليه الصلاة والسلام ﴾

قد ذكرنا في باب هواتف الجن ما تقدم من خرورج كثير من الأصنام ليلتها لوجوها وسقوطها عن أماكنها ، وما رآه النجاشي ملك الحبشة ، وظهور النور معه حتى أضاءت له قصور الشام حين ولد ، وما كان من سقوطه جاثياً رافعاً رأسه الى السماء ، وانفلاق تلك البرمة عن وجهه الكريم ، وما شوهد من النور في المنزل الذي ولد فيه ودنو النجوم منهم وغير ذلك .
حكى السهيلي عن تفسير يقي بن مخلد الحافظ أن ابليس رن أربع رنات : حين لمن ، وحين أهبط ،

وحين ولد رسول الله (س) ، وحين انزلت الفاتحة . قال محمد بن اسحاق : وكان هشام بن عروة يحدث عن أبيه عن عائشة قالت: كان يهودى قد سكن مكة يتجر بها فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله (س) قال في مجلس من قريش: يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود؟ فقال القوم والله ما نعلمه فقال الله أكبر، أما إذا أخطأكم فلا بأس انظروا واحفظوا ما أقول لكم: ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة الاخيرة، بين كتفيه علامة فيها شمرات متواترات كأنهن عرف فرس. لا يرضع ليلتين وذلك أن عفريتا من الجن ادخل أصبعه في فمه فنعه الرضاع فتصدع القوم من مجلسهم وهم يتعجبون من قوله وحديثه فلما صاروا الى منازلهم أخبر كل انسان منهم أهله فقالوا قد والله ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فالتقى القوم فقالوا هل سمعتم حديث اليهودى وهل بانكم مولد هذا الغلام؟ فانطلقوا حتى جاءوا اليهودى فاخبروه الخبر. قال فاذهبوا معي حتى أنظر اليه. فخرجوا به حتى أدخلوه على آمنة فتناولوا اخرجى اليها ابنك فاخرجته وكشفوا له عن ظهره. فرأى تلك الشامة. فوقع اليهودى مفشيا عليه. فلما أفاق قالوا له مالك ويحك؟ قال قد ذهبت والله النبوة من بنى اسرائيل، فرحتم بها يا معشر قريش. والله ليطنون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب.

وقال محمد بن اسحاق: حدثني صالح بن ابراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة قال حدثني من شئت من رجال قومي ممن لا أنهم عن حسان بن ثابت. قال: إني لفلان ببيعة ابن سمع سنين - أو ثمان سنين - أعقل ملرايت وسمعت اذا يهودى في يثرب يصرخ ذات غداة يا معشر يهود فاجتمعوا اليه - وأنا أسمع - فقالوا ويحك مالك؟ قال قد طلع نجم احمد الذي يولد به في هذه الليلة. وروى الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة من حديث أبي بكر بن عبد الله العامري عن سليمان بن سحيم وذريح بن عبد الرحمن كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال سمعت أبي مالك بن سنان يقول جئت بنى عبد الأشمل يوما لا تحدث فيهم ونحن يومئذ في هدنة من الحرب، فسمعت يوشع اليهودى يقول: أظن خروج نبي يقال له أحمد يخرج من الحرم. فقال له خليفة بن ثعلبة الأشملى - كالمستهزى به ما صفته؟ فقال رجل ليس بالتصير ولا بالطويل في عينيه حمرة يلبس الشملة ويركب الحمار. سيفه على عاتقه وهذا البلد مهاجرة. قال فرجعت الى قومي بنى خندرة وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع فاسمع رجلا منا يقول ويوشع يقول هذا وحده؟! كل يهود يثرب يقولون هذا. قال أبي مالك بن سنان فخرجت حتى جئت بنى قريظة فأجد جمعا فتذاكروا النبي (س). فقال الزبير بن باطا: قد طلع الكوكب الاحمر الذي لم يطالع إلا لخروج نبي أو ظهوره ولم يبق أحد إلا احمد وهذا مهاجرة. قال أبو سعيد فلما قدم النبي (س)، أخبره أبي هذا الخبر فقال رسول الله (س): «لو أسلم الزبير لأسلم ذووه من رؤساء اليهود انما هم له تبع» وقال أبو نعيم: حدثنا عمر بن محمد حدثنا ابراهيم بن السندی حدثنا النضر بن سلمة حدثنا

اسماعيل بن قيس بن سليمان بن زيد بن ثابت عن أم سعد بنت سعد بن الربيع سمعت زيد بن ثابت يقول: كان أحبار يهود بني قريظة والنضير يذكرون صفة النبي (ص)، فلما طلع الكوكب الأحمر أخبروا أنه نبي وأنه لا نبي بعده . واسمه أحمد ومهاجره الى يثرب فلما قدم رسول الله (ص)، المدينة أنكروا وحسدوا وكفروا . وقد أورد هذه القصة الحافظ أبو نعيم في كتابه من طرق أخرى والله الحمد .

وقال أبو نعيم ومحمد بن حبان : حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أسامة بن زيد ، قال قال زيد بن عمرو ابن نفيل قل لي حبر من أحبار الشام : قد خرج في بلدك نبي - أو هو خارج - قد خرج نجهه فارجع فصدقه واتبعه .

ذكر النجس الكسرى

﴿ وسقوط الشرفات وخرود النيران ورؤيا الموبدان وغير ذلك من الدلالات ﴾

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتاب هواتف الجن : حدثنا علي بن حرب - حدثنا أبو أيوب يعلى بن عمران - من آل جرير بن عبد الله البجلي - حدثني مخزوم بن هاني المخزومي عن أبيه - وأتت عليه خمسون ومائة سنة - قال : لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله (ص)، ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخذت نلر فارس ، ولم تخدم قبل ذلك بالف عام ، وغاضت بحيرة ساوة ، ورأى الموبدان إبلا صعباً تقود خيلاً عرباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادهم ، فلما أصبح كسرى أفزع ذلك فتصبر عليه تشجماً ، ثم رأى أنه لا يدخر ذلك عن مرآزبه فجمعهم وابس ناجه وجلس على سريريه . ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا عنده . قال : أتدرون فبم بعث اليكم قالوا لا إلا أن يخبرنا الملك ، فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب خرد النيران فزاد غمماً إلى غمه ، ثم أخبرهم بما رأى وما هاله ، فقال الموبدان وأنا - أصلح الله الملك - قد رأيت في هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه في الابل ، فقال أي شيء يكون هذا يا موبدان ؟ قال حدث يكون في ناحية العرب - وكان أعلمهم من أنفسهم - فكتب عند ذلك : من كسرى ملك الملوك الى النعمان بن المنذر ، أما بعد فوجه الى رجل عالم بما أريد أن أسأله عنه ، فوجه اليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بن نفيلة الغساني ، فلما ورد عليه قل له : ألك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟ فقال لتخبرني أو ليسألتك عما أحب ، فان كان عندي منه علم وإلا أخبرته بمن يعلم . فأخبره بالذي وجه به اليه فيه . قال علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيج ، قال فآفته فأسأله عما سألتك عنه ثم اثني بتفسيره . فخرج عبد المسيح

حتى انتهى إلى سطيح وقد أشفى على الضريح . فسلم عليه وكلمه فلم يرد إليه سطيح جواباً فانشأ يقول :

أصمُّ أم يسمع غطريفَ البنِّ أم فادَ فازَ لم بهِ شأو العنن
يا فاصلَ الخلعة أعبت من ومن أنك شيخُ الحمي من آل سنن
وأمه من آلِ ذئب بن حجن أزرقُ نهمُ النابِ صرَّارِ الاذن
أبيضُ فضفاضِ الرداءِ والبدن رسولُ قِبَلِ العُجمِ يسري للوسن
يجوبُ بي الارضَ علنداءُ شرن لا يرهب الرعدَ ولا رَيْبَ الزمن
ترفضي وجنا وتهوي بي وجن حتى آبي عاري الجآجي والقطن
تلفه في الريح بوغاءُ الدمن كأنما حثحث من حضني تكن (١)

قال فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه يقول : عبد المسيح ، على جبل مشيخ ، أتى سطيح ، وقد أو في على الضريح ، بعثك ملك بني ساسان ، لارتجاس الايوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبدان ، رأى إبلا صعباً ، تقود خيلاً عرباً ، قد قطعت دجلة ، وانتشرت في بلادها ، يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب المراوة ، وفاض وادي السماوة ، وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس ، فليس الشام لسطيح شاماً . يملك منهم ملوك وملكات ، على عدد الشرفات وكما هو آت آت . ثم قصي سطيح مكانه قهض عبد المسيح إلى راحلته وهو يقول :

شمرُّ فإنك ماضي العزمِ شمير لا يفزعنك تفريق وتغير
إن يمسي ملكُ بني ساسان أفرطهم فإن ذا الدهرَ أطوارُ دهارير
فربما ربما أضحوا بمنزلةٍ يخاف صولهم الأسدُ المهاصير
منهم أخو الصرح بهرامٌ وإخوته والهزُمزانُ وشابورٌ وسابور
والناسُ أولادِ علاتٍ فمن علوا أن قد أقلَّ فحقورٌ ومهجور
ورب قومٍ لهم صحبان ذى اذن بدت تلهيهم فيه المزامير
وهم بنو الامِ إما إن رأوا نشباً فذاك بالغيبِ محفوظٌ ومنصور
والخيرُ والشرُّ مقرونان في قرنٍ فانخير متبَعٌ والشرُّ محذور

قال فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بما قال له سطيح ، فقال كسرى إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً كانت أمور وأمر ، فملك منهم عشرة في أربع سنين ، وملك الباقيون إلى خلافة عثمان رضي الله عنه . ورواه البيهقي من حديث عبد الرحمن بن محمد بن إدريس عن علي بن حرب الموصلي بنحوه .

(١) راجعنا كثيراً من مغان هذه القصة فوجدنا فيها اختلافاً كبيراً بزيادة وقص وقد اعتمدنا في

تصحيحها على لسان العرب في مادة سطح ج ٢ ص ٣١٢ نقلاً عن محمود الامام

قلت : كان آخر ملوكهم - الذي سلب منه الملك بزجر بن شهر بار بن أرويز بن هرم بن أنوشروان وهو الذي انشق الايوان في زمانه . وكان لاسلافه في الملك ثلاثة آلاف سنة ومائة وأربعة وستون سنة . وكان أول ملوكهم خيومرت بن أيم بن لاوذب بن سام بن نوح (١) .

أما سطيح هذا فقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه هو الربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب ابن عدي بن مازن بن الازد . ويقال الربيع بن مسعود وامه ردعا بنت سعد بن الحارث الحجوري وذكر غير ذلك في نسيبه . قال وكان يسكن الجابية ثم روى عن أبي حاتم السجستاني قال سمعت المشيخة منهم أبو عبيدة وغيره قالوا وكان من بعد لقمان بن عاد . ولد في زمن سيل العرم وعاش إلى ملك ذي نواس وذلك نحو من ثلاثين قرناً وكان مسكنه البحرين وزعمت عبد القيس أنه منهم وتزعم الازد أنه منهم وأكثر المحدثين يقولون هو من الازد ولا ندري ممن هو غير أن ولده يقولون إنه من الازد . وروى عن ابن عباس أنه قال : لم يكن شيء من بني آدم يشبه سطيحاً إنما كان لحما على وضم ليس فيه عظم ولا عصب إلا في رأسه وعينه وكفيه وكان يطوى كما يطوى الثوب من رجله إلى عنقه . ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه . وقال غيره إنه كان إذا غضب اتفخ وجاس . ثم ذكر ابن عباس أنه قدم مكة فلقاه جماعة من رؤسائهم منهم عبد شمس وعبد مناف أبناء قصى فامتحنوه في أشياء فأجابهم فيها بالصدق ، فسألوه عما يكون في آخر الزمان . فقال خذوا مني ومن الهام الله إياي : أنتم الآن يامعشر العرب في زمان الهرم - واه بصائركم وبصائر العجم ، لا علم عندكم ولا فهم ، وينشئ من عقبكم ذوروفهم ، يطلبون أنواع العلم فيكسرون الصنم ، ويتبعون الردم ، ويقتلون العجم ، يطلبون الضم . ثم قال والباقي الابد ، والبالغ الامد ليخرجن من ذا البلد ، نبي مهتد ، يهدي إلى الرشده ، يرفض بغوث والفند ، يبرأ عن عبادة الضدد ، يمد رباً انفراد ، ثم يتوفاه الله بخير دار محموداء ، من الأرض مقوداً ، وفي السماء مشهوداً ، ثم يلي أمره الصديق إذا قضى صدق ، وفي رد الحقوق لا خرق ولا تزق ، ثم يلي أمره الحنيف ، مجرب غطريف ، قد أضاف المضيف ، وأحكم التحنيف . ثم ذكر عثمان ومقتله وما يكون بعد ذلك من أيام بني أمية ثم بنى العباس . وما بعد ذلك من الفتن والملاحم ساقه ابن عساكر بسنده عن ابن عباس بطوله . وقد قدمنا قوله لربيعة بن نصر ملك اليمن حين أخبره برؤياه قبل أن يخبره بها ثم ما يكون في بلاد اليمن من الفتن وتغيير الدول حتى يعود إلى سيف بن ذي يزن فقال له : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قل بل ينقطع . قال ومن ينقطعه ؟ قال نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي قال ومن هذا النبي ؟ قال من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر ؟ قال نعم ، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ، يسهده فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال أحق ما تخبرني ؟

(١) من هنا إلى قوله وقال أبو نعيم في صفحة ٢٧٢ مکتوب بمحاشية الحلبي لم يرد في المصرية .

قال نعم والشفق والنسق والقمر إذا اتسق إن ما أنباتك عليه لحق . وواقفه على ذلك شق سوآ بسوا
ببارة أخرى كما تقدم . ومن شعر مطيح قوله :

عليكم بتقوى الله في السر والجرير ولا تلبسوا صدق الامانة بالذر
وكونوا لجار الجنب حيصاً وجنة إذا ما عرته النائبات من الدهر

وروى ذلك الحافظ ابن عساكر ثم أورد ذلك المعاني بن زكريا الجريري فقال : وأخبار مطيح
كثيرة وقد جمعها غير واحد من أهل العلم . والمشهور أنه كان كاهناً وقد أخبر عن النبي (ص) وعن نفعه
ومبعثه . وروى لنا بإسناد الله به أعلم أن النبي (ص) سئل عن مطيح فقال : « نبي ضيعة قومه » .

قلت : أما هذا الحديث فلا أصل له في شيء من كتب الاسلام المعهودة ولم أره بإسناد أصلا .

ويروى مثله في خبر خالد بن ستان العبسي ولا يصح أيضاً وظاهر هذه العبارات تدل على علم جيد

لمطيح وفيها روايح التصديق لكنه لم يدرك الاسلام كما قال الجريري . فانه قد ذكرنا في هذا الاثر أنه

قال لابن أخته : يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب الهراوة ، وفاض وادي السماوة

وغاضت بحيرة ساوة ، وخذت نار فارس ، فليس الشام لمطوح شاماً بملك منهم ملوك وملكات ، على

عدد الشرفات وكل ماهو آت آت ثم قضى مطيح مكانه وكان ذلك بعد مولد رسول الله (ص) بشهر -

أوشية - أي أقل منه - وكانت وفاته باطراف الشام مما يلي أرض العراق - فله أعلم بأمره وما صار اليه .

وذكر ابن طرار الجريري^(١) أنه عاش سبعاً وثمانين سنة . وقال غيره خمسمائة سنة ، وقيل ثلاثمائة سنة فله أعلم .

وقد روى ابن عساكر أن ملكاً سأل مطيحاً عن نسب غلام اختلف فيه فأخبره على الجلية في كلام

طويل مليح فصيح . فقال له الملك يا مطيح ألا تخبرني عن علمك هذا؟ فقال إن علمي هذا ليس مني

ولا يجزم ولا بظن ولكن أخذته عن أخ لي قد سمع الوحي بطور سيناء . فقال له أرايت أخاك هذا الجني

أهو معك لا يفارقك ، فقال انه ليزول حيث أزول ، ولا أنطق إلا بما يقول . وتقدم أنه ولد هو وشق بن

مصعب بن يشكر بن رهم بن بسر بن عقبة الكاهن الآخر ولدا في يوم واحد ، فحملا إلى الكاهنة طريقة

بنت الحسين الحميدية فتفلت في أفواهما فوراً منها الكهانة وماتت من يومها . وكان نصف إنسان ويقال

إن خالد بن عبد الله القسري من سلالة ، وقد مات شق قبل مطيح بدهر .

وأما عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن خيلة الغساني النصراني فكان من المعمرين وقد

ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه وقال هو الذي صالح خالد بن الوليد على^(٢) . . . وذكر له معه قصة

طويلة وأنه أكل من يده سم ساعة فلم يصبه سوء لانه لما أخذه قال : بسم الله و بالله رب الارض والسماء

الذي لا يضر مع اسمه أذى . ثم أكله فله غشبة فضرب بيديه على صدره ثم عرق وأفاق رضي الله عنه

(١) هكذا بالأصل ولعله المعاني بن زكريا الجريري . (٢) كذا في الاصل بياض

وذكر لعبد المسيح أعماراً غير ما تقدم (١)

وقال ابو نعيم: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا عتبة بن مكرم حدثنا المسيب بن شريك حدثنا محمد بن شريك عن شعيب بن شعيب عن أبيه عن جده. قال: كان عمر الظهران راهب من الرهبان يدعى عيصاه من أهل الشام وكان متخفراً بالعاص بن وائل وكان الله قد آتاه علماً كثيراً وجعل فيه منافع كثيرة لأهل مكة من طيب ورفق وعلم. وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة في كل سنة فيأتي الناس ويقول إنه يوشك أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة يدين له العرب ويملك المعجم هذا زمانه ومن أدركه واتبعه أصاب حاجته ومن أدركه فخالفه اخطأ حاجته وبالله ما تركت أرض الحر والخير والأمن ولا حلت بارض الجوع والبؤس والخوف الا في طلبه وكان لا يولد بمكة مولود إلا يسأل عنه فيقول ما جاء به. فيقال له فصفه فيقول لا. ويكنم ذلك للذي قد علم انه لاق من قومه مخافة على نفسه ان يكون ذلك داعية الى ادنى ما يكون اليه من الاذى يوماً. ولما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله (ص) خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى أتى عيصاه فوقف في أصل صومعته ثم نادى: يا عيصاه. فناداه من هذا؟ فقال انا عبد الله فاشرف عليه فقال كن اباه فقد ولد المولود الذي كنت احدثكم عنه يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين ويموت يوم الاثنين قال فانه قد ولد لي مع الصبح مولود. قال فما سميته؟ قال محمداً قال والله لقد كنت اشتهى أن يكون هذا المولود فيكم أهل البيت لثلاث خصال نعرفه بها منها أن نجمه طلع البارحة وانه ولد اليوم وان اسمه محمد. انطلق اليه فان الذي كنت أخبركم عنه ابنك. قال فما يدريك انه ابني ولعله أن يولد في هذا اليوم مولود غيره؟ قال قد وافق ابنك الاسم ولم يكن الله يشبهه علمه على العلماء فانه حجة. وآية ذلك انه الآن وجع فيشتكي أياماً ثلاثة، فيظهر به الجوع ثلاثاً ثم يعافى. فاحفظ لسانك فانه لم يحسد أحد حسده قط ولم يبيع على أحد كما يبغي عليه. ان تعش حتى يبدو مقاله ثم يدعو لظهرلك من قومك مالا تحتله الا على صبر وعلى ذل فاحفظ لسانك ودارعنه قال فما عمره؟ قال ان طال عمره وان قصر لم يبلغ السبعين، يموت في وتردونها من الستين في احدى وستين او ثلاث وستين في اعمار جل امته. قال وحمل برسول الله (ص) في عاشر المحرم. وولد يوم الاثنين لثني عشرة خلت من رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة اصحاب الفيل هكذا رواه ابو نعيم وفيه غرابة.

حولاته وولادته عليه الصلاة والسلام

كانت ام أيمن واسمها بركة تحضنه، وكان قد ورثها عليه الصلاة والسلام من ابيه فلما كبر اعتقها وزوجها مولاه زيد بن حارثة، فولدت له أمامة بن زيد رضى الله عنهم. وارضعته مع امه عليه الصلاة والسلام مولاة عمه ابي لهب ثوية قبل حليلة السمدية. اخرج البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث

(١) إلى هنا آخر الحاشية التي بالحلبية.

الزهري عن عروة بن الزبير عن زينب بنت أم سلمة عن أم حبيبة بنت أبي سفيان . قالت: يا رسول الله انكح اختي بنت أبي سفيان - ولمسلم عزة بنت أبي سفيان - . فقال رسول الله صلى عليه وسلم « أو تحبين ذلك ؟ » قلت نعم لست لك بمخلية ، واحب من شاركني في خير اختي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « فان ذلك لا يحمل لي » قالت فانا نحدث انك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة - وفي رواية درة بنت أبي سلمة قال « بنت أم سلمة »؟ قالت نعم قال « انها لولم تكن ريديتي في حجرى ما حلت لي . انها لابنة أخي من الرضاعة . ارضعتني واباسلمة ثويبة . فلا تعرضن علي بناتكن ولا اخواتكن » زاد البخاري قال عروة . وثويبة مولاة لابي لهب اعتمها فارضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما مات ابو لهب أريه بعض أهله بشر خيبة . فقال له ماذا لقيت ؟ فقال ابو لهب لم ألق بعدكم خيراً غير أني سقيت في هذه بتاقتي ثويبة - وأشار الى النقرة التي بين الابهام والتي تليها من الاصابع - .

وذكر السهيلي وغيره : ان الراثي له هو اخوه العباس . وكان ذلك بعد سنة من وفاة ابي لهب بعد وقعة بدر . وفيه ان ابا لهب قال للعباس انه ليخفف علي في مثل يوم الاثنين . قالوا لانه لما بشرته ثويبة بميلاد ابن أخيه محمد بن عبد الله اعتمها من ساعته فجوزى بذلك لذلك .

رضاعه عليه الصلاة والسلام

من حليلة بنت ابي ذؤيب السعدية وما ظهر عليه من البركة وآيات النبوة

قال محمد بن اسحاق : فاسترضع له عليه الصلاة والسلام من حليلة بنت ابي ذؤيب ، واسمه عبد الله ابن الحارث بن شحنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان بن مضر (١) قال واسم ابي رسول الله (ص) الذي أرضعه - يعني زوج حليلة الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن . وأخوته عليه الصلاة والسلام - يعني من الرضاعة - عبد الله بن الحارث وأنيسة بنت الحارث وحذافة بنت الحارث وهي الشيماء وذكروا انها كانت تحضن رسول الله (ص) مع امه اذ كان عندهم .

قال ابن اسحاق : حدثني جهم بن ابي جهم مولى لامرأة من بني تميم كانت عند الحارث بن حاطب ، ويقال له مولى الحارث بن حاطب . قال حدثني من سمع عبد الله بن جعفر بن ابي طالب قال حدثت عن حليلة بنت الحارث انها قالت : قدمت مكة في نسوة (و ذكر الواقدي باسناده انهن كن عشرة نسوة من بني سعد بن بكر يلتمسن بها الرضعا) من بني سعد فلتمس بها الرضعا في سنة شهباء قدمت

(١) والذي في ابن هشام : ابن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر الخ وفي السهيلي قصية بالفاء تصغير فصاة . وهي النواة . ووقع في جميع نسخ ابن هشام قصية بالقاف .

على أثنى لي قراء كانت أذمت بلركب (١) ومي صبي لنا وشارف لنا والله ما نبض بقطرة . وما ننام
 ليلتنا ذلك أجمع (٢) مع صبينا ذاك ما نجد في ندي ما ينديه ولا في شارفنا ما ينديه . ولكننا كنا نرجو
 النيث والفرج . فخرجت على أثنى تلك فلقد أذمت بلركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجزاً . قدمنا
 مكة فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله (ص) فتأباه إذا قيل إنه يتيم تركناه .
 قلنا ماذا عسى أن تصنع الينا أمه ؟ إنما نرجو المعروف من أبي الولد فلما أمه فماذا عسى أن تصنع الينا ،
 فوالله ما نقي من صواحي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيري . فلما لم نجد غيره وأجمعنا الانطلاق قلت
 لزوجي الحارث بن عبد العزى والله إني لا أكره أن أرجع من بين صواحي ليس معي رضيع .
 لا نطلقن إلى ذلك اليتيم فلا خذنه . فقال لا عليك أن تفعل فمسي أن يجعل الله لنا فيه بركة . فذهبت
 فاخذته فوالله ما أخذته إلا أني لم أجد غيره ، فما هو إلا أن أخذته فحمت به رحلي فأقبل عليه ثدياً بما
 شاء من لبن . فشرب حتى روى وشرب أخوه حتى روى . وقام صاحبي إلى شارفنا تلك فاذا إنها
 لحافل ، فحلب ما شرب وشربت حتى رويها . فبتنا بخير ليلة فقال صاحبي حين أصبحنا يا حليلة والله
 إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة . ألم ترى ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه . فلم يزل الله
 عز وجل يزيدنا خيراً . ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا فوالله لتطمت أثنى بلركب حتى ما يتعلق بها حمار
 حتى أن صواحي ليقنن وبلك يا بنت أبي ذؤيب هذه أمانك التي خرجت عليها معنا ؟ فاقول نعم والله إنها
 لمي قلن والله إن لها لثاناً . حتى قدمنا أرض نبي سعد . وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها فان
 كانت غنمي لتسرح ثم تروح شباعاً لبنا فتحلب ماشئنا وما حوالينا أو حولنا أحد تبض له شاة بقطرة
 لبن وإن أغنامهم لتروح جيباً حتى إنهم ليقولون لعائهم - أو لرعيانهم - ويحكم انظروا حيث تسرح
 غنم بنت أبي ذؤيب فاسرحوا معهم . فيسرحون مع غنمي حيث تسرح فتروح أغنامهم جيباً ما فيها قطرة
 لبن وتروح أغنامي شباعاً لبناً تحلب ماشئنا . فلم يزل الله يرينا البركة تعرفها حتى بلغ سنتين فكان يشب
 شباباً لا تشبه الغلمان . فوالله ما بلغ السنتين حتى كان غلاماً جفراً (٣) قدمنا به على أمه ونحن أضن شيء به
 مما رأينا فيه من البركة . فلما رأته أمه قلت لها دعينا نرجع بابنتنا هذه السنة الأخرى فانا نخشى عليه وباء
 مكة . فوالله مازلنا بها حتى قالت نعم . فسرحته معنا فأتقنا به شهرين أو ثلاثة فبينما هو خلف بيوتنا مع
 أخ له من الرضاعة في بهم لنا جاء أخوه ذلك يشتد فقال ذلك أخى القرشي جاءه رجلان عليهما ثياب بيض
 فاضجعا فشقنا بطنه . فخرجت أنا وأبوه نشد نحموه فنجدته قائماً منتعماً لونه . فاعتقه أبوه وقال يا بني

(١) أي جاءت بما تدم عليه . أو يكون من قولهم بثرذمة أي قليلة الماء . ويروى حتى أذمت أي
 حبستهم وكأنه من الماء الدائم (٢) الذي في ابن هشام : وما ننام ليلتنا أجمع من صبينا الذي معنا من
 بكائه من الجوع . (٣) استجفر الصبي إذا قوى على الأكل نقلًا عن محمود الامام

ما شأنك؟ قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض أضجعتني وشقا بطي ثم استخرجا مني شيئاً فطرحاه ثم ردا كما كان فرجعنا به معنا فقال أبوہ بالحليمة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب فانطلق بنا نرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف . قالت حليمة فاحتملناه فلم ترع أمه إلا به . فقدمنا به عليهما فقالت ما رد كما به يا ظئر فقد كنتما عليه حريصين؟ فقالا لا والله إلا أن الله قد أدى عنا وقضينا الذي علينا وقلنا نخشى الائتلاف والاحداث نرده إلى أهله . فقالت ماذا بكما فاصدقاني شأنكما؟ فلم تدعنا حتى أخبرنا بما خبره ، فقالت أخشيما عليه الشيطان ، كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل . والله إنه لكائن لابني هذا شأن ألا أخبركما خبره؟ قلنا بلى ! قالت حملت به فما حملت حملاً قط أخف منه فاربت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور أضامت له قصور الشام ثم وقع حين ولدته وقوعاً ما يعمه المولود ، ممتدداً على يديه رافضاً رأسه إلى السماء ، فدعاة عنكما . وهذا الحديث قد روي من طرق آخر وهو من الاحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي .

وقال الواقدي: حدثني معاذ بن محمد عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال خرجت حليمة تطلب النبي (ص) وقد وجدت بهم قهيل فوجدته مع أخته فقالت في هذا الحر؟ فقالت اخته يا أمه ما وجد أخى حراً . رأيت غمامة تظلل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع .

وقال ابن اسحاق: حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله (ص) أنهم قالوا له أخبرنا عن نفسك . قال : « نعم أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى عليهما السلام ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضامت له قصور الشام ، واسترضعت في بني سعد بن بكر ، فبينما أنا في بهم لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض معهما طمت من ذهب مملوء ثلجاً فاضجعتني فشقا بطي ثم استخرجا قلبي فشقا فخرجا مني علقه سوداء فلقياها . ثم غسلا قلبي وبطي بذلك الثلج ، حتى اذا القياه رداً كما كان ، ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بمشرة من أمته فوزنتي بمشرة فوزنتهم ، ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنتي بمائة فوزنتهم . ثم قال زنه بالف من أمته فوزنتي بالف فوزنتهم ، فقال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنتهم » وهذا اسناد جيد قوى .

وقد روى أبو نعيم الحافظ في الدلائل من طريق عمر بن الصبيح وهو أبو نعيم عن ثور بن يزيد عن مكحول عن شداد بن اوس هذه القصة مطولة جداً ولكن عمر بن صبيح هذا متروك كذاب منهم بالوضع . فلماذا لم تذكر لفظ الحديث اذا لا يفرح به ثم قال : وحدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن غير حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا بية بن الوليد عن مجير بن سعيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن ابن عمرو السلمي عن عتبة بن عبد الله أنه حدثه أن رجلاً سأل النبي (ص) فقال: كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال: « كانت حاضتي من بني سعد بن بكر فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم نأخذ

معنا زاداً فقلت يا أخى اذهب فائتنا بزاد من عندنا فانطلق أخى ومكثت عند البهيم فأقبل طائران
أبيضان كأنهما نسران ، فقال أحدهما لصاحبه أهو هو ؟ فقال نعم فأقبلا يتندرانى فأخذانى فبطحانى للفتا
فشقا بطنى ثم استخرجا قلبى فشقاها . فأخرجا منه علقتين سوداوين ، فقال أحدهما لصاحبه اتنى بماء تلج
ففسلا به جوفى ثم قال اتنى بماء برد ففسلا به قلبى ثم قال اتنى بالسكينة فذرها فى قلبى ثم قال أحدهما
لصاحبه خطه فخاطه وختم على قلبى بخاتم النبوة ، فقال أحدهما لصاحبه اجعله فى كفة واجعل ألفاً من أمته
فى كفة ، فإذا أنا أنظر الى الالف فوقى اشفق أن يخر على بعضهم . فقال لو أن أمته وزنت به لمال بهم ثم
انطلقا فتركانى وفرقت فرقا شديداً ، ثم انطلقت الى أمى فأخبرتها بالذى لقيت فاشفتت أن يكون قد
لبس بي فقالت أعينك بالله . فرحلت بعيراً لها وحملتني على الرحل وركبت خلفي حتى بلغنا الى أمى ،
فقلت أدبت أمانتى وذمتي وحدثتها بالذى لقيت فلم يرعها . وقالت إني رأيت خرج منى نور أضاءت
منه قصور الشام » ورواه أحمد من حديث بقية بن الوليد به . وهكذا رواه عبد الله بن المبارك وغيره
عن بقية بن الوليد به . وقد رواه ابن عساكر من طريق أبي داود الطيالسي حدثنا جعفر بن عبد الله بن
عثمان القرشي أخبرني عمير بن عمر بن عروة بن الزبير . قال سمعت عروة بن الزبير يحدث عن أبي ذر
الغفاري قال قلت يا رسول الله كيف علمت أنك نبي حين علمت ذلك واستيقنت أنك نبي ؟ قال : « يا أبا
ذر أتانى ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة فوق أحدهما على الارض ، وكان الآخر بين السماء والارض
فقال أحدهما لصاحبه أهو هو ؟ قال هو هو . قال زنه برجل فوزنني برجل فرجحته » وذكر تمامه ، وذكر
شق صدره وخياطته وجعل الخاتم بين كتفيه قال « فما هو الا أن وليا عنى فكانما أعابن الأمر معاينة »
ثم آورد ابن عساكر عن أبي بن كعب بنحو ذلك . ومن حديث شداد بن أوس باسط من ذلك . وثبت
فى صحيح مسلم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك : أن رسول الله (ص) أتاه جبريل
عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب واستخرج منه علقه
سوداء فقال هذا حظ الشيطان ، ثم غسله فى طشت من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده فى مكانه
وجاء الغلمان يسعون الى أمه - يعنى ظنره - فقالوا إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون . قال
أنس وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره . وقد رواه ابن عساكر من طريق ابن وهب عن عمرو
ابن الحارث عن عبد ربه بن سعيد عن ثابت البناني عن أنس أن الصلاة فرضت بالمدينة ، وأن ملكين
أتيا رسول الله (ص) فذهبا به الى زمزم فشقا بطنه فأخرجا حشوته فى طشت من ذهب ففسلاه بماء زمزم
ثم لبسا جوفه حكمة وعلماً . ومن طريق ابن وهب أيضا عن يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى عن أبيه
عن عبد الرحمن بن عامر بن عتبة بن أبي وقاص عن أنس قال : أتى رسول الله (ص) ثلاث ليال قال
خذوا خيرهم وسيدهم ، فأخذوا رسول (ص) ، فعمد به الى زمزم فشق جوفه ثم أتى بتور من ذهب ففسل

جوفه ثم ملء حكمة وإيماناً . وثبت من رواية سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس . وفق الصحيحين من طريق شريك بن أبي نمر عن أنس وعن الزهري عن أنس عن أبي ذر وقتادة عن أنس وعن مالك بن صعصعة عن النبي (س) في حديث الاسراء كما سيأتي قصة شرح الصدر ليلتشد وإنه غسل بماء زمزم ، ولا منافاة لاحتمال وقوع ذلك مرتين مرة وهو صغير ومرة ليلة الاسراء ليتأهب للوفود إلى الملاء الأعلى ولمناجاة الرب عز وجل والمثول بين يديه تبارك وتعالى .

وقال ابن اسحاق : وكان رسول الله (س) يقول لا مهاجبه : « أنا أعر بكم ، أنا قرشي واسترضت في بني سعد بن بكر » وذكر ابن اسحاق : أن حليلة لما أرجعته إلى أمه بعد فطامه مرت به على ركب من النصارى فقاموا إليه عليه الصلاة والسلام فقلبوه وقالوا إناسنذهب بهذا الغلاء إلى ملائكتنا فإنه كائن له شأن فلم تكذب تنفلت منهم إلا بعد جهد . وذكر أنها لما ردتها حين تخوفت عليه أن يكون أصابه عارض ، فلما قربت من مكة افتقدته فلم تجده فجاءت جده عبد المطلب فخرج هو وجماعة في طلبه ، فوجده ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش فاتيا به جده ، فأخذه على عاتقه وذهب فطاف به يموزه ويدعو له ثم رده إلى أمه آمنة . وذكر الأموي من طريق عثمان بن عبيد الرحمن الواقصي - وهو ضعيف - عن الزهري عن سعيد بن المسيب قصة مولده عليه الصلاة والسلام ورضاعه من حليلة على غير سياق محمد بن اسحاق . وذكر أن عبد المطلب أمر ابنه عبد الله أن يأخذه فيطوف به في أحياء العرب ليتخذ له مرضعة فطاف حتى استأجر حليلة على رضاعه وذكر أنه أقام عندها ست سنين تزيره جده في كل عام فلما كان من شق صدره عندهم ما كان رده اليهم فأقام عند أمه حتى كان عمره ثمانين سنين ماتت فكفله جده عبد المطلب فمات وله عليه الصلاة والسلام عشر سنين ، فكفله عمه شقيقاً أبيه الزبير وأبو طالب ، فلما كان له بضع عشرة سنة خرج مع عمه الزبير إلى اليمن . فقد ذكر أنهم رأوا منه آيات في تلك السفر منها أن خلا من الأبل كان قد قطع بعض الطريق في واد مرمم عليه فلما رأى رسول الله (س) برك حتى حك بكلكاه الأرض فركبه عليه الصلاة والسلام . ومنها أنه خاض بهم سيلاً عراً فأبىه الله تعالى حتى جاوزوه ثم مات عمه الزبير وله أربع عشرة سنة فافرد به أبو طالب .

والمقصود أن بركته عليه الصلاة والسلام حلت على حليلة السعدية وأهلها وهو صغير ثم عادت على هوازن بكاملهم فواضله حين أسرمهم بمعد وقتهم ، وذلك بعد فتح مكة بشهر . فمتوا إليه برضاعه فاعتنهم وتحنن عليهم وأحسن اليهم كما سيأتي مفصلاً في موضعه إن شاء الله تعالى .

قال محمد بن اسحاق : في وقعة هوازن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . قال : كنا مع رسول الله (س) بمجنين فلما أصاب من أموالهم وسبائهم أدركه وفد هوازن بالجرانة وقد أسلدوا ، فقالوا يا رسول الله إنا أهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامنن علينا من الله عليك . وقام

خطيبهم زهير بن سرد فقال : يا رسول الله إن ما في الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ، فلو آما ملحننا (١) ابن أبي شمر ، أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منها مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما ، وأنت خير المكفولين . ثم أنشد :

أمنن علينا رسول الله في كرم
أمنن على بيضة قد عاقها قدر
أبقت لنا الدهر هتافاً على حزن
إن لم تداركها فمأء تنشرها
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها
لا تجعلنا كن شالت فعامته
إنا لنشكر للنعمى وإن كفرت
فإنك المرء رجوه وندخر
ممزق شملها في دهرها غير
على قلوبهم الغاء والنمر
يا أرجح الناس حلاً حين يختبر
إذ فوك تملؤه من محضها قدر
وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
واستبق منا فانا مشر زهر
وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

وقد رويت هذه القصة من طريق عبيد الله بن رماحس الكلبى الرملى عن زياد بن طارق الجشمى عن أبي سرد زهير بن جرول - وكان رئيس قومه - قال لما أسرنا رسول الله (ص) يوم حنين فيينا هو يميز بين الرجال والنساء وثبت حتى قسمت بين يديه وأسمته شعراً ، أذكره حين شب ونشأ في هوازن حيث أرضعوه :

أمنن علينا رسول الله في دعة
أمنن على بيضة قد عاقها قدر
أبقت لنا الحرب هتافاً على حزن
إن لم تداركها فمأء تنشرها
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها
إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها
لا تجعلنا كن شالت فعامته
إنا لنشكر للنعمى وإن كفرت
فألبس العفوم من قد كنت ترضعه
إنا نؤمل عفواً منك تلبه
فاغفر عفا الله عما أنت راهبه
فإنك المرء رجوه ومنتظر
ممزق شملها في دهرها غير
على قلوبهم الغاء والنمر
يا أرجح الناس حلاً حين يختبر
إذ فوك تملؤه من محضها الدرر
وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
واستبق منا فانا مشر زهر
وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
من أمهاتك إن العفو مشر
هذي البرية إذ عفواً وتنتصر
يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

(١) يعنى أرضعنا . وابن أبي شمر هو الحارث الضمى .

قال رسول الله (ص): «أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لله ولكم» قالت الانصار: وما كان لنا فهو لله ولرسوله (ص). وسيأتي أنه عليه الصلاة والسلام أطلق لهم الذرية وكانت ستة آلاف ما بين صبي وامرأة، وأعطاهم أنعاماً وألمسى كثيراً. حتى قال أبو الحسين بن فارس فكان قيمة ما أطلق لهم يومئذ خمسمائة ألف ألف درهم. فهذا كله من بركته العاجلة في الدنيا، فكيف ببركته على من اتبعه في الدار الآخرة.

فضيلة أمه

قال ابن اسحاق: بعد ذكر رجوعه عليه الصلاة والسلام إلى أمه آمنة بعد رضاعة حليلة له. فكان رسول الله (ص) مع أمه آمنة بنت وهب، وجدد عبد المطلب في كلامة الله وحفظه، يبنته الله نباتاً حسناً لما يريد به من كرامته فلما بلغ ست سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب.

قال ابن اسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أم رسول الله (ص) آمنة توفيت وهو ابن ست سنين بالابواء بين مكة والمدينة، كانت قد قدمت به على اخواله من بني عدى بن النجار تزيره أيامهم. فماتت وهي راجعة به إلى مكة. وذكر الواقدي باسنيده أن النبي (ص) خرجت به أمه إلى المدينة ومعه أم أيمن وله ست سنين، فزارت اخواله. قالت أم أيمن فجاءني ذات يوم رجلان من يهود المدينة فقالا لي أخرجي الينا أحمد تنظرا إليه، فنظرا إليه وقلباها فقال أحدهما لصاحبه هذا نبي هذه الأمة وهذا دار هجرته، وسيكون بها من القتل والسبي أمر عظيم. فلما سمعت أمه خافت وانصرفت به، فماتت بالابواء وهي راجعة. وقد قال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا أيوب ابن جابر عن سماك عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابن بريدة عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله (ص) حتى إذا كنا بوذان قل «مكانكم حتى آتيتكم» فانطلق ثم جاءنا وهو ثقيل، فقال: «إني أتيت قبر أم محمد فسألت ربي الشفاعة - يعني لها - فنعنيها، وإني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، وكنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام فكأوا وامسكوا ما بدا لكم، ونهيتكم عن الاشربة في هذه الاوعية فاشربوا ما بدا لكم» وقد رواه البيهقي من طريق سفیان الثوري عن علقمة بن يزيد عن سليمان ابن بريدة عن أبيه قال: انتهى النبي (ص) إلى رسم قبر فجلس وجلس الناس حوله، فجعل يحرك رأسه كالخطاب ثم بكى فاستقبله عمر فقال ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: «هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربي في أن أزور قبرها فلذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فإني غلي، وأدر كنتي رقتها فبكيك». قال فما رويت ساعة أكثر باكياً من تلك الساعة. فابنه محارب بن دثار عن بريدة عن أبيه. ثم روى البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن بحر بن نصر عن عبد الله بن وهب حدثنا ابن جريج عن أيوب بن هاني عن

مسروق بن الاجدع عن عبد الله بن مسعود . قال : خرج رسول الله (ص) ، ينظر في المقابر ، وخرجنا معه ، فامرنا فجلسنا ثم نخطى القبور حتى انتهى الى قبر منها - فناجاه طويلاً ثم ارتفع نحيب رسول الله (ص) : يا كيا فبكينا لبكاء رسول الله (ص) ، ثم ان رسول الله (ص) اقبل علينا فلتقاه عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله ما الذي ابكاك ؟ لقد ابكنا وافرغنا . فجاء فجلس اليما فقال : « افرغكم بكائي ؟ قلنا نعم ! قال : « ان القبر الذي رأيتوني اتاجى قبر آمنة بنت وهب ، واني استأذنت ربي في زيارتها فاذن لي ، واستأذنت ربي في الاستغفار لها فلم ياذن لي فيه ، ونزل على (ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم ، وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حلیم) فاخذني ما ياخذ الولد لوالده من الرقة فذلك الذي ابكاني » غريب ولم يخرجوه . وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن عبيد عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : زار النبي (ص) قبر أمه فبكى وابكى من حوله ثم قال : « استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي ، فزوروا القبور تذكركم الموت » . وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلاً قال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال : « في النار » فلما قفا دعاه فقال : « إن أبي وأباك في النار » . وقد روى البيهقي من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين عن ابراهيم بن سعد عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه . قال : جاء أعرابي الى النبي (ص) فقال إن أبي كان يصل الرحم ، وكان ، وكان ، فأين هو ؟ قال : « في النار » قال فكان الأعرابي وجد من ذلك ، فقال يا رسول الله أين أبوك ؟ قال : « حيثما سردت بقبر كافر فبشره بالنار » قال فسلم الأعرابي بعد ذلك . فقال : لقد كافى رسول الله (ص) تعباً ، ما سردت بقبر كافر الا بشرته بالنار . غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه . وقال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد - هو ابن أبي أيوب - حدثنا ربيعة بن سيف المفايري عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو . قال بينا نحن نمشي مع رسول الله (ص) إذ بصر بامرأة لا يظن أنه عرفها ، فلما توسط الطريق وقف حتى انتهت اليه ، فاذا فاطمة بنت رسول الله (ص) ، فقال : « ما أخرجك من بيتك يا فاطمة ؟ فقالت أتيت اهل هذا البيت فترحت اليهم ميتهم وعزيتهم . قال : « لعلك بلغت معهم الكدى (١) » قالت معاذ الله أن أكون بلغتها معهم وقد سمعتك تذكر في ذلك ما تذكر (٢) . قال : « لو بلغتهم معهم ما رأيت الجنة حتى يراها جسد أريك » ثم رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي من حديث ربيعة بن سيف بن مانع المفايري الصنمى

(١) أراد بها المقابر وذلك لأنها كانت مقابرهم في مواضع صلبة . وهي جمع كدية القطعة الغليظة من الأرض

(٢) هو ما رواه أصحاب السنن من قوله (ص) « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج »

الاسكندري وقد قال البخارى عنده منا كير . وقال النسائي : ليس به باس وقال مرة صدوق ، وفي نسخة ضعيف . وذكره ابن حبان في الثقات وقال كان يخطى كثيراً . وقال الدارقطني صالح . وقال ابن يونس في تاريخ مصر في حديثه منا كير توفي قريبا من سنة عشرين ومائة ، والمراد بالكدي القبور - وقيل النوح -

والمقصود أن عبد المطلب مات على ما كان عليه من دين الجاهلية خلافا لفرقة الشيعة فيه وفي ابنه أبي طالب على ما سيأتي في وفاة أبي طالب ، وقد قال البيهقي - بعد روايته هذه الاحاديث في كتابه دلائل النبوة : وكيف لا يكون أبواه وجده عليه الصلاة والسلام بهذه الصفة في الآخرة وقد كانوا يعبدون الوثن ، حتى ماتوا ولم يدينوا دين عيسى بن مريم عليه السلام ، وكفرهم لا يقدر في نسيبه عليه الصلاة والسلام لأن انكحة الكفار صحيحة . الا تراهم يسلون مع زوجاتهم فلا يلزمهم تجديد العقد ولا مفارقتهم إذا كان مثله يجوز في الاسلام وبالله التوفيق . انتهى كلامه .

قلت : واخباره (س) عن أبويه وجده عبد المطلب بانهم من أهل النار لا ينافي الحديث الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والاطفال والمجانين والصم يمتحنون في العرصات يوم القيامة كما بسطناه سندا ومتنا [في تفسيرنا] عند قوله تعالى (وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا) فيكون منهم من يجيب ومنهم من لا يجيب . فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب فلا مناقاة والله الحمد والمنة .
وأما الحديث الذي ذكره السهيلي وذكر أن في اسناده مجهولين الى ابن أبي الزناد عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله (س) سأل ربه أن يحيي أبويه ، فحياهما وآمنا به ، فانه حديث منكر جداً . وان كان ممكنا بالنظر الى قدرة الله تعالى . لكن الذي ثبت في الصحيح يعارضه والله أعلم .

فضيلة النبي

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله (س) مع جده عبد المطلب بن هاشم - يعني بعد موت أمه آمنة بنت وهب - فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج اليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له . قال فكان رسول الله (س) يأتي وهو غلام جفرا حتى يجلس عليه . فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه . فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دعوا ابني فوالله إن له لثأنا ، ثم يجلسه معه على فراشه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع . وقال الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله عن الزهري وحدثنا عبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله . وحدثنا هاشم بن عاصم الاسدي عن المنذر بن جهم . وحدثنا معمر عن ابن أبي نجيب عن مجاهد . وحدثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز عن أبي الجويرث . وحدثنا ابن أبي سبرة عن سليمان بن

سحيم عن نافع عن ابن جبير - دخل حديث بعضهم في بعض - قالوا : كان رسول الله (ص) يكون مع أمه آمنة بنت وهب ، فلما توفيت قبضه اليه جده عبد المطلب وضه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده ، وكان يقربه منه ويدنيه ويدخل عليه اذا خلا واذا نام . وكان يجلس على فراشه فيقول عبد المطلب اذا رأى ذلك دعوا ابني إنه يؤسس ملكاً .

وقال قوم من بني مدلج لعبد المطلب احتفظ به فاننا لم نر قدماً أشبه بالتقدم الذي في المقام منه . فقال عبد المطلب لأبي طالب : اسمع ما يقول هؤلاء . فكان أبو طالب يحتفظ به . وقال عبد المطلب لأم أيمن - وكانت تحضنه - يا بركة لا تغفلي عن ابني فاني وجدته مع غلمان قريب من السدرة ، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة . وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا يقول على با بني فيؤتى به اليه .

فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله (ص) ، وحياطته ثم مات عبد المطلب ودفن بالحجون .

وقال ابن اسحاق : فلما بلغ رسول الله (ص) ثمان سنين هلك جده عبد المطلب بن هاشم . ثم ذكر جمعه بناته وأمره إياهن أن يرثينه . وهن ، أروى وأميمة ، وبرة ، وصفية ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء وذكرا أشعارهن وما قلن في رثاء أبهن وهو يسمع قبل موته وهذا أبلغ النوح . وبسط القول في ذلك وقد قال ابن هشام ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر .

قال ابن اسحاق : فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولي السقاية وزمزم به - به ابنه العباس ، وهو من أحدث إخوته سناً فلم تزل اليه حتى قام الاسلام وأقرها في يده رسول الله (ص) . وكان رسول الله (ص) بعد جده عبد المطلب مع عمه أبي طالب لوصية عبد المطلب له به ، ولأنه كان شقيق أبيه عبد الله أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائد بن عمران بن مخزوم . قال فكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله (ص) وكان اليه ومعه . وقال الواقدي : أخبرنا معمر عن ابن نجيح عن مجاهد . وحدثنا معاذ بن محمد الانصاري عن عطاء عن ابن عباس . وحدثنا محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر وابراهيم بن اسماعيل بن أبي حبيبة - دخل حديث بعضهم في حديث بعض - قالوا : لما توفي عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله (ص) فكان يكون معه ، وكان أبو طالب لا مال له وكان يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده ، وكان لا ينام إلا إلى جنبه ، ويخرج فيخرج معه . وصب به أبو طالب صبابة لم يصب مثلها بشيء قط . وكان يخصه بالطعام وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا ، وإذا أكل معهم رسول الله (ص) شبعوا . فكان إذا أراد أن يفتديهم قال كما أنتم حتى يأتي ولدي . فيأتي رسول الله (ص) فيأكل معهم فكانوا يفضلون من طعامهم وإن لم يكن منهم لم يشبعوا فيقول أبو طالب إنك

لمبارك . وكان الصبيان يصبحون رمصاً شعثاً ويصبح رسول الله (ص) دهنياً كحليلاً .
 وقال الحسن بن عرفة حدثنا علي بن ثابت عن طلحة بن عمرو سمعت عطاء بن أبي رباح سمعت
 ابن عباس يقول : كان بنو أبي طالب يصبحون رمصاً عمصاً ويصبح رسول الله (ص) صقيلاً دهنياً
 وكان أبو طالب يقرب إلى الصبيان صفحتهم أول البكرة ، فيجلسون ويتهبون ويكف رسول الله
 (ص) يده فلا يتهب معهم . فلما رأى ذلك عمه عزل له طعامه على حدة .
 وقال ابن اسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه أن رجلاً من هب
 كان عامماً فكان إذا قدم مكة أتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم . قال فأتى أبو
 طالب برسول الله (ص) وهو غلام مع من يأتيه قال فنظر إلى رسول الله (ص) ثم شغل عنه شيء . فلما
 فرغ قال : الغلام على به . فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه فجعل يقول ويلكم ردوا علي الغلام
 الذي رأيته آنفاً فوالله ليكون له شأن . قال وانطلق به أبو طالب .

فَضْرِبَاتُكَ

﴿ في خروجه عليه الصلاة والسلام مع عمه أبي طالب إلى الشام وقصته مع بحيرى الراهب ﴾

قال ابن اسحاق : ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام . فلما نهياً للرحيل وأجمع السير
 صب به رسول الله (ص) - فيما يزعمون - فرق له أبو طالب وقال والله لا أخرجن به معي ولا أفارقه ولا
 يفارقني أبداً - أو كما قال - فخرج به . فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له
 بحيرى في صومعة له . وكان إليه علم أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب فيها . إليه
 يصير عليهم عن كتاب فيما يزعمون . يتوارثونه كابراً عن كابر ، فلما نزلوا ذلك العام ببخيري - وكانوا
 كثيراً ما يبرون به فلا يكلمهم ولا يعرض لهم - حتى كان ذلك العام . فلما نزلوا قريباً من صومعته صنع
 لهم طعاماً كثيراً وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته ، يزعمون أنه رأى رسول الله (ص)
 في الركب حتى أقبل وغمامة تظله من بين القوم . ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه . فنظر إلى
 الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله (ص) حتى اشتغل تحتها . فلما رأى
 ذلك بحيرى نزل من صومعته وقد أمر بطعام فصنع . ثم أرسل إليهم . فقال إني صنعت لكم طعاماً
 يامشر قريش فأنأ أحب أن تحضروا كلكم ، كبيركم وصغيركم ، وعبدكم وحرکم . فقال له رجل منهم
 والله يا بحيرى إن لك لثأناً اليوم . ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيراً فما شأنك اليوم ؟ قال
 له بحيرى صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلون
 منه كلكم فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله (ص) من بين القوم لحدائة منه في رحال القوم تحت الشجرة

فلما رأى بجميري لم ير الصفة التي يعرف ويجده عنده فقال يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي قالوا يا بجميري ما تخلف أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام وهو أحدثنا سنًا . فتخلف في رحالنا . قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم . قال فقال رجل من قريش مع القوم : واللوات والعزى إن كان للؤم بنا أن يتخلف محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا . ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم ، فلما رأى بجميري جعل يلحظه لحظًا شديدًا وينظر إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بجميري وقال له يا غلام : أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه . وإنما قال له بجميري ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما . فزعموا أن رسول الله (ص) قال له : لا تسألني بالللات والعزى شيئاً . فوالله ما ابغضت شيئاً قط بغضهما . فقال له بجميري : فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه ؟ فقال له سألني عما بدا لك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره . فجعل رسول الله (ص) يخبره . فوافق ذلك ما عند بجميري من صفته . ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه موضعه من صفته التي عنده ، فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال ما هذا الغلام منك ؟ قال ابني قال بجميري ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً ، قال فانه ابن أخي . قال فما فعل أبوه ؟ قال مات وأمه حبلت به قال صدقت ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود . فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لبيغته شراً ، فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فاسرع به إلى بلاده ، فخرج به عمه أبو طالب سريماً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام .

قال ابن اسحاق : فزعموا فيما روى الناس أن زبيراً ، وثامناً ، ودريساً . وهم نفر من أهل الكتاب - قد كانوا رأوا رسول الله (ص) . مثلما رأى بجميري في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب فرادوه فرددوا عنه بجميري . قد كرم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته وأنهم اجتمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه . وقد ذكر يونس بن بكير عن ابن اسحاق أن أبا طالب قال في ذلك ثلاث قصائد . هكذا ذكر ابن اسحاق هذا السياق من غير اسناد منه . وقد ورد نحوه من طريق مسند سرفوع .

قال الحافظ أبو بكر الخرائطي حدثنا عباس بن محمد الدوري حدثنا قراد أبو نوح حدثنا يونس عن أبي اسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله (ص) في أشياخ من قريش . فلما أشرفوا على الراهب - يعني بجميري - هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم قال قزل وهم يملون رحالهم . فجعل يتخللهم حتى جاء . فاخذ بيد النبي (ص) . فقال هذا سيد العالمين . وفي رواية البيهقي زيادة هذا رسول رب العالمين ، بشه الله رحمة للعالمين . فقال له أشياخ من قريش : وما علمك ؟ فقال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق

شجرة ولا حجر الاخر ساجدا ، ولا يسجدون الا لنبى ، وانى اعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه . ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به - وكان هو في رعية الابل - فقال أرسلوا اليه فاقبل وغمامة تظله . فلما دنا من القوم قال انظروا اليه عليه غمامة فلما دنا من القوم وجدتم قد سبقوه الى في الشجرة فلما جلس مال في الشجرة عليه . قال انظروا الى في الشجرة مال عليه قال فبينما هو قائم عليهم وهو ينشدهم ألا يذهبوا به الى الروم فان الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه فالتفت فاذا هو بسبعة نفر من الروم قد اقبلوا . قل فاستقبلهم فقال ما جاء بكم ؟ قالوا جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بئث اليه ناس وإنما أخبرنا خبره الى طريقك هذه . قال فهل خلفكم أحد هو خير منكم ؟ قالوا لا إنما أخبرنا خبره الى طريقك هذه . قال أفرايتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده ؟ فقالوا لا . قال فبايعوه وأقاروا معه عنده . قال فقال الراهب أنشدكم الله أيكم وليه ؟ قالوا أبو طالب . فلم يزل يناشده حتى رده وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت . هكذا رواه الترمذى عن أبي العباس الفضل بن سهل الاعرج عن قراد أبي نوح به . والحاكم والبيهقى وابن عساكر من طريق أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم عن عباس بن محمد الدورى به . وهكذا رواه غير واحد من الحفاظ من حديث أبي نوح عبد الرحمن بن غزوان الخزازى مولاى ، ويقال له الضبي ويعرف بقراد . سكن بغداد وهو من الثقات الذين أخرج لهم البخارى ، ووثقه جماعة من الأئمة والحفاظ ولم أر احداً جرحه ومع هذا في حديثه هذا غرابة ، قال الترمذى حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه . وقال عباس الدورى ليس في الدنيا أحد يحدث به غير قراد أبي نوح وقد سمعته منه أحمد بن حنبل رحمه الله ويحيى بن معين لغرابته وانفراده . حكاه البيهقى وابن عساكر .

قلت : فيه من الغرائب أنه من مراسلات الصحابة فان أبا موسى الأشعري إنما قدم في سنة خيبر سنة سبع من الهجرة . ولا يلتفت إلى قول ابن اسحاق في جعله له من المهاجرة إلى أرض الحبشة من مكة وعلى كل تقدير فهو مرسل . فان هذه القصة كانت ورسول الله (ص) من العمر فيما ذكره بعضهم ثنتا عشرة سنة ، ولعل أبا موسى تلقاه من النبي (ص) فيكون أبلغ ، أو من بعض كبار الصحابة رضى الله عنهم ، أو كان هذا مشهوراً مذكوراً أخذه من طريق الاستفاضة .

الثانى : أن الغمامة لم تذكر في حديث اصح من هذا .

الثالث . أن قوله وبعث معه أبو بكر بلالا إن كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك ثنتى عشرة سنة فقد كان عمر أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشرة ، وعمر بلال أقل من ذلك ، فإين كان أبو بكر إذ ذاك ؟ ثم أين كان بلال ؟ كلاهما غريب اللهم إلا أن يقال إن هذا كان ورسول الله (ص) كبيراً . إما بأن يكون سفره بعد هذا أو إن كان القول بأن عمره كان إذ ذاك ثنتى عشرة سنة غير محفوظ ، فانه إنما

ذکره مقيداً بهذا الواقدي . وحكى السهيلي عن بعضهم أنه كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك تسع سنين والله أعلم . قال الواقدي : حدثني محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر و ابراهيم بن اسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين . قالوا : لما بلغ رسول الله (ص) اثنتي عشرة سنة خرج به عمه أبو طالب إلى الشام في العير التي خرج فيها للتجارة ونزلوا براهب بحيري . قال لأبي طالب بالسر ما قال . وأمره أن يحتفظ به فرده معه أبو طالب إلى مكة .

وشب رسول الله (ص) مع أبي طالب يكاؤه الله ويحفظه ويحوطه من أمور الجاهلية ومعايبها لما يريد من كرامته حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم مخالطة ، وأحسنهم حواراً ، وأعظمهم حياءً وأمانة ، وأصدقهم حديثاً ، وأبعدهم من الفحش والأذى . مارؤى ملاحياً ولا ممارياً أحداً ، حتى سماه قومه الأمين . لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة فكان أبو طالب يحفظه ويحوطه وينصره ويمضه حتى مات .

وقال محمد بن سعد : أخبرنا خالد بن معدان حدثنا معتمر بن سليمان سمعت أبي يحدث عن أبي مجاز أن عبد المطلب - أو أبا طالب شك خالد - قال لما مات عبد الله عطف على محمد فكان لا يسافر سافراً إلا كان معه فيه ، وإنه توجه نحو الشام فنزل منزلاً فأنه فيه راهب . فقال إن فيكم رجلاً صالحاً : ثم قال ابن أبو هذا الغلام ؟ قال فقال ها أنا ذا وليه - أو قيل هذا وليه - قل احتفظ بهذا الغلام ولا تذهب به إلى الشام إن اليهود حسدوا إني أخشاهم عليه . قال ما أنت تقول ذلك ، ولكن الله يقوله . فردد وقال اللهم إني أستودعك محمداً ثم إنه مات .

قصة بحير

حكى السهيلي عن سير الزهري أن بحيري كان حبراً من أحبار يهود . قلت : والذي يظهر من سياق القصة أنه كان راهباً نصرانياً والله أعلم . وعن المسعودي أنه كان من عبد القيس وكان اسمه جرجيس . وفي كتاب المعارف لابن قتيبة سمع هاتف في الجاهلية قبل الإسلام بقليل يهتف ويقول : ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة ، بحيري ، ورتاب بن البراء الشني ، والثالث المنتظر . وكان الثالث المنتظر هو الرسول (ص) . قال ابن قتيبة وكان قبر رتاب الشني وقبر واه من بعده لا يزال يرى عندهما طش ، وهو المطر الخفيف .

قصة

في منشته عليه الصلاة والسلام ومرباه وكفاية الله له ، وحياطته ، وكيف كان يتيماً فأواه وعائلاً فأغناه قال محمد بن اسحاق : شب رسول الله (ص) يكاؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية ، لما

يريد من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه سرورة ، وأحسنهم خلقاً وأكرمهم حساباً ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حياءً ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمارة ، وأبدم من الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً ، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الامور الصالحة وكان رسول الله (ص) ، فيما ذكر لي يحدث عما كان الله يحفظه به في صفه وأمر جاهليته أنه قال : « لقد رأيتني في غلمان من قريش نقل الحجارة لبعض ما يلعب الغلمان ، كنا قد تعرى وأخذ إزاره وجعله على رقبتة يحمل عليه الحجارة ، فاني لأقبل منهم كذلك وأدبر إذ لا كني لا كم ما أراه لكمة وجيمة ، ثم قال شد عليك إزارك . قل فأخذته فشددته على ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وإزاري على من بين أصحابي » . وهذه القصة شبيهة بما في الصحيح عند بناء الكعبة حين كان ينقل هو وعمه العباس فان لم تكنها فهي متقدمة عليها كالتوطئة لها والله أعلم .

قال عبد الرزاق : أخبرنا ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله (ص) ، ينقل الحجارة . فقال العباس لرسول الله (ص) : « اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة فقل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ، ثم قام فقال : « إزاري » فشده عليه إزاره أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق . وأخرجاه أيضاً من حديث روح بن عبادة عن زكرياء بن أبي اسحاق عن عمرو بن دينار عن جابر بنحوه .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالوا أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن اسحاق الصاعاني حدثنا محمد بن بكير الحضرمي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي حدثنا عمرو بن أبي قيس عن سماك عن عكرمة حدثني ابن عباس عن أبيه أنه كان ينقل الحجارة إلى البيت حين بنت قريش البيت ، قال وأفردت قريش رجلين رجلين ، الرجال ينقلون الحجارة ، وكانت النساء تنقل الشيد . قال فكنت أنا وابن أخي وكنا نحمل على رقابنا وأزرنا تحت الحجارة ، فإذا غشينا الناس أنزرتنا . فبينما أنا أمشي ومحمد أمامي قال فخر وانبطح على وجهه ، فحمت أسعى وألقيت حجرى وهو ينظر إلى السماء قلت ما شأنك ؟ فقام وأخذ إزاره قال « إني نهيت أن أمشي عرياناً » . قال وكنت أكنها من الناس مخافة أن يقولوا مجنون . وروى البيهقي من حديث يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب . قال سمعت رسول الله (ص) يقول « ما همت بشئ مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء الا ليلتين كتأهما عصى الله عز وجل فيهما . قلت ليلة لبعض فتيان مكة - ونحن في رعاء غم أهلها - قلت لصاحبي أبصر لي غنى حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسر الفتيان قال بلى . قال فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفاً بالغرايل والمزامير قلت ما هذا

قالوا تزوج فلان فلانة . فجلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني الا مس الشمس ، فرجعت الى صاحبي ، فقال ما فعلت ؟ فقلت ما فعلت شيئاً ثم أخبرته بالذي رأيت ، ثم قالت له ليلة أخرى أبصر لي غنمي حتى اسمر ففعل فدخات فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة . فسألت فقيل نكح فلان فلانة ، فجلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني الا مس الشمس ، فرجعت الى صاحبي فقال ما فعلت ؟ فقلت لا شيء . ثم أخبرته الخبر ، فوالله ما هممت ولا عدت بعدها شيء . من ذلك حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته « وهذا حديث غريب جدا وقد يكون عن علي نفسه ويكون قوله في آخره « حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته » مقحما والله أعلم .

وشيوخ ابن اسحاق هذا ذكره ابن حبان في الثقات . وزعم بعضهم أنه من رجال الصحيح . قال شيخنا في تهذيبه ولم أقف على ذلك والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقي : حدثني أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا الحسن ابن علي بن عفان العامري حدثنا أبو أسامة حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، ويحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب عن أسامة بن زيد عن زيد بن حارثة . قال : كان صنم من نحاس يقال له اساف ونائلة يتمسح به المشركون إذا طافوا . فطاف رسول الله (ص) . وطفت معه ، فلما مررت مسحت به فقال رسول الله (ص) « لا تمسه » . قال زيد فطفنا فقلت في نفسي لأمنه حتى أنظر ما يكون ، فسحته فقال رسول الله (ص) « ألم تنه » قال البيهقي : زاد غيره عن محمد بن عمرو باسناده قال زيد فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلم صنما قط حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه وأنزل عليه .

وتقدم قوله عليه الصلاة والسلام لبحيرى حين سأله باللات والعزى « لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئاً بغضهما » فلما الحديث الذي قاله الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو سعد الماليني . أنبأنا أبو احمد بن عدي الحافظ حدثنا ابراهيم بن اسباط حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن صفيان الثوري عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال كان النبي (ص) يشهد مع المشركين مشاهدم قال فسمع ملكين خلفه وأحدهما يقول لصاحبه : اذهب بنا حتى تقوم خلف رسول الله (ص) . قل كيف تقوم خلفه وانما عهده باستلام الاصنام ؟ . قال فلم يعد بعد ذلك ان يشهد مع المشركين مشاهدم . فهو حديث أنكره غير واحد من الأئمة على عثمان بن أبي شيبة حتى قال الامام احمد فيه لم يكن أخوه يتلفظ بشيء من هذا . وقد حكى البيهقي عن بعضهم أن معناه أنه شهد مع من يستلم الاصنام وذلك قبل أن يوحى اليه والله أعلم . وقد تقدم في حديث زيد بن حارثة أنه اعتزل شهود مشاهد المشركين حتى أكرمه الله برسالته . وثبت في الحديث أنه كان لا يقف بالمزدلفة ليلة عرفة بل كان يقف مع الناس برفات كما قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق * حدثني عبد الله بن أبي بكر

عن عثمان بن أبي سليمان عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير . قال : لقد رأيت رسول الله
 (ص) وهو على دين قومه ، وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم ، توفيقاً من
 الله عز وجل له .

قال البيهقي : معنى قوله على دين قومه ما كان بقي من ارث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، ولم
 يشرك بالله قط صلوات الله وسلامه عليه دائماً .

قلت : ويفهم من قوله هذا أيضاً انه كان يقف بعرفات قبل أن يوحى اليه . وهذا توفيق من الله له .
 ورواه الامام أحمد عن يعقوب عن محمد بن اسحاق به . ولفظه رأيت رسول الله (ص) قبل ان ينزل عليه
 وإنه لواقف على بعير له مع الناس بعرفات حتى يدفع معهم توفيقاً من الله . وقال الامام أحمد : حدثنا
 سفيان عن عمرو عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : أضلت بعيراً لي بعرفة فذهبت اطلبه فاذا النبي
 (ص) واقف فقلت إن هذا من الحمس^(١) ما شأنه ههنا ؟ واخرجاه من حديث سفيان بن عيينة به .

شهره عليه الصلوة والسلام حرب الفجار

قال ابن اسحاق : هاجت حرب الفجار ورسول الله (ص) ابن عشرين سنة ، وانما سمي يوم
 الفجار ، بما استحل فيه هذان الحيان - كنانة وقيس عيلان - من المخلام بينهم . وكان قائد قريش وكنانة
 حرب بن أمية بن عبد شمس . وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة . حتى إذا كان وسط النهار كان
 الظفر لكنانة على قيس .

وقال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله (ص) أربع عشرة سنة - أو خمس عشرة سنة - فيما حدثني به
 أبو عبيدة النحوي عن أبي عمرو بن العلاء هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة وبين
 قيس عيلان . وكان الذي هاجها ان عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن
 صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن أجاز لطيمة - أي تجارة - للنعمان بن المنذر . فقال البراض بن
 قيس - أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة - أنجزها على كنانة ؟ قال نعم وعلى الخلق . فخرج
 فيها عروة الرحال وخرج البراض يطلب غفلة . حتى إذا كان بتيمن ذي طلال بالعالية غفل عروة فوثب
 عليه البراض فقتله في الشهر الحرام ، فلذلك سمي الفجار ، وقال البراض في ذلك :

وداهية نهم الناس قبلي شددت لها بني بكر ضلوعي
 هدمت بها بيوت بني كلاب وأرضعت الموالي بالضرع

(١) الحمس جمع أحمس . وهم قريش ومن ولدت ، وكنانة ، وجديلة سمو أحمسا ، لأنهم تحمسوا في دينهم
 أي تشددوا . والحماسة الشجاعة كانوا يقفون في المزدلفة ، ويقولون : نحن اهل الله فلا نخرج من الحرم

رفت له بذي طلال كني فخر يميد كلجذع الصريع

وقال لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب :

وأبلغ - إن عرضت - بني كلاب وعامر والخطوب لها موالى

وأبلغ - إن عرضت - بني نمير وأحوال القتييل بني هلال

بأن الوافد الرجال أمسى مقباً عند تيمن ذي طلال

قال ابن هشام : فأتى آت قريشاً فقال : إن البراض قد قتل عروة، وهو في الشهر الحرام بمكاظ .

فارتحلوا وهو ازن لا اشعر بهم . ثم بلغهم الخبر فاتبعوه فمادروهم قبل ان يدخلوا الحرم . فاقتلوا حتى جاء

الليل فدخلوا الحرم فامسكت هوازن عنهم ، ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما والقوم متساندون على كل قبيل

من قريش وكنانة رئيس منهم وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم . قال وشهد رسول الله (ص) بعض

ايامهم . أخرجه اعمامه معهم وقال رسول الله (ص) « كنت أنبل على أعمامى » أى أرد عليهم نبل

عدوهم إذا رموهم بها .

قال ابن هشام : وحديث الفجار طويل هو أطول مما ذكرت وإنما معنى من استقصاه قطعه

حديث سيرة رسول الله (ص) .

وقال السهيلي : والفجار بكسر الفاء على وزن قتال . وكانت الفجارات في العرب أربعة ذكهن

المصودى . وآخرهن ، فجار البراض هذا . وكان القتال فيه في أربعة أيام ، يوم شمطة ، ويوم العبلاء ،

وهما عند عكاظ ، ويوم الشرب - وهو أعظمها يوماً - وهو الذى حضره رسول الله (ص) وفيه قيدا

رئيس قريش وبني كنانة وهما حرب بن أمية وأخوه سفيان أنفسهم لثلاث يفرؤا . وانهمزمت يومئذ قيس

إلا بنى نصر فأنهم نبتوا . ويوم الخريزة عند نخلة . ثم تواعدوا من العام المقبل الى عكاظ . فلما توافوا

الموعد ركب عتبة بن ربيعة جملة وفادى يا مشر مضر غلام تقاتلون ؟ فقالت له هوازن : ما تدعرا ليه ؟

قال الصلح ، قالوا وكيف ؟ قال ندى قتلاكم ونزهنكم رهائن عليها ، ونفغو عن دياتنا . قالوا ومن لنا

بذلك قال أنا ، قالوا ومن أنت ؟ قال عتبة بن ربيعة فوقع الصلح على ذلك وبشوا اليهم أربعين رجلا

فيهم حكيم بن حزام فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن فى أيديهم عفوا عن دياتهم وانقضت حرب

الفجار . وقد ذكر الاموى حروب الفجار وأيامها واستقصاها مطولا فيما رواه عن الاثرم . وهو المغيرة

ابن على عن أبى عبيدة معمر بن المثنى فذكر ذلك :

فَضِيْلَتُكَ

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو سعد الماليني أنبأنا أبو احمد بن عدى الحافظ حدثنا يحيى بن على

ابن هاشم الخفاف حدثنا أبو عبد الرحمن الأزدي حدثنا اسماعيل بن علي عن عبد الرحمن بن اسحاق عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه . قال قال رسول الله (ص) : « شهدت مع عمومي حلف المطيبين فما أحب أن أنسكته - أو كلمة نحوها - وإن لي حمر النعم » . قال وكذلك رواه بشر بن المفضل عن عبد الرحمن . قال وأخبرنا أبو نصر بن قنادة حدثنا أبو عمرو بن مطر حدثنا أبو بكر بن احمد بن داود السمناني حدثنا معلى بن مهدي حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة . قال قال رسول الله (ص) : « ما شهدت حلفاً لقريش إلا حلف المطيبين ، وما أحب أن لي حمر النعم وأني كنت نقضته » قال : والمطيون هاشم ، وأميه . وزهرة ، ومخزوم ، قال البيهقي : كذا روى هذا التفسير مدرجاً في الحديث ولا أدري قائله ، وزعم بعض أهل السير أنه أراد حلف الفضول فإن النبي (ص) لم يدرك حلف المطيبين .

قلت : هذا لا شك فيه ، وذلك أن قريشاً تحالفوا بعد موت قصي وتنازعوا في الذي كان جعله قصي لابنه عبد الدار من السقاية ، والرفادة ، واللواء ، والندوة ، والحجابه ، ونزعهم فيه بنو عبد مناف وقامت مع كل طائفة قبائل من قريش وتحالفوا على النصره لحزبهم فأحضر أصحاب بني عبد مناف جفنة فيها طيب فوضعوا أيديهم فيها وتحالفوا . فلما قاموا مسحوا أيديهم بأركان البيت . فسموا المطيبين كما تقدم وكان هذا قديماً ولم يكن المراد بهذا الحلف حلف الفضول وكان في دار عبد الله بن جدعان كما رواه الحميدي عن سفيان بن عيينة عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر قال قال رسول الله (ص) : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دعيت به في الاسلام لأجبت ، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يهد^(١) ظالم مظلوماً » . قالوا : وكان حلف الفضول قبل المبعث بمشرين سنة في شهر ذي القعدة ، وكان بعد حرب الفجار بأربعة أشهر . وذلك لأن الفجار كان في شعبان من هذه السنة ، وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب ، وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبيد للطلب وكان سببه أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنه حقه ، فاستعدى عليه الزبيدي الاحلاف عبد الدار ومخزوماً وجمها وسهماً وعدى بن كعب فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل وزبرود - أي انهروه - فلما رأى الزبيدي الشر أوفى على أبي قبيس عند طلوع الشمس - وقريش في أيديهم حول الكعبة - فنادى بأعلى صوته :

يا آل زبيرٍ لمظلومٍ بضاعتهُ بيطانِ مكة نائي الدارِ والنفرِ
ومحرمٍ أشعثٍ لم يقضِ عمرتهُ بالرجالِ وبين الحجرِ والحجرِ
إن الحرام لمن ماتت كرامتهُ ولا حرامٍ لثوبِ الفاجرِ البدرِ

(١) كذا بالأصلين . والذي في السهلي : يمز ظالم مظلوماً .

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال : ما لهذا مترك فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاماً وتحالفوا في ذى القعدة في شهر حرام فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكوننّ يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي اليه حقه ما بل بجر صوفة . ومارسى ثبير وحراء مكنهما . وعلى الناس في المعاش . فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول ، وقالوا لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر . ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها اليه . وقال الزبير بن عبد المطلب في ذلك :

حلفتُ لَمَعِدُنْ حِلْفًا عَلَيْهِم وَإِنْ كُنَّا جَمِيعًا أَهْلَ دَارِ
نَسْمِيهِ الْفُضُولَ إِذَا عَقَدْنَا يَعْزِبُهُ الْغَرِيبُ لِذِي الْجَوَارِ
وَيَعْلَمُ مَنْ حَوْلَى الْبَيْتِ أَنَا أَبَا الضَّمِيمِ نَمْنَعُ كُلَّ عَارِ
وقال الزبير أيضاً :

إِن الْفُضُولَ تَعَاقَدُوا وَتَحَالَفُوا أَلَا يُقِيمُ بَيْطَنَ مَكَّةَ ظَالِمِ
أَمْرًا عَلَيْهِ تَعَاقَدُوا وَتَوَاقَفُوا فَالْجَارُ وَالْمُعْتَرِّ فِيهِمْ صَالِمِ

وذكر قاسم بن ثابت - في غريب الحديث - : أن رجلاً من خثعم قدم مكة حاجاً - أو متعمرًا - ومعه ابنة له يقال لها القتول من أوصاف نساء العالمين ، فانغصبها منه نبيه بن الحجاج ونهبها عنه . فقال الخثعمي : من يعديني على هذا الرجل ؟ فقبل له عليك بحلف الفضول . فوقف عند الكعبة ونادى يال حلف الفضول : فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب ، وقد انتصوا أسيافهم يقولون : جارك الفوث فمالك ؟ فقال إن نبيها ظهني في بنتي وانتزعها مني قسراً فساروا معه حتى وقفوا على باب داره ، فخرج اليهم فقالوا له أخرج الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه ، فقال افعل ، ولكن متعوني بها الليلة ، فقالوا لا والله ولا شخب لقحة فاخرجها اليهم وهو يقول :

رَاحَ صَحْبِي وَلَمْ أَحِبِّي الْقَتُولَا لَمْ أُوَدِّعُهُمْ وَدَاعًا جَبِيلَا
إِذَا جَدَّ الْفُضُولَ أَنْ يَمْنَعُوهَا قَدْ أَرَانِي وَلَا أَخَافُ الْفُضُولَا
لَا تَخَالِي أَنِي عَشِيَّةَ رَاحِ الرَّكَا بْ هُنَّ عَلِيَّ أَنْ لَا يَزُولَا (١)

وذكر أبياتا أخر غير هذه . وقد قيل إنما سمي هذا حلف الفضول لأنه أشبه حلفاً تحالفته جرم على مثل هذا من نصر المظلوم على ظالمه . وكان الداعي اليه ثلاثة من أشرفهم اسم كل واحد منهم فضل : وهم الفضل بن فضالة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن الحارث . هذا قول ابن قتيبة . وقال غيره

(١) كذا في الحلبية ، والمصرية : ان لا يزولا . وفي السهيلي : ان لا أقولا .

الفضل بن شراعة ، والفضل بن بضاعة ، والفضل بن قضاة (١) وقد أورد السهيلي هذا رحمه الله .
وقال محمد بن اسحاق بن يسار : وتداعت قبائل من قريش إلى حلف فاجتمعوا له في دار عبد الله
ابن جدعان لشرفه وسنه . وكان حلفهم عنده بنو هاشم وبنو عبد المطلب وبنو أسد بن عبد العزى
وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة . فتعاهدوا وتعاهدوا على أن لا يجردوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم
من دخلها من سائر الناس إلا كانوا معه وكانوا على من ظلمه حتى يرد عليه مظلمته فسنت قريش ذلك
الحلف حلف الفضول .

قال محمد بن اسحاق : فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن
عوف الزهري يقول قال رسول الله - : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب
أن لي به حمر النعم ولو دعى به في الاسلام لأجبت » .

قال ابن اسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثي أن محمد بن ابراهيم بن
الحارث التيمي حدثه أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين الوليد بن عتبة بن أبي
سفيان - والوليد يومئذ أمير المدينة ، أمره عليها مع معاوية بن أبي سفيان . - منازعة في مال كان بينهما
بذي المروة فكان الوليد تحامل على الحسين في حقه لسلطانه ، فقال له الحسين : أحلف بالله لتنصفني من
حتى أو لا آخذن سبقي ثم لا أقوم في مسجد رسول الله - ، ثم لا دعون بحلف الفضول . قال فقال
عبد الله بن الزبير - وهو عند الوليد حين قال له الحسين ما قال - وأنا أحلف بالله لئن دعابه لا آخذن سبقي
ثم لا أقوم معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعاً . قال وبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري
قال مثل ذلك . وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي قال مثل ذلك . فلما بلغ ذلك الوليد
ابن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى .

نزوحه عليه الصلاة والسلام عن بنت خويلد

قال ابن اسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال على
مالها مضاربة . فلما بلغها عن رسول الله - ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بنشت
اليه فعرضت عليه أن يخرج لها في مال تاجراً إلى الشام وتعطيه أفضل ما تعطى غيره من التجار . مع غلام
لها يقال له ميسرة ، قبله رسول الله - منها وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة حتى
(١) كذا في الحلية . وفي المصرية : الفضل بن شراة ، والفضل بن قضاة . ولم يذكر الثالث .
وفي السهيلي والنهاية : الفضل بن شراة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن قضاة .

نزل الشام ، فنزل رسول الله (ص) في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب إلى ميسرة . فقال : من هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة ؟ فقال ميسرة هذا رجل من قريش من أهل الحرم فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة الا نبي ثم باع رسول الله (ص) سلعته - يعني تجارته - التي خرج بها واشترى ما أراد أن يشتري . ثم اقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة ، فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة واشتد الحر ، يرى ملكين يظلاله من الشمس وهو يسير على بعير ، فلما قدم مكة على خديجة بما لها باعت ما جاء به فاضف أو قريبا ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب وعمما كان يرى من اظلال الملائكة إياه وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من كرامتها . فلما أخبرها ميسرة ما أخبرها بعثت إلى رسول الله (ص) فقالت له - فيما يزعمون - يا ابن عم أني قد رغبت فيك لقربتك وسطتك (١) في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ، ثم عرضت نفسها عليه وكانت أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالا . كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه ، فلما قالت ذلك لرسول الله (ص) ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه فتزوجها عليه الصلاة والسلام .

قال ابن هشام : فأصدقها عشرين بكرة وكانت أول امرأة تزوجها ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت .

قال ابن اسحاق : فولدت لرسول الله (ص) ولده كلهم إبراهيم : القاسم وكان به يكنى ، والطيب والظاهر ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

قال ابن هشام : أكبرهم القاسم ، ثم الطيب ، ثم الطاهر . وأكبر بناته رقية ، ثم زينب ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

قال البيهقي عن الحاكم : قرأت بخط أبي بكر بن أبي خيثمة حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيري قال أكبر ولده عليه الصلاة والسلام القاسم ، ثم زينب ، ثم عبد الله ، ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية . وكان أول من مات من ولده القاسم ، ثم عبد الله . وبلغت خديجة خمسا وستين سنة ، ويقال خمسين . وهو أصح . وقل غيره بلغ القاسم أن يركب الدابة والنجبية ثم مات بعد النبوة ، وقيل مات وهو رضيع فقال رسول الله (ص) : « إن له مرضعا في الجنة يستكمل رضاعه » والمعروف ان هذا في حق إبراهيم

وقال يونس بن بكير : حدثنا إبراهيم بن عثمان عن القاسم عن ابن عباس قال ولدت خديجة لرسول الله (ص) غلامين واربع نسوة : القاسم ، وعبد الله ، وفاطمة ، وأم كلثوم ، وزينب ، ورقية . وقال الزبير بن بكار عبد الله هو الطيب وهو الطاهر ، سمي بذلك لانه ولد بعد النبوة فاتوا قبل البشارة .

(١) قوله : وسطتك فسره السهيلي من الوسط . وقال فلان أوسط القبيلة اعرفها واولاها بالصميم .

وأما بناته فادر كن البعثة ودخلن في الاسلام وهاجرن معه (ص). قال ابن هشام: واما ابراهيم فمن مارية القبطية التي أهداه له المتوقس صاحب اسكندرية من كورة انصنا^(١) وسنتكلم على أزواجه وأولاده عليه الصلاة والسلام في باب مفرد لذلك في آخر السيرة ان شاء الله تعالى وبه الثقة .

قال ابن هشام: وكان عمر رسول الله (ص). حين تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة فيها حدثني غير واحد من أهل العلم، منهم أبو عمرو المدني، وقال يعقوب بن سفيان كتبت عن ابراهيم بن المنذر حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي حدثني غير واحد ان عمرو بن أسد زوج خديجة من رسول الله (ص). وعمره خمساً وعشرين سنة وقريش تبنى السكبة . وهكذا نقل البيهقي عن الحاكم انه كان عمر رسول الله (ص). حين تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة وكن عمرها إذ ذاك خمساً وثلاثين - وقيل خمساً وعشرين سنة - وقال البيهقي: ﴿ باب ما كان يشتغل به رسول الله (ص). قبل أن يتزوج خديجة ﴾

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر بن عبد الله أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا سويد بن سعيد حدثنا عمرو بن أبي يحيى بن سعيد القرشي عن جده سعيد عن أبي هريرة . قال قال رسول الله (ص): « ما بعث الله نبياً إلا راعى غم » فقال له أصحابه وانت يا رسول الله ؟ قال : « وانا رعيتها لاهل مكة بالقراريط » رواه البخاري عن أحمد بن محمد المكي عن عمرو بن يحيى به . ثم روى البيهقي من طريق الربيع بن بدر - وهو ضعيف - عن أبي الزبير عن جابر . قال قال رسول الله (ص): « آجرت نفسي من خديجة سفرتين بقلوص » وروى البيهقي من طريق حماد بن سنان عن علي بن زيد عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس: أن أبا خديجة زوج رسول الله (ص). وهو - اظنه - قال سكران . ثم قال البيهقي: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل التظان أنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب بن سفيان قال حدثني ابراهيم بن المنذر حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي حدثني عبد الله بن أبي عبيد بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه عن مقسم بن أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل أن عبد الله بن الحارث حدثه ان عمار ابن ياسر كان إذا سمع ما يتحدث به الناس عن تزويج رسول الله (ص). خديجة وما يكثرون فيه يقول: انا أعلم الناس بتزويجه إياها ، اني كنت له ترباً وكنت له إلفاً وخذنا . وإني خرجت مع رسول الله (ص). ذات يوم حتى اذا كنا بالخزورة أجزنا على أخت خديجة وهي جالسة على ادم تبيها ، فنادتني فنصرفت إليها ووقفني رسول الله (ص). فقالت : اما بصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة ؟ قال عمار فرجعت اليه فاخبرته فقال « بلى لعمرى » فذكرت لها قول رسول الله (ص). فقالت اغدوا علينا إذا أصبحنا ، فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة والبسوا أبا خديجة حلة ، وصفرت لحيته ، وكلت أخاها فكلم أباه وقد

(١) انصنا: بالفتح ثم السكون مدينة أذلية من نواحي الصعيد بشرق النيل .

سقى خمرًا فذكر له رسول (س.) ومكانه وسألته أن يزوجه فزوجه خديجة وصنعوا من البقرة طعاما
 فاكلنانه ونام أبوها ثم استيقظ صاحبا . فقال : ما هذه الحلة وما هذه الصفرة وهذا الطعام قالت له ابنته
 التي كانت قد كملت عمارا هذه حلة كساها محمد بن عبد الله ختنك وبقرة أهداها لك فذبناها حين
 تزوجه خديجة ، فانكر ان يكون زوجه ، وخرج يصيح حتى جاء الحجر ، وخرج بنو هاشم برسول
 الله (س.) فجأوه فكاموه . فقال ابن صاحبكم الذي تزعمون أني زوجه خديجة ؟ فبرز له رسول الله
 (س.) فلما نظر اليه قال إن كنت زوجه فسبيل ذلك وإن لم أكن فقلت فقد زوجه .

وقد ذكر الزهري في سيره ان أباه زوجها منه وهو سكران و ذكر نحو ما تقدم حكاه السهيلي .
 قال المؤمل : المجتمع عليه أن عمها عمرو بن أسد هو الذي زوجها منه وهذا هو الذي رجحه السهيلي .
 وحكاه عن ابن عباس وعائشة قالت وكان خويلد مات قبل الفجار ، وهو الذي نازع تبعاً حين أراد
 أخذ الحجر الأسود إلى اليمن ، فقام في ذلك خويلد وقام معه جماعة من قريش ثم رأى تبع في منامه
 ماروعه ، فززع عن ذلك وترك الحجر الأسود مكانه .
 وذكر ابن اسحاق : في آخر السيرة أن أخاها عمرو بن خويلد هو الذي زوجها رسول الله (س.)
 فالله أعلم .

فَضِيلَةُ

قال ابن اسحاق : وقد كانت خديجة بنت خويلد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى
 ابن قصي - وكان ابن عمها وكان نصرانياً قد تتبع الكذب وعلم من علم الناس ما ذكرها غلامها من قول
 الراهب وما كان يرى منه إذ كان المملكان يظلاله - فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة إن محمداً
 لنبى هذه الأمة ، قد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبى ينظر هذا زمانه - أو كما قال - فجعل ورقة يستبطن
 الأمر ويقول حتى متى ؟ وقال في ذلك :

لججتُ وكنتُ في الذكرى لجوجاً	لهم طالما ما بثت الشجبا
ووصف من خديجة بد وصف	فقد طال انتظاري يا خديجا
يعلن المسكتين على رجائي	حديثك أن أرى منه خروجا
بما خبرتنا من قول قس	من الرهبان أكره أن يعوجا
بأن محمداً سيؤد قوماً	وبنصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور	يقوم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحاربه خساراً	ويلقى من يسأله فلوجا
فيالتي إذا ما كان دائم	شهدت وكنت أولهم ولوجا

وَلَوْ جَاءَ فِي الَّذِي كَرِهْتَ قُرَيْشٌ
أُرْجِي بِالَّذِي كَرِهُوا جَمِيعًا
وَهَلْ أَمْرُ السَّفَالَةِ غَيْرُ كَفْرٍ
فَإِنْ يَتَّقُوا وَأَبَقَ يَكُنْ أَمْرٌ
وَإِنْ أَهْلِكَ فَكُلُّ قِي سَبَاقِي
وَلَوْ عَجَّتْ بِمَكْنَهَا عَجِيبًا
إِلَى ذِي الْعَرْشِ إِنْ سَفَلُوا عُرُوجًا
بِمَنْ يَخْتَارُ مِنْ سَمَكِ الْبُرُوجَا
يُضَيِّحُ الْكَافِرُونَ لِمَا ضَجِيبَا
مِنْ الْأَقْدَارِ مُتَلَفَةً خُرُوجَا

وقال ورقة أيضا فيما رواه يونس بن بكير عن ابن اسحاق عنه :

أَتَبَكَّرُ أَمْ أَنْتَ الْعَشِيَّةُ رَائِحٌ
لِمُرْقَةٍ قَوْمٍ لَا أَحَبُّ فِرَاقِهِمْ
وَأَخْبَارِ صِدْقٍ خُبْرَتٍ عَنْ مُحَمَّدٍ
أَتَاكَ الَّذِي وَجَّهْتَ بِأَخِيرِ حُرَّةٍ
إِلَى سَوْقِ بَصْرَى فِي الرِّكَابِ الَّتِي غَدَتُ
فِيخْبِرُنَا عَنْ كُلِّ خَيْرٍ بَعْدَهُ
بِأَنَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ مَرْسَلٌ
وِظَنِي بِهِ أَنْ سَوْفَ يَبِيعُ صَادِقًا
وَمَوْسَى وَإِبْرَاهِيمَ حَتَّى يُرَى لَهُ
وَيَتْبَعُهُ حَيًّا لَوْيٍّ وَغَالِبٍ
فَإِنْ أَبَقَ حَتَّى يَدْرِكَ النَّاسَ دَهْرُهُ
وَإِلَّا فَإِنِّي يَا خَدِيجَةُ فَاعْلَمِي
وَزَادَ الْأُمُورِ :

فَتَبِعَ دِينَ الَّذِي أُسِّسَ الْبِنَا
وَأُسِّسَ بِنْيَانًا بِمَكَّةَ ثَابِتًا
مَثَابًا لِأَفْنَاءِ الْقَبَائِلِ كَلَّمَا
حَرَجِيجٌ^(٢) أَمْثَالُ الْقِدَاحِ مِنَ السَّرَى
وَكَانَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ رَاجِحٌ
تَلَاؤًا فِيهِ بِالظَّلَامِ الْمَصَابِحُ
تَحَبُّبًا إِلَيْهِ الْيَعْمَلَاتُ الطَّلَاحُ
يَمَلَقُ فِي أَرْسَاعِهِنَّ السَّرَابِحُ

ومن شعره فيما أورده أبو القاسم السهيلي في روضه :

لَقَدْ نَصَحْتُ لِأَقْوَامٍ وَقَلْتُ لَهُمْ
أَنَا الذِّذِيرُ فَلَا يَفْرُزُكُمْ أَحَدٌ

(١) اللخ: أن يمشی البعير بالحمل وقد أمثله (٢) الحراجيج جمع حرجيج، وهي الناقة الطويلة

لا تمبذن إلهاً غير خالقكم فان دعوهكم فقولوا يتنا حدّد
 شبحان ذي العرش سبحاناً يدوم له وقبلنا سبح الجودي والجد
 مسخر كل ما تحت السماء له لا ينبغي أن يناوي ملكك أحد
 لا شيء مما نرى تبقى بشاشته يبقى الآله وبودي المال والولد
 لم تُفن عن هزمز يوماً خزائنه وأنشد قد حاولت عاد فما خلدوا
 ولا سليمان إذ تجرى الرياح به والجن والانس فيما بينها مرد
 ابن الملوك التي كانت لمزتها من كل أوب إليها وافد يفد
 حوض هنالك مورد بلا كذب لا بد من ورده يوماً كما وردوا

ثم قال هكذا نسبة أبو الفرج إلى ورقة ، قال وفيه أبيات تنسب إلى أمية بن أبي الصلت
 قالت : وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يستشهد في بعض
 الأحيان بشيء من هذه الأبيات والله أعلم .

قضية تملك

في تجديد قريش بناء الكعبة قبل المبعث بخمس سنين

ذكر البيهقي بناء الكعبة قبل تزويجه عليه الصلاة والسلام خديجة . والمشهور أن بناء قريش الكعبة
 بعد تزويج خديجة كما ذكرناه بعشر سنين . ثم شرع البيهقي في ذكر بناء الكعبة في زمن ابراهيم كما قدمناه
 في قصته ، وأورد حديث ابن عباس المتقدم في صحيح البخاري وذكر ماورد من الاسرائيليات في
 بنائه في زمن آدم ولا يصح ذلك ، فان ظاهر القرآن يقتضي أن ابراهيم أول من بناه مبتدئاً وأول من
 أسسه ، وكانت بقعته معظمة قبل ذلك معتنى بها مشرفة في سائر الأعطار والأوقات قال الله تعالى
 (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله
 كان آمناً والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) وثبت في الصحيحين عن أبي ذر قال قلت
 يا رسول الله أي مسجد وضع أول ؟ قال : « المسجد الحرام » قالت ثم أي ؟ قال : « المسجد الأقصى »
 قالت كم بينهما ؟ قال : « أربعون سنة » وقد تكلمنا على هذا فيما تقدم ، وإن المسجد الأقصى أسسه
 اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام . وفي الصحيحين أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض
 فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة . وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله الصغار
 حدثنا احمد بن مهران حدثنا عبيد الله حدثنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو .
 قال : كان البيت قبل الأرض بألفي سنة ، (وإذا الأرض مدت) قال من تحته مدت . قال وقد
 تابعه منصور عن مجاهد .

قلت : وهذا غريب جداً وكأنه من الزاملتين اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك وكان
فيهما اسرائيليات يحدث منها وفيهما منكرات وغرائب .

ثم قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو جعفر محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله
البغدادي حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح حدثنا أبو صالح الجهني حدثني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي الخير
عن عبد الله بن عمرو بن العاص . قال قال رسول الله (س) : « بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فقال
لها ابني لي بيتاً ، فخط لها جبريل فجعل آدم يحفر وحواء تنقل ، حتى أجابه الماء نودي من تحتك حبيبك
يا آدم ، فلما بنا أوحى الله تعالى إليه أن يطوف به وقيل له أنت أول الناس ، وهذا أول بيت ، ثم
تناسخت القرون حتى حجه نوح ، ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم القواعد منه . »
قال البيهقي : تفرد به ابن لهيعة هكذا مرفوعاً .

قلت : وهو ضعيف ، ووقفه على عبد الله بن عمرو أقوى وأثبت والله أعلم .
وقال الربيع : أنبأنا الشافعي أنبأنا سفيان عن ابن أبي لييد عن محمد بن كعب القرظي - أو غيره - قال :
حج آدم فلقيته الملائكة فقالوا برئكتك يا آدم لقد حججنا قبلك بالفي عام . وقال يونس بن بكير عن
ابن اسحاق حدثني بقية - أو قال ثقة - من أهل المدينة عن عروة بن الزبير أنه قال : ما من نبي إلا
وقد حج البيت إلا ما كان من هود وصالح .

قلت : وقد قدمنا حجهما إليه . والمقصود الحج إلى محله وبقعه وإن لم يكن ثم بناء والله أعلم .
ثم أورد البيهقي حديث ابن عباس المتقدم في قصة إبراهيم عليه السلام بطوله وتمامه وهو في صحيح البخاري .
ثم روى البيهقي من حديث سماك بن حرب عن خالد بن عرعة قال سأل رجل علياً عن قوله تعالى (إن
أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين) أهو أول بيت بني في الأرض ؟ قال لا ولكنه
أول بيت وضع فيه البركة للناس والهدى ومقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً . وإن شئت بناتك كيف
بناؤه . إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم أن ابن لي بيتاً في الأرض فضاقت به ذرعا فارسل إليه السكينة
وهي ریح خجوج لها رأس فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت ثم تطوقت في موضع البيت تطوق الحية ،
فبنى إبراهيم حتى بلغ مكان الحجر قال لابنه أبنى حجراً فالتمس حجراً حتى أتاه به فوجد الحجر الأسود
فركب فقال لا يهمن أن لك هذا ؟ قال جاء به من لا يتكل على بنائك ، جاء به جبريل من السماء
فأتمه . قال فر عليه الدهر فأنهدم فبنته العاقلة ، ثم أنهدم فبنته جرم ، ثم أنهدم فبنته قريش ورسول الله
(س) يومئذ رجل شاب . فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فقالوا نحكم بيننا أول
رجل يخرج من هذه السكة ، فكان رسول (س) . أول من خرج عليهم فقضى بينهم أن يجعلوه في مرط
ثم ترفه جميع القبائل كلهم . وقال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة وقيس وسلام كلهم عن سماك

ابن حرب عن خالد بن هريرة عن علي بن أبي طالب . قال : لما انهدم البيت بعد جرم بنته قريش فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا من يضعه فاتفقوا أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب فدخل رسول الله (ص) من باب بني شيبه فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه وأمر كل نخذ أن يأخذوا بطائفة من الثوب فرفعوه وأخذ رسول الله (ص) فوضعه ، قل يعقوب بن سفيان أخبرني أصبغ بن فرج أخبرني ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال لما بلغ رسول الله (ص) الحلم جمرت امرأة الكعبة فطارت شرارة من مجرها في ثياب الكعبة فاحترقت فهدموها حتى إذا بنوها فبلغوا موضع الركن اختصمت قريش في الركن أي القبائل تلى رفعه . فقالوا : تعالوا نحكم أول من يطع علينا ، فطلع عليهم رسول الله (ص) وهو غلام عليه وشاح نمره فحكوه فأمر بالركن فوضع في ثوب ثم أخرج سيد كل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركن فكان هو يضعه فكان لا يزداد على السن الأرضي حتى يدعو الأمين قبل أن ينزل عليه الوحي ، فطفقوا لا ينحرون جزواً إلا التمسوه فيدعو لهم فيها ، وهذا سياق حسن ، وهو من سير الزهري ، وفيه من الغرابة قوله : فلما بلغ الحلم . والمشهور أن هذا كان رسول الله (ص) عمره خمس وثلاثون سنة ، وهو الذي نص عليه محمد بن اسحاق بن يسار رحمه الله .

وقال موسى بن عقبة : كان بناء الكعبة قبل المبعث بخمس عشرة سنة . وهكذا قال مجاهد ، وعروة ، ومحمد بن جبير بن مطعم ، وغيرهم . فلهذا اعلم .

وقال موسى بن عقبة : كان بين الفجار وبين بناء الكعبة خمس عشرة سنة .

قلت : وكان الفجار وحلف الفضول في سنة واحدة إذ كان عمر رسول الله (ص) عشرون سنة . وهذا يؤيد ما قال محمد بن اسحاق والله اعلم .

قال موسى بن عقبة : وإنما حمل قريشاً على بنائها ان السيول كانت تأتي من فوقها ، من فوق الردم الذي صفوه فخر به فخافوا ان يدخلها الماء . وكان رجل يقال له ملبح سرق طيب الكعبة . فأرادوا ان يشيدوا بنيانها وان يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شاءوا فاعدوا لذلك نفقة وعمالا . ثم غدوا إليها ليهدموها على شفق وحذر أن يمنهم الذي أرادوا . فكان أول رجل طلعتها وهدم منها شيئاً الوليد بن المغيرة فلما رأوا الذي فعل الوليد تتابعوا فوضعوها فأعجبهم ذلك . فلما أرادوا أن يأخذوا في بنائها احضروا عاملهم فلم يقدر رجل منهم أن يمضي امامه موضع قدم فزعوا انهم رأوا حية قد أحاطت بالبيت رأسها عند ذنبها . فأشفقوا منها شفقة شديدة ، وخشوا ان يكونوا قد وقعوا مما عملوا في هلكة . وكانت الكعبة حرزهم ومنعتهم من الناس وشرفاهم . فلما سقط في ايديهم والتبس عليهم امرهم قام فيهم المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فذكر ما كان من نصحه لهم وامره إياهم ان لا يتشاجروا ولا يتحاسدوا في بنائها . وأن يقتسموها ارباعاً . وان لا يدخلوا في بنائها ملاحراماً . وذكر انهم لما عزموا على ذلك

ذهب الحية في السماء وتقيت عنهم ورأوا ان ذلك من الله عز وجل . قال : ويقول بعض الناس إنه اختطفها طائر وألقاها نحو أجياد .

وقال محمد بن اسحاق بن يسار : فلما بلغ رسول (س) ، خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبناء الكعبة وكانوا يهيمون بذلك ليقفوها ويهايون هدمها . وإنما كانت رضيا فوق القامة . فأرادوا رفعها وتسقيفها وذلك ان نفراً سرقوا كنز الكعبة ، وإنما كان في بئر في جوف الكعبة . وكان الذي وجد عنده الكنز دويك مولى لبني مليح بن عمرو بن خزاعة . فقطعت قريش يده وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك . وكان البحر قد رمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم . فتحطمت . فاخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها . قال الاموي : كانت هذه السفينة لقبصر ملك الروم تحمل آلات البناء من الرخام والخشب والحديد سرحها قيصر مع باقوم الروم الى الكنيسة التي احرقها الفرس للحبشة فلما بلغت مرساها من جدة بعث الله عليها ريحا فخطمتها .

قال ابن اسحاق : وكان بمكة رجل قبلي نجار قهياً لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها . وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كانت تطرح فيها ما يهدى اليها كل يوم . فتشرف على جدار الكعبة وكانت مما يهايون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احزألت^(١) وكشت وفتحت فاهها ، فكانوا يهايونها ، فبينما هي يوماً تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع ، بعث الله عليها طائراً فاخطفها فذهب بها . فقالت قريش : إنالترجوان يكون الله تعالى قد رضى ما أردنا ، عندنا عامل رقيق وعندنا خشب وقد كفانا الله الحية .

وحكى السهيلي : عن رزين أن سارقاً دخل الكعبة في أيام جرم ليسرق كنزها . فتهار البئر عليه حتى جاءوا فأخرجوه وبأخذوا منه ما كان أخذه ، ثم سكنت هذا البئر حية رأسها كراس الجدى وبطنها أبيض وظهرها أسود فأقامت فيها خمسمائة عام وهي التي ذكرها محمد بن اسحاق .

قال محمد بن اسحاق : فلما أجمعوا أمرهم لهدمها وبنائها قام أبو وهب عمرو بن عابد بن عبد بن عمران بن مخزوم . وقال ابن هشام عابد بن عمران بن مخزوم . فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه . فقال : يا مشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيباً . لا يدخل فيها مهر بنى ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس . والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . ثم رجع ابن اسحاق أن قائل ذلك أبو وهب بن عمرو . قال وكان خال أبي النبي (س) وكان شريفاً ممدحاً .

وقال ابن اسحاق : ثم أن قريشاً تجزأت الكعبة . فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة ، وما

(١) احزألت : أى اجتمعت تريد الوثوب .

بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم . وكان ظهر الكعبة لبني جمح وسهم . وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبني أسد بن عبد العزى ولبني عدي بن كعب ، وهو الخطيم . ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه . قال الوليد بن المغيرة أنا أبدوكم في هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم ترع اللهم إنا لا نريد إلا الخير . ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة ، وقالوا : ننظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت وإن لم يصبه شيء فقد رضى الله ما صنعنا من هدمها . فأصبح الوليد غدياً على عمله فهدم وهدم الناس معه - حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس - أساس إبراهيم عليه السلام - أنضوا إلى حجارة خضر كالأسنة أخذ بعضها بعضاً - ووقع في صحیح البخاری عن يزيد بن رومان كأنسمة الابل - قال السهيلي وأرى رواية السيرة كالأسنة وهما والله أعلم .

قال ابن اسحاق : فحدثني بعض من يروي الحديث أن رجلاً من قريش ممن كان يهدمها ادخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر انقضت مكة بأسرها . فأنهوا عن ذلك الأساس .

وقال موسى بن عقبة : وزعم عبد الله بن عباس أن أولية قريش كانوا يحدون أن رجلاً من قريش لما اجتمعوا لئزعوا الحجارة إلى تأسيس إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام عمد رجل منهم إلى حجر من الأساس الأول فرفعه وهو لا يدري أنه من الأساس الأول ، فأبصر القوم برقة تحت الحجر كادت تلمع بصر الرجل ، ونزا الحجر من يده فوق في موضعه وفزع الرجل والبناء . فلما ستر الحجر عنهم ما تحتهم إلى مكانه عادوا إلى بنيانهم وقالوا لا تحركوا هذا الحجر ولا شيئاً بحذاته .

قال ابن اسحاق : وحدثت أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسريانية فلم يعرفوا ما هو ، حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فاذا هو أنا الله ذوبك ، خلقها يوم خلقت السماوات والأرض ، وصورت الشمس والقمر ، وحففتها ببيعة أملاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشابها - قال ابن هشام يعني جبالها - مبارك لأهلها في الماء واللبن .

قال ابن اسحاق : وحدثت أنهم وجدوا في المقام كتاباً فيه : مكة الله الحرام ، يأتيها رزقها من ثلاثة سبل ، لا يحلها أول من أهلها . قال وزعم ليث بن أبي سليم أنهم وجدوا في الكعبة قبل مبعث النبي (ص) ، بأربعين سنة - إن كان ما ذكر حقاً - مكتوباً فيه : من يزرع خيراً يحصده غبطة ، ومن يزرع شراً يحصده ندامة . يعلون السبثات ويمجزون الحسنات ؟ أجل كما يجتنى من الشوك العنب .

وقال سعيد بن يحيى الأموي : حدثنا المصمر بن سليمان الرقي عن عبد الله بن بشر الزهري - برفع الحديث إلى النبي (ص) - قال : « وجد في المقام ثلاثة أصفح ، في الصفح الأول : إني أنا الله

ذوبكة ، صنعها يوم صنعت الشمس والقمر وحققها بسبعة أملاك حنفاء ، وباركت لأهلها في اللحم واللبن
وفي الصفح الثاني : إني أنا الله ذوبكة ، خلقت الرحم وشققت لها من اسمي . فمن وصلها وصلته ومن قطعها
بقتة ، وفي الصفح الثالث : إني أنا الله ذوبكة ، خلقت الخير والشر وقدرته . فطوبى لمن أجرى الخير
على يديه وويل لمن أجرى الشر على يديه .

قال ابن اسحاق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجتمع على حدة . ثم
بنوها حتى بلغ البناء موضع الركن فاخصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى .
حتى تحاذروا أو تحالفوا ، وأعدوا للقتال فحربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً . ثم تعاقبوا هم وبنو عدى
ابن كعب بن لؤى على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة . فسماوا لعة الدم . فمكنت
قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا ثم اتهموا في المسجد فقتلوا ورواوا تناصفوا . فزعم بعض أهل
الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم - وكان عامئذ أسن قريش كلها قال :
يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه .
ففعلوا . فكان أول داخل دخل رسول الله (ص) . فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا ، هذا محمد .
فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال رسول الله (ص) : « هلموا إلى ثوباً » فأتى به وأخذ الركن فوضعه
فيه يده ثم قال « لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب . ثم ارفعوه جميعاً » ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه
وضعه هو يده (ص) . ثم بنى عليه . وكانت قريش تسمى رسول الله (ص) « الأمين » .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثنا ثابت - يعني أبا يزيد - حدثنا هلال يعني ابن حبان
عن مجاهد عن مولاة - وهو السائب بن عبد الله - انه حدثه انه كان فم بنى الكعبة في الجاهلية قل :
وكان لي حجر - انا نحتته أعبدته من دون الله - قال : وكنت أجيء بالبن الخار الذي آفقه على نفسي
فأصبه عليه فيجىء الكلب فيلحسه ثم يشتر فيبول عليه قل : فبيننا حتى بلغنا موضع الحجر ولا يرى
الحجر أحد . فاذا هو وسط أحجارنا مثل رأس الرجل يكاد يترأى منه وجه الرجل . فقال بطن من
قريش : نحن نضمه وقل آخرون نحن نضمه فقالوا اجعلوا بينكم حكماً . فقالوا أول رجل يطلع من
الفتح . فجاء رسول الله (ص) فقالوا أناكم الامين . فقالوا له فوضعه في ثوب . ثم دعا بطونهم فرفعوا نواحيه
فوضعه هو (ص) .

قال ابن اسحاق : وكانت الكعبة على عهد النبي (ص) ثمانى عشرة ذراعاً وكانت تكسى القباطى .
ثم كسيت بعد البرور . وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف .

قلت : وقد كانوا أخرجوا منها الحجر - وهو ستة أذرع أو سبعة أذرع من ناحية الشام - قصرت بهم
النقطة أى لم يتمكنوا أن يبنوه على قواعد ابراهيم . وجعلوا للكعبة باباً واحداً من ناحية الشرق . وجعلوه

مرتفعاً فلا يدخل إليها كل أحد فيدخلوا من شاهوا ويمنعوا من شاهوا وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله (ص) قال لها: «ألم ترى أن قومك قصرت بهم النفقة . ولولا حدثان قومك بكفر لتقضت الكعبة وجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربياً ، وأدخلت فيها الحجر » ولهذا لما تمكن ابن الزبير بناها على ما اشار اليه رسول الله (ص) وجاءت في غاية البهاء والحسن والسناء كاملة على قواعد الخليل . لها بابان ملتصقان بالارض شرقياً وغربياً . يدخل الناس من هذا ويخرجون من الآخر . فلما قتل الحجاج ابن الزبير كتب الى عبد الملك بن مروان - وهو الخليفة يومئذ - فيما صنعه ابن الزبير واعتقدوا انه فعل ذلك من تلقاء نفسه . فامر باعادتها الى ما كانت عليه فعمدوا الى الحائط الثامى فحصوه واخرجوا منه الحجر وورصوا حجارته في أرض الكعبة . فارتفع بابها وسدوا الغربي واستمر الشرقي على ما كان عليه فلما كان في زمن المهدي - أو ابنه المنصور - استشار مالكا في اعادةها على ما كان صنعه ابن الزبير . فقال مالك رحمه الله : إني اكره أن يتخذها الملوك لعبة . فتركها على ما هي عليه . فهي الى الآن كذلك . وأما المسجد الحرام : فقول من أخر البيوت من حول الكعبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، اشتراها من أهلها وهدمها فلما كان عثمان اشترى دوراً وزادها فيه . فلما ولي ابن الزبير أحكم بنيانه ، وحسن جدرانه وأكثر ابوابه . ولم يوسعه شيئاً آخر . فلما استبد بالأمر عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع جدرانه وامر بالكعبة فكسيت الديباج . وكان الذي تولى ذلك بامر الحجاج بن يوسف . وقد ذكرنا قصة بناء البيت والاحاديث الواردة في ذلك في تفسير سورة البقرة عند قوله (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) وذكرنا ذلك مطولاً مستقصى فمن شاء كتبه هاهنا والله الحمد والمنة .

قال ابن اسحاق : فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبدالمطلب ، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب ببيان الكعبة لها :

عجبت لما تصوبت العقابُ	الى الثعبان وهي لها اضطرابُ
وقد كانت تكون لها كشيئُ	واحياناً يكون لها وثابُ
اذا قننا الى التأسيس شدت	كُهيئنا البناء وقد نهابُ
فلما أن خشبنا الزجر جاءت	عقابُ تلتفت لها انصبابُ
فضمتها اليها ثم خلتُ	لنا البنيان ليس لها حجابُ
فقمنا حاشدين الى بناءِ	لنا منه القواعد والترابُ
غداة يرفع التأسيس منه	وليس على مساوينا ثيابُ
أعزبه الملكُ بني لؤي	فليس لأصله منهم ذهابُ
وقد حدثت هناك بنو عدي	ومرة قد تقدمها كلابُ

فَبَوَّأْنَا الْمَلِيكَ بِذَلِكَ عَزَاءً وَعِنْدَ اللَّهِ يُلْتَمَسُ الثَّوَابُ

وقد قدمنا في فصل ما كان الله يجوِّط به رسول (ص) من أقدار الجاهلية ، أنه كان هو والعباس معه ينقلان الحجارة ، وأنه عليه الصلاة والسلام لما وضع إزاره تحت الحجارة على كتفه نهى عن خلع إزاره فأعاده إلى سيرته الأولى .

فَضَرَبْنَا بِذَلِكَ

وذكر ابن اسحاق ما كانت قريش ابتدعوه في تسميتهم الحمس ، وهو الشدة في الدين والصلابة . وذلك لأنهم عظموا الحرم تهظيماً زائداً بحيث التزموا بسببه أن لا يخرجوا منه ليلة عرفة . وكانوا يقولون نحن أبناء الحرم وقطان بيت الله . فكانوا لا يقفون بعرفات مع علمهم أنها من مشاعر إبراهيم عليه السلام ، حتى لا يخرجوا عن نظام ما كانوا قرروه من البدعة الفاسدة . وكانوا لا يدخرون من الذين أقطوا ولا سمنا ولا يسلمون شحماً وهم حرم . ولا يدخلون بيتاً من شعر ولا يستظلون ان استظلوا الا بيت من آدم . وكانوا يمنعون الحبيج والعمار - ماداموا محرمين - أن يأكلوا إلا من طعام قريش ، ولا يطوفوا الا في ثياب قريش ، فان لم يجد احد منهم ثوب أحد من الحمس وهم قريش وما ولدوا ومن دخل معهم من كنانة وخزاعة طاف عرباناً ولو كانت امرأة ولهذا كانت المرأة اذا اتفق طوافها لذلك وضعت يدها على فرجها وتقول :

اليوم يبدو بمضه أو - كاه وبعد هذا اليوم لا أحله (١)

فان تكرم أحد من يجد ثوب أحسى فطاف في ثياب نفسه فعليه إذا فرغ من الطواف ان يلقبها فلا يفتنع بها بعد ذلك . وليس له ولا لغيره أن يمسه . وكانت العرب تسمى تلك الثياب اللقي قال بعض الشعراء :

كفى حزناً كرى عليه كأنه لقي بين أيدي الطائفين حريم

قال ابن اسحاق : فكانوا كذلك حتى بعث الله محمداً (ص) ، وأنزل عليه القرآن رداً عليهم فيما ابتدعوه فقال (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أي جمهور العرب من عرفات (واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) وقد قدمنا أن رسول الله (ص) كان يقف بعرفات قبل أن ينزل عليه توفيقاً من الله له ، وأنزل الله عليه رداً عليهم فيما كانوا حرموا من اللباس والطعام على الناس (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلموا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المرففين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) الآية . وقال زياد البكائي عن ابن اسحاق : ولا أدري أكان ابتداعهم لذلك قبل الفيل أو بعده .

(١) وفي المصرية وابن هشام : وما بدا منه فلا أحله .

مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

تسليماً كثيراً . وذكر شيء من البشارات بذلك

قال محمد بن اسحاق رحمه الله : وكانت الأخبار من اليهود والسكمان من النصارى ومن العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله (ص) قبل مبعثه لما تقارب زمانه ، أما الأخبار من اليهود والرهبان من النصارى فمما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم اليهم فيه . قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجيونه مكتوباً عندم في التوراة والانجيل) الآية وقال الله تعالى (وإذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله اليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد) . وقال الله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل) الآية . وقال الله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قل أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال : « ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه وليتبعنه » يعلم من هذا أن جميع الأنبياء بشروا وأمروا باتباعه .

وقد قال إبراهيم عليه السلام فيما دعا به لأهل مكة : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك) الآية .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج بن فضالة حدثنا لقمان بن عامر سمعت أبا أمامة قال قلت يا رسول الله ، ما كان بدء أمرك ؟ قال : « دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاعت له قصور الشام » وقد روى محمد بن اسحاق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله (ص) عنه مثله ومعنى هذا أنه أراد بدء أمره بين الناس واشتهار ذكره وانتشاره فذكر دعوة إبراهيم الذي تنسب اليه العرب ، ثم بشرى عيسى الذي هو خاتم أنبياء بني اسرائيل كما تقدم . يدل هذا على أن من بينهما من الأنبياء بشروا به أيضا .

أما في الملائكة فقد كان أمره مشهوراً منذ كورا معلوماً من قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام كما قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا ماوية بن صالح عن سعيد بن سويد السكبي

عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن الرباض بن سارية . قال قال رسول الله (ص) : « إني عبد الله خاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأنبئكم بأول ذلك ، دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت ، وكذلك أمهات المؤمنين » . وقد رواه الليث عن معاوية بن صالح وقال : إن أمه رأت حين وضعته نوراً أضاعت منه قصور الشام . وقال الامام احمد أيضاً حدثنا عبد الرحمن حدثنا منصور بن سعد عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر قال : قلت يا رسول الله ، متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » تفرد بهن احمد .

وقد رواه عمر بن احمد بن شاهين في كتاب دلائل النبوة من حديث أبي هريرة فقال حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز - يعني أبا القاسم البغوي - حدثنا أبو همام الوليد بن مسلم عن الاوزاعي حدثني يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله (ص) ، متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « بين خاق آدم ونفخ الروح فيه » ورواه من وجه آخر عن الاوزاعي به . وقال : « وآدم منجدل في طينته » . وروى عن البغوي أيضاً عن احمد بن المقدم عن بقة بن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي هريرة - مرفوعاً - في قول الله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) قال رسول الله (ص) : « كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث » ومن حديث أبي مزاحم عن قيس بن الربيع عن جابر عن الشعبي عن ابن عباس قيل يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » . وأما الكهان من العرب فاتهم به الشياطين من الجن مما تسترق من السمع ، إذ كانت وهي لا تجيب عن ذاك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما بعض ذكر أموره ولا يلقى العرب لذلك فيه بالا . حتى بعث الله تعالى ، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرفوها ، فلما تقارب أمر رسول الله (ص) وحضر زمان مبعثه حجبت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تعقد لاستراق السمع فيها ، فرموا بالنجوم فعرفت الشياطين أن ذلك لأمر حدث من أمر الله عز وجل . قال وفي ذلك أنزل الله على رسوله (ص) : (قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجيباً يهدي إلى الرشاد فأمننا به ولن نشرك بربنا أحداً) إلى آخر السورة . وقد ذكرنا تفسير ذلك كله في كتابنا التفسير ، وكذا قوله تعالى (وإذ صرفنا إليك قرآناً من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصداقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم) الآيات ، ذكرنا تفسير ذلك كله هناك .

قال محمد بن اسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أنه حدث أن أول العرب فزع للرمي بالنجم حين رمى بها - هذا الحى من تهيف - وإيهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية

أحد بنى علاج وكان أدهى العرب وأمكرها ، فقالوا له يا عمرو ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم ؟ قال بلى ، فانظروا فإن كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء من الصيف والشتاء ، لما يصلح الناس في معاشهم هي التي يرمى بها ، فهو والله طى الدنيا ، وهلاك هذا الخلق وإن كانت نجوماً غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق فما هو ؟ .

قال ابن اسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن امرأة من بنى سهم - يقال لها الفيظلة - كانت كاهنة في الجاهلية جاءها صاحبها ليلة من الليالي فانقض تحتها ، ثم قال : أدر ما أدر ، يوم عقر ونحر ، قالت قريش حين بلغها ذلك ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى فانقض تحتها ثم قال : شعوب ماشعوب ؟ تصرع فيه كعب الجنوب . فلما بلغ ذلك قريشا قالوا ما ذا يريد ؟ إن هذا لأمر هو كائن فانظروا ما هو ، فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب فعرفوا أنه كان الذي جاء به إني صاحبه .

قال ابن اسحاق : وحدثني علي بن نافع الجرشي أن جنبا - بطنا من اليمن - كان لهم كاهن في الجاهلية ، فلما ذكر أمر رسول الله (ص) ، وانتشر في العرب ، قالت له جنبا انظر لنا في أمر هذا الرجل واجتمعوا له في أسفل جبله . فنزل اليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس له ، ورفع رأسه إلى السماء طويلاً ، ثم جعل ينزوي ، ثم قال : أيها الناس إن الله أكرم محمداً واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكنه فيكم أيها الناس قليل . ثم اشتد في جبله راجعاً من حيث جاء ، ثم ذكر ابن اسحاق قصة سواد بن قارب وقد أخرجناها إلى هواتف الجان .

فضيلة

قال ابن اسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا إن مما دعانا إلى الاسلام - مع رحمة الله تعالى وهداه لنا - أن كنا نسمع من رجل من يهود - وكنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا يزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن تقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسول الله (ص) ، أجبناه حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به . فبادرناهم إليه ، فأمننا به وكفروا به . ففينا وفيهم نزلت هذه الآية . (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما مهمم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) .

وقال ورقاء عن ابن أبي نجيح عن علي الأزدي : كانت اليهود تقول اللهم ابث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس يستفتحون به - أي يستنصرون به - رواه البيهقي . ثم روى من طريق عبد الملك ابن هارون بن عنبرة عن أبيه عن جده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : كانت اليهود بخير

تقاتل غطفان فكما اتقوا هزمت يهود خيبر ، فعادت اليهود بهذا الدعاء فقالوا : اللهم نسالك بحق محمد النبي الأُمى الذى وعدتنا أن نخرجه فى آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم ، قال فكانوا إذا اتقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان ، فلما بعث النبي (ص) كفروا به . فأنزل الله عز وجل (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) الآية . وروى عطية عن ابن عباس نحوه . وروى عن عكرمة من قوله نحو ذلك أيضاً .

وقال ابن اسحاق : وحدثني صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلام بن وقش - وكان من أهل بدر - قال كان لنا جار من يهود فى بنى عبد الاشهل ، قال فخرج علينا يوماً من بيته حتى وقف على بنى عبد الاشهل . قال سلمة وأنا يومئذ أحدث من فيه سنا على فروة لى مضطجع فيها بفناء أهلى ، قد ذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار . قال فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أو ثمان لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت ، فقالوا له ويحك يا فلان أو ترى هذا كائنا ؟ إن الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم ؟ قال نعم ، والذى يحلف به ويود أن له تحطة من تلك النار أعظم تنور فى الدار يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطبقونه عليه وأن ينجون من تلك النار غداً قالوا له ويحك يا فلان فما آية ذلك ؟ قال نرى مبعوث من نحو هذه البلاد . وأشار بيده الى نحو مكة واليمن قالوا ومتى نراه ؟ قال - فنظر الى وأنا من أحدثهم سنا - فقال أن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه . قل سلمة فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله (ص) وهو حى بين أظهرنا ، فأما به وكفر به بغيماً وحسداً . قال فقلنا له ويحك يا فلان ألت بالذى قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال بلى ولكن ليس به . رواه احمد عن يعقوب عن ابيه عن ابن عباس . ورواه البيهقى عن الحاكم باسناده من طريق يونس بن بكير .

وروى أبو نعيم فى الدلائل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن محمد بن سلمة قال : لم يكن فى بنى عبد الاشهل الا يهودى واحد يقال له يوشع ، فسمعتة يقول - ورائى لغلام فى ازار - قد اظلم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت . ثم اشار بيده الى بيت الله . فمن ادركه فليصدقه . فبعث رسول الله (ص) فاسلمنا وهو بين أظهرنا لم يسلم حسداً وبغيماً . وقد قدمنا حديث ابى سعيد عن ابيه فى اخبار يوشع هذا عن خروج رسول الله (ص) وصفته ونعتة واخبار الزبير بن باطاعن ظهور كوكب مولد رسول الله (ص) ورواه الحاكم عن البيهقى باسناده من طريق يونس بن بكير عنه .

قال ابن اسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال قال لى : هل تدري عم كان اسلام ثعلبة بن سمية وأسيد بن سمية ، وأسيد بن عبيد - نفر من بنى هذيل ، اخوة بنى قريظة كانوا معهم فى جاهليتهم ، ثم كانوا سادتهم فى الاسلام - قال قلت لاه ، قال فان رجلا من اليهود من ارض

الثام يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبل الاسلام بسنين فحل بين اظهر نالا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلي
 الخمس افضل منه ، فاقام عندنا فكنا اذا قحط عنا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا ، فيقول
 لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة ، فنقول له كم ؟ فيقول صاعا من تمر ، أو مدين من شعير .
 قال فنخرجها ، ثم يخرج بنا الى ظاهر حرثنا فيستقي لنا ، فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب
 ويستقي . قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثا . قال ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف انه ميت قال
 يا مشر يهود ما ترونه اخرجني من ارض الحر والخير الى ارض البؤس والجوع ؟ قال قلنا أنت أعلم
 قال فاني إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أظل زمانه ، هذه البلدة مهاجرة فكنت ارجوان
 يبعث فاتبعه ، وقد أظلم زمانه فلا تسبقن اليه يا مشر يهود ، فانه يبعث بسفك الدماء وصبي الذراري
 فيمن خالفه فلا يمتنعكم ذلك منه . فلما بعث رسول الله (ص) وحاصر بني قريظة قل هؤلاء الغنية -
 وكانوا شبابا أحداثا - : يا بني قريظة والله إنه للنبي الذي عهد اليكم فيه ابن الهيبان . قالوا ليس به قالوا
 بلى والله إنه هو بصفته . فترزوا فاسلوا فاحرزوا دماهم وأموالهم وأهلهم
 قال ابن إسحاق فهذا ما بلغنا عن احبار يهود .

قلت : وقد قدمنا في قدوم مع الجاني وهو أبو كرب تبان أسعد إلى المدينة ومحاصرته إياها وانه
 خرج اليه ذانك الخبران من اليهود فقالا له إنه لا سبيل لك عليها ، أنها مهاجرة نبي يكون في آخر الزمان
 فتناه ذلك عنها . وقد روى أبو نعيم في الدلائل من طريق الوليد بن مسلم حدثنا محمد بن حمزة بن
 يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده . قال قال عبد الله بن سلام : ان الله لما أراد هدى زيد
 ابن سعية قال زيد لم يبق شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد (ص) ، حين نظرت اليه
 إلا اثنتين لم أخبرهما منه : يسبق حله جهله ، ولا يزيد شدة الجهل عليه إلا حلا . قال فكنت ألتطف
 له لأن أخالطه فأعرف حله وجهله ، فذكر قصة أسلافه للنبي (ص) مالا في ثمرة ، قال فلما حل الأجل
 أتته فأخذت بمجامع قميصه وردائه - وهو في جنازة مع أصحابه - ونظرت اليه بوجه غليظ ، وقلت : يا محمد
 ألا تنصيني حتى ؟ فوالله ما علمتكم بنى عبد المطلب اطل ، قال فنظر إلى عمر وعيناه يدوران في وجهه
 كالفلك المستدير . ثم قال يا عدو الله أتقول لرسول الله (ص) ما أسمع ، وتفعل ما أرى ؟ فوالذي بعثه
 بالحق لولا ما أحاذر لومه لصرت بسببى رأسك ، ورسول الله (ص) ينظر إلى عمر في سكوز وتؤدة
 وتبسم . ثم قال : « أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر ، أن تأمرني بحسن الاداء ، وتأمره
 بحسن التباعة ، اذهب به يا عمر فاقضه حقه . وزد عشرين صاعاً من تمر » فأسلم زيد بن سعية رضى الله
 عنه . وشهد بقية المشاهد مع رسول الله (ص) ، وتوفي عام تبوك رحمه الله .

ثم ذكر ابن إسحاق رحمه الله : اسلام سلمان الفارسي رضى الله عنه وأرضاه فقال حدثني عاصم بن

عمر بن قتادة الأنصاري عن محمود بن ابيد عن عبد الله بن عباس . قال حدثني سلمان الفارسي - من فيه - قال كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من أهل قرية يقال لها جى وكان أبى دهقان قريبته وكنت أحب خلق الله إليه ، فلم يزل جبه إياى حتى حبسنى فى بيته كما تحبس الجارية ، واجتهدت فى المحوسية ، حتى كنت قطن النار التى بوقدها لا يتركها تنجبر ساعة قال وكانت لأبى ضيعة عظيمة ، قال فشغل فى بيان له يوماً فقال لى يا بنى إنى قد شغلت فى بيانى هذا اليوم عن ضيعتى ، فذهب إليها فاطلمها ، وأمرنى فيها ببعض ما يريد . ثم قال لى ولا تحبس عنى فانك إن احتبست عنى كنت أهم إلى من ضيعتى وشغلتنى عن كل شىء من أمرى . قال فخرجت أريد ضيعة التى بعثنى إليها فررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون . وكنت لا أدرى ما أمر الناس لحبس أبى إياى فى بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ورغبت فى أمرهم . وقلت هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه ، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبى فلم آتيا . ثم قلت لهم أين أصل هذا الدين ؟ قالوا بالشام ، فرجعت إلى أبى وقد بعث فى طلبى وشغلته عن أمره كله . فلما جئت قال أى بنى أين كنت ألم أكن أعهد اليك ما عهدته ؟ قال قلت يا أبة مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس قال أى بنى ، ليس فى ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه . قال قلت كلا والله إنه لخير من ديننا . قال فخافنى فحمل فى رجلى قيلاً ثم حبسنى فى بيته . قال وبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم . قال قدم عليهم ركب من الشام فخاؤنى النصارى فأخبرونى بهم . فقلت إذا قضا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأذنونى قال فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبرونى بهم فالتفت الحديد من رجلى ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمتها قلت من أفضل أهل هذا الدين علماً ؟ قالوا الأسقف فى الكنيسة . قال فختمته فقلت له إنى قد رغبت فى هذا الدين وأحببت أن أكون معك وأخدمك فى كنيستك وأنعم منك فأعلى معك . قال ادخل فدخلت معه فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فاذا جمعوا له شيئاً كنزه لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق ، قال وابتغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع . ثم مات واجتمعت له النصارى ليدفنوه . فقلت لهم إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جتموه بها كنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً . قال فقالوا لى وماء لك بذلك ؟ قال فقلت لهم انا أدلكم على كنزه ، قالوا فدلنا . قال فإرثهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً ، فلما رأوها قالوا لا ندفعه أبداً قال فصلبوه ورجموه بالحجارة . وجاؤا برجل آخر فوضوه مكانه . قال سلمان فما رأيت رجلاً لا يصلح الخس أرى أنه أفضل منه أزهد فى الدنيا ولا أرغب فى الآخرة ولا أداب ليلاً ونهاراً . قال فاحببته حبا

لم احب شيئاً قبله مثله. قال فاقمت معه زماناً ثم حضرته الوفاة فقلت له إني قد كنت معك وأحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى فإلى من توصى بي؟ وبم تأمرني به؟ قال أي بني والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه. لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فالحق به. قال فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل. فقلت يا فلان إن فلاناً أوصاك عند موته أن ألحق بك وأخبرني أنك على أمره، فقال لي أقم عندي. فاقمت عنده فوجدته خير رجلاً على أمر صاحبه فلم يلبث أن مات فلما حضرته الوفاة قلت له يا فلان إن فلاناً أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فإلى من توصى بي وبم تأمرني؟ قال يا بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين وهو فلان فالحق به، فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فاخبرته خبري وما أمرني به صاحبي. فقال أقم عندي فاقمت عنده. فوجدته على أمر صاحبه فاقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما حضر قلت له يا فلان إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك فإلى من توصى بي وبم تأمرني؟ قال يا بني والله ما أعلمه بقى أحد على أمرنا أمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية من أرض الروم فإنه على مثل ما نحن عليه. فان أحببت فائمه فإنه على أمرنا. فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فاخبرته خبري فقال أقم عندي فاقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم. قال واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة، قال ثم نزل به أمر الله فلما حضر قلت له يا فلان إني كنت مع فلان فاوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إلى فلان ثم أوصى بي فلان إلى فلان. ثم أوصى بي فلان إليك فإلى من توصى بي وبم تأمرني؟ قال أي بني، والله ما أعلم أصبح أحد على مثل ما كنا عليه من الناس أمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظل زمان نبى مبعوث بدين إبراهيم يخرج بارض العرب مهاجرة إلى الأرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى يأكل المدينة ولا يأكل الصدقة بين كنفه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل. قال ثم مات وغيب ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث. ثم مر بي نفر من كلب تجار فقلت لهم احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه قالوا نعم فاعطيتهم مواها وحمولوني معهم حتى إذا بلغوا وادى القرى ظلموني فباعوني من رجل يهودى عبداً، فكنت عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحق في نفسي. فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من نبى فريضة من المدينة، فابتاعني منه فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فمرقتها بصفة صاحبي ها، فاقمت بها وبعث رسول الله (ص) فاقام بمكة ما أقام ولا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة فوالله إني لفي رأس عذق لسيدى أعمل فيه بعض العمل. وسيدى جالس تحتى إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يا فلان قاتل الله نبى قبيلة. والله إنهم ليجتمعون الآن بقباء على

رجل قدم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي . قال سلمان فلما سمعتها أخذتني الرعدة حتى ظننت اني ساقط على سيدي فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ قال ففضب سيدي فلكنى لكمة شديدة . ثم قال مالك ولهذا ؟ أقبل على عمك ، قال فقلت لا شيء إنما أردت أن أستبته عما قال . قال وقد كان عندي شيء قد جمته فلما أمسيت أخذته . ثم ذهبت به إلى رسول الله (ص) . وهو بقاء . فدخلت عليه فقلت له إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة ، فرأيتم أحق به من غيركم . قال فقربته اليه فقال رسول الله (ص) لأصحابه « كلوا » وأمسك يده فلم يأكل ، فقلت في نفسي هذه واحدة ثم انصرفت عنه فجعلت شيئاً ونحو رسول الله (ص) إلى المدينة . ثم جمته فقلت له إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمك بها . قال فأكل رسول الله (ص) منها وأمر أصحابه فأكلوا معه ، قال فقلت في نفسي هاتان ثنتان . قال ثم جمت رسول الله (ص) وهو بقيق الفرق قد تبع جنازة رجل من أصحابه وعليه شملتان وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه . ثم استدبرته أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ؟ فلما رأي رسول الله (ص) استدبرته عرف أني أستبته في شيء وصف لي . فالتقي رداه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فأكبت عليه أقبله وأبكي فقال لي رسول الله (ص) : « تحول » فتحولت بين يديه ، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس . فاعجب رسول الله (ص) أن يسمع ذلك أصحابه . ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله (ص) بدر وأحمد . قال سلمان : ثم قال لي رسول الله (ص) : « كاتب يا سلمان » فكاتبته صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحببها له بالفقير (١) وأربعين أوقية . فقال رسول الله (ص) : « لأصحابه « أعينوا أخاكم » فاعانوني في النخل : الرجل ثلاثين ودية ، والرجل بعشرين ودية ، والرجل بخمس عشرة ودية والرجل بعشرة . يمين الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية . فقال لي رسول الله (ص) : « اذهب يا سلمان فققر لها ، فإذا فرغت فائتني أكن أنا أضعبها بيدي » . قال : فقترت ، وأعانتني أصحابي ، حتى إذا فرغت جمته فاخبرته . فخرج رسول الله (ص) معي إليها . فجعلنا تقرب إليه الودي ، ويضمه رسول الله (ص) يده حتى إذا فرغنا فوالذي نفس سلمان يده ما ماتت منها ودية واحدة . فاديت النخل وبقى على المال . فأتى رسول الله (ص) بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن . فقال « ما فعل الفارسي الكاتب ؟ » قال فدعيت له قال « خذ هذه فادها مما عليك يا سلمان » قال قلت : وأين تقع هذه مما على يا رسول الله ؟ قال « خذها فان الله سيؤدي بها عنك » قال فاخذتها فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان يده - أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم وعتق سلمان . فشهدت مع رسول الله (ص) الخندق حراً ثم لم يفتني معه مشهد .

(١) فقير النخلة : حفرة تحفر للفسيلة إذا حولت لتغرس فيها . من النهاية .

قال ابن اسحاق: وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن رجل من عبد القيس عن سلمان أنه قال لما قلت وأين تقع هذه من الذي على يارسول الله؟ أخذها رسول الله (ص)، فقلها على لسانه، ثم قال: «أخذها فأوفهم منها» فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم كما أربمين أوقية.

وقال محمد بن اسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة حدثني من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز ابن مروان قال حدثت عن سلمان أنه قال لرسول الله (ص)، حين أخبره أن صاحب عمورية قال له: إيت كذا وكذا من أرض الشام، فإن بها رجلا بين غيظتين يخرج كل سنة من هذه الغيضة مستجيزا يعترضه ذوو الاسقام فلا يدعو لاحد منهم الا شفى فاسأله عن هذا الدين الذي تبتغى فهو يخبرك عنه قال سلمان فخرجت حتى جئت حيث وصف لي فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك حتى يخرج لهم تلك الليلة مستجيزا من احدى الغيظتين الى الاخرى. فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو اريض الا شفى وغلبوني عليه فلم أخلص اليه حتى دخل الغيضة التي يريد ان يدخل الا منكبه. قال فتناولته فقال من هذا؟ وانتفت الى قال قلت برحمتك الله أخبرني عن الحنيفية دين ابراهيم، قال انك لتسال عن شئ ما يسأل عنه الناس اليوم، قد أظلك زمان نبي يبعث بهذا الدين من أهل الحرم، فإنه فهو يحملك عليه. ثم دخل فقال رسول الله (ص) لسلمان: «لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم» هكذا وقع في هذه الرواية. وفيها رجل منهم وهو شيخ عاصم بن عمر بن قتادة. وقد قيل إنه الحسن ابن عمارة ثم هو منقطع بل معضل بين عمر بن عبد العزيز وسلمان رضى الله عنه. قوله لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم غريب جداً بل منكر. فان الفترة أقل ما قيل فيها انها اربعمائة سنة، وقيل ستمائة سنة بالشمسية، وسلمان أكثر ما قيل انه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة. وحكى العباس ابن يزيد البحراني اجماع مشايخه على أنه عاش مائتين وخمسين سنة. واختلفوا فيما زاد الى ثلاثمائة وخمسين سنة والله أعلم. والظاهر أنه قال لقد لقيت وصى عيسى بن مريم فهذا ممكن بالصواب.

وقال السهيلي: الرجل المبهم هو الحسن بن عمارة وهو ضعيف وإن صح لم يكن فيه نكارة. لان ابن جرير ذكر أن المسيح نزل من السماء بعد ما رفع فوجد أمه وامرأة أخرى يبكيان عند جذع المصلوب فأخبرها أنه لم يقتل وبث الخواريين بعد ذلك. قال وإذا جاز نزوله مرة جاز نزوله مراراً ثم يكون نزوله الظاهر حين يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويتزوج حينئذ امرأة من بني جذام وإذا مات دفن في حجرة روضة رسول الله (ص).

وقد روى البيهقي في كتاب دلائل النبوة قصة سلمان هذه من طريق يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق كما تقدم ورواها أيضاً عن الحاكم عن الاصم عن يحيى بن أبي طالب. حدثنا علي بن عاصم حدثنا حاتم بن أبي صفرة عن سماك بن حرب عن يزيد بن صوحان أنه سمع سلمان يحدث كيف كان أول

إسلامه . فذكر قصة طويلة وذكر انه كان من رامهرمز وكان له أخ أكبر منه غني وكان سلمان فقيراً في كنف أخيه ، وأن ابن دهقانها كان صاحباً له وكان يختلف معه إلى معلم لهم وأنه كان يختلف ذلك الغلام إلى عباد من النصارى في كهف لهم فسأله سلمان أن يذهب به معه اليهم فقال له إنك غلام وأخشى أن تم عليهم فيقتلهم أبي ، فالتزم له أن لا يكون منه شيء يكرهه فذهب به معه فاذا هم ستة أو سبعة - كأن الروح قد خرجت منهم من العبادة يصومون النهار ويقومون الليل يأكلون الشجر وما وجدوا فذكر عنهم أنهم يؤمنون بالرسول المتقدمين وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته أيده بالمعجزات . وقالوا له يا غلام إن لك رباً وإن لك معاداً وإن بين يديك جنة ونارا وإن هؤلاء القوم الذين يعبدون النيران أهل كفر وضلالة لا يرضى الله بما يصنعون وليسوا على دينه . ثم جعل يتردد مع ذلك الغلام اليهم ثم لزمهم سلمان بالكلية ثم أجلام ملك تلك البلاد وهو أبو ذلك الغلام الذي صحبه سلمان اليهم عن أرضه واحتبس الملك ابنه عنده وعرض سلمان دينهم على أخيه الذي هو أكبر منه فقال إني مشغول بنفسي في طلب الميثة فارتحل معهم سلمان حتى دخلوا كنيسة الموصل فلم عليهم أهلها ثم أرادوا أن يتركوني عندهم فأبيت الا صحبتهم فخرجوا حتى أتوا وادياً بين جبال فتحدر اليهم رهبان تلك الناحية يسلمون عليهم واجتمعوا اليهم وجعلوا يسألونهم عن غيبتهم عنهم ويسألونهم عنى فيثنون على خيراً ، وجاء رجل معظم فيهم فخطبهم قائمى على الله بما هو أهله وذكر الرسل وما أبدوا به وذكر عيسى بن مريم وأنه كان عبد الله ورسوله وأمرهم بالخير ونهاهم عن الشر ، ثم لما أرادوا الانصراف تبعه سلمان ولزمه قال فكان يصوم النهار ويقوم الليل من الاحد إلى الاحد فيخرج اليهم ويمظهم ويأمرهم وينهاهم فكث على ذلك مدة طويلة ، ثم أراد أن يزور بيت المقدس فصحبه سلمان اليه قال فكان فيما يمشى يلتفت الى ويقبل على فيمظنى ويخبرنى أن لى رباً وأن بين يدي جنة ونارا وحساباً ويعلمنى ويذكرنى نجر ما كان يذكر القوم يوم الأحد قال فيما يقول لى : يا سلمان إن الله سوف يبعث رسولا اسمه احمد يخرج من تهامة بأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كنفية خاتم النبوة [وهذا زمانه الذى يخرج فيه قد تقارب فلما أنا فانى شيخ كبير ولا أحسبى أدركه فان أدركته أنت فصدقه واتبعه ، قلت له وإن أمرنى بترك دينك وما أنت عليه قال وإن أمرك فان الحق فيما يجيى به ورضى الرحمن فيما قال . ثم ذكر قدومهما إلى بيت المقدس وأن صاحبه صلى فيه هاهنا وهاهنا ثم قام وقد أوصاه أنه إذا بلغ الظل مكان كذا أن يوقظه فتركه سلمان حيناً آخر أزيد مما قال ليستريح ، فلما استيقظ ذكر الله ولام سلمان على ترك ما أمره من ذلك ثم خرجا من بيت المقدس فسأله مقصد فقال يا عبد الله سألتك حين وصلت فلم تعطنى شيئاً وها أنا أسألك فنظر فلم يجد أحداً فأخذ بيده وقال قم بنم الله فقام وليس به بأس ولا قلة (١) كأنما نشط من عقال . فقال لى يا عبد الله

(١) القلة محرقة : داء وألم من هلة .

احمل على مناعى حتى أذهب إلى أهلى فأبشروهم ، فاشتغلت به ثم أدركت الرجل فلم ألقه ولم أدر أين ذهب وكلمت عنه قوماً قالوا أمامك حتى لقبني ركب من العرب من بنى كلب فسألهم فلما سمعوا لفتى أباخ رجل منهم بعيرد فحملني خلفه حتى أتوا بى بلادهم . فباعوني فاشتريته امرأة من الانصار فحملتني في حائط لها وقدم رسول الله (ص) ، ثم ذكر ذهابه اليه بالصدقة والهدية ليستعلم ما قال صاحبه ، ثم تطلب النظر إلى خاتم النبوة فلما رآه آمن من ساعته . وأخبر رسول الله (ص) خبره الذى جرى له قال فأمر رسول الله (ص) أبا بكر الصديق فاشتراه من سيده فاعتقه ، قال ثم سأله يوماً عن دين النصارى فقال : لا خير فيهم . قال فوقع في نفسى من أولئك الذين صحبتهم ومن ذلك الرجل الصالح الذى كان معى بيت المقدس فدخاني من ذلك أمر عظيم حتى أنزل الله على رسول الله (ص) (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون) فدعاني رسول الله (ص) فجتت وأنا خائف فجلست بين يديه فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم (ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون) الآيات . ثم قال « يا سليمان أولئك الذين كنت معهم وصاحبك لم يكونوا نصارى كانوا مسلمين » فقلت يا رسول الله الذى بعثك بالحق هو أمرنى باتباعك . فقلت له فان أمرنى بترك دينك وما أنت عليه ؟ قال نعم فتركه فان الحق وما يرضى الله فيما يأمرك . وفي هذا السياق غرابة كثيرة وفيه بعض المخالفة لسياق محمد بن اسحاق وطريق محمد بن اسحاق أقوى إسناداً وأحسن اقتصاصاً وأقرب إلى ما رواه البخارى في صحيحه من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمى عن أبيه عن أبي عثمان النهدي عن سليمان الفارسي أنه تداوله بضعة عشر ، من رب إلى رب ، أى من معلم إلى معلم ومرب إلى مثله والله أعلم .

قل السهيلي : تداوله ثلاثون سيدياً من سيدي إلى سيدي ، فله أعلم . وكذلك استقصى قصة إسلامه الحافظ ابو نعيم في الللائل وأورد لها أسانيد وألفاظاً كثيرة ، وفي بعضها أن اسم سيده التى كاتبته حابسة فله أعلم .

ذكر أخبار غريبة في ذلك

قال أبو نعيم في الللائل : حدثنا سليمان بن احمد حدثنا محمد بن زكرياء الغلابي حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي السوية المنقري حدثنا عباد بن كريب عن أبيه عن أبي عتوارة الخزاعي عن سمير بن سواده العامري (١) قال كنت عشياً لعل قبلة من عتائل الحى ، أركب لها الصمب والذلول لا أتقى من البلاد مسرحاً أرجو ربها في متجر إلا أتيت ، فانصرفت من الشام بمحرت وأثالث أريد به كبة الموسم

(١) قد تقصيت الللائل . فلم أقف على هذا الخبر . فليحذر .

ودهاه العرب، فدخلت مكة ببلد مسند فأقت حتى تفرى عنى قبص الليل فرفت رأسي فاذا قباب مسامتة شرف الجبال، مضروبة بأنطاق الطائف وإذا جزر تنحر وأخرى تساق، وإذا أكلة وحشة على الطهارة يقولون: الا عجولوا الا عجولوا، وإذا رجل يجهر على فتر من الارض، ينادى يا وفد الله ميلوا إلى الفداء. وأنسان على مدرجة يقول: يا وفد الله من طعم فإيرح إلى العشاء، فجهرني ما رأيت فأذبلت أريد عميد القوم، فرف رجل الذي بي، فقال أمامك، وإذا شبيخ كان في خديه الأساريع، وكان الشعرى تو قد من جيده، قد لاث على رأسه عمامة سوداء قد أبرز من ملأها حمة فيناثة كأنها سماسم. قال في بعض الروايات تحته كرسى سماسم^(١) ومن دونها نمرقة بيده قضيب متخصر به حوله مشايخ جلس نواكس الأذقان ما منهم أحد يفيض بكامة. وقد كان نحرى إلى خبر من أخبار الشام أن النبي الأسمى هذا أو ان نجومه، فلما رأيت ظننته ذلك. فقلت السلام عليك يا رسول الله. فقال: مه مه، كلا وكان قد وليتني إياه فقلت من هذا الشيخ؟ فقالوا هذا أبو فضلة، هذا هاشم بن عبد مناف، فوليت وأنا أقول هذا والله المجد لا مجد آل جفنة - يعنى ملوك عرب الشام من غسان كان يقال لهم آل جفنة - . وهذه الوظيفة التي حكاه عن هاشم هي الرفاة يعنى إطعام الحجيج زمن الموسم.

وقال أبو نعيم: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا محمد بن احمد بن أبي يحيى حدثنا سعيد بن عثمان حدثنا علي بن قتيبة الخراساني حدثنا خالد بن الياس عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم عن أبيه عن جده. قال سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب قال: بينا أنا نائم في الحجر إذ رأيت رؤيا هالتي ففزعت منها فزعاً شديداً، فأتيت كهنة قريش وعلى مطرف خز وجعتي تضرب منكبي فلما نظرت إلى عرفت في وجهي التغيير وأنا يومئذ سيد قومي فقالت: ما بال سيدنا قد آتانا متغير اللون؟ هل رابه من حدثان الدهر شيء؟ فقالت لها بلى! وكان لا يكلمها أحد من الناس حتى يقبل يدها النبي، ثم يضع يده على أم رأسها ثم يذكر حاجته ولم أفعل لأنى كبير قومي. فجلدت فقالت إنى رأيت الليلة وأنا نائم في الحجر كأن شجرة تنبت قد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها المشرق والمغرب، وما رأيت نوراً أزهى منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً. ورأيت العرب والعجم صاجدين لها وهي تزداد كل ساعة عظماً ونوراً وارتفاعاً ساعة تضحى وساعة تزهر، ورأيت رهطاً من قريش قد تعلقوا بأغصانها، ورأيت قوماً من قريش يريدون قطعها. فاذا دنوا منها أخرجهم شاب لم أر قط أحسن منه وجهاً ولا أطيب منه ريحاً فيكسر أظهم ويقلع أعينهم. فرفت بدى لا تناول منها نصيباً، فمنعني الشاب فقلت لمن النصيب؟ فقال النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك إليها. فأتيت مذعوراً فزعاً فرأيت وجه الكاهنة قد تغير، ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس

(١) سماسم: الأولى هيدان السمس. والثانية خشب أسود كالأبنوس

ثم قال - يعني عبد المطلب - لأبي طالب ، لملك تكون هذا المولود قال فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث بعد ما ولد رسول الله (ص) وبعد ما بعث . ثم قال كانت الشجرة والله أعلم أبا القاسم الأمين ، فيقال لأبي طالب ألا تؤمن ؟ فيقول السببة والعار .

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكرياء الغلابي حدثنا العباس بن بكار الضبي حدثنا أبو بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس . قال قال العباس : خرجت في تجارة إلى اليمن في ركب - منهم أبو سفيان بن حرب ، فقدمت اليمن فكنت أصنع يوماً طعاماً وانصرف بأبي سفيان وبالنفير ويصنع أبو سفيان يوماً ، ويفعل مثل ذلك ، فقال لي في يومى الذى كنت أصنع فيه : هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى بيتي وترسل إلى غداك ؟ قلت نعم . فانصرفت أنا والنفير إلى بيته وأرسلت إلى الغداء فلما تعدى التوم قاموا واحتبسنى فقال هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول الله قلت نعمى بنى أخى ؟ فقال أبو سفيان إياى تسكتم ؟ وأى بنى أخيك يذعى أن يقول هذا الرجل واحد ؟ قلت وأيهم على ذلك ؟ قال : شو محمد بن عبد الله ، قلت قد فعل ؟ قال بلى قد فعل . واخرج كتاباً باسمه من ابنة حنظلة بن أبي سفيان فيه : أخبرك أن محمداً قام بالابطح فقال : «انا رسول ادعوكم الى الله عز وجل» قال العباس قلت إجده بأبا حنظلة صاق . فقال مهلاً يا أبا الفضل فوالله ما أحب أن يقول مثل هذا ، إني لأخشى أن يكون على ضمير من هذا الحديث يا بنى عبد المطلب ، إنه والله ما برحت قريش تزعم أن لكم هنة وهنة ، كل واحدة منهما عاية . لنشدتك يا أبا الفضل هل سمعت ذلك ؟ قلت نعم قد سمعت . قال فهذه والله شؤمتكم . قلت فلم يمتنا ، قال فما كان بعد ذلك الا ليال حتى قدم عبد الله بن حذافة بلخبر وهو مؤمن ، ففشا ذلك في مجالس اليمن ، وكان أبو سفيان يجلس مجلساً باليمن يتحدث فيه حبر من أحبار اليهود ، فقال له اليهودى ما هذا الخبر ؟ بلغنى أن فيكم عم هذا الرجل الذى قال ما قال ؟ قال أبو سفيان صدقوا وانعموا ، فقال اليهودى أخو أبيه ؟ قال نعم ! قال فحدثنى عنه . قال لا تسألنى ما أحب أن يدعى هذا الأمر ابداً ، وما أحب أن أعيبه وغيره خير منه . فرأى اليهودى أنه لا يضمن عليه ولا يحب أن يعيبه . فقال اليهودى ليس به بأس على اليهود ، وتوراة موسى . قال العباس فنادانى الحبر ، فجئت فخرجت حتى جلست ذلك المجلس من الغد ، وفيه أبو سفيان بن حرب والحبر ، قلت للحبر بلغنى أنك سألت ابن عمى عن رجل منا زعم أنه رسول الله (ص) وأخبرك أنه عمه ، وليس بعمة . ولكن ابن عمه وانا عمه وأخو أبيه . قال أخو أبيه ؟ قلت أخو أبيه ، فأقبل على أبي سفيان فقال صدق ؟ قال نعم صدق ، قلت سئلتى فان كذبت فليرد على ، فأقبل على فقال نشدتك هل كان لابن أخيك صبوة أوسفة ؟ قلت لا وإله عبد المطاب ولا كذب ولا خان ، وانه كان اسمه عند قريش الامين . قال فهل كتب بيده ؟ قال العباس فظننت انه خير له ان يكتب بيده فاردت ان أقولها ثم ذكرت مكان أبي سفيان يكذبني ويرد على

فقلت لا يكتب فرب الخبر ونزل رداؤه وقال ذبحت يهود ، وقتلت يهود . قال العباس فلما رجعنا الى منزلنا ، قال أبو سفيان يا أبا الفضل إن اليهود تفزع من ابن أخيك ، قلت قد رأيت مرأيت ، فهل لك يا أبا سفيان ان تؤمن به ، فان كان حقا كنت قد سبقت وان كان باطلا فمعك غيرك من الكفاك؟ قال لا أؤمن به حتى أرى الخليل في كداء ، قلت ما تقول؟ قل كلمة جاءت على في الا اني اعلم ان الله لا يترك خيلا تطلع من كداء . قال العباس فلما استفتح رسول الله (ص) مكة ونظرنا الى الخليل وقد طلعت من كداء ، قلت يا أبا سفيان تذكر الكلمة؟ قل اي والله اني لذاكرها فالحمد لله الذي هداني للاسلام . وهذا سياق حسن عليه البهاء والنور وضياء الصدق وان كان في رجاله من هو متكلم فيه والله أعلم .

وقد تقدم ما ذكرناه في قصة أبي سفيان مع أمية بن أبي الصلت ، وهو شبيه بهذا الباب وهو من أغرب الاخبار واحسن السياقات وعليه النور . وسيأتي أيضا قصة أبي سفيان مع هرقل ملك الروم حين سأله عن صفات رسول الله (ص) واحواله ، واستدلالة بذلك على صدقه ونبوته ورسالته . وقال له : كنت أعلم انه خارج ، ولكن لم أكن أظن انه فيكم ، ولو أعلم اني اخلص اليه لتجشمت لقيه . ولو كنت عنده لاضلت عن قدميه . ولئن كن ما تقول حقا لياكن موضع قدمي هاتين . وكذلك وقع والله الحمد والملة . وقدأكثر الحافظ أبو نعيم من إيراد الآثار والاختبار عن الرهبان والاحبار والعرب . فاكثروا وطيب واحسن وأطيب رحمه الله ورضي عنه .

قصة عمرو بن مرة الجهني

قال الطبراني : حدثنا علي بن ابراهيم الخزازي الأهوازي حدثنا عبد الله بن داود بن دهاث بن اسماعيل بن عبد الله بن شريح بن ياسر بن سويد صاحب رسول الله (ص) . حدثنا أبي عن أبيه دهاث عن أبيه اسماعيل أن أبا عبد الله حدثه عن أبيه أن أباه ياسر بن سويد حدثه عن عمرو بن مرة الجهني قال : خرجت حاجا في جماعة من قومي في الجاهلية ، فرأيت في نومي وأنا بمكة ، نورا ساطعا من الكعبة حتى وصل الى جبل يثرب . واشعر جهينة . فسمعت صوتا بين النور وهو يقول : انقشفت الظلماء ، وسطع الضياء ، وبث خاتم الانبياء . ثم اضاء اضاءة أخرى ، حتى نظرت الى قصور الحبرة وأبيض المدائن ، وسمعت صوتا من النور وهو يقول : ظهر الاسلام ، وكسرت الاصنام ، ووصلت الارحام ، فاستهت فرعا فقلت لقومي : والله ليحدثن لهذا الحى من قريش حدث - واخبرتهم بما رأيت فلما انتهينا الى بلادنا جاءني رجل يقال له أحمد قد بث فاتيته فاخبرته بما رأيت . فقال « يا عمرو بن مرة ، أنا النبي المرسل الى العباد كافة . أدعوهم الى الاسلام ، وأمرهم بحقن الدماء وضلة الأرحام ، وعبادة الله

ورفض الأصنام ، وحج البيت وصيام شهر رمضان من اثني عشر شهرا . فمن اجاب فله الجنة ، ومن عصى فله النار . فآمن يا عمرو يؤمنك الله من هول جهنم « فقلت اشهد ان لا إله الا الله وانك رسول الله آمنت بما جئت من حلال وحرام ، وان رغم ذلك كثيرا من الأقوام . ثم أئذنته أبياتا قلها حين سمعت به . وكان لنا صنم . وكان أبي سادنا له قممت اليه فكسرتة . ثم لحقت بالنبى (ص) ، وانا أقول :

شهدتُ بأن الله حقٌّ وانبي
لا إله الا حجارِ أولُ تارك
وشمَّرتُ عن ساقِ الإزارِ مهاجراً
اليك أجوبُ القفرَ بعد الد كادك
لاصحبَ خيرَ الناسِ فساداً والداً
رسولُ ملكِ الناسِ فوقَ الجبائِك

فقال النبى (ص) : « مرحبا بك يا عمرو بن مرة » فقلت يا رسول الله ابغضنى الى قومي . لعل الله يمن عليهم بي كما من على بك . فبعثنى اليهم . وقال : « عليك بالرفق والقول السديد . ولا تكن فظاً . ولا متكبراً ولا حدوداً » فذكر انه أتى قومه ، فدعاهم الى ما دعاه اليه رسول الله (ص) ، فاسلموا كلهم . الا رجلاً واحداً منهم ، وانه وفد بهم الى رسول الله (ص) . فرحب بهم وحيامهم . وكتب لهم كتاباً هذه نسخته « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من الله على لسان رسول الله (ص) ، بكتاب صادق ، وحق ناطق مع عمرو بن مرة الجهنى الجمينة بن زيد : ان لكم بطون الأرض وسهولها ، وتلاع الأودية وظهورها ، تزرعون نباته وتشربون صافيه ، على ان تقرؤوا بالخمس ، وتصلوا صلاة الخمس وفى التبعة والصريمة ان اجتمعتا وان تفرقتا شاة شاة ، ليس على أهل الميرة صدقة ، ليس الوردة البقة (١) وشهد على نبينا (ص) من حضر من المسلمين بكتاب قيس بن شماس . وذكروا شعره قاله عمرو بن مرة فى ذلك كما هو بسوط فى المسند الكبير وبالله الثقة وعليه التكلان .

وقال الله تعالى : (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) قال كثيرون من السلف : لما أخذ الله ميثاق نبي آدم يوم (ألت بربكم) أخذ من النبيين ميثاقاً خاصاً ، وأكد مع هؤلاء الخمسة أولى العزم أصحاب الشرائع الكبار الذين أولهم نوح وآخرهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وقد روى الحافظ أبو نعيم فى كتاب دلائل النبوة من طرق عن الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعى حدثنا يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة : سئل النبى (ص) متى وجبت لك النبوة ؟ قال « بين خلق آدم ونفخ الروح فيه » وهكذا رواد الترمذى من طريق الوليد بن مسلم . وقال حسن غريب من حديث أبى هريرة ، لا نعرفه الا من هذا الوجه .

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن احمد حدثنا يعقوب بن اسحاق بن الزبير الحلبي حدثنا أبو جعفر

(١) البقة . كذا فى الاصل ولعلها يريد أنه لا يؤخذ فى الصدقة كرائم الاموال

التفلي حدثنا عمرو بن واقد عن عروة بن رويم عن الصنابحي . قال قال عمر : يا رسول الله ، متى جعلت نبياً ؟ قال : « وآدم منجدل في الطين » ثم رواه من حديث نصر بن مزاحم عن قيس بن الربيع عن جابر الجعفي عن الشعبي عن ابن عباس قال : قيل يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » وفي الحديث الذي أوردناه في قصة آدم حين استخرج الله من صلبه ذريته خص الانبياء بنور بين أعينهم . والظاهر - والله أعلم - أنه كان على قدر منازلهم ورتبهم عند الله . وإذا كان الأمر كذلك فنور محمد (س) كان أظهر وأكبر وأعظم منهم كاهم . وهذا تنويه عظيم وتنبية ظاهر على شرفه وعلو قدره . وفي هذا المعنى الحديث الذي قال الامام أحمد * حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد السكابي عن عبد الاعلى بن هلال السلمي عن العرياض بن سارية . قال قال رسول الله (س) : « انى عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمُنْجَدِلٌ في طينته وسأنبئكم بأول ذلك : دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأت . وكذلك أمهات المؤمنين برين » ورواه الليث وابن وهب عن عبد الرحمن بن مهدي ، وعبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح وزاد « إن أمه رأت حين وضعت نوراً أضأت منه قصور الشام » وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا منصور بن سعيد عن بديل عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر قال قلت يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » اسناده جيد أيضاً وهكذا رواه ابراهيم بن طهمان وحماد ابن زيد وخالد الخذاء عن بديل بن ميسرة به . ورواه أبو نعيم عن محمد بن عمر بن أسلم عن محمد بن بكر بن عمرو الباهلي عن شيبان عن الحسن بن دينار عن عبد الله بن سفيان عن ميسرة الفجر قال : قلت يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » .

وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه دلائل النبوة : حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم عن خايد بن دعلج وسعيد عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي (س) ، في قوله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) قال « كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث » ثم رواه من طريق هشام بن عمار عن بقية عن سعيد بن نسير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً مثله . وقد رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة وشيبان عن قتادة قال ذكر لنا أن رسول الله (س) قال مثله . وهذا أثبت وأصح والله أعلم .

وهذا إخبار عن التنويه بذكره في الملائكة الأعلى وأنه معروف بذلك بينهم بأنه خاتم النبيين وآدم لم ينفخ فيه الروح ، لأن علم الله تعالى بذلك سابق قبل خلق السموات والارض لا محالة فلم يبق الا هذا الذي ذكرناه من الاعلام به في الملائكة الأعلى والله أعلم .

وقد أورد أبو نعيم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة الحديث المتفق عليه

« نحن الاخرون السابقون يوم القيامة ، المقضى لهم قبيل الخلائق بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم » وزاد أبو نعيم في آخره : فكان (س) آخرهم في البعث وبه ختمت النبوة . وهو السابق يوم القيامة . لأنه أول مكتوب في النبوة والعهد . ثم قال : ففي هذا الحديث الفضيلة لرسول الله (س) لما أوجب الله له النبوة قبل تمام خلق آدم . ويحتمل أن يكون هذا الايجاب هو ما أعلم الله ملائكته ما سبق في علمه وقضائه من بعثته له في آخر الزمان وهذا الكلام يوافق ما ذكرناه والله الحمد وروى الحاكم في مستدرکه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - وفيه كلام - عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضی الله عنه قال قال رسول الله (س) : « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت لي ، فقال الله : يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقته بعد ؟ فقال يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله . فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال الله صدقت يا آدم انه لأحب الخلق اليّ واذا قد سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك » قال البيهقي : تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف والله أعلم .

وقد قال الله تعالى (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لمامم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) قال علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس رضی الله عنهما : ما بعث الله نبياً من الانبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد (س) وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه [وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه] (١) وهذا تنويه وتنبيه على شرفه وعظمته في سائر الملل وعلى السنة الانبياء وإعلام لهم ومنهم برسالته في آخر الزمن . وإنه أكرم المرسلين وخاتم النبيين . وقد أوضح أمره وكشف خبره وبين سره ، وجلى مجده ومولده وبلده ابراهيم الخليل في قوله عليه السلام حين فرغ من بناء البيت (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) فكان أول بيان أمره على الجلية والوضوح بين أهل الأرض على لسان ابراهيم الخليل أكرم الانبياء على الله بعد محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهم وعلى سائر الانبياء . ولهذا قال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج - يعني ابن فضالة - حدثنا لقمان بن عامر سمعت أبا أمامة قال قلت يا نبي الله ما كان بدء امرك ؟ قال « دعوة أبي ابراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام » تفرد به الامام احمد ولم يخرجها أحد من أصحاب الكتب الستة . وروى الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب

(١) هذه الجملة ليست في المصرية نقلاً عن محمود الامام .

المولد من طريق بقية عن صفوان بن عمرو عن حجر بن حجر عن أبي مريق أن إعرابياً قال يا رسول الله
 أى شيء كان أول أمر نبوتك ؟ فقال « أخذ الله منى الميثاق كما أخذ من النبيين ميثاقهم . ورات أم
 رسول الله (ص) في منامها أنه خرج من بين رجلها سراج أضاءت له قصور الشام (١) . وقال الامام
 محمد بن اسحاق بن يسارة حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله (ص) أنهم
 قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك . قل « دعوة أبي ابراهيم ، وبشرى عيسى . ورات أمى حين
 حبلت كأنه خرج منها نور أضاءت له بصرى من أرض الشام « إسناده جيد أيضاً . وفيه بشارة لأهل
 محامنا أرض بصرى وإبها أول بقعة من أرض الشام خلص اليها نور النبوة ، والله الحمد والمنة ولهذا
 كانت أول مدينة فتحت من أرض الشام وكان فتحها صلحاً في خلافة أبي بكر رضى الله عنه ، كما سيأتى
 بيانه . وقد قدمها رسول الله (ص) ، مرتين في صحبة عمه أبي طالب وهو ابن اثنتى عشرة سنة وكانت
 عندها قصة بحيرى الراهب كما بيناه . والثانية ومعه ميسرة مولى خديجة في تجارة لها . وبها برك الناقة
 التى يقال لها ناقة رسول الله (ص) ، بركت عليه فأثر ذلك فيها فيما يذكر . ثم نقل وبنى عليه مسجد مشهور
 اليوم . وهى المدينة التى أضاءت اعناق الابل عندها من نور للنار التى خرجت من أرض الحجاز سنة
 أربع وخمسين وسبعمائة وفق ما أخبر به رسول الله (ص) . فى قوله « تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها
 أعناق الابل ببصرى » وسيأتى الكلام على ذلك فى موضعه إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان .
 وقال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل ،
 يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحمل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال
 التى كانت عليهم . فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون)
 الآية . قال الامام احمد حدثنا اسمايل عن الجريرى عن أبي صخر العقيلي حدثنى رجل من الأعراب
 قال : جلبت جلوبة إلى المدينة فى حياة رسول الله (ص) . فلما فرغت من بيعى قلت لالتين هذا
 الرجل فلا سمعن منه . قال : فتلقاني بين أبي بكر وعمر بمشون ، فبعتهم حتى أتوا على رجل من اليهود
 ناشر التوراة يقرؤها يعزى بها نفسه عن ابن له فى الموت كأحسن الفتيان وأجملهم . فقال رسول الله (ص) .
 « أنشدك بالذى أنزل التوراة ، هل تجدنى فى كتابك ذا صفتى ومخرجى ؟ » فقال برأسه هكذا . أى
 لا . فقال ابنه : إى والذى أنزل للتوراة إننا لنجد فى كتابنا صفتك ومخرجك وأشهد أن لا إله إلا الله ،
 وأنتك رسول الله . فقال : « أقيموا اليهودى عن أخيكم » ثم ولى كفته والصلاة عليه . هذا إسناد جيد
 وله شواهد فى الصحيح عن أنس بن مالك رضى الله عنه . وقل أبو القاسم البغوى حدثنا عبد الواحد
 ابن غياث - أبو بجر - حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا عاصم بن كليب عن أبيه عن الصلتان بن عاصم

(١) هذه الجملة ليست فى المصرية .

وذكر أن خاله قال : كنت جالساً عند النبي (ص) ، إذ شخص بصره إلى رجل فاذا يهودي عليه قميص وسراويل وفتلان . قال فجعل النبي (ص) يكلمه وهو يقول : يا رسول الله . فقال رسول الله (ص) « أتشهد أني رسول الله ؟ » قال لا . قال رسول الله (ص) « أنقرأ التوراة ؟ » قال نعم قال « أنقرأ الانجيل ؟ » قال نعم . قال « والقرآن ؟ » قال لا . ولو تشاء قرأته . فقال النبي (ص) « فبم تقرأ التوراة والانجيل ، أتجدني نبياً ؟ » قال إنا نجد نعتك ومخرجك . فلما خرجت رجونا أن تكون فينا . فلما رأيناك عرفناك أنك لست به . قال رسول الله (ص) « ولما يهودي ؟ » قال : إنا نجد مكتوباً ، يدخل من أمتة الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، ولا نرى ملك إلا نقرأ يسيراً . فقال رسول الله (ص) « إن أمتي لأكثر من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً » . هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجوه . وقال محمد بن اسحاق عن سالم مولى عبد الله بن مطيع عن أبي هريرة قال : أني رسول الله (ص) [يهود] فقال « أخرجوا أعلمكم » فقالوا عبد الله بن صوريا ، فخلا به رسول الله (ص) ، فناشده بدينه ، وما أنعم الله به عليهم ، وأطعمهم من المن والسلوى ، وظالمهم به من الغمام « أتعلمني رسول الله ؟ » قال اللهم نعم . وإن القوم ليعرفون ما أعرف ، وأن صفتك ونعتك لمبين في التوراة . واسكنهم حسدوك . قال « فما يمنعك أنت ؟ » قال أكره خلاف قومي . وعسى أن يتبعوك ويسلموا فاسلم . وقال سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقول كتب رسول الله (ص) إلى يهود خيبر « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صاحب موسى ، وأخيه ، والمصدق بما جاء به موسى ، ألا إن الله قال لكم يا معشر يهود وأهل التوراة ، إنكم تجدون ذلك في كتابكم : إن محمداً (رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً ينتفون فضلاً من الله ورضواناً سيالماً في وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستعاض فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا) . وإني أنشدكم بالله وبالذي أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسلافكم وأسباطكم المن والسلوى ، وأنشدكم بالذي أيس البحر لا بئسكم حتى أنجاكم من فرعون وعمله إلا أخبرتمونا هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم ، قد تبين الرشد من الغي . وأدعوكم إلى الله وإلى نبيه (ص) .» .

وقد ذكر محمد بن اسحاق بن يسار في كتاب المبتدا عن سعيد بن بشير عن قتادة عن كعب الأحبار ، وروى غيره عن وهب بن منبه أن بختنصر بعد أن خرب بيت المقدس واستذل بني اسرائيل بسبع سنين رأى في المنام رؤيا عظيمة هالته فجمع السكينة والحزار ، وسأطهم عن رؤياه تلك . فقالوا ليقصها الملك حتى نخبره بتأويلها . فقال : إني نسيها ، وإن لم تخبروني بها إلى ثلاثة أيام قتلتمكم عن آخركم . فذهبوا

خائفين وجلين من وعيده . فسمع بذلك دانيال عليه السلام وهو في سجنه . فقال للسجان : اذهب اليه
تقل له ان هاهنا رجلا عنده علم رؤياك وتاويلها . فذهب اليه فأعلمه فطلبه ، فلما دخل عليه لم يسجد له .
فقال له ما منعك من السجود لي ؟ فقال : إن الله آتاني علماً وعلماً وعلماً وأمرني أن لا أسجد لغيره . فقال
له بختنصر إني أحب الذين يوفون لأربابهم باليهود . فأخبرني عن رؤياي . قال له دانيال : رأيت صنماً
عظيماً رجلاه في الأرض ورأسه في السماء ، أعلاه من ذهب ووسطه من فضة ، وأسفله من نحاس ،
وساقاه من حديد ، ورجلاه من فخار ، فبينما أنت تنظر اليه قد أعجبك حسنه وإحكام صنمته قذفه الله
بمحجر من السماء . فوقع على قمة رأسه حتى طحنه واختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده وفخاره حتى
تخيل لك أنه لو اجتمع الانس والجن على أن يميزوا بعضه من بعض لم يقدروا على ذلك . ونظرت إلى
الحجر الذي قذف به ربو ويمظم وينتشر حتى ملأ الأرض كلها فصرت لا ترى الا الحجر والسياء .
فقال له بختنصر صدقت هذه الرؤيا التي رأيتها فما تاويلها ؟ فقال دانيال أما الصنم فأمم مختلفة في أول
الزمان وفي وسطه وفي آخره ، وأما الحجر الذي قذف به الصنم فدين يقذف الله به هذه الامم في آخر
الزمان فيظهره عليها فيبعث الله نبياً أمياً من العرب فيدوخ به الأمم والأديان كما رأيت الحجر دوخ
أصناف الصنم ويظهر على الأديان والامم كما رأيت الحجر ظهر على الأرض كلها ، فيمحص الله به
الحق ويزهق به الباطل ويهدي به أهل الضلالة ويعلم به الأميين ويقوى به الضعفة ويعزبه الأذلة وينصر
به المستضعفين . وذكرك تمام القصة في اطلاق بختنصر بنى اسرائيل على يدى دانيال عليه السلام ،
وذكر الواقدي بأسانيد عن المفيرة بن شعبة في قصة وفوده على المقوقس ملك الاسكندرية وسؤاله له
عن صفات رسول الله (ص) ، قريباً من سؤال هرقل لابي سفيان صخر بن حرب ، وذكرك أنه سأل
اساقفة النصارى في الكنائس عن صفة رسول الله (ص) ، وأخبروه عن ذلك وهي قصة طويلة ذكرها
الحافظ أبو نعيم في الدلائل . وثبت في الصحيح أن رسول الله (ص) مرت بمدارس اليهود فقال لهم
« يا معشر اليهود اسلموا فوالذي نفسي بيده إنكم لتجدون صفتي في كتبكم » الحديث . وقال الامام
أحمد : حدثنا موسى بن داود حدثنا فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقيت
عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفات رسول الله (ص) في التوراة فقال أجل والله
إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن ، يا أيها النبي إنا رأيناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً
للأميين ، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل لافظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيموا الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله الا الله بفتح به أعينا
عمياً وأذانا صماً وقلوباً غلفاً . ورواه البخارى عن محمد بن سنان العوفى عن فليح به . ورواه أيضاً عن
عبد الله - قبل ابن رجاء ، وقيل ابن صالح - عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال بن علوية ولفظه قريب

من هذا وفيه زيادة . ورواه ابن جرير من حديث فليح عن هلال عن عطاء وزاد قال عطاء فلقيت
كعباً ضالته عن ذلك فما اختلف حرفاً ، وقال في البيوع . وقل سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله
ابن سلام قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو الحسين بن المفضل القطان حدثنا عبد الله بن جعفر
حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا أبو صالح حدثنا الليث حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال
ابن أسامة عن عطاء بن يسار عن ابن سلام انه كان يقول : إنا لنجد صفة رسول الله (ص) ، إنا أرسلناك
شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميت المتوكل ليس بفظ ولا غليظ
ولا صخاب فى الاسواق ولا يحزىء السيئة بمثلها ولكن يعزى ويتجاوز ولن يقبضه حتى يقيم به الملة
العوجاء بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله بفتح به أعينا عمياً واذاناً صاماً وقلوباً غلفاء . وقال عطاء بن يسار :
وأخبرني الليثى أنه سمع كعب الاحبار يقول مثل ما قال ابن سلام .

قلت : وهذا عن عبد الله بن سلام اشبه ولكن الرواية عن عبد الله بن عمرو أكثر ، مع أنه كان
قد وجد يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب وكان يحدث عنهما كثيراً ، ولعلم أن كثيراً من
السلف كانوا يطلقون التوراة على كتب أهل الكتاب فهى عندهم أعم من التى أنزلها الله على موسى وقد
ثبت شاهد ذلك من الحديث . وقال يونس عن محمد بن اسحاق حدثني محمد بن ثابت بن شرحبيل عن
ابن أبي أوفى عن أم الدرداء قالت قلت لكعب الاحبار كيف تجدون صفة رسول الله (ص) ، فى التوراة
قال نجده محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق واعطى المفاتيح
فبصر الله به أعينا عوراً ويجمع آذاناً وقرأ ويقوم به أسنانه معوجة حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله واحد
لا شريك له يمين به المظلوم وبمنعه . وقد روى عن كعب من غير هذا الوجه . وروى البيهقي عن الحاكم
عن أبي الوليد الفقيه عن الحسن بن سفيان حدثنا عتبة بن مكرم حدثنا أبو قطن عمرو بن الهيثم حدثنا
حمزة بن الزيات عن سليمان الاعمش عن على بن مدرك عن أبي زرعة عن أبي هريرة (وما كنت بجانب
الطور إذ نادينا) قال نودوا يا أمة محمد استجبت لكم قبل أن تدعوني ، واعطيتكم قبل أن تسألوني .
وذكر وهب بن منبه أن الله تعالى أوحى الى داود فى الزبور يداود إنه سيأتى من بعدك نبي اسمه أحمد
ومحمد صادقاً سيداً لا أغضب عليه أبداً ، ولا يفضبنى أبداً وقد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدم من
ذنبه وما تأخر وأمنه مرحومة أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الانبياء ، وفرضت عليهم الفرائض
التي افترضت على الانبياء والرسول حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الانبياء . الى أن قال :
يا داود إني فضلت محمداً وأمنه على الامم كلها . والعلم بانه موجود فى كتب أهل الكتاب معلوم من
الدين ضرورة وقد دل على ذلك آيات كثيرة فى الكتاب العزيز تكلمنا عليها فى مواضعها والله الحمد .
فمن ذلك قوله (الذين آتيناكم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من

ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) وقال تعالى (الذين آتيناكم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) وقال تعالى (إن الذين أتوا العلم من قبله إذا تبلى عليهم بحرون للاذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً) أى ان كان وعدنا ربنا بوجود محمد وارساله لكان لا محالة فسبحان القدير على ما يشاء لا يعجزه شيء. وقال تعالى اخباراً عن القسيسين والرهبان (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) وفي قصة النجاشي وسلمان وعبد الله بن سلام وغيرهم كما سيأتي شواهد كثيرة لهذا المعنى والله الحمد والمنة.

وذكرنا في تضاعيف قصص الانبياء ما تقدم الاشارة اليه من وصفهم لبعثة رسول الله ص. وفضله وبلد مولده ودار مهاجره ونعت أمته في قصة موسى وشعيا وأرميا ودا نيل وغيرهم وقد أخبر الله تعالى عن آخر أنبياء بنى اسرائيل وخاتمهم عيسى بن مريم انه قام في بنى اسرائيل خطيباً قائلاً لهم (إني رسول الله اليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من امدي اسمه أحمد). وفي الانجيل البشارة بالفارقليط والمراد محمد ص. . وروى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن العيزار بن حرب عن عائشة رضی الله عنها أن رسول الله ص. قال « مكتوب في الانجيل لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزى بالسيئة مثلها بل يعفو ويصفح » وقال يعقوب بن سفيان حدثنا فيض البجلي حدثنا سلام بن مسكين عن مقاتل ابن حيان قال: أوحى الله عز وجل الى عيسى بن مريم جسد في أمري واسمع واطع بابن الطاهرة البكر البتول - أنا خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين فابى فاعبد فبين لأهل سوران بالسريانية ، بلغ من بين يديك انى أنا الحق القائم الذى لا أزول صدقوا بابي الأسمى العربى صاحب الجمل والمدبرة والعمامة - وهى التاج - والنملين والمراوة - وهى القضيب - الجعد الرأس الصلت الجبين المقرون الحاجبين الانجل الأمين الاهدب الاشفار الأدهج العينين الاقنى الانف الواضح الخدين الكث اللحية عرقه في وجهه كاللؤلؤ ریح المسك ينضح منه كأن عنقه ابريق فضة وكان الذهب يجرى في تراقيه له شعرات من ابته الى سرته تجرى كالقضيب ليس في بطنه شعر غيره شثن الكف والقدم اذا جاء مع الناس غمرهم واذا مشى كأنما يتقلع من الصخر ويتحدر من صلب ذو النسل القليل - وكأنه أراد الذكور من صلبه - هكذا رواه البيهقي في دلائل النبوة من طريق يعقوب بن سفيان . وروى البيهقي عن عثمان بن الحكم بن رافع بن سنان حدثني بعض عمومتى وآبائى أنهم كانت عندهم ورقة يتوارثونها في الجاهلية حتى جاء الله بالاسلام وقيمت عندهم فلما قدم رسول الله ص. المدينة ذكر وهاله وأتوه بها مكتوب فيها بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين في تباب . هذا الذكر لأمة تأتي في آخر الزمان ليلوت اطرافهم ويوترون على

أوساطهم ويخوضون البحور الى أعينهم فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان ، وفي عاد ما أهلكوا بالريح ، وفي ثمود ما أهلكوا بالصيحة : بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين في تباب . ثم ذكر قصة أخرى قال فعجب رسول الله (ص) ، لما قرأت عليه فيها .

وذكرنا عند قوله تعالى في سورة الأعراف (الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل) قصة هشام بن العاص الأموي حين بعثه الصديق في سرية الى هرقل يدعو الى الله عز وجل . فذكر أنه أخرج لهم صور الانبياء في رقعة من آدم الى محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهم أجمعين على النعت والشكل الذي كانوا عليه . ثم ذكر أنه لما أخرج صورة رسول الله (ص) ، قام قائماً إكراماً له . ثم جلس وجعل ينظر إليها ويتأملها . قال فقلنا له من أين لك هذه الصورة ؟ فقال : إن آدم سأل ربه أن يرهب جميع الانبياء من ذلك ، فانزل عليه صورهم ، فكان في خزانه آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين ، فدفعها الى دانيال . ثم قال : اما والله إن نفسي قد طابت بالخروج من ملكي وأنا كنت عبداً لاشركم ملكة حتى أموت . ثم أجازنا فاحسن جائزتنا وسرحنا . فلما أتينا أبا بكر الصديق فحدثناه بما رأينا وما أجازنا وما قل لنا ، قال فبكي وقال : مسكين لو أراد الله به خيراً لفعل ثم قال أخبرنا رسول الله (ص) ، أنهم واليهود يجدون نعت محمد عندهم . رواه الحاكم بطوله فليكتبها هنا من التفسير . ورواه البيهقي في دلائل النبوة .

وقال الأعمى : حدثنا عبد الله بن زياد عن ابن اسحاق . قال وحدثني يعقوب بن عبد الله بن جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جده عمرو بن أمية قال : قدمت رقيق من عند النجاشي أعطانيهم فقالوا لي يا عمرو لو رأينا رسول الله لعرفناه من غير أن نخبرنا ، فمر أبو بكر فقلت أهو هذا ؟ قالوا لا ، فمر عمر فقلت أهو هذا ؟ قالوا لا فدخلنا الدار فمر رسول الله (ص) ، فننادوني يا عمرو هذا رسول الله (ص) . فظرت فإذا هو هو من غير أن يخبرهم به أحد ، عرفوه بما كانوا يجدونه مكتوباً عندهم وقد تقدم انذار سبأ لقومه وبشارته لهم بوجود رسول الله (ص) ، في شعر أسلفناه في ترجمته فأغنى عن إعادته ، وتقدم قول الخبرين من اليهود لتبوع البعاني حين حاصر أهل المدينة إنها مهاجر نبي يكون في آخر الزمان فرجع عنها ونظم شعراً يتضمن السلام على النبي (ص) .

قصة سيف بن ذي يزن وبشارته بالنبي

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخريزني في كتابه هوائف الجان : حدثنا علي بن حرب حدثنا احمد بن عثمان بن حكيم حدثنا عمرو بن بكر - هو ابن بكار القعني - عن احمد بن القاسم عن محمد بن السائب الكلابي عن أبي صالح عن عبد الله بن عباس . قال : لما ظهر سيف بن ذي يزن قال ابن المنذر - واسمه النعمان بن قيس - على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله (ص) ، بسنتين أخته وفود

العرب وشعراؤها تهنته وتمدحه وتذكر ما كان من حسن بلائه ، وأتاه فيمن أتاه وفود قريش فيهم
عبد المطلب بن هاشم ، وأميه بن عبد شمس أبي عبد الله (١) وعبد الله بن جدعان ، وخويلد بن أسد
في أناس من وجوه قريش قدموا عليه صنعاء ، فاذا هو في رأس غمدان الذي ذكره أميه أبي الصلت :
واشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً في رأس غمدان داراً منك محلاً

فدخل عليه الآذن ، فاخبره بمكانهم فاذن لهم ، فدنا عبد المطلب فاستأذنه في الكلام فقال له ان
كنت ممن يتكلم بين يدي فقد أذنا لك ، فقال له عبد المطلب ان الله قد أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً
صعباً منيعاً ، شامخاً باذخاً ، وانبتك منبتاً طابت أرومته ، وعذيت جرثومته ، وثبت أصله ، وبسق فرعه
في اكرم موطن واطيب معدن فنت - آيت اللعن - ملك العرب وربيعها الذي تخصب به البلاد ،
ورأس العرب الذي له تنقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومقلها الذي يلجأ اليه العباد . وسلفك خير
سلف ، وأنت لنا منهم خير خاف . فلن يخذ من هم سلفه ولن يهلك من أنت خلفه ، ونحن أيها الملك أهل
حرم الله وسدة بيته ، اشخصنا اليك الذي أبهجتك من كشف الكرب الذي قد فدحنا ، وفد التهنته
لا وفد المرزئة . قال : وإيهم أنت أيها المتكلم ؟ قال أنا عبد المطلب بن هاشم . قال ابن أختنا ؟ قال نعم ،
قال ادن فادناه ، ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال مرحباً وأهلاً وناقاً ورحلاً ، ومستنخاً سهلاً ، وملسك
ربحلاً (٢) يعطى عطاء جزلاً . قد سمع الملك مقاتلكم وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، فانتم أهل الليل
والنهار ، ولكم الكرامة ما اقمتم والحباء إذا ظعنتم ، ثم نهضوا الى دار الكرامة والوفود ، فاقاموا شهراً
لا يصلون اليه ولا يأذن لهم بالانصراف ، ثم اتبه لهم انتباهة فارسل الى عبد المطلب فادنى مجلسه واخلاه
ثم قال : يا عبد المطلب إني مفض اليك من سر على ما لو يكون غيرك لم أبح به . ولكني رأيتك معدنه
فاطلعتك طلبه فليكن عندك مطويًا حتى يأذن الله فيه ، فان الله بالغ أمره ، إني أجد في الكتاب
المكتنون والعلم المحزون الذي اخترناه لافسنا واجتبناه دون غيرنا خبيراً عظيماً ، وخطراً جسيماً فيه
شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة . فقال عبد المطلب أيها الملك مثلك
سر وبر ، فما هو فداؤك أهل الوبر زمرأ بعد زمر ؟ قال إذا ولد بهيمة ، غلام به علامة ، بين كنفه شامة
كانت له الامامة ، ولكم به الزعامة الى يوم القيامة . قال عبد المطلب - آيت اللعن - لقد أتت بخير ما
آب به وافد ، ولولا هبة الملك واجلاله واعظامه لسألته من بشارته إياي ما ازداد به سرورا . قال ابن
ذو بزن هذا حينه الذي يولد فيه أوقد ولد واسمه محمد . يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه . ولدناه
ساراً والله باعته جهاراً ، وجاعل له منا انصاراً يعزبهم أوليائه ويذل بهم أعداءه ، ويضرب بهم الناس
عن عرض ، ويستبيح بهم كرائم الأرض ، يكسر الأوثان ويخذ النيران ، يعبد الرحمن ويدحر

(١) كلمة أبي عبد الله . غير موجودة في الدلائل . (٢) الرجل الكثير العطاء .

الشیطان ، قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنکر ویبطله . فقال عبد المطلب
 أيها الملك - عز جدك وعلا كعبك ، ودام ملكك ، وطال عمرك . فهذا نجاري فهل الملك صار لي بأفصاح
 فقد أوضح لي بعض الايضاح . فقال ابن ذی یزن : والبيت ذی الحجب والعلامات على التقب انك
 يا عبد المطلب لجدك غير كذب ، فخر عبد المطلب ساجدا فقال ارفع رأسك تلج صدرك وعلا أمرك فهل
 أحسست شيئا مما ذكرت لك . فقال أيها الملك كان لي ابن وكنت به ممجباً وعليه رفيقا فزوجته كريمة
 من كرائم قومه آمنة بنت وهب فجمت بسلام سميت محمدآ فمات أبوه وأمه وكفلته انا و عمه . قال ابن ذی
 یزن إن الذي قلت لك كما قلت فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل الله لهم
 عليه سبيلا ، واطوما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فاني لست آمن ان تدخل لهم النفاة
 من أن تكون لكم الرياسة فيطلبون له الفوائل وينصبون له الحبائل فهم فاعلون أو ابناؤهم ولولا اني
 اعلم أن الموت محتاجي قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى اصير بيثرب دار مملكته فاني أجسد في
 الكتاب الناطق والعلم السابق ان يثرب استحكام امره وأهل نصرته وموضع قبره ولولا اني أقيه
 الآفات واحذر عليه الماهات لاعلنت على جدانة سنه أمره ولأوطأت اسنان العرب عقبه ، ولكني
 صارف ذلك اليك عن غير تنصير بمن معك . قل ثم أمر لكل رجل منهم بمشرة أعبد وعشرة اماء
 وبمائة من الابل وحلنين من البرود وبخمسة ارطال من الذهب وعشرة ارطال فضة وكرش مملوء عنبراً
 وأمر لعبد المطلب بمشرة أضفاف ذلك وقال له : اذا حال الحول فأتني فمات ابن ذی یزن قبل أن
 يحول الحول ، فكان عبد المطلب كثيراً ما يقول لا يغبطني رجل منكم بمجزييل عطاء الملك فانه الى فقاد
 ولكن ليغبطني بما يبقى لي ولعقبى من بعدى ذكره وفخره وشرفه ، فاذا قيل له متى ذلك قال سيعلم ولو
 بعد حين قال وفي ذلك يقول أمية بن عبد شمس :

جَلَبْنَا النَّصْحَ نَحْبَهُ الْمَطَايَا عَلَى أَكْوَارِ أَجْمَالٍ وَنُوقِ
 مَقْلَقَةٌ مَرَاتِعُهَا تَمَالَى إِلَى صِنْمَاءَ مِنْ فَيْحٍ عَمِيقِ (١)
 تَوَمُّ بِنَا ابْنَ ذِي يَزْنَ وَتَقْرَى بَدَاتِ بَطُونَهَا ذِمَّ الطَّرِيقِ
 وَرَعَى مِنْ مَخَائِلِهِ بُرُوقَا مُوَاصِلَةَ الْوَمِيضِ إِلَى بُرُوقِ
 فَلَمَّا وَاصَلَتْ صِنْمَاءَ حَلَّتْ بَدَارِ الْمَلِكِ وَالْحَسْبِ الْعَرِيقِ

وهكذا رواه الحافظ ابو نعيم في الدلائل من طريق عمرو بن بكير بن بكار القعني ثم قال ابو نعيم
 أخبرت عن أبي الحسن علي بن ابراهيم بن عبد ربه بن محمد بن عبد العزيز بن عفير بن عبد العزيز بن
 السفر بن عفير بن زرعة بن سيف بن ذی یزن حدثني أبي ابو یزن ابراهيم حدثنا عمي احمد بن محمد ابو

(١) كذا بالاصول ولم نجد هذا الشعر في الدلائل ولا في غيره من المراجع .

رحاه به حدثنا عبي محمد بن عبد العزيز حدثني عبد العزيز بن عفير عن أبيه عن زرعة بن سيف بن ذى
 يزن الحميري قال لما ظهر جدهي سيف بن ذى يزن على الحبشة . وذكره بطوله . وقال أبو بكر الخرائطي
 حدثنا أبو يوسف يعقوب بن اسحاق القلوسى حدثنا العلاء بن الفضل بن أبي سوية أخبرني أبي عن أبيه
 عبد الملك بن أبي سوية عن جده أبي سوية عن أبيه خليفة قل سألت محمد بن عثمان بن ربيعة بن سواة
 ابن خثعم بن سعد فقلت كيف سماك أوك محمداً ؟ فقال سألت أبي عما سألتني عنه ، فقال خرجت رابع
 أربعة من بني تميم أنا منهم ، وسفيان بن مجاشع بن دارم ، وأسامة بن مالك بن جندب بن العقيد ، وبزيد
 ابن ربيعة بن كنانة بن حربوص بن مازن ، وبنحن نريد ابن جفنة ملك غسان فلما شارفنا الشام نزلنا
 على غدير عليه شجرات فتحدثنا فسمع كلاً منا داهب ، فأشرف علينا فقال إن هذه لغة ما هي بلغة هذه
 البلاد قلنا نعم نحن قوم من مضر ، قال من أي المضرين ؟ قلنا من خندف قال أما إنه سيبيث وشيكا
 نبي خاتم النبيين ، فسارعوا إليه وخذوا بمحظكم منه ترشدوا . قلنا له ما اسمه ؟ قال : اسمه محمد . قال
 فرجنا من عند ابن جفنة فولد لكل واحد منا ابن فسماه محمداً . يعني ان كل واحد منهم طمع في أن
 يكون هذا النبي المبشر به ولده .

وقال الحافظ أبو بكر الخرائطي : حدثنا عبد الله بن أبي سعد حدثنا حازم بن عقال بن الزهر بن
 حبيب بن المنذر بن أبي الحصين بن السموأل بن عاديا حدثني جابر بن جدان بن جميع بن عثمان بن
 سماك بن الحصين بن السموأل بن عاديا . قال لما حضرت الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر
 الوفاة اجتمع إليه قومه من غسان فقالوا إنه قد حضرك من أمر الله ما ترى وكنا نأمرك بالتزوج في
 شبابك فتأبى وهذا أخوك الخزرج له خمسة بنين ، وليس لك ولد غير مالك فقال : لن يهلك هالك ترك
 مثل مالك إن الذي يخرج النار من الوثيمة ^(١) قادر أن يجعل للملك نسلا ورجالا بسلا وكل إلى الموت
 ثم أقبل على مالك وقال : أي بني المنية ولا الدنية ، العقاب ولا العتاب ، التجلد ولا التلدد ^(٢) القبر خير
 من الفقر ، إنه من قل ذل ، ومن كر فر ، من كرم الكريم الدفع عن الحریم . ولدهر يومان فيوم لك
 ويوم عليك ، فاذا كان لك فلا تبطر ، وإذا كان عليك فاصطبر ، وكلاهما سينحسر ، ليس يثبت منهما
 الملك المتوج ، ولا اللعيب المملوج ، سلم ليرمك حياك ربك ، ثم أنشأ يقول :

شهدت السبايا يوم آل محرقٍ وأدرك أمرى صيحة الله في الحجر
 فلم أر ذا ملكٍ من الناسٍ واحداً ولا سوقةً إلا إلى الموت والقبر
 فعل الذي أردى عموداً وجرحاً سيقب لي نسلاً على آخر الدهر

(١) الوثيمة الحجارة ، يريد ما يكون من شرر إذا قدحت الحجارة بالزند .

(٢) في الامالى لابي على القالى هذه القصة بسياق غير هذا وزيادة وقصان .

تقرّبهم من آل عمرو بن عامرٍ
فان لم تك الأيام أبلين جدتي
فان لنا رباً علا فوق عرشه
ألم بات قومي أن الله دعوة
إذا بعث المبعوث من آل غالب
هنالك فابغوا نصره بيادكم
غيون لدى الداعي إلى طلب الوتر
وشيبين رأسي والمثيب مع العمر
علماً بما يأتي من الخير والشر
يفوز بها أهل السعادة والبر
بمكة فبا بين مكة والحجر
نبي عامر إن السعادة في النصر

قال ثم قضى من ساعته .

باب في هواتف ربحاه

وقد تقدم كلام شق وسطيح لربيعة بن نصر ملك اليمن في البشارة بوجود رسول الله (ص)، رسول ذكي يأتي إليه الوحى من قبل العلى . وسيأتى في المولد قول سطيح لعبد المسيح : إذا كثرت التلاوة وغاضت بحيرة ساوة وجاء صاحب المراوة يعنى بذلك رسول الله (ص) كما سيأتى بيانه مفصلاً (١) وقال البخارى حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي حدثني ابن وهب حدثني عمرو - هو محمد بن زيد - أن سالماً حدثه عن عبد الله بن عمر قال ما سمعت عمر يقول لشيء قط إني لأظنه إلا كان كما يظن . بينما عمر بن الخطاب جالس إذ مر به رجل جميل ، فقال لقد أخطأ ظني أو إن هذا على دينه في الجاهلية أو لقد كان كاهنهم ، على الرجل ، فدعى به فقال له ذلك فقال : ما رأيت كالليوم استقبل به رجلاً مسلماً . قال فإني أعزم عليك إلا ما أخبرني قال كنت كاهنهم في الجاهلية ، قال فما أعجب ما جاءتك به جنيتك ؟ قال بينما أنا في السوق يوماً جاءني أعرف فيها الفزع . فقالت :

ألم تر الجنّ وإبلاصها ولباسها من بعد أنكاسها؟

ولحوقها بالقلاص وأحلاسها

قال عمر صدق بينا أنا نائم عند آلهتهم جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه يقول : يا جليح أمر نجيح ، رجل فصيح ، يقول لا إله إلا الله فوثب القوم ، فقلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا . ثم نادى يا جليح أمر نجيح ، رجل فصيح يقول لا إله إلا الله ، فقامت فما نشبنا أن قيل هذا نبي . تفرد به البخارى .

وهذا الرجل هو سواد بن قارب الأردى . ويقال السدوسى من أهل السراة من جبال البلقاء

(١) من أول الباب إلى هنا كاه تفردت به النسخة الحلبية ولم ترد في المصرية .

له صحبة ووفادة . قال أبو حاتم وابن منده روى عنه سعيد بن جبیر ، وأبو جعفر محمد بن علی ، وقال البخاری له صحبة . وهكذا ذكره في أسماء الصحابة أحمد بن روح البرذعي الحافظ ، والدارقطني ، وغيرها . وقال الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري سواد بن قارب بالتخفيف . وقال عثمان الوقاصي عن محمد بن كعب القرظي كان من أشرف أهل اليمن ذكره أبو نعیم في الدلائل . وقد روى حديثه من وجوه آخر مطولة بالبسط من رواية البخاری .

وقال محمد بن اسحاق : حدثني من لا أنهم عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان انه حدث أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بينما هو جالس في الناس في مسجد رسول الله ص ، اذ أقبل رجل من العرب داخل المسجد يريد عمر بن الخطاب ، فلما نظر اليه عمر قال ان الرجل لعلى شركه ما فارقه بعد أو لقد كان كاهنا في الجاهلية فلم عليه الرجل ثم جلس ، فقال له عمر : هل أسلمت ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين . قال فهل كنت كاهنا في الجاهلية ؟ فقال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين ، لقد خلت في واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيتك منذ وليت ما وليت . فقال عمر : اللهم غفرا قد كنا في الجاهلية على شر من هذا نعبد الأصنام ونفتنق الأوثان حتى أكرمنا الله برسوله وبالاسلام . قال نعم والله يا أمير المؤمنين لقد كنت كاهنا في الجاهلية قال فاخبرني ما جاء به صاحبك . قال جاني قبل الاسلام بشهر أو شيعه ^(١) فقال : ألم تر الى الجن وابلاسها ، واباسها من دينها ، ولحوقها بالفلاص واحلاسها .

قال ابن اسحاق : هذا الكلام سجع ليس بشعر . [قال عبد الله بن كعب] .
فقال عمر عند ذلك يحدث الناس : والله اني لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش قد ذبح له رجل من العرب عجلا ، فنحن ننظر قسمه ان يقدم لنا منه ، إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت صوتا قط أشد منه ، وذلك قبل الاسلام بشهر أو شيعه يقول : يا ذريح أمر نجيح رجل يصبح يقول لا إله إلا الله . قال ابن هشام ويقال رجل يصبح بلسان فصيح يقول لا إله إلا الله قال وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر :

عجبت للجنِّ وابلاسها وشدها العيس بأحلاسها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ما مؤمنو الجنِّ كأنبجاسها

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا يحيى بن حجر بن النعمان الشامي حدثنا علي بن منصور الأنباري عن محمد بن عبد الرحمن الوقاصي عن محمد بن كعب القرظي . قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم جالس إذ مر به رجل . فقيل يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار ؟ قال ومن هذا ؟ قالوا هذا سواد بن قارب الذي أتاه رثيه بظهور رسول الله ص . قال فارسل اليه عمر . فقال له أنت سواد

(١) أي دونه بقليل ، وشيع كل شيء ما هو له تبع .

بن قارب قال نعم . قال فانت على ما كنت عليه من كهاتك ؟ قال فنضب . وقال ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين ، فقال عمر يا سبحان الله ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهاتك ، فأخبرني ما أنبأك رثيك بظهور رسول الله (ص) . قال نعم يا أمير المؤمنين بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رثي فضر بني برجله وقال قم ياسواد بن قارب ، واسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول :

عجبت للجنّ وتطلّابها وشدّها العيسَ بأقتابها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما صادق الجنّ ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قدامها كأذناها

قال قلت دعني أنام فأتني أمسيت ناعساً . قال فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضر بني برجله وقال قم ياسواد بن قارب واسمع مقالتي ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبت للجنّ ونمجارها وشدّها العيسَ بأكوارها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمنو الجنّ ككفارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم بين زوايها وأحجارها

قال قلت دعني أنام ، فأتني أمسيت ناعساً ، فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضر بني برجله . وقال : قم ياسواد بن قارب ، فاسمع مقالتي ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول :

عجبت للجنّ ونمجايسها وشدّها العيسَ . بأحلامها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما خير الجنّ كأنجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم وأسمر بينك إلى راسها

قال فقلت وقلت : قد امتحن الله قلبي ، فرحلت ناقتي ثم أتيت المدينة - يعني مكة - فاذا رسول الله (ص) في أصحابه فدنوت فقلت : اسمع مقالتي يا رسول الله . قال هات فأنشأت أقول :

أتاني نجيبي بدّ هدي ورقدة ولم يك فيما قد تلوث بكاذب
ثلاث ليلٍ قوله كل ليلة أنك رسول من لؤي بن غالب
فشمّرت عن ذيلي الأزارو وصطفت بي الدعلب الوجناء غير السباب
فأشهد أن الله لا شيء غيره وأنت مأمون على كل غالب
وأنت أدنى المرسلين وسيلة إلى الله بالبن الأكرمين الأتاب

فَرُّنَا بِمَا يَأْتِيكَ بِأَخْبَرَ مِنْ مَشَى وَإِنْ كَانَ فِيهَا جَاهُ شَيْبِ الذَّوَائِبِ

وَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَأَذُو شَفَاعَةٍ يِوَاكُ بَمَغْنٍ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ

قال فرح رسول الله (ص)، وأصحابه بمقاتلي فرحاً شديداً، حتى رؤى الفرح في وجوههم. قال فوثب إليه عمر بن الخطاب فالتزمه وقال قد كنت أشتى أن أسمع هذا الحديث منك فهل يأتيك ربك اليوم؟ قال أما منذ قرأت القرآن فلا، ونعم العوض كتاب الله من الجن. ثم قال عمر: كنا يوماً في حى من قريش يقال لهم آل ذريح وقد ذبحوا عجلاً لهم والجزار يعالجه، إذ سمعنا صوتاً من جوف العجل - ولا نرى شيئاً - قال يا آل ذريح، أمر نجيح صائح بصيح بلسان فصيح يشهد أن لا إله إلا الله، وهذا منقطع من هذا الوجه ويشهد له رواية البخاري. وقد تساعدوا على أن السامع الصوت من العجل هو عمر بن الخطاب والله أعلم.

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتابه الذي جمعه في هواتف الجان: حدثنا أبو موسى عمران بن موسى المؤدب حدثنا محمد بن عمران بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى حدثنا سعيد بن عبيد الله الوصابي عن أبيه عن أبي جعفر محمد بن علي. قال: دخل سواد بن قارب السدوسي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال نشدتك بالله يا سواد بن قارب، هل تحسن اليوم من كهانتك شيئاً؟ فقال: سبحان الله يا أمير المؤمنين، ما استقبلت أحداً من جاساتك بمثل ما استقبلتني به قال سبحان الله يا سواد ما كنا عليه من شركنا أعظم مما كنت عليه من كهانتك، والله يا سواد لقد بلغني عنك حديث إنه لعجيب من العجيب، قال إني والله يا أمير المؤمنين إنه لعجيب من العجيب. قال فحدثني قال كنت كاهناً في الجاهلية، فبينما أنا ذات ليلة نائم إذ أتاني نجي فضربني برجله. ثم قال يا سواد اسم أقل لك، قلت هات قال:

عجبتُ للجنِّ وأنجاسها (١) ورَحَلِهَا العيسَ بأحلاسها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى مامؤمنوها مثل أرجاسها

فأرحلها إلى الصفوة من هاشم واسمُ بينيك إلى رأسها

قال فتمت ولم أحفل بقوله شيئاً، فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله ثم قال لي قم يا سواد

ابن قارب اسم أقل لك، قلت هات. قال:

عجبتُ للجنِّ وتطلابها وشدها العيسَ بأقتابها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما صادقُ الجنِّ ككذابها

فأرحلها إلى الصفوة من هاشم ليس المقاديرُ كاذابها

(١) وفي المصرية وإيجاسها. وفي ابن هشام وإبلاسها.

قال فحرك قوله مني شيئاً ونمت فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضر بني برجله ثم قال يا سواد بن قارب
أنتقل أم لا تعقل ؟ قلت وما ذاك ؟ قال ظهر بمكة نبي يدعو إلى عبادة ربه فالحق به ، اسمع اقل لك .
قلت هات قال :

عجبتُ للجنِّ وتنفارها ورَحَلها العيسُ بأكوارها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمنو الجنِّ ككفارها
فأرحل إلى الصفوة من هاشم بين روايبها وأحجارها

قال فعلت أن الله قد أرادني خيراً . فممت إلى بردة لي ففتقتها ولبستها ووضعت رجلي في غرز
ركاب الناقة . وأقبلت حتى انتهيت إلى النبي (ص) فعرض علي الإسلام فأصلمت ، وأخبرته الخبر فقال
« إذا اجتمع المسلمون فاخبرهم » فلما اجتمع المسلمون قمت فقلت :

أتاني نجيبي بمد هده ورقدة ولم يك فيما قد بنوت بكاذب
ثلاث ليالٍ قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤبي بن غالب
فشمرت عن ذيلي الأزار ووسطت بي الدعلب الوجناء غير السباب (١)
وأعلم أن الله لا رب غيره وأنت مأمون على كل غائب
وأنت أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يا ابن الأكرمين الأَطايِب
فرنا بما يأتيك يا خير مرسل وإن كان فيما جاء شيب الذوائب (٢)

قال فسر المسلمون بذلك ، فقال عمر هل نحس اليوم منها بشي . قال أما اذ علمني الله القرآن فلا
وقد رواه محمد بن السائب الكلابي عن أبيه عن عمر بن حفص . قال لما ورد سواد بن قارب على عمر
قال : يا سواد بن قارب ما بقي من كهاتك ؟ فغضب وقال ما أظنك يا أمير المؤمنين استقبلت أحداً
من العرب بمثل هذا ، فلما رأى ما في وجهه من الغضب ، قال : أنظر سواد للذي كنا عليه قبل اليوم
من الشرك أعظم . ثم قال يا سواد حدثني حديثاً كنت أستهي أسمعه منك ، قال نعم ، بين أنا في ابل
لي بالسراة ليلاً وأنا نائم وكان لي نجي من الجن أتاني فضر بني برجله فقال لي قم يا سواد بن قارب فقد
ظهر بهامة نبي يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فذكر القصة كما تقدم وزاد في آخر الشعر :
وكن لي شفيها يوم لا ذو قرابة سواك بمن عن سواد بن قارب (٣)

(١) كذا في الأصلين . والذي في السهيلي :

فرقت اذيال الإزار وشمرت بي العريس الوجناء حول السباب

(٢) في السهيلي : فرنا بما يأتيك من وحي ربنا وإن كان فيما جئت شيب الذوائب

(٣) في السهيلي : بمن فتيلاً عن سواد بن قارب .

فقال رسول الله (س): « سر في قومك وقل هذا الشر فيهم » ..

ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق سليمان بن عبد الرحمن عن الحكم بن يعلى بن عطاء المحاربي عن عباد بن عبد الصمد عن سعيد بن جبير قال أخبرني سواد بن قارب الأزدي . قال : كنت نائماً على جبل من جبال السراة فأتاني آت فضر بني برجله - وذكر القصة أيضاً .

ورواه أيضاً من طريق محمد بن البراء عن أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن البراء . قال قال سواد بن قارب : كنت نازلاً بالهند فجاءني ربي ذات ليلة فذكر القصة . وقال بعد افتاد الشعر الأخير فضحك رسول الله (س) حتى بدت نواجذه وقال : « أفلحت يا سواد » .

وقال أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة (١) حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا عبد الرحمن بن

الحسن حدثنا علي بن حرب حدثنا أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن عبد الله العماني .

قال كان منا رجل يقال له مازن بن العضوب يسكن صنما بقرية يقال لها سبانيا ، من عمان ، وكانت تعظمه

بنو الصامت وبنو حطامة ومهرة وهم اخوال مازن . أمه زينب بنت عبد الله بن ربيعة بن خويص (٢)

أحد بني نمران قال مازن : فعترنا يوماً عند الصنم عتيرة - وهي الذبيحة (٣) - فسمعت صوتاً من الصنم

يقول : يا مازن اسمع تسر ، ظهر خير وبطن شر ، بعث نبي من مضر ، بدين الله الأكبر ، فدع نجبتنا من

حجر . تسلم من حرسقر . قال ففزعت لذلك فزعاً شديداً . ثم عترنا بعد أيام عتيرة أخرى ، فسمعت صوتاً

من الصنم يقول : اقبل الى اقبل ، تسمع بالانجيل ، هذا نبي مرسل ، جاء بحق منزل ، فأمن به كي

تعديل عن حر نار تشمل وقودها الجنادل . قال مازن : فقلت إن هذا لعجب وان هذا خير يراد بي وقدم

علينا رجل من الحجاز فقلت ما الخبر ورايك ؟ فقال ظهر رجل يقال له أحمد ، يقول لمن أتاه أجيبوا داعي

الله ، فقلت هذا نبأ ما سمعت ، فترت الى الصنم فكسرتة جذاذاً وركنت راحلتى حتى قدمت على

رسول الله (س) ، فشرح الله صدري للاسلام ، فأسلمت ، وقات :

كسرتُ باجرًا (٤) أجد إذاً وكان لنا رباً نطيفُ به ضلاً بتضلال

فالهاشمي هداًنا من ضلالتنا ولم يكن دينه مني على بال

يا راكباً بلنن عمراً وإخوتها إني لمن قال ربي باجرٌ قالي

يعني يعمر والصامت وإخوتها حطامة . فقلت يا رسول الله إني امرؤ مولع بالطرب وبالهلوك من

النساء وشرب الخمر . وألحت علينا السنون فاذهبن الأموال واهزلن السراي وليس لي ولد ، فادعو

(١) هذه القصة كانت مؤخرة في الحلبية . (٢) في الدلائل لأبي نعيم حويص بلحاء المهمل .

(٣) شاة تذبج في رجب أو ذبيحة تذبج للاصنام فيصب دمها على رأسها . من النهاية .

(٤) وفي الدلائل : باحراً بالحاء . نقل عن عمود الامام .

الله أن يذهب عني ما أجد ويأتينا بالحيا ، ويهب لي ولدا فقال النبي (س) : « اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرām الحلال وبلائيم وبالمرعفة وآته بالحيا وهب له ولدا » قال فذهب الله عني ما أجد واخصبت عمان وتزوجت أربع حرائر وحفظت شطر القرآن ، ووهب لي حيان بن مازن وأنشأ يقول :

اليك رسول الله خبت مطيتي تجوب الفيافي من عمان الى العرج
 اشفع لي ياخير من وطئ الحصى فيغفر لي ربّي فأرجع بالفلج
 الى معشر خالفت في الله دينهم فلا رأيتهم رأيتي ولا شرتهم شر جي
 وكنت امرأة بالخر والعمر مولماً شبابي حتى آذن الجسم بالهيج
 فبدلني بالخر خوفاً وخشيةً وبالعمر إحصاناً فحصن لي فرجي
 فاصبحت همي في الجهاد ونيّتي فله ماصومي والله ما حجتي

قال فلما أتيت قومي انبوني وشتموني ، وامرؤا شاعرا لهم فهجاني ، فقلت إن رددت عليه فانما اهجوا نفسي . فرحلت عنهم فاتتني منهم زلفة عظيمة وكنت القيم بأمورهم فقالوا يا ابن عم : عبنا عليك أمرا وكرهنا ذلك فان آيت ذلك فارجع وقم بأورنا وشأنك وما تدب به . فرجعت معهم وقلت :

لبغضكم عندنا مر مذاقته وبنضنا عندكم يا قومنا لبن
 لا يظن الدهر ان بثت معائبكم وكأكم حين يثنى علينا فظن
 شاعرنا مفحم عنكم وشاعركم في حدبنا مبلغ في شتمنا لسن
 ما في القلوب عليكم فاعلوا وغر وفي قلوبكم البغضاء والإحن

قال مازن : فهداهم الله بعد الى الاسلام جميعا .

وروى الحافظ أبو نعيم من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال إن أول خبر كان بالمدينة بمبعث رسول الله (ص) ان امرأة بالمدينة كان لها تابع من الجن ، فجاء في صورة طائر أبيض فوقع على حائط لهم ، فقالت له لم لا تنزل الينا فتحدثنا ونحدثك ، وتخبرنا ونخبرك ؟ فقال لها إنه قد بعث نبي بمكة حرم الزنا ومنع منا القرار .

وقال الواقدي : حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن الزهري عن علي بن الحسين . قال : ان أول خبر قدم المدينة عن رسول الله (ص) ان امرأة تدعى فاطمة كان لها تابع ، فجاءها ذات يوم ، فقام على الجدار فقالت ألا تنزل ؟ فقال لا انه قد بعث الرسول الذي حرم الزنا .

وارسله بعض التابعين أيضاً وسماه ابن لوزان وذكر انه كان قد غاب عنها مدة ، ثم لما قدم عاتبته فقال اني جئت الرسول فسمعتة يحرم الزنا فعليك السلام .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة . قال قال عثمان بن عفان :

خرجنا في سير الى الشام - قبل أن يبعث رسول الله (ص) - فلما كنا بأفواه الشام - وبها كاهنة - فتمرضتنا ، فقالت أتاني صاحبى فوقف على بابي ، فقلت ألا تدخل فقال لا سبيل الى ذلك ، خرج أحمد وجاء أمر لا يطاق ، ثم انصرفت فرجعت الى مكة فوجدت رسول الله (ص) قد خرج بمكة يدعو الى الله عز وجل

وقال الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله الزهري . قال : كان الوحي يسمع فلما كان الاسلام منعوا وكانت امرأة من بنى أسد يقال لها سميرة لها تابع من الجن ، فلما رأى الوحي لا يستطيع أتاها فدخل في صدرها فضج في صدرها فذهب ثقبها فجعل يقول من صدرها : وضع العنق ومنع الرفاق وجاء أمر لا يطاق واحمد حرم انزنا .

وقال الخافظ أبو بكر الخرائطي : حدثنا عبد الله بن محمد البلوي - بمصر - - حدثنا عمارة بن زيد حدثنا عيسى بن يزيد عن صالح بن كيسان عن حدثه عن مرداس بن قيس السدوسي قال حضرت النبي (ص) - وقد ذكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند مخرجه - فأتت يارسول الله قد كن عندها في ذلك شيء ، أخبرك أن جارية منا يقال لها الخلصة لم يعلم عليها إلا خيراً ، إذ جاءتنا فقالت يا معشر دوس العجب العجب لما أصابني ، هل علمت إلا خيراً ؟ قلنا وما ذاك ؟ قلت اني لفي غنمي إذ غشيتني ظلمة ووجدت كحس الرجل مع المرأة فقد خشيت أن أكون قد حببت . حتى إذا دنت ولادتها وضعت غلاماً أغضف له أذنان كاذني الكباب فمكث فينا حتى انه ليقلب مع الغلمان اذ وثب وثبة والتي إزاره وصلاح بأعلى صوته وجعل يقول : يا ويلة يا ويلة ، يا عولة يا عولة ، يا ويل غنم ، يا ويل فهم ، من قاس النار . الخليل والله وراء العقبة ، فيهن فتیان حسان نجمة . قال فركبنا وأخذنا للاداة وقلنا يا وبلك ما ترى فقال [هل] من جارية طامث قلنا ومن لنا بها ؟ فقال شيخ منا هي والله عندي عفيفة الأم فقلنا فمجلها فأتى بالجارية وطلع الجبل وقل للجارية اطرحي ثوبك واخرجي في وجوههم ، وقال للقوم اتبعوا أثرها ، وقال لرجل منا يقال له احمد بن حابس يا احمد بن حابس عليك أول فارس . فحمل احمد فطعن أول فارس فصرعه وانهمزوا فغنمناهم . قال فابتدنا عليهم بيتاً وسميناه ذا الخلصة ، وكان لا يقول لنا شيئاً إلا كان كما يقول حتى إذا كان مبعثك يارسول الله قال لنا يوماً يا معشر دوس نزلت بنوا الحارث بن كعب فركبنا فقال لنا أكدسوا الخليل كدساً ، أحشوا القوم رمساً ، أنفوم غدية واشربوا الخمر عشية . قل فلقيناهم فهزمونا وغلبونا فرجعنا اليه فقلنا ما حالك وما الذي صنعت بنا فنظرنا اليه وقد احمرت عيناه واتصبت أذناه وانبرم غضباناً حتى كاد أن ينفطر وقام فركبنا واغتفرنا هذه له ومكثنا بعد ذلك حيناً ثم دعانا فقال هل لكم في غزوة نهب لكم عزا ونجعل لكم حرزاً ويكون في أيديكم كبراً ؟ قلنا ما أحوجنا إلى ذلك فقال اركبوا فركبنا فقلنا ما تقول فقال بنو الحارث بن مسعدة : ثم قال قفوا فوقفنا

ثم قال عليكم بهم ، ثم قال ليس لكم فيهم دم ، عليكم بمضرم أرباب خيل ونعم ثم قال لا ، رهط دريد ابن الصمة قليل المدد وفي الذمة ثم قال لا ، ولكن عليكم بكعب بن ربيعة وأسكنوها ضيمة عامر بن صعصعة فليكن بهم الوقعة قال فلتيناهم فبرزونا وفضحونا فرجعنا وتلنا ويك ماذا تصنع بنا قال ما أدري كذبي الذي كان يصدقني . أسجنوني في بيتي ثلاثاً ثم اتوني ففعلنا به ذلك ثم أتينا بعد ثلثة ففتحنا عنه فاذا هو كأنه حجرة نار ، فقال يا معشر دوس حرست السماء وخرج خير الأنبياء قلنا ابن ؟ قال بمكة وأنا ميت فدفنوني في رأس جبل فإني سوف أضطرم ناراً وإن تركتموني كنت عليكم عاراً فاذا رأيتم اضطرامى وتلمهي فاقدفوني بثلاثة أحجار ثم قولوا مع كل حجر بسمك اللهم فإني أهدى وأطفي . قال وإنه مات فاشتعل ناراً ففعلنا به ما أمر وقد قدفناه بثلاثة أحجار تقول مع كل حجر بسمك اللهم فحمد وطفى وأقمنا حتى قدم علينا الحاج فاخبرونا بمبعثك يا رسول الله . غريب جداً . روى الواقدي عن أبيه عن ابن أبي ذئب عن مسلم بن جندب عن النضر بن سفيان الهذلي عن أبيه . قال : خرجنا في عبر لنا إلى الشام فلما كنا بين الزرقا ومان قد عرسنا من الليل فاذا بفارس يقول وهو بين السماء والأرض : أياها النيام هبوا فليس هذا بحين رقاد قد خرج أحمد فطردت الجن كل مطرد ففرعنا ونحن رقعة حزورة كلام قد سمع بهذا فرجعنا إلى أهلنا فاذا هم يذكرون اختلافاً بمكة بين قريش في نبي قد خرج فيهم من بني عبد المطلب اسمه أحمد . ذكره أبو نعيم . وقال الخرائطي : حدثنا عبد الله بن محمد البلوي - بمصر - حدثنا عمارة بن زيد حدثني عبد الله بن العلاء - حدثني يحيى بن عروة عن أبيه أن نفاً من قريش منهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وزيد بن عمرو بن نفيل وعبد الله بن جحش بن رئاب وعثمان بن الحويرث كانوا عند صنم لهم يجتمعون إليه قد أخذوا ذلك اليوم من كل سنة عيداً كانوا يمشون به وينحرون له الجزور ثم يأكلون ويشربون الخمر ويعكفون عليه فدخلوا عليه في الليل فرأوه مكبواً على وجهه ، فأذكروا ذلك فأخذوه فردوه إلى حاله ، فلم يلبث أن انقلب انقلاباً عنيفاً ، فأخذوه فردوه إلى حاله فانقلب الثالثة فلما رأوا ذلك اغتموا له وأعظموا ذلك . فقال عثمان بن الحويرث ماله قد أكثر التنكس إن هذا الأمر قد حدث وذلك في الليلة التي ولد فيها رسول الله - فجعل عثمان يقول :

أيا صنم العيدر الذي صفت حوله صناديد وفد من بعيد من قرب
تنكست مغلوباً فما ذاك قول لنا أذاك صفة أم تمكنت للعتب
فإن كان من ذنب أتيانا فإننا نبوء بأقرار وتلوي عن الذنب
وإن كنت مغلوباً ونكست صاغراً فما أنت في الأوثان بالسيد الرب

قال فأخذوا الصنم فردوه إلى حاله فلما استوى هتف بهم هاتف من الصنم بصوت جهير

وهو يقول :

تردّي ملودم أنارت بنوره
 وخرت له الأوثان طراً وأرعدت
 ونار جميع الفرس باخت وأظلمت
 وصدت عن الكهان بالنيب رجنها
 فبالقصي ارجعوا عن ضلالكم
 جميع فجاج الأرض في الشرق والغرب
 قلوب ملوك الأرض طراً من الرعب
 وقد بات شاه الفرس في أعظم الكرب
 فلا مخبر عنهم بحق ولا كذب
 وهبوا إلى الإسلام والمنزل الرحب

قال فلما سمعوا ذلك خلصوا نجياً فقال بعضهم لبعض تصادقوا وليكنم بعضكم على بعض ، فقالوا
 أجل ، فقال لهم ورقة بن نوفل تعلمون والله ما قومكم على دين ولقد اخطئوا الحجة وتركوا دين ابراهيم
 ما حبر تطيفون به لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر يا قوم التمسوا لأنفسكم الدين . قال فخرجوا
 عند ذلك يضربون في الأرض ويسألون عن الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام فأما ورقة بن نوفل
 فتنصر وقرأ الكتب حتى علم علماً وأما عثمان بن الحويرث فسار إلى قيصر فتنصر وحسنت منزلته عنده
 وأما زيد بن عمرو بن نفيل فأراد الخروج فحبس ثم إنه خرج بعد ذلك فضرب في الأرض حتى بلغ
 الرقة من أرض الجزيرة فلقى بها راهباً عالماً فأخبره بالذي يطلب فقال له الراهب إنك لتطلب ديناً ما
 نجد من يملك عليه ، ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلدك يبعث بدين الحنيفية فلما قال له ذلك
 رجع يريد مكة ففارت عليه لحم فقتلوه ، وأما عبد الله بن جحش فأقام بمكة حتى بعث النبي (ص) ثم
 خرج مع من خرج إلى أرض الحبشة ، فلما صار بها تنصر وفارق الإسلام فكان بها حتى هلك هناك
 نصرانياً . تقدم في ترجمة زيد بن عمرو بن نفيل له شاهد .

وقد قال الخرائطي : حدثنا أحمد بن اسحاق بن صالح أبو بكر الوراق حدثنا عمرو بن عثمان حدثني
 أبي حدثنا عبد الله بن عبد العزيز حدثني محمد بن عبد العزيز عن الزهري عن عبد الرحمن بن أنس السلمي
 عن العباس بن مرداس أنه كان يمر في لقاح له نصف النهار إذ طلعت عليه نعامة بيضاء عليها ركب عليه
 ثياب يابض مثل اللبن فقال : يا عباس بن مرداس ألم تر أن السماء قد كفت احراسها ، وإن الحرب
 نجرت انقامها ، وإن الخيل وضعت احلاسها ، وإن الذي تزل بالبر والتقوى ، يوم الاثنين ليلة الثلاثاء ،
 صاحب الناقة القصوى قال فرجعت مرعوبا قد راغني ما رأيت وسمعت حتى جئت وثناً لنا بدعي الضماد
 وكنا نعبده ونكلم من جوفه فكنت ما حوله ثم تمسحت به وقبلته فاذا صائح من جوفه يقول :

قل للقبائل من سليم كلها هلك الضماد وفاز أهل المسجد
 هلك الضماد وكان يُبَدُّ مرّة قبل الصلاة مع النبي محمد
 إن الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مرثم من قريش مهتد

قال فخرجت مرعوبا حتى أتيت قومي فقصصت عليهم القصة واخبرتهم الخبر وخرجت في ثلاثمائة

من قومي بني حارثة الى رسول الله (ص)، وهو بالمدينة فدخلنا المسجد فلما رأني رسول الله (ص) قال لي: « يا عباس كيف كان اسلامك » ؟ قصصت عليه القصة . قال فسر بذلك واسلمت انا وقومي . ورواه الحافظ أبو نعيم في الدلائل من حديث أبي بكر بن أبي عاصم عن عمرو بن عثمان به . ثم رواه أيضا من طريق الاصمعي حدثني الوصافي عن منصور بن المعتمر عن قبيصة بن عمرو بن اسحاق الخزاعي عن العباس بن مرداس السلمي . قال : أول اسلامي ان مرداساً أبي لما حضرته الوفاة أوصاني بصنم له يقال ذماد فجعلته في بيت وجعلت آتية كل يوم مرة فلما ظهر النبي (ص) سمعت صوتاً مرسلًا في جوف الليل راعني فوثبت الى ضماد مستغيثًا وإذا بالصوت من جوفه وهو يقول :

قل للقبيلة من سليم كلها هلك الا نيسر وعاش أهل المسجد
أودي ضماد وكان يعبد مرة قبل الكتاب الى النبي محمد
ان الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مرهم من قريش مهتم

قال فكتمته الناس فلما رجع الناس من الأحزاب بينا انا في ابلي بطرف العقيق من ذات عرق راقداً سمعت صوتاً واذا برجل على جناح نعامة وهو يقول : النور الذي وقع ليلة الثلاثاء مع صاحب الناقة المضياء في ديار اخوان بني العنقاء ، فاجابه هاتف من شماله وهو يقول :

بَشِّرِ الْجَنِّ وَابْلَسْهَا أَنْ وَضَعْتَ الْمَطِيَّ أَحْلَاسَهَا
وَكَلَّاتِ السَّمَاءِ أَحْرَاسَهَا

قال فوثبت مذعوراً وعلت ان محمداً مرسل ، فركبت فرسي واحتثت السير حتى انتهيت اليه فبايعته ثم انصرفت الى ضماد فاحرقته بالنار ثم رجعت الى رسول الله (ص) فأنشدته شعراً أقول فيه :

لعمرك اني يوم أجعل جاهلاً وتركي رسول الله والأوس حوله
ضاداً لرَبِّ العالمين مشاركا
كنتارك سهل الارض والحزن يبتغي ليملك في وَعَثِ الامور المسالكا
فأمنت بالله الذي انا عبده وخالفت من أمسى يريد المهادكا
ورجعت وجهي نحو مكة قاصداً أباع نبي الاكرمين المباركا
نبي انا بعد عيسى بناطقي من الحق فيه الفصل فيه كذلككا
أمين على القرآن أول شافع وأول مبعوث يجيب الملائكا
تلافي عري الاسلام بدانتقاضها فأحكما حتى أقام المناسكا
عينك يا خير البرية كلها توسطت في الفرعين والمجد مالكا
وانت المصطفى من قريش اذا سمعت على ضمها تبقى القرون المباركا

إذا انتسب الحيان كعب ومالك وجدناك محضاً والنساء العواركا

قال الخرائطي : وحدثنا عبد الله بن محمد البلوي بمصر حدثنا عمارة بن زيد حدثنا اسحاق بن بشر
وسلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق حدثني شيخ من الانصار يقال له عبد الله بن محمود من آل محمد
ابن مسلمة قال بلغني أن رجلاً من خشم كانوا يقولون ان مما دعانا الى لاسلام انا كنا قوما نعبد الاوثان
فبينما نحن ذات يوم عند وثن لنا إذ أقبل فر يتقاضون اليه برجون الفرج من عنده لشيء شجر بينهم إذ
خفف بهم هاتف يقول :

يا أيها الناس ذرو الاجسام من بين اشياخ الى غلام
ما أنتم وطائش الأحمال ومسنذ الحكم الى الاصنام
أكلكم في حيرة نيام أم لا تزون ما الذي أممي
من ساطع يجلو دجى الظلام قد لاح للناظر من ربهم
ذاك نبي سيد الأنام قد جاء بعد الكفر بالاسلام
أكرمه الرحمن من امام ومن رسول صادق الكلام
أعدل ذي حكم من الاحكام يأمر بالصلاة والضيام
والبر والصلوات للأرحام ويزجر الناس عن الآثام
والرجس والاثوان والحرام من هاشم في ذروة السنام
مستعلنا في البلد الحرام

قال فلما سمعنا ذلك تفرقنا عنه وآتينا النبي (ص) فاسلمنا .

وقال الخرائطي : حدثنا عبد الله البلوي حدثنا عمارة حدثني عبيد الله بن العلاء حدثنا محمد بن عكبر
عن سعيد بن جبير أن رجلاً من بني تميم يقال له رافع بن عمير - وكان أهدي الناس للطريق واسرام
بليل ، وأهجمهم على هول ، وكانت العرب تسميه لذلك دعوص العرب لهدايته وجراوته على السير -
فذكر عن بدء إسلامه قال إني لأسير برمل عاج ذات ليلة إذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي ونحتها
وتوسدت ذراعها ونمت وقد تعودت قبل نومي قفلة أعود بعظيم هذا الوادي من الجن من أن أودى
أو أهاج فرأيت في منامي رجلاً شاباً برصد ناقتي وبيده حربة يريد أن يضعها في نحرها ، فانتبهت لذلك
فرعاً فنظرت يميناً وشمالاً فلم أر شيئاً ، قفلة هذا حلم ثم عدت فقفوت فرأيت في منامي مثل رؤياي
الأولى فانتبهت فدرت حول ناقتي فلم أر شيئاً وإذا ناقتي ترعد ، ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت
فرأيت ناقتي تضطرب والتفت فاذا أنا برجل شاب كالذي رأيت في المنام بيده حربة ورجل شيخ ممسك
بيده برده عنها وهو يقول :

يامالك بن مهلهل بن دثار
عن ناقة الانسي لا تعرض لها
ولقد بدا لي منك ما لم احتسب
تسمو إليه بحربة مسمومة
لولا الحياء وان اهلك جيرة
مهلا فدى لك مزرعي وازاري
واختر بها ما شئت من اوارى
الا زعت قرابي وذماري
تبا لفلك يا ابا الغفار
لملت ما كشفت من اخباري

قال فاجابه الشاب وهو يقول :

أردت أن تملو وتخض ذكرنا
ما كان فيهم سيد فيما مضى
فأصد لقصديك يامعكبر وانما
كان الحبير مهلهل بن دثار
في غير مزرية ابا الميزار
إن الخيار هو بنو الأخيار

قال فيهما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة اوار من الوحش فقال الشيخ للفتى قم يا ابن أخت فخذ أيها شئت فداء لناقة جاري الانسي ، فقام الفتى فاخذ منها ثورا وانصرف . ثم التفت الى الشيخ فقال يا هذا إذا نزلت واديا من الاودية فحقت هوله فقل أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادي ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها قال قلت له ومن محمد هذا ؟ قال نبي عربي لا شرقي ولا غربي بعث يوم الاثنين . قلت وابن مسكنه قال يثرب ذات النخل . قال فركبت راحتي حين ررق لي الصبح وجددت السير حتى تقحمت المدينة فرآني رسول الله (ص) ، فحدثني بحدثي قبل ان أذكر له منه شيئا ودعاني الى الاسلام فاسلمت . قال سعيد بن جبير وكنا نرى أنه هو الذي أنزل الله فيه (وإنه كان رجال من الانس يوذون برجال من الجن فزادهم رهقا) وروى الخرائطي من طريق ابراهيم بن اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن داود بن الحسين عن عكرمة عن ابن عباس عن علي . قال : إذا كنت بواد تخاف السبع فقل أعوذ بدانيال والجب ، من شر الأسد . وروى البلوي عن عمارة بن زيد عن ابراهيم بن سعد عن محمد بن اسحاق حدثني يحيى بن عبد الله بن الحارث عن أبيه عن ابن عباس قصة قتال علي الجن بالبئر ذات العلم التي بالجحفة حين بعثه رسول الله (ص) . يستقي لهم الماء فارادوا منعه وقطعوا اللؤلؤ فزل اليهم ، وهي قصة مطولة منكرة جدا والله أعلم .

وقال الخرائطي : حدثني أبو الحارث محمد بن مصعب الدمشقي وغيره حدثنا سليمان ابن بنت شرحبيل الدمشقي حدثنا عبد القدوس بن الحجاج حدثنا خالد بن سعيد عن الشعبي عن رجل قال كنت في مجلس عمر بن الخطاب وعنده جماعة من أصحاب النبي (ص) ، يتذاكرون فضائل القرآن فقال بعضهم خواتيم سورة النحل ، وقال بعضهم سورة يس ، وقال علي فإين أنتم عن فضيلة آية الكرسي أما إنها سبعون كلمة في كل كلمة بركة . قال وفي القوم عمرو بن معدى كرب لا يحير جوابا ، قال أين أنتم عن

بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال عمر حدثنا يا أبا ثور . قال بينا أنا في الجاهلية إذ جهدني الجوع فأفحمت فرسي في البرية فما أصبت الابيض النعام ، فبينما أنا أسير اذا أنا بشيخ عربي في خيمة ، والى جانبه جارية كأنها شمس طالعة ومعه غنيمات له ، فقلت له استأسر نكلك أمك . فرفع رأسه الى وقال يا قتي ان أردت قري فازل وان أردت معونة اعناك . فقلت له استأسر فقال :

عَرَضْنَا عَلَيْكَ النَّزْلَ مَنَّا تَكْرُمًا فَلَمْ تَرْعُوِي جَهْلًا كِفْعَلِ الْأَشْأَمِ
وَجِئْتَ بِبُهْتَانٍ وَزُورٍ وَدُونَ مَا تَمَنَيْتَهُ بِالْبَيْضِ حَزُّ الْفَلَاحِمِ

قال ووثب الى وثبة وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم . فكأنني مثلت نحته . ثم قال أفتلك أم أخلى عنك ؟ قلت بل خل عنى قال فخلى عنى . ثم ان نفسى جاذبتني بالمعاودة . فقلت استأسر نكلك أمك فقال :

بِسْمِ اللَّهِ وَالرَّحْمَنِ فَزْنَا هُنَالِكَ وَالرَّحِيمِ بِهِ قَهْرْنَا
وَمَا تُنْفِي جَلَادَةَ ذِي حِفَاطٍ إِذَا يَوْمًا لِمَرْكَةِ بَرَزْنَا

ثم وثب لي وثبة كأنني مثلت نحته . فقال أفتلك أم أخلى عنك ؟ قال قلت بل خل عنى . فخلى عنى فانطلقت غير بعيد . ثم قلت في نفسى يا عمرو أيقهرك هذا الشيخ . والله للموت خير لك من الحياة ، فرجعت اليه فقلت له استأسر نكلك أمك . فوثب الى وثبة وهو يقول بسم الله الرحمن الرحيم فكأنني مثلت نحته ، فقال أفتلك أم أخلى عنك ؟ قلت بل خل عنى فقال هيهات ، يا جارية إئتيني بالمديفة فاتته بالمديفة فجز ناصيتي وكانت العرب إذا ظفرت برجل فجزت ناصيته استعبدته ، فكنت معه أخدمه مدة . ثم انه قال يا عمرو أريد أن تترك معي البرية وليس بي منك وجل ، فاني بيسم الله الرحمن الرحيم لو اتق قال فسرنا حتى أتينا واديا أشبا مهولا . فنادى بأعلى صوته بسم الله الرحمن الرحيم . فلم يبق طير في وكره الاطار . ثم أعاد القول فلم يبق سبع في مريضه الاهرب ، ثم أعاد الصوت فاذا نحن بمجشي قد خرج علينا من الوادي كالنخلة السحوق ، فقال لي يا عمرو اذا رأيتنا قد أخذنا قتل غلبه صاحبي بيسم الله الرحمن الرحيم . قال فلما رأيتهما قد أخذنا قتل غلبه صاحبي باللات والعزى فلم يصنع الشيخ شيئا ، فرجع الى وقال قد علمت انك قد خالفت قولي . قلت أجل ولست بعائد ، فقال إذا رأيتنا قد أخذنا قتل غلبه صاحبي بيسم الله الرحمن الرحيم ، فقلت أجل فلما رأيتهما قد أخذنا قتل غلبه صاحبي بيسم الله الرحمن الرحيم ، فاتكأ عليه الشيخ فبعجه بسيفه فاشتق بطنه فاستخرج منه شيئا كهيئة امتدبل الاسود ثم قال يا عمرو هذا غشه وغلله . ثم قال اتدري من تلك الجارية ؟ قلت لا ، قال تلك الفارعة بنت السبل الجرمي من خيار الجن . وهؤلاء أهلها بنو عمها بغزوني منهم كل عام رجل ينصرفني الله عليه بيسم الله الرحمن الرحيم . ثم قال قد رأيت ما كان مني الى الحبشي . وقد غلب على الجوع فتمنى بشي . آكاه ،

فأقحمت بفرسي البرية فما أصبت الابيض الزعام ، فاقينته به فوجدته نائما ، واذا نحت رأسه شيء كهيئة الحشبة ، فاستأتمه فاذا هو سيف عرضه شبر في سبعة أشبار ، فضربت ساقيه ضربة أينت الساقين مع القدمين ، فاستوى على قفا ظهره وهو يقول قاتلك الله ما اغدرك يا غدار . قال عمر: ثم ماذا صنعت ؟ قلت فلم أزل أضربه بسيفي حتى قطعته إربا إربا . قل فوجم لذلك ثم أنشأ يقول :

بالغدير نلت أخا الإسلام عن كذبٍ ما إن سمعتُ كذا في سالفٍ للعربِ
والعُجمُ تأنفُ مما جئته كَرَمًا تبأ لما جئته في السيد الأربِ
أبي لأعجبُ أبي نلتُ قتلتهُ أم كيف جازاك عند الذنب لم تنب ؟
قوم عفا عنك مراتٍ وقد علفتُ بالجسم منك يدها موضع العطبِ
لو كنت آخذ في الإسلام ما فعلوا في الجاهلية أهل الشرك والصلبِ
إذا لئالتك من علي مُشطبة تدعو لذاتها بلويل والحربِ

قل ثم ما كان من حال الجارية ؟ قلت ثم إنى أتيت الجارية . فلما رأته قالت ما فعل الشيخ قلت قتله الحبشي ، فقالت كذبت بل قتله أنت بندرك ثم أنشأت تقول :

يا عينُ جودي للفارس المغوارِ ثم جودي بوا كفاتٍ غزارِ
لا تملي البسكاه إذ خانك الد هرُ بوافٍ حقيقة صبارِ
وتقي وذي وقارٍ وجلم وعديل الفخار يوم الفخارِ
لهف نفسي على بقائك عمرو أسلمتُك الأعمارُ للأقدارِ
ولعمري لولم تره بندرِ رمتُ لئنا كصارمٍ بتارِ

قال فأحفظني قولها فاستلقت سبني ودخلت الخيمة لا قتلها فلم أر في الخيمة أحداً فاستقت المشية وجئت الى أهلي . وهذا أثر عجيب . والظاهر أن الشيخ كان من الجان وكان ممن أسلم وتعلم القرآن ، وفيما تعلمه بسم الله الرحمن الرحيم . وكان يتعوذ بها .

وقال الخرائطي: حدثنا عبد الله بن محمد البلوي حدثنا عمارة بن زيد قال حدثني عبد الله بن العلاء عن هشام بن عمرو عن أبيه عن جده أسماء بنت أبي بكر قالت: كان زيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل يذكران أنهما اتيا النجاشي بعد رجوع أبرهة من مكة ، قالا فلما دخلنا عليه قال لنا أصدقاني أيها القرشيان هل ولد فيكم مولود أراد أبوه ذبحه ففرض عليه بالقداح فلم ونحرت عنه ابل كثيرة ؟ قلنا نعم . قال فهل لكما علم به ما فعل ؟ قلنا تزوج امرأة يقال لها آمنة بنت وهب تركها حاملا وخرج قال فهل تعلمان ولد أم لا ؟ قال ورقة بن نوفل أخبرك أيها الملك أني ليلة قدبت عند وثن لنا كنا نطيف به ، ونصيده إذ سمعت من جوفه هاتما يقول :

ولد النبي قذرت الأملك ونأى الضلال وأدبر الإشرار

ثم انكس الصنم على وجهه . قال زيد بن عمرو بن نفيل عندي كخبيره أبها الملك . قل هات قل أنا في مثل هذه الليلة التي ذكر فيها حديثه خرجت من عند أهلي وهم يذكرون حمل آمنة حتى أتيت جبل أبي قبيس أريد الخلو فيه لأمر رابني إذ رأيت رجلاً نزل من السماء له جناحان أخضران ، فوقف على أبي قبيس ثم أشرف على مكة فقال : ذل الشيطان وبطلت الأوثان ولد الأمين . ثم نشر ثوباً معه وأهوى به نحو المشرق والمغرب فرأيته قد جمل ما نحت السماء وسطع نور كاد أن يخنطف بصري وهالني ما رأيت . وخلق الهاتف بجناحيه حتى سقط على الكعبة . فسقط له نور أشرفت له تهامة . وقال : ذكت الأرض وأدت ربيما . وأوماً إلى الأصنام التي كانت على الكعبة فمقت كلها . قال النجاشي ويحك أخبر كما أصابني ، إني لنا في الليلة التي ذكرت في قبة وقت خلوتي ، إذ خرج على من الأرض عنق ورأس ، وهو يقول حل الويل بأصحاب الفيل ، رمتهم طير أبابيل ، بحجارة من سجيل هلك الأشرم المعتدى المجرم ، وولد النبي الأبي ، المسكي الحرمي ، من أجاهه سعد ، ومن أباه عند . ثم دخل الأرض فتاب فذهبت أصيبح فلم أطق الكلام ، ودمت القيام فلم أطق القيام ، فصرعت القبة يدي ؟ فسمع بذلك أهلي فجأوني فقالت احجبوا عني الحبشة فحجبوهم عني ثم أطلق عن لساني ورجلي . وسيأتي إن شاء الله تعالى في قصة المولد رؤيا كسرى في سقوط أربع عشرة شرافة من إيوانه ، وخمود نيرانه ورؤيا مؤذنه ، وتفسير سطوح لذلك على يدي عبد المسيح . وروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تلابخه في ترجمة الحارث بن هاني بن المدلج بن المقداد بن زمل بن عمرو العذري عن أبيه عن جده عن أبيه عن زمل بن عمرو العذري قال : كان لبني عذرة صنم يقال له حمام وكانوا يعظمونه وكان في بني هند بن حرام بن غيبة بن عبد بن كثير بن عذرة وكان سادته رجلاً يقال له طارق وكانوا يعترفون عنده . فلما ظهر رسول الله (ص) سمعنا صوتاً يقول يا بني هند بن حرام . ظهر الحق وأودى صام ودفع الشرك الإسلام . قال ففرغنا لذلك وهالنا فكشنا أياماً . ثم سمعنا صوتاً وهو يقول : يا طارق يا طارق . بعث النبي الصادق ، بوحي نطق ، صدع صادق بأرض تهامة ، لناصريه السلامة ، ونخاذليه الندامة ، هذا الوداع مني إلى يوم القيامة . قال زمل فوق الصنم لوجهه . قال فابتعت راحلة ورحلت حتى أتيت النبي (ص) مع نفر من قومي وأفتدته شعراً قلته :

البيك رسول الله أعلمت نصها وكلفتها حزنًا وغوراً من الرمل
لأنصر خير الناس نصراً مؤزرًا وأعقد جلاً من جبالك في جبلي
وأشهد أن الله لا شيء غيره أدبني به ما أقلت قديمي فلي

قل فأسلت وبأيته . وأخبرناه بما سمعنا فقال : « ذاك من كلام الجن » . ثم قال : « يا معشر العرب إنني رسول الله اليكم وإلى الأنام كافة ، أدعوم إلى عبادة الله وحده ، وإني رسول الله وعبيده ، وأن نحبوا البيت وتصوموا شهراً من إثني عشر شهراً وهو شهر رمضان ، فمن أجابني فله الجنة نزلاً ، ومن عصاني كانت النار له منقلبا » . قال فأسلنا وعقد لنا لواء . وكتب لنا كتاباً نسخته : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لزم بن عمرو ومن أسلم معه خاصة إني بعثته إلى قومه عامداً فمن أسلم فني حزب الله ورسوله . ومن أبي فله أمان شهرين . شهد علي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة الأنصاري » ثم قال ابن عساكر : غريب جداً

وقال سعيد بن يحيى بن سعيد الأُموي في مغازيه : حدثني محمد بن سعيد - يعني عمه - . قال قال

محمد بن المنكدر إنه ذكر لي عن ابن عباس قال هتف هاتف من الجن على أبي قبيس قال :

قَبِّحَ اللهُ رَأْيَكُمْ آلَ فِهْرِ مَا أَدَقَّ الْعُقُولَ وَالْأَفْهَامَ
 حِينَ تَعْصِي إِنْ يَعْصِبُ عَلَيْهَا دِينَ آبَائِهَا الْحَمَاءِ الْكِرَامِ
 حَالَفَ الْجِنَّ جِنَّ بَصْرِي عَلَيْكُمْ وَرَجَالَ النَّخِيلِ وَالْأَطَامِ
 تَوَشَّكَ الْخَيْلُ أَنْ تَرُدَّهَا تَهَادِي قَتَلَ الْقَوْمَ فِي حَرَامِ بَهَامِ
 هَلْ كَرِيمٌ مِنْكُمْ لَهُ نَفْسٌ حَرٌّ مَا جَدَّ الْوَالِدِينَ وَالْأَعْمَامِ
 ضَارِبٌ ضَرْبَةً تَكُونُ نَكَالًا وَرَوَاحًا مِنْ كُرْبَةٍ وَاقْتَامِ

قال ابن عباس فأصبح هذا الشعر حديثاً لأهل مكة يتناشدونه بينهم . فقال رسول الله ص : « هذا شيطان

يكلم الناس في الأوثان يقال له مسمر ، والله محزبه » فمكثوا ثلاثة أيام فاذا هاتف يهتف على الجبل يقول :

نَحْنُ قَتَلْنَا فِي ثَلَاثِ مِثْمَرَا إِذْ سَفَّ الْجِنَّ وَسَنَ الْمُنْكَرَا
 قَنَعَتْهُ سَيْفًا حُسَامًا مُشْهَرَا بِشْمِهِ نَيْبِنَا الْمَطْهَرَا

فقال رسول الله ص : « هذا عفریت من الجن اسمه سمج آمن بي سميته عبد الله أخبرني أنه في

طلبه ثلاثة أيام » فقال علي جزاه الله خيراً يا رسول الله .

وقد روى الحافظ أبو نعيم في الدلائل قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أبو الفضل

محمد بن عبد الرحمن بن موسى بن أبي حرب الصفار . حدثنا عباس بن الفرج الرياشي حدثنا سليمان بن

عبد العزيز بن أبي ثابت عن أبيه عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس عن

سعد بن عباد قال : بعثني رسول الله ص . إلى حضر موت في حاجة قبل الهجرة ، حتى إذا كنت في

بعض الطريق ساعة من الليل فسمعت هاتفا يقول :



أبا عمرو نلوبني السهودُ وراح النومُ وامتنع المجدودُ
 لذكر عصابة سلفوا وبادوا وكلُّ الخلقِ قَصْرُهم يبيد
 تولوا وardin إلى المنايا جياضاً ليس تمنهها الورود
 مضوا لسيلهم وبقيت خلفاً وحيداً ليس يُسغني وحيد
 سدى لا أستطيع علاج أمرٍ إذا ما عاج الطفل الوليد
 فلاياً ماقيت إلى أناسٍ وقد باتت بمهلكها نود
 وعادوا والقرونُ بذني شعوبٍ سواهم كلهم إرمٌ حصيد

قال ثم صاح به آخر : يا خرب ذهب بك العجب . ان العجب كل العجب بين زهرة ويثرب .
 قال وما ذاك يا صاحب ؟ قال نبي السلام ، بحث بخير الكلام الى جميع الأنام ، فاخرج من البلد الحرام
 الى نخيل وآطام . قل ما هذا النبي المرسل والكتاب المنزل ، والامى المفضل ؟ قل رجل من ولد لؤى
 ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . قال هيات فات عن هذا سنى ، وذهب عنه زمنى لقد
 رأيتني والنضر بن كنانة نرى غرضاً واحداً ، ونشرب حلباً بارداً ، ولقد خرجت به من دوحه في غداة
 شبة وطلع مع الشمس وغرب معها ، يروى ما يسمع ويثبت ما يبصر . ولئن كان هذا من ولده لقد سل
 السيف وذهب الخوف ، ودحض الزنا ، وهلك الربا . قال فاخبرني ما يكون ؟ قال ذهبت الضراء
 والبؤس والمجاعة ، والشدة والشجاعة ، الابقية في خزاعة . وذهبت الضراء والبؤس ، والخلق المنفوس
 الابقية من الخزرج والأوس . وذهبت الخيلاء والفخر ، والنميمة والفدر ، الابقية في بنى بكر . يعنى
 ابن هوازن . وذهب الفعل المندم والعمل المؤثم ، الابقية في خثعم . قال أخبرني ما يكون ؟ قال إذا
 غلبت البرة ، وكظمت الحره ، فاخرج من بلاد الهجرة ، وإذا كف السلام ، وقطعت الارحام فاخرج من
 البلد الحرام . قال أخبرني ما يكون ؟ قال لولا أذن تسمع ، وعين تلمع لاخبرتك بما تفرع . ثم قال :

لا منامٌ هداًته بنعيمٍ يا ابن غوطٍ ولا صباحٌ أنا

قال ثم صرصر صرصرة كأنها صرصرة حبل ، فذهب الفجر فذهبت لا نظر فاذا عظاية وثعبان
 ميتان . قال فما علمت أن رسول الله (ص) هاجر الى المدينة إلا بهذا الحديث . ثم رواه عن محمد بن
 جعفر عن إبراهيم بن على عن النضر بن سلمة عن حسان بن عباد بن موسى عن عبد الحميد بن بهرام
 عن شهر عن ابن عباس عن سعد بن عباد . قال : لما بايعنا رسول الله (ص) ليلة العقبة خرجت الى حضر
 موت لبعض الحاج ، قال فقضيت حاجتى ثم أقبلت حتى اذا كنت يبعض الطريق نمت ، ففرغت من
 الليل بصائح يقول :

أبا عمرو نلوبني السهودُ وراح النومُ واقطع المجدودُ

وذكر مثله بطوله .

وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن علي حدثنا النضر بن سبعة حدثنا أبو غزية محمد بن موسى عن العطار بن خالد الوصابي عن خالد بن سعيد عن أبيه قال سمعت تمبا الداري يقول: كنت بالشام حين بعث النبي (س)، فخرجت لبعض حاجتي فادر كفي الليل . قلت أنا في جواز عظيم هذا الوادي الليلة . قال فلما أخذت . ضجعي إذا أنا بمناد ينادي - لا أراه - عذبا لله فان الجن لا يجير أحداً على الله قلت أيم الله تقول؟ فقال قد خرج رسول الاميين رسول الله وصلينا خلفه بالحجون . فاسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ورميت بالشهب . فانطلق الى محمد رسول رب العالمين فاسلم . قال نعيم فلما أصبحت ذهبت الى دير أيوب فسألت راهبا واخبرته الخبر . فقال الراهب قد صدقك بخرج من الحرم ومهاجرة الحرم وهو خير الانبياء فلا تسبق اليه . قال نعيم فتكلفت الشخوص حتى جئت رسول الله (س) فاسلمت .

وقال حاتم بن اسماعيل عن عبد الله بن يزيد الهذلي عن عبد الله بن ساعدة الهذلي عن أبيه قال كنا عند صنمنا سواع ، وقد جلبنا اليه غنما لنا مائتي شاة قد أصابها جرب ، فادفيناها منه لنطلب بركته فسمعت مناديا من جوف الصنم ينادي قد ذهب كيد الجن ورمينا بالشهب لبي اسمه أحمد . قال قلت غويت والله . فصدقت وجه غنمي . منجداً الى أهلي فرأيت رجلا . فخبرني بظهور النبي (س) . ذكره أبو نعيم هكذا مطلقاً قال : حدثنا عمر بن محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن السندی حدثنا النضر بن سبعة حدثنا محمد بن مسلمة الخزومي حدثنا يحيى بن سليمان عن حكيم بن عطاء الظفري - من بني سليم من ولد راشد بن عبد ربه - عن أبيه عن جده عن راشد بن عبد ربه قال كان الصنم الذي يقال له سواع بالملعة من رهط تدين له هذيل وبنو ظفر بن سليم فارسلت بنو ظفر راشد بن عبد ربه بهدية من سليم الى سواع قال راشد فالتقت مع النجر الى صنم قبل صنم سواع ، فإذا صارخ يصرخ من جوفه : العجب كل العجب من خروج نبي من بني عبد المطلب ، يحرم الزنا والربا والذبح للاصنام . وحرست السماء ورمينا بالشهب العجب كل العجب . ثم هتف صنم آخر من جوفه ترك الضمار وكان يبعد ، خرج النبي أحمد ، يصلي الصلاة ويأمر بالزكاة والصيام ، والبر والصلوات للارحام . ثم هتف من جوف صنم آخر هاتف يقول :

ان الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مرهم من قريش مهتد
نبي أتى بخبر بما سبق وبما يكون اليوم حقا أو غدا^(١)

(١) كذا في الأصول وهذا البيت لم يرد في السيرة الشامية (سبل الهدى والرشاد) وورد قبل البيت الاول

قل للقبائل من سليم كلها هلك الأيسر وعاش أهل المسجد
اودى ضلاد وكان بعيد مرة قبل الكتاب الى النبي محمد

قال راشد: فالتفت سواعاً مع الفجر وتظيان يلحسان ما حوله ، وبأكلان ما يهدى له ، ثم بعوجان عليه يولها ، فنند ذلك يقول راشد بن عبد ربه :

أربُّ يولِّ الثُّعلبانُ برأسِهِ لقد ذلَّ من بَلَّتْ عليه الثُّعالبُ

وذلك عند مخرج النبي (ص) ومهاجره إلى المدينة وتسامع الناس به فخرج راشد حتى أتى النبي (ص) المدينة ومعه كلبه ، واسم راشد يومئذ ظالم ، واسم كلبه راشد فقال النبي (ص): « ما اسمك ؟ » قال ظالم . قال : « فما اسم كلبك ؟ » قال راشد ، قال « اسمك راشد ، واسم كلبك ظالم » وضحك النبي (ص) . وبيع النبي (ص) وأقام بمكة معه ثم طلب من رسول الله (ص) . قطعة بوهاط - ووصفها له - فاقطعه رسول الله (ص) بالمعلاة من وهاط - شأو الفرس ، ورميته ثلاث مرات بحجر ، وأعطاه إداوة مملوءة من ماء وتقل فيها وقال له « فرغها في أعلا القطيعة ولا تمنع الناس فضلها » ففعل فجعل الماء معينا يجرى إلى اليوم ففرس عليها النخل . ويقال ان وهاط كلها تشرب منه فبماها الناس ماء الرسول (ص) . وأهل وهاط يقتلون بها وبافت رمية راشد الركب الذي يقال له ركب الحجر ، وغدا راشد على سواع فكسره .

وقال أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا علي بن إبراهيم الخزازي الأهوازي حدثنا أبو محمد عبد الله بن داود بن دهاث بن اسماعيل بن مسرع بن ياسر بن سويد صاحب رسول الله (ص) حدثنا أبي عن أبيه دهاث عن أبيه اسماعيل أن أباه عبد الله حدثه عن أبيه مسرع بن ياسر أن أباه ياسر حدثه عن عمرو بن مرة الجهني أنه كان يحدث قال : خرجت حاجاً في جماعة من قومي في الجاهلية . فرأيت في المنام وأنا بمكة نوراً ساطعاً من الكعبة حتى أضاء في جبل يثرب وأشعر جهينة . فسمعت صوتاً في النور وهو يقول : اهتفت الظلاء ، وسطع الضياء ، وبث خاتم الأنبياء ، ثم أضاء إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة وبيض المدائن . فسمعت صوتاً في النور وهو يقول: ظهر الإسلام ، وكسرت الأصنام ، ووصلت الأرحام ، فاتبته فرحاً ، فقات لقومي والله ليحدثن في هذا الحى من قريش حدث ، وأخبرتهم بما رأيت . فلما اتهمنا إلى بلادنا جاءنا رجل فأخبرنا أن رجلاً يقال له أحمد قد بث فآيته فأخبرته بما رأيت فقال « يا عمرو بن مرة إني المرسل إلى العباد كافة أذعوه إلى الإسلام ، وأمرهم بمقتن الدماء وصلة الأرحام ، وعبادة الله ورفض الأصنام ، وحج البيت . وصيام شهر من اثني عشر شهراً وهو شهر رمضان ، فمن أجاب فله الجنة . ومن عصى فله النار ، فأمن يا عمرو بن مرة يؤمنك الله من نار جهنم » قلت أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . آمنت بكل ما جئت به من حلال وحرام ، وإن أرغم ذلك كثيراً من الأقوام ، ثم أنشدته أبياتاً قلها حين سمعت به وكان لنا ضم وكان أبي سادنا له فسمت إليه فكسره ثم لحقت النبي (ص) وأنا أقول :

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ وَأَنْبِيَّ
فَشَمَّرْتُ عَنْ سَائِي إِزَارَ مَهَاجِرٍ
لِأَصْحَبِ خَيْرِ النَّاسِ نَفْسًا وَوَالِدًا . رَسُولَ مَلِيكِ النَّاسِ فَوْقَ الْحَبَائِكِ
لَا لَهْفَةَ الْأَحْبَارِ أَوْلَى تَارِكِ

قال النبي (ص): «مرحباً بك يا عمرو بن مرة». قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي إبعث بي إلى قومي، لعل الله أن يمن بي عليهم كما من بك علي، فبعثنى إليهم وقال: «عليك بالقول السديد ولا تكن فظاً ولا متكبراً ولا حسوداً». فأتيت قومي فقلت لهم: يا بني رفاة ثم يا بني جهينة إني رسول من رسول الله اليكم أدعوكم إلى الجنة، وأحذركم النار، وأمركم بحقن الدماء، وصلة الأرحام، وعبادة الله، ورفض الأصنام، وحج البيت، وصيام شهر رمضان، شهر من إثني عشر شهراً. فمن أجاب فله الجنة. ومن عصي فله النار. يا معشر جهينة إن الله - وله الحمد - جعلكم خيار من أتم منه ورفض اليكم في جاهليتكم ما حجب إلى غيركم من الرفق، لأنهم كانوا يجمعون بين الأختين، ويخلف الرجل على امرأة أبيه، والترات في الشهر الحرام. فأجيبوا هذا النبي المرسل (ص) من بني لؤي بن غالب. تناولوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة، سارعوا سارعوا في ذلك يكون لكم فضيلة عند الله. فأجابوا إلا رجلاً منهم قام فقال: يا عمرو بن مرة أمر الله عليك عيشك، أتأمرنا أن نرفض آلهتنا ونهرق جماعتنا بمخالفة دين آبائنا إلى ما يدعو هذا القرشي من أهل تهامة ولا ولا مرحباً ولا كرامة، ثم أنشأ يقول:

إِنْ ابْنَ مَرَّةٍ قَدْ أَتَى بِمَقَالَةٍ لَيْسَتْ مَقَالَةً مِنْ يُرِيدُ صَلَاحًا
إِنِّي لِأَحْسَبُ قَوْلَهُ وَقَعَالُهُ يَوْمًا وَإِنْ نَطَالَ الزَّمَانُ رِيَاحًا
أَتَسْفَهُ الْأَشْبَاحَ مِمَّنْ قَدْ مَضَى مَنْ رَامَ ذَلِكَ لَا أَصَابَ فَلَاحًا

قال عمرو بن مرة: الكاذب مني ومنك أمر الله عيشه، وأبكم لسانه، وأكبه بصره. قال عمرو ابن مرة والله ما مات حتى سقط فوه وكان لا يجد طعم الطعام، وععى وخرس. وخرج عمرو بن مرة ومن أسلم من قومه حتى أتوا النبي (ص)، فرحب بهم وجبام وكتب لهم كتاباً هذه نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله على لسان رسول الله بكتاب صادق، وحق ناطق، مع عمرو ابن مرة الجهني لجهينة بن زيد إن لكم بطون الأرض وسهولها، وتلاع الأودية وظهورها، ترعون نباته وتشربون صافيه. على أن تقروا بالحنس، وتصلوا الصلوات الخمس، وفي التبعة والصريمة شاتان أن اجتماعنا، وإن تفرقتا فشاة شاة. ليس على أهل الميرة صدقة، ليس الوردة اللبقة». وشهد من حضرنا من المسلمين بكتاب قيس بن شماس رضي الله عنهم. وذلك حين يقول عمرو بن مرة:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ وَيَبِّنَ بَرَهَانَ الْقُرْآنِ لِعَامِرِ
كِتَابَ مِنَ الرَّحْمَنِ نُورٌ لِمَجِينَا وَأَحْلَافِنَا فِي كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرِ

الى خير من يمشي على الارض كلها
أطفنا رسول الله لما تقطعت
ففتح قبيل قد بني المجد حولنا
بنو الحرب نفيها بأبد طوبلة
تري حوله الانصار تحمي أميرهم
إذا الحرب دارت عند كل عظمة
تبلج منه اللون وازداد وجهه
وأفضلها عند اعتكار الصراير
بطون الاعادي بالظن والخواطر
إذا اجتلبت في الحرب هام الاكابر
ويبيض تلالا في أكف المغاور
بسر العوالي والصفاح البواتر
ودارت رحاها بالليوث المواصر
كمثل ضياء البدر بين الزواهر

وقال أبو عثمان سعيد بن يحيى الأموي في مغازيه : حدثنا عبد الله حدثنا أبو عبد الله حدثنا المجالد
ابن سعيد والاجلح عن الشعبي حدثني شيخ من جهينة قال : مرض منا رجل مرضا شديداً فقتل حتى
حفرنا له قبره وهياناً أمره فانمى عليه ثم فتح عينيه وافق فقال أحفرتم لي؟ قالوا نعم، قال فما فعل الفصل
- وهو ابن عم له - قلنا صالح مر آفا يسأل عنك، قال أما إنه يوشك أن يجعل في حفرتي انه أتاني آت
حين أنمى على فقال ابك هبل؟ أما ترى حفرتك تنتل، وأمك قد كادت تشكل؟ أرايتك أن حولناها
عنك بالمحول، ثم ملأناها بالجنود، وقدفنا فيها الفصل : الذي مضى فجزأك، وظن أن لن يفعل . أتشكر
لربك، وتصل وتدع دين من أشرك وصل؟ قال قلت نعم . قال قم قد برئت . قال فبرىء الرجل . ووات
الفصل فجعل في حفرته . قال الجهيني : فرأيت الجهيني بعد ذلك يصلي ويسب الأوثان ويقع فيها .
وقال الأموي : حدثنا عبد الله قال بينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه في مجلس يتحدثون عن
الجن ، فقال خريم بن فاتك الاسدي : الا أحدثك كيف كان اسلامي؟ قال بلى ، قال إني يوما في طلب
ذودلي أنا منها على أثر تنصب وتصعد ، حتى إذا كنت ببارق العراق انمخت راحتي وقلت أعوذ بمظلم
هذه البلدة أعوذ برئيس هذا الوادي ، فاذا بهاتف بهاتف بي :

ويحك ، عذ بالله ذي الجلال والمجد والعلية والإفضال

ثم اتل آيات من الأنفال ووحد الله ولا تنال

قال فذعرت ذعراً شديداً ثم رجعت الى نفسي فقلت :

يا أيها الهاتف ما تقول أرشد عندك أم تضليل؟

* بين هداك الله ما الحويل *

قال فقال :

هذا رسول الله ذو الخيرات يثرب يدعو الى النجاة

يأمر بالبر والصلاة ويزع الناس عن المنات

قال قلت له : والله لا أرح حتى آتية وأومن به ، فنصبت رجلى في غرز راحتي وقلت :
 أرشدني أرشدني هدينا لا جمت ما عشت ولا عريتنا
 ولا برحت سيداً مقبنا لا تؤنر الخير الذي آتينا
 * على جميع الجن ما بقينا *

قال :

صاحبك الله وأدى رحكاً وعظماً الأجر وعافاً فتكاً
 آمين به أفلح ربي حكاً وانصره نصر أعزيراً نصر كاً

قال قلت من أنت عافك الله ، حتى أخبره إذا قدمت عليه ؟ فقال أنا ملك بن ملك ، وأنا قهيبه على جن نصيبين . وكفيت ابلك حتى اضمها الى أهلك ان شاء الله . قال فخرجت حتى أتيت المدينة يوم الجمعة والناس ارسل الى المسجد والنبي (ص) على المنبر كأنه البدر يخطب الناس ، فقلت انيخ على باب المسجد حتى يصلى وادخل عليه فاسلم واخبره عن إسلامي ، فلما انخت خرج الى أبوذر فقال مرحبا واهلا وسهلا قد بلغنا اسلامك ، فادخل فصل ، ففعلت ، ثم جئت إلى رسول الله (ص) فاخبرني بإسلامي . فقلت الحمد لله . قال « أما إن صاحبك قد وفي لك وهو أهل ذلك ، وادى ابلك الى أهلك » .^(۱)

وقد رواه الطبراني في ترجمة خريم بن فاتك من معجمه الكبير قائلا حدثنا الحسين بن اسحاق اليسيري حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي حدثنا عبد الله بن موسى الاسكندري حدثنا محمد بن اسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال خريم بن فاتك لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين ألا أخبرك كيف كان بدء إسلامي ، قال بلى أفذكره غير أنه قال فخرج الى أبو بكر الصديق فقال أدخل ، فقد بلغنا اسلامك ، فقلت لا أحسن الطهور ، فعدتني فدخلت المسجد فرأيت رسول الله (ص) كأنه البدر وهو يقول « ما من مسلم توضع فاحسن الوضوء ثم صلى صلاة يحفظها ويعقلها إلا دخل الجنة » فقال لي عمر لتأتيني على هذا بيئته أو لا تكون بك ، فشهد لي شيخ قريش عمان بن عفان فجاز شهادته . ثم رواه عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن محمد بن تيم عن محمد بن خليفة عن محمد بن الحسن عن أبيه قال قال عمر بن الخطاب لخريم بن فاتك حدثني بحديث يعجبني فذكر مثل السياق الأول سواء .

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشي الدمشقي حدثنا سليمان بن عبد الرحمن ابن بنت شرحبيل حدثنا اسماعيل بن عياش عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عبد الله بن الديلمي قال أتى رجل ابن عباس فقال بلغنا أنك تذكر سطيجا تزعم أن الله خلقه ، لم يخلق من بني آدم شيئا يشبهه ؟ قال قال نعم إن الله خلق سطيجا الفساني لحماً على وضم^(۲) ولم يكن فيه عظم ولا

(۱) رواية الطبراني ليست في المصرية . (۲) الوضم شرائح من جريد النخل .

عصب إلا للجحمة ، والكفان . وكان يطوى من رجليه إلى ترقوته كما يطوى الثوب ، ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه . فلما أراد الخروج إلى مكة حل على وضعة فأتى به مكة ، فخرج إليه أربعة من قريش عبد قحس ، وهاشم ابنا عبد مناف بن قصي ، والاحوص بن فهر ، وعقيل بن أبي وقاص فاتموا إلى غير نسبهم وقالوا نحن أناس من جمح أتيناك بلغنا قدومك ، فرأينا أن إتياننا إياك حق لك واجب علينا وأهدى إليه عقيل صفيحة هندية ، وصعدة ردينية ، فوضعت على باب البيت الحرام لينظروا ، أهل براها سطيع أم لا . قال : يا عقيل ناولني يدك فناوله يده فقال : يا عقيل والعالم الخفية ، والناظر الخطية ، والذمة الوفية ، والكعبة المبنية ، إنك للجاني بالهدية ، الصفيحة الهندية ، والصعدة الردينية . قالوا صدقت يا سطيع ، قال والآتي بالفرح ، وقوس قزح ، وسائر الفرح ، واللطم المنبطح ، والنخل والرطب والبلح ، إن الغراب حيث مر منحنح ، فأخبر أن القوم ليسوا من جمح ، وإن نسبهم من قريش ذى البطح قالوا صدقت يا سطيع نحن أهل البيت الحرام ، أتيناك لتزورك لما بلغنا من علمك . فأخبرنا عما يكون في زماننا هذا وما يكون بعده فلعل أن يكون عندك في ذلك علم قل : الآن صدقتم ، خذوا مني ومن إلهام الله إياي ، أنتم يا معشر العرب في زمان الهرم ، سواء بصائرهم وبصائر المعجم ، لا علم عندكم ولا فهم ، وينشون من عقبكم ذوو فهم ، يطلبون أنواع العلم ، فيكسرون الصنم ، ويبلغون الردم ، ويقتلون المعجم ، يطلبون الغنم ، قالوا يا سطيع فمن يكون أولئك ؟ فقال لهم : والبيت ذى الأركان ، والامن والسكان لينشون من عقبكم ولدان يكسرون الاوثان ، وينكرون عبادة الشيطان ، ويوحدون الرحمن ، ينشرون دين الديان ، يشرفون البنيان ، ويستفتون الفتيان ، قالوا يا سطيع من نسل من يكون أولئك ؟ قال : وأشرف الاشراف ، والمفضي للاشراف ، والمزعزع الاحقاف ، والمضعف لاضعاف ، لينشون الألاف من عبد شمس وعبد مناف ، نشروا يكون فيه اختلاف . قالوا يا سطيع مما نخبرنا من العلم بأمرهم ومن أي بلد يخرج أولئك ؟ قال والباقي الأبد ، والبالغ الأمد ، ليخرجن من ذا البلد ، فتي يهدى إلى الرشدي رفض يعوث والفند ، يبرأ من عبادة الضدد ، يعبد رباً افرده ، ثم يتوفاه الله محموداً ، من الارض مفقوداً ، وفي السماء مشهوداً . ثم يلي أمره الصديق إذا قضى صدق ، في رد الحقوق لا خرق ولا تزق ثم يلي أمره الخنيف ، مجرب غطريف ، ويترك قول العنيف . قد ضاف المضيف . وأحكم التحنيف . ثم يلي أمره داعياً لأمره مجرباً ، فتجتمع له جموعاً وعصباً ، فيقتلونه قهمة عليه وغضباً ، فيؤخذ الشيخ فيذب أوما فيقوم به رجال خطباً . ثم يلي أمره الناصر يخلط الرأي رأى المناكر يظهر في الارض المساكر ثم يلي بعده ابنه يأخذ جمعه ويقل حمده . ويأخذ المال ويأكل وحده ، ويكثر المال بقبه من بعده ، ثم يلي من بعده عدة ملوك لا شك الدم فيهم مسفوك ، ثم بدم الصلوك يطويهم كطى الدرؤك . ثم يلي من بعده عظمور يقضى الحق ويدنى مصر يفتح الارض افتتاحاً منكراً ، ثم يلي قصير القامة ، يظهره علامة

يموت موتاً وسلاماً . ثم يلى قليلاً باكر ، يترك الملك باثر يلى أخوه بسفته سابر ، يختص بالأموال والمنابر
ثم يلى من بعده أهوج ، صاحب دنيا ونعيم مخليج ، يتشاوره معاشره وذووه ، ينهضون اليه يخلمونه بأخذ
الملك ويقتلونه ، ثم يلى أمره من بعده السابع ، يترك الملك محلاً ضائع ، بنوه فى ملكه كالشوه جامع ،
عند ذلك يطعم فى الملك كل عريان ، ويلى أمره اللفان . برضى تزاراً جمع قحطان ، إذا التقيا بدمشق
جمعان بين بنيان ولبنان ، يصنف اليمن يومئذ صنفان . صنف المشورة ، وصنف الخذول : لا ترى
الاحياء محلول . وأسيراً مغلول . بين القراب والخيول . عند ذلك تخرب المنازل وتسلب الأرامل ،
وتسقط الحوامل وتظهر الزلازل ، وتطاب الخلالة وائل ، فتغضب تزار فتدنى العبيد والأشرار ،
وتقصى الامثال والأخيار . وتفلو الاسعار فى صفر الاصفار يقتل كل حيا منه ، ثم يسرون إلى خنادق
وإنها ذات أشعار وأشجار تصد له الأنهار وبهزمهم أول النهار ، تظهر الأخيار فلا ينفعهم نوم ولا
قرار . حتى يدخل مصرأ من الأمصار ، فيدركه القضاء والأقدار . ثم يجىء الرماة تلف مشاة ، لقتل
الحياة ، وأسر الحماة . وتملك الغواة هنالك بدرك فى أعلى المياه . ثم يبور الدين ، وتقلب الأمور ،
وتكفر الزبور ، وتقطع الجسور ، فلا يفلت إلا من كان فى جزائر البحور ، ثم تبور الحبوب ، وتظهر
الأعاريب ليس فيهم معيب على أهل الفسوق والريب فى زمان عصيد ، لو كان للقوم حيا ، وما تفى
المنى . قلوا ثم ماذا يا سطيح ؟ قال ثم يظهر رجل من أهل اليمن كالشطن ، يذهب الله على رأسه العتن .
وهذا أثر غريب كنباه لفرابته وما تضمن من العتن والملاحم . وقد تقدم قصة شق وسطيح مع ربيعة
ابن نصر ملك اليمن ، وكيف بشر بوجود رسول الله (س) ، وكذلك تقدم قصة سطيح مع ابن أخته
عبد المسيح حين أرسله ملك بنى ساسان ، لارتجاس الايوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبدان .
وذلك ليلة مولد الذى نسخ بشر بعته سائر الأديان .

﴿﴾

ثم الجزء الثانى من البداية والنهاية وبلية الجزء الثالث وأوله

﴿باب كيفية بدء الوحي الى رسول الله (س)﴾

فهرست الجزء الثاني

من كتاب البداية والنهاية

صفحة	صفحة
٤٦ - فصل	٢ - جماعة من انبياء بني اسرائيل بعد موسى عليه السلام
٤٧ - قصة زكريا ويحيى عليهما السلام	٢ - قصة حزقييل
٥٣ - بيان سبب قتل يحيى عليه السلام	٤ - قصة اليسع عليه السلام
٥٦ - قصة عيسى بن مريم عليه من الله افضل الصلاة والسلام	٥ - قصة شمويل وفيها بدأ أمر داود عليهما السلام
٦٣ - ميلاد العبد الرسول عيسى بن مريم البتول	٩ - قصة داود وما كان في أيامه ثم فضائله ودلائل نبوته واعلامه
٧٠ - باب بيان أن الله تعالى منزّه عن الولد	١٦ - كمية حياته وكيفية وفاته عليه السلام
٧٥ - منشأ عيسى بن مريم عليهما السلام وبيان بدء الوحي اليه من الله تعالى	١٨ - قصة سليمان بن داود عليهما السلام
٧٨ - بيان نزول الكتب الأربعة ومواقبتها	٣٠ - وفاته ومدة ملكه وحياته
٧٨ - بيان شجرة طوبى ما هي	٣٢ - جماعة من أنبياء بني اسرائيل بعد داود وسليمان وقبل زكريا عليهم السلام
٨٦ - خبر المائدة	٣٣ - ومنهم أرميا بن حلقيا من سبط لاوي ابن يعقوب
٨٧ - فصل	٣٤ - خراب بيت المقدس
٩١ - رفع عيسى عليه السلام إلى السماء	٤٠ - شيء من خبر دانيال عليه السلام
٩٦ - صفة عيسى عليه السلام وشمائله وفضائله	٤٢ - عمارة بيت المقدس بعد خرابها واجتماع بني اسرائيل بعد تفرقهم في بقاع الارض
١٠١ - فصل	٤٣ - وهذه قصة العزيز
١٠١ - بيان بناء بيت لحم والقمامة	
١٠٢ - كتاب أخبار الماضين	
١٠٢ - خبر ذي القرنين	
١٠٧ - بيان طلب ذي القرنين عين الحياة	

صفحة .

صفحة

١٠٩ - ذكر أمي بأجوج وماجوج

١١٣ - قصة أصحاب الكهف

١٧ - قصة الرجلين المؤمن والكافر

١٢٠ - قصة اصحاب الجنة

١٢١ - قصة اصحاب إيلة الذين اعتدوا في سبتهم

١٢٣ - قصة لقمان

١٢٩ - قصة أصحاب الأخدود

١٣٢ - بيان الاذن في الرواية عن أخبار بني

اسرائيل

١٣٤ - قصة جريج أحد عبادة بني اسرائيل

١٣٦ - قصة برصيصا

١٣٧ - قصة الثلاثة الذين آووا الى الغار فانطبق عليهم

١٣٨ - خبر الثلاثة الأعمى والأبرص والأقرع

١٣٩ - حديث الذي استلف من صاحبه ألف

دينار

١٣٩ - قصة أخرى شبيهة بهذه القصة في

الصدق والامانة

١٤٠ - قصة اخرى

١٤٠ - حديث اخر

١٤٢ - قصة الملكين التائبين

١٤٦ - فصل

١٤٧ - تحريف أهل الكتاب وتبديلهم أديانهم

١٤٩ - ليس للجنب لمس التوراة

١٥١ - كتاب الجامع لأخبار الانبياء المتقدمين

١٥٦ - ذكر أخبار العرب

١٥٨ - قصة سبأ

١٦١ - فصل

١٦٢ - قصة ربيعة بن نصر بن ابي حارثة بن عمرو

بن عامر

١٦٣ - قصة تبع أبي كرب مع أهل المدينة

١٦٧ - وثوب لحنيعة ذي شنار على ملك اليمن

١٦٨ - خروج الملك باليمن من حير الى الحبشة

والسودان

١٦٩ - خروج أبرهة الأشرم على أرباط

فاختلافها

١٧٠ - سبب قصد أبرهة بالقبيل مكة ليخرب

الكعبة

١٧٧ - خروج الملك عن الحبشة ورجوعه الى

سيف بن ذي يزن

١٨٠ - ما آل اليه أمر الفرس باليمن

١٨١ - قصة الساطرون صاحب الحضرة

١٨٣ - خبر ملوك الطوائف

١٨٤ - ذكر بني اسماعيل وما كان من أمور

الجاهلية الى زمان البعثة

١٨٧ - قصة خزاعة وعمرو بن لحي وعبادة

العرب للاصنام

١٩٠ - باب جهل العرب

١٩٣ - خبر عدنان جد عرب الحجاز

١٩٨ - أصول أنساب عرب الحجاز الى عدنان

٢٠٠ - قريش نسباً واشتقاقاً وفضلاً وم

بنو النصر بن كنانة

صفحة	صفحة
۲۶۶ - فصل	۲۰۵ - خبر قصي بن كلاب وارتجاعه ولاية البيت وانتزاعه ذلك من خزاعة
۲۶۸ - ذكر ارتجاس ايوان كسرى	۲۰۹ - فصل
۲۷۲ - حواضنه ومراضه عليه الصلاة والسلام	۲۱۱ - ذكر من الاحداث في الجاهلية
۲۷۳ - رضاعه عليه الصلاة والسلام	۲۱۱ - ذكر جماعة مشهورين في الجاهلية
۲۷۹ - فصل	۲۱۲ - حاتم الطائي احد اجواد الجاهلية
۲۸۱ - فصل	۲۱۷ - شيء من اخبار عبدالله بن جدعان
۲۸۳ - فصل	۲۱۸ - امرىء القيس بن حجر الكندي صاحب احدى المملقات
۲۸۶ - قصة بحيرا	۲۲۰ - اخبار امية بن ابي الصلت الثقفي
۲۸۶ - فصل	۲۲۹ - خبر بحيرا الراهب
۲۸۹ - ذكر شهوده عليه الصلاة والسلام	۲۳۰ - ذكر قس بن ساعدة الايادي
۲۹۰ - فصل	۲۳۷ - زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه
۲۹۳ تزويجه خديجة بنت خويلد عليه الصلاة والسلام	۲۴۳ - شيء من الحوادث في زمن الفترة -
۲۹۶ - فصل	۲۴۴ - كعب بن لؤي
۲۹۸ - فصل	۲۴۴ - تجديد حفر زمزم
۳۰۵ - فصل	۲۴۸ - نذر عبد المطلب ذبح ولده
۳۰۶ - مبعث رسول الله (ص)	۲۴۹ - تزويج عبد المطلب ابنة عبدالله آمنة بنت وهب الزهرية
۳۰۸ - فصل	۲۵۲ - كتاب ميرة رسول الله (ص) . نسبه الشريف وطيب أصله المنيف
۳۱۶ - ذكر اخبار غريبة في ذلك	۲۵۹ - باب مولد رسول الله (ص)
۳۱۹ - قصة عمرو بن مرة الجهني	۲۶۲ - صفة مولده الشريف عليه الصلاة والسلام
۳۲۸ - قصة سيف بن ذي يزن وبشارته بالنبي	
۳۳۲ - باب هواتف الجان	

IBN KATHIR

AL-BIDAYAT-WAL-NIHAYAT

Maktabat Al-Maaref

P.O.B. 1761-Bairut